ديوان الأعشى الكبير

ميمون بن قيس

شرح وتعليق

الدكتور م . محمد حسين

أستاذ الأدب العربي المساعد بجامعة فاروق

الناشر

مكتبة الآداب بالجماميز ت ٤٢٧٧٧

المطبعة النموذجية

٦ سكة الشابوري بالحلمية الجديدة

ديوان الأعشى الكبير

ميمون بن قيس

شرح وتعليق

الدكتور م. محمد حسين

أستاذ الأدب العربي المساعد بجامعة فاروق

الناشر

مكتبة الآداب بالجماميز ت ٤٢٧٧٧

المطبعة النموذجية

٦ [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا هو ديوان الأعشى أبى بصير ميمون بن قيس بن جندل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل. وترجع صلتى به إلى سنة ١٩٣٤، حين كنت طالباً فى قسم اللغة العربية بجامعة فؤاد، فكلفت بكتابة بحث عنه، فيما يكلف به الطلبة من بحوث. فلما تخرجت فى الكلية اخترته موضوعاً لرسالة تقدمت بها فى سنة ١٩٤٠ للحصول على درجة الماجستير، بإشراف أستاذى الدكتور طه حسين بك، فكان لتوجيهه أثر كبير فى تقريب الشاعر من نفسى وفى اتخاذ العصر الجاهلى ميداناً لدراستى المستقبلة. وقد تبينت وقتذاك أن طبعة الديوان الأوروبية — على ما يدل فى إخراجها من جهد كبير — لا تسلم من بعض وجوه النقص. ولم تزل فكرة طبع الديوان من جديد تراودنى منذ ذلك الحين، حتى يسر الله بإنجازها فى هذا العام، بعد عمل اتصل ثلاث سنوات.

والأعشى فى اللغة هو الذى لا يبصر فى الليل ويبصر فى النهار. وقد فسره بعض اللغويين بسوء البصر، وفسره بعضهم بالعمى. ولكن التفسير الأول هو أشهرها.

والملقبون بهذا اللقب من الشعراء كثير، أحصى منهم الآمدى فى «المؤتلف والمختلف» سبعة عشر شاعرا بين جاهلى وإسلامى. وهم يميزون بينهم بنسبتهم لقبائلهم، فيقولون أعشى همدان وأعشى باهلة وأعشى تغلب وهكذا. وأشهر هؤلاء جميعاً شاعرنا أعشى بنى قيس بن ثعلبة. فقد كان أحد الذين اختلف فيهم قدماء النقاد، ففضله بعضهم على سائر شعراء الجاهلية. وكانوا يسمونه «صَنَّاجَةَ العرب» لجودة شعره، ولما له فى الآذان من دوى ورنين، حتى ليخيل لسامعه أنه ينشَدُ على جَرْسِ الصَّنْج.

وقد نشر المستشرق الألمانى رودلف جاير Rudolf Gayer هذا الديوان للمرة الأولى سنة ١٩٢٨. نشره عن ست نسخ، هى كل ما أمكن جمعه من النسخ المخطوطة للديوان [1]. واستعان بعد ذلك بعدد ضخم من الكتب العربية بلغ فى مجموعه خمسمائة وتسعة وستين مؤلفاً، استخرج منها جميعاً كل ماروى للأعشى من شعر، وأثبت فى الملحقات رواية كل بيت من أبيات الديوان، جاء ذكره فى واحد من هذه الكتب، مع قراءات النسخ المختلفة.

والواقع أن مجهود الناشر فى الديوان يعتبر مثالا للدقة وللأمانة العلمية وللجلد على العمل الطويل الذى اتصل فى خدمة هذا الكتاب أربعين عاماً. وقد اعتمدت على هذا المجهود القيم فى طبعتى هذه، فبدأت عملى من حيث انتهى جاير. ولذلك كان من حق هذا المستشرق على أن أعتبر عملى فى الديوان إتماما لمجهوده المضنى، وثمرة لعمله المتصل الدءوب.

وقد ختم جاير ديوان الأعشى — كما جاء فى رواية ثعلب — بجمع ماعثر عليه مفرقاً فى الكتب مما نسب إلى الشاعر من شعر

---

(١) وهى نسخة من مكتبة الاسكوريال — وعليها كان جل اعتماده — وأخرى من دار الكتب المصرية، وثالثة من ستراسبورج، ورابعة من زاخو — والنسختان الأخيرتان منقولتان عن نسخة القاهرة — وخامسة من ليون، وسادسة من باريس.

وأكثره أبيات متفرقة ، نسقها وحاول أن يلائم بينها بضم مايتفق فى البحر والروى .

على أن كثيراً من هذه الأبيات واضح الخطأ فى نسبته لأعشى قيس ، مثل القطعة (١٢١) :

تطرد القُرَّ بحَرٍّ صادق   وعكيكَ القَيْظِ إن جاء بِقُرّْ

فهو لطرفة من قصيدته :

أصحوتَ اليوم أم شاقتك هِرّْ   ومن الحب جنونٌ مُستَعِرْ

والقطعة (١٢٢) :

كأن المُدامَ وصوبَ الغمام   وريحَ الخُزامى ونشرَ القُطُرْ

فهى لامرئ القيس من قصيدته :

أحارِ بْنَ عمرٍو كأنى خَمِرْ   ويَعْدُو على المَرْءِ ما يأْتَمِرْ

والقطعة (١٢٩) :

خفَّ القطينُ فراحوا منكَ أو بكَرُوا   وأزعجتهم نوًى فى صَرْفِها غِيَرُ

فهو أول رائية الأخطل المشهورة .

والقطعة (١٦٢) :

وَلَجَّ بكَ الهجرانُ حتى كأنما   ترى الموتَ فى البيت الذى كُنْتَ تَعرِفُ

فهى البيت الثانى من فائية الفرزدق :

عَزَفْتَ بأعشاشٍ وما كِدْتَ تَعزِفُ   وأنكرتَ من حَدْرَاءَ ما كنتَ تعرف

وبعض هذه القطع واضح الخطأ فى نسبته للشاعر ، مثل القطعة (١٣٥) التى يشير فيها الشاعر إلى عثمان ومروان . ومعظمها رواية محرفة لأبيات فى الديوان ، مثل القطع ٨٤ ، ٨٥ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٩ ، ١٢٣ ، ١٢٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٧٠ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٩٢ ، ٢٠٢ ، ٢٠٥

من أجل ذلك ضربت صفحا عن هذا القسم من ملحقات الديوان ، ولم ألتفت إليه . وحصرت عملى فى تقويم نص الديوان — كما رواه ثعلب — وتيسير الانتفاع به .

أما النص فقد كانت الأخطاء فيه كثيرة فى الجزء الأخير . ويرجع ذلك لأسباب كثيرة ، منها ما أشار إليه جاير من قدم الخط وصعوبة قراءته فى نسخة الإسكوريال ، وما أصابه من العطب نتيجة الحريق والبلل . وقد زاد مهمته صعوبة إهمال الناسخ ورداءة خطه من آثار الملل أو التعب قرب نهاية المخطوط . ومنها إصابة هذا المستشرق الجليل بشلل فى جانب جسمه الأيمن أثناء نشر الديوان . والعجيب حقاً أن هذا المصاب الخطير لم يصرف الرجل الكبير عن المضى فى عمله ، مستعينا ببعض أصدقائه وتلامذته . يضاف إلى ذلك أن الشرح الذى يصحب النص فى مخطوط الاسكوريال ، فيساعد على فهمه وتقويمه ، كان يقل بالتدريج ، حتى خلت القصائد الأخيرة منه خلوا تاماً .

وقد اعتمدت فى تقويم النص على ملحقات الناشر ، التى أثبت فيها خلافات النسخ ورواية الأبيات كما جاءت فى كتب اللغة والنحو والأدب . ولم أسمح لنفسى بالخروج عن هذه الروايات إلا حين يبدو التصحيف واضحاً .

مثل البيت (٤) من القصيدة (٢٦) :

كأنك لم تشهد قرابين جمة　　تَغِيثُ ضِيَاعٌ فيهم وعواسل

فقد كان التصحيف واضحاً فى الشطر الأخير وصوابه (تَعِيثُ ضِبَاعٌ) .

ومنها البيت (١١) من القصيدة (٣١) :

تشكَّ إلىَّ فلم أشكها　　مَنَاسِمَ تُرْمَى وخُفًّا رهيصا

وصوابه (مَنَاسِمَ تَدْمَى) .

ومنها البيت (٥٥) من القصيدة (٣٦) :

ولقد أمنع من عادية　　كُلًا يَخْشِينَ من داء الكَلَحْ

وصوابه (كُلَّ مَا يَخْشَيْم)

ومنها البيت (٣) من القصيدة (٤٩) .

زَائمُ غيرَ أنباط بِمَزْرَعَةٍ　　توابع للحبر حيثما ذهبوا

وصوابه (غير أنباط بِعَذْرَعَةٍ)

ومنها البيت (٩) من القصيدة (٥٦)

فذبُّوا نحونا لجبا　　بهذا السهلَ والأكما

وصوابه (بِهَذْ السهلَ والأكما) .

والبيت (٢٦) من هذه القصيدة .

بمثلهمَ غداة الرَّوْحِ　　يجلو العز والكرما

وصوابه (غداة الرَّوْعِ) .

ومنها البيت (٦) من القصيدة (٦٠) :

ولو أنَّ ما أسرفتمُ فى ذِمَائِنَا　　لدى قُرَبٍ قد وُكِّدَتْ وأَنَّى لَمَا

وصوابه (. . . فى دِمَائِنَا . . . قد وُكِّرَتْ . . .)

ومنها البيت (٧) من القصيدة (٦٣) جاء فى طبعة جاير (سَهِرَتْ بالعشاء) وصوابه (مَهَرَتْ) . والبيت (٩) منها جاءت قافيته (مَصْدُوفِ) وصوابها (مَسْدُوفِ) . والبيت (٢٥) منها ، كان (غيرِ الصَّرِيف) ، فصححتها (غَيْرَ الصَّرِيفِ) . والبيت (٢٦) منها ، كان (ذَاهِبَاتٌ) ، فصححته (ذَاهِبَاتٍ) . والبيت (١٦) من القصيدة (٦٥) ، كان فيه (القَنْقَرِيَّةُ) ، فصححتها (العَبْقَرِيَّةُ) . والبيت (٣) منها ، كانت قافيته (كَبُودُ) ، وصوابها (كَنُودُ) . والبيت (١٨) منها ، فيه (أَجْزَأَلَتْ)

وصوابه (أَحْزَأَلَّتْ) . والبيت (٢٧) منها ، فيه (والسَّدَلُ الفَرِيدُ) ، وصوابه (والسَّدِلُ القَرِيدُ) والبيت . (٣٧) منها ، رسم الشطر الأول منه هكذا (. . . حانكِ لَوْ سَأَلْتِ قَتِيلَ عَنَّا) وهو (فَإِنَّكِ لَوْ سَأَلْتِ قُتَيلَ عَنَّا) ، ولم يسقط من الشمرشي، كما توهم النقط . والبيت (١)من القصيدة (٦٧) ، جاء فى النسخة الأوروبية :

وَإِذَا أَتَيْتَ مُغَنِّيًا فِى دَارِهَا   أَلْفَيْتَ أَهْلَ نَدًى هُنَاكَ خَبِير

وصوابه (. . . مُغْتَبِيًا . . . . وَخِيرِ) :

هذه أمثلة لما قومته اعتمادا على المعنى ، مما بدا التصحيف والتحريف فيه واضحا . ولا أرى داعياً للاستقصاء والإحصاء ، فانما قصدت إلى التمثيل ، لا الغض من جهد جابر ، الذى هو موضع إعجابى الشديد . أما الذى اعتمدت فيه على ملاحق الديوان فهو كثير لاداعى للإشارة إليه . وقد كان عملى فيه ترجيح رواية على أخرى ، حين يبدو فساد الرواية المثبتة فى النص أو مجانبتها للصواب .

ويكثر أمثال هذا التحريف فى النصف الثانى من الديوان ، ابتداء من القصيدة (٣٨) . ولكنها تزيد فى آخر الديوان ، وخاصة حين يقل الشرح أو ينعدم إلى درجة المسخ والتشويه ، بحيث يتعذر فهم النص فى عدد كبير من الأبيات ، ابتداء من القصيدة (٦٠) حتى نهاية الديوان .

أما ما هدفت إليه من تيسير الانتفاع بالديوان ، فقد كان جهدى فيه محصورا فيما يلى :

(أولا) مراجعة الشرح ، وتعقب ما فات الشارح منه[1] . ويقل الشرح ــ كما أشرت ــ فى النصف الثانى من الديوان حتى ينعدم تماما فى القصائد الأخيرة .

(ثانيا) التقديم للقصائد بالتعريف للأعلام والأحداث التى تشير إليها ،مع بعض الملاحظات العامة عليها ، والإشارة فى صدر كل قصيدة إلى بحرها .

(ثالثا) تقريب الشعر إلى القارئ بتقديم نثر كامل للقصائد يقابل النص الشعرى . وهذا النثر يشبه أن يكون ترجمة للنص القديم إلى لغة حديثة ، تقرب الدارس منه وتنير أمامه الطريق . فقد بدا لى أن الصعوبة فى ممارسة النصوص القديمة لا تقف عند غرابة الألفاظ والتراكيب . ولكن جزءاً كبيراً منها يرجع إلى طريقة تصور هؤلاء الشعراء القدماء للأشياء . فمن الواضح أنها تختلف اختلافاً كاملا عن طريقة تصورنا لها ، لاختلاف البيئة زماناً ومكانا ، ولتغير القيم الأخلاقية والاجتماعية تبعا لذلك . ولهذا كان شرح المفردات والأساليب وحده لا يكفى لفهم الشعر وتذوقه . هذا إلى أن بعض الدارسين قد لا يعنيهم الشعر نفسه من ناحيته البلاغية والفنية ، إذا كان قصدهم إلى الدراسات التاريخية أو الاجتماعية . وأمثال هؤلاء يستطيعون الاستغناء عن النص بالترجمة النثرية .

وقد حرصت فى نثرى لهذا الشعر على أن أحتفظ ما استطعت بجوه وبتأثيره ، فجربت فى هذا السبيل كثيراً من الأساليب . حاولت أن أحتفظ فى النثر بقافية الشعر ووحدة البيت ، كما فعلت فى القصيدة (١) . ولكنى رأيت أن التقيد بالقافية يحد من حريتى فى الشرح والتوضيح ، فغيرت القافية كلما استعصى على المعنى فيها ، كما فعلت فى القصيدة (٢) .

---

(١) وقد أثبت الناشر فى مقدمته أن هذا الشرح ليس لثعلب ، وأن عمل ثعلب فى الديوان لم يتجاوز رواية النص ، لأنه لاحظ أن الشرح لايتمشى مع النص فى بعض الأحيان . ولذلك رجح عنده أن يكون هذا الشرح منقولا عن نسخة أخرى من غير رواية ثعلب .

ولكني تبينت مع ذلك أن الصعوبة لا تزال قائمة ، وأن مثل هذا النثر على قربه من اللغة الشعرية فى التنغيم لا يؤدى الفائدة المرجوة منه ، بتقريب هذا الشعر من المعاصرين وإعانتهم على تذوقه . ولذلك حاولت محاولتى الثالثة بتقديم النثر فى شكل مجموعات، تصور كل مجموعة منها عددا من الأبيات المترابطة المعنى . ورأيت أن هذه الطريقة تسمح لى بإبراز مواطن الجمال ولفت القارئ إلى دلالات بعض الأبيات . وقد فعلت ذلك فى القصائد (٣ — ١١) . ولكنى عدت آخر الأمر إلى الاحتفاظ فى نثرى بوحدة البيت ، مع الإبقاء على طريقتى السابقة فى إبراز الصلات بين الأبيات ، والتنبيه إلى تنقل الشاعر بين مختلف الأغراض ودلالات هذا الانتقال .

وتركت كل هذه المحاولات، فلم أعد إليها لتوحيد شكلها وردها إلى نمط واحد ، فقد ظللت حتى الآن متردداً فى التفضيل بينها وفى ترجيح أحدى هذه الأساليب على الأساليب الأخرى ، لأن لكل منها مزيته . فعرضتها كما هى ، وتركت الحكم فى المفاضلة بينها للقارئ .

(رابعاً) ووضعت فى آخر الديوان فهارس للمفردات اللغوية وللأعلام والأماكن والأغراض والمعانى ، لتيسير الانتفاع الكامل بالنص الشعرى. كما وضعت جدولا لتصحيفات النسخة الأوروبية ، ولما بينها وبين هذه النسخة من مخالفة ، حتى لا أفرض فهمى على القارئ .

• • •

وقد ساعدنى فى إخراج هذا الكتاب جماعة من الأصدقاء . فتفضل الأستاذ شوقى أمين بمعاونتى فى مراجعة مسودات الطبع ، وأسدى إلى كثيراً من الآراء النافعة التى اقتنعت بكثير منها وأخذت به . وتفضل الزميل الأستاذ محمد أبو الفرج المعيد بقسم اللغة العربية فى جامعة فاروق بوضع الفهارس اللغوية للديوان ، كما تفضل محمد أفندى عبد اللطيف الشويمى الطالب بليسانس الآداب بوضع فهارس الأعلام والأماكن والقبائل والأيام . وتفضلت الآنسة عزة كرارة ، المتخرجة فى قسم اللغة الانجليزية بجامعة فاروق ، بترجمة المقدمة الألمانية للمستشرق جاير فى الطبعة الأوربية . فإلى هؤلاء جميعاً أقدم شكرى الخالص .

وأخيرا ، فقد يكون من المفيد أن أضع بين يدى القارئ ترجمة لمقدمة جاير فى الطبعة الأوربية للديوان . فهى — على ما فيها من نفع — درس خلق رفيع فى إنكار الذات ، والتفانى فى خدمة العلم ، وحمل أمانته حتى الموت .

رمل الاسكندرية ١٠ فبراير سنة ١٩٥٠

محمد حسين

مقدمة الطبعة الأوروبية لديوان الأعشى

لرودلفُ جاير

تمكنت فى نفسى فكرة نشر أشعار الأعشى ميمون منذ أكثر من أربعين عاماً . فبدأت وقتئذ فى جمع كل مايتعلق به، واستحضرت نسخاً من مخطوطات ديوانه فى ليدن والقاهرة . ولكننى حين علمت أن توربيك Thorbecke يستعد لنشر هذا الديوان ، وأنه فوق ذلك يمتلك صورة للمخطوط الإسكوريالى ، حين علمت بذلك وضعت كل ماجمعت تحت تصرفه . فأخذ بعضه، ثم طلب منى ماجمعته من أساس البلاغة للزمخشرى ، فأرسلته إليه . وهو يكون الآن جزءاً من مخلفاته فى هذا الموضوع . ولكنه توفى للأسف بعد ذلك ، قبل أن يتخطى المرحلة الأولى من أبحاثه ، وقبل تكملة مجموعته .

وفى ١٧ فبراير سنة ١٨٩٠ أرسل إلى أوجست موللر August Muller من كونجزبرج خطاباً ، يعرض على فيه إتمام مابدأه توربيك من ديوان الأعشى ، إذ أخذ على عاتقه مهمة إصداره بمعاونة سوكين Socin بعد أن عين خلفاً لتوربيك فى هل Halle ، فقلبت عرضه . ثم أحال على رئيس الجمعية الشرقية والألمانية المجموعات المتعلقة بالأعشى والمجموعتين اللتين تعرفان فى مكتبة الجمعية بـ Ms.Th- A.30 ، بعد مشورة موللر وموافقة أرملة توربيك ، وبذلك أصبح فى حيازتى المخطوط الاسكوريالى ، الذى هو أساس الجزء الأكبر من هذا الكتاب . وسيأتى الكلام عنه بإسهاب . كما أصبحت فى حيازتى مخطوطات توربيك الموجودة بالملزمة الثانية ، وهى تتكون من ٣٦٦ صفحة ، وأكثرها أوراق منفصلة فى حجم الفلسكاب duodez.quart.Oktav . وتكون الأوراق المحصورة بين رقم ٢٧٧ و٣٥٣ كراسة واحدة مجلدة ، فيها مقارنات بين المخطوط فى نسخ باريس وليدن وستراسبورج ، كما تحتوى الصحيفة ٣٥٤ وما بعدها إلى ٣٦٦ على معلومات شتى عن خطوط أخرى . أما الأوراق المنفصلة من ١ إلى ٢٦ ، ومن ١٧١ إلى ٢٧٦ ، فتحتوى على ملاحظات متباينة غير مرتبة . وتحتوى الصحائف من رقم ٢٧ إلى ٢٧٠ على ملاحظات أخرى وبيانات ، قد رتبت ترتيباً أبجدياً حسب قوافى الأبيات . كما أن الجلدة الخارجية للكراسة التى سبق ذكرها ، والتى استعملت بعد انفصالها كغطاء للمجموعة كلها ، تحمل كذلك بعض الملاحظات . وقد كانت جميع هذه الملاحظات توافق فى أغلب الأحيان آرائى الشخصية ، ولكنى مع ذلك سررت ، لأنها أتاحت لى فرصة مراجعة مجموعتى وتمحيصها . ومن الواضح أننى توسعت فى أبحاثى خلال السنوات السبعة والثلاثين الماضية ، وأضفت إليها كثيراً من الزيادات . وقد اجتمع لى من البحث عن آثار الأعشى فى مختلف المصادر قدر لا بأس به، وظهر لى المركز العظيم الذى يتمتع به هذا الشاعر فى جميع العصور بين العلماء ، فمركزه كشاعر يأتى بعد امرىء القيس مباشرة .

يضاف إلى كل ذلك أن مجموعة من زملائى وضعوا تحت تصرفى كل ماجمعوه عن الأعشى ، كما أنهم أرسلوا إلى مجلدات مكتوبة باليد من مقتطفات صعب على الحصول عليها .

وقد كانت الصعوبة الكبرى التى اعترضتنى ناتجة عن رداءة حالة المخطوط الإسكوريالى العظيم القيمة ، مما وقف عقبة فى سبيل قراءته . وقد تولانى اليأس مراراً بعد ماعانيت فى سبيل قراءته ، فقررت — كمحاولة أخيرة — أن آخذ بعض القصائد

المنفردة من المخطوط الاسكوريالى — وكان لدى منها مايكفى — وأن أقارنها بقصائد أخرى فى نفس المعنى من أشعار الأعشى الأخرى . ثم إننى حاولت ، بفحص الشرح والتوضيح المرافقين للشعر فى نفس المخطوط وفى مخطوطات أخرى ، أن أفهم طريقة الشاعر فى التعبير . وعلى هذا النحو تكون كتابى « قصيدتان للأعشى — فينا ١٩٠٥ ؛ ١٩١٩ » . ومع مايبدو لى من النقص فى هذا الكتاب ، فأنا مدين له بالمعلومات الكثيرة التى استفدتها من العمل فيه ، و بأنه كان سبباً فى لفت نظرى إلى عملى الأساسى ، فتشجعت واستأنفته مزوداً بقوى جديدة . وقد كان السير تشالز لايل Sir Charles Lyall هو السبب فى تحمل هيئة جيب التذكارية E. J. W. Gibb Memorial نفقات الطبع . فبدىء به فى خريف ١٩٢٢ ، ولم يصادف أى تعطيل يذكر ، حتى عندما أصبت بشلل فى جانب جسمى الأيمن أقعدنى حتى اليوم . وأنا أرجو أن لايؤثر هذا المصاب كثيراً فى عملى ، وأن لايترك به آثاراً ملحوظة .

وإنى لاأعجز عن شكر جميع من تكاتفوا معى على إتمام هذا العمل الشاق ، فعددهم الكبير يحول دون تسميتهم ، وإن كان أغلبهم قد ذكروا فى فهرس الكتاب . وأحب أن أعبر عن عظيم امتنانى لهيئة جيب التذكارية ، لتحمل نفقات الطبع . كما أننى أدين بالشكر لرئيس جمعية الشرق الألمانية ، الذى سمح بإبقاء مخلفات نوربيك لدى لمدة تقرب من أربعين سنة . كما أننى أشكر من أعماق قلبى جميع أصدقائى وتلاميذى الذين ساعدونى فى هذا العمل الشاق بمختلف الوسائل ، وخصوصا الأستاذ الدكتور براو Braw ، الذى أعاننى أنا المقعد بكل ماأوتى من قوة ، والأستاذ الدكتور كوفالسكى Kowalski فى كراكاو Krakau ، الذى راجع النص العربى وأضاف إليه نصائح عملية مفيدة ؛ وكذلك السيد كرنكو Herr Krenkow فى بكنهام Beckenham ، الذى لم يدخر وسعاً فى أن يمنحنى من قراءاته المتعمقة آراء جديدة ، والأستاذ بيفان Bevan من كيمبردج Cambridge ، الذى أمدنى بمقترحات جليلة لإصلاح النص الشعرى وتفسيره . فإلى هؤلاء أتقدم مرة ثانية بوافر الشكر ، كما أذكر بالخير مرة أخرى دار هلتزهاوزن للطبع Holzhausen ، التى أتمت عملها بكل عناية ودقة .

ر . جاير R. Geyer

« حاشـــية »

وصلنى فى يوم ٢٤ يناير سنة ١٩٢٨ ، ومجلدى لم يخرج بعد من المطبعة ، خطاب من ميمون عبدالعزيز ، القارىء العربى بالجامعة الإسلامية بأليجرا Aligarh (U.P. India) ، يعرفنى فيه بأنه فى أواخر ديسمبر سنة ١٩٢٧ وجد فى مكتبة المدينة برامبور Rampur مخطوطاً غير مضبوط بالشكل ، يحتوى على ٣٣ قصيدة للأعشى ، وبأنه سيقارن هذا النص بما جاء فى كتابى وإنى أتمنى أن أخص ملاحظاته فى الطبعة الثانية لكتابى بما تستحقه من التقدير ، وأشكره شكراً صادقاً على صنيعه هذا .

كيفية وضع وإنشاء الكتاب

وضعت تحت تصرفى لهذا المجلد من أشعار ميمون الأعشى الكتب والمخطوطات الآتية :

المخطوط الإسكوريالى : أمكننى استعماله من إحدى الصور الشمسية من مخلفات نوربيك لدى جمعية الشرق الألمانية . ولقد

ساعدنى على قراءة بعض الأوراق غير الظاهرة الصور التى التقطها ب. سانشى P.Sanchez فى الإسكوريال ، والتى وصلتنى عن طريق هيئة جيب التذكارية . ولما كان شرحا كاسيرس Casiris وديرنبورج Derenbourg غير وافيين ، ولا يخلوان من أغلاط ، فقد وجدت نفسى مضطرا إلى الاعتماد ــ قدر المستطاع ــ على هذا المخطوط القديم الوافى فى محتوياته ، كى أقدم نسخة دقيقة تعتمد على الشرح السابق ذكره .

ويتكون المخطوط من ١٣٤ ورقة مكتوبة من وجهيها . ويحتوى الوجه الأول والثانى للمخطوط على ١٩ سطرا ، أما الباقى فيتكون من ١٨ سطرا فقط . وعلى ذيل المخطوط الأصلى كتب بين قوسين (   ) بخط يدل على أنه لكاتب أوروبى من القرن الثامن عشر (قد يكون هو كاسيرس) وبأرقام إفرنجية ، تعداد للصفحات يغاير الرقم الصحيح . وقد نتج الخطأ من أن عدد الصفحات فى هذا التعداد ــ وهو ١٣٩ ــ قد دخلت فيه أربع صفحات كانت فى مقدمة المخطوط ، ثم سقطت منه الصحيفة رقم ٣١ فلم تلاحظ عند العد . ولم يلاحظ ديرنبورج ذلك ، فنقل الرقم غير الصحيح فى فهرسه . أما انثناء الفرخ فلا يظهر فى الصورة الشمسية لعدم وجود أرقام بكل وجه . ولكن الظاهر أن الأفرخ كانت مطوية خماسيا ، كما هو الحال فى كتب الشرق العربى . وعلاقة الورقة ١٠٨ ب (التى هى فى الواقع ١٠٣ ب . انظر ص ١٧٣ س ١٤) بالقصيدة ١٨ ، التى تقع فى الكراسة السابعة، تدل على ذلك . لأن هذه القصيدة تقع فى الورقة ٦٨ (التى هى فى الحقيقة ٦٣) ، أى فى الكراسة الخماسية السابعة ، فى حين أنها تصبح فى الكراسة الثامنة إذا كان الطى رباعيا ، وفى السادسة إذا كان الطى سداسيا[1] . وإذا كان مقياس الصورة الشمسية يطابق الأصل ، كان طول الورقة ٢٣٣ مم وعرضها ١٦٢ مم .

ولا يمكن معرفة مادة الورق من الصورة الشمسية ، ولكن من الجائز جدا أن يكون من ورق الخرق (الكُهْنَة) . أما الكتابة ، فقد أصابها ضرر كبير بسبب آثار الحريق ، الذى أدى إلى إخفاء معالم المثلث الأعلى للناحية الخارجية بكل ورقة ، وكذلك الكتابة حتى السطر الرابع من الداخل . ثم إن الماء الذى استعمل فى إخماد النار قد جعل الخط الملاصق للجزء المحروق غير مقروء إلا بصعوبة كبيرة . كما أنه أتلف بعض المواضع على السطر الأخير من الجزء الأسفل . أما العنوان فقد حفظ من التلف بسبب وجود أوراق فوقه أو جلدة قديمة له . أما الصفحات الست الأخيرة للكراسة ١٤ فكانت فريسة اللهب . وبذلك ضاعت نهاية المخطوط ، وضاع معها إمضاء الكاتب وتاريخ الكتابة .

ويبدأ المخطوط من الصفحة ٥ ب (التى هى فى الحقيقة ١ ب) . وقد وزعت الكتابة على مساحة الصفحة بطريقة تجعل البيت الواحد من الشعر المكتوب بخط كبير يحتل عرض الصفحة كلها (١٣٠ مم) فى مجموعات ثنائية غالبا أو أكثر ، بينما يحتل الشرح المرافق للنص مساحة أصغر عرضها ١١٠ مم بخط أصغر . ونهايات السطور فى الشعر وفى الشرح ، منسقة تنسيقا دقيقا ، مما أدى إلى تطويل القافية فى الأبيات القصيرة ، حتى تتساوى مع السطور الأخرى ، فى حين أن الكاتب لم يعن بالفصل بين الشطرتين فى الأبيات .

---

(١) الكلام هنا غير مفهوم لى . فالسطر ١٤ من صحيفة ١٧٣ الذى يشير إليه فى الطبعة الأوروبية ، والذى يقع فى ص ١٠٨ فى الأصل ، هو نهاية الحديث عن منافرة عامر وعلقمة . وقد كان الطبيعى أن يلى ذلك القصيدة ١٨ (التى تقع فى ص ٦٨ فى الأصل) ، لأنها فى تعيير عامر على علقمة ، فالكلام السابق مقدمة لها . ولست أعرف وجه استدلاله بهذه الصلة على أن الورق مطوى طيا خماسيا .

أما الملاحظات التمهيدية لكل قصيدة فقد كتبت بنفس الخط الصغير . والخط الذى كتب به المخطوط هو خط النسخ العربى القديم جدا . وهو يدل على يد متمكنة مبدعة . ولكن شيئا من عدم العناية يظهر قرب نهاية المخطوط ، نتيجة الملل أو التعب . وكذلك يظهر عدم العناية فى الخط الذى كتب به العنوان ، وهو يحمل طابع العصور القديمة جدا ، كما يبدو من ملاحظة النون فى لفظ (صنعة) ، مما جعل خبيرا مثل جروهمان Grohmann يحدد تاريخ المخطوط بالقرن الرابع على الأكثر ، ويفضل وضعه فى القرن الثالث الهجرى . كما أن المخطوط الشعرى والمقدمة والتفسير كلها مشكلة تشكيلا تاما حسب المتفق عليه فى العصور الأولى (فتستعمل مثلا العلامة ⌒ بدلا من ، ى بدلا من) ، وهنا أيضا دليل على ما لوحظ من أن التشكيل يعطى عناية أقل من النص ذاته ، وهذا ظاهر فى التفسير ، حيث يوضع السكون بدلا من حركة الإعراب . كما يلاحظ وضع التشديد بدلا من قاعدة الوميير (؟ Laumir regeln فتطول غالبا بالميم[1] . وتظهر دقة الكاتب فى أنه يترك الكلمات أو الجمل غير المفهومة لديه بدون تشكيل . ومع هذا فلا يجب أن يظن أن التشكيل غير قابل للطعن فى أغلب الأحيان . ويعرض لنا الشك أيضا حينما يتناول التحريف الحروف المتقاربة فى الرسم ، كالتحريف بين الضاد والظاء . وكل هذا دليل قاطع على وجود أصل قديم ، حينما كان رسم الضاد والظاء متقاربان ، فكانا يرسمان هكذا b ، b ، إلى أمثال هذا التحريف . ثم إنه من العسير جدا التمييز فى الحالات الفردية بين الدال والراء والواو .

وعنوان المخطوط موزع كالآتى :

شعرُ فيه شِعرُ الأعشَى و (هو ميمون)
بن قيس بن جَندَل
من صَنْعَةِ أبى العبَّاسِ أحمدَ بن يَحْيَى
المَنْبُوزِ بثعلَبٍ رحمَه اللهُ
وهو لعلى بن زيد بن محمد بن يعيش الأسطوانى (؟)
وفقه اللهُ وأرشدهُ

ثم . . . .

ثم أصير من بعده رحمه الله لحفيده على بن جعفر بن على بن زيد وفقه الله وحرزه بالشراء فى العشر الوسط من ذى القعدة عام أحد وعشرين وستمائه .

أما السطر الذى يعود على المالك الثانى فقد كشط أولا ثم محى بعد ذلك .

ويحتوى المجلد على ٧٣ قصيدة بالخط الكبير ، من القصيدة رقم ١ إلى ٤٢ ، ومن ٤٧ إلى ٧٦ ، ثم القصيدة ٧٧ إلى البيت ٢٩ منها . (فى حين أن القصائد من ٤٣ إلى ٤٦ كتبت بالخط الصغير) . والذى يدل على أن العناية لم تكن فى إيجاد مادة دقيقة الشكل موحدة المنظر هو التشابه الذى يبدو فى بعض القصائد بتكرار بعض الأبيات ، كالذى نجده بين القصيدتين (٥١=٦١) ، (٦٠ = ٧٢) . وقد ذكر جامع الأشعار فى مقدمة بعض القصائد أسماء الرواة الذين اعتمد عليهم فى نقل تلك القصائد ، أمثال

(١) لا أعرف ماذا يقصد بقاعدة الوميير Laumirregeln .

أبى عمرو بن العلاء فى القصائد ٦ ، ١١ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٥٧ ، ٦٥ ، ٦٦ ، وأبى عبيدة فى القصائد ١ ، ٢٩ ، ٣٤ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، وأبى عمرو الشيبانى فى القصيدة ٥٦ . أما فى القصيدة ٢٩ فقد أشار فيها إلى اسم راويتين ، وهما أبو عبيدة وأبو عمرو بن العلاء . وهذه الملاحظات مكتوبة بالخط الكبير ، ماعدا الملاحظة المرافقة للقصيدة ٥٥ . أما رواة القصائد الأخرى فلم يشر إليهم جامع الديوان .

والمقدمات التمهيدية والشروح التى ترافق النص الشعرى لقصائد ميمون وافية فى البداية ، وتكثر تدريجياً بدرجة كبيرة . ولكنها تأخذ فى النقصان عند النهاية ، فلا نجد سوى تفسير لبعض المفردات . وكثيراً ماتصادف معلومات تاريخية وافية تبعث جدتها على الدهشة ، مثل أسطورة طسم وجديس ، ومنافرة عامر وعلقمة ، ونبأ الحرب بين هرا كليوس Heraklios وكسرى أبرويز ، وواقعة ذى قار ، ونحو ذلك . ولا شك أن هذا المخطوط كان يمكن أن يكون كاملا فى نوعه لولا كثرة مافيه من الفجوات . أما عن تشعب معلومات الجامع وسعة اطلاعه فتظهر فى فهرس الرواة المرافق للمخطوط .

ثم إن الشرح لايهتم — كما هو الحال فى معظم شروح الدواوين — بالمفردات والإعراب فقط ، بل يتعداها إلى معلومات فياضة واسعة نادرة . فكثيراً مايتمثل فى شرحه بأبيات من شعراء كثيرين فيهم من لانعرفه . بل لقد يذكر فى نص الديوان الشعرى رجزاً للأعشى فى بعض الأحيان .

وقد ذكر فى عنوان المخطوط أن أشعار ميمون الأعشى من صنعة ثعلب ، فتوهم كاسيرس وديرنبورج أن التفسير من صنع ثعلب أيضاً . ولقد ظننت أنا هذا فى بادىء الأمر ، مما أدى إلى الخطأ فيما ذكرت فى الغلاف الداخلى للكتاب فى الصحيفة رقم ١ . ولكنى لم أكد أتقدم فى عملى بالديوان حتى تبينت أن الشرح لم يكن يرافق النص الشعرى لثعلب . والأسباب التى دفعتنى إلى هذا الرأى جلية إذا درست الملاحظات بدقة . وسأجملها فيما يلى :

١ — كثيراً مايتناول التفسير البيت بقراءة مخالفة لنص ثعلب الشعرى ، فمثلا :

القصيدة (١) ذكر فيها البيت (٣٣) هكذا (آلت طليحا) بينما هى فى التفسير (آضت طليحا) .

» (١٢) نجد فى البيت (٢٠) كلمة (وتَبَطُّنْ) .
» (١٦) » » (٤٢) (بأسدخفية وصماد)
ويدل التفسير فى الموضعين على أنه يتبع نصاً آخر غير نص ثعلب[1] .

» (١٧) فى البيت (١) نجد (الظهيرة) بينما يتناول التفسير الكلمة على أنها (الوديقة)
والبيت (١١) » (أجرد) » » » (أحرد)
القصيدة (٢٨) فى البيت (٣٢) » (ديارا) » » » (ديارا)
» » » (٣٢) » (٩) » (عانس) » » » (عابس)
والبيت (٢٩) » (تلاحق) » » » (تواهق)
القصيدة (٣٥) فى البيت (١١) » (مرجا) » » » (مرحلا)

(١) لأنه يقول فى الشرح ١ : ٣٣ (. . . ويروى وتبطن بفتح التاء عن أبى عبيدة) . ويقول فى الموضع الثانى ١٢ : ٢٠ (. . ويروى بأسد خفية وصماد) ، فهو يفترض فى الحالتين أن رواية الشعر فى النص تخالف هاتين الروايتين ، مع أنهما فى الواقع تتفقان معها . وهذا يدل على أن الشرح يتناول نصاً مخالفاً لنص ثعلب .

والقصيدة (٣٦) ، يشير فيها عند شرح البيت (٣١) إلى (تخف ،) مع أن هذه الكلمة لم تذكر في النص الشعري . والخلاف بين النص والشرح على هذا النحو كثير جداً .

٢ — كثيراً ما يسير الشرح في سياق القصائد على نظام مخالف لترتيب نص ثعلب . فنجد في القصيدة (٢٣) مثلا أن تفسير الأبيات يجيء على هذا الترتيب (٢٣ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٨) . ونجد كذلك في القصيدة (٣٥) أن البيت (٢٣) يأتي بعد البيت (٢٤) . وكذلك يختلف ترتيب الشرح في القصيدة (٥٣) في الأبيات (٩ — ١٣) . وفي القصيدة (٣٤) نرى البيت ٤ يشابه ٣ ، مما يدل على أن النص الذي يتناوله الشرح ليس به البيت (٤) [1] . ثم إن قصة المناقرة وضعت في الشرح بين القصيدتين ٣٧ ، ٣٨ مع أنها لا تتصل بهما أدنى اتصال ، وذلك بدلا من جعلها مقدمة للقصيدتين ١٨ ، ١٩ . ومع كل ذلك نرى أنه توجد بعض المطابقة بين التفسير وبين نص ثعلب .

٣ — يلاحظ أن أكثر الرواة وعلماء اللغة الذين ذكروا في التفسير من البصريين ، مع أن المعروف أن ثعلباً علم من أعلام الكوفيين . وحتى إذا فرضنا أن هذا العالم الكبير لا يتعصب لمذهبه ، فيذكر أسماء رجال لهم منزلتهم في البصرة ، مثل أبي عمرو ابن العلاء والأصمعي وأبي عبيدة ، تلك الأسماء التي ذكرت مراراً في التفسير ، فإنه ليس من المعقول أن يهمل الإشارة إلى أعلام الكوفة أمثال الفرّاء والكسائي إهمالا كاملا . هذا وليس من السائغ ولا المقبول أن يذكر رئيس المذهب المخالف لمذهبه بمثل هذه الكثرة ، خصوصاً وأن هذا الرئيس (وهو ابن دُرَيْد) يصغره بعشرين عاماً . مع أن اسم ثعلب لم يظهر في التفسير كله إلا ثلاث مرات فقط (ص ١٢٩ س ٥ ، ١٦٣ : ٢ ، ١٨٨ : ١) وقد ذكر في هذه المواضع ذكراً عابراً . وفي مقابل ذلك نجد أن الكتاب الوحيد الذي ذكر فيه ثعلب من كتب البصريين هو كتاب المُثَنّ للّيث .

على أننا إذا نفينا عن ثعلب أي صلة بالتفسير — على ضوء ما قدمناه من قرائن — فستظل أمامنا مهمة البحث عن صاحب هذا التفسير . وليس يسعنا إلا أن نذكر آسفين عجزنا عن حل هذه المشكلة ، لأنه لم يذكر أي اسم مع العنوان ، كما أن نهاية الكتاب قد فقدت . ولكن من الجائز أن يكون صاحبه أحد اللغويين الأندلسيين الذين ارتقوا بعلم اللغة في الغرب عند أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع (مدارس فلوجل اللغوية ص ٢٥٦ وما بعدها Flugel, Gramm, Schulen) . وربما كان له يد في المخطوط الإسكوريالي . فالتأليف بين نص ديوان ثعلب وبين التفسير المبني على رواية البصريين يلائم الاتجاه الأسباني ، الذي كان يميل إلى جمع المعلومات وتهذيبها . هذا — على ما أرى — هو كل ما يمكن معرفته عن شخصية المفسر . أما عدم موافقة الشرح لنص ثعلب ، والخلاف الذي نجده بينهما في بعض المواضع ، فهذا ما لا نعلمه . وعلى العموم ، فإن من المرجح جداً أن يكون هناك نص آخر يسير مع التفسير ويلائمه أكثر مما يلائمه نص ثعلب . وقد يبدو لنا أن نتساءل بعد ذلك إن كان من الجائز اعتبار الخط دليلا على التفرقة بين التفسير والنص ، فنعتبر الخط الكبير لثعلب ، والخط الصغير للمفسر . ولكن هذا الفرض لا يلبث أن يضعف حين نلاحظ أن المقدمات مكتوبة بالخط الكبير ، ومعنى ذلك أنها ينبغي أن تكون لثعلب ، وهو ما لا يجوز ، لأن الأسماء التي ذكرت للاستشهاد بها ليست من مذهب ثعلب كما أسلفنا . أما عن النص الشعري فهو لثعلب لا شك في ذلك . وكل ما عداه فهو من عمل الشارح (عند ذكر الشعر سأرمز له بحرف E — وهذا فيما عدا الخط الصغير — أما الباقي فسأرمز له بحرف E^k)

---

(١) يقول في شرح البيت (٣) في الطبعة الأوربية (ورُوي آخر : وأرى النواقي لا يواصلن امرأً فقد الشباب وقد يصلن الأمردا) مع أن هذا هو البيت (٤) في نص ثعلب وهذا يدل على أن البيت الرابع غير موجود في النص الذي يتناوله الشرح .

مخطوط دار الكتب المصرية فى القاهرة (فهرست ٤ / ٢٤٠) : وقد أمكننا استعماله من نسختين قام بنقلهما مصريون ، الأولى منهما فى مكتبة جامعة ستراسبورج تحت الرمز S P 2 ، والثانية فى ساخو . وقد وضعت الأولى تحت تصرفى . ولست أرى داعيا للإطالة فى شرح هذا المخطوط ، فالفهرس مطبوع وفى متناول اليد . على أن الخط لا يكاد يتميز لقدمه . ويحتوى هذا المخطوط على مجموعة من ١٥ قصيدة لرواة غير معروفين . وترتيبها كالآتى حسب أرقامها فى كتابى هذا : ٦ ، ١٥ ، ٥٥ ، ١٢ ، ٧٨ ، ١٧ ، ٤٣ ، ٤١ ، ٧٩ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٧٧ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ . أما ترتيب الأبيات فى القصائد فيمكن معرفته من الملاحظات المدونة فى ملحقات الديوان . أما القراءة فتتفق غالبا مع ما ورد لأبى عبيدة ، ولكنها تخالفه فى بعض الأحيان . ولذلك كان من الصعب البت برأى قاطع فى شخصية الكاتب . والنص غير مضبوط بالشكل . أما مقدمات القصائد فتقتصر على « وقال أيضا » ، كما لا يوجد به شرح أو ملاحظات قصيرة . وسأرمز لهذا المخطوط بحرف C بينما أرمز بـ C^a لمخطوط ستراسبورج ، وبـ C^b لمخطوط ساخو.

مخطوط جامعة ليدن (Gr,2023) : لا يختلف هذا المخطوط عن مخطوط القاهرة إلا فى بعض الأخطاء الناتجة عن النقل وقد نقلت عن الأصل سنة ١٢٩٦ بالمدينة . ولم يذكر شىء آخر عن الأصل الذى نقلت عنه . ومحتوياته هى نفس محتويات مخطوط القاهرة . وسأرمز لهذا المخطوط بالحرف L

مخطوط مكتبة باريس (Suppl.Ar2168) وقد استعنت به فى مخطوط ساخو وتوربيك . وتجىء التعليقات فى هذا المخطوط فى نهاية بعض القصائد . وقد طبعتها فى أول ملحقات هذا الكتاب . وعلى العموم ينطبق هذا المخطوط على مخطوطى القاهرة وليدن . وسأرمز له بالحرف P . وتكون مخطوطات القاهرة وليدن وباريس تلك المجموعة التى أسميها بالديوان الصغير لتشابه محتوياتها . ولما كان جامع هذه القصائد الخمسة عشر لم يذكر ، نرى أنفسنا مضطرين إلى الترجيح فيما يتعلق بشخصيته . ولقد ذكر بن النديم صاحب الفهرست أن جامعى أشعار الأعشى ميمون هم ثعلب (ص ٧٤ ، ١٥٨) ، وأبو بكر بن الأنبارى (ص ٧٥) ، والسكرى (ص ٧٨) ، وأبو عمرو الشيبانى (ص ١٥٨) ، والأصمعى (١٥٨) ، وابن السكيت (ص ١٥٨) ، والطوسى (ص ١٥٨) . وذكر العينى [1] (ج ٢ ص ٢٩٣ س ١٤) أبا القاسم الآمدى ، وأشار ابن خير [2] إلى ابن دريد (ط . كودرا ص ٣٩١) . وبين هذه المجموعة من الأسماء لا نجد إلا اسما واحدا يمكننا اعتباره إذا فكرنا فى جامع الديوان الصغير ، وذلك هو الأصمعى ، الذى اشتهر بأمانته فى نقل الأشعار القديمة . ولقد أشار ديروف Dyroff فى كتابه عن تاريخ نقل ديوان زهير ص ١٣ إلى أن من بين الـ ١٨ قصيدة الموجودة فى شرح الأعلم [3] يمكنه التصريح بأن الـ ١٦ قصيدة الأولى فقط هى الصحيحة ، بينما تحتوى مجموعة ثعلب لديوان زهير على ٤٢ قصيدة . لذلك يمكننا أن نظن أن الأصمعى هو جامع الديوان الصغير لشعر الأعشى غير أن القصيدة ٨٢ المشكوك فى صحتها لا يصح أن تلقى تبعتها على عاتق الأصمعى ، لأنها مذكورة فى ذيل المخطوط ، ومن الجائز أن يكون شخص آخر قد أضافها فيما بعد . وتضم هذه المجموعة كذلك فيما تضم القصيدة ١٥ ، وهى تشتمل على بعض الأبيات التى تدل على تبعية قرشية (الأبيات ٣٤ — ٣٩) ، وهذا دليل على أن القصيدة بحالتها الراهنة قديمة جداً ، وعلى أن جامع الديوان الصغير قد وجدها على هذه الحالة فنقلها بأمانة . غير أن أحوال جاهلية العرب ليست واضحة كل الوضوح

---

(١) هو بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد العينى (٧٦٢ — ٨٥٥ هـ) كان مؤرخا ومحدثا . وأصله من حلب ، ومولده فى عينتاب ، وإليها نسبته . تنقل بين حلب ومصر ودمشق والقدس . وتوفى فى القاهرة . وأشهر كتبه (عمدة القارى فى شرح البخارى) طبع فى الآستانة سنة ١٣٠٨ فى ١١ جزء .

(٢) هو محمد بن خير بن عمر من علماء القرن السادس فى الأندلس (٥٠٢ — ٥٧٥ هـ) . كان مقرئا نحويا لغويا أديبا . وكتابه الذى يشير إليه جابر هو فهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنفة فى ضروب العلم وأنواع المعارف . طبع ضمن المكتبة الأندلسية فى مدريد .

(٣) هو الأعلم الشنتمرى من علماء اللغة الأندلسيين فى القرن الخامس .

الآن . فإذا صادفتنا أبيات مشكوك فى صحتها ضمن قصيدة مقطوع بصحتها ، كان من المجازفة أن نقطع فيها برأى . والأقرب إلى الصواب عندئذ أن يقتصر عملنا على دراستها . ومع كل ذلك فنحن غير واثقين من أن الأصمعى هو حقيقة جامع الديوان الصغير .

وبعد ، فالأبحاث التى قام بها كرنكوف لم توصله إلى مجموعات أخرى لشعر الأعشى ميمون . وعلى ذلك فالمخطوطات الأربع التى ذكرتها هى أم كتابى هذا .

غير أن المخطوطات الثلاثة (ثعلب ، E^k ، الديوان الصغير) ليست فى حالة جيدة . فالخط الاسكوريالى فى الأولى قديم تصعب قراءته ، والمخطوطة الثانية لا يفهم منها شىء إلا بمساعدة التفسيرات التى تذكر فى بعض الأحيان ، وأما الثالثة فهى غير مضبوطة بالشكل ، ثم هى مع ذلك لا تحتوى إلا على ½ ما فى النسختين الأخريين . لذلك لم أعتمد فى ½ القصائد إلا على المخطوط الاسكوريالى ، الذى يتخلله تفسير لا يطابق سياق الأبيات فى كثير من الأحيان .

وعلى هذا فإنى أجد أن من المستحيل وضع نص واحد لهذا الكتاب . فالفجوات فى نص ثعلب كثيرة ، والتفسير لا يفيد فى هذه الحالة لأنه لشخص آخر . وقد جعلت الأسبقية لنص الديوان الصغير [1] ، حين تتفق القصائد التى يرويها مع القصائد التى فى نص ثعلب ولكنى قدمت E^k عليه حيث كان يوافق نص ثعلب على أنى اضطررت فى حالات كثيرة جداً إلى مراعاة قصائد أخرى منفردة ذكرت فى أجزاء ومجلدات متباينة ، وكان من الواجب فى هذه الحالة أن تطابق إلى حد ما نص ثعلب . والنصوص المروية مختلفة ومشعبة جداً .

وعلى العموم فنص ثعلب هو الهيكل الأساسى ، فيما عدا الجزء الذى أدخل فيه E^k بعض القصائد التى لم يعرفها (وهى القصائد ٤٣ — ٤٦) [2] ، وفى الجزء الذى انفرد فيه الديوان الصغير برواية قصائد لم تصل إلينا من المخطوط الاسكوريالى [3] .

وسأميز المواضع التى أكملت فى طبع النص العربى بوضعها بين قوسين ( ) إذا كانت قد أخذت من النص التفسيرى ، أما إذا أخذت من مصادر أخرى فسأضعها بين [ ] . وسأرمز بـ < > لما اعتمدت فيه على الظن . وسأشير فى ملاحظاتى بملاحق الديوان إلى المواضع التى أكمل فيها النص من الديوان الصغير ، مبيناً مبلغ تمشية مع نص E . أما الفجوات التى تبق بعد كل ذلك فسأشير إليها بصف من النقط . وقد فضلت أن أفصل النص الشعرى عن تفسير المخطوط الاسكوريالى تيسيراً للقراءة والفهم . ولقد عثرت أثناء تنقيبى فى المخطوطات والمطبوعات المختلفة على أشعار كثيرة للأعشى لم يذكرها ثعلب أو الديوان الصغير لأسباب مختلفة ، فجمعت هذه القصائد فى ملحق خاص كما جرت عليه العادة فى مثل هذه الأحوال . وهذه القصائد لا تنقص فى قيمتها عن النص الشعرى بكثير . على أن كثيراً من الأشعار التى تنسب للأعشى ليست لميمون ، بل هى لشعراء آخرين يشتركون معه فى هذا اللقب ، ولكنهم ينتسبون إلى قبائل أخرى . ولذلك قسمت المقتطفات ، بين مايرجح أنه للأعشى ميمون ، وما يظن أنه لغيره ، وجعلت هذا الملحق بأقسامه المختلفة ذيلا للديوان ، لعله يفيد القارئ . وقد أثبت البحث الدقيق أن بعض القطع المنسوبة للأعشى هى فى الحقيقة من شعر خاله المسيَّب — وقد كان ميمون راويته — فالخلط فى هذه الحالة قريب غير مستبعد . ولذلك جمعت شعر المسيب ، وضممته إلى ذيل الديوان .

وسوف أشرح القصائد التى جاءت فى الديوان شرحاً أوفى فى كتاب آخر مستقل ، أتناول فيه حياة ميمون وصناعته وشعره وقيمته الفنية ، وأوضح فيه طريقة جمع نص ثعلب ، وأضم إلى كل ذلك فهارس للكلمات وللأعلام وغير ذلك .

---

(١) يتكون الديوان الصغير كما أشار سابقاً من نسخ القاهرة وليدن وباريس (C,L,P) .

(٢) وهى — كما ذكر عند كلامه عن مخطوط الاسكوريال — مكتوبة بخط صغير ، يخالف الخط الكبير الذى كتبت به القصائد الأخرى .

(٣) بمقارنة ماجاء فى كلامه عن مخطوط الاسكوريال ومخطوط القاهرة يتبين أن القصائد التى انفرد بها الديوان الصغير هى القصائد ٧٨ الى ٨٢ ، والجزء الأخير من القصيدة ٧٧ ابتداء من البيت ٢٧ الى نهايتها . وقد أشار فى كلامه عن مخطوط الاسكوريال الى أن الصفحات الستة الأخيرة من الكراسة ١٤ كانت فريسة اللهب

الأعشى

حيـــاته وفنه

في أطراف هضبة نجد الجنوبية الشرقية ـ بإزاء مكة ـ واديان كبيران يمتدان من الشمال إلى الجنوب ، يسمى أحدهما وادي (العِرْض) والآخر وادي (قُرّان) ، تجرى فيهما الغدران وتفيض العيون ، فتنتشر السائمة في المراعي المنبسطة ، و يكثر النخيل . ومن هذين الواديين يتكون الإقليم المعروف باليمامة ، يفصله عن الخليج الفارسي أرض البحرين مسيرة عشرة أيام ، ويتصل جنوبه الغربي بأطراف اليمن ، بينما يتصل في غربيه بأطراف الحجاز ، يفصله عن مكة مسيرة أربعة أيام . وكان هذا الإقليم مشهوراً بعذوبة مياهه ، وطيب لحومه ، وخصب مراعيه ، ووفرة حنطته ، وحلاوة تمره . فكان يمتاز عما حوله بحياة أقرب إلى الاستقرار ، فقد نشأت فيه بعض القرى الصغيرة ، وانبثت خلاله بعض الحصون من عمارة شعبي (طَسْم) و (جَدِيس) البائدين [1] ، كالمُشَقَّر ومُعْنِق والثُّرْمُلِيَّة [2] .

في هذا المكان استقرت قبائل بكر — تجاورها بعض بطون من تميم وعبدالقيس — منتشرة فيما بينه وبين البحرين إلى أطراف سواد العراق . وفي قرية من قرى هذا الإقليم تسمى (منفوحة) ، على جانب وادي (العِرْض) ، نشأ شاعرنا ميمون بن قيس بن جندل ، في بطن من بطون (بكر) ، عرفوا بالفصاحة [3] إسمهم بنو قيس بن ثعلبة .

ولم يحفظ لنا التاريخ شيئاً عن نشأة الشاعر الأولى ، وجل ما نعرفه أنه نشأ راوية لخاله المسيَّب بن عَلَس ، وهو شاعر رَبَعِيّ من شعراء ضُبَيْعَة المقلين . ثم تنقطع عنا أخباره بعد ذلك ، فلا نراه إلا شاعراً مشهوراً مرهوب الجانب ، يطوف أنحاء الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها ، مادحاً الملوك والأشراف . أما محاولاته الشعرية المبكرة ، فلم يبق لنا منها إلا بعض أرجاز في الهجاء وفي التحضيض على القتال [4] .

وقد اقترن ذكر الأعشى عند القدماء بشعر الخمر ، فعدوه أشعر شعرائها بين الجاهليين . والواقع أن شعر الخمر لم يحظ بعناية

---

(١) طسم وجديس من قبائل العرب البائدة كعاد وثمود . وقد أوردنا طرفة من أخبارهم في شرح القصيدة (١٣)

(٢) كانوا يسمون هذه البقايا من حصون طسم بتلا (بضمتين ، جمع بتيل على وزن أتيل) . وهو بناء مربع مثل الصومعة ، مستطيل في السماء ، مبني من الطين . وقد رآه المسلمون في القرن الثالث أو الرابع ، وذكر أحدهم أنه أدرك بتيلا منها طوله ٥٠٠ ذراعا . ولعل زرقاء اليمامة قد نظرت جيش تبع من أحدها . ومن هذه البتل بتيل حجر (بفتح فسكون) . وقد كان أهل اليمامة يتحصنون بهذه الأبنية في حروبهم كما ترى ذلك في حروب الردة (فتوح البلدان ص ١٠٠) . وربما سموا هذه الأبنية تصوراً مبالغة في تقديرها ، لأن العرب لم تعرف العمارة والبناء .

(٣) الأغاني ج ٩ ص ١٠٩

(٤) راجع القطع ٤٣ ـ ٤٦ ، ٥٠ الديوان .

ملحوظة من شعراء الجاهلية ، إذا استثنينا نفراً قليلا ، منهم حسان بن ثابت وعَدِيُّ بن زيد وعلقمة بن عَبَدَة . ولست أقصد بذلك أن الجاهليين لم يقولوا شعراً فى الخمر ، ولكنى أريد أن أقول إن شعرهم فى الخمر لم يكن مقصوداً لذاته ، وإنما كانت تذكر الخمر فى مناسبات عابرة ، حين يشبهون رضاب صواحبهم بها ، أو يشبهون ذهولهم عند فراق الصحب والأحباب بذهول شاربها، فيقولون فى ذلك البيت أو البيتين أو الثلاثة . فهى حمراء كدم الذبيح أو كدم الغزال ، وريحها كالمسك ، وهى معتقة مما حمله التجار من هذا المكان أو ذاك من مصانع الخمر فى الشام أو العراق .

كانت نغمة الفخر تشتمل على سائر الشعر الجاهلى ، وتطغى على أغراضه المختلفة ، فتطبعها بطابع حماسى . ولذلك كانوا يذكرون الخمر أكثر ما يذكرونها حين يتمدحون بفتوتهم وبإنفاقهم للمال فى اللذات وبمباهتهم فى إكرام الضيف . وخير ما يصور هذا اللون من شعر الخمر الحماسى أبيات طرفة فى معلقته :

وَلَسْتُ بِحَلَّالِ التِّلَاعِ مَخَافَةً ... وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ ٱلْقَوْمُ أَرْفِدِ

فَإِنْ تَبْغِنِي فِى حَلْقَةِ ٱلْقَوْمِ تَلْقَنِي ... وَإِنْ تَقْتَنِصْنِي فِى ٱلْحَوَانِيتِ تَصْطَدِ

... وَمَا زَالَ تَشْرَابِى ٱلْخُمُورَ وَلَذَّتِى ... وَبَيْعِى وَإِنْفَاقِى طَرِيفِى وَمُتْلَدِى

إِلَى أَنْ تَحَامَتْنِى ٱلْعَشِيرَةُ كُلُّهَا ... وَأُفْرِدْتُ إِفْرَادَ ٱلْبَعِيرِ ٱلْمُعَبَّدِ

... أَلَا أَيُّهَذَا ٱللَّائِمِى أَحْضُرَ ٱلْوَغَى ... وَأَنْ أَشْهَدَ ٱللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِى

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِى ... فَدَعْنِى أُبَادِرْهَا بِمَا مَلَكَتْ يَدِى

وَلَوْلَا ثَلَاثٌ هُنَّ مِنْ حَاجَةِ ٱلْفَتَى ... وَجَدِّكَ لَمْ أَحْفِلْ مَتَى قَامَ عُوَّدِى

فَمِنْهُنَّ سَبْقِى ٱلْعَاذِلَاتِ بِشَرْبَةٍ ... كُمَيْتٍ مَتَى مَا تُعْلَ بِٱلْمَاءِ تُزْبِدِ

وَكَرِّى إِذَا نَادَى ٱلْمُضَافُ مُحَنَّبًا ... كَسِيدِ ٱلْغَضَا نَبَّهْتَهُ ٱلْمُتَوَرِّدِ

وَتَقْصِيرُ يَوْمِ ٱلدَّجْنِ وَٱلدَّجْنُ مُعْجِبٌ ... بِبَهْكَنَةٍ تَحْتَ ٱلطِّرَافِ ٱلْمُعَمَّدِ

مَتَى تَأْتِنِى أُصْبِحْكَ كَأْسًا رَوِيَّةً ... وَإِنْ كُنْتَ عَنْهَا غَانِيًا فَٱغْنَ وَٱزْدَدِ

... كَرِيمٌ يُرَوِّى نَفْسَهُ فِى حَيَاتِهِ ... سَتَعْلَمُ إِنْ مِتْنَا غَدًا أَيُّنَا ٱلصَّدِى

فالصورة التى نتمثلها من الشعر هى صورة رجل يغتصب متعته اغتصاباً من الحياة الفانية ، ويسبق الموت إلى لذته ، ويرى أن حياة الفرسان تقوم على ثلاثة أشياء ، خمر وقتال ونساء . فذكر الخمر هنا مقترن بذكر القتال . والشاعر لم يقصد إلى وصفها ولم يفصل فيه ، ولكنه وضعها فى مكانها من حياة الفتيان ، الذين يؤدون للفتوة حقها فى الحرب وفى السلم .

أما الأعشى فقد جاء شعره فى الخمر مغايراً لسائر الشعر الجاهلى ، تشيع فيه الحياة ، ويشف عن الصلة العاطفية التى تقوم بين الشاعر وبين موضوعه . والواقع أن الأعشى كان مفتوناً بالخمر وبمجالسها ، لا يعدل بها شيئاً ، ولا يستطيع لها فراقاً . حتى لقد يروون فى قدومه على النبى وعدوله عن الإسلام أنه لم يهتم لتحريم الإسلام للزنا والقمار والربا ، ولكنه جزع أشد الجزع حين علم أنه يحرم الخمر ، فعاد من مكة إلى اليمامة ليستنفد ما بقى له منها قبل أن يحرمه منها الدخول فى الدين الجديد . بل إنهم

ليذهبون فى تصوير ولعه بالخمر إلى أبعد من هذا الحد ، فيزعمون أن بعض ولاة اليمامة سأل عن داره فدل عليها ، وسأل عن قبره فأخبر بأنه فى فناء الدار . فقصد إلى هذه الدار فإذا هو رطب . فلما سأل عن علة رطوبته أخبر بأن الفتيان يجتمعون حول القبر فيشربون ، وقد جعلوه بمجلس رجل منهم ، فإذا جاء دوره صبوا فوقه الكأس .

أطال الأعشى فى شعر الخمر وفصل . وافتن فى وصفها ووصف بيوتها وتصوير أثرها فى النفس . وقدم لنا صوراً دقيقة رائعة لمجالسها فى بيئات منوعة متباينة ، بعضها حضرى مترف ، وبعضها ريفى ساذج . واتسمت خمرياته بالسهولة والسلاسة والطلاوة وتدفق العاطفة . وكان موفقاً غاية التوفيق فى اختيار القوالب الشعرية التى تناسب هذا الفن .

وقد أشار القدماء إلى أثر الأعشى فى شعراء الخمر الذين جاءوا بعده كالأخطل وأبى نواس ويطول بنا المقام إذا نحن أحصينا معانيه التى تداولها الشعراء من بعده ، ولكنا لانرى بأساً من الإشارة إلى بعضها على سبيل المثال :

يشبه الأعشى اندفاع الخمر من الإبريق أو الزق باندفاع الدم من عرق مقطوع حين يقول :

فَتَرَى إِبْرِيقَهُمْ مُسْتَرْعِفاً ... بِشَمُولٍ صُفِّقَتْ مِنْ مَاءِ شَنّْ

و وَإِذَا غَاضَتْ رَفَعْنَا زِقَّنَا ... طَلَقَ الْأَوْدَاجِ فِيهَا فَانْسَفَحْ

وقد تأثر الأخطل بهذه الصورة فى قوله :

سُلَافَةٌ حَصَلَتْ مِنْ شَارِفٍ حَلِقٍ ... كَأَنَّمَا فَارَ مِنْهَا أَبْجَلٌ نَعِرُ

و لَمَّا أَتَوْهَا بِمِصْبَاحٍ وَمِبْزَلِهِمْ ... سَارَتْ إِلَيْهِمْ سُؤُورَ الْأَبْجَلِ النَّعِرِ

وتأثر بها أبو نواس فى قوله :

أَنْفَذُوهُنَّ بِطَعْنٍ ... مِثْلِ أَفْوَاهِ الْمَزَادِ

ويتضح أثر الأعشى كذلك بمقارنة الأبيات الآتية :

الأعشى : كَأَنَّ شُعَاعَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِيهَا ... إِذَا مَا فُتَّ عَنْ فِيهَا الْخِتَامَا

الأخطل : لِجَبَّاءِ بِهَا كَأَنَّمَا فِى إِنَائِهِ ... بِهَا الْكَوْكَبُ الْمِرِّيخُ تَصْفُو وَتُزْبِدُ

أبو نواس : كَأَنَّهَا الشَّمْسُ إِذَا صُفِّقَتْ ... مَسْكَنُهَا الْكَبْشُ أَوِ الْحُوتُ

وقد افتن أبو نواس فى هذا المعنى افتناناً واسعاً ، فولد منه صوراً عجيبة ، مثل قوله :

قَالَ ابْغِنِى الْمِصْبَاحَ قُلْتُ لَهُ اتَّئِدْ ... حَسْبِى وَحَسْبُكَ ضَوْؤُهَا مِصْبَاحَا

فَسَكَبْتُ مِنْهَا فِى الزُّجَاجَةِ شَرْبَةً ... كَانَتْ لَهُ حَتَّى الصَّبَاحِ صَبَاحَا

الأعشى : تَحْسَبُ الزِّقَّ لَدَيْهَا مُسْنَدًا ... حَبَشِيًّا نَامَ عَمْدًا فَانْبَطَحْ

الأخطل : أَنَاخُوا فَجَرُّوا شَاصِيَاتٍ كَأَنَّهَا ... رِجَالٌ مِنَ السُّودَانِ لَمْ يَتَسَرْبَلُوا

الأعشى :	مِنَ اللَّاتِي حُمِلْنَ عَلَى الرَّوَايَا ... كَرِيحِ ٱلْمِسْكِ تَسْتَلُّ الزُّكَامَا
و	مِنْ خَمْرِ عَانَةَ قَدْ أَتَى لِخِتَامِهَا ... حَوْلٌ تَسُلُّ غَمَامَةَ ٱلْمَزْكُومِ
الأخطل :	وَإِذَا تَعَاوَرَتِ ٱلْأَكُفُّ زُجَاجَهَا ... نَفَحَتْ فَنَالَ رِيَاحَهَا ٱلْمَزْكُومُ
الأعشى :	تُرِيكَ ٱلْقَذَى مِنْ دُونِهَا وَهْيَ دُونَهُ ... إِذَا ذَاقَهَا مَنْ ذَاقَهَا يَتَمَطَّقُ
الأخطل :	وَلَقَدْ تُبَاكِرُنِي عَلَى لَذَّاتِهَا ... صَهْبَاءُ عَالِيَةُ ٱلْقَذَى خُرْطُومُ
الأعشى :	وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ ... وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا
أبو نواس :	دَعْ عَنْكَ لَوْمِي فَإِنَّ ٱللَّوْمَ إِغْرَاءُ ... وَدَاوِنِي بِالَّتِي كَانَتْ هِيَ ٱلدَّاءُ[1]
الأعشى :	فَقَامَ فَصَبَّ لَنَا قَهْوَةً ... تُسَكِّنُنَا بَعْدَ إِرْعَادِهَا
أبو نواس :	إِذَا ٱرْتَعَشَتْ يُمْنَاهُ بِٱلْكَأْسِ رَقَّصَتْ ... بِهِ سَاعَةً حَتَّى يُسَكِّنَهَا الشُّرْبُ
الأعشى :	إِذَا ٱنْكَبَّ أَزْهَرُ بَيْنَ السُّقَاةِ ... تَرَامَوْا بِهِ غَرَبًا أَوْ نُضَارَا
و	فَٱسْتَوْضَنَ الشَّرْبُ لِلنَّدَا ... مِ وَأَجْرَاهَا عَلَيْنَا ٱلْأَعْجَمِينَ وَٱلْعَرَبُ
الأعشى :	كُمَيْتٌ عَلَيْهَا حُمْرَةٌ فَوْقَ كُمْتَةٍ ... يَكَادُ يُفَرِّي ٱلْمِسْكَ مِنْهَا حَمَامُهَا
أبو نواس :	تَذْهَبُ ٱلْكَفُّ مِنْ تَلَهُّبِهَا ... وَتَحْسِرُ ٱلْعَيْنُ أَنْ تَقَصَّاهَا
	كَأَنَّ نَارًا بِهَا مُحَرَّشَةً ... يَهَابُهَا تَارَةً وَتَغْشَاهَا

والمواضع التى جاء ذكرها فى خمريات الأعشى لاتكاد تخرج فى معظمها عن العراق واليمامة ، مثل (عانة) وهى بلد بين الرَّقَّة وهيت ، و (بابل) وهى قرية صغيرة قرب الكوفة إلى جانب أنقاض العاصمة القديمة المعروفة بهذا الاسم ، و (الحِيرَة) عاصمة المناذرة وقد كانت على ثلاثة أميال من الكوفة على موضع يقال له النجف ، و (دُرْنا) وهى نخيلات لبنى قيس بن ثعلبة — قوم الأعشى — فى اليمامة ، أو هى مدينة دون الحيرة بمراحل كانت بابًا من أبواب فارس . ومع ذلك فقد يذكر أنه شربها (ترقص حوله تُرْكٌ وكَابُل) . ولعله يقصد بالترك والكابل جوارى أو راقصات ممن استجلب من بلاد الترك ، فما أحسبه قد رحل إلى هناك .

وَلَقَدْ شَرِبْتُ ٱلْخَمْرَ تَرْكُضُ حَوْلَنَا تُرْكٌ وَكَابُلْ

وقد يرحل إلى الجنوب فيشربها فى اليمن ، فى قرية ذات كروم تسمى (أُثَافِت) ، يروون أن الأعشى كان له بها معصر خمر .

أُحِبُّ أُثَافِتَ وَقْتَ ٱلْقِطَافِ ... وَوَقْتَ عُصَارَةِ أَعْنَابِهَا

وقد يشربها قرب الأديرة ، أو فى الأديرة نفسها ـ ولعدى بن زيد شعر يذكر فيه أنه شرب فى الدير ـ :

---

(1) وقد تأثر المتنبي بهذا المعنى فنقله التنزل فى قوله :
فنى تغرم الأول من الحظ مهجتى ... بثانية والمتلف الشيء غارمه

وَكَأْسٍ كَعَيْنِ الدِّيكِ بَاكَرْتُ حَدَّهَا بِفِتْيَانِ صِدْقٍ وَالنَّوَاقِيسُ تُضْرَبُ

وقد يشربها عند خمار يهودى من أوانى مختومة :

وَصَهْبَاءَ طَافَ يَهُودِيُّهَا وَأَبْرَزَهَا وَعَلَيْهَا خُتُمْ

والأعشى — كما يبدو فى خمرياته — متلاف لا يبخل على الخمر بشىء . وإليه تنسب هذه الأبيات التى يقول فيها إن الخمر والنساء والإسراف فى فاخر الطعام قد ذهبت بماله :

إِنَّ الْأَحَامِرَةَ الثَّلَاثَةَ أَهْلَكَتْ مَالِى وَكُنْتُ بِهِنَّ قِدْمًا مُولَعًا[1]

الْخَمْرَ وَاللَّحْمَ السَّمِينَ مَعَ الطِّلَى بِالزَّعْفَرَانِ وَلَا أَزَالُ مُرَدَّعَا

وهو شديد الولع بها ، لا يكاد يطيق مفارقتها ، يشربها فى حالى فقره وغناه :

عَلَى كُلِّ أَحْوَالِ الْفَتَى قَدْ شَرِبْتُهَا غَنِيًّا وَصُعْلُوكًا وَمَا إِنْ أَقَاتُهَا

ويشربها فى الحل والترحال ، وقد يدأب على شربها فى الريف ليالى وأياما :

فَقَدْ أَشْرَبُ الرَّاحَ قَدْ تَعْلَمِيـ ـنَ يَوْمَ الْمُقَامِ وَيَوْمَ الظَّعَنْ

وَأَشْرَبُ بِالرِّيفِ حَتَّى يُقَا لَ قَدْ طَالَ بِالرِّيفِ مَا قَدْ دَجَنْ

وهو ينزل على حكم الخمار حين يغالى فى ثمنها :

تَخَيَّرَهَا أَخُو عَانَاتَ شَهْرًا وَرَجَّى أَوْلَهَا عَامًا فَعَامَا

يُؤَمِّلُ أَنْ تَكُونَ لَهُ ثَرَاءً فَأَغْلَقَ دُونَهَا وَعَلَا سِوَامَا

فَأَعْطَيْنَا الْوَفَاءَ بِهَا وَكُنَّا نُهِينُ لِمِثْلِهَا فِينَا السَّوَامَا

ولكن المساومة قد تنتهى إلى المنازعة والشجار :

إِذَا جُمِّتْ بَائِعُهَا حَقَّهُ عَنُفْتُ وَأَغْضَبْتُ تُجَّارَهَا

وقد تنوعت المجالس التى وصفها فى شعره . فهو يشرب الخمر فى بيئات يغمرها الترف حين يجد المال ، فى مجلس قد تناثرت فيه الورود والرياحين ألوانا ، وانبث السقاة فى أزيائهم الأنيقة ، وصدح المغنون والقيان على ألحان الصنج والعود ، وقامت بنات الحان فى ثيابهن الرقيقة التى تشف عن أجسامهن ، وقد ماج الحانوت بالشاربين ، وتمدد بعضهم على أرضه حين غلبه السكر[2] .

وقد يستعيض عن هذه الدور المترفة التى تكلف الشارب باهظ النفقات ، بحوانيت أخرى أقل ترفا حين يعوزه المال . فيصور مجلس الخمر فى خباء كبير تدلت هدبه ، وقد مد الليل من حوله رواقه ، ووقف فيه خمار غير عربى ، يذود الناس عن دن أسود لا يبذله إلا بعد مساومة طويلة . يبكر إليه الأعشى مع صاحب كريم ، فى هذا السكون الذى لم يمزق حجبه صياح الديكة ، ولم تنغصه عين الحسود ، فيلحان فى طلب هذا الدن العتيق ، ويساومان الخمار فى ثمنه ، ثم ينزلان على حكمه فيما يطلب . ويضىء الرجل الخباء بالسراج لينقد الدراهم ويستوثق منها قبل أن يبذل خمره ، والأعشى وصاحبه يستعجلانه . ولا يزالان

---

(1) شعراء النصرانية ٣٩٨ (2) راجع القصائد ٦ : ٣٢ — ٤٤ ، ٣٦ : ٢٣ — ٤٤ ، ٥٥ : ١ — ١٢ ، ٧٨ : ١٣ — ٢٢

يشربان وقد حبسا مطيهم بباب الخباء ، حتى تنفد خمرهم فينطلقان ناعمين [١] . فإذا لم يجد الأعشى من المال ما يفي بهذا أو ذاك استعاض عن الحانات بالريف ، يقيم فيه دائباً على الخمر ، حتى يطول انتظار المترقبين لعودته [٢] . وقد يستبدل الغناء المترف بالمزامير ، يحمل إليه الساق خمره في زق عند ماء غدير قرب الفرات ، فينيخ الأعشى ورفاقه إبلهم ويتساقونها جالسين [٣] .

ولم يكن حظ الأعشى من النساء بأقل من حظه من الخمر . فابن سلام يقول « وكان من الشعراء من يتألّه في جاهليته ، ويتعفف في شعره ، ولا يستهتر بالفواحش ، ولا يتهكم في الهجاء . ومنهم من كان يبغي على نفسه ويتعهر ، ومنهم امرؤ القيس والأعشى »

والواقع أن غزل الأعشى يفيض بالشهوة العارمة . ومن أظهر الأمثلة على ذلك أبياته التي يصف فيها صاحبته (قُتَيْلَةَ) ، فيدقق في وصف جسمها ، ويتتبع بعينه الجائعة ما أخفت ملابسها من مواضع الفتنة المثيرة ، ويتصورها حين تقعد وحين تقوم ، وحين تقبل وحين تدبر ، وحين تلوح بيدها في دلال ، وحين تتفضل في ثياب النوم ، وحين تنبطح على الأرض [٤] .

لم تكن المرأة في نظر الأعشى إلا وسيلة من وسائل اللهو . فهو لا يحب بالمعنى الذي نعرفه ويعرفه الشعراء ، ولكنه يحب في المرأة نفسه وشهوته . يقول في (هُرَيْرَةَ) :

نِعْمَ الضَّجِيعُ غَدَاةَ الدَّجْنِ يَصْرَعُهَا ... لِلَذَّةِ الْمَرْءِ لَا جَافٍ وَلَا تَفِلُ

ويقول في (قُتَيْلَةَ) :

يَشْفِي غَلِيلَ النَّفْسِ لَاهٍ بِهَا ... حَوْرَاءُ تُصْبِي نَظَرَ النَّاظِرِ

وفراق المرأة لا يشجيه ولا يؤثر فيه إلى أبعد من تأثر العابث يفقد وسيلة من وسائل عبثه ، ينصرف عنها إلى وسيلة أخرى بعد قليل .

أَجِدَّكَ لَمْ تَغْتَمِضْ لَيْلَةً ... فَتَرْقُدَهَا مَعَ رُقَّادِهَا
تَذَكَّرُ (تَيَّا) وَأَنَّى بِهَا ... وَقَدْ أَخْلَفَتْ بَعْضَ مِيعَادِهَا
فَبِيتِي تَمِيلُ بِصُلْبِ الْفُؤَادِ ... وَصُولِ حِبَالٍ وَكَنَّادِهَا
وَمِثْلِكِ مُعْجَبَةٍ بِالشَّبَا ... بِ صَاكَ الْعَبِيرُ بِأَجْسَادِهَا
تَسَدَّيْتُهَا عَادَنِي ظُلْمَةٌ ... وَغَفْلَةَ عَيْنٍ وَإِيقَادِهَا
فَبِتُّ الْخَلِيفَةَ مِنْ زَوْجِهَا ... وَسَيِّدَ (تَيَّا) وَمُسْتَادَهَا [٥]

كان الأعشى مفطوراً على خلق الفتيان كما صوره طرفة ، لا يفرق في اللذة بين محرم ومباح . فهي عنده مبذولة لمن يستطيع أن ينالها ، وليس ينالها إلا الفاتك الجريء .

وَأَقْرَرْتُ عَيْنِي مِنَ الْغَانِيَا ... تِ إِمَّا نِكَاحًا وَإِمَّا أُزَنْ
مِنْ كُلِّ بَيْضَاءَ مَمْكُورَةٍ ... لَهَا بَشَرٌ نَاصِعٌ كَاللَّبَنْ

---

(١) راجع القصيدتين ٨ : ٢٨ — ٢٤ ، ٣٣ : ١٩ — ٢٤ . (٢) القصيدة ٢ : ١٤ — ١٥ .
(٣) راجع القصيدة ١٠ : ١٠ — ١٨ . (٤) القصيدة ٧٧ : ١ — ٢٤ .
(٥) راجع كذلك القصيدة ٣ : ١ — ٣ ، ٢٨ : ١ — ٢ وغيرهما كثير في الديوان .

من أجل ذلك كان يطيب للأعشى أن يصور صاحبته متزوجة ، وأن يظهر نفسه بمظهر الفائز الذي استطاع أن يقهر صاحبها ويغلبه عليها :

وَمُصَابِ غَادِيَةٍ كَأَنَّ تِجَارَهَا ... نَشَرَتْ عَلَيْهِ بُرُودَهَا وَرِحَالَهَا

قَدْ بِتُّ رَائِدَهَا ، وَشَاةِ مُحَاذِرٍ ... حَذَرًا يُقِلُّ بِعَيْنِهِ أَغْفَالَهَا

فَظَلِلْتُ أَرْعَاهَا وَظَلَّ يَحُوطُهَا ... حَتَّى دَنَوْتُ إِذَا الظَّلَامُ دَنَا لَهَا

فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَيْنِهِ عَنْ شَاتِهِ ... فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطِحَالَهَا[1]

ويصورها فى أحيان أخرى ممنّعة محجّبة ، لا يخلص إليها إلا بعد جهاد عنيف .

وَلَقَدْ أَنَالُ الْوَصْلَ فِي مُتَمَنِّعٍ ... صَعْبٍ بَنَاهُ الْأَوَّلُونَ مُصَادِ

مَنَعَتْ قِيَاسُ الْمَاسِخِيَّةِ رَأْسَهُ ... بِسِهَامِ يَثْرِبَ أَوْ سِهَامِ بِلَادِ[2]

فالحب عنده لون من ألوان المغامرة والصراع ، وطموح للظفر والامتلاك . وليس يحسن برجل أن يذهب قلبه وراء المرأة حسرات ، ولا يجمل بالفتى أن يخرج قياد نفسه من يده ، ليلقيه بين أيدى النساء يعبثن به كيفما أردن . بل عليه أن يكون فى كل حال سيد نفسه ومالك أمره .

وكثير من غزل الأعشى يصور نساء غير عربيات ، بعضهن من القيان كهُرَيْرة وقُتَيْلة وجُبَيْرة ، قيان بِشر بن عمرو بن مَرْثَد ، وكان قد قدم بهن إلى اليمامة حين هرب من النعمان . و بعضهن من البغايا اللاتى يبعن أعراضهن ، وقد صورهن فى مثل قوله :

تُنَازِعُنِي إِذْ خَلَتْ بُرْدَهَا ... مُفَضَّلَةً غَيْرُ جِلْبَابِهَا

فَلَمَّا الْتَقَيْنَا عَلَى بَابِهَا ... وَمَدَّتْ إِلَيَّ بِأَسْبَابِهَا

بَذَلْنَا لَهَا حُكْمَهَا عِنْدَنَا ... وَجَادَتْ بِحُكْمِي لِأَلْهُو بِهَا[3]

وكان الأعشى مع كل ذلك سخيا كريما لا يبخل على صحبه ورفاقه من الفتيان ، يجتمعون إليه فى منزله فيأكلون ويشربون الخمر[4] . وقد بلغ من وفائهم له بعد موته أنهم كانوا ينادمون قبره فيسقونه الخمر ميتا كما كان يسقيهم إياها حيا .[5]

* * *

كانت كل هذه الخصال خليقة أن تجعل الأعشى فى حاجة دائمة إلى المال . فراح يطوف بلاد العرب بين الشام والعراق واليمن ، قاصدا الملوك والأشراف ، يمدحهم وينال عطاءهم . ولم يكن يجتمع إليه قدر من المال حتى يستنزفه فى لذته ولذة من يجتمع إليه من صحبه ورفاقه ، ثم يعاود الرحلة فى سبيل الحصول على مال جديد ، ينفقه فى لذة جديدة . وأسرف الأعشى فى الترحال ،

---

(١) راجع ١٢ : ١١ ــ ١٩ ، ٦ : ٣٥ (٢) راجع كذلك القصيدة ٣٩ : ١٢ ــ ٣١

(٣) القصيدة ٣٢ : ٥ ــ ٩ ، وراجع كذلك البيت ٢٢ من القصيدة ٧٨ ، حيث يشير الشاعر إلى انطلاقه مع صحبه فى المساء إلى بنات الليل ، يمتعون أنفسهم ، ويذيبون همومهم فى هذه البيوت التى لا يعرف الهم إليها سبيلا .

(٤) الأغانى ٩ : ١١٦ (٥) الأغانى ٩ : ١٢٧

وابتذل نفسه فى السؤال ، حتى اعتبره مؤرخو الأدب أول من سأل بشعره [1] . وهو يصرح بذلك فى بعض مدائحه ، كقوله لقيس بن معد يكرب :

وَنُبِّئْتُ قَيْسًا وَلَمْ أَبْلُهُ ... كَمَا زَعَمُوا خَيْرَ أَهْلِ الْيَمَنْ

فَجِئْتُكَ مُرْتَادَ مَا خَبَّرُوا ... وَلَوْلَا الَّذِى خَبَّرُوا لَمْ تَرَنْ

فَلَا تَحْرِمَنِّى نَدَاكَ الْجَزِيلَ ... فَإِنِّى امْرُؤٌ قَبْلَكُمْ لَمْ أُهَنْ

والأعشى نفسه يعترف بحرصه على جمع المال ، ولا يجد فيه غضاضة ، فهو يقول :

وَقَدْ طُفْتُ لِلْمَالِ آفَاقَهُ ... عُمَانَ فَحِمْصَ فَأُورِيشَلِمْ

أَتَيْتُ النَّجَاشِىَّ فِى أَرْضِهِ ... وَأَرْضَ النَّبِيطِ وَأَرْضَ الْعَجَمْ

فَنَجْرَانَ فَالسَّرْوَ مِنْ حِمْيَرٍ ... فَأَىَّ مَرَامٍ لَهُ لَمْ أَرُمْ [2]

رحل الأعشى إلى آل جفنة ملوك الشام ، وإلى المناذرة ملوك العراق ، وإلى قيس بن معد يكرب ، وسلامة ذى فائش فى اليمن ، وإلى السيد والعاقب فى نجران . ومدح هوذة بن على الحنفى فى اليمامة . [3] فأفاضوا عليه من جزيل المطايا ، بين الإبل والجياد والإماء والقيان وأكسية الخز والديباج والكتان وصحاف الفضة . [4] وقد أتاحت له هذه النعم الجزيلة حياة مترفة فى بعض الأحيان ، ووصلته هذه الرحلات بأسباب الحضارة ، ورفعته فوق مستوى البداوة الخشنة التى تبدو فى شعر معظم الجاهليين . وبدا أثر ذلك فى غزله وفى خمرياته . فهو يصف بعض صواحبه فيقول :

تُرِى الْخَزَّ تَلْبَسُهُ ظَاهِرًا ... وَتُبْطِنُ مِنْ دُونِ ذَاكَ الْحَرِيرَا

إِذَا قُلِّدَتْ مِعْصَمًا يَارَقَيْـ ... ـنِ فُصِّلَ بِالدُّرِّ فَصْلًا نَضِيرَا

وَحَلْىَ زَبَرْجَدَةٍ فَوْقَهُ ... وَيَاقُوتَةً خِلْتَ شَيْئًا نَكِيرَا

ويقول فى أخرى : وَقَدْ أَرَاهَا وَسْطَ أَتْرَابِهَا ... فِى الْحَىِّ ذِى الْبَهْجَةِ وَالسَّامِرِ

كَدُمْيَةٍ صُوِّرَ مِحْرَابُهَا ... بِمُذْهَبٍ فِى مَرْمَرٍ مَائِرِ

ويقول : لَهَا كَبِدٌ مَلْسَاءُ ذَاتُ أَسِرَّةٍ ... وَنَحْرٌ كَفَاثُورِ الصَّرِيفِ الْمُمَثَّلِ

ويشبه جراحات القلب بصدع الزجاجة الذى لا يلتئم حين يقول :

فَبَانَتْ وَفِى الصَّدْرِ صَدْعٌ لَهَا ... كَصَدْعِ الزُّجَاجَةِ لَا يَلْتَئِمْ

وكل هذا لا يتأتى إلا لمن ألم بقسط من الحضارة ، واتصل ببيئات مترفة منعمة . وخمرياته التى أشرنا إلى بعضها منذ قليل تصور ذلك أوضح تصوير .

وقد أتاحت له أسفاره الكثيرة ، وتنقله بين هذه البيئات ، ثقافة تاريخية قل أن يجاريه فيها شاعر جاهلى ، كالذى نراه فى

---

(1) ابن سلام ٣٠ ، العمدة ١ : ٦٤ (2) راجع كذلك القصيدة ١٧ : ٥ — ٦

(3) راجع فهارس المدح فى آخر الديوان . (4) راجع القصائد ١ : ٤٦ — ٤٩ ، ٢ : ٤٢ ، ٧ : ٨ — ٩ ، ٤٤ : ٢٧ — ٤٠

ثنايا شعره من أخبار طَسْم وجَدِيس ، وعاد وثمود ، وأخبار ملوك الروم والفرس واليمن .[1] وبدت آثار النصرانية واضحة فى بعض صوره ، من أثر اتصاله بالعباديين فى الحيرة وآل جَفْنة فى الشام ، حتى زعم بعض الذين ترجموا له من القدماء والمحدثين أنه كان نصرانيا ، وأن العباديين هم الذين لقنوه هذا الدين ، حين كان يفد عليهم لشراء الخمر .[2]

والواقع أن كل ما نجده من آثار النصرانية فى أخبار الأعشى ، هو أن راويته كان نصرانيا اسمه يحيى بن متى ، وأنه كان يزور بعض أشراف النصارى وسادتهم ، مثل بنى الحارث بن كعب فى نجران ، فيمدحهم وينال عطاءهم ، ويقيم عندهم يسقونه الخمر ويسمعونه الغناء الرومى .[3] ثم لا نجد بعد هذا فى شعره إلا بعض الصور والتشبيهات ، مثل تشبيهه قيس بن معد يكرب بالرهبان فى عدله وتقواه ، ومثل حلفه برهبان دير هند ، وإشارته إلى عيد الفصح وإلى طوفان نوح ، ومثل هذا التفكير الذى حمل بعض القدماء على أن يقولوا إنه كان قدريا .[4] ولكن كل ذلك لا ينهض دليلا على نصرانيته ، فهو لا يدل على أكثر من أن الشاعر قد أفاد بعض الثقافة الدينية من أثر تنقله بين البيئات النصرانية فى الجاهلية . ولئن حلف برهبان دير هند ، فلقد حلف فى مواضع أخرى بالكعبة[5] ، ولئن زار بعض أشراف النصارى فلقد رحل إلى النبى حين ظهر الإسلام .[6]

ولكن رحلات الأعشى إلى الملوك والأشراف ، لم تصرفه عما ينبغى للشاعر الجاهلى من المشاركة فى شئون قبيلته ، والإخلاص لقومه وعشيرته ، ولم تغلب على صفته الأصيلة التى جعلت منه شاعر بكر ، بل شاعر ربيعة ، الذى يسجل انتصاراتهم ، ويهاجم أعداءهم ، ويؤرخ وقائعهم ، مشيدا بأبطالهم ، منددا بخصومهم . وكان سبيله فى كل ذلك سبيل العربى الذى ينتصر لأخيه على ابن عمه ، وينتصر لابن العم الأدنى على ابن العم الأعلى ، ثم ينتصر لأهل قبيلته على من دونهم من القبائل والشعوب .

* * *

يغلب على شعر الأعشى — كسائر الشعر الجاهلى — يغلب عليه اللون القصصى الحماسى . وأقصد بذلك أن الشاعر فيه أدنى إلى القصاص الذى يسجل أحداث العصر وقيمه . فشعره يصور عصره بأكثر مما يصور شخصه . وإذا استثنينا مقدمات القصائد ، التى يتحدث فيها الشاعر عن حبه ولهوه ، وجدنا سائر الشعر بعد ذلك فى مواضيع لا تمت إلى حياة الشاعر بسبب ، إلا بمقدار صلة الفرد بالجماعة — وهى صلة قوية فى ذلك الوقت لا شك ، تكاد تفنى شخصية الفرد — بل إن هذه المقدمات نفسها كانت تجرى فى معظم الأحيان على أسلوب مرسوم معروف ، يصور تقاليد العصر الأدبية ، أكثر من تصويره لأسلوب الشاعر وفنه .
ولذلك كان من الصعب استخراج صورة دقيقة للشاعر الجاهلى من شعره . بيد أن صورة العصر وقيمه وأحداثه واضحة كل الوضوح فى هذا الشعر . ومن الصعوبة بمكان أن نتصور حياة الأعشى الخاصة من ديوانه . وكل ما نستطيع أن نبلغه من ذلك ، أنه حدثنا عن ابنة له فى موضعين من شعره ، فصورها حريصة على استبقائه وتجنيبه أهوال الأسفار ، تخشى فى غيبته غوائل الزمن وجفاء الأهل وذوى القربى . وهو يعزيها قائلا : إن الموت يفجأ الناس فى بيوتهم وهم بين أهلهم آمنين ، ولا بد للمسافر أن يعود إن كان فى عمره بقية .[7] ونجد بعد ذلك إشارة إلى فقد بصره فى أواخر أيامه فى قصيدة مدح بها هوذة بن على ،

(١) راجع فهرس الأعلام والقبائل فى الديوان .
(٢) الأغانى ٩ : ١٣ ، شعراء النصرانية ج ٣
(٣) الأغانى ٦ : ٣٠
(٤) راجع القصائد ٥ : ٦٢-٦٤ ، ١٥ : ٤٤ ، ٢٢ : ١٦ ، ١٣ : ٦٩ ، ٢٩ : ٢٨-٢٩ ، ٣٥ : ١-٦
(٥) القصيدة ٦ : ٦٢ ، ١٥ : ٣٠
(٦) القصيدة ١٧
(٧) القصيدتان ٤ : ٥١ — ٥٥ ، ١٣ : ٩-١٣

قصور صاحبته وقد رأته مضعضع القوى مظلم العينين فما لها أمره وكادت تنكره. وهو يجيبها قائلا إن الحوادث قد ذهبت بما تعلمين من شبابي و بصري، ثم يقول في حزن عميق: إذا احتاج الفتى لأن يتلمس طريقه بالعصا، كان أمره إلى قائده يجره حيث يريد، فهو في حيرة من أمره، لا يعرف شيئا مما حوله، يخاف العثار، و يتصور السهل من الطرق وعرا. [1] ويشير إلى ذلك في موضع آخر من قصيدة مدح بها النعمان بن المنذر، حيث يعتذر عن تقصيره في مدحه وزيارته، بأنه أصبح في حاجة إلى الرفيق الذي يعينه على رحلته. [2] وقد لا نعدم في تصوير هذه الفترة المظلمة من شيخوخته مواضع متفرقة من ديوانه.

وقد كان الأعشى — كغيره من شعراء الجاهلية — يجري في نظام القصيدة، وفي إبراز المعاني وصياغة الألفاظ، على أسلوب معروف، وقوالب مألوفة احتذاها العرف، ومضى فيها الخلف على آثار السلف، حتى فقدت كثير من التشبيهات قيمتها الفنية، وأصبحت في استعمالها المجازي وكأنها مستعملة على وجه الحقيقة، وحتى رأينا شاعرا من كبار شعراء العصر كعنترة يبدأ مطولته ببيته المشهور، الذي يقول فيه إن السابقين من الشعراء لم يغادروا شيئا للاحقين.

وأكثر ما يظهر هذا الجمود في الشعر الذي يصفون فيه النوق والرحلة في الصحاري المقفرة. فالشاعر يكرر في هذه القصيدة ما قال في تلك. ولا يكاد يختلف في هذا وذاك عما قال غيره من الشعراء. وصفوها قبل السفر ضخمة قوية قد ضاعف صاحبها عنايته بها، فعلفها وأراحها ومنع عنها الفحول. فإذا كانت الرحلة فهي صبور نشيط في الهاجرة، تصل الليل بالنهار في غير ما كلل. فإذا انتهت الرحلة صوروها هزيلا ضامرة، تشكو الكلال إلى صاحبها، فيعزيها عما لقيت بما ستصيب من عطاء الممدوح. وشبهوها بحُمُر الوحش و بثور الوحش و بالنعامة — وهو قليل — ، وأسرفوا في تفصيل صورة ذاك الحمار أو الثور، مضيفين إليه كل ما يمكن من صور السرعة والإعياء، فالحمار مولع بأتان تنفر منه فيسرع في أثرها؛ وهو غيور عليها، حريص على القرب منها، تضرب وجهه برجليها الخلفيتين فلا ينفك عنها، ولا يزال يلاحقها و يذود عنها الفحول ليستأثر بها. وقد يرد بها الماء، فيفاجئه صائد لا ينجو منه إلا بعد لأي. [3] والثور حذر نفور، يسرع في العدو لأدنى حركة يحس بها، وقد يفاجئه المطر، فيلجأ إلى أغصان الشجر يندس تحتها، حتى يطلع النهار بعد ليل شاق طويل، فيفاجئه صائد يقود أكلبا، لا تكاد تبصره حتى تهاجمه. ولا يزال يدافع عن نفسه مستبسلا حتى يتغلب عليها. وأخيرا فالناقة — في جرأتها وفي اقتحامها الصعاب وتغلبها عليها مع سرعتها — تشبه هذا الثور أو ذاك الحمار. [4]

تتكرر هذه الصور بتفاصيلها — و بألفاظها في بعض الأحيان — في كل الشعر الجاهلي، ويتداولها الشعراء، لا يجدون حرجاً في التكرار. ونحن — وإن كنا لا ننكر ما في هذا الشعر من جمال — نقول إن هذا الجمال قد ضاع شطر كبير منه، وأن هذا الفن قد صار إلى جمود لا نعرف له نظيراً في أي فن من الفنون. وقد ألغى هذا الجمود شخصيات الشعراء. فالشاعر إذا وصل

---

(١) القصيدة ١٢ : ٢٤ — ٢٩ (٢) القصيدة ٢٨ : ٣٥ — ٣٦

(٣) راجع الديوان في القصيدتين ١ : ٢٢ — ٣٢ ؛ ١٥ : ٩ — ٢٤ وقارن ذلك بشعر النابغة وزهير وامرئ القيس في الشعراء الستة الجاهليين (ط . أوروبا) ص ٢٣ ، ٧٦ ؛ ١٢٧ ؛ وبشعر لبيد في مطولته .

(٤) راجع قصائد الأعشى ١٣ : ٢٨ — ٤٠ ؛ ٥٢ : ٢٨ — ٤٢ ؛ ٥٥ : ١٦ — ٢٩ . وقارن ذلك بشعر امرئ القيس وزهير في الشعراء الستة ص ١٣٥ ، ٧٩ وقارنه كذلك بشعر لبيد وأبي ذؤيب الهذلي والنابغة الجعدي في جمهرة أشعار العرب (ط . المكتبة التجارية ١٩٢٦) ص ١٠٨ ، ٢١٦ — ٢٧١ ، ٢٠٢ — ٢٠٣ ، ٣٠٣ وقارنه كذلك بشعر أوس بن حجر والمتلمس والمثقب العبدي في شعراء النصرانية ص ٤٩٤ و ٣٤٥ و ٤٠٢ وقارنه كذلك بالنابغة في مطولته ، وفي قصيدته (يا دار مية بالعلياء فالسند)

إلى وصف الناقة والصحراء ، نسى فنه وشخصيته ، وأنشأ شعره فى هذه القيود الضيقة ، وصبه فى هذه القوالب الميتة ، ولم ير نفسه مطالباً بأ كثر من ذلك . ولم تقف هذه القيود عند المعانى والصور ، بل تعدتها إلى الأسلوب والطريقة . فالشاعر إذا أراد أن يتخلص من الغزل إلى وصف الرحلة ، تخلص بطريقة معروفة قلمايشذ عنها . إن كان واقفاً بالأطلال قال (لما رأيت أن الأطلال لاتجيبنى نهضت إلى ناقتى) كقول زهير :

فَلَمَّا رَأَيْتُ أَنَّهَا لَا تُجِيبُنِي نَهَضْتُ إِلَى وَجْنَاءَ كَالْفَحْلِ جَلْمَدِ

وإن كان يتحدث عن رحيل صاحبته قال (هل تلحقنى بهم ناقتى ؟) كقول زهير :

هَلْ تُلْحِقَنِّيَ أَدْنَى دَارِهِمْ قُلُصٌ يُزْجِي أَوَائِلَهَا التَّبْغِيلُ وَالرَّتَكُ

وقول الأعشى : أَجَدُّوا فَلَمَّا خِفْتُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا فَرِيقَيْنِ مِنْهُمْ مُصْعِدٌ وَمُصَوِّبُ

طَلَبْتُهُمُ تَطْوِي بِيَ الْبِيدَ جَسْرَةٌ شُوَيْقِيَّةُ النَّابَيْنِ وَجْنَاءُ ذِعْلِبُ

وإن كان يذكر صدودها عنه وإعراضها قال (فصرّمْ حبلها إذ صرمته بالسفر على ناقة شديدة) كما يقول زهير :

فَصَرِّمْ حَبْلَهَا إِذْ صَرَّمَتْهُ وَعَادَى أَنْ تُلَاقِيَهَا الْعَدَاءُ

بِآزِرَةِ الْفَقَارَةِ لَمْ يَخُنْهَا قِطَافٌ فِي الرِّكَابِ وَلَا خِلَاءُ

وقول لبيد : فَاقْطَعْ لُبَانَةَ مَنْ تَعَرَّضَ وَصْلُهُ وَلَشَرُّ وَاصِلِ خُلَّةٍ صَرَّامُهَا

بِطَلِيحِ أَسْفَارٍ تَرَكْنَ بَقِيَّةً مِنْهَا فَأَحْنَقَ صُلْبُهَا وَسَنَامُهَا

وإن ذكر ما كان بينه وبينها من ود قال (فدعها وسل همومك فوق الناقة برحلة فى الصحراء) ، وهو أ كثر مذاهبهم شيوعاً . كقول الأعشى :

وَقَدْ أُسَلِّي الْهَمَّ حِينَ اعْتَرَى بِجَسْرَةٍ دَوْسَرَةٍ عَاقِرِ

وقوله : فَدَعْهَا وَسَلِّ الْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ تَزِيدُ فِي فَضْلِ الزِّمَامِ وَتَعْتَلِي

وقول امرئ القيس : فَدَعْهَا وَسَلِّ الْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ ذَمُولٍ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَّرَا

وقوله : فَدَعْهَا وَسَلِّ الْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ مُدَاخَلَةٍ صُمِّ الْعِظَامِ أَصُوصِ

وقول علقمة : فَدَعْهَا وَسَلِّ الْهَمَّ عَنْكَ بِجَسْرَةٍ كَهَمِّكَ فِيهَا بِالرِّدَافِ خَبِيبِ

وقول المثقب العبدى : فَسَلِّ الْهَمَّ عَنْكَ بِذَاتِ لَوْثٍ عُذَافِرَةٍ كَمِطْرَقَةِ الْقُيُونِ

وقول المرقش الأكبر : لَوْمَا تُسَلِّي حُبَّهَا جَسْرَةٌ وَهَلْ تُسَلِّي حُبَّهَا مِنْ أَمَمْ

وقول المسيب : فَتَسَلَّ حَاجَتَهَا إِذَا هِيَ أَعْرَضَتْ بِخَمِيصَةٍ سُرُحِ الْيَدَيْنِ وَسَاعِ

فإذا أخذ الشاعر فى الكلام عن رحلته ، كان له فى ذلك طريقان . إما أن يشبه ناقته بالنعامة أو الحمار أو الثور ، على النحو الذى ذكرناه . وإما أن يصفها فينظم معانى الذين سبقوه ، فيتم له بهذا النظم المعاد شعر فى وصف الناقة وفى وصف الصحراء ، لايرى نفسه مطالباً بأ كثر منه . ولهم فى ذلك تشبيهات معروفة ، قد اجتمع لى منها قدر كبير ولولا خشية الإطالة لعرضتها ليتبين

منها مبلغ جود هذا الفن . ولكني أكتفي بعرض طرف يسير منها على سبيل المثال . فمن ذلك تشبيهم الطريق في الصحراء بالكساء المخطط (البُرْجُد) .

الأعشى : وَبَيْدَاءَ قَفْرٍ كَبُرْدِ السَّدِيرِ مَشَارِبُهَا دَاثِرَاتٌ أُجُنْ
وقَاْفَيْتُهَا وَتَعَاَلَتُهَا عَلَى عَمْضَحٍ كَرِدَاءِ الرَّدَنْ

طرفة : أَمُونٍ كَأَلْوَاحِ الْإِرَانِ نَسَأْتُهَا عَلَى لَاحِبٍ كَأَنَّهُ ظَهْرُ بُرْجُدِ

المثقب العبدي : فِي لَاحِبٍ تَعْزِفُ جِنَّانُهُ مُنْفَهِقِ الثُّغْرَةِ كَالْبُرْجُدِ

النابغة : وَنَاجِيَةٍ عَدَّيْتُ فِي مَتْنِ لَاحِبٍ كَسَحْلِ الْيَمَانِي قَاصِدٍ لِلْمَنَاهِلِ

ومنه تصوير وحشة الصحراء بصوت اليوم .

الأعشى : لَا يَسْمَعُ الْمَرْءُ فِيهَا مَا يُؤَنِّسُهُ بِاللَّيْلِ إِلَّا نَئِيمَ الْبُومِ وَالضُّوَعَا

المرقش الأكبر : وَتَسْمَعُ تَزْقَاءً مِنَ الْبُومِ حَوْلَنَا كَمَا ضُرِبَتْ بَعْدَ الْهُدُوءِ النَّوَاقِسُ

المثقب العبدي : أَمْضَى بِهَا الْأَهْوَالَ فِي كُلِّ قَفْرَةٍ يُنَادِي صَدَاهَا آخِرَ اللَّيْلِ بُومُهَا

علقمة الفحل : بِمِثْلِهَا تُقْطَعُ الْمَوْمَاةُ عَنْ عُرُضٍ إِذَا تَبَغَّمَ فِي ظَلْمَائِهِ الْبُومُ

الأسود بن يعفر : مَهَامِهُهَا وَحُزُونُهَا لَا أَنِيسَ بِهَا إِلَّا الضَّوَابِحَ وَالْأَصْدَاءَ وَالْبُومَا

وتصوير وحشتها كذلك بعزيف الجن :

الأعشى : وَبَهْمَاءَ تَعْزِفُ جِنَّانُهَا مَنَاهِلُهَا دَاثِرَاتٌ سُدُمْ

المثقب : فِي لَاحِبٍ تَعْزِفُ جِنَّانُهُ مُنْفَهِقِ الثُّغْرَةِ كَالْبُرْجُدِ

طرفة : وَرَكُوبٍ تَعْزِفُ الْجِنُّ بِهِ قَبْلَ هَذَا الْجِيلِ مِنْ عَهْدِ أَبَدْ

ومنه تشبيه الهوادج وقد لاحت من بعيد وسط الصحراء ، بالسفين في لج البحر .

طرفة : كَأَنَّ حُدُوجَ الْمَالِكِيَّةِ غُدْوَةً خَلَايَا سَفِينٍ بِالنَّوَاصِفِ مِنْ دَدِ

المرقش الأكبر : لِمَنِ الظُّعْنُ بِالضُّحَى طَافِيَاتٍ شِبْهُهَا الدَّوْمُ أَوْ خَلَايَا سَفِينِ

عبيد بن الأبرص : تَبَصَّرْ صَاحِبِي أَتَرَى حُمُولًا يُشَبَّهُ سَيْرُهَا عَوْمَ السَّفِينِ

المثقب العبدي : وَهُنَّ كَذَاكَ حِينَ قَطَعْنَ فَلْجًا كَأَنَّ حُمُولَهُنَّ عَلَى سَفِينِ

النابغة : كَأَنَّ الظُّعْنَ حِينَ طَفَوْنَ ظُهْرًا سَفِينُ الْبَحْرِ يَمَّمْنَ الْقَرَاحَا

زهير : شَطَّتْ بِهِمْ قَرْقَرَى بِرَكْ بِأَيْمُنِهِمْ فَالْعَالِيَاتُ ، وَعَنْ أَيْسَارِهِمْ خِيَمُ
عَوْمَ السَّفِينِ فَلَمَّا حَالَ دُونَهُمُ فَنْدُ الْقُرَيَّاتِ فَالْعِتْكَانُ فَالْكَرَمُ

امرؤ القيس : فَشَبَّهْتُهُمْ فِي الْآلِ حِينَ زَهَاهُمُ عَصَائِبَ دَوْمٍ أَوْ سَفِينًا مُقَيَّرَا

وأمثال هذه التشبيهات المشتركة كثير شائع في هذا الفن ، لا أريد أن أطيل بتفصيله . فمنه تشبيه أعلام الطريق — وهي

الحجارة المنصوبة على جانبيه — بالرجال ، ووصف الصحراء بأنها مطموسة المسالك ، وبأنها مدفونة المناهل ، وبأن ماء آبارها راكد غير سائغ . وتشبيه الناقة بالبنيان الضخم ، ووصفها بتلاحم الفقار ، وتصويرها قبل السفر وقد علفها صاحبها وأحسن القيام عليها ، وتصويرها بعد الرحلة هزيلا ضامرة ، وتصوير نشاطها في الهاجرة ، حين يخفق السراب ، وكأن هراً قد علق برحلها فهو ينهشها فيهيجها ويحثها على الإسراع . وتشبيه هيكلها حين تضمر ، وقد ارتفع فوق أرجلها ، بتابوت الميت (الإران) وقد حمل على هام الرجال ، وتشبيه آثار السيور في جسمها المهزول بآثار المشي أو الماء في الصحراء حين يترك طرائق واضحة ، وتشبيه ذنبها بشمراخ البلح ، وعينها بالمرآة . وقولهم إنها تستخف بالرِّدف ، وأنها تسير ولا طعام لها إلا ما تجتر ، وأنها تثير الحصى لسرعتها .

ولم يعد هذا كثير من القوالب الجامدة (الكليشيهات) في مختلف الأغراض . فمن ذلك تشبيه الأطلال بآثار الوشم وبالكتابة البالية . وتشبيه النساء بالظباء ، وأردافهن بالكثيب ، وبشرتهن الصافية باللؤلؤ وبالبيض المكنون ، ووجوه الوضاء بالقمر ، وأسنانهن باللؤلؤ وبالبلور وبأوراق زهر الأقحوان ، وشعرهن الأسود بالليل وبخطوط الكساء ، وعيونهن بعيون البقر ، وجيدهن بجيد الغزال ، وريقهن بالخمر وبالعسل ، وأناملهن بهداب الحرير ، وقوامهن بغصن البان ، ومشيهن بمشي القطا ، وكنايتهم عن دقة خصر المرأة بقولهم (صفر الوشاح) ، وعن ضخامة الأرداف بقولهم (ملء الدرع) وعن امتلاء الساق بقولهم (صامته الخلخال) . ومن ذلك تشبيه الوصل بالحبل ، وفيض العيون بفيض الدلاء ، وتشبيه المحب بالأسير وبالسكران . وتشبيه الشجاع بالليث وبالسيف ، والكريم بالبحر وبالغيث ، وتشبيه القامة بالرمح ، والحرب المريرة بالناقة العجوز وبالرحى وبالفحل الشرس ، والذى يثيرها ويؤججها بالذى يمد النار بالحطب ، وتشبيه الموت بالكأس المرة ، والفرس السريع بالعقاب وبالسابح ، والفرس الطويل الظهر بجذع النخلة وبقناة الرمح . وتصويره في سرعته وكأنه يبارى رمح راكبه محاولا أن يسبقه ، وتشبيه السهام في سرعتها حين تنطلق بالنحل ، وتشبيه لمعان السيوف والدروع بترقرق صفحة الغدير ، وتشبيه العدو المغير بالضيف ، وتعبيرهم عن التنكيل به بالقرى على سبيل التهكم ، وكنايتهم عن الطويل القامة بأنه طويل النجاد ، وعن الشريف بأنه رفيع العماد ، وعن المنجد ذى المروءة بأنه وارى الزناد .

هذه جملة من الصور والتشبيهات ، نجدها شائعة في الشعر الجاهلى الذى نتدارسه ، لا يختص بها شاعر دون آخر ، فهى قوالب قد جمدت وتحجرت حتى كادت تفقد قيمتها المجازية وروعتها الفنية . ومن الواضح أن هذه البقية التى نتدارسها من الشعر الجاهلى تصوره فى طور نضوجه الكامل ، وأن المحاولات الأولى قد ضاعت ولم يبق لها أثر ، فلم يصلنا الشعر إلا مقيداً بقوانين يتحتم على الشاعر التزامها . وليس لنا بد من رد هذه القوالب والتقاليد إلى الجنود المجهولين ، وإلى الأجيال المظلمة للمؤسسين الأولين .

وبعد فأنا أخشى أن أكون قد صورت الشاعر الجاهلى نظّاماً ، ينحصر عمله فى صياغة هذه المعانى ورصفها . والواقع أن الشعراء ينفردون بعد ذلك بأساليب خاصة ، فهذا بدوى مسرف فى البداوة خشن العبارة ، وذاك تبدو على شعره آثار الحضارة والرقة . وهذا تغلب عليه الحكمة والتفكير ، وذاك تغلب عليه الصنعة والصقل . ثم هم يتميزون مع ذلك بأساليبهم فى نظم الكلام

وصياغته ، ولا نعدم فى شعر كل شاعر كثيراً من التشبيهات المبتكرة الرائعة ، التى تمتاز بالصدق وقوة التصوير . ولأضرب لذلك بعض الأمثلة من شاعرنا (الأعشى) :

من ذلك تصويره للناقة فى قطعها للطريق وكأنها تلتهم الآكام وتغتال الفجاج :

إِذَا مَا الآكَامُ وَبَيْنَ خَطَّتْ ۝ عَلَى الْفَلَوَاتِ تَجْتَرِعُ الإِكَامَا

بِنَاجِيَةٍ مِنْ سَرَاةِ الْمَهَا ۝ نِ تَأْتِى الْفِجَاجَ وَتَغْتَالُهَا

ومنه تصويرها فى جرأتها على السفر فى الليل ، بأنها تحتقر الظلماء ، أو تشق برقبتها الطويلة الليل :

وَلَقَدْ أَحْزِمُ الْلُبَانَةَ أَهْلِى ۝ وَأُعَدِّيهِمُ لِأَمْرٍ قَرِيفِ

بِشُجَاعِ الْجَنَانِ يَحْتَقِرُ الظَّلْـ ۝ ـمَاءَ مَاضٍ عَلَى الْبِلَادِ خَنُوفِ

تَشُقُّ اللَّيْلَ وَالسَّبَرَاتِ عَنْهَا ۝ بِأَتْلَعَ سَاطِعٍ يَشْرِى الزِّمَامَا

ومثل ... يت حين يمضى مخلفاً وراءه كل ماجمع ، فيشبهه بالمغزل الذى يغزل الخيوط ، ثم لايكاد ينضخم بها حتى يعرى منها ، فإذا هو سليب .

وَعُرِّيتَ مِنْ وَفْرٍ وَمَالٍ جَمَعْتَهُ ۝ كَمَا عُرِّيَتْ مِمَّا تُمِرُّ الْمَغَازِلُ[1]

* * *

أطلت الحديث عن العصر وعن تقاليده ولم يكن من الاطالة بد ، لبيان موضع شاعرنا الصحيح من عصره فى فنه ، ولمعرفة ما انساق فيه وراء التقاليد الموروثة وما جدد فيه وابتكر .

قلت إن كل شاعر ينفرد بأسلوبه الخاص فى التعبير وفى إبراز المعانى ، وقد أولع الأعشى ببعض أساليب كثر دورانها فى شعره . وسأخص منها بالحديث أربعة ، بالإضافة إلى ما قدمت ، وهى : وحدة القصيدة ، والاستدارة ، والاستطراد ، والقصص .

كان العرب يحبون فى البيت أن يستقل فى معناه عما قبله وعما بعده ، ولذلك شاعت الفكرة القائلة إن ترتيب القصيدة العربية لا يجرى على نظام ، وأن من الممكن أن تقدم الأبيات عن مواضعها أو تؤخر ، دون أن يكون لذلك أثر فى الاخلال بالمعنى . فكل بيت فى القصيدة وحدة قائمة بنفسها (وقد كان الاعشى مولعا بصياغة المعنى فى مجموعة من الابيات ، لا يحرص على استيفائه فى البيت الواحد ولا يبالى بذلك . لذلك جاءت معظم قصائده متماسكة تتساوق أبياتها متسقة النسق ، يأخذ بعضها برقاب بعض ، ويبدو هذا الترابط قويا محكما فى كثير من المواضع ، حتى يتعذر نقل البيت عن موضعه .[2] وكثيرا ما يأتى الأعشى بالفعل فى بيت ثم يأتى بفاعله أو بمفعوله فى البيت التالى[3] ، أو يأتى بفعل الشرط فى بيت ويأتى بجوابه بعد بيت أو بيتين .[4] وقد يذهب الأعشى فى ذلك النهج إلى أبعد الحدود ، حتى يعلق قافية البيت بصدر البيت الذى يليه ، وهو ما يسميه علماء القافية بالتضمين ، وهم يعدونه عيباً ، وأكثر ما يستقبحونه إذا قطع الكلام قطعا فى نهاية البيت ، فلم تتم فائدة

---

(١) راجع كذلك القصائد : ـ ٩ : ١٤ ، ١٢ : ١٨ ـ ١٩ ، ١٣ : ٦٥ ، ١٤ : ٣٣ ـ ٣٤ ، ١٨ : ١٢ ، ٣٢ : ١٩ ، و ٣٨ و ٤٢ و ٤٤ : ٣٣ : ٥٢ ، ٣٤ : ٧ ، ٣٥ : ١٧ ، ٣٨ : ٢١

(٢) القصيدة ٣٤ : ٣٥ ـ ٣١ ، ٢ : ١٩ ـ ٢١ ، ٢ : ٣٧ ـ ٤١ (٣) مثل باقى القصيدة ١ : ١ ـ ٢ ، ١٦ : ٦ — ٧

(٤) ٢٩ : ٧ ـ ٩ ، ٣٢ : ٣٩ ـ ٤١

المعنى بغير البيت التالى ، مثل تضمين الأعشى بصلة الموصول ، وجعل صلته فى البيت التالى [1] ، أو تضمينه بالفعل الناقص (صار) ، وجعل خبره فى البيت الذى يليه [2] ، وتضمينه بالفعل وجعل فاعله فى البيت التالى ، [3] ومثل تعليق الجار والمجرور بقافية البيت السابق . [4]

والحديث عن وحدة القصيدة يسلمنا إلى الحديث عن الاستدارة ، التى هى صورة من صور الترابط الذى يقوم بين الأبيات. والمقصود بالاستدارة هو توالى مجموعة متلاحقة من الأبيات تجرى على نظام متسق ، يقوم فيه كل بيت بنفسه فى معناه ، ولكن المعنى العام لا يتم إلا بالبيت الأخير منها . وقد أكثر الأعشى من هذا الأسلوب فى شعره — وتأثر به الأخطل فيه — وهو أسلوب مشوّق يثير السامع ، ويبعثه على تتبع الكلام حتى يبلغ نهايته ومداه . فمن ذلك مثلا قوله فى مدح إياس بن قبيصة الطائى (٣١ : ٣٨ — ٤١) :

إِذَا أَدْلَجُوا لَيْلَةً وَالرِّكَا بُ خُوصٌ تُخَضْخِضُ أَشْوَالَهَا

وَتَسْمَعُ فِيهَا كَهِيِّ وَأَقْدِمِي وَمَرْسُونُ خَيْلٍ وَأَعْطَالَهَا

وَنَهْنَهَ مِنْهُ لَهُ الْوَازِعُو نَ حَتَّى إِذَا حَانَ إِرْسَالُهَا

أَجِيلَتْ كَمَرِّ ذُنُوبِ الْقَرَى فَأَلْوَى بِمَنْ حَانَ إِشْعَالُهَا

فكل بيت من هذه الأبيات يقوم بنفسه ، ولكن جواب الشرط فى البيت الأول ، لا يجىء إلا فى البيت الأخير ، الذى يتم به المعنى . والسامع يظل متتبعا للشاعر ، معلقا انتباهه بما يتوالى من أبيات ، حتى يستريح إلى البيت الأخير ، فيقع من نفسه موقع الخاتمة من القصة المثيرة .

ومن أمثلته كذلك قوله ، من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب (٥ : ٤١ — ٤٣) :

فَيَارُبَّ نَاعِيَةٍ مِنْهُمُ تَشُدُّ اللِّفَاقَ عَلَيْهَا إِزَارَا

تَنُوطُ التَّمِيمَ وَتَأْبَى الْغَبُو قَ مِنْ سِنَةِ النَّوْمِ إِلَّا نَهَارَا

مَلَكْتَ فَعَانَقْتَهَا لَيْلَةً تَنُصُّ الْعُقُودَ وَتَدْعُو يَسَارَا

فخبر المبتدأ فى البيت الأول (ناعية) ، لا يجىء إلا فى البيت الأخير (ملكت . . .)

ومنه قوله فى مدح هوذة (١٣ : ٥٨ — ٦١) :

وَمَا مُجَاوِرُ هِيتٍ إِنْ عَرَضْتَ لَهُ قَدْ كَادَ يَسْمُو إِلَى الْجُرْفَيْنِ وَاطَّلَمَا

يَجِيشُ طُوفَانُهُ إِذْ عَبَّ مُحْتَفِلاً يَكَادُ يَعْلُو رُبَى الْجُرْفَيْنِ مُطَّلِمَا

---

(١) ٤٠ : ٣ — ٤ (٢) ١٢ : ٤ — ٦ (٣) ٣٩ : ١٧ — ١٨

(٤) ٣٩ : ٢١ — ٢٢ ، وتراجع الأمثلة على الفكرة عامة فى ١ : ١ — ٢ و ١٥ — ١٦ و ٣٣ — ٣٥ ؛ ٢ : ١٩ — ٢١ و ٥٣ — ٥٤ ؛ ٣ : ٤ — ٥ و ٣٧ — ٣٨ ؛ ٨ : ٢٢ — ٢٣ ؛ ٩ : ١٧ — ١٨ ؛ ١٠ : ٦ — ٧ و ١٧ — ١٨ و ٣٢ — ٣٣ و ٣٥ — ٣٦ ؛ ١١ : ٦ — ٧ و ٨ — ١٠ ؛ ١٢ : ٥٣ — ٥٤ ؛ ١٨ : ١٩ — ٢٠ ؛ ١٩ : ١٧ — ١٨ ؛ ٢٠ : ٦٧ — ٦٨ ؛ ٢١ : ٢٢ — ٢٣ و ٤٢ — ٤٣ ؛ ٢٨ : ٩ — ١١ ؛ ٣٢ : ٤٨ — ٤٩ ؛ ٣٦ : ٢٤ — ٢٦ ؛ ٣٨ : ٢١ — ٢٣ و ٢٤ — ٢٦ ؛ ٣٩ : ١٣ — ١٤ و ٣٨ — ٤١ ؛ ٥٢ : ٢٦ — ٢٨ ؛ ٥٤ : ٤ — ٨ و ١٦ — ١٨ و ١٩ — ٢٠ ؛ ٧٣ : ٩ — ١٠

طَابَتْ لَهُ الرِّيحُ فَامْتَدَّتْ غَوَارِبُهُ ... تَرَى حَوَالِبَهُ مِنْ مَوْجِهِ تَرَعَا
يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُهُ ... إِذْ ضَنَّ ذُو المَالِ بِالإِعْطَاءِ أَوْ خَدَعَا

فخبر (ما) فى البيت الأول ، لا يجىء إلا فى البيت الأخير . مع أن كل بيت من هذه المجموعة يقوم بنفسه فى تصوير معنى جزئى ، وقد شُدَّ البيتُ إلى البيت ، كما تُشَدُّ اللَّبِنَةُ إلى اللبنة ، ليتكون منها فى مجموعها بناء متماسك ، هو المعنى الإجمالى[١]

أما الاستطراد ، فالشاعر يخرج فيه عن الموضوع الذى يعالجه لمناسبة عارضة ، فيمضى مع موضوعه الجديد مفصلا فيه ، وكأنه نسى الموضوع الأصيل ، حتى يعود إليه آخر الأمر ليربط بين الموضوعين . فمن ذلك مثلا أن يشبه ناقته بثور الوحش ، ثم يترك الناقة — وهى موضوع الحديث — ويمضى مع ثور الوحش ، يصوره وقد فاجأه المطر ، ثم طارده الصياد بكلابه ، فراح يدافع عن نفسه فى جرأة ، حتى ينتصر على الكلاب بعد أن ينال منه الإجهاد . ويعود الشاعر بعد حديثه الطويل عن الثور ، ليربط بينه وبين الناقة — وهى موضوع الحديث الأصيل — فيقول إن ناقته تشبه هذا الثور ، فى تخطيها لما يعترض طريقها من عقبات وصعاب . وهذا أسلوب مشهور معروف ، جرى عليه الشعراء الجاهليون فى وصف الناقة خاصة ، ولكنهم لم يستعملوه فى غيرها إلا نادراً . أما الأعشى فقد توسع فى هذا الأسلوب ، وجمع بينه وبين الاستدارة فى بعض الأحيان[٢] .

ومن أوضح الأمثلة على هذا الأسلوب القصيدة (٥٢) فى الديوان . فالأعشى يشبه صاحبته بظبية صغيرة ، ولكنه يسترسل فى الخيال ، ويبالغ فى وصف هذه الظبية الصغيرة ، ويخلع عليها أجمل صور الحنان والرقة والضعف الذى يلائم ضعف الأنوثة الناعمة . فإذا بلغ من التصوير والتجميل ما أراد ، قال : أترى إلى هذه الظبية الرَّخصة الضعيفة الصوت ، سوداء المقلتين ، التى لا تكاد تقوى رجلاها على حمل جسمها الصغير ، والتى شبت وترعرعت فى رعاية أمها التى لا تكاد تفارقها ، فهى لا تخرجها للرعى إلا إذا عم الدفء والتج الذباب ، ولا تبعد عنها خشية أن تضل . أترى إلى هذه الظبية الجميلة الناعمة ؟ إنها تشبه (قَتْلَةَ) ، بل إن (قتلة) لتفوقها جمالا حين تبدو سافرة[٣] . ثم هو بعد ذلك يشبه رضاب صاحبته بالخمر التى خالطها زنجبيل وتفاح مزجا بالعسل . ويسترسل فى الخيال مرة أخرى ، فيبالغ فى وصف ما يلاقى مستخرج هذا العسل من عناء . فهو يصعد إلى مرتفع قد أحاطت به الصحراء . ولا يزال يتحمل المتاعب فى سبيل بغيته ، فيدفع عن نفسه صغار النحل التى تطن من حول راحلته ، وقد أنهضت حين هيجها الدخان[٤] .

ولا يلبث الشاعر أن يصل بعد قليل إلى الناقة ، فيصورها جلدة جريئة وقد نال منها الكلال ، ويشبهها بثور ضامر جائع . ثم يسترسل فى الخيال مرة ثالثة ، فيطيل فى وصف هذا الثور على الأسلوب الجاهلى المألوف الذى قدمناه فيما سبق ، حتى إذا انتهى الشاعر من تركيب صورته على هذا النحو ، الذى هو أشبه بلوحة جمع فيها المصور كل معانى الإعياء والتعب والاستبسال ، قال إن ناقته تشبه هذا الثور الذى فصل حالته[٥] .

---

(١) راجع أمثلة أخرى للاستدارة فى القصائد الآتية : ٣ : ٢٢ ـ ٢٤ و ٥١ ـ ٥٣ ، ٤ : ٣٦ ـ ٣٩ ، ٥ : ٥٥ ـ ٥٨ و ٦٢ ـ ٦٤ ، ١٢ : ٥٥ ـ ٥٧ ، ١٥ : ٣٠ ـ ٣٣ و ٤٤ ـ ٤٦ ، ١٦ : ٢٩ ـ ٣١ ، ٢٨ : ٢١ ـ ٣٠ و ٣١ ـ ٣٣ ، ٢٩ : ٢٤ ـ ٢٦ ، ٣٢ : ٣٩ ـ ٤١ ، ٥٥ : ٣٥ ـ ٣٦ ، ٧٠ : ٦ ـ ٩ و ١٤ ـ ١٧ ، ٧٢ : ٣ ـ ٤

(٢) راجع القصيدة ٢٨ : ٢١ ـ ٣٠   (٣) الأبيات ٦ ـ ١٢ من القصيدة ٥٢   (٤) الأبيات ١٨ ـ ٢٣ من القصيدة ٥٢

(٢) الأبيات ٣١ ـ ٤٣ من نفس القصيدة . وراجع كذلك أمثلة أخرى للاستطراد فى القصائد : ١٥ : ٤٠ ـ ٤٢ ، ٣٢ : ٩ ـ ١٨ ، ٣٤ : ١٠ ـ ١٣ ، ٨٠ : ٩ ـ ١٢

أما القصص فللشاعر فيه أسلوب يميزه عن سائر الجاهليين ، ولا يكاد يجاريه فيه إلا امرؤ القيس . فهو يسوق الغزل فى كثير من الأحيان على صورة حوار ، يعرض فيمادار بينه و بين صاحبته من حديث . وقد يحكى لنا قصته مع صاحبته ، كيف بعث إليها برسول خبيث داهية لاتعجزه الحيلة ، وكيف تلطف هذا الرسول فى الدخول إليها والإفلات من الرقباء . ولم يزل ينازعها الحديث ، و يقيم عليها الحجة ، و يضيق عليها سبل القول ، يلين حيناً و يعنف حيناً آخر ، حتى نزلت على مايريد ، ورضيت أن تضرب معه موعداً للقاء الأعشى ، بعد أن دلته على السبيل المأمون لتجتب عيون الرقباء . و يدخل إليها الأعشى ، فيصف ماكان بينه و بينها من معابثة ومجون [١] . ولسنا نزعم أن الأعشى قد بلغ فى هذا الأسلوب مابلغ عمر بن أبى ربيعة ، الذى وقف جهده على تجويد هذا الفن ، فقد كان قصير النفس فيه ، لاينساق له نسق القصص ، ولا يكاد يوغل فيه . وإنما هى لمحات قصيرة خاطفة قليلا ماتطول ، إن لم تبلغ حد النضج ، فقد مهدت للذين جاءوا من بعده . وشبيه بهذا الأسلوب فى الغزل ، أسلوب الشاعر فى بعض خمرياته [٢] . وقد تابعه أبونواس فى هذا الأسلوب ، فزاد فيه وجود ، حتى أصبح مكانه من قصص الخمر يعدل مكان عمر من قصص الغزل . وتلوح مسحة من هذا الأسلوب على شعر الأعشى كذلك ، حين يعرض لتصوير الأمم البائدة والملوك الذاهبين ، مستخلصاً من حياتهم العبرة والموعظة [٣] .

وأحب أن أفرق أخيراً بين ما أسميه القصص فى شعر الأعشى ، وفى الشعر العربى القديم جملة ، و بين مايسميه الأوروبيون شعراً قصصياً (narrative) ، فمن الوضح أننى لاأنظر إلى التسمية الأوروبية ، حين أتكلم عن هذا اللون من الشعر العربى . وكل الذى قصدت إليه ، هو أن مثل هذا الشعر يقوم على مجرد الحكاية والسرد ، وهو سرد لايجرى على خطة مدبرة ، ولا ينساق لهدف خاص مهد

---

(١) راجع القصيدة ٢٩ : ١٣ ـ ٣٥ وراجع كذلك القصائد ١٢ : ١١ — ١٦ و ٢٤ — ٢٨ ، ٢٢ : ٥ — ٩ ، ٢٩ : ٥ — ٩ ، ٤٥ : ٤ — ١٤ ، ٧٨ : ٧ — ١٣

(٢) القصائد ٨ : ٨ — ٢٤ ، ٣٦ : ٣٤ — ٥٤ ، ٧٨ : ١٣ — ٢٢

(٣) القصائد ٤ : ٥١ — ٥٥ و ٦٠ — ٦٦ ، ١٣ : ٩ — ١٣ و ١٧ — ٢١ ، ٢٥ : ٥ — ٢١ ، ٣٣ : ٥ — ١٨ ، ٣٦ : ٨ — ١٥ ، ٥٣ : ١ — ١٠ ، ٥٤ : ٢٦ — ٣٢

ديوان الأعشى الكبير

ميمون بن قيس

الأسود بن المنذر واحد من إخوة النعمان بن المنذر ملك الحيرة ـ وكان إخوته كثيراً، زعم الرواة أنهم كانوا أحد عشر أخاً . وأم الأسود من تيم الرباب(١) وقد بعثه النعمان عليهم فكان ملكهم(٢) وفي القصيدة إشارة إلى خروجهم عليه ، وقتاله لهم حتى دخلوا في طاعته . وللأسود وقعة مشهورة ببني محارب بن خصفة (من قيس عيلان) أشار إليها الشاعر كذلك في هذه القصيدة . وكان ذلك بسبب قتل الحارث بن ظالم المرى (من ذبيان) لابنه شرحبيل ، في قصة طويلة . فأوقع الأسود ببني ذبيان وبني أسد أولا ، ثم وجد نعل ابنه بعد ذلك في موضع من بلاد بني محارب فقال لهم : سأحذيكم نعالا . وأحمى لهم الصفا التي بصحراء أضاخ ، حيث وجد نعل ابنه ، وسيرهم عليها فتساقط لحم أقدامهم . ويقول الرواة إن الأسود حين أغار على الحليفتين « أسد » و « ذبيان » أصاب نعما وأسرى وسبايا من بني سعد بن ضبيعة قوم الأعشى ، وكان الأعشى غائباً عن الحي . فلما قدم وجد الحي مباحا . فأقبل على الأسود وأنشده هذه القصيدة ، وسأله أن يهب له الأسرى ويحملهم ففعل(٣) . والقصيدة من أجود شعر الأعشى . وقد اختلف الرواة فيها وفي قصيدته (ودع هريرة إن الركب مرتحل) أيهما هي للطولة .

يقول الأعشى :

١ — فيم وقوف الرجل الكبير يبكي ويتسائل بالأطلال

٢ — وهو يعلم أن الدمنة القفرة التي تعبث بها رياح الصيف لا ترد السؤال

٣ — إليك عني أيتها الذكرى ، فليس هاهنا مقام جبيرة أو رسولها الذي يطرقنا بالأهوال

٤ — فأنا في أهلي بين « بطن الغميس » و « بادولي » وهي في أهلها الذين ارتحلوا شمالا إلى « السخال »

٥ — ترتعي « السفح » و « الكثيب » و « ذاقار » و « روض القطا » و « ذات الرئال »

٦ — فبيني وبينها قفار تخرس أهوالها المسافرين ، وميل من ورائه أميال

٧ — وسفر طويل تملأ له أوعية الماء ، ثم لا يكون حظ المسافر فيه إلا الأوشال

٨ — وسير في أعقاب الليالي، وفي شمس النهار الملتهبة ، بين أرض غليظة وأرض مستوية ورمال

٩ — وآبار راكدة يسفي عليها الريح ، ويعلو ماءها ريش الطيور ، كأنه منثور النبال

* * *

١٠— بعدت الدار وصعب المزار . ويارُبما كنت قليل الهموم ناعم البال

١١— أيام كانت هي همي وحديثي ، تعصي في هواي صاحب الأمر فيها ذا الأقوال

١٢— كأنها ظبية بيضاء من ظباء « وجرة » تتناول من ثمار الأراك ، وقد تهدلت عليها أغصانه الطوال

(١) الرباب قبائل تحالفوا فوضعوا أيديهم في جفنة فيها رب ، فسموا الرباب ، وهم أبناء أد بن طابخة : ضبة وتيم وعدي وعكل وثور (العقد الفريد)

(٢) ولي النعمان بن المنذر قبل مبعث النبي بأربعة وعشرين عاما (٥٨٦ م) . وتوفي قبل مبعث النبي بسنتين (الطبري ١ : ٩٠٠ ط . ليدن) .

(٣) راجع الأغاني ٢ : ٢١ - ٢٣ ، ١٠ : ٢٢ ، ١١ : ١١٠

قال الأعشى يمدح الأسود بن المنذر اللخمي :

١ — مَا بُكَاءُ الكَبِيرِ بِالأَطْلَالِ	وَسُؤَالِي فَهَلْ تَرُدُّ سُؤَالِي (خفيف)
٢ — دِمْنَةٌ قَفْرَةٌ تَعَاوَرَهَا الصَّيْـ	فُ بِرِيحَيْنِ مِنْ صَبًا وَشَمَالِ
٣ — لَاتَ هَنَّا ذِكْرَى جُبَيْرَةَ أَوْ مَنْ	جَاءَ مِنْهَا بِطَائِفِ الأَهْوَالِ
٤ — حَلَّ أَهْلِي بَطْنَ الغَمِيسِ فَبَادَوْ	لَى وَحَلَّتْ عُلْوِيَّةً بِالسِّخَالِ
٥ — تَرْتَعِي السَّفْحَ فَالكَثِيبَ فَذَاقَا	رِفَرَوْضَ القَطَا فَذَاتَ الرِّئَالِ
٦ — رُبَّ خَرْقٍ مِنْ دُونِهَا يُخْرِسُ السَّفْـ	رَ وَمِيلٍ يُفْضِي إِلَى أَمْيَالِ
٧ — وَسِقَاءٍ يُوكَى عَلَى تَأَقِ المَلْـ	ءِ وَسَيْرٍ وَمُسْتَقًى أَوْشَالِ
٨ — وَادِّلَاجٍ بَعْدَ المَنَامِ وَتَهْجِيـ	رٍ وَقُفٍّ وَسَبْسَبٍ وَرِمَالِ
٩ — وَقَلِيبٍ أَجْنٍ كَأَنَّ مِنَ الرِّيـ	شِ بِأَرْجَائِهِ لُقُوطَ نِصَالِ
١٠ — فَلَئِنْ شَطَّ بِي المَزَارُ لَقَدْ أَغْـ	دُو قَلِيلَ الهُمُومِ نَاعِمَ بَالِ
١١ — إِذْ هِيَ الهَمُّ وَالحَدِيثُ وَإِذْ تَعْـ	صِي إِلَيَّ الأَمِيرَ ذَا الأَقْوَالِ
١٢ — ظَبْيَةٌ مِنْ ظِبَاءِ وَجْرَةَ أَدْمَا	ءُ تَسُفُّ الكَبَاثَ تَحْتَ الهَدَالِ

(١ — ٣) الدمنة آثار الناس . تعاور الناس الشيء تداولوه . وتعاورت الرياح الدار تداولتها ، فمرة تهب جنوبا ومرة تهب شمالا . لات هنا أى ليس وقت ذكرها . الصبا والشمال : ريحان .

(٤ — ٦) علوية أى فى العالية . الخرق ما اتسع من الأرض لأن الريح تنخرق فيه وتهب فيه لسعته . أفضى به إلى كذا انتهى به إليه .

(٧ — ٩) يوكى يربط من الوكاء وهو الرباط . التأق الملء . الأوشال جمع وشل وهو القليل من الماء . الادلاج بتشديد الدال المكسورة السير آخر الليل ، والادلاج بسكون الدال سير الليل كله . التهجير السير فى الهاجرة أى فى الظهر . القف الأرض الغليظة . السبسب الأرض المستوية . القليب البئر . آجن آسن راكد . النصل حديد السيف والرمح والسهم .

(١٠ — ١٢) شط أى بعد . الهم أى موضع اهتمامه وعنايته . الأمير أى صاحب السلطان الذى يريد أن يأمرها وينهاها . يقصد زوجها . وجرة على ثلاث مراحل من مكة إلى البصرة . الأدم ظباء طويلة الأعناق بيض البطون . الكباث ثمر الأراك ، والأراك شجر تستعمل غصونه فى تنظيف الأسنان بعد دق أطرافها . الهدال ما تهدل من الغصون واسترسل .

١٣— صافية الأديم ، بضة الأنامل ، تفتل شعرها اللين ، ثم تشد حواشيه بالخلال

١٤— يالروعة القلائد وقد أمسكها السلك ، فكأنما علقت بجيد غزال

١٥— وياللخمر العتيق حين يجرى بين أسنانها المحددة ، ممزوجا بالماء الزلال

١٦— وقد داعب النوم جفونها ، فكأنه يجرى خلال شوك « السيال »

• • •

١٧— اذهبي ياجبيرة ووداعا ، ما صرفني عنك الحلم والحجا ، ولكن شغلني عنك أشغال

١٨— وأسفار فوق ناقة شديدة بيضاء صافية العين ، نشيطة شملال

١٩— من خيرة النوق وأصلبها ، رعت الحمى ، وأكلت علف الأمصار ، ومنع عنها الفحول فطال بها الحيال

٢٠— لم يذهب بعزمها طفل ترضعه ، ولم تتشنج قوائمها مما يصيب الإبل من داء « الخال »

٢١— قد استنفدتها الأسفار البعيدة ، وقت الظهيرة ، حين يرتفع السراب ويلمع الآل

٢٢— فوق فلاة تدوم فيها الرحلة ، وتغتال المسافرين ، قد أقفرت من كل شيء إلا من الآجال

٢٣— وإذا خيف الضلال ، واشتد بالمسافرين الحال ، لا يرجون الوصول للماء قبل خمس من الليال

٢٤— فراحوا يستحثون الذى يستبدل راحلته المتعبة ، وقد نفد الماء ، فلم يبق منه إلا الأوشال

٢٥— تشعلت هذه الناقة الحرة الضخمة ، وكأنها قنطرة من قناطر الروم ، تفرى الأرض الملتهبة فرياً بالإرقال

١٣— حُرَّةٌ طَفْلَةُ الأَنَامِلِ تَرْتَـ ‏ ـبُ سُخَامًا تَكُفُّهُ بِخِلَالِ

١٤— وَكَأَنَّ السُّمُوطَ عَكَّفَهَا السِّلْـ ‏ ـكُ بِعِطْفَيْ جَيْدَاءَ أُمِّ غَزَالِ

١٥— وَكَأَنَّ الخَمْرَ العَتِيقَ مِنَ الأِسْفِنْـ ‏ ـطِ مَمْزُوجَةً بِمَاءٍ زُلَالِ

١٦— بَاكَرَتْهَا الأَغْرَابُ فِي سِنَةِ النَّوْ ‏ مِ فَتَجْرِي خِلَالَ شَوْكِ السَّيَالِ

١٧— فَاذْهَبِي مَا إِلَيْكِ أَدْرَكَنِي الحِلْـ ‏ ـمُ عَدَانِي عَنْ ذِكْرِكُمْ أَشْغَالِي

١٨— وَعَسِيرٍ أَدْمَاءَ حَادِرَةِ العَيْـ ‏ ـنِ خَنُوفٍ عَيْرَانَةٍ شِمْلَالِ

١٩— مِنْ سَرَاةِ الهِجَانِ صَلَّبَهَا العَـ ‏ ـضُّ وَرَعْيُ الحِمَى وَطُولُ الحِيَالِ

٢٠— لَمْ تَعَطَّفْ عَلَى حُوَارٍ وَلَمْ يَقْـ ‏ ـطَعْ عُبَيْدٌ عُرُوقَهَا مِنْ خُمَالِ

٢١— قَدْ تَعَلَّلْتُهَا عَلَى نَكَظِ المَيْـ ‏ ـطِ وَقَدْ خَبَّ لَامِعَاتُ الآلِ

٢٢— فَوْقَ دَيْمُومَةٍ تَغَوَّلُ بِالسَّفْـ ‏ ـرِ قِفَارٍ إِلَّا مِنَ الآجَالِ

٢٣— وَإِذَا مَا الضَّلَالُ خِيفَ وَكَانَ الْـ ‏ ـوِرْدُ خِمْسًا يَرْجُونَهُ عَنْ لَيَالِ

٢٤— وَاسْتَحَثَّ المُغِيرُونَ مِنَ القَوْ ‏ مِ وَكَانَ النِّطَافُ مَا فِي العَزَالِي

٢٥— مَرِحَتْ حُرَّةٌ كَقَنْطَرَةِ الرُّومِـ ‏ ـيِّ تَفْرِي الهَجِيرَ بِالإِرْقَالِ

(١٣ — ١٥) الحر الخيار الفاخر من كل شيء . طفلة لينة ناعمة . ترتب من رب الشيء وربه إذا نماه واعتنى به . السخام الشعر اللين . الخلال المدرى وهو المشط . كف الشعر جمعه وضمه . الاسفنط اسم من أسماء الخمر فارسى معرب وقيل رومى معرب . ماء زلال بارد عذب .

(١٦ — ١٨) غرب الشيء حده ، وغرب الأسنان حدها أو بياضها . السيال شجرله شوك . الحلم الأناة . عداني صرفني . ناقة عسير ترفع ذنبها في عدوها . أدماء خالصة البياض . حادرة العين صلبة العين . خنوف نشيطة تخنف برأسها وعنقها من النشاط . عيرانة تشبه العير وهو حمار الوحش . شملال سريعة .

(١٩ — ٢١) سراة كل شيء أعلاه وخياره . الهجان من الابل البيض الكرام . العض العلف . الحيال من حالت الناقة فهي حائل غير حامل . الحوار ولد الناقة . الخمال داء يصيب القوائم فتشنج عروقها . تعللتها أي استخرجت ما عندها من السير . النكظ الشدة والعجلة . الميط البعد . خب طال وارتفع . الآل السراب .

(٢٢ — ٢٥) ديمومة صحراء بعيدة الأطراف يدوم فيها السفر . تغول المرأة تشبهت بالغول في تلونها ، وكذلك الصحراء . الخمس ورود الماء بعد خمسة أيام . المغيرون الذين يغيرون رواحلهم بعد أن تتعب . النطاف جمع نطفة وهي بقية الماء في أسفل الآنية . العزالي جمع عزلاء وهي مصب الماء من الزاوية أي القربة . مرحت نشطت . قنطرة الرومي يقصد برجا من بناء الروم ، لأن العرب لا بناء لها . الارقال ضرب من عدو الابل .

٢٦— تقطع الأرض الغليظة الملتهبة بخطى واسعة وقوائم طويلة سريعة الإيغال

٢٧— صلبة تعدو إذا مسها السوط ، كما يعدو حمار الوحش الجوال

٢٨— قد أهزله الصيف والطراد والإشفاق على أتان ناحلة ، كأنها قوس من شجر « الضال »

٢٩— قد ظهر حملها فى بطنها ، وشفها الحزن على صغير مفطوم آذاه الفصال

٣٠— ومنعه عنها هذا الحمار الغليظ الفظ ، يتمرغ فى الأرض ، فينسل شعره ، ويتساقط منه النُّسال

٣١— ترك الجحش وقد أهزله الجرى ملق فى الغبار ، وراح يدفع أتانه إلى مورد الماء الزلال

* * *

٣٢— ذاك الحمار الغليظ النشيط أشبه شىء بناقتى حين تجرى بجانب الجبل بعد الكلال والإعمال

* * *

٣٣— تشكو إلى وقد أعياها الإجهاد خفها المشقق المقروح ، وقد كسى بالنعال

٣٤— وقد هزل جسمها الضخم ، فقلقت من فوقه السيور التى يُشَدُّ بها الرحال

٣٥— وظهرت آثارها فى عظام صدرها البارزة ، فكأنها نعش ضخم محمول فوق أرجلها الطوال

٣٦— لا تشتكى إلى ياصاحبتى من ألم السيور ولا من حفاً ولا من كلال

٣٧— لاتشتكى إلى وانتجعى « الأسود » أهل الندى وأهل الفعال

* * *

٣٨— فرع فى غصون المجد صلب ، غزير العطاء ، بيد أنه شديد النكال

٢٦ — تَقْطَعُ الأَمْعَزَ المُكَوْكِبَ وَخْدًا   بِنَوَاجٍ سَرِيعَةِ الإِيغَالِ

٢٧ — عَنْتَرِيسٌ تَعْدُو إِذَا مَسَّهَا السَّوْ   طُ كَعَدْوِ المُصَلْصِلِ الجَوَّالِ

٢٨ — لَاحَهُ الصَّيْفُ وَالصِّيَالُ وَإِشْفَا   قٌ عَلَى صَعْدَةٍ كَقَوْسِ الضَّالِ

٢٩ — مُلْمِعٍ لَاعَةِ الفُؤَادِ إِلَى جَحْ   شٍ فَلَاهُ عَنْهَا فَبِئْسَ الفَالِي

٣٠ — ذُو أَذَاةٍ عَلَى الخَلِيطِ خَبِيثُ الـ   ـنَّفْسِ يَرْمِي مَرَاغَهُ بِالنُّسَالِ

٣١ — غَادَرَ الجَحْشَ فِي الغُبَارِ وَعَدَّا   هَا حَثِيثًا لِصُوَّةِ الأَدْحَالِ

٣٢ — ذَاكَ شَبَّهْتُ نَاقَتِي عَنْ يَمِينِ الـ   ـرَّعْنِ بَعْدَ الكَلَالِ وَالإِعْمَالِ

٣٣ — وَتَرَاهَا تَشْكُو إِلَيَّ وَقَدْ آ   لَتْ طَلِيحًا تُحْذَى صُدُورَ النِّعَالِ

٣٤ — نَقِبَ الخُفُّ لِلسُّرَى فَتَرَى الأَنْـ   ـسَاعَ مِنْ حَلِّ سَاعَةٍ وَارْتِحَالِ

٣٥ — أَثَّرَتْ فِي جَنَاجِنٍ كَإِرَانِ الـ   ـمَيْتِ عُولِينَ فَوْقَ عُوجٍ رِسَالِ

٣٦ — لَا تَشَكَّى إِلَيَّ مِنْ أَلَمِ النِّسْـ   ـعِ وَلَا مِنْ حَفًا وَلَا مِنْ كَلَالِ

٣٧ — لَا تَشَكَّى إِلَيَّ وَانْتَجِعِي الأَسْـ   ـوَدَ أَهْلَ النَّدَى وَأَهْلَ الفَعَالِ

٣٨ — فَرْعُ نَبْعٍ يَهْتَزُّ فِي غُصُنِ المَجْـ   ـدِ غَزِيرُ النَّدَى شَدِيدُ المِحَالِ

(٢٦ — ٢٨) الأمعز الغليظ من الأرض . المكوكب المتوقد من الحر . جمل واخد ووخاد واسع الخطو . نواج قوائم . الإيغال من أوغل فى السير أى ذهب وبالغ وأبعد . عنتريس صلبة قوية . المصلصل حمار الوحش لكثرة نهيقه، من صلصل الشيء أى صوت . جوال من جال يجول أى طاف ولم يستقر . لاحه أضمره وغيره . الصيف لأنه وقت الجفاف ويبس الكلأ . الصيال مصدر صاول يقصد مصاولة الفحول من حمر الوحش . الصعدة الأتان . الضال شجر تتخذ منه القسى

(٢٩ — ٣١) ملمع قد استبان حملها فى ضرعها فأشرق ضرعها باللبن . لاعة الفؤاد من لاع يلوع لوعة وهو أشد الحزن . الإفلاء الفطام . الراغ والمراغة المكان الذى تتمرغ فيه الدابة وتتقلب على الأرض . النسال ما سقط عنه من الشعر . عداها صرفها . حثيثاً سريعاً . الصوة ما غلظ من الأرض . الأدحال جمع دحل وهى حفرة ضيقة الأعلى واسعة الأسفل .

(٣٢ — ٣٤) رعن الجبل أنفه الشاخص منه . الكلال التعب . الإعمال من أعمل الناقة أى كلفها العمل والسير . آلت رجعت . طليحا معيية متعبة . النعل طبق من حديد أو جلد يوقى به الحافر أو الخف فيكون له كالنعل للقدم . نقب خف البعير رق وتثقب . النسع سير ينسج عريضاً وتشد به الرحال إلى بطن الناقة .

(٣٥ — ٣٨) الجناجن عظام الصدر جمع جنجن . الإران سرير الميت . عوج قوائم فيها عوج لأن قوائم الناقة معوجة . الانتجاع فى الأصل طلب الكلأ، ويقصد به هنا التماس الخير والرزق . الندى الكرم . النبع شجر صلب تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام ينبت فى قلة الجبل . المحال القوة والمكر .

٣٩— يجمع بين الحزم والحذر ، عنده دواء الصرع للمتعجرف التياه ، حمال لمضلع الأثقال

٤٠— يصل الأرحام ، كما علم كل الناس ، ويفك الأسرى من الأغلال

٤١— نفسه العزيزة هينة عليه فى سبيل المجد وحسن الأحدوثة ، حين تلتقى الرماح فى القتال

٤٢— إذا سألته أعطاك ، حين يكون الاعتذار هو كل ما تناله من البخال

٤٣— وإذا استجرت به أجارك ، فما انقطع حبل وصلته منه بحبال

٤٤— أريحى ماض ، إذا طلع على القوم سكنوا قائمين ، كأنهم ينظرون به الهلال

٤٥— إن عاقب كان غراما ، وإن أعطى لم يبال العذّال

٤٦— يهب المسانّ من الإبل الضخام ، كأنها النخل ، تحنو على صغارها الأطفال

٤٧— والإماء تركض فى أكسية من الخز ، بين أصفر وأحمر ، وتجرر الأذيال

٤٨— والجياد كأنها قضب نبات « الشوْحط » الصلب المستقيم ، تعدو حاملة سلاح الأبطال

٤٩— وكئوس الخز ، وآنية الفضة ، والجمال الكريمة التى تسكن فلا تُرْغى ولا تَمْتَنِرُ إذا ركبها الرجال

* * *

٥٠— كم من قوم أصابتهم عقوبته فأشقاهم آخر الدهر ، وآخرين نالتهم نعمته فسقاهم بسِجَالْ

٥١— ولقد أوقدت الحروب ، فما وُجدت فيها غمراً إذ لقحَتْ بعد طول حِيَالْ

٣٩— عِنْدَهُ الحَزْمُ والتُّقَى وَأَسَا الصَّرْ ... عِ وَحَمْلٌ لِمُضْلِعِ الأَثْقَالِ

٤٠— وَصِلَاتُ الأَرْحَامِ قَدْ عَلِمَ النَّا ... سُ وَفَكُّ الأَسْرَى مِنَ الأَغْلَالِ

٤١— وَهَوَانُ النَّفْسِ العَزِيزَةِ لِلذِّكْ ... رِ إِذَا مَا الْتَقَتْ صُدُورُ العَوَالِي

٤٢— وَعَطَاءٌ إِذَا سَأَلْتَ إِذَا العِذْ ... رَةُ كَانَتْ عَطِيَّةَ البُخَّالِ

٤٣— وَوَفَاءٌ إِذَا أَجَرْتَ فَمَا غُرَّ ... تْ حِبَالٌ وَصَلْتَهَا بِحِبَالِ

٤٤— أَرْيَحِيٌّ صَلْتٌ يَظَلُّ لَهُ القَوْ ... مُ رُكُودًا قِيَامُهُمْ لِلْهِلَالِ

٤٥— إِنْ يُعَاقِبْ يَكُنْ غَرَامًا وَإِنْ يُعْـ ... طِ جَزِيلًا فَإِنَّهُ لَا يُبَالِي

٤٦— يَهَبُ الجِلَّةَ الجَرَاجِرَ كَالبُسْـ ... تَانِ تَحْنُو لِدَرْدَقٍ أَطْفَالِ

٤٧— وَالبَغَايَا يَرْكُضْنَ أَكْسِيَةَ الأَضْـ ... رِيجِ وَالشَّرْعَبِيَّ ذَا الأَذْيَالِ

٤٨— وَجِيَادًا كَأَنَّهَا قُضُبُ الشَّوْ ... حَطِ تَعْدُو بِشِكَّةِ الأَبْطَالِ

٤٩— وَالمَكَاكِيكَ وَالصِّحَافَ مِنَ الفِضْـ ... ـةِ وَالضَّامِزَاتِ تَحْتَ الرِّجَالِ

٥٠— رُبَّ حَيٍّ أَشْقَاهُمُ آخِرَ الدَّهْـ ... ـرِ وَحَيٍّ سَقَاهُمُ بِسِجَالِ

٥١— وَلَقَدْ شُبَّتِ الحُرُوبُ فَمَا غَمَّـ ... ـرْتَ فِيهَا إِذْ قَلَّصَتْ عَنْ حِيَالِ

(٣٩ — ٤١) التقى الحذر . أسا الجرح داواه . الصرع داء يبطل الحس ويمنع الحركة ، ويقصد به الشاعر التيه والسكر . رحم الرجل قرابته وأهله . العوالي الرماح .

(٤٢ — ٤٤) العذرة والمعذرة والعذرى بمعنى واحد . حبل غرور غير موثوق به . الأريحية الارتياح للندى وفعل الخير . صلت ماض ، ومنه سيف صلت أى متجرد من غمده . ركوداً لا يتحركون .

(٤٥ — ٤٨) الغرام الشر الدائم ، ومنه قوله تعالى (إن عذابها كان غراما) أى هلاكا ولزاما لهم . الجلة الكبار المسان من الابل . الجراجر الضخام . البستان النخل . الدردق الصغار ولا واحد لها . البغايا الجوارى والاماء . الاضريج الحرير الأصفر . الشرعبى الحرير الأحمر . ذا الأذيال أى الطويل الذى تجره ورامها حين تمشى .

(٤٨ — ٥١) الشوحط شجر تتخذ منه القسى . الشكة السلاح . المكوك مكيال يساوى ثلاث كيلجات ، والكيلجة قريب من رطلين ، وهو إناء يشرب به الفرس . ضمز البعير أمسك على جرته ، ويقصد أن هذه الابل لا ترغو ولا تجتر إذا ركبت لانها مؤدبة . السجال جمع سجل بفتح السين وسكون الجيم وهو الدلو . ماغمرت أى لم تلف غمرا ، والغمر بضم الغين الغر الذى لم يجرب الأمور . قلصت أى شمرت . عن حيال ، يشبه الحرب بالناقة التى حملت بعد أن كانت حائلا لاتحمل ، فهو أشدها .

٥٢— وأحذَيْتَ الجناة الآثمين نعالا بمثل ما جنت أيديهم فذاقو النكال

٥٣— فلِمَنْ عصاك الخسار والخذلان ، ولمن أطاعك العز والمــال

٥٤— أنت خير من ألف ألف من القوم إذا اشتد الفزع وامتقعت وجوه الرجال

٥٥— وقد اجتمع لك من عدة القتال وأدواته ما تأبى معه النزول على حكم محتكم من الجهال

٥٦— جندك العريق من السادات أصحاب القباب ، يعمهم منك النوال

٥٧— لايميلون على سرج الجياد ، ولا يجبنون فى الهَيْجاء ، ولا يعتريهم الفزع فى النضال

٥٨— عليهم دروع من نسج داوود تُحمل أكداساً فوق الجمال

٥٩— قد دهنت بالزيت ، وذُرَّ فوقها البعر ، حتى لا يصيبها الصدأ من الندى والطَلَال

٦٠— لاينال أذاها الصديق ، وإنما يذوق وبالها العدو يوم النزال

٦١— تخذها لنوائب الدهر وغِيَرِ الزمان رجلٌ غير دعِيّ ولا زُمَّال

٦٢— له كل عام غزوة يقود إليها خيلا موصولة بخيل ، تتدفق فى الصباح على حومة القتال

* * *

٦٣— حمل « الرباب » على الطاعة ، حين كرهوا الطاعة ، بغزوة وصيال

٦٤— وسقاهم كأس الموت مسفوحا ، حين نفدت الآجال

— ١ —

٥٢— هَوْلَى ثُمَّ هَوْلَى كلاً آعـ — طَيْتَ نِعَالًا محذُوَّةً بِمِثَالِ

٥٣— فَأَرَى مَنْ عَصَاكَ أَصْبَحَ مَخْذُو — لاً وكَعْبُ الَّذِى يُطِيعُكَ عَالِى

٥٤— أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ القَوْ — مِ إِذَا مَا كَبَتْ وُجُوهُ الرِّجَالِ

٥٥— وَلِمِثْلِ الَّذِى جَمَعْتَ مِنَ العُدْ — ةِ تَأْبَى حُكُومَةُ المُقْتَالِ

٥٦— جُنْدُكَ التَّالِدُ العَتِيقُ مِنَ الـ — سَّادَاتِ أَهْلِ القِبَابِ والآكَالِ

٥٧— غَيْرُ مِيلٍ وَلَا عَوَاوِيرَ فِى الهَيْـ — جَى وَلَا عُزَّلٍ وَلَا أَكْفَالِ

٥٨— وَدُرُوعٌ مِنْ نَسْجِ دَاوُودَ فِى الحَرْ — بِ وُسُوقٌ يُحْمَلْنَ فَوْقَ الجِمَالِ

٥٩— مُلْبَسَاتٌ مِثْلَ الرَّمَادِ مِنَ الكُـ — رَّةِ مِنْ خَشْيَةِ النَّدَى وَالطِّلَالِ

٦٠— لَمْ يُيَسَّرْنَ لِلصَّدِيقِ وَلَكِنْ — لِقِتَالِ العَدُوِّ يَوْمَ القِتَالِ

٦١— لِامْرِئٍ يَجْعَلُ الأَدَاةَ لِرَيْبِ الـ — دَّهْرِ لَا مُسْنَدٍ وَلَا زُمَّالِ

٦٢— كُلَّ عَامٍ يَقُودُ خَيْلًا إِلَى خَيْـ — لٍ دِفَاقًا غَدَاةَ غِبِّ الصِّقَالِ

٦٣— هُوَ دَانَ الرِّبَابَ إِذْ كَرِهُوا الـ — دِّينَ دِرَاكًا بِغَزْوَةٍ وَصِيَالِ

٦٤— ثُمَّ أَسْقَاهُمُ عَلَى نَقَدِ العَيْـ — شِ فَأَرْوَى ذَنُوبَ رِفْدٍ مُحَالِ

(٥٢ — ٥٤) أعطيت نعالا ، يشير بذلك إلى إيقاع الممدوح ببنى محارب حين أحمى لهم الأحجار وسيرهم عليها فتساقط لحم أقدامهم . والشاعر يقول على سبيل التهكم إنه ألبسهم نعالا . محذوة بمثال من حذا النعل حذواً أى قطعها وقدرها على مثال (أو ما نسميه قالب) يقصد أن العقاب كان على قدر جرمهم . كبا الوجه تغير لونه من الفزع .

(٥٥ — ٥٧) المقتال المتحكم لأنه يقتال ما يشاء وهو على وزن مفتعل من القول . التالد القديم . العتيق الكريم من كل شيء . القباب جمع قبة وهى الخيمة الضخمة . الآكال قطائع كانت الملوك تقطعها للأشراف . الميل جمع أميل ، وهو الذى يميل على السرج من الجبن . عواوير جمع عوار وهو الجبان الضعيف . الأعزل الذى لا سلاح معه . الأكفال جمع كفل بكسر الكاف وهو من لا يثبت فى الحرب .

(٥٨ — ٦٠) وسوق جمع وسق بفتح الواو وسكون السين وهو الحمل . الكرة البعر يفتت ثم يذر على الدروع بعد أن تدهن بالزيت حتى لا تصدأ . الطلال جمع طل وهو المطر الضعيف .

(٦١ — ٦٤) المسند الدعى وهو الذى يدعى لغير أبيه أو المتهم فى نسبه . الزمال الضعيف . الغداة البكرة أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس . غب الشىء عاقبته أو ما بعده . صقله بالعصا ضربه بها وأدبه ، وصقل الناقة أضمرها . دان الرباب ملكها . الدين المجازاة ، ومنه قوله تعالى (مالك يوم الدين) ، والدين كذلك الطاعة . الدراك المتلاحق المتتابع . الذنوب الدلو المملوءة . محال مصبوب ، ضربه مثلا للموت .

٦٥ـــ كتيبةٌ ضخمة ، تحمي اللاجيء المستجير ، تمدها قطع الخيل رِعَالاً من ورائها رِعَال

٦٦ـــ تذهل الشيخ عن بنيه ، وتشرد الإبل ، قد اعتزل بها راعيها وأوغل في أطراف الرمال

٦٧ـــ ثم لم تجد « الرباب » بدأ من الطاعة ، بعد ما أصابهم من عذاب الملوك والنكال

٦٨ـــ ولقد كانوا طالما تمنوا لقاءك ، وجمعوا العدد والرجال ، بين حل وترحال

* * *

٦٩ـــ وملكت نواصي « دُودان » و « ذُبيان » حين كرهوا البأس ولم يصبروا للقتال

٧٠ـــ واتصل في حريم الشتاء بالربيع ، حتى بدلتهم حالا من بعد حال

٧١ـــ كم كأس سفحته ذلك اليوم ، وكم أسير من معشر أُقْتَال

٧٢ـــ ونساء كأنهن الغيلان من أثر الذلة في « شطى أريك » ، وشيوخ أُخرِجُوا عما يملكون من مال

٧٣ـــ ورجلين من جندك كانا معدمين حليفَ فقر وإقلال

٧٤ـــ قسما ما اجتمع لهما من الغنائم بين طارف وتليد ، فآبا كلاهما ذومال

* * *

٧٥ـــ لن تزالوا كذلكم مظفرين ، وأبقاك الله لقومك خالداً خلود الجبال

٦٥— فَخْمَةً يَلْجَأُ المُضَافُ إِلَيْهَا ... وَرِعَالاً مَوْصُولَةً بِرِعَالِ

٦٦— تُخْرِجُ الشَّيْخَ مِنْ بَنِيهِ وَتُلْوِي ... بِلَبُونِ المِعْزَابَةِ المِعْزَالِ

٦٧— ثُمَّ دَانَتْ بَعْدُ الرِّبَابُ وَكَانَتْ ... كَعَذَابٍ عُقُوبَةُ الأَقْوَالِ

٦٨— عَنْ تَمِيمٍ وطُولِ حَبْسٍ وَتَجْمِيـ ... ـعِ شَتَاتٍ وَرِحْلَةٍ وَاحْتِمَالِ

٦٩— مِنْ نَوَاصِي دُودَانَ إِذْ كَرِهُوا الْـ ... ـبَأْسَ وَذُبْيَانَ وَالهِجَانِ الغَوَالِي

٧٠— ثُمَّ وَصَلْتَ صِرَّةً بِرَبِيعٍ ... حِينَ صَرَّفْتَ حَالَةً عَنْ حَالِ

٧١— رُبَّ رِفْدٍ هَرَقْتَهُ ذَلِكَ الْيَوْ ... مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أَقْتَالِ

٧٢— وَشُيُوخٍ حَرْبَى بِشَطَّيْ أَرِيكٍ ... وَنِسَـــاءٍ كَأَنَّهُنَّ السَّعَالِي

٧٣— وَشَرِيكَيْنِ فِي كَثِيرٍ مِنَ المَا ... لِ وَكَانَا مُحَالِفَيْ إِقْلَالِ

٧٤— قَسَمَا الطَّارِفَ التَّلِيدَ مِنَ الغُنْـ ... ـمِ فَآبَا كِلَاهُمَا ذُو مَالِ

٧٥— لَنْ تَزَالُوا كَذَلِكُمْ ثُمَّ لَا زِلْـ ... ـتَ لَهُمْ خَالِدًا خُلُودَ الجِبَالِ

(٦٥ — ٦٧) فخمة أي كتيبة فخمة كبيرة ضخمة . المضاف في الحرب هو الذي أحيط به . الرعال جمع رعلة وهي القطعة من الخيل . تلوى تذهب . ناقة لبون ذات لبن . المزابة التي يجرب بإبله ويعد بها في المرعى . المعزال الذي لا يخالط الناس لأن الرعاة قلما تخالطون الناس . الأقوال الملوك . وكذلك الأقيال (جمع قيل)

(٦٨ — ٧٠) الاحتمال الارتحال . دودان قبيلة من بني أسد بن خزيمة ، منهم زينب بنت جحش زوج النبي والكميت بن زيد الشاعر . النواصي جمع ناصية وهي الرأس . البأس القتال . الهجان الخيار من كل شيء، يستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع . الصرة شدة البرد في الشتاء . حالة عن حال ، من عذا يعني بعد .

(٧١ — ٧٣) الرفد القدح الضخم، يكني بإراقة الرفد عن الموت . أقتال أصحاب ترات ، جمع قتل بكسر وسكون وهو العدو . حربى جمع حريب وهو من حرب ماله أي سلبه . السعالي الغيلان .

(٧٤ — ٧٥) الطارف التليد . يعني ورثوه من جدهم فنما عندنا المال وكان تليدا أي قديما موروثا عند أصحابه فأصبح طارفا أي جديدا مستحدثا عندهما .

لم يحفظ لنا التاريخ إلا نتفاً مفرقة عن قيس بن معديكرب ممدوح الأعشى ، يتعب الباحث فى جمعها وتلفيقها . هو كندى من بنى الحارث ابن معاوية(١) وأبوه هو معديكرب غلفاء بن الحارث بن عمرو بن حجر آكل المرار ، قال الأنبارى ، فى شرح المفضليات ، يقص تاريخ الحارث ابن عمرو بن حجر وتاريخ أبنائه حجر وشرحبيل ومعديكرب وسلمة ، ويختم ذلك بقوله : فأصاب معديكرب الزبوانى ، وضرب سلمة الفالج ، فانخرق ملكهم حين أصابهم هذا وتفرق ، ودخلوا حضرموت . فخرج الملك من بنى آكل المرار ، وساد بنو الحارث بن معاوية . فأول من ساد منهم قيس بن معديكرب أبو الأشعث ، ثم الأشعث بن قيس . فأسلم الأشعث وهو متوج(٢) . ولهم قصة طريفة فى سيادة قيس . قالوا إن قيسبة ابن كلثوم السكونى(٣) — وكان ملكا — خرج يريد الحج على عادة العرب فى جاهليتها ، فمر ببنى عامر بن عقيل ، فنهبوا ماله وأسروه . فلم يزل عندهم أسيراً حتى علم أخوه الجون بن كلثوم فأتى قيس بن معديكرب ، فسأله العون فى استنقاذ أخيه ، فقبل على شرط أن يسير تحت لوائه ، فانصرف الجون مستكبراً — وكان من ملوك كندة — ثم راجعه قومه فى ذلك وقالوا له : وما عليك من هذا ، هو ابن عمك ويطلب بثأرك ، فانصاع لذلك ، فسار قيس والجون تحت لوائه حتى أوقعا ببنى عقيل واستنقذ قيسبة . فهو أول يوم اجتمعت فيه كندة والسكون لقيس ، وبه أدرك الشرف(٤) ومات قيس مقتولا ، قتله (مراد) . ثم جاء ابنه الأشعث مطالبا بثأره ، فأسرته بنو الحارث بن كعب ، فلم يزل عندهم حتى افتدى بألف قلوص وبألف من طرائف اليمن(٥) . وقد اختلف المؤرخون فى وفاة قيس ، فقال بعضهم إنه أدرك مبعث النبى ، وزعم بعضهم أنه مات فى الجاهلية(٦) ، والقول الأول عندى أرجح ، لأن ابنه الأشعث توفى سنة ٤٢ هـ وعمره ثلاث وستون سنة (٧) ، ومعنى هذا أن الأشعث ولد قبل مبعث النبى بتسع سنوات فقط . وقد عاش قيس حتى كبر ابنه وبلغ مبلغ الرجال ، فقد قدم ثائراً له بعد مقتله — كما يقول القالى وابن قتيبة — وكان الأعشى يكنيه فى مدائحه فيسميه أبا الأشعث(٨) .

ووفد الأشعث على النبى فى سبعين راكباً من كندة فأسلموا سنة ١٠ هـ(٩) ، ثم امتنع عن بيعة أبى بكر وحاربه ، وتألفه أبو بكر بأن زوجه أخته أم فروة(١٠) .

ولقيس بن معديكرب بنت اسمها (قتيلة) تزوجها النبى ، فتوفى قبل أن تصل إليه(١١) . وقد مات الأشعث سنة ٤٢ هـ وله من العمر ثلاثة وستون عاما ، فمولده على هذا الحساب سنة ٦٠١ م ويقول الرواة إن هذه القصيدة هى أول ما مدح به الأعشى قيساً .

يقول الأعشى :

١ — لعمرك ما يطول عمر الإنسان فى هذا الزمن إلا للعناء والشقاء .

٢ — يظل مستهدفاً للموت وللأمراض والأحزان وألوان البلاء .

٣ — وهالك وورى التراب كآخر يعيش فى قفرة بين الأحياء .

٤ — ما تغادر أحداث الدهر ونوائبه من صغير أو كبير .

٥ — ولا تدفع عنى رحلتى وتنقلى فى البلاد القضاء المرير .

٦ — فالموت مستوثق منى وإن أجلنى إلى حين .

٧ — لا تغيب عنى عينه ، فأنا بين يديه رهين .

٨ — أزال (أذينة) عن ملكه ، وأخرج (ذا يزن) وقد حوته الحصون .

٩ — وخان النعيم (أبا مالك) وقد ظنه يدوم ، وكذلك دأب الزمن الخئون

١٠ — يهلك الملوك ويفنيهم ، ويخرج الناس عن مُسْتقرِّهم فى دار الشُّجون

١١ — أين منى عهد الشباب ولذاته ، إذ أنا ناعم فى المترفين

١٢ — طاوعت الناصح فأسلمت له القياد ، وقد كنت وعرا لا ألين

(١،٢) شرح المفضليات ص ٤٤١ ط . أوروبا . (٢) شرح المفضليات ٤٣٧ ، ٤٤١ ، ٤٤٠ . (٣) : السكون فرع من كندة . (٤) الأغانى ٩ : ١٧٣ ، ١١ : ١٢٥ ط . بولاق . (٥) الأمالى ٣ : ١٤٦ ط . دار الكتب ، المعارف ١٤٥ . (٦) تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء للأصفهانى ص ٩٣ ط . برلين ، خزانة الأدب ٢ : ٣٦٣ . (٧) الإصابة ١ : ٥٠ . (٨) القصائد ٦٨ ، ٧٨ بالديوان (٩) الإصابة ١ : ٥٠ (١٠) المعارف ١٤٥ (١١) خزانة الأدب ٢ : ٣٦٣ .

وقال يمدح قيس بن معديكرب الكندى :

(متقارب)

١ — لَعَمْرُكَ مَا طُولُ هٰذَا الزَّمَنْ ... عَلَى الْمَرْءِ إلاَّ عَنَاءٌ مُعَنّ

٢ — يَظَلُّ رَجِيماً لِرَيْبِ الْمَنُونِ ... وَلِلسُّقْمِ فِى أَهْلِهِ وَالْحَزَنْ

٣ — وَهَالِكِ أَهْلٍ يُجِنُّونَهُ ... كَآخَرَ فِى قَفْرَةٍ لَمْ يُجَنّ

٤ — وَمَا إِنْ أَرَى الدَّهْرَ فِى صَرْفِهِ ... يُغَادِرُ مِنْ شَارِخٍ أَوْ يَفَنْ

٥ — فَهَلْ يَمْنَعَنِّى ٱرْتِيَادِى الْبِلاَ ... دَ مِنْ حَذَرِ الْمَوْتِ أَنْ يَأْتِيَنْ

٦ — أَلَيْسَ أَخُو الْمَوْتِ مُسْتَوْثِقاً ... عَلَىَّ وَإِنْ قُلْتُ قَدْ أَنْسَأَنْ

٧ — عَلَىَّ رَقِيبٌ لَهُ حَافِظٌ ... فَقُلْ فِى ٱمْرِىءٍ غَلِقٍ مُرْتَهَنْ

٨ — أَزَالَ أُذَيْنَةَ عَنْ مُلْكِهِ ... وَأَخْرَجَ مِنْ حِصْنِهِ ذَا يَزَنْ

٩ — وَخَانَ النَّعِيمُ أَبَا مَالِكٍ ... وَأَىُّ ٱمْرِىءٍ لَمْ يَخُنْهُ الزَّمَنْ

١٠ — أَفَادَ الْمُلُوكَ فَأَفْنَاهُمُ ... وَأَخْرَجَ مِنْ بَيْتِهِ ذَا حَزَنْ

١١ — وَعَهْدُ الشَّبَابِ وَلَذَّاتُهُ ... فَإِنْ يَكُ ذٰلِكَ قَدْ نُتَدَنْ

١٢ — وَطَاوَعْتُ ذَا الْحِلْمِ فَٱقْتَادَنِى ... وَقَدْ كُنْتُ أَمْنَعُ مِنْهُ الرَّسَنْ

(١ — ٣) معن إسم فاعل من عنى بتشديد النون أى أتعب وأشق . الرجيم الملعون ، رجمه رماه بالحجارة وقتله أو قذفه ولعنه وطرده . ريب المنون صرف الدهر وتقلبه ومصائبه . يجنونه يسترونه فى الأرض ويدفنونه .

(٤ — ٦) صرف الدهر نوائبه ، الشارخ الشاب . اليفن الشيخ الكبير . أنساء أخره وأجله .

(٧ — ٩) غلق الرهن (من باب طرب) استحقه المرتهن ، وذلك إذالم يفتك فى الوقت المشروط .

(١٠ — ١٢) أفاد أهلك . فاد الرجل يفود هلك . ودنه وودنه (بتخفيف الدال وتشديدها) بله ونقعه . وودن العروس أحسن القيام عليها ، والأودن الناعم ، وتودن الجلد لان . الصبا بكسر الصاد الشوق . الشجن الحزن والهم .

١٣ — وعاصيت قلبي بعد الصبى ، فأمسى فارغا لا تحركه الأشجان

١٤ — وياربما شربت الراح ياحبيبتي مسافراً وفى الأوطان

١٥ — وياربما خرجت للريف مقيما على شربها حتى يقول الناس طالت إقامة النشوان

١٦ — وأمتعت نفسي من الغانيات بين زوج وخليل

١٧ — من كل بيضاء مقدولة القوام ، جلدها ناصع كاللبن صقيل

١٨ — إذا أقبلت فالخصر دقيق جميل ، وإن أدبرت فالردف فخم ثقيل

١٩ — وإن نازلت قريناً ، وكان القتال بما حوت الأسفاط من عطر وطيب

٢٠ — أقبلت على الضجيع وقد رقد ، وأوشك النوم أن يثقل جفون الحبيب

٢١ — تعاطيه خمرا طيبة الطعم ، تفور وتزبد بين الدّنّ والكوب

٢٢ — يناولها الساقيان الكأس ممزوجا بماء بارد من قِرْبَةٍ خَلَقٍ رطيب

* * *

٢٣ — وبيداء قفر جرداء ، كأنها ثوب يمنى مخطط ، راكدة المياه مطموسة الآبار

٢٤ — قطعتها حين توسطت الشمس السماء ، وخفق السراب ، بناقة ضخمة كأنها قصرٌ جبّار

— ٢ —

١٣— وَعَاصَيْتُ قَلْبِيَ بَعْدَ الصِّبَى   وَأَمْسَى وَمَا إِنْ لَهُ مِنْ شَجَنْ

١٤— فَقَدْ أَشْرَبُ الرَّاحَ قَدْ تَعْلَمِيـ   ـنَ يَوْمَ الْمُقَامِ وَيَوْمَ الظَّعَنْ

١٥— وَأَشْرَبُ بِالرِّيفِ حَتَّى يُقَا   لَ قَدْ طَالَ بِالرِّيفِ مَا قَدْ دَجَنْ

١٦— وَأَقْرَرْتُ عَيْنِي مِنَ الْغَانِيَا   تِ إِمَّا نِكَاحاً وَإِمَّا أُزَنْ

١٧— مِنْ كُلِّ بَيْضَاءَ مَمْكُورَةٍ   لَهَا بَشَرٌ نَاصِعٌ كَاللَّبَنْ

١٨— عَرِيضَةُ بُوصٍ إِذَا أَدْبَرَتْ   هَضِيمُ الْحَشَا شَخْتَةُ الْمُحْتَضَنْ

١٩— إِذَا هُنَّ نَازَلْنَ أَقْرَانَهُنَّ   وَكَانَ الْمِصَاعُ بِمَا فِي الْجُوَنْ

٢٠— تُعَاطِي الضَّجِيعَ إِذَا أَقْبَلَتْ   بُعَيْدَ الرُّقَادِ وَعِنْدَ الْوَسَنْ

٢١— صَلِيفِيَّةً طَيِّباً طَعْمُهَا   لَهَا زَبَدٌ بَيْنَ كُوبٍ وَدَنْ

٢٢— يَصُبُّ لَهَا السَّاقِيَانِ الْمِزَا   جَ مُنْتَصَفَ اللَّيْلِ مِنْ مَاءِ شَنْ

٢٣— وَبَيْدَاءَ قَفْرٍ كَبُرْدِ السَّدِيرْ   مَشَارِبُهَا دَاثِرَاتٌ أُجُنْ

٢٤— قَطَعْتُ إِذَا خَبَّ رَيْعَانُهَا   بِدَوْسَرَةٍ جَسْرَةٍ كَالْفَدَنْ

(١٤ — ١٦) الراح الخمر . الظعن الرحيل والسفر . الريف أرض فيها زرع وخصب . دجن ثبت وأقام . النكاح الزواج . أزن من الزنى

(١٧ — ١٩) الممكورة المستدقة الأعضاء من اللحم مع دقة العظام . البشر الجلد . البوص العجز . الحشا ما في البطن من الأمعاء . هضيم الحشا أي ضامرة البطن . شختة الطيقة دقيقة . المحتضن الخصر وهو موضع الاحتضان . المصاع مصدر ماصع أي قاتل . الجون جمع جونة وهو السفط فيه طيب . يريد أنهن يتطيبن ، فجعل ذلك سلاحهن .

(٢٠ — ٢٢) الوسن النوم . صليفية معتقة . الدن إناء فخاري ضخم تحفظ فيه الخمر . الشن القربة الخلق التي نم جلدها من كثرة الاستعمال ، فذلك أطيب لمائها ، لأن رائحة الجلد قد ذهبت ولأنها أبرد للماء .

(٢٣ — ٢٤) السدير أرض باليمن . والبرد ثوب مخطط . المشارب المياه والآبار التي يشرب منها المسافر . داثرات مطموسة بالرمال . أجن جمع آجن وهو الماء المتغير اللون والطعم لركوده . خب النبات طال ، وخب السراب اضطرب . الريع والريعان بسكون الياء اضطراب السراب . الدوسرة الناقة الضخمة . جسرة ضخمة . الفدن القصر .

٢٥ــ حبست حولا كاملا تعلف (اللجين) ، حتى اشتد صغيرُها وأسنّ

٢٦ــ وتراكم الشحم فى سنامها فامتلأ وطال فوق هيكلها الضخم ، كأنها صخرة ملساء فى هضبة غزيرة الأمطار

٢٧ــ أفنيتها واستنفدت عزمها ونشاطها فوق صحراء جرداء كالرّداء

٢٨ــ تراقب عن يمينها سوطاً بكفى شديد الفتل ، قد ألانه الضرب

٢٩ــ قاصدة (قيساً) ، وكم دونه من فياف ، ومن وُعور خُشُن

٣٠ــ ومن عدو كالح الوجه ، إذا تقربت إليه بنسبي تجاهل واضطغن

٣١ــ ومن بئر راكد ، لم تزل تسفى عليه الرياح البعر والتراب حتى اندفن

٣٢ــ وذئب أجاوره فى برد الشتاء غير أمين ولا مؤتمن

* * *

٣٣ــ ولكن ربى عوضنى عما لقيت من تعب وعناء

٣٤ــ حين بلغت سيدا ماجدا وثيقاً جزيل العطاء

٣٥ــ كريم الشمائل من (بنى معاوية) ذوى الطبائع الكريمة السمحاء

٣٦ــ إن تبعته بلغت الرشاد ، وإن سألته أجاب النداء

٣٧ــ وإن لجأت إلى حكمه فقد لجأت إلى جبل ثابت البناء

٣٨ــ صلب لا يرزح تحت الشدائد ولا تثقل عليه ، ماضى العزيمة ليس بعظمه وهن

٣٩ــ مأمون الغدر ، لا يسقط على جاره التلف ، كما تسقط العصا تُدَقّ بها أوراق (اللجن)

٢٥— بِحِقَّتِهَا حُبِسَتْ فِي اللَّجِيـ ‏ نِ حَتَّى السَّدِيسُ لَهَا قَدْ أَسَنْ

٢٦— وَطَالَ السَّنَامُ عَلَى جَبْلَةٍ ‏ كَخَلْقَاءَ مِنْ هَضَبَاتِ الدَّجَنْ

٢٧— فَأَفْنَيْتُهَا وَتَعَالَلْتُهَا ‏ عَلَى صَحْصَحٍ كَرِدَاءِ الرَّدَنْ

٢٨— تُرَاقِبُ مِنْ أَيْمَنِ الْجَانِبَيْـ ‏ نِ بِالْكَفِّ مِنْ مُحْصَدٍ قَدْ مَرَنْ

٢٩— تَيَمَّمْتُ قَيْسًا وَكَمْ دُونَهُ ‏ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ مَهْمَهٍ ذِي شَزَنْ

٣٠— وَمِنْ شَانِئٍ كَاسِفٍ وَجْهُهُ ‏ إِذَا مَا انْتَسَبْتُ لَهُ أَنْكَرَنْ

٣١— وَمِنْ آجِنٍ أَوْلَجَتْهُ الْجَنُو ‏ بُ دِمْنَةَ أَعْطَانِهِ فَانْدَفَنْ

٣٢— وَجَارٍ أُجَاوِرُهُ إِذْ شَتَوْ ‏ تُ غَيْرِ أَمِينٍ وَلَا مُؤْتَمَنْ

٣٣— وَلَكِنْ رَبِّي كَفَى غُرْبَتِي ‏ بِحَمْدِ الْإِلَهِ فَقَدْ بَلَّغَنْ

٣٤— أَخَا ثِقَةٍ عَالِيًا كَعْبُهُ ‏ جَزِيلَ الْعَطَاءِ كَرِيمَ الْمِنَنْ

٣٥— كَرِيمًا شَمَائِلُهُ مِنْ بَنِي ‏ مُعَاوِيَةَ الْأَكْرَمِينَ السُّنَنْ

٣٦— فَإِنْ يَتْبَعُوا أَمْرَهُ يَرْشُدُوا ‏ وَإِنْ يَسْأَلُوا مَالَهُ لَا يَضِنْ

٣٧— وَإِنْ يُسْتَضَافُوا إِلَى حُكْمِهِ ‏ يُضَافُوا إِلَى هَادِنٍ قَدْ رَزَنْ

٣٨— وَمَا إِنْ عَلَى قَلْبِهِ غَمْرَةٌ ‏ وَمَا إِنْ بِعَظْمٍ لَهُ مِنْ وَهَنْ

٣٩— وَمَا إِنْ عَلَى جَارِهِ تَلْفَةٌ ‏ يُسَاقِطُهَا كَسِقَاطِ اللَّجَنْ

(٢٥ — ٢٦) بحقتها أى سنة كاملة ؛ والحقة الحق الواجب ، وأتت الناقة على حقها أى على وقت ضرابها . اللجين نوع من علف الإبل يدق فيه الخبط حتى يتلزج ثم يخلط بالدقيق أو الشعير . السديس السن التى فى السنة الثامنة بين شاط أسنانه السابقة (السدس) ويخرج تامه . الجبلة الضخمة العظيمة الخلق . خلقاء ملساء أى صخرة ملساء . الدجن المطر . يقول إن توالى الأمطار صقل الصخرة .

(٢٧ — ٢٩) تعاللتها أخذت علالتها ، والعلالة البقية من كل شىء . الصحصح المستوى من الأرض . الردن الخز . محصد مفتول يعنى السوط . المارن اللين الذى قد ألانه الضرب . ذى شزن غليظ ، والشزن الغلظ .

(٣٠ — ٣٢) الشانئ المبغض ، والشانئ المبغض . الكاسف الوجه العابس المتغير . آجن بئر أو ماء راكد . الجنوب ريح . الدمنة البعر وآثار الدار . الأعطان منازل الإبل . وجار أراد الذئب فهو جاره فى الشتاء فى هذه الرحلة الطويلة .

(٣٣ — ٣٥) المنن جمع منة وهى النعمة والعطاء . بنو معاوية رهط قيس بن معديكرب . السنن الوجوه والطبائع .

(٣٦ — ٣٩) استضاف به استغاث . هادن ثابت . رزن الرجل رزانة وقر فهو رزين . غمرة الشىء شدته ومزدحمه ، وغمرات الموت شدائده ومكارهه . التلفة الهلاك . اللجن ورق من أوراق الشجر يدق ويخلط بدقيق أو شعير ثم يجعل علفا للماشية .

— ٢ —

٢٥— بِحِقَّتِهَا حُبِسَتْ فِي اللَّجِيـ   ـنِ حَتَّى السَّدِيسُ لَهَا قَدْ أَسَنْ

٢٦— وَطَالَ السَّنَامُ عَلَى جَبْلَةٍ   كَخَلْقَاءَ مِنْ هَضَبَاتِ الدُّجَنْ

٢٧— فَأَفْنَيْتُهَا وَتَمَالَتُهَا   عَلَى صَحْصَحٍ كَرِدَاءِ الرَّدَنْ

٢٨— تُرَاقِبُ مِنْ أَيْمَنِ الْجَانِبَيْـ   ـنِ بِالْكَفِّ مِنْ مُحْصَدٍ قَدْ مَرَنْ

٢٩— تَيَمَّمْتُ قَيْسًا وَكَمْ دُونَهُ   مِنَ الْأَرْضِ مِنْ مَهْمَهٍ ذِي شَزَنْ

٣٠— وَمِنْ شَانِئٍ كَاسِفٍ وَجْهُهُ   إِذَا مَا انْتَسَبْتُ لَهُ أَنْكَرَنْ

٣١— وَمِنْ آجِنٍ أَوْلَجَتْهُ الْجَنُو   بُ دِمْنَةَ أَعْطَانِهِ فَانْدَفَنْ

٣٢— وَجَارٍ أُجَاوِرُهُ إِذْ شَتَوْ   تُ غَيْرِ أَمِينٍ وَلَا مُؤْتَمَنْ

٣٣— وَلَكِنْ رَبِّي كَفَى غُرْبَتِي   بِحَمْدِ الْإِلَهِ فَقَدْ بَلَّغَنْ

٣٤— أَخَا ثِقَةٍ عَالِيًا كَعْبُهُ   جَزِيلَ الْعَطَاءِ كَرِيمَ الْمِنَنْ

٣٥— كَرِيمًا شَمَائِلُهُ مِنْ بَنِي   مُعَاوِيَةَ الْأَكْرَمِينَ السُّنَنْ

٣٦— فَإِنْ يَتْبَعُوا أَمْرَهُ يَرْشُدُوا   وَإِنْ يَسْأَلُوا مَالَهُ لَا يَضِنّ

٣٧— وَإِنْ يُسْتَضَافُوا إِلَى حُكْمِهِ   يُضَافُوا إِلَى هَادِنٍ قَدْ رَزَنْ

٣٨— وَمَا إِنْ عَلَى قَلْبِهِ غَمْرَةٌ   وَمَا إِنْ بِعَظْمٍ لَهُ مِنْ وَهَنْ

٣٩— وَمَا إِنْ عَلَى جَارِهِ تَلْفَةٌ   يُسَاقِطُهَا كَسِقَاطِ اللُّجَنْ

(٢٥ — ٢٦) بحقتها أي سنة كاملة ؛ والحقة الحق الواجب ، وأتت الناقة على حقتها أي على وقت ضرابها . اللجين نوع من علف الإبل يدق فيه الخبط حتى يتلزج ثم يخلط بالدقيق أو الشعير . السديس البعير في السنة الثامنة حين تسقط أسنانه السابقة (السدس) ويخرج ثانية . الجبلة الضخمة العظيمة الخلق . خلقاء ملساء أي صخرة ملساء . الدجن المطر . يقول إن توالى الأمطار مثل الصخرة .

(٢٧ — ٢٩) تمالتها أخذت ثمالتها ، والثمالة البقية من كل شيء . الصحصح المستوى من الأرض . الردن الخز . محصد مفتول يعني السوط . المارن اللين الذي قد ألانه الضرب . ذي شزن غليظ ، والشزن الغلظ .

(٣٠ — ٣٢) الشنآن البغض ، والشانئ المبغض . الكاسف الوجه العابس المتغير . آجن بئر أو ماء راكد . الجنوب ريح . الدمنة البعر وآثار الدار . الأعطان منازل الإبل . وجار أراد الذئب فهو جاره في الشتاء في هذه الرحلة الطويلة .

(٣٣ — ٣٥) المنن جمع منة وهي النعمة والعطاء . بنو معاوية رهط قيس بن معديكرب . السنن الوجوه والطبائع .

(٣٦ — ٣٩) استضاف به استغاث . هادن ثابت . رزن الرجل رزانة وقر فهو رزين . غمرة الشيء شدته ومزدحمه ، وغمرات الموت شدائده ومكارهه . الثلغة الفلاة . اللجن ورق من أوراق الشجر يدق ويخلط بدقيق أو شعير ثم يجعل علفا للماشية .

٤٠— هُوَ الوَاهِبُ المِائَةَ المُصْطَفَا ... ةَ كَالنَّخْلِ زَيَّنَهَا بِالرَّجَنْ

٤١— وَكُلَّ كُمَيْتٍ كَجِذْعِ الخِصَا ... بِ يَرْنُو القِنَاءَ إِذَا مَا صَفَنْ

٤٢— تَرَاهُ إِذَا مَا عَدَا صَحْبُهُ ... بِجَانِبِهِ مِثْلَ شَاةِ الأَرَنْ

٤٣— أَضَافُوا إِلَيْهِ فَأَلْوَى بِهِمْ ... تَقُولُ جُنُونًا وَلَمَّا يُجَنْ

٤٤— وَلَمْ يَلْحَقُوهُ عَلَى شَوْطِهِ ... وَرَاجَعَ مِنْ ذِلَّةٍ فَاطْمَأَنْ

٤٥— سَمَا بِتَلِيلٍ كَجِذْعِ الخِصَا ... بِ حُرِّ القَذَالِ طَوِيلِ الغُسَنْ

٤٦— فَلَأْيًا بِلَأْيٍ حَمَلْنَا الغُلا ... مَ كَرْهًا فَأَرْسَلَهُ فَامْتَهَنْ

٤٧— كَأَنَّ الغُلَامَ نَحَا لِلصُّوَا ... رِ أَزْرَقَ ذَا مِخْلَبٍ قَدْ دَجَنْ

٤٨— يُسَافِعُ وَرْقَاءَ غُورِيَّةً ... لِيُدْرِكَهَا فِي حَمَامٍ ثُكَنْ

٤٩— فَثَابَرَ بِالرُّمْحِ حَتَّى نَحَا ... هُ فِي كَفَلٍ كَسَرَاةِ المِجَنْ

٥٠— تَرَى اللَّحْمَ مِنْ ذَابِلٍ قَدْ ذَوَى ... وَرَطْبٍ يُرَفَّعُ فَوْقَ العُنَنْ

٥١— يَطُوفُ العُفَاةُ بِأَبْوَابِهِ ... كَطَوْفِ النَّصَارَى بِبَيْتِ الوَثَنْ

٥٢— هُوَ الوَاهِبُ المُسْمِعَاتِ الشُّرُو ... بَ بَيْنَ الحَرِيرِ وَبَيْنَ الكَتَنْ

٥٣— وَيُقْبِلُ ذُو البَثِّ وَالرَّاغِبُو ... نَ فِي لَيْلَةٍ هِيَ إِحْدَى اللَّزَنْ

٥٤— لِبَيْتِكَ إِذْ بَعْضُهُمْ بَيْتُهُ ... مِنَ الشَّرِّ مَا فِيهِ مِنْ مُسْتَكَنْ

(٤٠ — ٤٢) الرجن الاقامة، رجن بالمكان أقام ، ورجنت الدابة فى العلف ترجينا حبستها فيه . الكميت الفرس الأحمر الذى يضرب إلى السواد . الخصبة النخلة الكثيرة الحمل . القناء جمع قناة وهى الرمح . الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر . الشاة الثور الوحشى . الأرن المرح والنشاط .

(٤٣ — ٤٥) ضاف إليه مال إليه . وضاف الرجل عدا وأسرع . ألوى به ذهب . الشوط الغاية ونهاية السباق . التليل العنق . الخصاب جمع خصبة وهى النخلة . القذال مؤخر الرأس . الغسن شعر العرف والناصية .

(٤٦ — ٤٨) لأى الرجل أبطأ واحتبس . واللأى البطء والشدة . امتهن الشيء ابتذله واستعمله للمهنة . نحا صرف . الصوار القطيع من بقر الوحش . أزرق باز . دجن بالصيد اعتاده فهو خبير به . سفع الطائر الجارح ضريبته لطمها . ورقاء حمامة فى لونها كدرة كالرماد . ثكن قطع .

(٤٩ — ٥٢) الكفل العجز . السراة الظهر . المجن الترس . ذوى جف وضمر . العنن جمع عنة وهى الحظيرة . العفاة السائلون . الوثن الصنم ، وما له جثة من خشب أو حجر أو فضة .

(٥٣ — ٥٤) البث الحزن . لزن القوم على البئر تزاحموا للاستقاء ، واللزن الشدة والضيق والازدحام . استكن استتر .

٥٥ــ دأبك الحرب والقتال ، ما أنت كالذى يحارب ليشبع بطنه من جوع ، فاذا أُتخِم تراجع وسكن

٥٦ــ إذا فاتته أكلة تداركها بأخرى ، فهو بطين كثير طيات العُكَنْ

٥٧ــ كل همه أن يراقب خصره ، وينظر فى عِطفَيْه ، فانما همك فى الغزو لا فى السمن

٥٨ــ لك فى كل عام غزوة تبلى دوابر الخيل ، وتحت حوافرها حتّ المبرد الخشن

٥٩ــ ترى الفتى وقد حمى وطيسها جاثياً فوق الرحل من خشية السقوط ، وقد أكب عليه للوجه والذقن

٦٠ــ أما الشيخ الكبير ، فهو يرجف كما يرجف الجمل المسن ، حين يذكر الأهل فيشتاق للوطن

٦١ــ ولما رأى العدو من ساعتهم ماراًوا من منظر الجيوش وما فيها من شرّ قد كمن

٦٢ــ أخذتهم الحيرة واعتراهم الذهول ، فهم بين يأس ويَقَنْ

٦٣ــ ....

٦٤ــ واندفع الفرسان المغاوير ، تتقدمهم رماحهم ، وكأنهم يريدون أن يسبقوها ، وقد سطع الغبار وارتفع الدُّخَنْ

٦٥ــ يغمز الفرسان الأفراس بأرجلهم فى شدة القيظ ، فتدر على أسوقهم ركضاً إذا مال السراب وارْجَحَنّ

* * *

٦٦ــ ويتحدث النسوة عنك قائلات : أى شيء قد ادخر من هذه الغارات وماذا اختزن ؟

٦٧ــ وما أكثر ما أخذت خيله من نعم ، وما أكثر ما خلفت من عدوات وإحَنْ

٦٨ــ وما أكثر ماعادت إليه محملة بالأسلاب ، توضع بين يدى رجل إذا كسب المال لم يختزن

٦٩ــ وإنما إنفاقه على حسن الأحدوثة وطيب الذكر ، يشتريه بأغلى الثمن

٥٥ — ولم تسع للحرب سعي امرئ ... إذا بطنة راجعته سكن

٥٦ — (عليها وإن فاته أكله ... تلاقى لأخرى عظيم العكن)

٥٧ — ترى همه نظرا خصره ... وهمك في الغزو لا في السمن

٥٨ — وفي كل عام له غزوة ... تحت الدوابر حت السفن

٥٩ — حجون تظل الفتى جاذبا ... على واسط الكور عند الذقن

٦٠ — ترى الشيخ منها لحب الإيا ... ب برجف كالشارف المستحن

٦١ — فلما رأى القوم من ساعة ... من الرأي ما أبصروه اكتمن

٦٢ — وما بالذي أبصرته العيو ... ن من قطع يأس ولا من يقن

٦٣ — فبينا تماروا بهم أرسلت ... على سنة الرأي . . . . .

٦٤ — تباري الزجاج مغاويرها ... شماطيط في رهج كالدخن

٦٥ — تدر على أسؤق الممتريـ ... ن ركضا إذا ما السراب ارجحن

٦٦ — فيا عجب الرهن للقائلا ... ت من آخر الليل ماذا احتجن

٦٧ — وما قد أخذن وما قد تركـ ... ن في الحي من نعمة ودمن

٦٨ — وأقبلن يعرضن نحو امرئ ... إذا كسب المال لم يختزن

٦٩ — ولكن على الحمد إنفاقه ... وقد يشتريه بأغلى الثمن

(٥٥ — ٥٩) البطنة الكظة وهي أن تمتلىء من الطعام امتلاء شديدا . الدوابر مآخير الحوافر . السفن البرد . تحتها تحترها وتبردها . الحجون الفتوة البعيدة الطويلة . الكور الرحل بأداته.

(٦٠ — ٦٣) الشارف الجمل الهرم . الرأي المنظر . تماري فيه شك . سنة الرأي قصده وصوابه .

(٦٤ — ٦٥) الزجاج جمع زج بضم الزاي وهو الحديدة التي في أسفل الرمح . شماطيط فرقا وجماعات . الرهج الغبار . مرى الدابة بساقه يمريها ركضها أي حثها بتحريك رجليه . ارجحن مال واهتز . وارجحن السراب ارتفع وذلك وقت الظهر وعند اشتداد الحر

(٦٦ — ٦٩) ياعجب الرهن عبارة تفيد التعجب ، ولم أعثر على تحقيقها في المعاجم . والرهن مصدر رهن ، رهن بالمكان ثبت ودام ومنه نعمة راهنة أي دائمة . ورهى الرجل والفرس أي سار راهنا مهزولا . احتجن المال ضمه إلى نفسه واحتواه . الدمن جمع دمنة وهي العداوة . وأعرض الشيء ظهر وبرز ، ومنه (وأعرضت اليمامة واشمخرت) أي ظهرت .

٧٠ــ لايدع السعي للحمد والثناء ، وليس يشترى الحمد بالتوانى ولا الوَهَنْ

٧١ــ عليه سلاح رجل قد طال تمرسه بالقتال ، حتى خبر الحرب وامتحن

٧٢ــ نَبْلٌ طوال تسرع إلى أهدافها كأنها النحل ، يدفعها قوس من شجر (السراء) مفسرح قليل الأُبَنْ

٧٣ــ وسيف إذا هُزَّ هَبَّ ، غامض الجِرَاح صقيل متناسق كأنه الشَّطَنْ

٧٤ــ ودرع بيضاء تترقرق كأنها ماء الغدير ، قد نسجت حلقتين حلقتين ، واتصل بآخرها غطاء للرأس

٧٥ــ وإنه لبصير بمواضع الطعن ، يسدد ضرباته بين فروج الدرع ، ويضرب برمحه أوائل الخيل فتحبس

* * *

٧٦ــ هذا ثناء رجل قد قصدك من بعيد قاطعاً (القَرَنْ)

٧٧ــ وقد عشت زمنا فى العراق عفيف المنزل مستغنياً عن الناس

٧٨ــ حولى قومى من بكر وأنصارهم ، لا أبالى وعيد ذى البأس

٧٩ــ وترامى إلىَّ خبرك ، فزعم الزاعمون ـ وليس لى علم ـ أن (قيساً) خير أهل اليمن

٨٠ــ وأنه رفيع الوساد ، طويل النجاد ، ضخم الجفنة ، رحب الطَّعَنْ

٨١ــ ينفذ بفكره إلى صميم المشاكل ، كما يشق الحائك ثوب الرَّدَنْ

٨٢ــ فجئتك أرتاد ما أنبئت ، ولولا الذى سمعت لم ترن

٨٣ــ فلا تحرمنى جزيل نداك ، فانى امرؤ قبلكم لم أهَنْ

٧٠— وَلَا يَدَعُ الحَمْدَ أَوْ يَشْتَرِيـ   ـهِ بِوَشْكِ الفُتُورِ وَلَا بِالتَّوَنْ

٧١— عَلَيْهِ سِلَاحُ امْرِئٍ مَاجِدٍ   تَمَهَّلَ فِي الحَرْبِ حَتَّى اثْخَنْ

٧٢— سَلَاجِمَ كَالنَّحْلِ أَنْحَى لَهَا   قَضِيبَ سَرَاءٍ قَلِيلَ الأُبَنْ

٧٣— وَذَا هَبَّةٍ غَامِضًا كَلْمُهُ   وَأَجْرَدَ مُطَّرِدًا كَالشَّطَنْ

٧٤— وَبَيْضَاءَ كَالنِّهْيِ مَوْضُونَةً   لَهَا قَوْنَسٌ فَوْقَ جَيْبِ البَدَنْ

٧٥— وَقَدْ يَطْعَنُ الفَرْجَ يَوْمَ اللِّقَا   ءِ بِالرُّمْحِ يَحْبِسُ أُولَى السُّنَنْ

٧٦— فَهَذَا الثَّنَاءُ وَإِنِّي امْرُؤٌ   إِلَيْكَ بِعَمْدٍ قَطَعْتُ القَرَنْ

٧٧— وَكُنْتُ امْرَءًا زَمَنًا بِالعِرَاقِ   عَفِيفَ المُنَاخِ طَوِيلَ التَّغَنْ

٧٨— وَحَوْلِي بَكْرٌ وَأَشْيَاعُهَا   وَلَسْتُ خَلَاةً لِمَنْ أَوْعَدَنْ

٧٩— وَنُبِّئْتُ قَيْسًا وَلَمْ أَبْلُهُ   كَمَا زَعَمُوا خَيْرَ أَهْلِ اليَمَنْ

٨٠— رَفِيعَ الوِسَادِ طَوِيلَ النِّجَا   دِ ضَخْمَ الدَّسِيعَةِ رَحْبَ العَطَنْ

٨١— يَشُقُّ الأُمُورَ وَيَجْتَابُهَا   كَشَقِّ القَرَارِيِّ ثَوْبَ الرَّدَنْ

٨٢— فَجِئْتُكَ مُرْتَادَ مَا خَبَّرُوا   وَلَوْلَا الَّذِي خَبَّرُوا لَمْ تَرَنْ

٨٣— فَلَا تَحْرِمَنِّي نَدَاكَ الجَزِيلَ   فَإِنِّي امْرُؤٌ قَبْلَكُمْ لَمْ أُهَنْ

(٧٠ — ٧١) الوشك القرب . أو هنا بمعنى إلا . أثخن صار صلبا غليظا وهو افعل من ثخن ثخونة وثخانة أي غلظ وصلب . ويجوز فيها التاء بدل الثاء أيضا فتقول أتخن .

(٧٢ — ٧٤) سلاجم طوال يريد بها النبل . كالنحل في سرعتها . أنحى لها قصد لها ووجه لها . السراء شجر تعمل منه القسي . الأبن جمع أبنة وهي العقد . وإنما يختار القوس العود السليم الذي ليس فيه عقد فذلك أقوى لها وأشد . ذا هبة يريد السيف كأنه يهب ويستيقظ إذا هز . مطرد متتابع ليس بعضه غليظاً وبعضه دقيقا . الشطن الحبل . بيضاء يقصد الدرع . النهي الغدير ، يشبهها به في تموج بريقها . موضونة منسوجة حلقتين حلقتين . القونس البيضة أو المغفر وهو زرد ينسج على قدر الرأس ويلبس تحت القلنسوة . الجيب فتحة الرأس . البدن الدرع القصير .

(٧٥ — ٧٨) الفرج كل فرجة بين شيئين ويقصد بها فروج الدرع أو الفتحات التي تبدو فيه . سنن الخيل أوائلها . المناخ محل الإقامة . التغن الاستغناء . الخلى الرطب من النبات وكل بقلة قلعتها فهي خلى ، يريد أنه ليس ضعيفاً حتى يتوعده أحد أو يتهدده ومن حوله قومه الأقوياء من (بكر) .

(٧٩ — ٨١) رفيع الوساد يكنى عن سمو مكانته . طويل النجاد يكنى به عن طول قامته ، والنجاد حمائل السيف . الدسيعة الجفنة الكبيرة يكنى بذلك عن كرمه . العطن للمناخ حول مورد الماء . اجتابه اجتيابا خرقه ، واجتاب الأرض قطعها . القراري الخياط . الردن الخز . الارتياد طلب النجعة والكلأ .

يقرن بعض نقاد الشعر بين هذه القصيدة وبين قصيدة مروان ابن أبي حفصة

طرقتك زائرة فحي خيالها   بيضاء تخلط بالجمال دلالها

وقد كان خلف الأحمر يفضلها على قصيدة الأعشى هذه :

(١ — ٤) يلوم الأعشى صاحبته (سُمَيَّة) على صدودها عنه ، فيقول إنها قد رحلت جمالها في الغداة غضبى عليه . ثم يتساءل ماذا بدا لها ؟ وفيم هذا الهم الطويل الذي ينتابها في الليل وقد بدا النهار ؟ ويظهر عدم اكتراثه لصدودها . فكم غانية قبلها قد قطع وصالها حين مل صحبتها . وكم أرض أصابها المطر فأزهرت كأن التجار قد نشروا فوقها برودا زاهية الألوان ، قد ارتادها متنقلا بينها

(٥ — ٩) وكم رجل غيور على صاحبته يحرص عليها ، ويبالغ في حياطتها ، فهو لشدة حذره لايكاد ينام ، لم يزل يتأتى لها ، حتى أقبل الليل ، فأصاب منه غفلة عن شأنه ، فخلا بها للذته ، وكان عندها حظياً أثيرا . ومعتقة من خمر بابل حمراء كدم الذبيح ، سلبها حمرتها فكست وجهه ووجناته .

(١٠ — ١١) وقصيدة محكمة غريبة يفد بها على الملوك ، قد أرسلها ليتساءل الناس لشدة إعجابهم بها (من ذا قالها؟)، وجزور قد دعا لحتفها فنحرها لصحبه المقامرين ، وقفر بعيد الأرجاء يُخْشَى فيه الضلال كان جريئاً على ركوبه واقتحامه .

* * *

وهنا ينتقل الشاعر إلى وصف الصحراء في رحلته إلى ممدوحه . فهي مضلة ، عمياء ، موحشة ، يمد فيها بصره ليقدر أميالها ، فوق ناقة ضخمة سلسة القياد ، تنطلق مسرعة وقت الهاجرة ، حين تنكمش الظـــلال تحت أرجل المطى ، فكأن هِرًّا قد علق برحلها . وهي هوجاء تعتسف الطريق اعتسافا ، فتضطرب السيور التي تشد جوانب الرَّحْل إلى أرساغها ، تاركة وراءها أثر أخفافها مطبوعا على الرمال .

وقال يمدح قيس بن معديكرب :

(كامل)

١ — رَحَلَتْ سُمَيَّةُ غُدْوَةً أَجْمَالَهَا   غَضْبَى عَلَيْكَ فَمَا تَقُولُ بَدَا لَهَا

٢ — هَذَا النَّهَارُ بَدَا لَهَا مِنْ هَمِّهَا   مَا بَالُهَا بِاللَّيْلِ زَالَ زَوَالُهَا

٣ — سَفَهًا ، وما تَدْرِى سُمَيَّةُ وَيْحَهَا   أَنْ رُبَّ غَانِيَةٍ صَرَمْتُ وِصَالَهَا

٤ — وَمَصَابِ غَادِيَةٍ كَأَنَّ تِجَارَهَا   نَشَرَتْ عَلَيْهِ بُرُودَهَا وَرِحَالَهَا

٥ — قَدْ بِتُّ رَائِدَهَا ، وَشَاةِ مُحَاذِرٍ   حَذَرًا يُقِلُّ بِعَيْنِهِ أَغْفَالَهَا

٦ — فَظَلِلْتُ أَرْعَاهَا وَظَلَّ يَحُوطُهَا   حَتَّى دَنَوْتُ إِذَا الظَّلَامُ دَنَا لَهَا

٧ — فَرَمَيْتُ غَفْلَةَ عَيْنِهِ عَنْ شَاتِهِ   فَأَصَبْتُ حَبَّةَ قَلْبِهَا وَطِحَالَهَا

٨ — حَفِظَ النَّهَارَ وَبَاتَ عَنْهَا غَافِلاً   فَخَلَتْ لِصَاحِبِ لَذَّةٍ وَخَلَا لَهَا

٩ — وَسَبِيئَةٍ مِمَّا تُعَتِّقُ بَابِلٌ   كَدَمِ الذَّبِيحِ سَلَبْتُهَا جِرْيَالَهَا

١٠— وَغَرِيبَةٍ تَأْتِى الْمُلُوكَ حَكِيمَةٍ   قَدْ قُلْتُهَا لِيُقَالَ مَنْ ذَا قَالَهَا

١١— وَجَزُورِ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَتْفِهَا   وَنِيَاطِ مُقْفِرَةٍ أَخَافُ ضَلَالَهَا

١٢— يَهْمَاءَ مُوحِشَةٍ رَفَعْتُ لِعَرْضِهَا   طَرْفِى لِأَقْدِرَ بَيْنَهَا أَمْيَالَهَا

١٣— بِجُلَالَةٍ سُرُحٍ كَأَنَّ بِغَرْزِهَا   هِرًّا إِذَا انْتَعَلَ الْمَطِىُّ ظِلَالَهَا

١٤— عَسَفًا وَإِرْقَالَ الْهَجِيرِ تَرَى لَهَا   خَدَمًا تُسَاقِطُ بِالطَّرِيقِ نِعَالَهَا

(١ — ٣) زال زوالها استفزت من الفزع وهو من إسناد الفعل إلى مصدره .

(٤ — ٦) غادية سحابة باكرة . مصاب حيث صابت أى مطرت اسم مكان . راد الرجل روداناً دار وذهب وجاء فى طلب شىء . الشاة من الضأن والمعزى يكنى بها عن المرأة . محاذر شديد الحذر عليها دائم المراقبة لها ، وهو زوجها .

(٧ — ٩) سبأ الخمر اشتراها للشرب لا للبيع . الجريال صبغ أحمر . يعنى أنه شربها حمراء وبالها صفراء .

(١٠ — ١٢) غريبة أى قصيدة غريبة لأنها تتناقل على أفواه الرواة . الجزور من الابل خاصة يقع على الذكر والأنثى . دعا لذبحها فى الميسر . نياط الصحراء بعد طريقها فكأنها نيطت بصحراء أخرى فلا تكاد تنقطع ، ناط عليه الشىء علقه ، ونامت الدار بعدت . إليهم الجنون ، واليهماء الصحراء ليس فيها علم يهتدى به السالك . الأميال جمع ميل وهو عند العرب قدر منتهى مد البصر من الأرض .

(١٣ — ١٤) جلالة ضخمة . سرح سهلة . الغرز ركاب الرحل إذا كان من جلد ، فإذا كان من خشب أو حديد فهو ركاب . وهذا شبيه ببيت عنترة :

وكأنما ينأى بجانب دفها ال ... وحشى بعد مخيلة وترنم
هر جنيب كلما عطفت له ... غضبى اتقاها باليدين وبالفم

عسفاً أى هوجا فى سيرها . خدام الابل سيور فوق أرساغها تشد إلى الشرائح ، والشرائح جمع شريحة وهى شىء ينسج من سعف النخل ونحوه ويحمل فيه البطيخ وغيره من المتاع .

(١٥ — ١٩) وقد اختار الأعشى ناقته هذه من بين أربع كرام ، فهى فى غير حاجة إلى من يستحثها أو يستعجلها . ولم يزل يُعْمِلها حتى تركها كالهالك هزالا . كلما جَوَّزَها حِبَالَ قبيلة ، أخذت من الأخرى حبالها إلى الممدوح .

* * *

فاذا أرضى الشاعر نفسه من تصوير هذه الرحلة الشاقة إلى الممدوح انتقل إلى المدح

(٢٠ — ٢٤) فيقول إن (قيسا) قد أثابه ، فكأن الناقة إذ وضعت إليه رحلها لم تلق ما لقيت من ضُرٍّ طوال الشهور الستة التى رحلت فيها إليه . وهو رجل طلق اليدين يسير على نهج آباء كرام . وليس النيل إذا زخر وأزبد ، متفجرا من أرض النبيط ، يسق أهل بابل رغدا ، بأجود نائلا من ممدوحه، حين يتجهم البخيل لسائله .

(٢٥ — ٢٩) ويعيد الشاعر ماقال فى القصيدة السابقة ، من أن الممدوح يهب المائة من الإبل وعبدها ، تتبعها أطفالها تسعى خلفها ، والجواد القارح العدَّاء ، والفرس الخفيفة الوثابة الطويلة ، التى لا تكاد يد الطويل تدرك مؤخر رأسها .

ثم يستطرد الشاعر إلى وصف هذه الفرس . فيشبهها حين تطارد قطعان بقر الوحش بعقاب يسعى لرزق صغاره الضعاف ، وقد خلفهم وراءه فى وادى (السُّلَىّ) . ولا تزال الفرس تجرى بالوليد الذى فوق ظهرها ، حتى يدرك طريدته ، ويقذفها برمحه ، فيصيبها فى عجزها .

ثم يعود الشاعر إلى ممدوحه . فقومه من (كندة) ينتظرون منه ما عودهم من الكرم . فليغفر إذن لجاهلهم هفوته ، وليفض عليهم الخير .

١٥— كانَتْ بقيَّةَ أربعٍ فاعتَمْتُها ... لمَّا رَضيتُ مَعَ النَّجابةِ آلَهَا

١٦— فتَرَكْتُها بعْدَ المِراحِ رذيَّةً ... وأمِنْتُ بعْدَ رُكوبِها إعْجَالَهَا

١٧— فتَناوَلَتْ قيسًا بحُرِّ بلادِهِ ... فأتَتْهُ بعْدَ تنوفةٍ فأنالَهَا

١٨— فإذا تُجوِّزُها حِبالُ قبيلةٍ ... أخذَتْ منَ الأخرى إليكَ حِبالَهَا

١٩— قبلَ امرىءٍ طَلْقِ اليدَيْنِ مُبارَكٍ ... ألْفَى أباهُ بنَجْوةٍ فسَمَا لهَا

٢٠— فكأنَّها لمْ تلْقَ ستَّةَ أشهُرٍ ... ضُرًّا إذا وضَعَتْ إليكَ جِلالَهَا

٢١— ولقدْ نزَلْتُ بخَيْرِ منْ وطِىءَ الحَصى ... قيْسٍ فأثْبَتَ نعْلَها وقِبالَهَا

٢٢— ما النّيلُ أصْبحَ زاخرًا منْ مدِّهِ ... جادَتْ لهُ ريحُ الصَّبا فجَرى لهَا

٢٣— زبِدًا ببابِلَ فهوَ يسْقي أهْلَهَا ... رغَدًا تُفجِّرُهُ النَّبيطُ خِلالَهَا

٢٤— يومًا بأجْوَدَ نائلاً منهُ إذا ... نفسُ البَخيلِ تجهَّمَتْ سُؤَّالَهَا

٢٥— الواهبُ المِائةَ الهِجانَ وعَبْدَهَا ... عُوذًا تُزجِّي خلْفَهَا أطفالَهَا

٢٦— والقارحَ العَدَّا وكُلَّ طِمِرَّةٍ ... ما إنْ تنالُ يدُ الطَّويلِ قَذالَهَا

٢٧— وكأنَّما تَبِعَ الصِّوارَ بشَخْصِها ... فتْخاءُ ترْزُقُ بالسُّلَيِّ عِيالَهَا

٢٨— طلَبًا حثيثًا بالوَليدِ تبُزُّهُ ... حتّى توسَّطَ رُمحُهُ أكْفالَهَا

٢٩— عوَّدْتَ كِنْدةَ عادةً فاصْبِرْ لهَا ... اغْفِرْ لجاهِلِها وروِّ سِجالَهَا

(١٥ — ١٩) رذية هالكة من الهزال . حر بلاده ، حر كل شيء وسطه . تنوفة صحراء . النجوة ما ارتفع من الأرض .

(٢٠ — ٢٢) الجلال جمع جل بضم الجيم وهو ماتلبسه الدابة لتصان به . النعل مايلبس ليق الخف والحافر . القبال زمام النعل وهو السير الذي تشد به بين الاصبع الوسطى والتي تليها ، وهو الشسع بكسر الشين وسكون السين .

(٢٣ — ٢٥) النبيط جيل من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقين ، قيل سموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء . تجهمه وتجهم له استقبله بوجه كريه مكفهر . الهجين الخيار من كل شيء . العوذ الحديثات النتاج . زجى الشيء دفعه برفق .

(٢٦ — ٢٩) قرح ذو الحافر (مثل خضع) انتهى أسنانه ، وذلك بعد خمس سنين . طمرة خفيفة وثابة . القذال جماع مؤخر الرأس . الصوار قطيع البقر . فتخاء عقاب فتخاء أي لينة الجناح . السلي واد دون حجر (بفتح ثم سكون) . حثيثا سريعاً تبزه تغلبه . الكفل العجز . السجال جمع سجل (بفتح فسكون) وهو الدلو العظيمة .

(٣٠—٣٤) وليحمل عنهم أعباءهم حين يحل بهم خطب ، كما يحمل الجمل الذلول أحمال أصحابه .

ويقسم الأعشى بمن جعل الشهور علامة ومواقيت ، أن قيساً لم يكن فى الحرب الضروس — إذا شبت وكأنها النار قد اشتعلت فى الحطب اليابس الجزل — ضعيفاً ولا حديث التجربة . فلقد سعى لقومه من كندة غير واهن ، فقهر عدوها وشيد لها مجدا باقيا .

(٣٥—٣٩) ولقد أهان صالح ماله للفقير من قومه ، وأسى جراحهم وأصلح بينهم وسعى لخيرهم . فهو لا يضيعهم بالغيب كما يفعل امرؤ قد هانت عليه عشرته فغالها .

وممدوحه رجل قوى ، ولكنه سمح كريم . فهو يضر وينفع . وهو حاذق لشئون الحرب ، مغامر قد ألف القتال وأحبه . لا تنال يداه غنيمة حتى يشد الركاب لغنيمة أخرى يغتصبها من صاحب نعمة مترف ليصل بها رحمه وذوى قرباه .

(٤٠—٤٤) ويصف الشاعر ما يشن ممدوحه من غارات طويلة الأمد ، ترى الخيل فيها شعثا قد أجهدها التعب، ولم تقو صغارها على متابعتها ، فغادرتها فى الطريق . وسقطت أعنة الخيل فى هذا المعترك الرهيب الذى اختلطت فيه أصوات الفرسان ، يهيبون بالخيل أن تتقدم ، فلا تُستحث ولا تؤدب بغير الزجر والركض . فإذا كان وقت الغارة ، وأشار الدليل بثوبه ، سُقيت الخيل ، وهُريق ما بقى من ماء ، ليقاتل المقاتلون على ماء العدو .

٣٠— وَكُنْ لَهَا جَمَلًا ذَلُولًا ظَهْرُهُ ... أَحْمِلْ وَكُنْتَ مُعَاوِدًا تَحْمَالَهَا

٣١— وَإِذَا تَحُلُّ مِنَ الخُطُوبِ عَظِيمَةٌ ... أَهْلِي فِدَاؤُكَ فَاكْفِهِمْ أَثْقَالَهَا

٣٢— فَلَعَمْرُ مَنْ جَعَلَ الشُّهُورَ عَلَامَةً ... قَدَرًا فَبَيَّنَ نِصْفَهَا وَهِلَالَهَا

٣٣— مَا كُنْتَ فِي الحَرْبِ العَوَانِ مُغَمَّرًا ... إِذْ شَبَّ حَرٌّ وَقُودِهَا أَجْزَالَهَا

٣٤— وَسَعَى لِكِنْدَةَ غَيْرَ سَعْيِ مُوَاكِلٍ ... قَيْسٌ فَضَرَّ عَدُوَّهَا وَبَنَى لَهَا

٣٥— وَأَهَانَ صَالِحَ مَالِهِ لِفَقِيرِهَا ... وَأَسَى وَأَصْلَحَ بَيْنَهَا وَسَعَى لَهَا

٣٦— مَا إِنْ تَغِيبُ لَهَا كَمَا غَابَ امْرُؤٌ ... هَانَتْ عَشِيرَتُهُ عَلَيْهِ فَغَالَهَا

٣٧— وَتَرَى لَهُ ضُرًّا عَلَى أَعْدَائِهِ ... وَتَرَى لِنِعْمَتِهِ عَلَى مَنْ نَالَهَا

٣٨— أَتَرَى مِنَ الخَيْرِ المُزَيَّنِ أَهْلَهُ ... كَالغَيْثِ صَابَ بِبَلْدَةٍ فَأَسَالَهَا

٣٩— ثَقِفٌ إِذَا نَالَتْ يَدَاهُ غَنِيمَةً ... شَدَّ الرِّكَابَ لِمِثْلِهَا لِيَنَالَهَا

٤٠— بِالخَيْلِ شُعْثًا مَا تَزَالُ جِيَادُهَا ... رُجُعًا تُغَادِرُ بِالطَّرِيقِ سِخَالَهَا

٤١— أَمًّا لِصَاحِبِ نِعْمَةٍ طَرَّحَتْهَا ... وَوِصَالِ رَحْمٍ قَدْ نَضَحْتَ بِلَالَهَا

٤٢— طَالَ القِيَادُ بِهَا فَلَمْ تَرَ تَابِعًا ... لِلْخَيْلِ ذَا رَسَنٍ وَلَا أَعْطَالَهَا

٤٣— وَسَمِعْتُ أَكْثَرَ مَا يُقَالُ لَهَا أَقْدِمِي ... وَالنَّصُّ وَالإِيجَافُ كَانَ صِقَالَهَا

٤٤— حَتَّى إِذَا لَمَعَ الدَّلِيلُ بِثَوْبِهِ ... سُقِيَتْ وَصَبَّ رُوَاتُهَا أَشْوَالَهَا

(٣٠ — ٣٥) ذلول حسن الخلق دمثه . العوان من الحرب هى التى قوتل فيها مرة بعد مرة . المغمر والغمر (بفتح فسكون) الجاهل الأبله الذى لم يجرب الأمور . الجزل (بفتح فسكون) ما عظم من الحطب ويبس . أسا الجرح داواه .

(٣٦ — ٣٨) غاله أى عابه وذكره بالسوء . غالها سعى لفسادها . صاب المطر انصب ونزل .

(٣٩ — ٤١) ثقف رقيق حاذق . شعثا أى متفرقة الشعر منتشرته . رجعا جمع رجيع وهو الذى أعياه السفر فكل . السخل ابن المعز والضأن ويقصد به هنا ابن الفرس . أما أى قصدا وتعمدا ، وأمه أى قصده . رحم الرجل قرابته . نضح بلالها أى وصلها كأنها كانت يابسة فبلها ونداها .

(٤٢ — ٤٤) الأعطال من الخيل والإبل هى التى لاقلائد عليها ولا أرسان لها ولا سمة عليها . نص الدابة استحثها . صقل الناقة أضمرها ، وصقله بالعصا ضربه وأدبه . نص الدابة استحثها . الإيجاف الركض . الأشوال والأوشال القليل من الماء . لمع بيده وبثوبه وبسيفه أشار . الدليل الذى يرشد الجيش .

(٤٥—٤٩) وأمسك الخدم بالركاب ، فركب الفرسان . حتى إذا أشار الممدوح بالهجوم ، أجيلت بأمره الخيل، تثير سوابقها عَجاجةً كالسحاب ، وقد تتابعت جماعاتها تتبارى فى الأعنّة ، حتى تعود آخر اليوم محملة بالغنائم والأسلاب .

والناس على خوف من الممدوح . من أصابه الغزو أزال نعمته ، ومن أخطأه قطع القيظ مقيما بالفلاة مكتفيا بالتافه اليسير من الأعشاب ، لا يقرب الماء من خشيته . ولكم حوى من الإبل التى يعدبها صاحبها فى الرعى فأصبحت غنيمة له . ولكم أصاب من الإبل التى يحبسها أصحابها خوف الغارة ففك عقالها .

(٥٠—٥٤) ولكم أصابت نعمته ذا فاقة فأغنته . وكم نزلت بذى نعمة فأفقرته .

* * *

ويختم الشاعر قصيدته بهذه الأبيات التى كان يعجب بها عبدالملك بن مروان . حتى لقد وصفه الأخطل فى بعض قصائده بأنه يغشى الحرب مدججاً بالسلاح مثقلا بالدروع ، فقال له :

هلا قلت كما قال الأعشى :

وإذا تجىء كتيبة ملمومة . . . . (الأبيات)

فأجاب الأخطل متخلصاً : وصفتك بالحكمة ، ووصف الأعشى ممدوحه بالتهور والحمق .

يقول الأعشى :

إذا أقبلت الكتيبة مجتمعة خرساء ، تَغْشَى رماحُها العطاشُ الذائدين . وقد تراكم فوقها الحديد ، فأوقعت الرعب فى قلب الفارس المغطى بالدروع والسلاح ، فى ذلك الوقت تتقدم مندفعاً لا تسترك درع ، وتضرب بسيفك فيترك أثره فى الفرسان . ذلك بما تعلم أن المرء لا يسبق أجله ، وأنه لايموت إلا فى حينه وميقاته .

٤٥— فَكَوَى العَضَارِيطُ الرِّكَابَ فَبُدِّدَتْ ... مِنْهُ لِأَمْرِ مُؤَمَّلٍ فَأَجَالَهَا

٤٦— فَتَرَى سَوَابِقَهَا يُثِرْنَ عَجَاجَةً ... مِثْلَ السَّحَابِ إِذَا قَفَوْتَ رِعَالَهَا

٤٧— مُتَبَارِيَاتٍ فِي الأَعِنَّةِ شُزَّبًا ... حَتَّى تَفِيءَ عَشِيَّةً أَنْفَالَهَا

٤٨— فَأَصَبْنَ ذَا كَرَمٍ وَمَنْ أَخْطَأْنَهُ ... جَزَأَ المَقِيظَةَ خَشْيَةً أَمْثَالَهَا

٤٩— وَلَبُونِ مِعْزَابٍ حَوَيْتَ فَأَصْبَحَتْ ... نُهْبَى وَآزِلَةٍ قَضَبْتَ عِقَالَهَا

٥٠— وَلَقَدْ جَرَرْتَ إِلَى الغِنَى ذَا فَاقَةٍ ... وَأَصَابَ غَزْوُكَ إِمَّةً فَأَزَالَهَا

٥١— وَإِذَا تَجِيءُ كَتِيبَةٌ مَلْمُومَةٌ ... خَرْسَاءُ تَغْشَى مَنْ يَذُودُ نِهَالَهَا

٥٢— تَأْوِي طَوَائِفُهَا إِلَى مَخْضَرَّةٍ ... مَكْرُوهَةٍ يَخْشَى الكُمَاةُ نِزَالَهَا

٥٣— كُنْتَ المُقَدَّمَ غَيْرَ لَابِسِ جُنَّةٍ ... بِالسَّيْفِ تَضْرِبُ مُعْلِمًا أَبْطَالَهَا

٥٤— وَعَلِمْتَ أَنَّ النَّفْسَ تَلْقَى حَتْفَهَا ... مَا كَانَ خَالِقُهَا المَلِيكُ قَضَى لَهَا

(٤٥ — ٤٨) العضاريط جمع عضروط وهو التابع . العجاجة الغبار . قفا الشيء تتبعه وسار على أثره . الرعال جمع رعلة وهي القطعة من الخيل . شزب جمع شازب وهو الضامر . الأنفال الغنائم . جزأ بالشيء اكتفى ، وجزأ الماشية بالرطب من الماء أقنعها . المقيظة نبات يبقى أخضر إلى القيظ .

(٤٩ — ٥١) لبون في ضرعها لبن . معزاب راع يعزب بإبله أي يبعد بها في المرعى . آزلة من الأزل وهو ضيق العيش والبؤس . الإمة النعمة . ملمومة مجتمعة . يذود يدافع . نهالها رماحها وسيوفها . النهال أي العطاش كأنها ظامئة إلى شرب الدماء .

(٥٢ — ٥٤) مخضرة كتيبة خضراء لكثرة ما عليها من الحديد ، والعرب تسمي الأسود أخضر . الكمي الذي كمى نفسه بالسلاح أي استتر به . الجنة الترس لأنه يجن صاحبه أي يخفيه ويستره . أعلمه جعل عليه علامة وذلك بالطعن والجراح .

— ٤ —

فى هذه القصيدة توجيه . وهو اختلاف الحركة فى الحرف السابق قروى . ومعظم علماء العروض يعدونه عيبا . وبعضهم يجيزه فى الكسرة مع الضمة لقربهما . ولكنهم لا يجيزون مع الفتحة غيرها . وقد جمع الأعشى فى هذه القصيدة بين الفتحة والكسرة والضمة . فقال منجذم بكسر الذال فى البيت (١) ، وعلم بكسر اللام فى البيت (٢) ، ثم قال بصحراء زم بضم الزاى فى البيت (٦) ، وذو حسم بضم السين فى البيت (٩) ، وقال مع ذلك وارتسم بفتح السين فى البيت (١١) ، والعجم بفتح الجيم فى البيت (٢٠) . وقد كان الأخفش يجيز التوجيه ويقول إنه قد كثر فى فصحاء العرب . ونحن نرى أن البيتين (٤٩) ، (٥٠) متأخران عن موضعهما ، والأفضل أن يجيئا بعد البيت (١٤) .

يبدأ الأعشى قصيدته بذكر خليلة قد قطعته ، فهو متردد فى أمرها ، يحدث نفسه قائلا :

(١ — ٤) أتهجرها ؟ أم تزورها ؟ أم أن مودتها قد رثَّتْ ، فحبلها واهٍ منقطع ؟ . . أم أن الصبر أجمل وأدنى إلى الحكمة والعقل ، وسيدفع العاقل عقله ؟ . وإنك لتجد الراشد الذى أدرك حقيقة الأمر فكف عن الغى وانتهى ، كما تجد المتردد المغلوب على أمره ، الذى يتبين الأمر ثم لا يدرى أيكف عنه أم يقصد له ويرضى به . فهو يعصى المشفقين عليه عما هو فيه ، ويندفع إلى الغى مستسلماً للهوى ، متهما كل ناصح أمين .

(٥ — ٩) لم يكن ذلك إلا طيش شباب ، أعاقَبُ عليه اليوم بما أسرفت فى الإثم ... بل لم يكن ذلك إلا نظرة أصابتنى على غِرَّةٍ بصحراء (زُمّ) إذ نحن خُلطاء ، وابتسامةٌ فاتنة عن أسنانها المتفرقة الجميلة فى استوائها ... كيف السبيل إليها الآن وقد نأت ، فأقرب دورها (ذو حُسُم) ، وخلَّفت فى الصدر صدعا كصدع الزجاجة لا يلتئم ؟ .

(١٠—١٤) ويصرف الأعشى نفسه عن هذه الهموم ، مستعيدا ذكريات الفتوة والشباب .

إن غدا اليوم مخذولا مغلوبا ، فياربما كان قويا مالكا لأمره . ياربما شرب الخمر فى لونها الأحمر ، يبرزها صاحبها اليهودى مختومة لم تفض ولم تعبث بها يد ، قد ضربها الريح فى دَنِّها ، يصلى عليها صاحبها مكبرا . يَتَمزَّزُها متذوقا مستأنيا ، مقبلا على الندماء ، مواجها الحقائق لا يلتمس الهروب منها بالإنكار .

ويا ربما حل برجل شريف كريم كالسيف الصقيل ، يجود عن سعة ، فإذا أعوزه المال استجلبه من وَجْهِهِ بالغزو ، فأعطاه هذا الشريف لفرط كرمه حُكْمَهُ فيما يطلب من العطاء .

وقال يمدح قيس بن معديكرب :

(متقارب)

١ — أتهجر غانية أم تلم ... أم الحبل واه بها منجذم

٢ — أم الصبر أحجى فإن امرأ ... سينفعه علمه إن علم

٣ — كما راشد تجدن امرأ ... تبين ثم انتهى أو قدم

٤ — عصى المشفقين إلى غيه ... وكل نصيح له يتهم

٥ — وما كان ذلك إلا الصبا ... وإلا عقاب امرئ قد أثم

٦ — ونظرة عين على غرة ... محل الخليط بصحراء زم

٧ — ومبسمها عن شتيت النبا ... ت غير أكس ولا منقضم

٨ — فبانت وفي الصدر صدع لها ... كصدع الزجاجة ما يلتئم

٩ — فكيف طلابكها إذ نأت ... وأدنى مزار لها ذو حسم

١٠ — وصهباء طاف يهوديها ... وأبرزها وعليها ختم

١١ — وقابلها الريح في دنها ... وصلى على دنها وارتسم

١٢ — تمززتها غير مستدبر ... عن الشرب أو منكر ما علم

١٣ — وأبيض كالسيف يعطي الجزيـ ... ـل يجود ويغزو إذا ما عدم

١٤ — تضيفت يوما على ناره ... من الجود في ماله احتكم

(١ — ٣) ألم بالقوم زارهم زيارة قصيرة . واه ضعيف . جذم الحبل فانجذم قطعه . أحجى أفعل تفضيل من الحجا وهو العقل . العلم إدراك الشيء بحقيقته . رشد (كنصر) اهتدى فهو راشد . تبين الأمر أوضحه وفهمه . انتهى كف وارعوى . قدم على العيب رضي به ، وقدم إلى الأمر أقصد له .

(٤ — ٦) الصبا الميل إلى الصبوة وجهلة الفتوة . الخليط المخالط كالجار وابن العم والصاحب والشريك . زم بئر بأرض سعد بن مالك قوم الأعشى .

(٧ — ٩) الشتيت المتفرق المفلج من الأسنان . الكسس قصر الأسنان .

(١٠ — ١٤) الصهباء الخمر والصهبة الحمرة . صلى برك ودعا . ارتسم الرجل فكبر ودعا وتعوذ . تمزز الشراب تمصصه قليلا قليلا . تضيفت نزلت ضيفا .

(٤٩ ، ٥٠) ولقد تأتيه الكلمة القبيحة العوراء ، فيردها على صاحبها بالقصيدة الشنعاء التى تخرس الداهية من الرجال ، تغلى وتفور ، ويتطاير منها الشرر والويل . وربما ركب الصحراء جريئاً لا يبالى المخاطر .

(١٥—١٩) وهنا ينصرف الشاعر إلى الصحراء ، فيصورها فى رهبتها المفزعة وسكونها المخيف . فهى عمياء ، لا يتبين السالك فيها طريقه ، راكدة المياه ، مطموسة الآبار ، لا يسمع المسافر فيها إلا عزف الجن . ولكن الشاعر يقتحمها بناقته الجريئة الضخمة ، وكأنها الفحل الشرس المكرم عند أهله لا يُؤْذَى ولا يُركَب . يُغْضِبُها مَسُّ السوط ، فتعدو فى شدة الحر وقت الهجير ، حين تتلفع الآكام بالسراب ، كاظمة غيظها ، ممسكة على رغائها .

فمثلها يفرج هم المهموم ، وعلى مثلها يُشْفَى الفؤاد السقيم .

(٢٠—٢٤) ثم يتخلص الشاعر إلى ممدوحه فيقول :

فى سبيل قيس ما أطلت السرى . وفى سبيله ما لقيت من عناء فى رحلتى ، أمر بالقبائل والأحياء ، آخذاً منها العهود . وكم دون بيتك من عداة غاشمين ، إذا أنا حَيَّيْتُ لم يرجعوا التحية ، وما بهم من صمم . وكم دون الوصول إليك من سير فى الليل المخيف وفى الهاجرة الملتهبة .

فاذا هيأ الشاعر للمدح بهذه المقدمة ، اندفع فى تعظيم قيس ، مشيدا بغزوه لبنى عامر بن عُقَيل واستنقاذه ابن عمه قيسبة بن كلثوم من أسرهم . فقد ترامت أنباء هذا الغزو إلى الأعشى وهو فى قومه باليمامة ، تفصله عن حضرموت (الصفا) و (الرجم) .

(٢٥—٢٩) أقبل قيس على عدوه يقود خيلا قد انتشرت فى الأرض كأنها النَّوَى كَثْرَةً . وبات جيش العدو يرجف من الفزع فى انتظار الصباح ، وقد لبس فرسان قيس دروعهم ، وباتت الخيل تحتهم وقوفا لا تقرب الطعام ، فهى تلوك اللُّجُم فى قلقها واضطرابها وتحفزها .

ها أنت ذا قد أقبلت على غزوهم غير هياب ، فانتقمت لنفسك ، ولم تترك ثأرك مقيما فى دارهم .

١٥ــ وَيَهْمَاءَ تَعْزِفُ جِنَّانُهَا ... مَنَاهِلُهَا آجِنَاتٌ سُدُمْ

١٦ــ قَطَعْتُ بِرَسَّامَةٍ جَسْرَةٍ ... عُذَافِرَةٍ كَالْفَنِيقِ الْقَطِمْ

١٧ــ عَضُوبٍ مِنَ السَّوْطِ زَيَّافَةٍ ... إِذَا مَا ارْتَدَى بِالسَّرَابِ الْأَكَمْ

١٨ــ كَتُومِ الرُّغَاءِ إِذَا هَجَّرَتْ ... وَكَانَتْ بَقِيَّةَ ذَوْدٍ كُتُمْ

١٩ــ تُفَرِّجُ لِلْمَرْءِ مِنْ هَمِّهِ ... وَيُشْفَى عَلَيْهَا الْفُؤَادُ السَّقِمْ

٢٠ــ إِلَى الْمَرْءِ قَيْسٍ أُطِيلُ السُّرَى ... وَآخُذُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عُصُمْ

٢١ــ وَكَمْ دُونَ بَيْتِكَ مِنْ مَعْشَرٍ ... صُبَاةِ الْحُلُومِ عُدَاةٍ غُشُمْ

٢٢ــ إِذَا أَنَا حَيَّيْتُ لَمْ يَرْجِعُوا ... تَحِيَّتَهُمْ وَهُمُ غَيْرُ صُمْ

٢٣ــ وَإِدْلَاجِ لَيْلٍ عَلَى خِيفَةٍ ... وَهَاجِرَةٍ حَرُّهَا يَحْتَدِمْ

٢٤ــ وَإِنَّ غَزَاتَكَ مِنْ حَضْرَمَوْتَ ... أَتَتْنِي وَدُونِي الصَّفَا وَالرُّجُمْ

٢٥ــ مَقَادَكَ بِالْخَيْلِ أَرْضَ الْعَدُوِّ ... وَجُذْعَانُهَا كَلَفِيظِ الْعَجَمْ

٢٦ــ وَجَيْشُهُمُ يَنْظُرُونَ الصَّبَا ... حَ فَالْيَوْمَ مِنْ غَزْوَةٍ لَمْ تَخِمْ

٢٧ــ وَقُودًا بِمَا كَانَ مِنْ لَأْمَةٍ ... وَهُنَّ صِيَامٌ يَلُكْنَ اللُّجُمْ

٢٨ــ فَأَظْعَنْتَ وِتْرَكَ مِنْ دَارِهِمْ ... وَوِتْرُكَ فِي دَارِهِمْ لَمْ يُقِمْ

٢٩ــ تَؤُمُّ دِيَارَ بَنِي عَامِرٍ ... وَأَنْتَ بِآلِ عُقَيْلٍ فَغِمْ

(١٥ــ١٨) يهماء عمياء مطموسة المسالك . عزفت الجن صوتت في المفاوز . آجنة راكدة . سدم الماء تغير لطول عهده وطحلب ووقع فيه التراب وغيره حتى اندفن . الرسيم ضرب من العدو للابل . جسرة ضخمة . العذافر العظيم الشديد من الابل . الفنيق الفحل المكرم عند أهله لا يؤذى ولا يركب . الحل قطم هائج . زاف البعير يزيف وهي سرعة فيها تمايل . كتوم الرغاء لا ترغو إذا ركبت لأنها مهذبة . الذود من الابل ما بين الثلاث إلى العشر .

(١٩ــ٢١) عصم عهود . صباة الحلوم خفاف الحلوم فيهم جهل وطيش . الغشوم الظالم الغاصب .

(٢٢ــ٢٥) الادلاج سير الليل كله . الجذعان جمع جذع وهو ولد الشاة في السنة الثانية ، ولذي الحافر في السنة الثالثة والابل في السنة الخامسة . العجم النوى. لفيظ ملفوظ من الفم وهو فعيل بمعنى مفعول .

(٢٦ــ٢٩) تخم تكص وتجبن . اللأمة الدرع . صيام قيام . الوتر الثأر . أظعنه نقله ورحله لانه أخذ بثأره . وكانت بنو عامر قد أسرت رجلا من كندة فتراهم قيس واستنقذه . آل عقيل عقيل بن كعب بن ربيعة . فغم بالمكان أقام به ولازمه .

(٣٠—٣٤) عضتهم الحرب . وأفحمتهم أنيابها الحارة الكريهة . وما أبغض الحرب بعد أمن وسلام . تُعَاوِدهم الكَرّة بعد الكَرّة ، كما يطوف الطائف بحجارة القبر .

بوركت من شهم أخى ثقة . وما ضاع رجل أنت من ورائه تحميه . ضَيَاعَ « دَرِم » الذى قُتِلَ ولم يُثْأَرْ له « فذهب فى الناس مثلا . وإن جارك لمصون حتى يصل إلى مأمنه ، كالطفل آمن فى بطن أمه حتى تشرق عليه الحياة .

نصبت نفسك حامياً لعشيرتك ، قائماً على الثأر فيهم ، تنتقم باطشاً ، أو تعفو عفو القوى القادر .

(٣٥—٣٩) فلست بالضعيف ولا باللابس النعل قد انقطعَتْ سُيُورُه ، ولكنك راسخ القدم مكين ، خبير بالحروب .

ويصور الأعشى كرم ممدوحه بمثل ما فعل فى القصيدتين السابقتين . فليس الفرات إذا أزبد وتلاطمت أمواجه ، فكب السفينة ذات القلاع لوجهها ، حتى ليكاد صدرها أن يتحطم ، فترى الملاح يتمايل وسطها ، وقد لجأ لشدة خوفه إلى مؤخرها — ليس هذا النهر الجياش الفياض فى مثل حاله تلك بأجود منه فى وقت الجدب ، حين تصحو السماء وينقطع المطر .

(٤٠—٤٥) فهو يهب المائة المصطفاة من الإبل كأنها النخل يطوف بها المجْتَنِى ، والفرسَ الجواد العداء ، يجرى على سنابك صلبة طوال كأنها قرون الظباء ، تلكم الحجارة فى شدة عدوها . يصيد حمار الوحش وأتانه الحائل التى لم يثقلها الحمل فيعوقها عن الجرى ، فيلحق بهما موفورَ النشاط فى غير جهد ، لم يتصبب عرقا . ويشبه هذا الفرس بالصقر الشره إلى اللحم ، حين يتبع القطيع من البقر وقد أدبر مولياً للفرار ، تتوالى أفراده كأنها عقد لؤلؤ قد انفرط ، فهوت حباته متتابعة .

٣٠ــ أَذَاقَتْهُمُ الْحَرْبُ أَنْفَاسَهَا ... وَقَدْ تُكْرَهُ الْحَرْبُ بَعْدَ السَّلَمْ

٣١ــ تَعُودُ عَلَيْهِمْ وَتُمْضِيهِمُ ... كَمَا طَافَ بِالرُّجْمَةِ الْمُرْتَجِمْ

٣٢ــ وَلَمْ يُودِ مَنْ كُنْتَ تَسْعَى لَهُ ... كَمَا قِيلَ فِي الْحَيِّ أَوْدَى دِرَمْ

٣٣ــ وَكَانَتْ كَحُبْلَى غَدَاةَ الصَّبَا ... حِ كَانَتْ وِلَادَتُهَا عَنْ مُتِمْ

٣٤ــ يَقُومُ عَلَى الْوَغْمِ فِي قَوْمِهِ ... فَيَعْفُو إِذَا شَاءَ أَوْ يَنْتَقِمْ

٣٥ــ أَخُو الْحَرْبِ لَا ضَرَعٌ وَاهِنٌ ... وَلَمْ يَنْتَعِلْ بِقِبَالٍ خَدِمْ

٣٦ــ وَمَا مُزْبِدٌ مِنْ خَلِيجِ الْفُرَا ... تِ جَوْنٌ غَوَارِبُهُ تَلْتَطِمْ

٣٧ــ يَكُبُّ الْخَلِيَّةَ ذَاتَ الْقِلَا ... عِ قَدْ كَادَ جُؤْجُؤُهَا يَنْحَطِمْ

٣٨ــ تَكَأْكَأَ مَلَّاحُهَا وَسْطَهَا ... مِنَ الْخَوْفِ كَوْثَلَهَا يَلْتَزِمْ

٣٩ــ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَاعُونِهِ ... إِذَا مَا سَمَاؤُهُمُ لَمْ تَغِمْ

٤٠ــ هُوَ الْوَاهِبُ الْمِائَةَ الْمُصْطَفَا ... ةَ كَالنَّخْلِ طَافَ بِهَا الْمُجْتَرِمْ

٤١ــ وَكُلَّ كُمَيْتٍ كَجِذْعِ الْخِصَا ... بِ يَرْدِي عَلَى سَلِطَاتٍ لُثُمْ

٤٢ــ سَنَابِكُهُ كَمَدَارِي الظِّبَا ... ءِ أَطْرَافُهُنَّ عَلَى الْأَرْضِ شُمْ

٤٣ــ يَصِيدُ النَّحُوصَ وَمِسْحَلَهَا ... وَجَحْشَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَسْتَحِمْ

٤٤ــ وَيَوْمٍ إِذَا مَا رَأَيْتَ الصِّوَا ... رَ أَدْبَرَ كَاللُّؤْلُؤِ الْمُنْخَرِمْ

(٣٠—٣٤) الأنفاس جمع نفس وهو الجرعة أو نسيم الهواء. الرجمة حجارة كانوا ينصبونها على القبر ويطوفون حولها في الجاهلية. أودى الرجل هلك. درم بن دب بن مرة بن ذهل بن شيبان قتل ولم يثأر له. متم تمت مدة حمله. الوغم الثأر والحقد.

(٣٥—٣٨) ضرع ضعيف. القبال الشسع وهو سيور النعل. خدم منقطع. وهو مثل ضرب لثباته وقوته. مزبد يعلوه زبد الأمواج. جون أبيض وهو من الأضداد يطلقه العرب على الأبيض وعلى الأسود. غارب كل شيء أعلاه والمقصود به الأمواج. الخلية السفينة الكبيرة. القلاع الشراع. جؤجؤ السفينة صدرها. تكأكأ تمايل من الخوف. كوثل السفينة ذنبها ومؤخرها، وفيه يكون للاحون ومتاعهم.

(٣٩—٤١) الماعون في الجاهلية كل عطاء. غامت السماء أطبق بها السحاب. يقصد أنه يجود وقت الجدب. جرم النخل جمع ثمارها. الخصاب النخل، وقيل الكثير الحمل منه. يردي يعدو. سنابك سلطات أي طوال. لثم تلثمها الحجارة وتلكها.

(٤٢—٤٤) السنابك مقدم الحافر. مداري الظباء قرونها. أشم مرتفع. النحوص الحائل التي لم تحمل، وهي أسرع جرياً لأن بطنها لا يثقلها. المسحل حمار الوحش. يستحم يعرق من كثرة الجري. أي أنه يدركها من غير تعب. الصوار قطيع بقر الوحش. خرم الخرزة واللؤلؤة فصمها. يشبهها في تتابعها باللؤلؤ قد انقطع سلكه فهو يتلو بعضه بعضاً.

(٤٦ــ٥٠) وكيف لا يكون ممدوحه بهذا الكرم وبهذه الشجاعة ، وهو من بنى معاوية الأكرمين ، عظام القباب ، طوال القامات ، أهل الحرب والسلم .

إنْ دعوتهم للقتال أتتك منهم خيل محملة بالعدة والسلاح ، وإذا رأيتهم فى ناديهم وقت السلم ، رأيت أحلاما راجحة ، وأيادى ندية لا تُبقِى على شىء .

إلى هنا ينتهى المدح . وقد كان المألوف فى ترتيب القصيدة الجاهلية أن يختم الشاعر قصيدته .

(٥١ــ٥٩) ولكن الأعشى يمضى فى الحديث عن ابنة له تخاف عليه مخاطر الطريق فى رحلاته التى لا تكاد تنتهى ، وتشكو إليه وحدتها وانفرادها من بَعْدِه . فيعزيها الشاعر ، ويهدئ مخاوفها ، ضاربا لها الأمثال ، مواسياً بالقصص والأخبار .

تقول ابنتى وقد عزمت على الرحيل : أقم ولا تبرح ، فأنّا بخير مادمت مقيما . فإذا أضمرتك البلاد فانا الناس ، وقطعتنا الأرحام ، فنحن والأيتام سواء .

فقلت لها : أفى الأسفار تخافين على الموت ؟ وكم ميِّتٍ مات فى فراشه لم يبرح بلده . وليست هذه يا ابنتى بأولى رحلاتى . فقد طفت فى سبيل المال آفاق الأرض ، وابتغيته فى كل مكان . فلو كانت الرحلة تقتل لقتلتنى هذه الرحلات ، بين عمان وحمص وأرشليم ، وأرض النجاشى وأرض النبيط وأرض العجم ، ونجران وحمير وحضرموت . وفيم خوف الموت يا إبنتى وكل شىء إلى زوال .

— ٤ —

٤٥ — تَدَلَّى حَنِيذًا كَأَنَّ الصُّوَا ... رَ أَتْبَعَهُ أَزْرَقُ لَحِمْ

٤٦ — فَأَنَّ مُعَاوِيَةَ الأَكْرَمِينَ ... عِظَامُ القِبَابِ طِوَالُ الأُمَمْ

٤٧ — مَتَى تَدْعُهُم لِلِقَاءِ الحُرُو ... بِ تَأْتِكَ خَيْلٌ لَهُمْ غَيْرُ جُمّ

٤٨ — إِذَا مَا هُمُ جَلَسُوا بِالعَشِـ ... ـيِّ فَأَحْلَامُ عَادٍ وَأَيْدِي هُضُمْ

٤٩ — وَعَوْرَاءَ جَاءَتْ فَجَاوَبْتُهَا ... بِشَنْعَاءَ نَافِيَةٍ لِلرَّقِمْ

٥٠ — بِذَاتِ نَفِيٍّ لَهَا سَوْرَةٌ ... إِذَا أُرْسِلَتْ فَهْيَ مَا تَنْتَقِمْ

٥١ — تَقُولُ ابْنَتِي حِينَ جَدَّ الرَّحِيلُ ... أَرَانَا سَوَاءً وَمَنْ قَدْ يَتِمْ

٥٢ — أَبَانَا فَلَا رِمْتَ مِنْ عِنْدِنَا ... فَإِنَّا بِخَيْرٍ إِذَا لَمْ تَرِمْ

٥٣ — وَيَا أَبَتَا لَا تَزَلْ عِنْدَنَا ... فَإِنَّا نَخَافُ بِأَنْ تُخْتَرَمْ

٥٤ — أَرَانَا إِذَا أَضْمَرَتْكَ البِلَا ... دُ نُجْفَى وَتُقْطَعُ مِنَّا الرَّحِمْ

٥٥ — أَفِي الطَّوْفِ خِفْتِ عَلَيَّ الرَّدَى ... وَكَمْ مِنْ رَدٍ أَهْلَهُ لَمْ يَرِمْ

٥٦ — وَقَدْ طُفْتُ لِلْمَالِ آفَاقَهُ ... عُمَانَ فَحِمْصَ فَأُورِيشَلِمْ

٥٧ — أَتَيْتُ النَّجَاشِيَّ فِي أَرْضِهِ ... وَأَرْضَ النَّبِيطِ وَأَرْضَ العَجَمْ

٥٨ — فَنَجْرَانَ فَالسَّرْوَ مِنْ حِمْيَرٍ ... فَأَيَّ مَرَامٍ لَهُ لَمْ أَرُمْ

٥٩ — وَمِنْ بَعْدِ ذَاكَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ ... فَأَوْفَيْتُ هَمِّي وَحِينًا أَهُمْ

(٤٥ — ٤٧) حنيذاً سريعاً . أزرق صقر . لحم قرم إلى اللحم جوعان . القبة الخيمة الضخمة . الأمم جمع أمم بفتح الهمزة وهو رئيس القوم . رجل أجم لا رمح له وبيت أجم لا رمح فيه .

(٤٨ — ٥١) يد هضوم مجود بما لديها والجمع هضم (ككتب) . العوراء الكلمة القبيحة . الرقم الداهية . النفي ما تناثر من القدر عند الغليان وما تطاير من الماء عن الرشاء ، وما تقذفه الحوافر من حصى وغيرها . ما تنتقم لا يأخذ أحد بثأرها .

(٥٢ — ٥٤) رام برح وزال . اخترمه الموت أخذه ، واخترمه الرزء أهزله .

(٥٥ — ٥٧) عمان باليمن وحمص بالشام وأوريشلم بيت المقدس وهو الاسم العبري . النبيط جيل من الأعاجم كانوا يسكنون العراق سموا بذلك لكثرة الماء في أرضهم . النجاشي لقب ملك الحبشة .

(٥٨ — ٥٩) نجران موطن من مواطن النصرانية في بلاد العرب قبل الإسلام وهي من أرض اليمن . رام الشيء يرومه أراده وطلبه . أوفيت أشرفت . الهم الهمة والعزم .

(٦٠–٦٦) ألم ترى إلى (الحضْر) ، وقد عاش أهله فى طمأنينة ناعمين ، حتى دهمهم (سابور) بجنوده ، يضربون فيه بفئوسهم حولين كاملين . وحاول صاحبه استنقاذه وتحريره ، فهاجمه ليـــلا على غير طائل ، وراح يدعو قومه مستثيراً ، يطلب إليهم أن يموتوا كراما بأسيافهم ، ويستحثهم قائلا : الموت خير من حياة الذل ، وإنما يلقى الموتَ من حُمَّ قضاؤُه .

(٦٧–٧٢) ويختم قصة (الحضْر) بقوله : أليس فى ذلك عبرة للمعتبر ؟

ثم ينتقل إلى قصة مأرب ، وتدمير السيل له . بنته حمير من الرخام ، لحفظ لهم الماء كثيراً موفوراً ، وأروى الزُروع والأعناب ، فعاشوا فى غبطة ونعيم ، حتى دهمهم السيل جارفا ، ففرق شملهم ، وقذف بملوكهم إلى البيداء ، وبَدَّلَهُم من الماء سرابَ الصحراء ، فأصبحوا لايملكون منه شرب صبى مفطوم . . .

٦٠ـ ألَمْ تَرَ الحَضْرَ إذْ أهْلُهُ   بنُعْمَى وَهَلْ خَالِدٌ مَنْ نَعِمْ

٦١ـ أقَامَ بِهِ شَاهَبُورُ الجُنُو   دَ حَوْلَيْنِ تَضْرِبُ فيهِ القُدُمْ

٦٢ـ فَمَا زَادَهُ رَبُّهُ قُوَّةً   وَمِثْلُ مُجَاوِرِهِ لَمْ يَقُمْ

٦٣ـ فَلَمَّا رَأى رَبُّهُ فِعْلَهُ   أتَاهُ طُرُوقًا فَلَمْ يَنْتَقِمْ

٦٤ـ وَكَانَ دَعَا رَهْطَهُ دَعْوَةً   هَلُمَّ إلَى أمْرِكُمْ قَدْ صُرِمْ

٦٥ـ فَمُوتُوا كِرَامًا بِأسْيَافِكُمْ   وَلَلْمَوْتُ يَجْشَمُهُ مَنْ جَشِمْ

٦٦ـ وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ لِمَنْ نَالَهُ   إذَا المَرْءُ أمَّتُهُ لَمْ تَدُمْ

٦٧ـ فَفِي ذَاكَ لِلْمُؤْتَسِي أُسْوَةٌ   وَمَأرِبُ قَفَّى عَلَيْهَا العَرِمْ

٦٨ـ رُخَامٌ بَنَتْهُ لَهُمْ حِمْيَرٌ   إذَا جَاءَهُ مَاؤُهُمْ لَمْ يَرِمْ

٦٩ـ فَأرْوَى الزُّرُوعَ وَأعْنَابَهَا   عَلَى سَعَةٍ مَاؤُهُمْ إذْ قُسِمْ

٧٠ـ فَعَاشُوا بِذَلِكَ فِي غِبْطَةٍ   فَجَارَ بِهِمْ جَارِفٌ مُنْهَزِمْ

٧١ـ فَطَارَ القُيُولُ وَقَيْلَاتُهَا   بِيَهْمَاءَ فِيهَا سَرَابٌ يَطِمْ

٧٢ـ فَطَارُوا سِرَاعًا وَمَا يَقْدِرُو   نَ مِنْهُ لِشُرْبِ صَبِيٍّ فُطِمْ

(٦٠ـ٦٤) الحضر قصر كان بحيال (تكريت) بين دجلة والفرات بناه الضيزن، وهو رجل من قضاعة ملك على الجزيرة واتسع ملكه للشام، فأغار على بلاد فارس وأخذ أخت ملكها سابور فتزوجها. والقصة بتفاصيلها مذكورة في الأغاني ٢ : ١٤٠ — ١٤٣ (طبعة دار الكتب)، الطبري ١ : ٤٨١، ٤٨٥ (طبعة مصطفى محمد). شاه بور مركب من شاه أي ملك وبور أي ابن وشاهبور الجنود هو شاهبور بن هرمز. القدم جمع قدوم وهو الفأس. أتاه طروقا أي ليلا. ربه صاحبه. صرم انقطع وانتفى.

(٦٥ـ٦٧) يجشمه يتكلفه ويركبه. المؤتسي به تعزى به وجعله أسوة لنفسه ومثلا. قفى عليها العرم غطى عليها السيل.

(٦٨ـ٧٠) لم يرم لم يذهب ولم يبرح. غبطة سرور ونعمة. منهزم له صوت من قولهم انهزم البناء وانهزمت العصا وانهزمت السحابة بالماء أي تشققت مع صوت. جار بهم من الجور وهو الميل والانحراف عن القصد، ومنه جار فلان عن الطريق أي انحرف. جارف سيل يجرف كل ما يصادفه في طريقه.

(٧١ـ٧٢) القيول جمع قيل وهو لقب لملوك حمير. يهماء صحراء مطموسة المسالك. طم الشيء كثر حتى علا وغلب.

الأعشى هنا رجل قد أسنّ (وقنّعه الشيب منه خمارا) . ولكنه فى عجز الشيخوخة وبرودها ، لا يزال يتحدث عن حرارة الشباب ، وعن (ليلى) رفيقة صباه .

(١ — ٤) بعدت دارها على الحبيب المشتاق ، فلم يستطع إلى زيارتها سبيلا . وبُدّل بقربها الشوق والحنين المُلِحّ ، ففاضت دموعه كفيض الدلاء ، تتوالى متتابعة ، كأنها حبات عقد من درّ خانه السلك فانفرط .

(٥ — ٩) ولكن ضعفه لم يكن إلا إلى حين . فقد رجع إلى نفسه متعزياً ، وتماسك مزدجراً ، فأصبح لا يقرب الغانيات ، وإن كان لا يتمالك من الحنين إلى ما فات من عهد الشباب .

يقول لصاحبته متحسراً : إن صاحبك الذى قد عرفته فى ليالى (الجفار) قد غيرته الأيام . فقد اعتراه الشيب — وإن كان له كارهاً — وأحل به أثقاله ، وبدله من جهالة الصبى حكمة الشيوخ .

(١٠ — ١٢) إن تَرَيْنِى على ما أنا فيه من شدة فقد قَلَيْتُ الصبى وهجرت الحوانيت ، فلقد أديت للشباب حقه . . . كنت أستبى الحسان ، فأُخْرِجُ الكاعب المختارة من خدرها . وكنت أهلك المال فى الميسر وأشيع القمار حيث حللت . وكنت أشرب الخمر صافية كأنها حدق العيون . أغدو عليها قُبَيْلَ الشروق أشربها وحدى ، أو أتناقلها مع صحبى من الندماء .

وقال يمدح قيس بن مَعْدِيكَرِب :

(متقارب)

١ — أأزْمَعْتَ مِنْ آلِ لَيْلَى ٱبْتِكَارَا ... وَشَطَّتْ عَلَى ذِى هَوًى أنْ تُزَارَا

٢ — وَبَانَتْ بِهَا غَرَبَاتُ النَّوَى ... وَبُدِّلْتُ شَوْقًا بِهَا وَادِّكَارَا

٣ — فَفَاضَتْ دُمُوعِى كَفَيْضِ الغُرُو ... بِ إمَّا وَكِيفًا وَإمَّا ٱنْحِدَارَا

٤ — كَمَا أسْلَمَ السِّلْكُ مِنْ نَظْمِهِ ... لآلِئَ مُنْحَدِرَاتٍ صِغَارَا

٥ — قَلِيلًا فَثَمَّ زَجَرْتُ الصِّبَى ... وَعَادَ عَلَىَّ عَزَائِى وَصَارَا

٦ — فَأَصْبَحْتُ لَا أقْرَبُ الغَانِيَا ... تِ مُزْدَجِرًا عَنْ هَوَاىَ ٱزْدِجَارَا

٧ — وَإنْ أخَاكِ الَّذِى تَعْلَمِينْ ... لَيَالِيَنَا إذْ نَحُلُّ الجِفَارَا

٨ — تَبَدَّلَ بَعْدَ الصِّبَى حِكْمَةً ... وَقَنَّعَهُ الشَّيْبُ مِنْهُ خِمَارَا

٩ — أحَلَّ بِهِ الشَّيْبُ أثْقَالَهُ ... وَمَا ٱعْتَرَّهُ الشَّيْبُ إلَّا ٱعْتِرَارَا

١٠ — فَأَمَّا تَرَيْنِى عَلَى آلَةٍ ... قَلَيْتُ الصِّبَى وَهَجَرْتُ التِّجَارَا

١١ — فَقَدْ أُخْرِجُ الكَاعِبَ المُسْتَرَا ... ةَ مِنْ خِدْرِهَا وَأُشِيعُ القِمَارَا

١٢ — وَذَاتِ نَوَافٍ كَلَوْنِ الفُصُو ... صِ بَاكَرْتُهَا فَادَّمَجْتُ ٱبْتِكَارَا

١٣ — غَدَوْتُ عَلَيْهَا قُبَيْلَ الشُّرُو ... قِ إمَّا نِقَالًا وَإمَّا ٱغْتِمَارَا

١٤ — يُعَاصِى العَوَاذِلَ طَلْقُ اليَدَيْنِ ... يُرَوِّى العُفَاةَ وَيُرْخِى الأزَارَا

الابتكار الرحلة فى الصباح الباكر ، وكانت العرب تفضله ليتسع الوقت أمام المسافر قبل اشتداد الحرارة . شطت بعدت . بانت بعدت . النوى البعد والفراق . الغربة مفارقة الوطن ، وجمعها غربات . ادكار افتعال من ذكر أبدلت التاء دالا ثم أدغمت الدال فى الدال . الغروب جمع غرب وهو الدلو العظيمة . وكف الدمع انهمر .

(٤ — ٦) الصبى الميل إلى لهو الشباب . صار سكن .

(٧ — ٩) الجفار موضع بالبصرة . الخمار ماتغطى به المرأة رأسها ، وكل ماستر شيئا فهو خماره . اعتره عرض له، والمعتر الذى يتعرض للمسألة ولا يسأل .

(١٠ — ١٤) الآلة الشدة . قليت كرهت . الصبا الميل للهو . التجار يقصد تجار الخمر . المستراة المختارة ، من استريت الشىء إذا اخترت سراته وأحسنه . ذات نواف خمر تنفى القذى من صفائها . الفصوص جمع فص (بفتح الفاء) وهو حدقة العين . أدمج الشىء دخل فيه . النقال مناقلة الأقداح فى مجلس الشرب ، ونالك الأقداح أخذ منه وأعطاه . الاغتمار القليل دون الرى . العفاة جمع عاف وهم الأضياف .

١٤ — طلق اليدين ، أروّى من يحل بي من الأضياف ، وأجرر الذيل تيها ، معرضاً عن العاذلين .

١٥ — أملأ لصاحبي كوب الساقية ، فلا يصيح ديك الصباح حتى يكون قد انتشى وغشيه الدُّوَار .

١٦ — إذا انكب بينهم الإبريق ترّاموا به صافياً وهَّاجا فى بياضه أو صفرته ، كأنه الفضة أو الذهب ،

(١٧ — ١٩) ويستيقظ الشاعر من هذه الأحلام ليجد نفسه من جديد فى برد الشيخوخة وعجزها المقفر ، فيفزع إلى ناقته ، يتناسى فوق ظهرها ما تعلق بنفسه من شوق ومن هموم .

وناقته هذه قوية شديدة ، فهي بقية خمس من النوق البيض الشـــداد التى تشبه قطيع بقر الوحش ، دُفِعَت إلى رجلين عند (الخصُوص) قد حبسا عليها الحشيش .

(٢٠ — ٢٦) فقاما على خدمتها زمناً جاهِدَيْن ، ووقفا على خدمتها مشتركَيْن ، هذا يعد لها رطب النبات والبقول ، ويجمع ذاك لها الخضار . فكانت ناقته خيرهن وأجلدهن ، تروق الأنظار ، وتنهض بأشق الأسفار . ولكن هذه الناقة الضخمة الجلدة ، لم تُبْقِ منها الرحلة الطويلة المضنية إلا أخفافا قد براها السير ، وأضلعاً قد أبرزها الهزال فظهرت فى جنبيها آثار السيور والحبال ، وبرزت سلسلة ظهرها متلاحمة متماسكة الفقار .

(٢٧ — ٣٠) وكأن ناقته تشتكى إليه آلامها فيقول لها : لا تشتكى إلى الحَفَى وطول السُّرى ، واصبرى على مشاق السفر آناء الليل وأطراف النهار ، حتى تلاقى قيساً وشيعته ، مَسَاعِيرَ الحروب وأبطالها .

١٥ — فَلَمْ يَنطِقِ الدِّيكُ حَتَّى مَلأْ ... تُ كُوبَ الرَّبَابِ لَهُ فَاسْتَدَارَا

١٦ — إِذَا انْكَبَّ أَزْهَرُ بَيْنَ السُّقَاةِ ... تَرَامَوْا بِهِ غَرَبًا أَوْ نُضَارَا

١٧ — وَشَوْقٍ عَلُوقٍ تَنَاسَيْتُهُ ... بِجَوَّالَةٍ تَسْتَخِفُّ الضِّفَارَا

١٨ — بَقِيَّةِ خَمْسٍ مِنَ الرَّامِسَا ... تِ بِيضٍ تُشَبِّهُهُنَّ الصُّوَارَا

١٩ — دُفِعْنَ إِلَى اثْنَيْنِ عِنْدَ الْخُصُو ... صِ قَدْ حَبَسَا بَيْنَهُنَّ الأَصَارَا

٢٠ — فَعَادَا لَهُنَّ وَرَازَا لَهُـ ... نَّ وَاشْتَرَكَا عَمَلًا وَائْتِمَارَا

٢١ — فَهَذَا يُعِدُّ لَهُنَّ الْخَلَى ... وَيَجْمَعُ ذَا بَيْنَهُنَّ الْخِضَارَا

٢٢ — ....

٢٣ — فَكَانَتْ سَرِيَّتُهُنَّ الَّتِي ... تَرُوقُ الْعُيُونَ وَتَقْضِي السِّفَارَا

٢٤ — فَأَبْقَى رَوَاحِي وَسَيْرُ الْغُدُ ... وِّ مِنْهَا ذَوَاتَ حِذَاءٍ قِصَارَا

٢٥ — وَأَلْوَاحَ رَهْبٍ كَأَنَّ النُّسُو ... عَ بَيَّنَّ فِي الدَّفِّ مِنْهَا سِطَارَا

٢٦ — وَدَأْيًا تَلَاحَكْنَ مِثْلَ الْفُؤُو ... سِ لَاحَمَ مِنْهَا السَّلِيلُ الْفَقَارَا

٢٧ — فَلَا تَشْتَكِنَّ إِلَيَّ الْوَجَى ... وَطُولَ السُّرَى وَاجْعَلِيهِ اصْطِبَارَا

٢٨ — رَوَاحَ الْعَشِيِّ وَسَيْرَ الْغُدُوِّ ... يَدَ الدَّهْرِ حَتَّى تُلَاقِي الْخِيَارَا

٢٩ — تُلَاقِينَ قَيْسًا وَأَشْيَاعَهُ ... يُسَعِّرُ لِلْحَرْبِ نَارًا فَنَارَا

(١٥ — ١٨) الرباب اسم امرأة أو هي امرأة الخمار . أزهر إبريق أبيض . تراموا به تداولوه وأداروه . غربا فضة . نضارا ذهبا . علوق عاشق معلق القلب بمن يحب . بجوالة ناقة كثيرة الجولان . الضفار الزفيف، من ضفر الرجل في عدوه إذا وثب، وقيل أسرع . الرامس كل دابة تخرج بالليل . الصوار قطيع البقر .

(١٩ — ٢١) الخصوص جمع خص وهو بيت يتخذ من عيدان القصب وأغصان الشجر ، حتى خصا لما فيه من الخصاص وهي الفتحات التي تتخلل العيدان . الأصار الحشيش . راز الرجل الشيء قام عليه وأصلحه . الخلى الرطب من النبات والبقول .

(٢٣ — ٢٥) سريتهن خيرتهن . ذوات حذاء قصارا، أراد أنها مجموعة الأخفاف ليست بمناسمة ، وهو من صفات العتق والنجابة في الإبل . الرهب الناقة المهزولة . النسوع السيور التي يشد بها الرحل . الدف الجنب . سطارا آثارا .

(٢٦ — ٢٩) الدأى الفقار . تلاحكن تلازمن . السليل النخاع، أو هو طرائق لحم طوال مع الصلب (صفحة الظهر) واحدها سليلة ، أراد أن اللحم التحم بالفقار . وجى الماشي أي حفي قدمه ، والوجى أن يشتكي البعير باطن خفه . يد الدهر مثل أبد الدهر .

(٣١—٣٥) ويشير الشاعر إلى ابنته التى تحدث عنها فى القصيدة السابقة ، إذ تقول له وقد حزم أمره على الرحلة لممدوحه (أىَّ أبٍ كنتَ لى أعتز برعايته ، وأىَّ جار كنتُ أجد الأنس فى قربه)

ثم يتجه الشاعر إلى قومه ، يدعوهم لمحالفة قيس بن معديكرب . وهنا نرى صورة الشاعر القديم الذى كان يلعب دوراً سياسياً مهماً فى قبيلته . فهو لسانها ، تسخره فى خدمتها فيستجيب لمطالبها ، ولكنه سيدها وزعيمها فى نفس الوقت ، يوجهها ويؤثر فى سياستها .

يحبب الأعشى إلى قومه من بكر بن وائل حلف قيس بن معديكرب قائلا : حالفوا صاحبكم إن كنتم تريدون عونا وظهيراً من ملك قوى . وإنه لنعمة من الله أن حباكم به ، وجعله من نصيبكم ، يُوسِّطُكمْ ملكه ويستشيركم ويظللكم بحمايته ، فتعتزون فى جواره .

(٣٦—٣٩) ويمضى الشاعر فى تصوير ممدوحه من كل جوانبه القوية المحببة ، وكأنه يصور مُثُلَ ومُثُلَ العصر وقِيَمَهُ مجسمةً فيه . فهو يسخو بالبذل مختاراً على من يحل به من لاجئين . وهو صاحب الحرب إذا استحكمت . أحل النمار بالحمار (وهم قبائل ضبة وعبس والحارث بن كعب) ونازل عبساً ودُودَان ، فرفع ووضع ، وأعز وأذل .

(٤٠—٤٤) ذلك عطاء الله الذى يعلم السر ويجيب نجوى المتضرع إليه .

كم حيٍّ قد أذل هذا الملك الجبار ، فسبى نساءهم ، وفيهن الغانية المترفة الممتلئة الجسم ، فهى لضخامة أردافها تأتزر بثوبين قد لُفِقَ أحدُهما إلى الآخر ، وهى لفرط جمالها تعلق التمائم دفعاً لحسد الحاسدين ، وصيانة لجمالها من أعين الشريرين . ولا تقوم من فراشها لتشرب الغبوق إلا بعد أن يرتفع النهار .

جمعها هذا الملك فى أهلها ، فصارت إليه سَبِيَّةً مملوكة ، يستمتع بجمالها معانقاً ، فلا تزال تتحامل على نفسها محاولة النهوض حين تدعو الله مبتهلة إليه .

ويؤكد الأعشى لقيس ولاءه ، وأنه لن يتحول عن عهده ، ولن يستبدل به أحداً .

٣٠ـ فأنكِ طـالبةٌ ثأرَه   وإنكِ

٣١ـ تقولُ ابنتي حين جدَّ الرحيـ   لُ أبرحتَ ربًا وأبرحتَ جارا

٣٢ـ فمَن مُبلغٌ وائلاً قومَنا   وأعني بذلك بكرًا جمارا

٣٣ـ فدونكمُ ربَّكمْ حالفوه   إذا ظـاهرَ الملكُ قومًا ظهارا

٣٤ـ فإنَّ الإلهَ حباكمْ به   إذا اقتسمَ القومُ أمرًا كُبارا

٣٥ـ فإنَّ لكمْ قربةً عزةً   ووسطكمُ ملكةً واستشارا

٣٦ـ فإنَّ الذى يُرتجى سيبُه   إذا ما تحلُّ عليهِ اختيارا

٣٧ـ أخو الحربِ إذ لقحتْ بازلاً   سما للعلا وأحلَّ الحِمارا

٣٨ـ وساورَ بالنقعِ نقعِ الكثيـ   بِ عبسًا ودُودانَ يومًا سوارا

٣٩ـ فأقللتَ قومًا وأعمرتَهم   وأخربتَ مِن أرضِ قومٍ دِيارا

٤٠ـ عطاءَ الإلهِ فإنَّ الإلـ   ـهَ يسمعُ في الغـامضاتِ السِّرارا

٤١ـ فيا ربَّ ناعيةٍ منهمُ   تشدُّ اللفـاقَ عليها إزارا

٤٢ـ تنوطُ التميمَ وتأبى الغبو   قَ مِن سِنةِ النومِ إلا نهارا

٤٣ـ ملكتَ فعانقتَهـا ليلةً   تنصُّ القعودَ وتدعو يسارا

٤٤ـ فلا تحسبنّي لـكمْ كافرًا   ولا تحسبنّي أريدُ الغيارا

(٣٠ — ٣٨) أبرح فلان رجلا وأبرح فارساً عبارة للتعجب ، جارا جماعة ، يقال تجمر بنو فلان أى تجمعوا ، ربكم سيدكم ، ظاهر عاون ، البازل البعير إذا بزل نابه أي شق وظهر ، وبزل الأمر والرأى استحكم ، أحل الحمار استباحهم وجعلهم حلالا ، الحمار ضبة وعبس والحرث بن كعب ، النقع غبار المعركة ، ساور واثب .

(٣٩ — ٤١) أقل الشيء حمله ورفعه ، أعمرته داراً أو إبلا أعطيته إياها ، السرار المناجاة مصدر سار على وزن فاعل أى ناجى ، اللفاق ثوبان يلفق أحدهما بالآخر ، الازار الملحفة وكل ماستر ، يريد أنها لا تأتزر من عظم عجيزتها إلا بثوبين .

(٤٢ — ٤٤) تنوط تعلق ، التميم والتميمة عوذة تعلق مخافة العين والحسد ، الغبوق شرب الصباح ، نص الشيء رفعه وأظهره ، ونص الرجل عنقه نصبه ، يسار شعار لهم بالخير ، واليسر ضد العسر وهو السهولة والخير ، الغيار التغيير اى لا اريد بك بدلا .

(٤٥—٤٩) ويقول إن قيساً قد أقام الأمر بعد فساده ، حتى مل النـاس الانتظار والصبر على هذا الاضطراب الذى يتخبطون فيه تخبط الناقة الغريبة حلت فى أرض مجهولة ، فهى مشفقة من الموت ، لا تدرى أى طريق تسلك إلى الماء .

وكأن الشاعر قد صحب الممدوح فى بعض غاراته بمكان اسمه (لعلع) ، وتعرض للوقوع فى الأسر ، حتى أنقذ مع صحبه بدخول الممدوح عليهم آخر الليل مظفراً ، فسجدوا لله شكراً أو تعظيما ، رافعين أيديهم بالريحان — تحيةَ الملوك — هاتفين (عَمَّرَكَ الله !) .

(٥٠—٥٤) وقد عاد المُلْك إلى نصابه ، ورجع إلى صاحبه خير الملوك ، واستقر بعد اضطراب ، ولكل نبأ مستقر . رجع إلى حامل العبء عن أهله فى النائبات ، إلى القوى الأمين الذى لا يُفَزَّع جاره ، ولا يذهب الغضب أو الهلع بحلمه . إلى الوفى الذى يقيم على ميثاقه ، ولا يُضيع فى يومه ما أعطى من عهد فى أمسه . إلى الكريم الذى يهب كرام النوق ، قد ضَرَبَت الحمرةُ فى لونها الأبيض من طِيبِ المرعى ومن أثر السمن .

(٥٥—٥٩) فكأنه فى كرمه نهر جياش ملتطم الأمواج ، قد هيّجته الرياح ، فتدفق ماؤه ، يروى الزروع ، ويعلو الديار ، وتتحطم على شاطئيه الأشجار ، وتكاد السفن تنقلب فيه ، وقد رهب نوتيّها أمواجه وأنواءه ، فحط قلاعه ، وأرخى حباله . كيف لا ، وهو يختار هباته ، ويجود بأحسن ما عنده ، فيعطى — فيما يعطى — الإبلَ مائة مائة ، عشاراً تضع أثقالها عن قريب ، أو مخاضاً تتهيأ للنتاج .

٤٥— فَأَنَّى وَجَدِّكَ لَوْلَا تَجِيءُ ... لَقَدْ قَلِقَ الخُرْتُ أَنْ لَا انْتِظَارَا

٤٦— كَطُوفِ الغَرِيبَةِ وَسْطَ الحِيَاضِ ... تَخَافُ الرَّدَى وَتُرِيدُ الجِفَارَا

٤٧— وَيَوْمٍ يُبِيلُ النِّسَاءَ الدِّمَا ... جَعَلْتَ رِدَاءَكَ فِيهِ خِمَارَا

٤٨— فَيَا لَيْلَةً لِي فِي لَعْلَعٍ ... كَطُوفِ الغَرِيبِ يَخَافُ الإِسَارَا

٤٩— فَلَمَّا أَتَانَا بُعَيْدَ الكَرَى ... سَجَدْنَا لَهُ وَرَفَعْنَا عَمَارَا

٥٠— فَذَاكَ أَوَانُ التُّقَى وَالزَّكَى ... وَذَاكَ أَوَانٌ مِنَ المُلْكِ حَارَا

٥١— إِلَى مَلِكٍ خَيْرِ أَرْبَابِهِ ... وَإِنَّ لِمَا كُلِّ شَيْءٍ قَرَارَا

٥٢— إِلَى حَامِلِ الثِّقْلِ عَنْ أَهْلِهِ ... إِذَا الدَّهْرُ سَاقَ الهَنَاتِ الكِبَارَا

٥٣— وَمَنْ لَا تُفَزَّعُ جَارَاتُهُ ... وَمَنْ لَا يُرَى حِلْمُهُ مُسْتَعَارَا

٥٤— وَمَنْ لَا تُضَاعُ لَهُ ذِمَّةٌ ... فَيَجْعَلَهَا بَيْنَ عَيْنٍ ضِمَارَا

٥٥— وَمَا رَائِحٌ رَوَّحَتْهُ الجَنُوبُ ... يُرَوِّي الزُّرُوعَ وَيَعْلُو الدِّيَارَا

٥٦— يَكُبُّ السَّفِينَ لِأَذْقَانِهِ ... وَيَصْرَعُ بِالعِبْرِ أَثْلًا وَزَارَا

٥٧— إِذَا رَهِبَ المَوْجَ نُوتِيُّهُ ... يَحُطُّ القِلَاعَ وَيُرْخِي الزِّيَارَا

٥٨— بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِأُدْمِ العِشَا ... رِ لَطَّ العُلُوقُ بِهِنَّ احْمِرَارَا

٥٩— هُوَ الوَاهِبُ المِائَةَ المُصْطَفَا ... ةَ إِمَّا مَخَاضًا وَإِمَّا عِشَارَا

(٤٥ — ٤٧) قلق خرت فلان أى فسد أمره ، والخرت ثقب الأذن والإبرة ، تقول أضيق من خرت الإبرة . الغريبة الناقة الغريبة . الجفار الآبار جمع جفر (بفتح الجيم وسكون الفاء) وهى المتسعة غير البعيدة القعر . الرداء السيف . جعلت رداءك خماراً أو قنعت سيفك رؤوس القوم ، يقال عممه بسيفه أى ضربه به على رأسه .

(٤٨ — ٥١) لعلع جبل كانت به وقعة . العمارة (بفتح العين) ريحانة كان الرجل يحيى بها الملك مع قوله : عمرك الله ، والجمع عمار . الزكى الزيادة . حار رجع . لما كل شىء ، ما زائدة ، أى لكل شىء .

(٥٢ — ٥٤) الهنات جمع هنة والهنة الشىء أيا كان . العين الحاضر . الضمار خلاف العيان وهو ماغاب أو هو مالا تكون منه على ثقة .

(٥٥ — ٥٩) راح الشجر والنهر وجد الريح فهو رائح ، وروحته الريح أصابته . يكب السفين لأذقانه أى يقلبه على وجهه . العبر الشط . الأثل والزار شجر . يحط القلاع يتزلها ويرخيها حتى لا يقلب الريح السفينة وذلك بارخاء الزيار وهى الحبال .
الأدم البيض . العشار الحوامل وهى أثمن وأغلى لما فى بطونها . العلوق الرعى . المخاض التى دنت ولادتها .

(٦٠—٦٤) ويهب — فيما يهب — كل فرس جواد ، فى لونه الأحمر الداكن اللماع ، وكأنه لوضاءته واكتنازه قد دهن جلده بالزيت . إذا أرسل فى الغارة وسط ألف من الخيل بذها جميعاً .

وممدوحه — مع ما اتصف به من كرم وقوة ووفاء — تقى يراقب ربه . وليس الراهب المعتكف فى هيكله أمام صليبه ، دائباً على صلواته سجوداً وتضرعا إلى الله ، بأعظم منه تقى فى الحساب ، إذا تحركت الريح فى الليل ، هينة بليلة تنفض الغبار .

(٦٥—٧٠) وإنك لأورى الملوك زناداً ، تتوقد ذكاء ، وتتحفز يقظة ونشاطاً . كأنك الزند ينقدح فى شجر (المرخ) أو (العفار) السريع الاتقاد . فكل زند بجانب زندك كاب قصير . ولو شئت لقدحت الحجر فى شجر (النبع) الصلب فاتقد ناراً .

ويدفع الشاعر عن نفسه فى ختام القصيدة ما يتهم به عند الممدوح ، من أنه يسطو على شعر غيره من الشعراء فينتحله ، فيقول : أأنتحل الشعر بعد المشيب ، وقد أفنيت شبابى ووقفت زهرة عمرى على تجويده ، حابساً نفسى عليه ، مقيداً فى بيته كما تقيِّد السيورُ أحناء السرج ! ويختم القصيدة بقوله — مخاطباً الممدوح — : أنت لى فى حياتى كل شىء . فأن ذهبت عنى فما أبالى شيئاً . فاذا وارتك الأرض فى بطنها ، فلا مطرتها سماء ، ولا جادها سحاب .

٦٠— وكُلّ كُمَيْتٍ كأنّ السَّلِيـ ... ـطَ في حَيْثُ وارَى الأدِيمُ الشِّعارَا

٦١— بِهِ تُرْعَفُ الأَلْفُ إذْ أُرْسِلَتْ ... غَداةَ الصَّباحِ إذا النَّقْعُ ثارَا

٦٢— وما أَيْبُلِيٌّ عَلَى هَيْكَلٍ ... بَناهُ وصَلَّبَ فيهِ وَصارَا

٦٣— يُراوِحُ مِنْ صَلَواتِ المَلِيـ ... ـكِ طَوْرًا سُجُودًا وطَوْرًا جُؤارَا

٦٤— بأَعْظَمَ مِنْهُ تُقًى في الحِسابِ ... إذا النَّسَماتُ نَفَضْنَ الغُبارَا

٦٥— زِنادُكَ خَيْرُ زِنادِ المُلُو ... كِ خالَطَ مِنْهُنّ مَرْخٌ عَفارَا

٦٦— فَإنْ يَقْدَحُوا يَجِدُوا عِنْدَها ... زِنادَهُمُو كابِياتٍ قِصارَا

٦٧— وَلَوْ رُمْتَ في لَيْلَةٍ قادِحًا ... حَصاةً بِنَبْعٍ لأَوْرَيْتَ نارَا

٦٨— فَما أنا أمْ ما انْتِحالِي القَوا ... فِ بَعْدَ المَشِيبِ كَفَى ذاكَ عارَا

٦٩— وقَيَّدَنِي الشِّعْرُ في بَيْتِهِ ... كَما قَيَّدَ الآسِراتُ الحِمارَا

٧٠— إذا الأرْضُ وارَتْكَ أعْلامُها ... فَكَفَّ الرَّواعِدُ عَنْها القِطارَا

(٦٠ — ٦٤) السكيت الفرس تضرب حمرته للسواد . السليط دهن السمسم . الشعار جمع شعر . وفي التعبير قلب ، والمقصود حيث وارى الشعر الأديم وهو الجلد . فرس راعف سابق ، ورعف الفرس الخيل سبقها . أيبلي صاحب أيبل وهي العصا التي يدق بها الناقوس . الهيكل موضع في صدر الكنيسة يقرب فيه القربان . صلب صور فيه الصليب . صار سكن . راوح بين العملين تداول هذا مرة وهذا مرة . جأر إلى الله تضرع بالدعاء . النسيم نفس الريح إذا كان ضعيفاً وأولها حين تقبل بلين قبل أن تشتد .

(٦٥ — ٦٧) المرخ والعفار شجرتان تقدح فيهما النار لأنهما توريان سريعاً وخشبهما هش رخو . كبا الزند لم يور . والنبع شجر صلب تتخذ منه القسي ومن أغصانه السهام . والحصى صغار الحجارة . والحصى لايوري والنبع لا يتقد إلا بصعوبة لصلابته .

(٦٨ — ٧٠) ما أنا أم ما انتحالي القوافي ، ينفي عن نفسه ما اتهم به عند الممدوح من أنه يسطو على شعر غيره وينتحله لنفسه . الحمار ثلاث خشبات تعرض عليها خشبة وتؤسر بها أي تربط وهي هيكل السرج . والآسرات السيور التي يربط بها السرج . ويسمى الحمار أيضا القتب والإكاف . أعلام الأرض جمع علم وهو حجر منصوب في الطريق يهتدى به ، ويقصد به الحجر الذي يعلم به القبر . الرواعد السحب التي ترعد وتبرق لسكنائها . القطار جمع قطر (بفتح فسكون) وهو المطر

بنو شيبان من أكبر فروع بكر. منهم قيس بن مسعود الذي ضمن للفرس على بكر ألا يدخلوا السواد (العراق) ولا يفسدوا فيه، فأقطعوه في مقابل ذلك «الأبلة» وما والاها. ومنهم ابنه بسطام، فارس شيبان في الجاهلية. ومنهم هانئ بن قبيصة الشيباني الذي أودع عنده النعمان بن المنذر أسلحته حين استدعاه كسرى، فلما علم كسرى بذلك طلب منه الأسلحة فامتنع عليه، فكان ذلك فيما يروى بعض الرواة سبب حرب ذي قار. ومنهم الحوفزان حارثة بن شريك. ومنهم أبو ثابت يزيد بن مسهر الذي قيلت فيه هذه القصيدة، وهو أحد زعماء بكر يوم ذي قار. وقد ظهر منهم في الإسلام رجال، منهم الضحاك بن قيس الخارجي، والمثنى بن حارثة.

وترتيب أبيات القصيدة كما هو مثبت هنا نقلا عن الديوان الذي نشره « geyer » مضطرب كثير الاختلاط. وقد أورد الناشر في الملاحق التي علق فيها على الديوان روايات مختلفة لترتيب الأبيات، بعضها مأخوذ عن نسخ من مخطوطات الديوان، وبعضها مأخوذ عن كتب الأدب التي روت القصيدة. وخير هذه الروايات، وأقربها إلى الصحة، وأدناها إلى المنطق والاتساق، واطراد السياق، هو الترتيب الذي نقله عن إحدى نسخ الديوان المخطوطة. وسانبته بالإشارة إلى أرقام الأبيات:

١ — ٨ ثم ١١ — ٢٠ ثم ٩، ١٠ ثم ٢١ ثم ٢٤ — ٤٢ ثم ٤٤ ثم ٤٣ ثم ٣١ — ٣٣ ثم ٢٢ — ٢٥ ثم ٢٧ — ٣٠ ثم ٤٥ — ٤٧ ثم ٤٩ — ٥٢ ثم ٥٤ — ٥٦ ثم ٥٣ ثم ٦٢ — ٦٤ ثم ٦١ ثم ٥٨، ٥٩ ثم ٥٧ ثم ٦٥، ٦٦ ثم ٦٠

وسنسير في تلخيصنا القصيدة على هذا الترتيب الذي نرجحه.

وقصة هذه القصيدة فيما يروى صاحب الأغاني (١) أن رجلا اسمه ضبيع من بني كعب بن سعد (أحد بيوت قيس بن ثعلبة، بيت الأعشى) قتل رجلا اسمه زاهر بن سيار من بني همام (أحد بيوت ذهل بن شيبان، بيت يزيد بن مسهر) وكان ضبيع لا يعدل زاهراً. فهم بنو سيار أن يأخذوا بثأر زاهر فنهاهم يزيد بن مسهر الشيباني أن يقتلوا به ضبيعاً وقال: اقتلوا به سيداً (وهو أحد بني سعد بن مالك بن ضبيعة).

فلما بلغ بني قيس (قبيلة الأعشى) ذلك، هاجه الأعشى بهذه القصيدة. وهو يطلب إليه فيها أن يدع بني سيار وبني كعب وشأنهم، فإنه إن أقاد بني سيار، لم يكن لقومه بد من أن يبيئوا بني كعب.

(١ — ٤) يبدأ الأعشى قصيدته مودعا صاحبته «هريرة». فقد تهيأ الركب للرحيل، ولم يعد من الوداع بد. ولكن الضعف لا يلبث أن يدركه، فيخاطب نفسه قائلا: «وهل تطيق وداعا أيها الرجل؟»

ويسيطر على الأعشى خيال صاحبته، ويتمثل له أمام عينيه، فيمضي في تصويرها متحسراً..

بشرة وضيئة بيضاء، وشعر غزير مسترسل، وثغر صقيل ناصع البياض. تخطر متمهلة حين تمشي حتى يخيل إلى الناظر أنها تسير في أرض قد كستها الأوحال فهي تخشى الزلل، أو كأنها تشتكي ألما في بطن رجلها فهي لا تكاد تقوى على الإسراع. فهي تمشي وادعة في خفة ورشاقة، كأنها سحابة تسبح في الفضاء متمهلة. يوسوس الحلى في معصميها وساقيها كأنه حب (العشرق) قد حركته الريح.

(٥ — ٧) لم يكن هو وحده الذي يحبها، فقد كانت حبيبة إلى كل الناس. وكان خلقها السمح يقربها إلى كل من جاورها. لم تكن تؤذي أحداً، ولم تكن تزج بنفسها فيما لا يعنيها من شئون الناس، فتسترق السمع إلى أسرارهم. كانت كريمة العنصر مترفة، لم تتعود الكد والكدح، فهي لا تكاد تنهض

---

(١) ج ٨ ص ٩٦

وقال ليزيد بن مُسْهِر — أبي ثابت — الشيباني . (قال أبو عُبَيْدَة : قرأتها على أبي عَمْرو بن العلاء .)

(بسيط)

١ — وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الرَّكْبَ مُرْتَحِلُ ... وَهَلْ تُطيقُ وَدَاعًا أيُّها الرَّجُلُ

٢ — غَرَّاءُ فَرْعَاءُ مَصْقُولٌ عَوارِضُها ... تَمْشِي الهُوَيْنَى كما يَمْشِي الوَجِي الوَحِلُ

٣ — كأنَّ مِشْيَتَها مِنْ بَيْتِ جارَتِها ... مَرُّ السَّحابَةِ ، لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ

٤ — تَسْمَعُ للحَلْيِ وَسْوَاسًا إذا انصَرَفَتْ ... كما استَعانَ بِرِيحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ

٥ — لَيْسَتْ كَمَنْ يَكْرَهُ الجِيرانُ طَلْعَتَها ... ولا تَرَاها لِسِرِّ الجارِ تَخْتَتِلُ

٦ — يَكادُ يَصْرَعُها — لولا تَشَدُّدُها — ... إذا تَقُومُ إلى جاراتِها الكَسَلُ

٧ — إذا تُعالِجُ قِرْنًا ساعَةً فَتَرَتْ ... واهتَزَّ منها ذَنُوبُ المَتْنِ والكَفَلُ

٨ — صِفْرُ الوِشاحِ ومِلْءُ الدِّرْعِ بَهْكَنَةٌ ... إذا تَأَتَّى يَكادُ الخَصْرُ يَنْخَزِلُ

٩ — صَدَّتْ هُرَيْرَةُ عَنّا ما تُكَلِّمُنا ... جَهْلًا بأُمِّ خُلَيْدٍ ، حَبْلَ مَنْ تَصِلُ ؟

١٠ — أأنْ رَأَتْ رَجُلًا أعْشَى أضَرَّ بِهِ ... رَيْبُ المَنُونِ ودَهْرٌ مُفْنِدٌ خَبِلُ ؟

١١ — نِعْمَ الضَّجِيعُ غَداةَ الدَّجْنِ يَصْرَعُها ... لِلَذَّةِ المَرْءِ لا جافٍ ولا تَفِلُ

١٢ — هِرْكَوْلَةٌ فُنُقٌ دُرْمٌ مَرافِقُها ... كأنَّ أَخْمَصَها بالشَّوْكِ مُنْتَعِلُ

١٣ — إذا تَقُومُ يَضُوعُ المِسْكُ أَصْوِرَةً ... والزَّنْبَقُ الوَرْدُ مِنْ أرْدانِها شَمِلُ

(١ — ٣) غراء بيضاء . فرعاء كثيرة الشعر طويلته . العوارض ما يبدو من الأسنان عند الابتسام . الوجي الذي حفي قدمه أو حافره . الريث البطء .

(٤ — ٦) الوسواس والوسوسة صوت الحلي . العشرق شجيرة مقدار ذراع فيها حب صغار فإذا جفت فمرت بها الريح تحرك الحب فيسمع له خشخشة على الحصى . الزجل الصوت الرفيع العالي . تختتل تسمع استراقا .

(٧ — ٩) قرنا صاحبا . الذنوب اللحمتان اللتان في أعلى الفخذ من العجيزة . صفر الوشاح دقيقة الخصر ، والوشاح أديم عريض يرصع بالجوهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحيها . ملء الدرع كبيرة الأرداف ، والدرع القميص . بهكنة ضخمة الخلق . تأتى أي تتأنى وتترفق . ينخزل ينبت وينقطع .

(١٠ — ١١) دهر مفند ، الفند (بفتح الفاء والنون) الفساد . ريب المنون نوائب الدهر . خبل من الخبل وهو فساد العقل . الدجن اليوم الغائم أو الممطر . جاف غليظ غير رفيق . تفل منتن .

(١٢ — ١٣) هركولة عظيمة الوركين . فنق منعمة مفنقة . درم العظم واراه اللحم حتى لم يبن له حجم . المرفق عظم المفصل في الذراع . الأخمص ما دخل من باطن القدم فلم يصب الأرض . الأصورة جمع صوار (بضم الصاد) وهو الوعاء الذي يحرق فيه المسك . الزنبق نبات له زهر طيب الرائحة طويل كالحربة ، ويغلب عليه اللون الأخرى . الأردان جمع ردن (بفتحتين) وهو الغزل والخز . شمل منتشر ، من قولهم شمل الأمر القوم أي عمهم .

لما ينهض له النساء من معالجة شئون البيت ، فهى لذلك مِكْسَال ، لا تقوم لجارتها إلا تحاملت على نفسها متشددة . ولا تكاد تعالج قرناً حتى يسرع إليها الوهن والفتور ، فيهتز جسمها الناعم الريان ، وتضطرب معه أردافها الضخمة البَضَّة .

٨ — يجفو وشاحها عن خصرها فلا يمسه لدقته ، وتملأ أردافها القميص حتى يضيق بها . إذا تثنت مترفقة خيل إليك أن خصرها الناحل سينبت وينقطع . . .

(١١—١٣) ويجمح بالشاعر خياله ، وقد اختلطت شهوته العارمة المفترسة ، بهذه النظرات المدققة ، التى تنفذ إلى مواضع الفتنة والإغراء لتتصور ما وراء الثياب ، فيود لو أنه خلا بها ، فصرعها فى غداة يوم غائم مطير ، وأشبع نهمه وأرضى لذته بجسمها الريان ، وشبابها الناعم ، ومرفقيها الصغيرين وقد اختفت عظامهما فى ساعديها الممتلئين . وقدميها الصغيرتين وقد جفا بطناهما عن الأرض لا يكادان يمسانها ، كأنهما مبطنتان بالشوك ، ورائحتها العبقة التى يضوع منها المسك حتى يمتلىء به طريقها حين تسير ، مختلطاً برائحة الياسمين الذى يعطر أردانها . . .

(١٤—١٦) ليست روضة قد أزهرت ورودها ، فى ربوة لا تطأها الأقدام ، ولا تعبث بها الأيدى ، قد جاد عليها المطر ، وأشرقت عليها الشمس ، فانعكست على جداولها المحفوفة بالنبات وقت الغروب ، حين يهدأ الكون ، وتضوع ريح الورد ، بأطيب منها نَشْراً ، ولا هى أحلى منها رائحة . . .

(١٧—١٩) عرضت له هريرة فتعلق بحبها ولم يسع إليه . ولكنها تحب رجلا غيره . ومن عجب أن هذا الذى تحبه لا يبادلها الحب ، لأنه يحب فتاة أخرى . فهى تتعلق برجل لا يأبه لها ، وفى بنى عمها من قتله حبها وأذهل عقله . وكذلك هو يحبها فلا تلتفت إليه ، وفى الحى فتاة أخرى قد تعلق قلبها به ولكنها لا تلائمه . . .

ويضحك الأعشى من أمره وأمر الناس قائلا : « هل رأيت أعجب من هذه المصادفات ، التى ألفت بين هذه المجموعة من أصحاب الحب الفاشل ؟ »

١٤ — ما روضة من رياض الحزن معشبة ... خضراء جاد عليها مسبل هطل

١٥ — يضاحك الشمس منها كوكب شرق ... مؤزر بعميم النبت مكتهل

١٦ — يوما بأطيب منها نشر رائحة ... ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

١٧ — علقتها عرضا ، وعلقت رجلا ... غيري وعلق أخرى غيرها الرجل

١٨ — وعلقته فتاة ما يحاولها ... من أهلها ميت يهذي بها وهل

١٩ — وعلقتني أخيرى ما تلائمني ... فاجتمع الحب حبا كله تبل

٢٠ — فكلنا مغرم يهذي بصاحبه ... ناء ودان ومخبول ومختبل

٢١ — قالت هريرة لما جئت زائرها ... ويلي عليك وويلي منك يا رجل

٢٢ — يامن يرى عارضا قد بت أرقبه ... كأنما البرق في حافاته الشعل

٢٣ — له رداف وجوز مفأم عمل ... منطق بسجال الماء متصل

٢٤ — لم يلهني اللهو عنه حين أرقبه ... ولا اللذاذة من كأس ولا الكسل

٢٥ — فقلت للشرب في درنى وقد ثملوا ... شيموا وكيف يشيم الشارب الثمل ؟

٢٦ — برقا يضيء على الأجزاع مسقطه ... وبالخبية منه عارض هطل

٢٧ — قالوا نمار فبطن الخال جادهما ... فالعسجدية فالأبلاء فالرجل

٢٨ — فالسفح يجري فخنزير فبرقته ... حتى تدافع منه الربو فالجبل

(١٤ — ١٧) الحزن المرتفع من الأرض . ورياض الحزن أطيب من رياض المنخفضات لأن الريح تهب عليها فتهيج رائحتها ولأن الأقدام لا تطأها . مسبل أي مطر مسبل ، وأسبل المطر أنزل الماء . كوكب الماء بريقه . شرق زاه . مؤزر لابس إزارا وكأن النبات حلة تكسوه . مكتهل قد بلغ وتم . النشر تضوع الرائحة وانتشارها . الأصيل وقت الغروب .

(١٨ — ٢٠) الوهل ذهاب العقل . والتبل كذلك . خبل الصيد أخذه في الحبالة فالصيد مخبول . واختبل الرجل الصيد أخذه بالحبالة فالصائد مختبل (على البناء للفاعل) .

(٢١ — ٢٤) العارض السحاب المعترض . رداف ذيل . جوز وسط . مفأم ممتلىء بالماء . عمل دائم متصل . السجال جمع سجل (بفتح السين) وهو الدلو .

(٢٥ — ٢٨) درنى كانت بابا من أبواب فارس دون الحيرة ، أو هي موضع باليمامة . شام البرق والسحاب نظر إليه وقدر أين يمطر . الأجزاع جمع جزع (بكسر الجيم) وهو منعطف الوادي أو المشرف من الأرض . الخبية موضع بين الكوفة والشام . نمار بل لبني سليم . بطن الخال موضع وجبل . جادهما مطر عليهما العارض . الرجل موضع باليمامة . البرقة أرض ذات حجارة رمل وطين . الربو مرتفع من الأرض . السفح وخنزير موضعان .

٢٠ــ فكلنا مغرم يهذى بصاحبه ، بين بعيد وقريب ، وصيد وقع فى الحبالة وصياد يبتغى الصيد .

٩ ــ وقد صدت عنه صاحبته جهلا بقدره ، فهو يعجب لأمرها ويقول : حبلَ من تصلين إن قطعتنى ؟ ومن أحق منى بهذا الوصل ؟

١٠ــ إنكِ لم ترينى فى شبابى وفى إقبال الأيام على . رأيتِ رجلا قد أضر به رَيْبُ الزمان وعضّه دهر فاسد مخبول .

٢١ــ فلقيتنى لقاء خشناً جافياً ، إذ جئتك زائراً فتقولين : « ويلى عليك وويلى منك يارجل ! »
ليتك قد رأيتنى فى شبابى وفى إقبال الأيام على .

(٣٤ــ٣٨) إن ترينى اليوم حافياً لا أنتعل فلكم لبست ولكم أبليت . إن هذا الذى تنبو عنه عيناك قد أمتع نفسه من الغانيات ، وقد استبى كل عقيلة يحذر عليها صاحبها ويحوطها برعايته ، فلا ينجيه منى الحذر . كنت مالكا لشبابى أصرفه فى لذتى فلا يأبى على ولا يمتنع ، وكان لى رفقاء من أصحاب اللذة والفتك . ولقد أغدو معهم إلى الحانوت يتبعنى غلام خفيف نشط ، ولقد أجلس إلى فتية كسيوف الهند مضاء ، قد أرسلوا أنفسهم فى لذاتها ، لأنهم يعلمون « أنْ ليس يَدْفَعُ عن ذى الحيلَةِ الحِيَلُ »

(٣٩،٤٠،٤١)يطوف عليهم ساق نشيط ، قد شمَّر أسفل قميصه ، وعلق فى أذنيه لؤلؤتين . وقد تناثرت قضبان الريحان يتنازعها الندمان ، وهم يتناقلون كؤوساً لا تجف ، لأنهم لا يتوقفون عن الشرب إلا ريثما ينادون : هات !

(٤٢ ، ٤٤) وماجت الحانة بنساء ضخام ، يجررن ذيول الريط رافلات ، وكأن على أردافهن قِرَبًا صغيرة ترتج بما فيها من الماء . وتنشط القيان للغناء على نغمات العود وجَرْس الصَّنْج .

٤٣ــ فى مثل ذلك كان لهوى فى شبابى ، وكم فى اللهو والغزل من تجارب .
كنت شابا فتياً ، لاتخفى على اللذات ، ولا أتردد فى اقتحام الصعاب .

٣١ــ كم قد اقتحمت من صحراء جرداء لانبات فيها ولا ماء ، عريت من كل شىء فكأنها ظهر تُرْس ، تسمع للجن بالليل فى أطرافها زَجَلا .

٢٩ — حَتَّى تَحَمَّلَ مِنْهُ الْمَاءَ تَكْلِفَةً ... رَوْضُ الْقَطَا فَكَثِيبُ الْغَيْنَةِ السَّهِلُ

٣٠ — يَسْقِي دِيَارًا لَهَا قَدْ أَصْبَحَتْ عُزُبًا ... زُورًا تَجَانَفَ عَنْهَا الْقَوْدُ وَالرَّسَلُ

٣١ — وَبَلْدَةٍ مِثْلِ ظَهْرِ التُّرْسِ مُوحِشَةٍ ... لِلْجِنِّ بِاللَّيْلِ فِي حَافَاتِهَا زَجَلُ

٣٢ — لَا يَتَنَمَّى لَهَا بِالْقَيْظِ يَرْكَبُهَا ... إِلَّا الَّذِينَ لَهُمْ فِيمَا أَتَوْا مَهَلُ

٣٣ — جَاوَزْتُهَا بِطَلِيحٍ جَسْرَةٍ سُرُحٍ ... فِي مِرْفَقَيْهَا إِذَا اسْتَعْرَضْتَهَا فَتَلُ

٣٤ — إِمَّا تَرَيْنَا حُفَاةً لَا نِعَالَ لَنَا ... إِنَّا كَذَلِكَ مَا نَحْفَى وَنَنْتَعِلُ

٣٥ — فَقَدْ أُخَالِسُ رَبَّ الْبَيْتِ غَفْلَتَهُ ... وَقَدْ يُحَاذِرُ مِنِّي ثُمَّ مَا يَئِلُ

٣٦ — وَقَدْ أَقُودُ الصِّبَى يَوْمًا فَيَتْبَعُنِي ... وَقَدْ يُصَاحِبُنِي ذُو الشِّرَّةِ الْغَزِلُ

٣٧ — وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الْحَانُوتِ يَتْبَعُنِي ... شَاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِلُ

٣٨ — فِي فِتْيَةٍ كَسُيُوفِ الْهِنْدِ قَدْ عَلِمُوا ... أَنْ لَيْسَ يَدْفَعُ عَنْ ذِي الْحِيلَةِ الْحِيَلُ

٣٩ — نَازَعْتُهُمْ قُضُبَ الرَّيْحَانِ مُتَّكِئًا ... وَقَهْوَةً مُزَّةً رَاوُوقُهَا خَضِلُ

٤٠ — لَا يَسْتَفِيقُونَ مِنْهَا - وَهِيَ رَاهِنَةٌ - ... إِلَّا بِهَاتِ، وَإِنْ عَلُّوا وَإِنْ نَهِلُوا

٤١ — يَسْعَى بِهَا ذُو زُجَاجَاتٍ لَهُ نُطَفٌ ... مُقَلِّصٌ أَسْفَلَ السِّرْبَالِ مُعْتَمِلُ

٤٢ — وَمُسْتَجِيبٍ تَخَالُ الصَّنْجَ يَسْمَعُهُ ... إِذَا تُرَجِّعُ فِيهِ الْقَيْنَةُ الْفُضُلُ

٤٣ — مِنْ كُلِّ ذَلِكَ يَوْمٌ قَدْ لَهَوْتُ بِهِ ... وَفِي التَّجَارِبِ طُولُ اللَّهْوِ وَالْغَزَلُ

٤٤ — وَالسَّاحِبَاتُ ذُيُولَ الْخَزِّ آوِنَةً ... وَالرَّافِلَاتُ عَلَى أَعْجَازِهَا الْعِجَلُ

(٢٩ — ٣٠) تكلفة أي تكلف ذلك لما ضاق به الموضع الآخر. الغينة الأرض الكثيرة الأشجار. عزبا أي بعيدة، والعازب الكلأ البعيد. زورا بعيدة. تجانف عدل وانحرف. القود الخيل. الرسل الجماعة والقطيع من كل شيء.

(٣١ — ٣٣) مثل ظهر الترس، شبهها بظهر الدرع في انبساطها وإقفارها لأنها لا شيء فوق ظهرها. الزجل الأصوات المختلطة. يتنمى يسمو إلى ركوبها. مهل عدة. طليح ناقة أعزلها السفر. جسرة ضخمة. سرح سهلة السير. الفتل تباعد مرفق الناقة عن زورها.

(٣٤ — ٣٧) خلس الشيء سرقه وأخذه خفية. ما يئل لا ينجو، والماضي وأل أي نجا. الشرة نشاط الشباب. الحانوت الخمارة. شاو يشوي اللحم. مشل سواق من شل أي طرد وساق، وكذلك شلول. شلشل خفيف في العمل سريع. شول يحمل الشيء.

(٣٨ — ٤٠) الراووق الوعاء الذي تروق فيه الخمر. خضل دائم الندى لكثرة استعمالهم. النهل الشرب الأول والعلل الشرب الثاني.

(٤١ — ٤٤) النطف جمع نطفة وهي اللؤلؤة العظيمة. معتمل يخدم ويعمل دائما. مستجيب هو العود يجيب الصنج ويشاكله. والصنج مزمار من النحاس يصفق بأحداهما على الأخرى ويمسكان في أصابع اليد. الفضل التي تلبس ثوبا واحداً كأنها متبذلة. وفي جر ذيله وتبختر في مشيه. العجلة القربة الصغيرة، يشبه أردافها المثقلة المرتجة بالقربة الصغيرة يترجرج فيها الماء.

٣٢ـــ لا يجرأ على اقتحامها فى القيظ إلا القوى الذى قد اتخذ لرحلته الشاقة أهبته .

٣٣ـــ مِثْلَ هـــذه الصحراء أقتحم ، فأقطعها على ناقة قد تعودت الأسفار حتى أنهكتْها ، وهى مع ذلك جَسُور لا تأبى على الراكب ، ولكنها تنطلق فى سهولة ، تكشف فى انطلاقها الجرىء عن مرفقين مفتولين .

وكنت خبيراً بما ينبغى لرجل الصحراء أن يعرفه .

٢٢ـــ كم من سحاب عارض قد بتُّ أتتبعه ، يلمع البرق فى حافاته كأنه الشُعَل . نظرت إليه أرقبه ، ولم يصرفنى عنه ما كنت فيه من لهو ، فاذا هو متصل الأجزاء ، وإذا وسطه متسع عظيم يحمل بدلاء الماء .

٢٥ـــ فقلت لصحبى فى « دُرْنَى » وقد أخذت منهم الخمر « شِيمُوا ! » ـ ومن يَخَبِ أن يشيم الشارب الثمل ـ انظروا هذا السحاب الثقيل ، وقولوا أين تتوقعون نزوله . .

٢٦ـــ ماذا ترون فى هذا البرق الذى يلمع فوق (الأجزاع) ، وفى هذا السحاب الممتلىء بالماء فوق (الحبية)؟

٢٧ـــ وهم لا يزالون فى حَدْس وتخمين ، كلٌ يذكر الأرض التى يتوقعُ أن هذا العارض سيصيبها بمائه ، بين (نِمار) و (بطن الخال) و (العسجدية) و (الأبلاء) و (الرِجل) و (السفح) و (خِنْزِير) و (بُرقة خنزير) وكأنه قد أصابها ، وكأن لجاج الأرض قد ضاقت بالماء حتى عم الرُبا والجبال ، وانصب إلى الرياض وإلى الوديان ذات الأشجار .

٣٠ـــ يسقى ديار صاحبته التى أصبحت بعيدة لا تقصدها الخيل ولا الركبان .

فاذا أرضى الشاعر نفسه من صاحبته ومن شبابه وذكرياته على ما أراد ، اتجه فجأة إلى صاحب له يتخيله ، طالباً إليه أن يبلغ يزيد بن مسهر الشيبانى رسالة منه .

٤٥ـــ ليقل له عنه : أما تنفكُّ تغلى ويجيش صدرك بالشر ؟

٤٧ـــ تغرى بنا رهط «مسعود» وإخوته ، فاذا التقوا فى القتال ، وتَرَدَّوا فى الهلاك ، اعتزلت كأنك لم تفعل شيئاً ولم تأت إثماً .

٤٦ـــ أما آن لك أن تنتهى عن نحت أَثْلَتِنا ، وأن تعلم أنك لست ضائرها أبد الدهر ؟

٤٨ـــ ما أنت حين ينفر الناس للقتال ، وتُشَبُّ الحرب ، فينتشر المقاتلون كالطوفان ، يحملون السبايا والأسلاب ، إلا كوعل أحمق ، ينطح صخرة ليفلقها ، فلا يضيرها وإنما يُوهِى قرنه .

٤٥ — أَبْلِغْ يَزِيدَ بَنِي شَيْبَانَ مَأْلُكَةً   أَبَا ثُبَيْتٍ أَمَا تَنْفَكُّ تَأْتَكِلُ

٤٦ — أَلَسْتَ مُنْتَهِيًا عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِنَا   وَلَسْتَ ضَائِرَهَا مَا أَطَّتِ الْإِبِلُ

٤٧ — تُغْرِي بِنَا رَهْطَ مَسْعُودٍ وَإِخْوَتِهِ   عِنْدَ اللِّقَاءِ فَتُرْدِي ثُمَّ تَعْتَزِلُ

٤٨ — لَأَعْرِفَنَّكَ إِنْ جَدَّ النَّفِيرُ بِنَا   وَشُبَّتِ الْحَرْبُ بِالطُّوَّافِ وَاحْتَمَلُوا

٤٩ — كَنَاطِحٍ صَخْرَةً يَوْمًا لِيَفْلِقَهَا   فَلَمْ يَضِرْهَا وَأَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِلُ

٥٠ — لَأَعْرِفَنَّكَ إِنْ جَدَّتْ عَدَاوَتُنَا   وَالْتُمِسَ النَّصْرُ مِنْكُمْ عَوْضُ تُحْتَمَلُ

٥١ — تُلْزِمُ أَرْمَاحَ ذِي الْجَدَّيْنِ سَوْرَتَنَا   عِنْدَ اللِّقَاءِ فَتُرْدِيهِمْ وَتَعْتَزِلُ

٥٢ — لَا تَقْعُدَنَّ وَقَدْ أَكَّلْتَهَا حَطَبًا   تَعُوذُ مِنْ شَرِّهَا يَوْمًا وَتَبْتَهِلُ

٥٣ — قَدْ كَانَ فِي أَهْلِ كَهْفٍ إِنْ هُمُو قَعَدُوا   وَالْجَاشِرِيَّةِ مَنْ يَسْعَى وَيَنْتَضِلُ

٥٤ — سَائِلْ بَنِي أَسَدٍ عَنَّا فَقَدْ عَلِمُوا   أَنْ سَوْفَ يَأْتِيكَ مِنْ أَنْبَائِنَا شَكَلُ

٥٥ — وَاسْأَلْ قُشَيْرًا وَعَبْدَ اللهِ كُلَّهُمُ   وَاسْأَلْ رَبِيعَةَ عَنَّا كَيْفَ نَفْتَعِلُ

٥٦ — إِنَّا نُقَاتِلُهُمْ حَتَّى نُقَتِّلَهُمْ   عِنْدَ اللِّقَاءِ وَهُمْ جَارُوا وَهُمْ جَهِلُوا

٥٧ — كَلَّا زَعَمْتُمْ بِأَنَّا لَا نُقَاتِلُكُمْ   إِنَّا لِأَمْثَالِكُمْ يَا قَوْمَنَا قُتُلُ

٥٨ — حَتَّى يَظَلَّ عَمِيدُ الْقَوْمِ مُتَّكِئًا   يَدْفَعُ بِالرَّاحِ عَنْهُ نِسْوَةٌ عُجُلُ

٥٩ — أَصَابَهُ هِنْدُوَانِيٌّ فَأَقْصَدَهُ   أَوْ ذَابِلٌ مِنْ رِمَاحِ الْخَطِّ مُعْتَدِلُ

(٤٥ — ٥٠) مألكة رسالة . الاشكال السعي بالعر والفساد . الأثلة شجرة ، يقصد أصله ومجده المؤثل العريق . أطت الابل أنت تعباً وحنيناً . اللقاء القتال . أرداه أوقعه في الردى والهلاك . النفير القوم ينفرون معك للقتال . الطواف الذين يطوفون ، من قولهم طوف الناس والجراد أى ملأوا الأرض كالطوفان . احتملوا (على البناء للمعلوم) صبروا على الشدة . كناطح ، وعل ينطح صخرة . احتمل الرجل (على البناء للمجهول) استفز وغضب .

(٥١ — ٥٣) السورة حدة الغضب . ذو الجدين قيس بن مسعود من أشراف العرب . كهف من بني سعد بن مالك . قعدوا عن القتال . الجاشرية امرأة من أياد .

(٥٤ — ٥٦) شكل أزواج ، خبر ثم خبر . قشير بن كعب بن ربيعة .

(٥٧ — ٥٩) عميد القوم سيدهم . الراح جمع راحة وهي بطن اليد . عجل جمع عجول (بفتح العين) وهي المرأة الثكلى . هندواني سيف منسوب للهند . أقصده أصابه فلم يخطئه . الخط بلد في البحرين تجلب منها الرماح .

(٤٩—٥٢) تثير رهط مسعود وتغريهم بنا . وما أظنك تغضب لهم أو تخوض معهم قتالا إن طُلبتْ منك المساعدة . فأنت تلقيهم طعاما لغضبنا الهائج، فتوردهم المهالك ثم تعتزل . أججْت نار الفتنة وأمددتها بالحطب لتزيد فى التهابها ، ثم تقعد بعيداً عنها مستعيذاً من شرها ، مبتهلا إلى الله أن لا ينالك أذاها .

٥٤— ويعدد الأعشى القبائل التى عادوها من قبل فقهروها ، منهم أسد (بن ربيعة) ومنهم قُشَير (بن كعب ابن ربيعة) ، يقول له : سل هؤلاء ، بل سائل ربيعة جميعاً ، يخبروك كيف وجدوا بلاءنا فى القتال .

٥٦— كنا إذا قاتلناهم قتّلناهم تقتيلا ، وكانوا هم الجانين على أنفسهم بما جاروا وبما سفهوا علينا واجترموا .

٥٣— وإن فى قومنا وأحلافنا من بنى كهف (من بنى سعد بن مالك بن ضبيعة بن بكر) والجاشرية (من إياد) لَمَنْ يُغْنِى فى القتال ، ويصبر على النضال .

ويشير الأعشى إلى ما كان من إغراء يزيد لهذا البيت من شيبان ، ونهيهم أن يقتلوا ضُبَيْعاً زاهر فيقول :

(٦٢—٦٣) إنى أقسم بالبيت الحرام الذى تهوى إليه الإبل من كل صوب ، وبما يساق إليه من قرابين البقر الكثير ، لئن قتلتم منا سيداً لم يكن مقاربا لقتيلكم ، لنقتلن به منكم أفضل سيد فيكم .

٦٤— إنا لا نمل القتال . ولو قدر لك أن تُبْتَلَى بنا على أعقاب معركة قدخضناها، لوجدت فينا نشاطاً لقتال جديد ، ولما رأيتنا نحيد عن الخوض فى الدماء مرة أخرى .

٦١— فانتهوا أيها القوم خيراً لكم . ولن ينهاكم عما أنتم فيه من بغى كالطعن الجائف ، يغور فى جراحه البالغة الزيت والفتل ،

(٥٨—٥٩) ويخر فيه عميد القوم صريع السيوف والرماح ، قد اتكأ على مرفقه خائر القوى ، وقد هلك من حوله الرجال ، يدفع عنه النسوة بأيديهن .

٥٧— تزعمون أننا لسنا لكم بأكفاء ، وأننا لا ننهض لقتالكم . بل إننا لقتال أمثالكم أنداد .

(٦٥—٦٦) ألسنا فوارس يوم (العَيْن) — وما يوم (العين) بِسِرّ ، فقد كان فى ضحوة النهار — ليس فينا إلا فارس متمكن ، لايميل على سرج الفرس ، ولا تنقصه عدة القتال . وهو خير محارب راكبا وراجلا :

قالوا الركوب ، فقلنا تلك عادتنا أو تنزلون ، فإنا معشر نُزُل

٦٠— وإنا لأبصر الناس بمواضع الطعن ، وأحذقهم فى إصابة الهدف ، فلقد نصيب الحمار فى فائله (العرق الذى يجرى من الجوف إلى الفخذ) ولقد يهلك على أرماحنا البطل المغوار .

٦٠ — قَدْ تَخْضِبُ العَيْرَ مِنْ مَكْنُونِ فَائِلِهِ   وَقَدْ يَشِيطُ عَلَى أَرْمَاحِنَا البَطَلُ

٦١ — هَلْ تَنْتَهُونَ؟ وَلَا يَنْهَى ذَوِي شَطَطٍ   كَالطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَّيْتُ وَالفُتُلُ

٦٢ — إِنِّي لَعَمْرُ الذِي خَطَّتْ مَنَاسِمُهَا   تَخْدِي وَسِيقَ إِلَيْهِ البَاقِرُ الغُيُلُ

٦٣ — لَئِنْ قَتَلْتُمْ عَمِيدًا لَمْ يَكُنْ صَدَدًا   لَنَقْتُلَنْ مِثْلَهُ مِنْكُمْ فَنَمْتَثِلُ

٦٤ — لَئِنْ مُنِيتَ بِنَا عَنْ غِبِّ مَعْرَكَةٍ   لَمْ تُلْفِنَا مِنْ دِمَاءِ القَوْمِ نَنْتَفِلُ

٦٥ — نَحْنُ الفَوَارِسُ يَوْمَ العَيْنِ ضَاحِيَةً   جَنْبَيْ «فُطَيْمَةَ» لَامِيلٌ وَلَا عُزُلُ

٦٦ — قَالُوا الرُّكُوبَ! فَقُلْنَا تِلْكَ عَادَتُنَا   أَوْ تَنْزِلُونَ، فَإِنَّا مَعْشَرٌ نُزُلُ

(٦٠ — ٦٣) العير حمار الوحش . الفائل عرق يجرى من الجوف إلى الفخذ ، ومكنون الفائل هو الدم ، والفارس الحاذق يتعمد بالطعن فى الحربة ، وهى نقرة فى الورك لا عظم فيها تنفذ إلى الجوف . ومن روى (قد تطعن العير فى مكنون) فقد أخطأ ، إذ كيف يطعن فى الدم . الشطط الغلو . يذهب فيه الزيت والفتل لأن الطعنة غائرة . خطت شقت التراب ، المناسم جمع منسم وهو طرف الخف . تخدى تسرع فى السير مع اضطراب . الباقر جمع بقر ، الغيل جمع غيول (بفتح الغين) وهو الكثير من الإبل والبقر ونحوها . صدد الشىء المقابل له أو القريب منه . نمتثل نختار الأمثل والأحسن .

٦٤ — منى به ابتلى به . عن غب معركة عقب معركة . ننتفل ننتفى ، أى لا نجحد دماء قومك و نتبرأ منها هربا من القتال . وقال عن غب معركة ، لأن المقتول المألوف أن يسترجع القاتل بعدها ولكن هؤلاء لا يملون القتال .

٦٥ — فطيمة من بنى سعد بن قيس ، كانت عند رجل من بنى سيار ، وله امرأة غيرها من قومه ، فتغايرتا ، فعمدت السيارية فحلقت ذوائب فطيمة ، فاهتاج الحيان واقتتلوا ، فهزمت بنو سعد بن قيس (قوم الأعشى) بنى سيار . ضاحية أى علانية فى وضح النهار . ميل جمع أميل وهو الذى يميل على السرج ولا يثبت فى القتال . عزل جمع أعزل وهو الذى لا سلاح معه . ومن روى (نحن الفوارس يوم الحنو ضاحية) فهو مخطىء ، لأن يوم الحنو هو يوم ذى قار ، وأحسن الناس بلاء فيه هم بنو شيبان قوم يزيد بن مسهر الذى يهجوه الأعشى بهذه القصيدة . فغير معقول أن يشتمل عليه الأعشى مفاخرا بهذا اليوم .

٦٦ — تنزلون عن خيولكم فنجالدكم بالسيوف بدل المطاعنة بالرماح .

حنيفة أحد فروع بكر بن وائل . وكانت تسكن اليمامة . وكان هوذة مملكاً على قومه . وكان من المتكفلين بحراسة قوافل كسرى التي تمر بين الفرس واليمن ، كان يقوم بذلك لقاء جعالة جعلت له . فكانت القوافل تدفع إلى المناذرة ، ويرسلها هؤلاء في حراسة رجال من ربيعة ومضر إلى هوذة، فإذا خرجت من أرض اليمامة كانت في حراسة تميم إلى أن تبلغ عامل كسرى على اليمن . وكان هوذة متوجاً . زعم صاحب الأغاني (١) أنه قدم على كسرى فكساه قباء ديباج منسوجاً بالذهب واللؤلؤ، والقلنسوة مرصعة قيمتها ثلاثون ألف درهم،وكأساً من ذهب كان قد سقاه فيه .

وإلى هذا التاج يشير الأعشى في القصيدة ١٣ بقوله :

من يلق هوذة يسجد غير متئب إذا تعصب فوق التاج أو وضعا
له أكاليل بالياقوت زينها صواغها لاترى عيبا ولا طبعاً

أما صاحب العقد الفريد فقد زعم — رواية عن أبي عبيدة عن أبي عمرو — أنه لم يتتوج معدى قط ، وإنما كانت التيجان لليمن . فلما سئل عن تاج هوذة قال . إنما كانت خرزات تنظم له (٢) .

وقد عاش هوذة حتى أدرك الاسلام . وهو أحد الذين أرسل إليهم النبي الرسل حين دعا ملوك العرب والعجم للاسلام (٣) . ومات بعد منصرف النبي من الفتح سنة ٧ هـ ولم يسلم ، لأنه اشترط لاسلامه أن يجعل النبي له الأمر من بعده ، وإلا قصده وحاربه (٤) .

وقد مدح الأعشى هوذة بأربع قصائد . وهي — حسب ترتيبها التاريخي فيما نرجح — القصائد ١١ ثم ٧ ثم ١٢ ثم ١٣

وعلى ذلك فالقصيدة التي بين يدينا هي الثانية حسب الترتيب الزمني . وتبدو — كما هي مثبتة في الديوان — ناقصة غير محكمة الترتيب .

والظاهر أن القصيدة كانت طويلة ، وأن هذا القدر اليسير هو الذي بقي لنا منها .

والأعشى هنا لا يقدم لقصيدته بغزل طويل على عادته ، فقد أسن وانصرف عن اللهو والغزل .

ولذلك فهو يخاطب نفسه قائلا :

(١—٢) أجادًّا أنت فيما تزعم من توديع الشباب والنساء ، وهل ملت حقاً إلى القصد بعد الإسراف ؟ ثم يعود فيقول كالمتعجب من أمر نفسه : ما كنت أظن أن جهالتي ستنتهي إلى الحكمة ، وما كنت أظن أني سأكف عن الاضطراب في الأرض لأسكن إلى وطني في اليمامة بين « مِهْراس » و « مارد » .

(٣—٤) ولقد يلوم السفيه ذا البَطَالة على إسرافه في الفساد ، وقد كان هو نفسه من قبل لا يرى فيما يأتي من الفساد إلا الرشاد .

ولا يلبث الشاعر أن ينتقل إلى التعريض بالحارث بن وعلة وبخله ، متخذاً منه وسيلة لمقارنته بكرم هوذة وحسن ضيافته . فقد تجشم الأعشى السفر إلى الحارث ــ وهو يسميه مستهزئاً « حريثاً » ــ وأتاه زائراً ، فوجده عن عطائه جامداً .

(٥—٩) فهو أبعد الناس شبهاً عن آبائه الكرام . وهو لشدة بخله يفزع من زيارة الصديق ، كأنه يرى في بيته أسداً أو ثعباناً . خير منه نفساً ووالداً ذلك الرجلُ الكريم الذي زاره في « جَوّ » فأكرم وفادته وقربه ، ووهبه قائداً يعينه على الشيخوخة وكَلاَل القوة والبصر ، وأعطاه جارية ، فعاد من عنده بالخير الكثير .

---

(١) أغاني ج ١٦ ص ٧٩ (٢) العقد الفريد ج ٢ ص ١٠٤
(٣) الطبري ج ٢ ص ٢٨٨ (٤) إعلام السائلين من كتب سيد المرسلين ص ٣٤ ، ٣٥ وامتاع الأسماع ص ٣٠٩

وقال يمدح هَوْذَة بن على الحنفيّ ويذم الحارث بن وَعْلة بن مُجالِد الرَّقاشيّ :

(طويل)

١ — أجِدَّكَ ودَّعْتَ الصِّبى والولائدا ... وأصبحْتَ بعدَ الجَوْرِ فيهن قاصِدا

٢ — وَمَا خِلْتُ أن أبْتاعَ جَهلاً بِحِكْمَةٍ ... ومَا خِلْتُ مِهْراسًا بِلادِى ومَارِدا

٣ — يَلُومُ السَّفِيُّ ذا البَطَالَةِ بَعْدَمَا ... يَرَى كُلَّ مَا يأتِى ٱلْبَطَالَةَ رَاشِدا

٤ — أتَيْتُ حُرَيْثًا زائِرًا عن جَنابَةٍ ... وكانَ حُرَيْثٌ عن عطائِى جَامِدا

٥ — لَعَمْرُكَ مَا أشْبَهْتَ وَعْلَةَ فِى النَّدَى ... شَمَائِلَهُ ولا أبَاهُ المُجَالِدا

٦ — إذا زَارَهُ يَوْمًا صَدِيقٌ كأنَّمَا ... يَرَى أسَدًا فِى بَيْتِهِ وأسَاوِدا

٧ — وإنَّ امرَأً قَدْ زُرْتُهُ قَبْلَ هذِهِ ... بِجَوٍّ لَخَيْرٌ مِنْكَ نَفْسًا ووالِدا

٨ — تَضَيَّفْتُهُ يَوْمًا فَقَرَّبَ مَقْعَدِى ... وأصْفَدَنِى عَلَى الزَّمَانَةِ قَائِدا

٩ — وَأمْتَعَنِى على العَشَا بِوَلِيدَةٍ ... فأُبْتُ بِخَيْرٍ مِنْكَ يا هَوْذُ حَامِدا

١٠ — ومَا كَانَ فِيهَا مِنْ ثَنَاءٍ ومِدْحَةٍ ... فَأعْنِى بِهَا أبَا قُدَامَةَ عَامِدا

١١ — فَتًى لو يُنَادِى الشَّمْسَ ألْقَتْ قِنَاعَها ... أو القَمَرَ السَّارِى لألْقَى المَقَالِدا

١٢ — ويُصْبِحُ كالسَّيْفِ الصَّقِيلِ إذا غَدَا ... عَلَى ظَهْرِ أنْمَاطٍ لَهُ وَوَسَائِدا

١٣ — يَرَى البُخْلَ مُرًّا والعَطَاءَ كأنَّمَا ... يَلَذُّ بِهِ عَذْبًا من المَاءِ بَارِدا

(١ — ٣) أجدك أي هل أنت جاد أو أجد منك هذا . الولائد الجواري . الجور تجاوز القصد والانحراف عن الجادة . الجهل السفه ضد الحلم . مهراس ومارد موضعان باليمامة (موطن الأعشى) السفي السفيه . البطالة الفساد والضياع والخسران . يرى أي السفيه ، الفاعل مستتر . أي أن هذا السفيه كان قبل أن يتوب يرى الفساد في نظره هو عين الرشاد .

(٤ — ٦) حريثاً هو الحارث بن وعلة يصغره تحقيراً من شأنه . الجنابة البعد ، والجانب الغريب . وعلة أبوه والمجالد جده أبو أبيه ، يقول له إنه لا يشبه آباءه . أساود جمع أسود وهو نوع قاتل من الحيات .

(٧ — ٩) جو بلد هوذة الذي يمدحه بهذه القصيدة في اليمامة . أصفدني أعطاني ، والصفد (بفتحتين) العطاء . الزمانة الضعف والعاهة ، ويبدو الأعشى هنا مسناً وقد عمى لأنه أعطاه قائداً . وليدة جارية .

(١٠ — ١٢) أبو قدامة هو هوذة . ألقت قناعها أي كلله وأسفرت عن وجهها له . ألقى المقالد أطاع وانقاد . الأنماط جمع نمط وهو ثوب من صوف ذو ألوان يطرح على الهوادج وعلى الوسائد .

(١٠—١٣) فهو من أجل ذلك يخصه بالثناء والمدح . وليس الكرم بمستغرب من هذا الفتى ، ومكانه ما هو فى الشرف . لو نادى الشمس لألقت قناعها وكلمته ، ولو خاطب القمر لألقى إليه المقاليد وأطاع . يصبح فوق الوسائد والأنماط كأنه السيف الصقيل وَضَاءَةً ومضاء . ويعطى لأنه ينفر من البخل ويَلَذُّ بالعطاء كما يلذ بالماء العذب الزلال .

(١٤—١٦) وهو يجمع بين الحلم والشجاعة . فهو أحلم من (قيس)، وأجرأ من الأسد المهيب أبى الأشبال ، وقد أمسى غاضباً متربصاً فى خدره ، يستخف بجمع الثلاثين فلا يهاجمه استهانة بأمره ، ويعدو وحده على جمع الثمانين .

(١٧—١٨) ويختم الشاعر قصيدته بوصف قصير لناقته . فقد طال وضع الرحل حتى كاد يبلى لطول الإقامة وقلة الأسفار ، ومل الأعشى السكون والجمود ، فنهض إلى ناقته يكسوها خَشَبَ الرَّحْل ، ويبعثها فى الصحراء ، فتخالها إذ تَهْوِى مسرعة فى رمل « الصُّفَيَّيْن » الملبد مَهَاةً فقدت ولدها ، فهى تعدو مذعورة ، لا ينال القيظ منها ولا يذهب بنشاطها .

(١٩—٢١) إذا ركدت الشمس فوق الرءوس وقت الظهر ، وامحت الظلال ، وانكمش ظل الناقة فلاذ بنحرها ، علقت نظرها بقطعان المها ، وشمرت جادة لتلحق بها . تطوى رمال الصحراء البعيدة الأطراف ، فتُخْرِج الظبى من كِنَاسِه ، وتبعث القطا الهاجد من مكمنه .

١٤— وَمَا مُخْدِرٌ وَرْدٌ عَلَيْهِ مَهَـابَةٌ	أَبُو أَشْبُلٍ أَمْسَى بِخَفَّانَ حَارِدَا
١٥— وَأَحْلَمُ مِنْ قَيْسٍ وَأَجْرَأُ مُقْدِمًا	لَدَى الرَّوْعِ مِنْ لَيْثٍ إِذَا رَاحَ حَارِدَا
١٦— يَرَى كُلَّ مَا دُونَ الثَّلَاثِينَ رُخْصَةً	وَيَعْدُو إِذَا كَانَ الثَّمَانُونَ وَاحِدَا
١٧— وَلَمَّا رَأَيْتُ الرَّحْلَ قَدْ طَالَ وَضْعُهُ	وَأَصْبَحَ مِنْ طُولِ الثَّوَايَةِ هَامِدَا
١٨— كَسَوْتُ قُتُودَ الرَّحْلِ عَنْسًا تَخَالُهَا	مَهَاةً بِدَكْدَاكِ الصَّفِيَّيْنِ فَاقِدَا
١٩— إِذَا لَاوَذَ الظِّلُّ القَصِيرُ بِنَحْرِهَا	....
٢٠— أَثَارَتْ بِعَيْنَيْهَا القَطِيعَ وَشَمَّرَتْ	لِتَقْطَعَ عَنِّي سَبْسَبًا مُتَبَاعِدَا
٢١— تَبُزُّ يَعَافِيرَ الصَّرِيمِ كِنَاسَهَا	وَتَبْعَثُ بِالفَلَا قَطَاهَا الهَوَاجِدَا

(١٤ — ١٥) مخدر أسد ملازم خدره وهو أدعى للهيبة منه . ورد من اسماء الأسد ، حارد غضبان . الروع الفزع ويستعمل بمعنى الحرب.

(١٦ — ١٨) الرخصة فى الأمر التخفيف . أى أن هذا الأسد يستخف بالجمع الذى هو أقل من الثلاثين ، فاذا كان الجمع من ثمانين رجلا عدا عليهم وحده ثقة بنفسه . همد الثوب بلى من طول الطى فاذا مسسته تناثر ، فهو هامد . الثواية الاقامة من ثوى بالمكان أى أقام . القتد (بفتحتين) خشب الرحل ، والجمع قتود . العنس الناقة الصلبة القوية . المهاة بقرة الوحش . الدكداك من الرمل ما تلبد بالأرض ولم يرتفع . فاقد فقدت ولدها فهى تعدو عدواً شديداً .

(١٩ — ٢١) لاوذ الظل بنحرها وذلك فى الظهر ، حين تكون الشمس عمودية على الأرض فتقصر الظلال وتنكمش ، ويلوذ ظل هذه الناقة برقبتها . وهو وقت يصعب فيه السير ولا يقوى عليه إلا الشديد الصلب من الابل ومن الناس . أثارت أدامت النظر . السبسب المستوى من الأرض . بزه سلبه . اليعفور الظبى الأعفر بلون التراب . الصريم الرملة المنقطعة ذات الشجر . الكناس شجر تستكن فيه وحوش الصحراء من الحر . يقول إن هذه الناقة لسرعتها تزعج الوحش من كنه وقت الظهر فيخيف حيرها . الفلا الصحراء . القطا طائر فى حجم الحمام سمى بذلك من صوته لأنه (قطا قطا . .)

— ٨ —

سلامة ذو فائش أحد أذواء اليمن . والأذواء أمراء كانوا يحكمون فى نظام يشبه النظام الاقطاعى فى العصور الوسطى بأوروبا شبها كبيراً . وكانت اليمن فى ذلك الوقت مقسمة إلى مناطق كثيرة ، يحكم فى كل منطقة واحد من هؤلاء الأذواء . وكانت كل منطقة تسمى مخلافاً (جمعها مخاليف) . ويتكون المخلاف من قصور أو حصون ، وفيها كان يقيم الأمير أو الذو ، تحف به حاشيته وأعوانه . وربما عظم نفوذ الواحد من هؤلاء الأذواء ، فيبسط نفوذه على من حوله من الأمراء ، ويسمى عندئذ قيلا (جمعها أقيال) . وقد تتسع مطامعه فيبنى له ملكا يتوارثه أبناؤه ، فتكون أمامنا دولة ، وهو عندئذ ملك (١) . وكان أكثر اشتغال هؤلاء الأذواء بالتجارة ، ينقلونها بين الهند والحبشة والصومال ومصر والشام والعراق .

وفائش التى ينسب إليها ممدوح الأعشى اسم المخلاف الذى كان يحكمه ، أو هى واد — كما يقول صاحب القاموس — كانت يحميه ذو فائش (أو صاحب فائش ، كما يقولون الآن فى أوروبا لورد أوف . . أو بارون دى . .) ولم يحفظ لنا التاريخ شيئاً عن سلامة هذا ، فهو أحد هؤلاء الأذواء المغمورين الذين لا يحصيهم عد . وإنما رفع من ذكره وخلده أن الأعشى قد قصد إليه فمدحه . روى صاحب الأغانى من الأعشى أنه قال : أتيت سلامة ذا فائش فأطلت المقام ببابه حتى وصلت إليه فأنشدته :

إن محلا وإن مرتحلا ... وإن فى السفر إذ مضوا مهلا

الشعر قلدته سلامة ذا ... فائش والشىء حيثما جعلا

فقال : صدقت ، الشىء حيثما جعل . وأمر لى بمائة من الإبل ، وكسانى حللا وأعطانى كرشاً مدبوغة مملوءة عنبرا . وقال : إياك أن تخدع عما فيها . فأتيت الحيرة فبعتها بثلاثمائة ناقة حمراء (٢) . وقد زعموا أنه كان لا يظهر لقومه إلا مرة فى كل عام ، وكان لا يظهر إلا مبرقعاً (٣)

وقد مدح الأعشى سلامة ذا فائش بقصيدتين ، إحداهما هى هذه القصيدة التى نحن بصددها ، والأخرى قصيدته التى أشار صاحب الأغانى إلى أنها أول ما مدحه به (وهى القصيدة ٣٥ بالديوان) .

وفى أبيات المدح من هذه القصيدة تقديم وتأخير . والترتيب الذى أراه هو ٤٦ ، ٤٧ ثم ٤٢ — ٤٥ ثم ٥٠ — ٥٢ ثم ٤٨ ثم ٥٣ — ٥٦ وسأتبع هذا الترتيب عند تلخيص المدح .

(١ — ٣) يبدأ الأعشى بذكر صاحبته ، وقد أخلفت ميعادها ، فبات ليلته ساهراً مؤرقا ، لا يغمض له جفن ، ولا يرقد مع الراقدين . وهو لا يذكر اسم صاحبته ولا يبالى من تكون ، وإنما يشير إليها بـ(تيَّا) . لتكن هذه الصاحبة من تكون ، ولتذهب عنه حيث تريد ، فما هو بالضعيف الخائر ، ولن تذهب نفسه إثرها حسرات . وإنه لصلب الفؤاد ، إن وصل حبل الود فهو خليق أن يقطعه ، وهو على ذلك قدير . وإنه ليهجم على لذته ويغتصبها اغتصاباً .

(٤ — ٨) كم مِثْلها مفتونة بشبابها وجمالها ، منصرفة إلى التزين ، لا يفارق جسمها طلاء الزعفران ، عمد إليها وقد أضافه الليل ، يلتمس غفلة العيون وفترة يقظتها ، فأصبح خليفة زوجها عليها وسيدها الأثير المختار . وكم صحب من فتى كريم يعرض عن عوازله مستدبراً ، ويصم أذنه عن إرشادهن متصامما ، ميمون لا يصحب إلا الكرام ، ينفق فيهم ماله ، ولا يتغطى عنهم مستتراً .

(٩ — ١١) طرقه هذا الفتى مع الليل قبل أن يسفر الصباح ، يؤامره فى شرب الخمر ، فغدا معه يصطبحا ، فى هذا السكون الذى لم يمزق حُجُبَه صياحُ الديكة ، ولم تنغصه عين الكاشح الحسود .

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام ص ١٠٢

(٢) الأغانى ٩ : ١٢٤

(٣) القاموس وشرحه مادة

وقال يمدح سلامة ذا فائش بن يزيد بن مُرّة بن عُرَيب بن مَرْثَد بن حُرَيم الحِمْيَري :

(متقارب)

١ — أجدَّكَ لم تَغْتَمِضْ لَيْلَةً   فَتَرقُدَها مع رُقَّادِهــا

٢ — تَذَكَّرُ « تَيًا » وأنَّى بِهَا   وقَدْ أخلَفَتْ بَعْضَ مِيعَادِها

٣ — فَمِطِي تَمِيطِي بِصُلْبِ الفُؤَاد   وَصُولِ حِبَالٍ وَكَنَّادِهَا

٤ — وَمِثْلِكِ مُعْجَبَةٍ بِالشَّبَا   بِ صَاكَ العَبِيرُ بِأجْسَادِهَا

٥ — تَسَدَّيْتُهَا عَادَنِي ظُلْمَةٌ   وَغَفْلَةُ عَيْنٍ وإيقَــادِها

٦ — فَبِتُّ الخَلِيفَةَ مِنْ زَوْجِهَا   وسَيِّدَ « تَيًا » ومُسْتَادِهَا

٧ — وَمُسْتَدْبِرٍ بِالَّذِي عِنْدَهُ   عَلَى العَاذِلاتِ وإرْشَادِها

٨ — وأبْيَضَ مُخْتَلِطٍ بِالكِرَا   مِ لا يَتَغَطَّى لأنْقَادِهَا

٩ — أتَانِي يُؤَامِرُنِي فِي الشَّمُو   لِ لَيْلاً فَقُلْتُ لَهُ غَادِهَا

١٠— أرِحْنَا نُبَاكِرُ جِدَّ الصَّبُو   حِ قَبْلَ النُّفُوسِ وحُسَّادِهَا

١١— فَقُمْنَا ولَمَّا يَصِحْ دِيكُنَا   إلَى جَوْنَةٍ عِنْدَ حَدَّادِهَا

١٢— تَنَخَّلَهَا مِنْ بِكَارِ القِطَافِ   أُزَيْرِقُ آمِنُ إكْسَادِهَا

١٣— فَقُلْنَا لَهُ هَــذِهِ هَاتِهَا   بِأدْمَاءَ فِي حَبْلِ مُقْتَادِهَا

١٤— فَقَــالَ تَزِيدُونَنِي تِسْعَةً   ولَيْسَت بِعَدْلٍ لأنْدَادِهَا

(١ — ٣) تيا اسم إشارة مثل تلك . ماط ذهب وبعد . كند الحبل قطعه .

(٤ — ٦) صاك لصق . العبير أخلاط من الطيب تجمع بالزعفران ، وقيل الزعفران وحده . والزعفران نبات له أصل كالبصل وزهره أحمر إلى الصفرة ، تستعمله العرب فى صبغ الثياب وتستعمله النساء فى التزين فتصبغ به وجهها بدل (البودرة) التى تستعملها فى هذه الأيام . تسداه ركبه وعلاه . عادنى اعتادنى ، ونه تلالا . يقصد غفلة عين وغفلة إيقادها أى غفلة [illegible] وهو يقصد عين حارسها . الخليفة الذى يخلف على الشيء . استاده اختاره . أى أنه أصبح سيدها وسيد زوجها .

(٧ — ٩) المستدبر الذى يعرض عن عواذله ويوليهن دبره . لا يتغطى لا يتساكر إذا غدت لئلا يشترى . آمره شاوره . الشمول الخمر . غدا على الشيء بكر إليه ، هذا أصله ، ثم استعمل فى الذهاب والانطلاق فى أى وقت كان .

(١٠ — ١٢) أرحنا : أراح الرجل رجعت إليه نفسه بعد الإعياء ، وصار مستريحا . جد الصبوح ، الجد العجلة ، الصبوح خمر الصباح . جونة سوداء يقصد خابية الخمر لأنها كانت تطلى بالقار (وهو ما تسميه الزفت) لتسد مسامها فلا ترشح . حدادها صاحبها الذى يحد الناس أى يذودهم عنها لنفاستها . تنخلها تخيرها . بكار القطاف أول ما يقطف . أزيرق هو الخمار جعله أزرق لأنه علج ليس عربياً ، وتسميهم العرب كذلك لزرقة عيونهم . آمن كسادها لجودتها .

(١٣ — ١٤) أدماء ناقة صادقة البياض سوداء الأشفار .

(١٢—١٤) ويعرض علينا الأعشى ما كان بينه وبين الخمار فى أسلوب قصصى رائع تملؤه الحياة . وهو يصور الخمار عِلْجًا غير عربى ، فيصفه بأنه (أزرق العينين) ويسميه (حَدّادا) ، وكأنه حارس يذود الناس عن هذا الكنز الثمين من الخمر المختار من بكار القِطَاف ، وقد احتوته خابية ضخمة سوداء طليت بالقار ، وضمنت جودتها له أن لا تكسد عنده ، فهو ضنين بها ، يساوم فى ثمنها مغاليا. وينظر الأعشى إلى هذه الخابية الضخمة فيقول للخمار مشيراً إليها (هذه . هاتها .) ما أريد غيرها ، وخذ فيها ما شئت . ويبذل له فى ثمنها ناقة بيضاء فى حبل عبدها القائم على خدمتها . ولكن الخمار يتلكأ فى إجابتهم ، وقد علم شدة حرصهم على هذه الخمر ، فيقول : بل تزيدوننى فوقها تسعة ، وما أراكم توفون ثمنها بشىء .

(١٥—١٩) فيقول الأعشى للخادم — وهو على شوق وعجل ، يضن بالوقت أن يضيع فى هذه المساومة المملة: أعطه مايريد . وينتظر الخمار . حتى إذا رأى الخادم يخرج المال ، أضاء خباءه الكبير بالسراج ، وقد تدلت هُدُبُه يغمرها الظلام ، وراح ينقد الدراهم قبل أن يبذل خمره . فيصيح به الأعشى متعجلا :

دراهمنا كلها جيد فلا تحبِسَنَّا بِتَنْقَادِها

ويعمد الخمار إلى الدَّن ، يصب لهم خمراً تمشى نشوتها فى المفاصل فَتُرْعِدُها ، ثم تستسلم للذتها فتسكن هامدة فاترة . تبدو حين تبذل سوداء ، فإذا مزجت بالماء وسكنت بعد إزبادها ، تكشفت عن لون أحمر جميل .

(٢٠—٢٤) تبدو فى أسفل الدن إذا أماله ليصب منه بعد أن طال قعوده ، وقد تناقصت حتى اجتمعت فى أسفله ، كأنها حوصلة النعام . ويجول الخمار عليهم بأبريقه ، وقد تخضبت كفه بما يحمل من خمر حمراء . ولايزال يسقيهم حتى يَنْفَدِ خمره ، وهم مالكون لرشدهم ، لم يُنْفِدُوا عقولهم ، وإن كانوا قد أنفدوا خمر الخمار . فيقومون إلى ركابهم وخيلهم ، وقد باتت على باب الخباء بأكوارها وألبادها ، تستخفهم النشوة ، وتثور بهم جائرة — وقد ظهر أثرها — بعد قصد واعتدال .

١٥— فقُلتُ لِمُنصِفِنا أعطِهِ   فلمّا رأى حضرَ شُهّادِهَا

١٦— أضاءَ مِظَلَّتَه بالسِّرا   جِ واللَّيلُ غامِرُ جُدّادِهَا

١٧— دَراهِمُنا كُلُّها جَيِّدٌ   فلا تَحبِسَنّا بِتَنقادِهَا

١٨— فقامَ فَصَبَّ لَنا قَهوةً   تُسَكِّنُنا بعدَ إرعادِهَا

١٩— كُمَيتًا تَكَشَّفُ عن حُمرةٍ   إذا صَرَّحَت بعدَ إزبادِهَا

٢٠— كَحَوصَلَةِ الرَّألِ في دَنِّها   إذا صُوِّبَت بعدَ إقعادِهَا

٢١— فجالَ علينا بِأبرِيقِهِ   مُخَضَّبُ كَفٍّ بِفِرصادِهَا

٢٢— فباتَت رِكابٌ بِأكوارِها   لَدَينا وخَيلٌ بِألبادِهَا

٢٣— لِقَومٍ فكانوا هُمُ المُنفِدِين   شَرابَهُمُ قبلَ إنفادِهَا

٢٤— فَرُحنا تُنَعِّمُنا نَشوةٌ   تَجُورُ بِنا بعدَ إقصادِهَا

٢٥— وبَيداءَ تَحسِبُ آرامَهَا   رِجالَ إيادٍ بِأجلادِهَا

٢٦— يَقولُ الدَّليلُ بها للصِّحا   بِ لا تُخطِئوا بَعضَ أرصادِهَا

٢٧— قَطَعتُ إذا خَبَّ رَيعانُها   بِعَرفاءَ تَنهَضُ في آدِهَا

٢٨— سَديسٍ مُقَذَّفَةٍ بالنَّكِيـ   كِ ذاتِ نَماءٍ بِأجلادِهَا

٢٩— تَراها إذا أدلَجَت لَيلةً   هَبُوبَ السُّرى بعدَ إسآدِهَا

(١٥ — ١٨) المنصف والناصف الخادم والوصيف . شهادها الدراهم ، والشاهد ماله منظر ولا لسان . مظلته خباؤه . الجداد الهدب الذى يبقى فى أسفل النسج . نقد الدراهم ميزها ونظرها ليعرف رديئها وجيدها .

(١٩ — ٢١) كميت حمراء تضرب إلى السواد . فاذا مزجت ذهب سوادها وصارت حمراء . صرحت ذهب زبدها . الرأل ولد النعام . أى أنها تناقصت لطول مكثها فى الدن حتى صارت فى أسفله كحوصلة الرأل . صوبت أميلت وصبت . إقعادها طول بقائها فى الدن . الفرصاد التوت وهو أحمر .

(٢٢ — ٢٥) الأكوار جمع كور وهو الرحل . الألباد جمع لبد (بكسر اللام) وهو الصوف المتلبد الذى يجعل على ظهر الفرس تحت السرج حتى لا يؤذى ظهره . جار مال عن القصد . الآرام حجارة تنصب فى الصحراء ليهتدى بها المسافر . أجلاد الانسان جسمه وبدنه ، وإياد توصف بضخامة الأجسام .

(٢٦ — ٢٩) الأرصاد الأعلام أو الطرق . خب طال وخفق . الريعان السراب . ناقة عرفاء ضخمة السنام اى أن سنامها صار لها كالعرف . الآد القوة . السديس التى ألقت سدسها وذلك فى السنة السادسة . النكيك اللحم المكتنز . النماء الزيادة . أجلادها يقصد بها هنا الرحل وما ألبس من أداته . الادلاج سير الليل كله . هبوب نشيط . بات يشد السير أى يجد فيه .

ويتخلص الأعشى من الخمر ليصف قسوة الصحراء وصعوبة الانتقال فيها وصبره على ركوبها. والصحراء جزء من حياة الفتى العربي. فحياته أشبه بقصص الفروسية فى العصور الوسطى: مغامرة، وخمر، ونساء. وهو إذا ذكر الخمر والنساء لم يلبث أن يتبعها بالمغامرة وركوب الأهوال فى الصحراء، وكأنه يستمد من المتعة قوته، ويجدد بها نشاطه.

(٢٥—٢٩) هذه هى البيداء، قد قامت على طرقها أعلام الحجارة الضخمة لتهدى المسافر السبيل، وكأنها رجال (إياد) بأجسامهم الضخام. يقول الدليل فيها لصحبه: تتبعوا هذه الأعلام، وإياكم أن تخطئوها فتضلوا الطريق.

ما أكثر ما قطع الأعشى مثل هذه الصحراء فى حر الهاجرة الملتهب حين يرتفع السراب، فوق ناقة ضخمة تدلى الشعر من رقبتها، ونهضت فى قوتها وقد اكتمل شبابها فى سنتها السادسة، فاكتنز جسمها باللحم، وبدت رائعة ذات نماء وقد شد عليها الرحل، تسرى الليل كله لا تكل، ولا يذهب بنشاطها إدمان السير.

ويشبه الأعشى ناقته فى كفاحها الطويل للتغلب على مصاعب الصحراء، وفى تخطيها لكل ما تصادفه من عقبات، ببقرة وحشية، ثم ينصرف إلى تصوير هذه البقرة فى معركة حامية مع كلاب صيد عرضت لها، فراحت تدافع عن نفسها فى بسالة حتى تغلبت عليها. ويختم هذه الصورة المطولة بأن يقول إن ناقته تشبه هذه البقرة الجريئة الصبور.

(٣٠—٣٤) هى بقرة خلفت طفلها فى قُنَّةِ «جَوّ» بين صخورها الغليظة، فباتت وحيدة مستوحشة، تضم أحشاءها على حزن كمين. فلما أسلمها ليلها الحزين إلى الصباح، انتبها كلاب الصيد الضارية، فاندفعت إليها وقد أغراها بها الصياد. فلم تزل تجرى وتجول هنا وهناك، تحاورها وتداورها، حتى أجهدها الجولان، وأجهد أرجلها الأربع. ولم تجد هذه البقرة بداً من الاستبسال، فثبتت فوق الأرض الصلبة المنبسطة التى لا يواريها شجر أو نبات، لا تحاول أن تترك مكانها هاربة.

(٣٥—٣٨) ولكنها تكر على الكلاب بقرنها كلما أرهقتها بالهجوم، فتحمى جلدها أن تناله أنيابُها فتمزقه، وتُنفِذُ قرنها فى ضلوعها.

٣٠— كعيناء ظل لها جؤذر	بقنة جو فأجمادها
٣١— فباتت بشجو تضم الحشا	على حزن نفس وإيحادها
٣٢— فصبحها لطلوع الشروق	ضراء تسامى بأيسادها
٣٣— فجالت وجال لها أربع	جهدن لها مع إجهادها
٣٤— فما برزت لفضاء الجهاد	فتتركه بعد إشرادها
٣٥— ولكن إذا أرهقتها السرا	ع كرت عليه بمصادها
٣٦— فورع عن جلدها روقها	يشك ضلوعا بأعضادها
٣٧— فتلك أشبهها إذ غدت	تشق البراق بأصعادها
٣٨— تؤم سلامة ذا فائش	هو اليوم حم لميعادها
٣٩— وكم دون بيتك من صفصف	ودكداك رمل وأعقادها
٤٠— وبهماء بالليل عطشى الفلا	ة يؤنسني صوت فيادها
٤١— ووضع سقاء وإحقابه	وحل حلوس وإغمادها
٤٢— فإن حمير أصلحت أمرها	وملت تساقى أولادها
٤٣— وجدت إذا اصطلحوا خيرهم	وزندك أثقب أزنادها
٤٤— وإن حربهم أوقدت بينهم	فحرت لهم بعد إبرادها

(٣٠ — ٣٤) عيناء بقرة وحش سميت بذلك لسعة عينها وسوادها . الجؤذر ولدها . الأجماد جمع جمد (بكسر الجيم) وهو الأرض الغليظة . الشجو الحزن . إيحادها انفرادها ووحشتها لبعد ولدها عنها . ضراء جمع ضرو (بكسر فسكون) وهو كلب الصيد . تسامى تتطاول . إيسادها إغراؤها ، وآسد الكلب بالصيد أغراه . جال لها أربع يعني قوائمها . الجهاد الأرض الصلبة البارزة .

(٣٥ — ٣٨) أرهقتها أعجلتها ، وروى (رهقتها) أي غشيتها . السراع الكلاب . بمصادها قرنها . ورع كف . الأعضاد جمع عضد (بفتح فضم) . البراق جمع برقاء وهي أرض متلبدة يخالطها الحصى بالرمل والطين . إصعادها ارتفاعها وسيرها إلى العالية . حم أي قصد .

(٣٩ — ٤١) الصفصف المستوى من الأرض الذي لا نبت . الدكداك المتلبد من الأرض . الأعقاد المنعقد المتراكم من الرمال . بهماء صحراء مطموسة المسالك . عطشى مؤنث أعطش أي مظلمة . الفياد ذكر البوم . إحقابه ، كل ما ربطه الرجل خلفه فقد أحقبه . الحلس ما يوضع فوق ظهر البعير والقتابة تحت الرحل أو السرج لبق ظهره . أغمد الراكب متاعه وكبه ، وأغمد الحلس جعله تحت الرحل .

(٤٢ — ٤٤) تساقى القوم سقى كل واحد صاحبه ، أي ملت قتل أبنائها في الحرب فهم لا يتساقون الماء ، ولكنهم يتبادلون أبناءهم الذين يقتلون في الحرب . ثقب الزند خرجت ناره .

ويعود الشاعر إلى ناقته فيقول إنها تشبه هذه البقرة الباسلة، وقد غدت تشق ما يعترض طريقها من أرض غليظة، ماضية فى طريقها إلى (سلامة ذى فائش) لا تلوى على شىء، حتى تبلغ ميعادها المقصود.

ويذكر الشاعر لممدوحه ما لقى فى سبيل الوصول إليه من صعاب.

(٣٩—٤١) فكم دون بيته من مراحل طويلة، بين أرض مستوية ورمال، منها المتلبد الساكن، ومنها المنعقد المتراكم. وكم دون بيته من صحراء قد عميت مسالكها على السالكين، يفزعه فيها صوت البوم، إذ ينعق فى ظلام الليل البهيم، فيزيد فى وحشته وروعته. وكم دون بيته من سفر مُضْنٍ مُمِضٍّ تَحُط فيه الرحال تارة للاستراحة، وتثبت أخرى لمواصلة الرحلة.

(٤٦—٤٧) ثم يقبل الشاعر على ممدوحه فيقول: كان قوم يتمنون أن يشتبكوا معك فى حرب طويلة، ويظنون أنهم يصبرون لها. وكانوا قبل أن تصيبهم الحرب موفورى القوة والنشاط. فقد جربها الذين كانوا يطلبونها، وهاهم أولاء يكوون بنارها. ثم يتجه إلى قبائل حِمْيَر — قوم الممدوح — فيقول:

(٤٢—٤٥) إن أصلحتم أمركم، ومللتم هذه الحروب التى تهلكون فيها أبناءكم وتتساقونهم، وجدتموه خيركم فى السلم وأوراكم زنادا. فإن أبيتم إلا أن توقدوا بينكم الحرب وتلظوا بنارها، تستبدلونها من برد السلام وأمنه، فستجدونه أصبركم على أرزائها، وأجلدكم على إدمائها.

(٥٠—٥٢) كم فى بيته من سَبِيَّةٍ قد أحرزها لم يدفع فيها مهراً، وأخرى يطالب أهلُها أن يفتدوها بالمال. وكم فيه من نوق ساقتها إليه الغارة، فنُزِعَتْ من فناء أصحابها لتقيم فى فنائه وتضاف إلى إبله، وبدلت بأسمائها القديمة أسماء أخرى جديدة. هذا رجلُ خَيِّرٍ جزل العطاء.

٤٨— تَعَرَّضُ له كثير من المواطن التى تقتضى البذل فلا يضن ولا يضيق.

(٥٣—٥٦) يهلك ماله حين يشتد القحط فى الشتاء، وتهزل النساء، فتجول جبائرها فى أعضادها. (والجبيرة سوار تتزين به المرأة وتضعه فى عضدها) وإن فى قومه لعفة ووفاء. تجاورهم المرأة فيقومون مقام أهلها وعشيرتها، لا يطمعون فى مالها فيسعوا لنكاحها إن كانت ذات ثراء، ولا يضيقون بها فيُسْلِمُوها إن كانت فقيرة معدمة. فإذا شهدوا الحرب وجدتهم شجعانا ينهضون بأعباء القتال.

٤٥— وُجِدْتَ صَبُوراً عَلَى رُزْئِهَا وَحَرِّ الحُرُوبِ وَتَرْدَادِهَا

٤٦— وَقَالَتْ مَعَاشِرُ مَنْ ذَا لَنَا بِحَرْبٍ عَوَانٍ وَتَطْرَادِهَا

٤٧— وَكَانُوا بِشَحْمِ الكُلَى قَبْلَهَا فَقَدْ جَرَّبُوهَا لِمُرْتَادِهَا

٤٨— كَثِيرُ النَّوَافِلِ تَبْرَى لَهُ مَرَازِئُ لَيْسَ بِعَدَّادِهَا

٤٩— .... وتعرضُ أُخْرَى بِأَذْوَادِهَا

٥٠— وَمَنْكُوحَةٍ غَيْرِ مَمْهُورَةٍ وأُخْرَى يُقَالُ لَهُ فَادِهَا

٥١— وَمَنْزُوعَةٍ مِنْ فِنَاءِ امْرِئٍ لِمَبْرَكِ آخَرَ مُزْدَادِهَا

٥٢— تَدُرُّ عَلَى غَيْرِ أَسْمَائِهَا مُطَرَّقَةً بَعْدَ إِتْلَادِهَا

٥٣— هَضُومُ الشِّتَاءِ إِذَا المُرْضِعَا تُ جَالَتْ جَبَائِرُ أَعْضَادِهَا

٥٤— وَقَوْمُكَ إِنْ يَضْمَنُوا جَارَةً يَكُونُوا بِمَوْضِعِ أَنْضَادِهَا

٥٥— فَلَنْ يَطْلُبُوا سِرَّهَا لِلْغِنَى وَلَنْ يُسْلِمُوهَا لِأَزْهَادِهَا

٥٦— أُنَاسٌ إِذَا شَهِدُوا غَارَةً يَكُونُونَ ضِدًّا لِأَنْدَادِهَا

(٤٥ — ٤٧) الحرب العوان التي قوتل فيها مرة بعد مرة ، وأصله العوان من البقر والخيل ، وهي التي ولدت بعد بطنها الأول . التطراد الطرد والسوق والإبعاد . بشحم الكلى أي في نشاطهم وكامل قوتهم . مرتادها طالبها ، والرود (بفتح فسكون) الطلب.

(٤٨ — ٥١) تبرى له تعرض له . مرازئ من رزأه ماله إذا أصاب منه شيئاً ، والمرزءون (بتشديد الزاي وفتحها) الكرماء . الأذواد جمع ذود وهو جماعة الإبل . غير ممهورة لأنها سبية أخذت قهراً في الحرب . ومنزوعة تارة أخذت في غنائم الحرب .

(٥٢ — ٥٤) تدر على غير أسمائها ، حيث عنده بغير أسمائها ، وكانت العرب تسمي الخيل والجمال وخصوصاً العتيق الكريم منها . مطرقة أي كانت قديمة موروثة عند أصحابها فأصبحت مستحدثة عنده . الهضوم الذي ينفق ماله ، ويد هضوم تجود بما فيها . الجبائر جمع جبيرة وجبارة وهي سوار عريض تلبسه المرأة في العضد . جالت الجبائر في أعضادها أي هزلت ، والأصل في الجبارة أن تكون لاصقة بالعضد لا تجول ولا تتحرك . الأنضاد الأعمام والأخوال .

(٥٥ — ٥٦) سرها نكاحها . أي أنهم لا يتزوجونها طمعاً في مالها . لن يسلموها لا يتخلون عنها ويتركونها . لأزهادها أي زهداً فيها لفقرها . أي أنهم لا يفعلون ما يفعلون بدافع الطمع ، ولكنهم يعملونه بدافع الشهامة والنخوة والقيام بالواجب والوفاء به.

— ٩ —

تتصل هذه القصيدة فى موضوعها بالقصيدة (٦) « ودع هريرة إن الركب مرتحل » ولكنها تليها من الناحية التاريخية ، ويبدو أن الشر قد تفاقم حتى تجاوز البيوت الصغيرة إلى الحيين الكبيرين ، قيس بن ثعلبة (الذى ينتمى إليه الأعشى)، وشيبان بن ثعلبة (الذى ينتمى إليه يزيد ابن مسهر) . ولذلك فالأعشى هنا يوجه معظم هجائه إلى (شيبان) ، وقد كان يخص به (يزيد) فى القصيدة السابقة .

(١ — ٤) يبدأ الأعشى بذكر صاحبته (هُرَيْرة) التى بدأ قصيدته السابقة بذكرها . ويبدو فى استهلاله شىء من الضيق والغضب حين يقول (هريرة ودعها) . . نعم ودعها وإن لام اللائمون . ويعود فيخاطب نفسه ، وكأنها لم تستجب لأمره الصارم العنيف : مالك لا تفعل ؟ أأنت واجم لفراقها ؟ ألم يكفك عام طويل قد أقمته معها ؟ إن حولا كاملا لحقيق بأن يشفى نفسك ويقضى حاجتك ، (ويَسْأَمُ سَائمُ) ! . . . لكن هذا العنف الذى يخاطب به الأعشى نفسه ليس إلا صورة لحبها العنيف المتمكن من قلبه ، فهو لا يستطيع أن ينساها ، ولا يستطيع أن يتخلص من صورتها المتسلطة على خياله . وهاهو ذا يرسم لنا صورة من هذا الطيف . . . إنها رائعة الحسن والقوام ، كأنما قُدَّ الحسن على أعضائها بمقدار . ناعمة الشباب ، لها عينان كأنهما عينا ظبى أبيض خالص البياض . ولها شعر أسود فاحم ، ووجه صاف نقى اللون ، يزيد فى فتنته صدر ومعاصم تكسوها الحلى .

(٥ — ٦) وثغر بسام ناصع البياض كأنه نَوْر الأقحوان . . . إنها هَمُّه الذى لا هم غيره . ولكن أنّى له بها وهى بعيدة لا تدنو ، ولا يستطيعها من العيس إلا السريع الجليد .

ويتعجل الأعشى غزله ، فيفرغ منه بعد هذا الحديث القصير الذى لا يتجاوز ستة أبيات ، وقد رأيناه يطيله فى القصيدة السابقة (٦) حتى يبلغ به أربعة وأربعين بيتاً . ولكنه هنا مشغول مهموم ، لا يكاد يفرغ لصاحبته ، فهو لا يلبث أن يقول :

(٧ — ٩) دع عنك هذا الحديث الذى لا غناء فيه ، واعمد بشعرك لغيرها ، تكوى به الأنوف ، فتظل موسومة به أبداً .

وقال يهجو يزيد بن مُسْهِر الشيبانى :

(طويل)

١ — هُرَيْرَةَ وَدِّعْهَا وإنْ لامَ لائِمُ ... غَدَاةَ غَدٍ أمْ أنْتَ لِلْبَيْنِ وَاجِمُ

٢ — لَقَدْ كَانَ فى حَوْلٍ ثَوَاهُ ثَوَيْتَهُ ... تَقَضَّى لُبَانَاتٍ وَيَسْأَمُ سَائِمُ

٣ — مُبَتَّلَةٌ هَيْفَاءُ رُودٌ شَبَابُهَا ... لَهَا مُقْلَتَا رِئْمٍ وَأَسْوَدُ فَاحِمُ

٤ — وَوَجْهٌ نَقِىُّ اللَّوْنِ صَافٍ يَزِينُهُ ... مَعَ الحَلْىِ لَبَّاتٌ لَهَا وَمَعَاصِمُ

٥ — وَتَضْحَكُ عَنْ غُرِّ الثَّنَايَا كَأَنَّهُ ... ذُرَى أُقْحُوَانٍ نَبْتُهُ مُتَنَاعِمُ

٦ — هِىَ الهَمُّ لا تَدْنُو ولا يَسْتَطِيعُهَا ... مِنَ العِيسِ إلا النَّاجِيَاتُ الرَّوَاسِمُ

٧ — .... يُغْنِيكَ واعْمِدْ لِغَيْرِهَا ... بِشِعْرِكَ واعْلِبْ أَنْفَ مَنْ أنْتَ وَاسِمُ

٨ — رَأَيْتُ بَنِى شَيْبَانَ يَظْهَرُ مِنْهُمُ ... لِقَوْمِى عَمْدًا نَغْصَةٌ وَمَظَالِمُ

٩ — فَأَنْ تُصْبِحُوا أَدْنَى العَدُوِّ فَقَبْلَكُمْ ... مِنَ الدَّهْرِ عَادَتْنَا الرِّبَابُ وَدَارِمُ

١٠ — وَسَعْدٌ وَكَعْبٌ والعِبَادُ وطَىِّءٌ ... وَدُودَانُ فى أَلْفَافِهَا والأَرَاقِمُ

١١ — فَمَا فَضَّنَا مِنْ صَائِغٍ بَعْدَ عَهْدِكُمْ ... فَيَطْمَعَ فِينَا زَاهِرٌ والأَصَارِمُ

١٢ — وَلَنْ تَنْتَهُوا حَتَّى تَكَسَّرَ بَيْنَنَا ... رِمَاحٌ بِأَيْدِى شُجْعَةٍ وَقَوَائِمُ

١٣ — وَحَتَّى يَبِيتَ القَوْمُ فى الصَّفِّ لَيْلَةً ... يَقُولُونَ نَوِّرْ صُبْحُ واللَّيْلُ عَاتِمُ

١٤ — وُقُوفًا وَرَاءَ الطَّعْنِ والخَيْلُ تَحْتَهُمْ ... تُشَدُّ عَلَى أَكْتَافِهِنَّ القَوَادِمُ

(١ — ٣) البين الفراق . واجم حزين ساكت . ثوى بالمكان أقام . اللبانة الحاجة . مبتلة جيلة تامة الخلق، كأن الجمال بتل على أعضائها أى قطع . هيفاء خميصة البطن . رود ناعمة . الريم الظبي الأبيض الخالص البياض . أسود فاحم شعر أسود شديد السواد .

(٤ — ٦) اللبة موضع النحر . غر جمع أغر وهو الأبيض . الثنايا الأسنان التى تبدو عند الابتسام . الأقحوان نبات له زهر أبيض فى وسطه كتلة صغيرة صفراء ، وأوراق زهره مفلجة صغيرة ، يشبهون بها الأسنان . متناعم ريان . الهم موضع الاهتمام والتفكير . ناقة ناجية سريعة . رسمت الناقة رسيا أثرت فى الأرض ، والرسوم الذى يبقى على السير يوماً وليلة .

(٧ — ١٠) العلب الأثر . وسمه كواه وأثر فيه . النغصة كدر العيش . الرباب هم ضبة وتيم وعدى وعكل وثور . دارم من تميم . العباد قبيلة كانت تسكن العراق . سعد من هوازن . دودان من أسد بن خزيمة، منهم الكميت بن زيد الشاعر الشيعى . الأراقم من تغلب . ألفافها جماعاتها .

(١١ — ١٤) فما فضنا ، الفض الكسر . زاهر بن سيار من بنى همام ، وقد تقدمت القصة فى القصيدة (٦) . الليل عاتم محتبس . القوادم جمع قادم وهو الرأس .

ويقبل على بنى شيبان فيوجه إليهم خطابه قائلا :

رَأَيْتُ بَنِى شَيْبَانَ تَظْهَرُ مِنْهُمُ ... لِقَوْمِى عَمْدًا نَغْصَةٌ وَمَظَالِمُ

ويقول لهم : إن تصبحوا أقرب الأعداء وآخرهم فقد عادانا من قبلكم كثير .

(١٠—١٤) وهو يعدد لهم من ذاق عداوتهم من القبائل فلم يصبر عليها ، قائلا : إننا على عهدكم بنا لم يكسر شوكتنا أحدٌ ، ولم يغيرنا عن أخلاقنا شىء ، ففيم إذن يطامع فينا زاهر والأراقم ؟ إنكم لن تنتهوا حتى تتكسر بيننا رماح وسيوف ، وحتى يبيت القوم فى قتال مرير ، قد شُدَّتْ رءوسهم فوق أكتافهم شداً .

(١٥—١٩) ومن تحتهم الخيل تقتحم الزحام ، مندفعة إلى القتال ، كلما سمعت زجر من فوقها من الفرسان الضراغم أُسُودِ (الزَّأرَتَيْن) . تقولون وقد اشتد بكم الكرب ، وأجهدكم القتال ، (نَوِّرْ صُبْحُ!) ، والليل جاثم طويل ، لم ينته إلا أقله . لن تنتهوا حتى يكون بيننا مثل هذا القتال العنيف ، أو تكسروا من حدتكم ، فأنما جنون من حَيْرَه الشر وخَبَلَه الجهلُ والسفَهُ على نفسه .

إنكم إن لقيتمونا لقيتم بنا قوما لايحبن سلاحهم ، حين تكون الجماجم أهداف السيوف . وإن أبناءنا ليتسابقون إلى القتال ، كما يتسابق الظماء إلى الماء .

(٢٠—٢٤) وأهْوِنْ بما يقول عنا يزيد بن مسهر ! فستمدنا (اللهازم) وتجتمع إلينا بِرَغْمِه[1] . وإنه لينفر منى حين يلقانى ، ويصرف عنى نظره ، مقطبا وجهه ، كأنما وُضِعَتْ بين عينيه المحاجم . وما أبالى أن يديم الله غصَّته بى ، وما أبالى أن أكون شجى فى حلقه .

فَلَا يَنْبَسِطْ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا انْزَوَى ... وَلَا تَلْقَنِى إِلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمُ

ويخص الأعشى يزيد بن مسهر بخطابه ، لأنه سبب هذا الشر الذى وقع بين الحيين ، فيقول له : لئن جد بيننا التقاطع ، لتقتلن مخلفاً أموالك التى تعتز بها (عليها الخواتم) ، ولتجتمعن عليك النساء فى مأتمك ، يندبنك نائحات ، (يقلن : حَرَامٌ ما أحِلَّ بربنا) — والأعشى هنا غاية فى البراعة حين يحكى

(١) اللهازم هم قيس بن ثعلبة وعجل بن بكر وحنيفة بن بكر وعنزة ، هؤلاء حلف .

١٥— إذَا مَا سَمِعْنَ الزَّجْرَ يَمَّمْنَ مُقْدِمًا ... عليها أُسُودُ الزَّأْرِ بَيْنَ الضَّرَاغِمُ

١٦— أَبَا ثَابِتٍ أَوْ تَنْتَمُونَ فَأَنَّمَا ... يَهِيمُ لِعَيْنَيْهِ مِنَ الشَّرِّ هَائِمُ

١٧— مَتَى تَلْقَنَا والخَيْلُ تَحْمِلُ بَزَّنَا ... خَنَاذِيذَ مِنْهَا جِلَّةٌ وَصَلَادِمُ

١٨— فَتَلْقَ أُنَاسًا لَا يَخِيمُ سِلَاحُهُمْ ... إذَا كَانَ حَمًّا لِلصَّفِيحِ الجَمَاجِمُ

١٩— وإنَّا أُنَاسٌ يَعْتَدِي البَأْسَ خَلْفُنَا ... كَمَا يَعْتَدِي المَاءَ الظِّمَاءُ الحَوَائِمُ

٢٠— لَهَانَ عَلَيْنَا مَا يَقُولُ ابنُ مُشْهِرٍ ... بِرَغْمِكَ إذْ حَلَّتْ عَلَيْنَا اللَّهَازِمُ

٢١— يُرِيدُ يَغُضُّ الطَّرْفَ دُونِي كَأَنَّمَا ... زَوَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَلَيَّ المَحَاجِمُ

٢٢— فَلَا يَنْبَسِطْ مِنْ بَيْنِ عَيْنَيْكَ مَا انْزَوَى ... وَلَا تَلْقَنِي إلَّا وَأَنْفُكَ رَاغِمُ

٢٣— فَأُقْسِمُ إنْ جَدَّ التَّقَاطُعُ بَيْنَنَا ... لَتَصْطَفِقَنْ يَوْمًا عَلَيْكَ المَآتِمُ

٢٤— يَقُلْنَ حَرَامٌ مَا أُحِلَّ بِرَبِّنَا ... وَتُتْرَكُ أَمْوَالًا عَلَيْهَا الخَوَاتِمُ

٢٥— أَبَا ثَابِتٍ لَا تَعْلَقَنْكَ رِمَاحُنَا ... أَبَا ثَابِتٍ أَقْصِرْ وَعِرْضُكَ سَالِمُ

٢٦— أَفِي كُلِّ عَامٍ تَقْتُلُونَ وَتَتَّدِي ... فَتِلْكَ الَّتِي تَبْيَضُّ مِنْهَا القَوَادِمُ

٢٧— وذَرْنَا وَقَوْمًا إنْ هُمُو عَمَدُوا لَنَا ... أَبَا ثَابِتٍ وَاجْلِسْ فَإِنَّكَ نَاعِمُ

٢٨— طَعَامُ العِرَاقِ المُسْتَفِيضُ الَّذِي تَرَى ... وَفِي كُلِّ عَامٍ حُلَّةٌ وَدَرَاهِمُ

(١٥ — ١٨) الزأرة الأجمة ذات الماء، والحلفاء والقصب. انثنى ينثنى انكسر. ورجل هائم وهيوم متحير. البز السلاح. خناذيذ كرام. قوم جلة عظماء سادة. صلادم غلاظ شداد. يخيم يجبن. حما قصدا. الصفيح السيوف.

(١٩ — ٢١) خلفنا قصدنا، يسرعون إلى الحرب. الحائم العطشان والذى يدور حول الماء. اللهازم قيس بن ثعلبة وعنزة وعجل وحنيفة. زوى جمع بين عينيه وقبضه. المحاجم جمع محجم (بكسر الميم) وهو ما يحجم به. وحجم طرفه عن صرفه.

(٢٢ — ٢٥) الريح تصفق الأشجار فتصطفق أى تضطرب، والنساء يصطفقن على الميت. أقصر كف عن الأمر.

(٢٦ — ٢٨) اتدى أخذ الدية ولم يثأر بقتيله. القوادم جمع قادم، وقادم الإنسان رأسه. عمد له قصده. ناعم مترف لا يحتمل الحرب.

ألفاظ النساء ، فيصور حزنهن العاجز الضعيف ، وكأنه لم يعد هناك من رجال بنى شيبان من يثأر للقتيل . وقصارى ما يبلغون من الثأر له ، أن تتحسر عليه النساء فى هذه الكلمات العاجزة .

٢٥ — آنجُ بنفسك قبل أن تنالك رماحنا ، وأقصِرْ قبل أن يمزّق عرضك ، ودعنا ومن يبغينا الشر ، وتنحَّ أنت عما لاشأن لك به ، وعما لا تصلح له .

(٢٧—٢٩) وهل أنت إلا رجل ناعم ، يأتيك طعام العراق وأنت قاعد ، (وفى كل عام حُلَّةٌ ودراهم) ، يفيضها عليك ملوك العراق !

أتحض بنى سيار على قتل سادتنا وأشرافنا ، ثم تزعم بعد القتل أن لابد لك فيه ؟

٢٦ — أفى كل عام تَقْتُلون ، ونقبل نحن الدية إبقاء على الرحم والقربى ! أما للشر من نهاية ؟ إن هذا لهو البلاء الذى تشيب له الرءوس .

(٣٠—٣٤) لن ينتهى هذا إلا إلى حرب تقلق الإبل السارحة فى مرعاها ، ويفيق فيها النائمون من سباتهم بالطعنة النافذة ، يندفع منها الدم حتى يغشى فُرُشهم ، ويبيت فيها المطعون قد أوقدت من حوله النار ، وتُسْبَى فيها النساء ، فتجد السيدة الكريمة تخدم ابنة عمها ، ممتهنة مبتذلة ، كفعل الخدم والإماء . تستشفع بالقرابة والرحم ، إذ تتصل ببكر بن وائل ، وبكر هى التى أحلت سباءها ، وأنف قومها المعتدين راغم ذليل .

— ٩ —

٢٩— أَتَأْمُرُ سَيَّارًا بِقَتْلِ سَرَاتِنَا ... وَتَزْعُمُ بَعْدَ القَتْلِ أَنَّكَ سَالِمُ

٣٠— أَبَا ثَابِتٍ إِنَّا إِذَا تَسْبِقُنَّنَا ... سَيُرْعَدُ سَرْحٌ أَوْ يُنَبَّهُ نَائِمُ

٣١— بِمُشْعَلَةٍ يَغْشَى الفِرَاشَ رَشَاشُهَا ... يَبِيتُ لَهَا ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ جَاحِمُ

٣٢— تَقَرُّ بِهِ عَيْنُ الَّذِي كَانَ شَامِتًا ... وَتَبْتَلُ مِنْهَا سُرَّةٌ وَمَآكِمُ

٣٣— وَتُلْفَى حَصَانٌ تَخْدُمُ ابْنَةَ عَمِّهَا ... كَمَا كَانَ يُلْفَى النَّاصِفَاتُ الخَوَادِمُ

٣٤— إِذَا اتَّصَلَتْ قَالَتْ أَبَكْرَ بْنَ وَائِلٍ ... وَبَكْرٌ سَبَتْهَا وَالأُنُوفُ رَوَاغِمُ

(٢٩ — ٣١) بنو سيار قوم زاهر المقتول ، والقصة فى القصيدة (٦) . السرح الابل الراعية . مشعلة طعنة واسعة يتفرق منها الدم متدفقاً . جاحم متوقد ، يوقدون عند المطعون ليعرفوا حاله فى كل ساعة .

(٣٢ — ٣٤) قرت عينه بردت سرورا أو رأت ما كانت متشوقة إليه . تبتل تنقطع . المآكم جمع مأكمة وهى العجيزة يكنى بها عن المرأة ، ويقصد بقطع السرة والمآكم قطع الأرحام والقرابة ، لأن الحيين المتخاصمين أبناء عم . حصان سيدة كريمة . الناصفات الخادمات . اتصلت انتمت وانتسبت ، تنتسب إلى بكر بن وائل جد الحيين المتخاصمين ، تقربا إلى الذين سبوها فى الحرب .

شيبان بن شهاب الجحدري الذي يهجوه الأعشى في هذه القصيدة هو أحد سادة بني جحدر ، وهو جد للسامعة ، وحفيده أبو غسان مالك بن مسمع بن شيبان بن شهاب ، سيد ربيعة في فتنة ابن الزبير . وبنو جحدر هم بنو ربيعة بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . وقيس بن ثعلبة هو الفرع الذي ينتمي إليه بيت الأعشى (سعد بن ضبيعة) . فشيبان بن شهاب هذا قريب القرابة من الأعشى كما ترى ، ولكن حياة الصحراء لا تستقر حتى بين أبناء العمومة الأقربين ، فهي خصومة وتنافس دائم ، وهم على ما يقول القطامي :

وأحياناً على بكر أخينا إذا ما لم نجد إلا أخانا

ويبدو أن العلائق لم تكن حسنة بين أبناء قيس بن ثعلبة من البيتين ، ففي ديوان الأعشى قصيدتان في بني جحدر ، كلتاهما هجاء (القصيدتان ٢٣ ، ٤٣) . أما شيبان بن شهاب الجحدري ، فللأعشى قصيدة أخرى فيه (القصيدة ٢٠) وهي هجاء أيضاً . والقصيدة التي بين أيدينا تسبق القصيدة (٢٠) ، فهو هنا لا يتناول خصمه بأكثر من خمسة أبيات (٢٠ — ٢٥) مهدداً .

والأعشى هنا — كما هو في كثير من قصائده — لا يعنيه من أمر صاحبته التي يتغنى بها إلا أنها وسيلة لتحقيق لذته ، ولذلك فهو لا يذكر اسمها ، وإنما يشير إليها بـ (تَيّا) . فهو لا يتغنى بها في حقيقة الأمر ، وإنما يتغنى بلذته .

(١ — ٤) يقول إن صاحبته قد أمعنت في الهجر والبعد ، وأحْبِبْ بها لو أن في الوسع إدراكها . لم يكن الأعشى يظن أن رأى السوء قد علق قلبه بمثل هذه الوَهْنَانَةِ الناعسة . وما لها ألا تصد وتهجر ، وقد رأته عجوزاً وهي لا تزال في شبابها ، فهو خليق بأن يكون رفيقاً لأمها ، وهي خليقة بأن تكون رفيقاً للشباب من الرجال ، وإن تحت قميصها لجسماً ناعماً ، يتفجر بالفتنة والأنوثة .

إن أكن فارقت الشباب ، فلقد كنت في شبابي فاتكا فتيًا .

(٥ — ٩) كم مثلِك قد طلبت فأدركت ، أعصى في طلبها الوشاة والعاذلين . لو سُقِيتَ من رضابها بعد أن تهجع في الليل ، ويسترخي جيدها للنعاس ، لخلته خمر فلسطين ، تجرى فوق لثاتها الرقيقة القليلة اللحم . وكم من خصمٍ تمنى المنى ورجا أن تنالني يداه ، فطالته يدي وشفيت منه نفسي . وكم من ناقة ضامرة ، في قوائمها لين ومرونة ، قد ركبتها في الأسفار الطويلة ، حتى أكللتها وأدميت أخفافها ، ثم مضيت أستخرج بالسوط بقية ما تدخر من قوة ونشاط .

(١٠ — ١٤) وكم من كأسٍ حمراء ، كأنها الدم المتساقط من اللحم ، قد بكرت إليها أشربها ، وقد غفل عنها هُوَاتُها من الشاربين . حمراء يصفو لون سطحها في احمراره ، ويضرب للسواد في قاعه ، تكاد لما كمن فيها من الحرارة تفرى جلد الزق الذي يحتويها .

ما أعظم الفرق بين صباح الشارب وبين مسائه . هو في صباحه كئيب منقبض النفس ، تطرقه الهموم ملحة عليه لا تفارقه .

وقال لشيبان بن شهاب الجحدري :

١ — أجدّ بتيّا هجرُها وشتاتُها ... وحبّ بها لو تُستطاعُ طياتُها (طويل)

٢ — وما خلتُ رأى السوء علّق قلبه ... بوهنانةٍ قد أوهنتها سناتُها

٣ — رأت هجرًا في الحيّ أسنان أمّها ... لِداتي وشبّان الرجال لداتُها

٤ — فشايعها ما أبصرت تحت درعها ... على صومنا واستعجلتها أناتُها

٥ — ومثلك خودٍ بادنٍ قد طلبتُها ... وساعيتُ معصيًّا لدينا وشاتُها

٦ — متى تُسقَ من أنيابها بعد هجعة ... من الليل شربًا حين مالت طلاتُها

٧ — تخاله فلسطيًّا إذا ذقت طعمه ... على ربذات النيّ حُمشٍ لثاتُها

٨ — وخصمٍ تمنّى فاجتنيت به المنى ... وعوجاء حرفٍ لين عذباتُها

٩ — تعاللتُها بالسوط بعد كلالها ... على صحصحٍ تدمى به بخصاتُها

١٠ — وكأسٍ كماء النيّ باكرتُ حدّها ... بغرتها إذ غاب عنّي بغاتُها

١١ — كميتٍ عليها حمرةٌ فوق كمتةٍ ... يكاد يفرّي المسك منها حماتُها

١٢ — وردتُ عليها الريف حتى شربتُها ... بماء الفرات حولنا قصباتُها

١٣ — لعمرك إنّ الراح إن كنت سائلا ... لمختلفٌ غديُّها وعشاتُها

١٤ — لنا من ضحاها خبث نفسٍ وكآبةٌ ... وذكرى همومٍ ما تغبّ أذاتُها

(١ — ٣) تيا اسم إشارة مثل تلك . الشتات الفراق . حب بها أحبب بها . طياتها وطنها ، الماق بطيتك أى الحق بوطنك . وهنانة لينة رخوة ، والتى فيها فتور عند القيام . سناتها جمع سنة وهو النوم ، يقول إنها كثيرة النوم ، وكذلك شأن المترفات . اللدة الأتراب والصحب الذين من نفس الجيل والسن .

(٤ — ٦) شايعها شجعها . الدرع القميص ، أى حين نظرت إلى بدنها وحسنه . الصوم الإمساك عن الدل ويقصد به هنا القطيعة . الأناة الحلم والوقار . الخود المرأة الشابة . ساعيت ، للساعاة الفجور وهو لا يستعمل إلا فى الإماء خاصة . الطلاة واحدة الطلى وهى الأعناق ، أى مالت النوم . الشرب للماء المشروب ، والمقصود به هنا ريقها .

(٧ — ٩) فلسطى خمر من فلسطين ، وخمر الشام مشهورة عندهم . ربذات النى ، النى الشحم ، والربذة الخفيفة . حمش الطيقة ليست غليظة اللحم . عوجاء ناقة ضامرة . حرف صلبة . عذباتها قوائمها . لينة مرنة . تعاللتها ركبتها مرة بعد مرة مستخرجا أقصى ما عندها من السير ، كما يشرب الشارب العلل بعد النهل . صحصح أرض مستوية . البخص (بفتحتين) لحم القدم وفرسن البعير .

(١٠ — ١٤) النى اللحم الذى لم يطبخ ، يشبه الخمر فى حمرتها بالماء المتساقط منها مختلطا بالدم . حد الشراب سورته وصلابته . الغرة الغفلة . بغاتها طلابها . الكمتة الحمرة تقرب السواد . يفرى يشق . المسك الجلد . القصبات المزامير يزمر فيها الزمرات فى دور الخمر . الغداة أول النهار والعشاة آخره . الضحى عند ارتفاع النهار . خبث نفس انقباض . ما تغب ما تفتر ولا تنقطع

(١٥ — ١٩) وهو فى مسائه طيب النفس، منشرح الصدر، تهزه النشوة، فيسارع إلى البذل ولا يقيم للمال وزنا. من أجل ذلك كنت حريصاً على الخمر، أشربها على كل حال: غنياً، وصعلوكا، ومعدما لا أجد القوت. ورَدْتُ عليها الريف، أشربها على ماء الفرات، يزمر من حولنا الزامرون بالقصبات. أتانا بها الساقى، فأسند زقه إلى حجارة يزل عنها الماء، فأنخنا إبلنا، وأقبلنا عليها نشربها قعوداً، ومن خلفنا النوق باركة. ثم استأنفنا سفرنا، إلى سادة تكسوهم المهابة، ويتميزون بمظهرهم النبيل، إذا اجتمعت جموع العرب من مَعَدّ بن عدْنان.

وهنا يتجه الأعشى بالخطاب إلى أبى مسمع شيبان بن شهاب، مفتخراً بنفسه وبقبيلته، وبما بنى له أحياؤها وأمواتها من مجد. ويقول — وكأنه يعرض به أو ببعض قومه —:

(٢٠ — ٢٤) إننا لا نُتَّهَمُ بسرقة النوق إذا ما تفرقت فى الليل، وانتشرت مهملة لا يرعاها راع، ولا نسطو عليها متلصصين. إنى أعرف من أمرك ومن أمر قومك الكثير. فلا تثر على نفسك الشر، ولا تلمس الأفعى بيدك، ودعها إذا غَيَّبَها التراب. أنجُ بنفسك، فلئن أصابتك منى قصيدة، لتلحقن بها أخواتها. تعيرنى فخرى؟ وماذا عَلَيَّ لو فخرت، وإنما تتحدث كل قبيلة بما أورثها أجدادها وما بنوا لها من مجد؟

ويمضى الأعشى فى الفخر بقومه وبرجال قبيلته إلى نهاية القصيدة، فيقول:

(٢٥ — ٢٩) منا الذى أسرى إليه قريبه، وقد مسه الضر، ونكب فى ماله، فاستقبله مرحباً يقول: قد أصبت رَحِمًا وَصُولا. فلم يصبح الصباح حتى قام إلى مبرك الإبل، وساق إليه قطيعاً فيه مائة ناقة يحدوها رعاتها. ومنا يزيد بن عمرو، إذ تمرح خيله فى أعرافها يوم (أسفَلَ شاحِب)، وقد اندفع إلى (ابن هِرّ) فى غبار المعركة، فطعنه طعنة نافذة، يندفع منها الدم تَمَاراً فيفيض على خَيْزُومه.

١٥ — وَعِنْدَ العَشِىِّ طِيبُ نَفْسٍ وَلَذَّةٌ ... وَمَالٌ كَثِيرٌ غُدْوَةً نَشَوَاتُهَا

١٦ — عَلَى كُلِّ أَحْوَالِ الفَتَى قَدْ شَرِبْتُهَا ... غَنِيًّا وَصُعْلُوكًا وَمَا إِنْ أَقَاتُهَا

١٧ — أَتَانَا بِهَا السَّاقِى فَأَسْنَدَ زِقَّهُ ... إِلَى نُطْفَةٍ زَلَّتْ بِهَا رَصَفَاتُهَا

١٨ — وُقُوفًا فَلَمَّا حَانَ مِنَّا إِنَاخَةٌ ... شَرِبْنَا قُعُودًا خَلْفَنَا رَكَبَاتُهَا

١٩ — وَفَيْنَا إِلَى قَوْمٍ عَلَيْهِمْ مَهَابَةٌ ... إِذَا مَا مَعَدٌّ أَحْلَبَتْ حَلَبَاتُهَا

٢٠ — أَبَا مِسْمَعٍ إِنِّى امْرُؤٌ مِنْ قَبِيلَةٍ ... بَنَى لِى مَجْدًا مَوْتُهَا وَحَيَاتُهَا

٢١ — فَلَسْنَا لِبَاغِى المُهْمَلَاتِ بِقِرْفَةٍ ... إِذَا مَا طَحَا بِاللَّيْلِ مُنْتَشِرَاتُهَا

٢٢ — فَلَا تَلْبِسِ الأَفْعَى يَدَاكَ تُرِيدُهَا ... وَدَعْهَا إِذَا مَا غَيَّبَتْهَا سَفَاتُهَا

٢٣ — أَبَا مِسْمَعٍ أَقْصِرْ فَأَنَّ قَصِيدَةً ... مَتَى تَأْتِكُمْ تَلْحَقْ بِهَا أَخَوَاتُهَا

٢٤ — أَعَيَّرْتَنِى فَخْرِى وَكُلُّ قَبِيلَةٍ ... مُحَدَّثَةٌ مَا أَوْرَثَتْهَا سُعَاتُهَا

٢٥ — وَمِنَّا الَّذِى أَسْرَى إِلَيْهِ قَرِيبُهُ ... حَرِيبًا وَمَنْ ذَا أَخْطَأَتْ نَكَبَاتُهَا

٢٦ — فَقَالَ لَهُ : أَهْلًا وَسَهْلًا وَمَرْحَبًا ... أَرَى رَحِمًا قَدْ وَافَقَتْهَا صِلَاتُهَا

٢٧ — أَثَارَ لَهُ مِنْ جَانِبِ البَرْكِ غُدْوَةً ... هُنَيْدَةَ يَحْدُوهَا إِلَيْهِ رُعَاتُهَا

٢٨ — وَمِنَّا ابْنُ عَمْرٍو يَوْمَ أَسْفَلِ شَاحِبٍ ... يَزِيدُ وَأَلْهَتْ خَيْلَهُ عُذُرَاتُهَا

٢٩ — سَمَا لِابْنِ هِرٍّ فِى الغُبَارِ بِطَعْنَةٍ ... يَفُورُ عَلَى حَيْزُومِهِ نَعَرَاتُهَا

(١٥ — ١٧) مال كثير أى أنهم إذا انتشوا وهبوا . ما إن أقاتها ، اتخذتها للسكة من الرزق ، أى ليس عندى بقدر القوت . نطفة غدير ، الزق قربة صغيرة يحمل فيها الخمر . الرصفات الحجارة المتراصفة بعضها إلى بعض . ناقة ركوبة وركابة تركب أو مذللة .

(١٩ — ٢١) وفينا إلى قوم أتيناهم . أحلبت اجتمعت والحلب (بوزن إسم الفاعل) المعين . الحلبات جمع حلبة وهى الخيل تجمع للسباق . معد بن عدنان الذى ينتسب إليه عرب الشمال من ربيعة ومضر جميعا . أبو مسمع جد للمسامعة وهو شيبان بن شهاب . المهملات المرسلات بغير راع . قرفة ظنة وتهمة ، وقارف الذنب ارتكبه ، والمقارفة المخالطة . طحا تفرق وذهب .

(٢٢ — ٢٥) السفاة التراب . أقصر أى كف وانته عنا . الحريب الذى ذهب ماله ، وحربه ماله أى سلبه إياه .

(٢٦ — ٢٩) الرحم القرابة لأنهم ولدوا من رحم واحدة . البرك الإبل الباركة . هنيدة مائة من الإبل . عذرات جمع عذرة ، وعذرة الفرس شعر الناصية . الحيزوم وسط الصدر وما انضم عليه الحزام . نعراتها ، من نعر العرق بالدم إذا فار منه وكان لا يهدأ ، صوت .

(٣٠ — ٣٤) ومنا السيد الماجد يوم (الهَامَتَين)، إذ جنى الجناة جنايتهم فى (نَطَاع)، ثم شفع فى مائة منهم فأطلق سراحهم[1]. ومنا الذى شفع عند المنذر بن ماء السماء فى سبايا شَيْبَان، وقد عرضهن على النار وأمر بأُحراقهن، فاستجاب لشفاعته ووهبهن له.

(٣٥ — ٣٧) وإنا لنبذل أموالنا فى السنة الشديدة القحط، حين تغبر آفاق السماء، ويسرع الراعى إلى لِقَاحِه، يُؤْويها خشية البرد. فى مثل هذه السنة نهين إبلنا فنذبحها للطارقين، فنخرج منها وعرضنا عزيز موفور. وإنا لَنَحُلُّ الدار المخوفة التى لا ماء فيها ولا نبات، فلا تَرانا فيها إلا سَرَاة، ولا ترانا إلا أهل حِفَاظ، لا يلطخ شرفنا شَيْنٌ أو عار.

(١) راجع يوم الصفقة فى القصيدة (١٣) من هذا الديوان. وفى الأغانى ١٦ : ٧٨، ابن الأثير ١ : ٣٢٨، العقد الفريد ٦ : ٧٩، أيام العرب ص ٣، وراجع كذلك يوم أوارة فى ابن الأثير ١ : ٣٣٤، أيام العرب ٩٩. فى القصيدة هنا شىء من الاضطراب والخلط بين يوم الصفقة ويوم أوارة، يرجع فى الغالب إلى سقوط بعض أبيات القصيدة، والتقديم والتأخير فى بعضها الآخر.

٣٠— وَمِنَّا امْرُؤٌ يَوْمَ الهَمَامَيْنِ مَاجِدٌ ... بِجَوٍّ نَطَاعٍ يَوْمَ تَجْنِي جُنَاتُهَا

٣١— فَقَالَ لَهُ مَاذَا تُرِيدُ وَتَخْطُبُهُ ... عَلَى مِائَةٍ قَدْ كَمَّلَتْهَا وُفَاتُهَا

٣٢— وَمِنَّا الذِي أَعْطَاهُ فِي الجَمْعِ رَبُّهُ ... عَلَى فَاقَةٍ وَلِلْمُلُوكِ هِبَاتُهَا

٣٣— سَبَايَا بَنِي شَيْبَانَ يَوْمَ أُوَارَةٍ ... عَلَى النَّارِ إِذْ تُجْلَى لَهُ فَتَيَاتُهَا

٣٤— كَفَى قَوْمَهُ شَيْبَانَ أَنْ عَظِيمَةً ... مَتَى تَأْتِهِ تُؤْخَذْ لَهَا أُهْبَاتُهَا

٣٥— إِذَا رَوَّحَ الرَّاعِي اللِّقَاحَ مُعَجِّلًا ... وَأَمْسَتْ عَلَى آفَاقِهَا غَبَرَاتُهَا

٣٦— أَهَنَّا لَهَا أَمْوَالَنَا عِنْدَ حَقِّهَا ... وَعَزَّتْ بِهَا أَعْرَاضُنَا لَا تُفَاتُهَا

٣٧— وَدَارِ حِفَاظٍ قَدْ حَلَلْنَا مَخُوفَةٍ ... سَرَاةً قَلِيلٍ رِعْيُهَا وَنَبَاتُهَا

(٣٠ — ٣٤) يعني باليجين إلى يوم أوارة . الفاقة الفقر . يوم أوارة الأول للمنذر بن ماء السماء على بكر . جلا العروس زينها .

(٣٥ — ٣٧) اللقاح الابل ذوات الألبان . معجلا يعجل الرواح (أي العودة) قبل غروب الشمس من شدة البرد. آفاق الأرض أقطارها، غبراتها ، إنما تغبر آفاق الأرض في القحط وفي هبوب الرياح المحملة بالتراب والرمال . أهنا لها أي لهذه السنة الشديدة . عند حقها في موضع الانفاق الحقيق أن ينفق فيه الرجل الكريم . لا تفات أعراضنا من الفوت وهو الذهاب والنفاد ، وذلك لأنهم ينفقون ، فيخرجون من مثل هذه السنة موفوري الكرامة ، محمودين غير مذمومين . دار الحفاظ المقام الذي لا يقوم فيه إلا من يحافظ على حسبه وشرفه وعصمته . سراة سادة .

-٢١-

وربما كانت هذه القصيدة هي أول ما مدح به الأعشى (هوذة) . فهو يصفه في البيت (٢٠) بأنه فتى ، ويقول في البيت (١٩) إنه سمع بجوده فقصد إليه يدلي بدلوه في الدلاء .

يبدأ الأعشى بذكر صاحبته مشيراً إليها بـ (تيّا) فيتساءل :

(١ ـــ ٤) أتشفيك وتقضي حاجتك ، أم تتركك لدائك ، وكذلك تفعل بالرجال ، وإنها للعوب قتُول ؟ كنت قد أقصرت عن الغزل وعن دواعي الشباب ، فأي ضلال قادك إليها ، وفي لقائها هلاكك ؟ أغرَتْك وعَلَّقَتْ قلبك بها ، إذ تتراءى لك بعد أن نام صحبك ، فتكشف عن ثغرها البراق ، وشعرها الأسود الفاحم ، ثم قطعت حبالها من حبالك على حداثة العهد .

وينصرف الأعشى عن صاحبته إلى الصحراء ، كأنه يلتمس في تِيهها العزاء .

(٥ ـــ ٩) هي صحراء عمياء ، إذا توسطها المسافر لم يكد يهتدي لوجهه ، فتخرج عينه من شدة الحيرة والفزع ، ويُعجّل النعام فيها عن احتضان بيضه ، فيتركه عارياً لينجو بنفسه . يقول فيها رئيس الرهط إذ يدنو من صاحبه وقد خشي الهلاك : لك الويل ! انظر مِنْ حولك في حذر ، واحرص على ما في سقائك من ماء ، فالطريق أمامنا طويل بعيد .

كم من صحراء بعيدة الآفاق ، ينخرق فيها الريح لا يقف في سبيله شيء ، قد قطعتها فوق ناقتي ، حين يقعد عن مثلها الهَيَّابَةُ الجبان ولا يروم مسالكها . كم أدمنت الرحلة فيها في الليل ـــ وما أطول الليل في الصحراء ـــ وإن نجومه لتبدو راكدة ثابتة في عليائها لا تتحرك .

(١٠ ـــ ١٤) قطعتها فوق ناقة بيضاء ضامرة ، برى السـير سنامها ، وقد كان ضخما مكتنزاً بالشحم . لها فخذان تدفعان من فوقهما ظهراً متماسك الفقار ، كأنه بنيان الحجارة المرصوص . ولها صدر ترى مرفقيه وقد دخل أحدهما مُنْهَضِما ، وبرز الآخر معتدلا ، بما يكشف عن نبل المحْتِد وكرم النِّجار ، وكأنهما في قوتهما البادية قصر من قصور الملوك . ولها رأس صلب دقيق في موضع الخطام فوق الأنف . تبدو فِقَارُ ظهرها ورقبتها في ضخامتها ومتانتها ، وكأن الفقرة منها قطعة من العَضُد .

ثم ينتقل الشاعر إلى الممدوح فيقول : إلى «هوذة الوهّاب» أهدي مدحتي ، مرجياً نواله وعطاءه .

وقال يمدح هَوْذَةَ بنَ عَلِيٍّ الحَنَفِيَّ :

١ — أَتَشْفِيكَ تَيَّا، أَمْ تُرِكْتَ بِدَائِكَا ... وَكَانَتْ قَتُولًا لِلرِّجَالِ كَذَلِكَا (طويل)

٢ — وَأَقْصَرْتَ عَنْ ذِكْرِ البَطَالَةِ والصِّبَى ... وَكَانَتْ سِفَاهًا ضِلَّةً مِنْ ضَلَالِكَا

٣ — وَمَا كَانَ إِلَّا الحَيْنَ يَوْمَ لَقِيتُهَا ... وَقَطْعَ جَدِيدٍ حَبْلُهَا مِنْ حِبَالِكَا

٤ — وَقَامَتْ تُرِينِي بَعْدَ مَا نَامَ صُحْبَتِي ... بَيَاضَ ثَنَايَاهَا وَأَسْوَدَ حَالِكَا

٥ — وَيَهْمَاءَ قَفْرٍ تَخْرُجُ العَيْنُ وَسْطَهَا ... وَتَلْقَى بِهَا بَيْضَ النَّعَامِ تَرَائِكَا

٦ — يَقُولُ بِهَا ذُو قُوَّةِ القَوْمِ إِذْ دَنَا ... لِصَاحِبِهِ إِذْ خَافَ مِنْهَا المَهَالِكَا

٧ — لَكَ الوَيْلُ أَفْشِ الطَّرْفَ بِالعَيْنِ حَوْلَنَا ... عَلَى حَذَرٍ وَأَبْقِ مَا فِي سِقَائِكَا

٨ — وَخَرْقٍ مَخُوفٍ قَدْ قَطَعْتُ بِجَسْرَةٍ ... إِذَا الجِبْسُ أَعْيَى أَنْ يَرُومَ المَسَالِكَا

٩ — قَطَعْتُ إِذَا مَا اللَّيْلُ كَانَتْ نُجُومُهُ ... بَوَانِي فِي جَوِّ السَّمَاءِ سَوَامِكَا

١٠ — بِأَدْمَاءَ حُرْجُوجٍ بَرَيْتُ سَنَامَهَا ... بِسَيْرِي عَلَيْهَا بَعْدَ مَا كَانَ تَامِكَا

١١ — لَهَا فَخِذَانِ تَحْفِزَانِ مَحَالَةً ... وَصُلْبًا كَبُنْيَانِ الصَّفَا مُتَلَاحِكَا

١٢ — وَزَوْرًا تَرَى فِي مِرْفَقَيْهِ تَجَانُفًا ... نَبِيلًا كَبَيْتِ الصَّيْدَلَانِيِّ دَامِكَا

١٣ — وَرَأْسًا دَقِيقَ الخَطْمِ صُلْبًا مُذَكَّرًا ... وَدَأْيًا كَأَعْنَاقِ الضِّبَاعِ وَحَارِكَا

١٤ — إِلَى هَوْذَةَ الوَهَّابِ أَهْدَيْتُ مِدْحَتِي ... أُرَجِّي نَوَالًا فَاضِلًا مِنْ عَطَائِكَا

١٥ — تَجَانَفُ عَنْ جُلِّ اليَمَامَةِ نَاقَتِي ... وَمَا قَصَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا لِسِوَائِكَا

(١ — ٣) تيا اسم إشارة مثل تلك . أقصر كف . البطالة الباطل والفساد ونزوات الشباب . والسفاه والسفه خفة الحلم . الحين الهلاك .

(٤ — ٦) الثنايا الأسنان . أسود حالك الشعر . يهماء صحراء عمياء مطموسة المسالك . ترائك جمع تريكة وهى المتروكة . ذو قوة القوم رئيسهم .

(٧ — ٩) أفش الطرف انظر . خرق صحراء واسعة يتخرق فيها الريح . جسرة ناقة ضخمة . الجبس الجبان . بوانى ثابتة لا تكاد تتحرك . سوامك مرتفعة .

(١٠ — ١٢) أدماء ناقة بيضاء . حرجوج طويلة . تامك مرتفع ضخم مكتنز . المحالة البكرة العظيمة ، وكذلك الفقرة من فقر الظهر لشبهها بها . تحفزان تدفعان . الصلب سلسلة الظهر المكونة من فقار . الصفا الحجر . متلاحك متماسك . الزور وسط الصدر أو ما ارتفع منه إلى الكتفين . تجانفا وزورا ميلا . الصيدانى والصيدلانى والصيدنانى المالك ، كذلك قال صاحب اللسان ، ولست أعرف وجه اشتقاقه . دامك أملس مفتول صلب .

(١٣ — ١٥) الخطم موضع الخطام فوق الأنف . الدأى فقر الكاهل والظهر . الضبع العضد . الحارك أعلى الكاهل ، والكاهل مقدم أعلى الظهر مما يلى العنق . تجانف تميل وتنحرف . جل الشىء معظمه ؛ لأن اليمامة بين نجد والبحرين ، وهى تتصل بالبحرين شرقاً وبنجد غربا . واليمامة تطلق على هذا الإقليم وعلى عاصمته التى كانت تسمى قديما (جو)

(١٥—١٩) أعرضت ناقتى عن جُلّ أهل اليمامة ، ولم تقصد غيرك . وقد ألمت من قبلك بحياض أقوام ، فعافتها وعزفت نفسُها عنها ، ولم تشرب إلا من حوضك . لم تزل تتنقل بين المدائن قلقة لا تستقر ، حتى بلغت قصور «جو» فألقت رحلها بفنائك واستقرت بها النوى . لم يسع مثلَكَ فى الأقوام ساع ، ولا أطعم كريم فى مثل إنائك . ولقد بلغتنى أنباء كرمك وشمول عطائك ، فأدليت دلوى فى الدلاء أغترف مع المغترفين .

(٢٠—٢٤) وإنك لفتى تحمل من الأعباء مالو حمله غيرك لما نهض به ولا أطاقه . ولقد عودتنى أن تفيض على من فضلك ، وأظلتنى بظلك ، فأنت مولع بالعطاء ، وأنا مولع بالثناء .

بنى لك أبوك «على» وأعمامُك «مالك» «طلق» و «شيبان» ، فورثت عنهما بنوا من مجد . كانوا بحوراً يفيضون على الناس من خيرهم ، ويكفونهم رزقهم فى كل شدة لازبة .

(٢٥—٢٩) وكذلك أنت ، تجود بالعطاء ، قبل أن تحوج سائلك للسؤال .

زعم حسادك الكاشحون أنك جائر ظلوم ، لاهمّ لك إلا أن تميل على الناس وتأكل أموالهم إلى أموالك . وإن من هؤلاء المتخرصين لمن يعيش بمالك . وجدت أثراً مهدما فبنيته ، وكان فضلا منك ونعمة أن تلحقه ببنائك ، وربيت أيتاماً ، وضممت إليك صبية ، وبلغت فى ذلك أقصى السعى ، ثم لم يستنفد كل هذا من همتك الكبيرة إلا أيسرها .

(٣٠—٣٢) لك فى كل عام غزوة أنت جاشمها ، تُجمِّع لها صبرك وجلدك ، فتعود منها بالمال والمجد الذى يعوضك عما عانيت من البعد عن نسائك اللائى يترقبن عودتك فى شوق . يزجرن الطير ، فتخبرهن بقرب أوبتك ، فتنام أعينهن على هذا الأمل الجميل .

١٦— أَلَمَّتْ بِأَقْوَامٍ فَعَافَتْ حِيَاضَهُمْ   قَلُوصِي وَكَانَ الشُّرْبُ مِنْهَا بِمَائِكَا

١٧— فَلَمَّا أَتَتْ آطَامَ جَوٍّ وَأَهْلَهُ   أُنِيخَتْ وَأَلْقَتْ رَحْلَهَا بِفِنَائِكَا

١٨— وَلَمْ يَسْعَ فِي الأَقْوَامِ سَعْيَكَ وَاحِدٌ   وَلَيْسَ إِنَاءٌ لِلنَّدَى كَإِنَائِكَا

١٩— سَمِعْتُ بِسَمْعِ الْبَاعِ وَالْجُودِ وَالنَّدَى   فَأَدْلَيْتُ دَلْوِي فَاسْتَقَتْ بِرِشَائِكَا

٢٠— فَتًى يَحْمِلُ الأَعْبَاءَ لَوْ كَانَ غَيْرُهُ   مِنَ النَّاسِ لَمْ يَنْهَضْ بِهَا مُتَمَاسِكَا

٢١— وَأَنْتَ الَّذِي عَوَّدْتَنِي أَنْ تَرِيشَنِي   وَأَنْتَ الَّذِي آوَيْتَنِي فِي ظِلَالِكَا

٢٢— فَإِنَّكَ فِيمَا بَيْنَنَا فِيَّ مُوزَعٌ   بِخَيْرٍ وَإِنِّي مُولَعٌ بِثَنَائِكَا

٢٣— وَجَدْتَ عَلِيًّا بَانِيًا فَوَرِثْتَهُ   وَطَلْقًا وَشَيْبَانَ الْجَوَادَ وَمَالِكَا

٢٤— بُحُورٌ تَقُوتُ النَّاسَ فِي كُلِّ لَزْبَةٍ   أَبُوكَ وَأَعْمَامٌ هُمُ هَؤُلَائِكَا

٢٥— وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ كَفَّيْكَ بِالنَّدَى   تَجُودَانِ بِالأَعْطَاءِ قَبْلَ سُؤَالِكَا

٢٦— يَقُولُونَ فِي الأَكْفَاءِ أَكْبَرُ هَمِّهِ   أَلَا رُبَّ مِنْهُمْ مَنْ يَعِيشُ بِمَالِكَا

٢٧— وَجَدْتَ انْهِدَامَ ثُلْمَةٍ فَبَنَيْتَهَا   فَأَنْعَمْتَ إِذْ أَلْحَقْتَهَا بِبِنَائِكَا

٢٨— وَرَبَّيْتَ أَيْتَامًا وَأَلْحَقْتَ صِبْيَةً   وَأَدْرَكْتَ جَهْدَ السَّعْيِ قَبْلَ عَنَائِكَا

٢٩— وَلَمْ يَسْعَ فِي الْعَلْيَاءِ سَعْيَكَ مَاجِدٌ   وَلَا ذُو إِنًى فِي الْحَيِّ مِثْلُ قِرَائِكَا

٣٠— وَفِي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمُ غَزْوَةٍ   تَشُدُّ لِأَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزَائِكَا

٣١— مُوَرِّثَةٍ مَالًا وَفِي الْحَمْدِ رِفْعَةً   لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

٣٢— تُخَبِّرُهُنَّ الطَّيْرُ عَنْكَ بِأَوْبَةٍ   وَعَيْنٌ أَقَرَّتْ نَوْمَهَا بِلِقَائِكَا

(١٦ — ١٨) ألم بالقوم زارهم زيارة قصيرة . الحياض جمع حوض وهو الذى تشرب فيه الماشية ، كنى به عن : وتهم وضيافتهم . القلوص الناقة . الشرب (بفتح الشين) مصدر شرب . آطام جمع أطم وهو الحصن . جو هى مدينة اليمامة

(١٩ — ٢٢) الرشاء حبل الدلو الذى يدور على البكرة فوق البئر . راشه أغاثه وأغناه . موزع مولع .

(٢٣ — ٢٥) على هو أبو الممدوح . طلق وشيبان ومالك أعمامه . قاته رزقه وأمده بالقوت . لزبة شدة وضيق .

(٢٦ — ٢٨) أكفأه كبه وقلبه أو طرده ، وأكفأ عن القصد جار وانحرف . والإكفاء المصدر منه . الثلمة الثغرة والفتحة بين الشيئين .

(٢٩ — ٣٠) أنى الشيء إنا وأناء دنا وقرب وحضر . والأنسب أن يكون المقصود بها الإناء ، حذف الهمزة للتخفيف ونون . قرى الضيف قرى وقراء ضيفه . جشم الشيء وتجشمه تكلفه وتحمل متاعبه . العزيم العزم والجد والعدو الشديد . العزاء الصبر .

(٣١ — ٣٢) القرء الحيض أو هو ما بين الحيضتين على خلاف فى ذلك . أوبة عودة . قرت عينه بردت سروراً ورأت ما تتمنى .

هذه هي القصيدة الثالثة في مدح هوذة بحسب الترتيب التاريخي . فمن الواضح أنها تتأخر عن القصيدتين ٧ ، (١١) حيث نرى الشاعر يصفه فيهما بأنه فتى إذ يقول في القصيدة (٧) في البيت (١١) :

فتى لو ينادي الشمس ألقت قناعها ... أو القمر الساري لألقى المقالدا

ويقول في القصيدة (١١) في البيت (٢٠) :

فتى يحمل الأعباء لو كان غيره ... من الناس لم ينهض بها متماسكا

أما في هذه القصيدة التي بين يدينا فالأعشى يسمي هوذة لأول مرة (ملكا) حيث يقول (١٢ : ٣٤)

إلى ملك كهلال السما ... ء أزكى وفاء ومجداً وخيرا

وفي القصيدة حادثان لا بد من الإشارة إليهما قبل البدء في التلخيص . أولهما إشارة الأعشى إلى أنه فقد بصره ، وانتهى به العشى (وهو ضعف البصر أو عدم القدرة على الإبصار ليلا) إلى العمى الكامل ، فأصبح لا يسير إلا بمساعدة قائد يدله (الأبيات ٢٤ — ٢٩)

وثانيهما إشارة الأعشى إلى يوم (الجفار) الذي غزا فيه الممدوح تميما ، واعتذاره عن تخلفه في ذلك اليوم . وهذا اليوم هو واحد من أيام كثيرة تتابعت بين بكر وتميم ، وكان الاحتكاك بينهما كثيرا بسبب تقارب مساكنهم وتنازعهم على مواطن الخصب والماء . فقد ترحل إحدى القبيلتين عن أرضها فتحتله القبيلة الأخرى . ثم يتفق أن تخصب المكان ، فتحاول القبيلة الأولى أن تعود إليه ، مدعية حقها فيه ، فيقع القتال بين الحيين ، كما حدث في يوم (الشيطين)(١) ، ومرجع ذلك مما لا بد أن يقع بين سكان الصحراء الذين يتنازعون الحياة والبقاء . وقد أرخ صاحب النقائض هذا اليوم قبل مبعث النبي بسبعة وعشرين عاما(٢) ، وهو في رأي كثير ، والمعقول أن يتأخر عن ذلك ، لأن يوم الصفقة الذي سيجيء ذكره في القصيدة التالية (١٣) قد تم وقت ظهور الإسلام كما يقول ابن الأثير(٣) ، فلو صح ما يقوله صاحب النقائض لكان بين القصيدتين سبعة وعشرون عاما ، وهو زمن طويل ، لأن الأعشى يبدو في هذه القصيدة مسناً متقدماً في السن ، وأنه عمي في آخر عمره(٤) .

يقول الأعشى :

١ — غشيت خدر (ليلى) مع الليل ، تطلب إليها وفاء وعدها ، وتنذر النذور إن هي وفت بهذا الوعد

٢ — ثم رحلت ليلى وقد أورثتك هماً ، وتركت في فؤادك صدعا مستطيراً

٣ — وصدع القلب كصدع الزجاجة ، لا تستطيع يد الصنّاع أن تردها سالمة

٤ — وصاحبته من مالك ـ ولعله مالك بن شيبان ـ ولكنهما قد رحلت إلى الحجاز ، حيث حلت أرضاً مجهولة ، وأقامت بين قوم غرباء

٥ — تسعى مع قومها وراء الماء ، وتُرْعِي إبلها الكلأ في (روض القطا) و (روض التناضب) ، حيث الخصب والعيش الرغيد

٦ — وحيث تصبح وقد ارتوت كأنها ورقة البردي ، تظللها الأشجار وسط الأجمة ، فتحميها من حرارة الشمس ولافح الرياح ، وقد خالط الماء بطنها فهو بض رَخْص رطيب .

٧ — تفترّ عن ثغر مشرق ، يبدو في بياضه الناصع بين شفتيها اللتين كأنهما شوك نبات السيال الأبيض ذُرَّ على أسافله الكحل

(١) ابن الأثير ١ : ١٩٩ (٢) النقائض ط . أوروبا ص ٧٩٠ س ١١
(٣) ابن الأثير ١ : ٢٢٩ (٤) خزانة الأدب ١ : ١٢٢

—١٢—

وقال يمدح هَوذَةَ بنَ عَلِيٍّ الحنفيَّ :

(متقارب)

١ — غَشِيتَ لِلَيْلَى بِلَيْلٍ خُدُورَا ‏ ‏ وَطَالَبْتَهَا وَنَذَرْتَ النُّذُورَا

٢ — وَبَانَتْ وَقَدْ أَوْرَثَتْ فِى الْفُؤَا ‏ ‏ دِ صَدْعًا عَلَى نَأْيِهَا مُسْتَطِيرَا

٣ — كَصَدْعِ الزُّجَاجَةِ مَا تَسْتَطِيـ ‏ ‏ ـعُ كَفُّ الصَّنَاعِ لَهَا أَنْ تُحِيرَا

٤ — مُلَيْكِيَّةٌ جَاوَرَتْ بِالْحِجَا ‏ ‏ زِ قَوْمًا عُدَاةً وَأَرْضًا شَطِيرَا

٥ — بِمَا قَدْ تَرَبَّعُ رَوْضَ الْقَطَا ‏ ‏ وَرَوْضَ التَّنَاضُبِ حَتَّى تَصِيرَا

٦ — كَبَرْدِيَّةِ الْغِيلِ وَسْطَ الْغَرِيـ ‏ ‏ ـفِ إِذَا خَالَطَ الْمَاءُ مِنْهَا السُّرُورَا

٧ — وَتَفْتَرُّ عَنْ مُشْرِقٍ بَارِدٍ ‏ ‏ كَشَوْكِ السَّيَالِ أُسِفَّ النَّؤُورَا

٨ — كَأَنَّ جَنِيًّا مِنَ الزَّنْجَبِيـ ‏ ‏ ـلِ خَالَطَ فَاهَا وَأَرْيًا مَشُورَا

٩ — وَإِسْفِنْطَ عَانَةَ بَعْدَ الرُّقَا ‏ ‏ دِ سَاقَ الرِّصَافُ إِلَيْهَا غَدِيرَا

١٠ — وَإِنْ هِىَ تَاءَتْ تُرِيدُ الْقِيَامَ ‏ ‏ تَهَادَى كَمَا قَدْ رَأَيْتَ الْبَهِيرَا

١١ — لَهَا مَلِكٌ كَانَ يَخْشَى الْقِرَافَ ‏ ‏ إِذَا خَالَطَ الظَّنُّ مِنْهُ الضَّمِيرَا

١٢ — إِذَا نَزَلَ الْحَىُّ حَلَّ الْجَحِيشَ ‏ ‏ شَقِيًّا غَوِيًّا مُبِينًا غَيُورَا

١٣ — يَقُولُ لِعَبْدَيْهِ حُثَّا النَّجَا ‏ ‏ وَغُضَّا مِنَ الطَّرْفِ عَنَّا وَسِيرَا

(١ — ٣) الخدر كل ما يوارى الإنسان من بيت ونحوه . بانت بعدت . صدع مستطير أى تصدع من أوله إلى آخره ، واستطار تفرق وانتشر . الصناع الحاذق . أحار الشىء رده ورجعه .

(٤ — ٦) الشطير الغريب ، أراد أرضاً مجهولة لاتعرف . تربع ترعى . حتى تصيرا ، جواب تصير فى البيت التالى ، وهو تضمين قبيح . الغيل والغريف واحد ، وهو الأجمة والشجر الكثيف الملتف من القصب والحلفاء ، وكل واد فيه ماء . السرور بطن ورقة البردى . والبردى نبات تصنع منه الحصر . جعل البردية وسط أشجار ملتفة لأن ذلك أدعى لأن تكون طرية رطبة لاتنالها حرارة الشمس فتجففها .

(٧ — ٨) تفتر تبتسم . مشرق ثغر براق . السيال نبات له شوك شديد البياض . النؤور شجر يحرق ويستعمل فى الوشم . يشبه بها أسنانها الناصعة البياض بين لثاتها القاتمة . الزنجبيل نبات طيب الرائحة معروف . جنى فعيل من جنى الثمر يجنيه . الأرى عسل النحل . شار العسل واشتاره جمعه .

(٩ — ١٠) الاسفنط شراب يعمل فى الشام ، ويسمونه هناك الرساطون ، وهو من عصير العنب ، (رومى معرب) كما يقول الجواليقى فى المعرب . الرصاف حجارة متراصفة قريب بعضها من بعض . يقول إنها تقوم من رقادها طيبة طعم الريق والفم ، والمألوف أن يغير النوم طعم الفم ورائحته . تهادى تتمايل فى مشيها . البهير الذى انقطعت أنفاسه من شدة العدو أو بعد مجهود عنيف .

(١١ — ١٣) ملك صاحب أو زوج . القراف المخالطة . الجحيش أن تنزل ناحية منفردا . شقيا مبعدا . حث أسرع . النجاء السرعة .

٨ ــ وكأنما خلط رضابها البارد العذب بالزنجبيل أو عسل النحل

٩ ــ وكأنما هو خمر (عانة) الشامية، مزجت بماء بارد، من غدير يجرى بين الحجارة المتراصفة

١٠ ــ إذا همت بالقيام ناء بها ردفها، ثم تقوم متمهلة تتهادى، تَمَايَلَ من أعياه الإجهاد تترددأنفاسه فهو بهير.

ويصور الأعشى ماكان من شدة غيرة زوجها عليهـــا فيقول إنه كان شديد الحذر، تثور فى نفسه الظنون، فهو يخشى مخالطة الناس

١١ ــ وكان إذا نزل الحى مكانا انفرد بها بعيداً تأكل الغيرة نفسه، فهو شق غَوِىّ.

١٢ ــ وإذا رحل الحى أمر عبديه أن يتقدما مسرعين، وأن يغضا طرفيهما حتى لا يرياها

١٣ ــ وهو فى شدة غيرته لا يثق بأحد ولا يبقى على صديق. ويختم الأعشى ذلك بالسخرية منه فيقول:

١٤ ــ ماذا تجدى هذه الغيرة وكل هذا الاحتياط؟ إنه لا يمنعها أن تتحول عنه زاهدة فيه

١٥ ــ ولا يمنعها أن تتخطى باب الدار إلى حيث تريد، فلن يستطيع أن يطير بهـا فى السماء بعيداً عن الناس

١٦ ــ ثم يعود إلى وصف صاحبته قائلا: رحل هذا الرجل الغيور بحسناء برّاقة فاترة الطرف.

١٧ ــ كأنها فى تناسق أعضائها بقرة الوحش، ناعمة العيش لا تلذعها رياح الصيف اللافحة، ولا يقرصهـا برد الشتاء الزمهرير.

١٨ ــ هى فى الصيف باردة رطيب الجسم، عبقة الرائحة كأنها رداء العروس نثرت عليه العطور.

١٩ ــ وهى فى الشتاء دافئة يتدفق جسمها بالحرارة، حين ينكمش الكلب من شدة البرد، فلا يستطيع النباح إلا هريراً خافتاً مكظوماً.

٢٠ ــ ثيابها الظاهرة من الخز، وقيصها من تحته حرير.

٢١ ــ وهى مترفة ظاهرة الثراء، تتزين بالحلى من كريم الأحجار ونفيسها، فتلبس فى معاصمها الأساور العريضة قد نضدت بالدر.

٢٢ ــ ومن فوق ذلك الزبرجد والياقوت.

٢٣ ــ تحرك يديها فى دل، فتلمع الحلى فى معاصمهـا بما يطير لب الناظر ويذهله فيقف مبهوتاً.

٢٤ ــ ويصور الأعشى صاحبته وقد رأته بعد غيبة وانقطاع، وقد أصيب فى بصره. رأته فى يد قائده وقد

٢٥ ــ غاض ماء عينيه وتغير خلقه، فبهتت وتملكها الحزن إذ تقول: بأى شىء أفتديه وأرد إليه بصره!

١٤— فليس بمزعٍ على صاحبٍ وليس بمانعه أن يحورا

١٥— وليس بمانعها بابها ولا مستطيعٍ بها أن يطيرا

١٦— فبان بحسناء براقةٍ على أن في الطرف منها فتورا

١٧— مبتلة الخلق مثل المها ة لم تر شمسا ولا زمهريرا

١٨— وتبرد برد رداء العرو س رقرقت بالصيف فيه العبيرا

١٩— وتسخن ليلة لا يستطيع نباحا بها الكلب إلا هريرا

٢٠— ترى الخز تلبسه ظاهرا وتبطن من دون ذاك الحريرا

٢١— إذا قلدت معصما يارقي ن فصل بالدر فصلا نضيرا

٢٢— وجل زبرجدة فوقه وياقوتة خلت شيئا نكيرا

٢٣— فألوت به طار منك الفؤاد وألفيت حيران أو مستحيرا

٢٤— على أنها إذ رأتني أقا د قالت بما قد أراه بصيرا

٢٥— رأت رجلا غائب الوافدي ن مختلف الخلق أعشى ضريرا

٢٦— فإن الحوادث ضعضعنني وإن الذي تعلمين استعيرا

٢٧— إذا كان هادي الفتى في البلا د صدر القناة أطاع الأميرا

٢٨— ويخاف العثار إذا ما مشى وخال السهولة وعثا وعورا

(١٤ — ١٨) أزمع على صاحبه أبق عليه . حار رجع ونقص . بان ذهب وبعد . مبتلة الخلق متناسقة الأعضاء بالغة الحسن . المهاة بقرة الوحش . الزمهرير البرد . رداء العروس أي الوشاح . العبير أخلاط من الطيب ، أي أن جسمها بارد في الصيف .

(١٩ — ٢١) الهرير صوت دون النباح . يقول إن جسمها ساخن في الشتاء . الخز الحرير ، وقيل هو ما نسج من الصوف والحرير ، أو هو اسم دابة ويطلق على الثوب المتخذ من وبرها . البارق الجبارة وهو سوار عريض من حلي اليدين ، (فارسي معرب) . فصل بالدر أي رصع به . نضير حسن .

(٢٢ — ٢٣) جل الشيء معظم قدره . الزبرجد والياقوت فارسي معرب ، وهما من الأحجار الكريمة . والزبرجد يشبه الزمرد ، وهو ألوان كثيرة والمشهور منها الأخضر المصري والأصفر القبرسي . والياقوت صاف شفاف مختلف الألوان كذلك ، منه الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق . أمر نكير شديد صعب . ألوت به لمت به وأشارت . حار واستحار بمعنى واحد أي ، ذهل وضل وتردد كأنه لا يدري كيف يتصرف .

(٢٤ — ٢٨) بما بمعنى ربما . الوافدان العينان . مختلف الخلق أي متغير غيرته الحوادث عما عهدته . الأعشى الذي به سوء في عينيه أو هو الذي لا يبصر ليلا أو نحو الأعمى . ضعضعه أفناه وهدمه . صدر القناة أعلى العصا التي يقبض عليها لأنه أعمى . الأمير الذي يأمره ويقوده . الوعث والوعور واحد ، وهو الطريق الخشن العسير .

٢٦ــ فيجيبها الأعشى فى لوعة صادقة وفى حزن عميق : لقدضعضعتنى الحوادث ، ومضى ماتعلمين من شبابى

٢٧ــ وإذا احتاج الفتى لأن يتلمس طريقه بعكازته ، لم يكن له بد من أن يطيع قائده ويسلم أمره إليه ، يقول له مرة خذ يَمْنة ، ويقول له أخرى خذ يَسْرَة ، وهو متحير لا يعلم مما حوله شيئاً .

٢٨ــ يخاف العثار ، ويتصور السهل من الطرق وَعْثاً وَعُوراً

ويختم الأعشى هذا الحديث الحزين بأن يعزى نفسه قائلا :

٢٩ــ إن فى ذلك لعبرة للناس ، وأى امرىء يسلم فى هذه الحياة من النكبات والشرور ؟

ويفرغ الأعشى من هذا الحديث الذى بدأه مشرقا بهيجاً ، وانتهى به إلى هذه الخاتمة الحزينة الآسية ، لينصرف إلى الصحراء فى طريقه للممدوح .

(٣١،٣٠) إنه ليقطع الصحراء المقفرة المُضِلة ، يلعب فيها السراب ، ولا يهتدى فيها السالك إلى طريقه ، ويَصِرُّ فيها الجُندب الأسود

٣٢ــ فوق ناقة سريعة كأن جسمها المكتنز الوثيق الخَلْق صخرةٌ صلبة ملساء قد غمرها الماء . تقطع الليل كله لا تهدأ ، وتعدو رافعة ذنبها ، بادية النشاط.

٣٣ــ تجرى بالراكبَيْن فوق ظهرها وقد ارتدف أحدهما وراء الآخر وقت الهاجرة وقد اشتد الحر ، حين يقعد غيرها من ضعاف النوق عن سلوكه

ويتخلص الأعشى إلى المدح فيقول :

٣٤ــ إلى ملك كهلال السماء ، تمّ وفاء ومجداً وكرما

٣٥ــ طويل حمائل السيف فهومديد القامة ، رفيع عمود الخباء ، فهو سيد شريف يتميز بيته من سائر البيوت ، يحمى من يلجأ إليه مستجيرا ، ويُفيض من خيره على الفقراء

ثم يتجه الأعشى إلى (هَوْذَة) بالخطاب ، معتذراً عن عدم اشتراكه معه فى قتال بنى تميم يوم (الجفار)، فيقول :

٣٦ــ ياهوذ ـ وأنت امرؤ ماجد يفوق جودك كل جود ـ

٣٧ــ لقد كثرت نعمك على ، وتعددت أياديك ، وكثر تقصيرى

٣٨ــ فأهلى فداؤك يوم (الجفار) ، إذ قعد بى العجز والضعف عن متابعتك

٣٩ــ وأهلى فداؤك عند كل نزال ، إذا احتدم القتال ، وبح صوت الرجال ، وجفت حلوقهم ، فلم يكن صياحهم إلا صوتاً خافتاً كأنه الحشرجة .

٢٩ــ وفى ذاكَ مَا يَستَفيدُ الفَتَىٰ   وأَىُّ امرِىءٍ لا يُلاقِى الشُّرُورا

٣٠ــ وبَيداءَ يَلعَبُ فِيهَا السَّرَا   بُ لا يَهتَدِى القَومُ فِيهَا مَسِيرَا

٣١ــ قَطَعتُ إِذَا سَمِعَ السَّامِعُو   نَ لِلجُندُبِ الجَونِ فِيهَا صَرِيرَا

٣٢ــ بِنَاجِيَةٍ كَأَتَانِ الثَّمِيلْ   تُوَفِّى السُّرَى بَعدَ أَينٍ عَسِيرَا

٣٣ــ جُمَالِيَّةٍ تَغتَلِى بِالرِّدَافْ   إِذَا كَذَّبَ الآثِمَاتُ الهَجِيرَا

٣٤ــ إِلَى مَلِكٍ كَهِلَالِ السَّمَا   ءِ أَزكَى وَفَاءً وَمَجدًا وَخِيرَا

٣٥ــ طَوِيلِ النِّجَادِ رَفِيعِ العِمَا   دِ يَحمِى المُضَافَ وَيُعطِى الفَقِيرَا

٣٦ــ أَعُوذُ وَأَنتَ امرُؤٌ مَاجِدٌ   وَبَحرُكَ فِى النَّاسِ يَعلُو البُحُورَا

٣٧ــ مَنَنتَ عَلَىَّ العَطَاءَ الجَزِيلْ   وَقَد قَصَّرَ الضَّنُّ مِنِّى كَثِيرَا

٣٨ــ فَأَهلِى فِدَاؤُكَ يَومَ الجِفَا   رِ إِذ تَرَكَ القَيدُ خَطوِى قَصِيرَا

٣٩ــ وَأَهلِى فِدَاؤُكَ عِندَ النِّزَالْ   إِذَا كَانَ دَعوَى الرِّجَالِ الكَرِيرَا

٤٠ــ فَسَائِل تَمِيمًا وَعِندِى البَيَانْ   وَإِن تَكتُمُوا تَجِدُونِى خَبِيرَا

٤١ــ تَمَنَّوكَ بِالغَيبِ مَا يَفتَئُو   نَ يَبنُونَ فِى كُلِّ مَاءٍ جَدِيرَا

٤٢ــ فَأَخطَرتَ أَهلَكَ عَن أَهلِهِم   فَصَادَفَ قِدحُكَ فَوزًا يَسِيرَا

٤٣ــ وَلَمَّا لَقِيتَ مَعَ المُخطِرِينْ   وَجَدتَ الإِلٰهَ عَلَيهِم قَدِيرَا

(٢٩ — ٣١) يلعب فيها السراب يختفى ويتراءى للمسافر . الجندب حشرة أصغر من الجرادة ، وليس صياحه من فيه وإنما هو من جناحه . الجون الأسود . الصرير صوت الجندب .

(٣٢ — ٣٣) ناجية سريعة . الأتان الصخرة تكون فى الماء وتصيبها الشمس ، فهو أصلب لها . الثميل الماء الكثير . السرى سير الليل . الأين التعب والكلال . عسير تعسر بذنبها أى ترفعه . ناقة جمالية وثيقة كالجمل . تغتلى تغلو فى سيرها . الرديف هو الذى يركب خلف الراكب . أى أنها لا تبالى أن يركبها أكثر من واحد فتنهض بهم جميعاً فى هذه الرحلة السريعة . الآثمات النوق الضعيفة جعل تخلفها إثماً . وكذبت أى تخلفت وكأنها كذبت ظن صاحبها بها ، أو لم تف بواجبها . الهجير التهاب الحر واشتداده فى الظهر .

(٣٤ — ٣٦) أزكى من الزكاء وهو النمو والزيادة . الخير (بكسر الخاء) الكرم . النجاد حمائل السيف يكنى بطولها عن طول القامة . العماد عمود الخباء يكنى بارتفاعه عن شرف صاحبه لأن خيام الأشراف ضخمة عالية . المضاف المستجير اللاجىء .

(٣٧ — ٣٨) الضن البخل أو هو من قولهم ضن بالمنزل أى لم يبرحه . ويؤيد ذلك البيت التالى . القيد يقصد به السن وكبر السن ، ترك خطوه قصيراً لأنه قد لزم بيته لا يكاد يبرحه .

(٣٩ — ٤٣) دعوى مصدر من دعاه يدعوه أو من دعا له أو دعا الله . الكرير شبه الحشرجة ، صوت فى الصدر كصوت المختنق أو المجهود . الجدير جمع جديرة وهى الحظيرة ، والجدير كذلك المكان المحوط بجدار . أخطر جعل نفسه خطراً لأقرانه فبارزه . القدح سهم الميسر .

٤٠ــ سل (تميما) عما أصابهم بك ، فأن يكتموا القول فإنى خبير .

٤١ــ كانوا يتمنون لقاءك قبل أن يذوقوا بأسك ، ما يفتئون يتحصنون ، ويبنون حول كل ماءجداراً يمنعه

٤٢ــ حتى إذا برزت لهم بقومك ، وامتُحِن الفريقان أيهما أشد وأقوى ، لم يكن فوزك إلا بأيسر جهد .

٤٣ــ وكان الله قادراً أن يذيقهم بأسك ، ويعينك عليهم .

٤٤ــ أعددت للحرب عدتها من الرماح الطوال ، والخيل الجياد،

٤٥ــ والدروع الكثيفة قد نسجت نسجاً مضاعفاً ، تُحمَل فوق الجمال عيراً من ورائها عير .

٤٦ــ إذا ازدحمت فى المسالك الضيقة بين الجبال احتكت رءوس المسامير التى تربط حلقاتها

٤٧ــ فتسمع لها صوتاً كحفيف الحصاد حين تهزه الريح العنيفة فى سكون الليل .

٤٨ــ إذا نازل أبطالُ الحرب كتيبتك الكثيفة الجمع ، وقد تراكم فوق رجالها الدروع ، حتى لا ترى فيها إلا سواداً ، أتعبتهم ، كما يتعب الجوادُ السابق الجوادَ الأعرج إذا جرى معه مسابقاً .

٤٩ــ لمثل هذه الحرب أعددت الجياد ولم تبخل عليها بالمال ، فهى عندك منعمة تُعلَف الشعير فى الصيف وتجلَّل بالأكسية التى تصونها وتمنع عنها أذى الرياح

٥٠ــ ولكنها ضامرة ، قد بدا عليها الكلال ، وقرِحت بطون حوافرها من طول القياد فى الغارات ، ومن بينها صغارها وقد تخطت من عمرها العام الأول ، تمرح كأنها تيوس الظباء .

٥١ــ ولا بد لك فى كل صيف من غزوة سريعة تجهد الصلب الشديد من الأفراس

٥٢ــ إذ تنازع خدّامها الأرسان من شدة نشاطها ووفرة قوتها ، وقد تلبد شعرها حين يقودونها ويعلون بها مكان الخوف والخطر .

(٥٣ ، ٥٤) أنت الجواد ، وأنت الجدير بأن تطعن الطعنة التى تضرب منها النساء النحور ، إذا ما فقدن أبناءهن وأزواجهن فى مواطن الجرأة والإقدام ، حين تكون النفوس ملء الصدور

٥٥ــ وليس الفرات وقد تدفقت مياهه مزبدة ، تغشى الآكام وتعلو الجسور ،

٥٦ــ وتكب السفن لوجوهها ، وتصرع الأشجار والدور القائمة على شاطئيه ،

٥٧ــ بأجود منك حين تعطى المئين ، وتهب أكياس المال .

٤٤ــ وَأَعْدَدْتَ لِلْحَرْبِ أَوْزَارَهَا   رِمَاحًا طِوَالًا وَخَيْلًا ذُكُورَا

٤٥ــ وَمِنْ نَسْجِ دَاوُودَ مَوْضُونَةً   تُسَاقُ مَعَ الْحَيِّ عِيرًا فَعِيرَا

٤٦ــ إِذَا ازْدَحَمَتْ فِي الْمَكَانِ الْمَضِيـ   ـقِ حَتَّ التَّزَاحُمُ مِنْهَا الْقَتِيرَا

٤٧ــ لَهَا جَرَسٌ كَحَفِيفِ الْحَصَا   دِ صَادَفَ بِاللَّيْلِ رِيحًا دَبُورَا

٤٨ــ وَجَأْوَاءَ تُتْعِبُ أَبْطَالَهَا   كَمَا أَتْعَبَ السَّابِقُونَ الْكَسِيرَا

٤٩ــ جِيَادُكَ فِي الصَّيْفِ فِي نِعْمَةٍ   تُصَانُ الْجِلَالَ وَتُعْطَى الشَّعِيرَا

٥٠ــ سَوَاهِمُ جِذْعَانُهَا كَالْجِلَا   مِ أَقْرَحَ مِنْهَا الْقِيَادُ النُّسُورَا

٥١ــ وَلَابُدَّ مِنْ غَزْوَةٍ فِي الْمَصِيـ   ـفِ حَتٍّ تُكِلُّ الْوَقَاحَ الشَّكُورَا

٥٢ــ يُنَازِعْنَ أَرْسَانَهُنَّ الرُّوَا   ةَ شُعْثًا إِذَا مَا عَلَوْنَ الثُّغُورَا

٥٣ــ فَأَنْتَ الْجَوَادُ وَأَنْتَ الَّذِي   إِذَا مَا النُّفُوسُ مَلَأْنَ الصُّدُورَا

٥٤ــ جَدِيرٌ بِطَعْنَةِ يَوْمِ اللِّقَا   ءِ تَضْرِبُ مِنْهَا النِّسَاءُ النُّحُورَا

٥٥ــ وَمَا مُزْبِدٌ مِنْ خَلِيجِ الْفُرَا   تِ يَغْشَى الْأَكَامَ وَيَعْلُو الْجُسُورَا

٥٦ــ يَكُبُّ السَّفِينَ لِأَذْقَانِهِ   وَيَصْرَعُ بِالْعِبْرِ أَثْلًا وَدُورَا

٥٧ــ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا عِنْدَهُ   فَيُعْطِي الْمِئِينَ وَيُعْطِي الْبُدُورَا

(٤٤ — ٤٧) أوزار الحرب عدتها . موضونة درع منسوجة بعضها على بعض . تساق تحمل ويرسل بها . حت برد وحك . القتير رؤوس المسامير التي تربط أجزاء الدرع وحلقاته . الجرس صوتها حين يحتك بعضها ببعض . الحصاد نبات الذي جف على سوقه ونضج . الدبور الريح الغربية وهي تقابل الصبا وهي الريح الشرقية .

(٤٨ — ٤٩) جأواء كتيبة سوداء لكثرة ما على فرسانها من الحديد . الكسير المكسور . الجلال جمع جل (بضم الجيم) وهو ما تلبسه الدابة لتصان به .

٥٠ — جذعان جمع جذع (بفتحتين) وهو الشاب الحدث . الجلام جمع جلم (بفتحتين) وهو تيس الظباء والغنم . القياد طول قيادها في الحروب . النسور جمع نسر وهو لحم في بطن الحافر يكون كالنوى والحصى . أقرحها جرحها وأحفاها .

٥١ — سواهم: ضامرة متغيرة . حت سريعة . الوقاح الصلب ، حافر وقاح وفرس وقاح أي صلب شديد . الشكور الضخم السمين ، شكرت الدابة (كطرب) سمنت . تكلها تتعبها وتنكدها وتجهدها .

(٥٢ — ٥٤) الرواة جمع راوي وهو الذي يقوم على العناية بالخيل . شعثاً قد تشعث شعرها وتفرق وانتثر . الثغور جمع ثغر وهو موضع المخافة والخلل .

(٥٥ — ٥٧) مزبد تلتطم أمواجه فيطفو الزبد على سطحه . خليج الفرات . العرب تسمى النهر خليجاً . الأكام المرتفعات جمع أكمة . الجسر الذي يعبر عليه كالقنطرة ونحوها . يكب السفين لأذقانه يقلبها على وجوهها . والسفين جمع سفينة . العبر الشاطئ . الأثل شجر . البدور جمع بدرة (بفتح الباء وسكون الدال) وهي الكيس المملوء نقوداً .

هذه القصيدة هي آخر ما مدح به الأعشى هوذة مما وجد في ديوانه ، فهي القصيدة الرابعة على حسب الترتيب الزمني . وقيها ما يدل على أنها قيلت قبل الهجرة ببضع سنوات ، لأنه يشير في آخرها إلى إيقاع كسرى ببني تميم في يوم الصفقة .

ويقول ابن الأثير إن هذا اليوم كان وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو بمكة لم يهاجر(١) . ويمدح هوذة فيها وقد شاب وتقدمت به السن ، فالأعشى يقول (البيت ٥٠) :

لم ينقص الشيب منه ما يقال له وقد تجاوز عنه الجهل فانقشعا

وفي القصيدة بعض ما يستحق النظر . فقد روى أبو عبيدة أن أبا عمرو بن العلاء زاد فيها بيتاً من وضعه ، واستغفر الله فلم يروه ، وهذا البيت هو (البيت ٢) :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلعا

وروى صاحب العقد الفريد أن واضع البيت هو حماد ، وقال إنه لم يزد في شعر الأعشى غيره . وروى صاحب الأغاني في أخبار بشار أنه أنشد هذا البيت وهو يسمع فأنكره وقال إنه لا يشبه كلام الأعشى . وروى ثعلب في شرح الديوان هذا الخبر الأخير ، وزاد عليه أن الذي أنشد بشاراً البيت هو أبو بكر (والراجح أنه أبو بكر بن عياش بن سالم الكوفي المتوفى سنة ١٩٣ هـ) فلما أنكر بشار البيت رد عليه أبو بكر (ولا عرف القصيدة) ثم قال متعجباً من فطنة بشار (أعمى شيطان) وإذن فالشك قد تجاوز البيت إلى القصيدة كلها في نظر أبي بكر هذا .

والواقع أن بعض أجزاء القصيدة يبدو مقحما قد ألصق بالقصيدة إلصاقا ، مثل الأبيات (١٤ — ٢١) التي يتحدث فيها الشاعر عن حسان تبع وعن اليمامة ، ومثل الأبيات (٦٢ — ٧١) التي يشير بها إلى يوم الصفقة . فالأولى تعترض بين الغزل ووصف الصحراء ، والثانية تعترض بين المدح . يضاف إلى ذلك أن المرزباني سيء الرأي في القصيدة جميعا ، فهو يروي بعض أبياتها عن محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ، ويقول إنه حصها منه كاملة وعددها ستة وسبعون بيتا — وكذلك هي في هذا الديوان — ثم يقول « إنها من الأشعار الغثة الألفاظ ، الباردة المعاني ، المتكلفة النسج ، القلقة القوافي ، المضادة للأشعار المختارة » ولا يسوق من ذلك إلا ستة أبيات . ثم يقول « فإن هذا الشعر وما شاكله يصدئ الفهم ويورث الغم »(٢)

والحقيقة أن التكلف واضح في كثير من أبيات القصيدة إلى حد يجهد القارئ في فهم المقصود ، لأن الشاعر يقصر في التعبير عما يريد ، ويخونه التوفيق في نظم الألفاظ ، ثم هو لا يقصد إلى معنى جليل يستحق كل هذا العناء من القارئ .

هذا مع ما أشرت إليه من سوء الترتيب والحشو والإقحام ، وكل هذه الأشياء مجتمعة قد تشكك في صحة نسبة القصيدة للأعشى . ولكني مع ذلك لا أرى فيها جميعا أي دليل يجعلني أنفي نسبتها للشاعر ، ومن المهم أن نتصور الشاعر الجاهلي كما كان يتصوره الجاهليون . فقد كان الشاعر في ذلك الوقت يصور الرجل المثقف الحكيم ، وكان الشعر هو كل شيء عند الناس في ذلك الوقت ، هو العلم ، وهو الحكمة ، وهو التاريخ وهو السياسة وهو بعد ذلك — أو قبله إن شئت — الكلام الجميل المنسق الأثير ، ولذلك فالشاعر يروي التاريخ ويحفظ الأساطير ويستنبط منها العظة والعبرة . فهذه الأجزاء التي تبدو في نظرنا الآن مقحمة لم تكن كذلك في نظر الشاعر ومعاصريه ، بل لقد كان الشاعر يكاثر ويتعالم بما يزج من مثل هذه الأخبار التي تصور سعة أفقه وعمق ثقافته ووفرة علمه .

وبعد فليس لنا بد من أن نلخص بعض ما يروى من حديث حسان تبع ويوم الصفقة حتى يتيسر فهم بعض ما يتعلق بهما من شعر :

أما تبع حسان فقد عاش في أوائل القرن الخامس الميلادي . وقصته تتصل بحديث طسم وجديس . وهما من قبائل العرب البائدة التي لم تصل إليها الكشوف الأثرية ، وكل علمنا عنها مما يروى من أساطير تدخلها المبالغة والخلط وصناعة القصص .

قالوا إن هاتين القبيلتين كانتا تسكنان اليمامة في شرق نجد — وهي موطن شاعرنا الأعشى وقومه — وكان اسمها وقتذاك « جو » وكانت السيادة في طسم حتى انتهى الملك إلى رجل ظالم فاسق ، فائتمرت به جديس فقتلوه وأفنوا قومه من طسم ، لم ينج منهم إلا رجل اسمه « رياح ابن مرة » سار إلى تبع حسان بن عمرو ملك اليمن مستنجداً به ، فسار معه بجيشه ، وكان لرياح بن مرة أخت في جديس تبصر على مسيرة ثلاثة أيام ، فلما كان قريباً من القوم أخبر حسان بخبرها وقال للجيش اقطعوا الشجر ، وليضع كل راكب منكم بين يديه غصنا ليشتبه الأمر عليها .

فلما نظرت اليمامة من فوق حصن مرتفع من حصونهم قالت : أرى رجلا في شجرة ، معه كتف يتعرقها ، أو نعل يخصفها . وأخبرتهم بأن حميراً ستغزوهم ، وكان كاهن قديم اسمه سطيح قد تنبأ بذلك . ولكن قومها كذبوها ولم يأخذوا للأمر أهبتهم . فوطئهم حسان بجيشه فأفناهم وهدم قصورهم وحصونهم ، وصلب « اليمامة » على باب « جو » بعد أن قلع عينيها ، فسميت « جو » من ذلك الوقت « اليمامة » على اسم هذه المرأة(٣) .

أما حديث الصفقة فخلاصته أن تميماً نهبت قافلة من قوافل كسرى التي كانت تمر بين اليمن وفارس ، في موضع من أرضهم يسمى « نطاع » فآوى هوذة رجال القافلة الذين كانوا يسيرون في حراستها ، وقدم على كسرى فكساه قباء ديباج منسوجا بالذهب واللؤلؤ وقلنسوة مرصعة بالأحجار الكريمة وكأسا من ذهب كان قد سقاه فيه . ثم دبر معه مكيدة للإيقاع بتميم ، وذلك بأن يمنع عنهم الميرة ، فإذا نالت منهم الحاجة

---

(١) ابن الأثير ١ : ٣٨٩   (٢) الموشح ٥٢ ، ٥٣

(٣) الطبري ١ : ٤٥١ — ٤٥٣ ، ابن الأثير ١ : ٢٠٣ — ٢٠٥ ، السيرة ١ : ١٥ — ١٩ ، العرب قبل الإسلام ص ٦٢ ، ٦٣

وقال يمدح هَوْذَةَ بن عليّ الحنفي :

١ — بَانَتْ سُعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا انْقَطَعَا	وَاحْتَلَّتِ الغَمْرَ فَالجُدَّيْنِ فَالفَرَعَا	(بسيط)
٢ — وَأَنْكَرَتْنِي وَمَا كَانَ الَّذِي نَكِرَتْ	مِنَ الحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَعَا	
٣ — قَدْ يَتْرُكُ الدَّهْرُ فِي خَلْقَاءَ رَاسِيَةٍ	وَهْيًا وَيُنْزِلُ مِنْهَا الأَعْصَمَ الصَّدَعَا	
٤ — بَانَتْ وَقَدْ أَسْأَرَتْ فِي النَّفْسِ حَاجَتَهَا	بَعْدَ ائْتِلَافٍ وَخَيْرُ الوُدِّ مَا نَفَعَا	
٥ — وَقَدْ أَرَانَا طِلَابًا هَمَّ صَاحِبِهِ	لَوْ أَنَّ شَيْئًا إِذَا مَا فَاتَنَا رَجَعَا	
٦ — تَعْصِي الوُشَاةَ وَكَانَ الحُبُّ آوِنَةً	مِمَّا يُزَيِّنُ لِلْمَشْغُوفِ مَا صَنَعَا	
٧ — وَكَانَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ فَفَرَّقَهُ	دَهْرٌ يَعُودُ عَلَى تَشْتِيتِ مَا جَمَعَا	
٨ — وَمَا طِلَابُكَ شَيْئًا لَسْتَ مُدْرِكَهُ	إِنْ كَانَ عَنْكَ غُرَابُ الجَهْلِ قَدْ وَقَعَا	
٩ — تَقُولُ بِنْتِي وَقَدْ قَرَّبْتُ مُرْتَحَلًا	يَا رَبِّ جَنِّبْ أَبِي الأَوْصَابَ وَالوَجَعَا	
١٠ — وَاسْتَشْفَعَتْ مِنْ سَرَاةِ الحَيِّ ذَا شَرَفٍ	فَقَدْ عَصَاهَا أَبُوهَا وَالَّذِي شَفَعَا	
١١ — مَهْلًا بُنَيَّ فَإِنَّ المَرْءَ يَبْعَثُهُ	هَمٌّ إِذَا خَالَطَ الحَيْزُومَ وَالضِّلَعَا	
١٢ — عَلَيْكِ مِثْلُ الَّذِي صَلَّيْتِ فَاغْتَمِضِي	يَوْمًا فَإِنَّ لِجَنْبِ المَرْءِ مُضْطَجَعَا	

(١ — ٣) بانت بعدت . نكره وأنكره جهله ولم يعرفه ، وأنكر عليه الأمر عابه عليه . صخرة خلقاء صلبة ملساء . الأعصم من الظباء والوعول ما في ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر . الصدع الفتي الشاب القوي .

(٤ — ٦) أسأرت أبقت . الطلاب مصدر طالب . الهم مايشغل النفس . أراد أن كلا منهما لم يكن لهم ولا مقصد إلا صاحبه . المشغوف المولع بالشيء . والشغاف (بكسر الشين غشاء القلب) .

(٧ — ٩) غراب الجهل ، أي غراب الشباب ، تقول طار غرابه إذا شاب لأن الغراب أسود . الوصب تحول الجسم من تعب أو مرض .

(١٠ — ١٢) استشفعت طلبت أن يشفع لها ويعاونها في مطلبها . شفع له أعانه . الحيزوم وسط الصدر وما يضم عليه الحزام . الضلع الأضلاع جمع ضلع . عليك مثل الذي صليت أي عليك مثل دعائك ، والصلاة هنا الدعاء .

أقام لهم سوقاً فى حصن « المشقر » وقد أعد للأمر رجاله ، فإذا تهافتوا فيه قتلهم . وقد كان لكسرى وهوذة ما أراداه ، ولكن التميميين تنبهوا للأمر حين رأوا الداخل لا يخرج ونزلوا على هوذة ، فأمر بإطلاق مائة من خيارهم وفر هاربا .

والأعشى ينل من هوذة فى هذه القصيدة أنه اشترك فى تدبير المؤامرة للإيقاع ببنى تميم ، وينسب ذلك لكسرى نفسه ، ولا ينسب لهوذة إلا الجزء الأخير من القصة ، وهو شفاعته فى إطلاق مائة من أسراهم . ويذكر ابن الأثير أن هوذة كان نصرانيا ، وأن الصفقة كانت فى يوم الفصح ، ويستشهد على ذلك بالبيت (٦٩) من هذه القصيدة .

وقد يجعل الطبرى وصاحب الأغانى هذا اليوم فى ملك كسرى أنوشروان . أما ابن الأثير فقد جعله فى ملك كسرى أبرويز بن هرمز بن كسرى أنو شروان . ورواية ابن الأثير أصح . لأن بين وفاة كسرى أنوشروان وبين الهجرة أربعة وأربعون عاما . وقد كان هوذة أحد الذين أرسل لهم الرسول الكتب يدعوهم للاسلام سنة ٦ فلو صح مايرويه الطبرى والأصفهانى لكان معنى ذلك أن هوذة عاش بعد يوم الصفقة خمسين سنة على الأقل ، وذلك بعيد عن المعقول ، لأن الأعشى يصوره فى هذه القصيدة وقد أسن وكساه الشيب(١) . هذا إلى أن ابن الأثير قد أرخ هذا اليوم كما سبق ، فقال إنه كان وقد بعث النبى

يقول الأعشى :

١ — رحلت سعاد وأمسى ما بينى وبينها وقد انقطع ، فديارها بين « الغَمْر » و « الجُدَّيْن » و « الفَرْعَ » .

٢ — وأنكرتنى متجاهلة ، وماكان الذى أنكرت إلا الشيب والصلع .

٣ — وإن الدهر ليصدع صلب الصخر الراسى فى الجبال ، وينزل الظبى الفَتِىَّ القوى من حيث يعتصم فى شعافها وقممها .

٤ — رحلت بعد ألفة واجتماع ، وأبقت فى النفس حاجة لا تنقضى ، وخيرُ الود ما نفع .

٥ — ويرجع الشاعر بخياله إلى الماضى فيقول : فقد أذكر كيف كنا ولا همَّ لأحدنا إلا صاحبه . . . ويسكت قليلا ، ثم يهز رأسه فى حسرة قائلا : لو أن شيئاً يرجع إذا مضى وفات !

٦ — كم قد عصيت الوشاة وأعرضت عما يقولون ، وكان الحب يزين فى عينى ما أصنع .

٧ — كنا وشملنا مجتمع ، وقلوبنا متآلفة ، ففرقنا الدهر الذى يكر على ما جمع بالأمس ليشتته اليوم .

ويختم الحديث عن صاحبته بأن يقول متحدثاً إلى نفسه :

٨ — ما طلبك شيئاً لا سبيل إلى إدراكه ، وقد شبت وتقدمت بك السن ، وانزاحت عن عينيك غشاوة الشباب والجهل ؟

ويشير الأعشى بعد ذلك إلى ابنته التى أشار إليها من قبل فى القصيدة (٤) التى مدح بها قيس بن معديكرب ، فنرى فى القصيدتين صورة واحدة .

٩ — ابنة تخاف على أبيها ، فهى تريد أن تجنبه مخاطر الأسفار ، وتدعو الله قائلة (يارب جنّب أبى الأوصاب والوجعا)

---

(١) الطبرى ١ : ٨١٠ ، ابن الأثير ١ : ٣٧٨ ، الأغانى ١٦ : ٧٨

١٣ — واستخبري قافل الركبان وانتظري	أوب المسافر إن ريثا وإن سرعا
١٤ — كوني كمثل التي إذ غاب وافدها	أهدت له من بعيد نظرة جزعا
١٥ — ولا تكوني كمن لا يرتجي أوبة	لذي اغتراب ولا يرجو له رجعا
١٦ — ما نظرت ذات أشفار كنظرتها	حقا كما صدق الذئبي إذ سجعا
١٧ — إذ نظرت نظرة ليست بكاذبة	إذ يرفع الآل رأس الكلب فارتفعا
١٨ — وقلبت مقلة ليست بمقرفة	إنسان عين وموقا لم يكن قمعا
١٩ — قالت أرى رجلا في كفه كتف	أو يخصف النعل لهفي أية صنعا
٢٠ — فكذبوها بما قالت فصبحهم	ذو آل حسان يزجي الموت والشرعا
٢١ — فاستنزلوا أهل جو من مساكنهم	وهدموا شاخص البنيان فاتضعا
٢٢ — وبلدة يرهب الجواب دلجتها	حتى تراه عليها يبتغي الشيعا
٢٣ — لا يسمع المرء فيها ما يؤنسه	بالليل إلا نئيم البوم والضوعا
٢٤ — كلفت مجهولها نفسي وشايعني	همي عليها إذا ما آلها لمعا
٢٥ — بذات لوث عفرناة إذا عثرت	فالتعس أدنى لها من أن أقول لعا

(١٣ — ١٥) قفل الركب عاد . الريث البطء . الوافد الرسول ، يقصد أخت رياح بن مرة الطسمي ، ووافدها أخوها . أوبة عودة ، رجع رجوع .

(١٦ — ١٨) أشفار جمع شفر (بضم الشين) ، وهو أصل منبت الشعر في الجفن . الذئبي سطيح الكاهن . سجع تنبأ بقول مسجوع وهو سجع الكهان ، كانوا يتكلمون بكلام مسجوع . الآل السراب . رأس الكلب جبل . ارتفع السراب اضطرب ، والسراب يرفع الشخوص فتبدو في الأفق على ما هو معروف في علم الضوء من انعكاس الصور . المقلة العين نفسها . مقرفة من قرف أي خلط وكذب . إنسان العين الفتحة التي أمام عدسة العين ومنها تبصر . القمع فساد في موق العين واحمرار .

(١٩ — ٢٠) الكتف عظم عريض خلف المنكب ، يقصد قطعة من لحم الكتف في يده ينهشها ويأكلها . يخصف النعل يخرزها ويلصق بها قطعة أخرى من الجلد لاصلاحها . صبحهم الجيش داهمهم في الصباح . يزجي يسوق . الشرع جمع شرعة (بكسر فسكون) وهي الحبالة التي يصيد بها الصائد . جو اسم اليمامة القديم . بنيان شاخص مرتفع . اتضع انتقل من وضع ، ووضع البنيان هدمه وسواه بالأرض .

(٢٢ — ٢٥) الجواب المسافر الكثير الجولان في الصحراء . الدلجة السير آخر الليل والإدلاج سير الليل كله . الشيع جمع شيعة ، وشيعة الرجل الذي يدانيه أي يعينه ويصحبه . الضوع طائر من طيور الليل أسود كالغراب . النئيم صوته . اللوث القوة . العفرناة الغول ، شبه ناقته بها . لعا له دعاء للعاثر بأن ينتعش ، أي سلمت ونجوت ؛

١٠ـــ وتتوسل إليه بسراة الحى ليردوه عن السفر ، فيعصيها ويعصيهم جميعاً ، ويمضى لما عزم عليه من الرحيل . ويقول لها :

١١ــ مهلا يابنية ، فإنما يسافر الرجل ليتسلى عن همه الذى يخالط صدره وتنطوى عليه ضلوعه .

١٢ــ ادعى الله مثل دعائك إذ تقولين (يارب جنب أبى الأوصاب والوجعا) ، ثم نامى وقرى عينا ، فليس لنا من الموت مفر .

١٣ــ واسألى عنى من يعود من الركبان ، وانتظرى أوبتى بعيداً أو قريباً .

وهنا يشير الأعشى إلى قصة زرقاء اليمامة التى أجملناها فى صدر هذا الحديث . فيقول لابنته ماضياً فيما كان فيه من نصحها وتهدئة روعها :

(١٤، ١٥) كونى مثل « اليمامة » ، إذ غاب عنها أخوها حين رحل يلتمس عون حسان ، فظلت تترقب عودته فى شوق وأمل ، بنظرات ملؤها الجزع والإشفاق . ولا تكونى متشائمة كمن لا يرجو عودة المسافر .

وينتقل الأعشى إلى قصة « اليمامة » فيتحدث عنها فى ستة أبيات ، بما لا يتجاوز ما أسلفنا من حديثها .

١٦ــ لم تنظر ذات عينين كنظرتها . وكان ما رأت مصدقا لما تنبأ به الذئبى (سطيح الكاهن) فى سجعه القديم .

١٧ــ نظرت فلم تخنها عيناها ، وقد سطع السراب واضطرب فوق « رأس الكلب » .

١٨ــ وحددت النظر بعين لا تكذب ولا تخلط بين ما ترى ، إنسانها صاف ومؤقها سليم من الفساد والمرض .

١٩ــ وقالت لقومها : عجيب ما أرى . إنه رجل فى كفه كتف ينهشها ! لا بل هو رجل يخصف النعل ! لهفى أيهما أرى ؟ إنه هذا أو ذاك .

(٢٠، ٢١) ولكن قومها أعرضوا عنها مكذبين ولم يصدقوا ما قالت . فصبحهم حسان بجيشه يسوق الهلاك وحبائل الموت . فاستنزلوا أهل « جو » من مساكنهم ، وهدموا عالى البنيان فسووه بالأرض .

ويعود الأعشى إلى الحديث عن أسفاره التى أرادت ابنته أن تمنعه منها :

٢٢ــ إنه يسلك البلاد التى يرهب الرحالة الجواب أن يسير فيها آخر الليل وحده ، فهو يجمع حوله الرفاق ليعتز بهم ويتشجع .

٢٣ــ قد أقفرت من كل شىء ، لا يؤنس سالكها فى الليل إلا نعيق البوم ، وصوت الضوع ، طائر الليل الأسود .

٢٤ــ فى مثل هذه المسالك أكلف نفسى السير ، أقتحم مجاهلها ، ولا ألتمس العون عليها حين يخفق فيها السراب إلا من همى وعزمى .

٢٦ — تلوي بعذقِ خِصابٍ كلّما خطرتْ / عن فرجِ معقومةٍ لم تتّبعْ رُبَعا

٢٧ — تخالُ حَبًّا عليها كلّما ضَمَرتْ / من الكلالِ بأنْ تستوفيَ النِّسَعا

٢٨ — كأنّها بعد ما أفضى النِّجادُ بها / بالشّيِّطَينِ مهاةٌ تبتغي ذَرَعا

٢٩ — أهوى لها ضابئٌ في الأرضِ مفتحِصٌ / للّحمِ قِدْماً خفيُّ الشخصِ قد خَشَمَا

٣٠ — فظلَّ يخدعُها عن نفسِ واحدِها / في أرضِ فَيْءٍ بفعلٍ مثلُه خَدَعا

٣١ — حانتْ ليفجعَها بابنٍ وتُطْعِمَهُ / لحماً فقد أطعمتْ لحماً وقد فَجَعا

٣٢ — فظلَّ يأكلُ منها وهي راتعةٌ / حدَّ النهارِ تُراعي ثيرةً رُتُعا

٣٣ — حتّى إذا فيقةٌ في ضرعِها اجتمعتْ / جاءتْ لتُرضعَ شِقَّ النفسِ لو رَضَعا

٣٤ — عجْلا إلى المعهدِ الأدنى ففاجأها / أقطاعُ مَسْكٍ وسافتْ من دمٍ دُفَعا

٣٥ — فانصرفتْ فاقداً ثكلى على حَزَنٍ / كلٌّ دهاها وكلٌّ عندها اجتمعا

٣٦ — وذاك أنْ غفلتْ عنه وما شعرتْ / أنَّ المنيّةَ يوماً أرسلتْ سبُعا

٣٧ — فما تُعاقدُ .... / .... قلتُ الشاةِ قد صقعا

٣٨ — حتّى إذا ذرَّ قرنُ الشمسِ صبّحها / ذؤالُ نبهانَ يبغي صحبَه المُتَعا

(٢٦ — ٢٨) العذق (بفتح العين) النخلة ، والعذق (بكسر العين) القنو منها والعنقود الذي فيه البلح . الخصاب جمع خصبة وهي النخلة. خطر الفحل بذنبه ضرب به يميناً وشمالا . معقومة عاقر . الربع ولد الناقة الذي يولد في الربيع .

(٢٩ — ٣١) تستوفي تستكمل . النسع جمع نسع (بكسر فسكون) وهو سير ينسج عريضا وتشد به الرحال إلى ظهر الناقة . أفضى إلى الشيء ، وصل إليه . النجاد جمع نجد وهو المرتفع من الأرض . المهاة بقرة الوحش . الذرع ولد البقرة . أهوى لها انحط وانحدر . ضابيء لازق . مفتحص متخذ أفحوصا والأفحوص الجحر الذي يأوي إليه . خفي الشخص نحل دقيق الجسم . خشم نحل ، خشع السنام ذهب إلا أقله . واحدها ابنها . الفيء الظل . حانت من الحين (بفتح ثم سكون) وهو الهلاك والمحنة.

(٣٢ — ٣٥) رتعت الماشية في المكان أكلت وشربت ما شاءت في خصب وسعة . حد الشيء منتهاه ، حد النهار أي طوال النهار . الفيقة اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين . شق الشيء شطره والقطعة منه . وشق النفس ولدها لأنه قطعة منها . لو هنا للتمني أي ليته حي فيرضع منها . عجلا مصدر عجل (كطرب) سكن الجيم لضرورة الوزن . المعهد الموضع الذي عهدته به . الأدنى القريب . أقطاع جمع جمع . المفرد قطعة والجمع قطع وجمعه أقطاع . المسك الجلد . سافت شمت . الدفع ما جرى شيئا بعد شيء من دمه . دهته الداهية أصابته .

(٣٦ — ٣٨) السبع الوحش المفترس . ذر طلع . قرن الشمس أول ما يطرق منها . ذأل أسرع ومعنى في خفة ، ويقصد بالذؤال هنا الصائد . المتع جمع متعة يعني أنه يطلب لهم زاداً وطعاما .

٢٥— فوق ناقة قوية شديدة لا تتعثر فى طريقها، تعست إن هى عثرت ولا أقالها الله .

٢٦— تضرب بذنبها ذات اليمين وذات الشمال ـ وكأنه وقد اكتنفه الشعر من ناحيتيه قِنْوُ النخلة ـ فيكشف عن فرج عاقر عقيم ، ليس وراءها ولد تحن إليه فيعوقها عن الإقدام ، فهى لا تُقْتَنَى للإنتاج والنسل ، وإنما تخصّص للرحلة .

٢٧— تكلف هذه الناقة نفسها الرحلة البعيدة حتى يضنيها الكلال فتضمر ، وتسترخى السيور التى تشد الرحل إلى بطنها ، ولكنها ترى حتما عليها أن تمضى فى السير حتى تتم رحلتها ، حيث تستريح وتسترد قوتها ، ويعود جسمها إلى الاكتناز والامتلاء حتى يملأ السيور ويستوفيها .

٢٨— ويصور لنا كلال راحلته بعد أن أفضت بها المرتفعات إلى (الشيِّطين) ـ وهما واديان ـ فيشبهها ببقرة وحش تنشد ولدها الفقيد .

٢٩— عرض لها وحش قد لصق بالأرض متخذاً له فيها وكراً ينتظر الصيد فى نهم للحمه ، وقد فنى جسمه من الهزال ، ودق شخصه من شدة الجوع .

٣٠— فظل يخدعها عن ولدها فى أرض كساها الظل ـ وقد طالما خدع غيرها من قبل ـ

٣١— قدِّر عليها أن تطعمه لحم ابنها وأن يفجعها فيه ، فقد أطعمته لحمه وقد فجعها .

٣٢— ظل يأكل من لحمه وهى ترتع مع قطيع من الثيران طول النهار .

٣٣— حتى إذا جتمع اللبن فى ضرعها عادت ترضع ولدها ـ لو أنه حى يرضع !

٣٤— وأسرعت فى عجل إلى حيث خلفته قريباً منها ، ففوجئت بقطع ممزقة من جلده قد لطخها الدم . فراحت تشم هذه الدفع المتفرقة من دمه فى حزن وأسى .

٣٥— ثم انصرفت فاقداً ثكلى ، حزينة على ما دهاها وما اجتمع عليها من المصائب .

٣٦— لقد غفلت عن ابنها ولم تشعر أن الموت قد أرسل له سبعاً .

٣٨— ولم تكد تفيق هذه البقرة المسكينة من بليتها حتى فاجأها خطب جديد . فما هو إلا أن لاح الصباح حتى فاجأها صياد كأنه ذئب « نبهان » يبغى صحبه صيداً .

٣٩— معه كلاب ضارية كأنها النبال فى سرعتها ، ترى فى أعناقها أثر السيور .

٤٠— فإذا بلغ الشاعر هذا الحد من تصوير بقرة الوحش المكدودة المجهدة قال : إنها تشبه ناقتى وقد أجهدها السير وأعيتها الرحلة ، لا تختلف عنها إلا بحوافرها .

٣٩— بِأَكْلُبٍ كَسِرَاعِ النَّبْلِ ضَارِيَةٍ ... تَرَى مِنَ القِدِّ فِي أَعْنَاقِهَا قِطَعَا

٤٠— فَتِلْكَ لَمْ تَتْرُكْ مِنْ خَلْفِهَا شَبَهًا ... إِلَّا الدَّوَابِرَ وَالأَظْلَافَ وَالزَّمَعَا

٤١— أَنْضَيْتُهَا بَعْدَ مَا طَالَ الهِبَابُ بِهَا ... تَؤُمُّ هَوْذَةَ لَا نِكْسًا وَلَا وَرَعَا

٤٢— يَا هَوْذَ إِنَّكَ مِنْ قَوْمٍ ذَوِي حَسَبٍ ... لَا يَفْشَلُونَ إِذَا مَا آنَسُوا فَزَعَا

٤٣— هُمُ الخَضَارِمُ إِنْ غَابُوا وَإِنْ شَهِدُوا ... وَلَا يَرَوْنَ إِلَى جَارَاتِهِمْ خُنُعَا

٤٤— قَوْمٌ بُيُوتُهُمُ أَمْنٌ لِجَارِهِمُ ... يَوْمًا إِذَا ضَمَّتِ المَحْذُورَةُ الفَزَعَا

٤٥— وَهُمْ إِذَا الحَرْبُ أَبْدَتْ عَنْ نَوَاجِذِهَا ... مِثْلُ اللُّيُوثِ وَسُمٍّ عَاتِقٍ نَقَعَا

٤٦— غَيْثُ الأَرَامِلِ وَالأَيْتَامِ كُلِّهِمُ ... لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ إِلَّا ضَرَّ أَوْ نَفَعَا

٤٧— مَنْ يَلْقَ هَوْذَةَ يَسْجُدْ غَيْرَ مُتَّئِبٍ ... إِذَا تَعَصَّبَ فَوْقَ التَّاجِ أَوْ وَضَعَا

٤٨— لَهُ أَكَالِيلُ بِاليَاقُوتِ زَيَّنَهَا ... صُوَّاغُهَا لَا تَرَى عَيْبًا وَلَا طَبَعَا

٤٩— وَكُلُّ زَوْجٍ مِنَ الدِّيبَاجِ يَلْبَسُهُ ... أَبُو قُدَامَةَ مَحْبُوًّا بِذَاكَ مَعَا

٥٠— لَمْ يَنْقُصِ الشَّيْبُ مِنْهُ مَا يُقَالُ لَهُ ... وَقَدْ تَجَاوَزَ عَنْهُ الجَهْلُ فَانْقَشَعَا

٥١— أَغَرُّ أَبْلَجُ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِهِ ... لَوْ صَارَعَ النَّاسَ عَنْ أَحْلَامِهِمْ صَرَعَا

(٣٩ — ٤٠) النبل السهام ، يشبه بها الكلاب في سرعتها عند انطلاقها. ضارية من ضرى بالشيء تعوده ، وكلب ضار بالصيد خبير به متعوده . القد السير من الجلد . الدوابر مآخير الأخلاف . والظلف الظفر من الحيوانات المجترة كالبقرة والشاة والظبي وشبهها ، وهو بمكان الحافر من الفرس . الزمع جمع زمعة وهو شيء زائد وراء الظلف ، في كل قائمة زمعتان كأنهما من قطع القرون لصلابتهما .

(٤١ — ٤٣) أنضيتها أهزلتها وأجهدتها . الهباب النشاط . النكس العاجز الضعيف . الورع الجبان . آنس الشيء أبصره أو أحس به . الفزع الهلع أو القتال . الخضارم جمع خضرم (بكسر الخاء والراء) وهو الكريم السخي . شهدوا أي حضروا . خنع جمع خانع وهو المريب الفاجر والغادر .

(٤٤ — ٤٨) المحذورة الفزع والداهية التي تحذر والحرب . الفزع المتفرق . العاتق القديم، وعتقه عضه . تئب ثبت . غير متئب لا يستحي، فعلها اتأب أي استحى . الطبع الوسخ الشديد من الصدأ ، والشين العيب .

(٤٩ — ٥٢) الديباج الحرير وهو فارسي معرب . محبوا من الحباء وهو العطاء . حباه به ملك فارس حين قدم عليه . انقشع ذهب . الجهل طيش الشباب . أغر صبيح الوجه . أبلج من البلجة وهي نقاوة ما بين الحاجبين . استسقى طلب السقيا ، أي أن الناس يسألون المطر ببركته .

وبعد أن يستغرق الأعشى فى عرض هذه الصورة عشرة أبيات يتخلص إلى المدح فيقول :

٤١ — إنه قد أنضى هذه الناقة بعد أن طال نشاطها ، يؤم بها هوذة ، وما هو بالضعيف ولا الجبان .

ويبدأ بالثناء على قومه فيقول :

٤٢ — ياهوذ إنك من قوم ذوى حسب ، لايجبنون ولا يضعفون إذا غشيهم من الحوادث ما يفزع .

٤٣ — أسخياء يعم خيرهم الناس حاضرين وغائبين ، فضلاء أوفياء يعفون عن جاراتهم فما يُريبون .

٤٤ — شجعان منجدون ، يأمن اللاجىء إليهم حين يعم الكرب ويشمل أشتاتَ الناس .

٤٥ — فرسان مغاوير ، إذا كشرت الحرب عن أنيابها فهم الليوث وهم السم الزُّعاف .

ثم يصرف الشاعر المدح إلى هوذة ، مشيراً إلى ما حباه به كسرى حين زاره فيقول :

٤٧ — إن الذى يلقاه لا يستحى أن يسجد أمام طلعته المهيبة وقد تعصب فوق التاج ، ووضع الأكاليل ،

(٤٨، ٤٩) قد زينها صواغها بالياقوت ، لا ترى فيها عيباً ولا شيناً ، ولبس أكسية الديباج ، حبوا بذلك جميعاً من كسرى.

٥٠ — وقد شاب هوذة ، ولكن الشيب لم ينقص منه شيئاً ، بل لقد زاده حنكة وتجربة .

٥١ — مبارك ميمون ، بوجهه الصبيح يُسْتَمْطَرُ الغمام ؛ عاقل حليم ، لو قيس عقله إلى عقول الناس فضلها ورجح عليها .

٥٢ — حملوه أعباء الملك ، التى لا ينهض بها إلا السادات ، وهو بَعْدُ فتى ، فأطاق الحمل ونهض به .

٥٣ — وجربوه فى مختلف الشدائد والأزمات ، فما كشفت تجاربهم إلا عن الحزم والفضل .

(٥٤، ٥٥) من أجل ذلك ألقى إليه السادة المقاليد ، ورضيت نفوسهم أن يكونوا له تبعا .

٥٧ — يستمع إلى قولهم منصتاً حين يعرضون عليه آراءهم ، فيختار منها ما يشاء مما يستبين فيه الحزم والصواب ، ويبتدع ما يشاء من صائب الحلول وسديدها .

٥٦ — ياهَوْذ ، ياخير من يمشى على قدم ، ويا بحر الهبات للواردين ، ومورد الشاربين .

٤٦ — أنت الغيث الذى يحيا به من نكبهم الدهر من الأرامل والأيتام ، وأنت القدير على أن تنفع وأن تضر .

(٥٨، ٦٠) ليس الفرات وقد عب عبابه ، وجاش طوفانه ، وحفل بالماء حتى كاد يطغى على شاطئيه المرتفعين ويغمرها ، قد ضربه الريح فالتطمت أمواجه وامتدت عالية هُوجاً ، وأترعت بها روافده وفروعه ، بأجود من هوذة حين تسأله .

٥٢— قد حَمَّلُوهُ فَتِيَّ السِّنِّ مَا حَمَلَتْ ... سَادَاتُهُمْ فَأَطَاقَ الحِمْلَ وَاضْطَلَعَا

٥٣— وَجَرَّبُوهُ فَمَا زَادَتْ تَجَارِبُهُمْ ... أَبَا قُدَامَةَ إِلَّا الحَزْمَ وَالفَنَعَا

٥٤— مَنْ يَرَ هَوْذَةَ أَوْ يَحْلُلْ بِسَاحَتِهِ ... يَكُنْ لِهَوْذَةَ فِيمَا نَابَهُ تَبَعَا

٥٥— تَلْقَ لَهُ سَادَةَ الأَقْوَامِ تَابِعَةً ... كُلٌّ سَيَرْضَى بِأَنْ يُرْعَى لَهُ تَبَعَا

٥٦— يَا هَوْذُ يَا خَيْرَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ ... بَحْرَ المَوَاهِبِ لِلْوُرَّادِ وَالشُّرَّعَا

٥٧— يُرْعَى إِلَى قَوْلِ سَادَاتِ الرِّجَالِ إِذَا ... أَبْدَوْا لَهُ الحَزْمَ أَوْ مَا شَاءَهُ ابْتَدَعَا

٥٨— وَمَا مُجَاوِرُ هِيتٍ إِنْ عَرَضْتَ لَهُ ... قَدْ كَادَ يَسْمُو إِلَى الجُرْفَيْنِ وَاطَّلَعَا

٥٩— يَجِيشُ طُوفَانُهُ إِذْ عَبَّ مُحْتَفِلًا ... يَكَادُ يَعْلُو رُبَى الجُرْفَيْنِ مُطَّلِعَا

٦٠— طَابَتْ لَهُ الرِّيحُ فَامْتَدَّتْ غَوَارِبُهُ ... تَرَى حَوَالِبَهُ مِنْ مَوْجِهِ تَرَعَا

٦١— يَوْمًا بِأَجْوَدَ مِنْهُ حِينَ تَسْأَلُهُ ... إِذْ ضَنَّ ذُو المَالِ بِالإِعْطَاءِ أَوْ خَدَعَا

٦٢— سَائِلْ تَمِيمًا بِهِ أَيَّامَ صَفْقَتِهِمْ ... لَمَّا رَآهُمْ أُسَارَى كُلُّهُمْ ضَرَعَا

٦٣— وَسْطَ المُشَقَّرِ فِي عَيْطَاءَ مُظْلِمَةٍ ... لَا يَسْتَطِيعُونَ فِيهَا ثَمَّ مُمْتَنَعَا

٦٤— لَوْ أُطْعِمُوا المَنَّ وَالسَّلْوَى مَكَانَهُمُ ... مَا أَبْصَرَ النَّاسُ طُعْمًا فِيهِمُ نَجَعَا

(٥٢ — ٥٥) أطاق احتمل . اضطلع بالحمل نهض به . الحزم ضبط الامر وأخذه بالثقة . الفنع الفضل. نابه نزل به من النوائب . يرعى يكون من رعيته وأتباعه .

(٥٦ — ٥٩) الشرع مورد الشاربين . يرعى يصغي . هيت بلد بالعراق . مجاور هيت نهر دجلة . الجرف المكان الذى يأخذه السيل ويجرفه . اطلع احتمل من طلع أى صعد . جاش غلا واضطرب . الطوفان الماء الغالب يغشى كل شيء . عب البحر ارتفع وكثر موجه . حفل واحتفل اجتمع وامتلأ . ربى جمع ربوة .

(٦٠ — ٦٤) الغوارب جمع غارب ، وغارب كل شيء حده ، والغوارب أعالى الأمواج . حوالب النهر الفروع التى تحلبه أى تمده وتعده . ترعا أى مترعة مملوءة إلى نهايتها . خدع توارى . الصفقة يوم من أيام العرب بين كسرى وتميم . ضرع ذل . المشقر حصن قتل فيه كسرى بنى تميم . عيطاء هضبة شاهقة . ثم هناك . المن طل ينزل من السماء كالندى فيجتمع على الاشجار والأحجار وينعقد عسلا فيؤكل . السلوى طائر أبيض مثل السمان . نجع نفع ونجح وظهر أثره على أبدانهم .

٦١ — فهو يجود حين يتوارى ذو المال مستتراً ويضن بالعطاء .

ويذكر الشاعر مثلا لفضل الممدوح وكرم طبعه ، بما فعل يوم « الصفقة » ، إذ شفع لبنى تميم عند كسرى . فيقول :

٦٢ — سل عنه تميما يوم « الصفقة » ، لما رآهم وقد سيقوا إلى الأسر أذلاء .

٦٣ — وسط حصن « المشقّر » ، فى هضبة عالية مظلمة ، لا يجدون منها مخرجا ، ولا يستطيعون فيها امتناعا .

٦٤ — لو أطعِموا المَنّ والسَّلْوَى فى مأزقهم الذى صاروا إليه ماهَنَأهم ما يأكلون ، ولا ظهرت ثمرته على أبدانهم .

(٦٥، ٦٦) ذلك بظلمهم وعدوانهم على الملك بـ « نطاع » فى ضاحية النهار ، فقد ذاقوا وبال أمرهم ، وقد أصابهم طائفة من عقاب الملك ، وإنهم ليتحسرون نادمين (ويَحْسُون من أنفاسهم جُرَعًا) إذ يتنهدون .

٦٧ — يومئذ جاء هوذة يلتمس من الملك أن يسرح مائة منهم ، يرجوه فى لين وهوادة ، وفى صوت مخفوض .

٦٨ — فاستجاب الملك لشفاعته ، وفك عن مائة منهم وثاقهم ، فأصبحوا وقد نزعت عنهم الأغلال .

٦٩ — ولم يكن هوذة يبغى بما فعل وبما أسدى من الخير إلا وجه الله ، يتقرب إليه بهذا العمل الصالح فى عيد الفصح .

٧٠ — كانت كلمة معروف ، أسدى بها خيراً ونفعاً ، ولم يرد بها ثوابا عاجلا .

٧١ — ولكن بنى تميم لا يرون فيما فعل نعمة سبقت إليهم منه ، وقد قال ما قال وسعى فيما سعى ، عن رغبة فى الخير والإحسان .

ويعود الشاعر إلى ممدوحه ، ليصفه بالقوة والاقتدار ، فيقول :

٧٢ — لن يستطيع الناس أن يصلحوا ما أوهى ، ولو اجتمعوا على ذلك طول الحياة . ولاهم يستطيعون أن يفسدوا ما أقام وأصلح .

٧٣ — مهما يقصدْ من جمع فهو قادر على تفريقه وتشتيته ، ومهما يُرِدْ من متفرق شتيت فهو قادر على أن يجمعه .

٧٤ — قد عم فضله الناس من « المدائن » إلى « شبَام » ، وقد تمرس بالمكاره ، يخوض إليها الموت ويلبسه .

٦٥— بِظُلْمِهِمْ بِنِطَاعِ الْمَلْكِ ضَاحِيَةً — فَقَدْ حَسَوْا بَعْدُ مِنْ أَنْفَاسِهِمْ جُرَعَا

٦٦— أَصَابَهُمْ مِنْ عِقَابِ الْمَلْكِ طَائِفَةٌ — كُلُّ تَمِيمٍ بِمَا فِي نَفْسِهِ جُدِعَا

٦٧— فَقَالَ لِلْمَلْكِ سَرِّحْ مِنْهُمُ مِائَةً — رِسْلاً مِنَ الْقَوْلِ مَخْفُوضاً وَمَارَفَعَا

٦٨— فَفَكَّ عَنْ مِائَةٍ مِنْهُمْ وِثَاقَهُمُ — فَأَصْبَحُوا كُلُّهُمْ مِنْ غُلِّهِ خُلِعَا

٦٩— بِهِمْ تَقَرَّبَ يَوْمَ الْفِصْحِ ضَاحِيَةً — يَرْجُو الْإِلٰهَ بِمَا سَدَّى وَمَا صَنَعَا

٧٠— وَمَا أَرَادَ بِهَا نُعْمَى يُثَابُ بِهَا — إِنْ قَالَ كِلْمَةَ مَعْرُوفٍ بِهَا نَفَعَا

٧١— فَلَا يَرَوْنَ بِذَاكُمْ نِعْمَةً سَبَقَتْ — إِنْ قَالَ قَائِلُهَا حَقًّا بِهَا وَسَعَى

٧٢— لَا يَرْقَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَى وَإِنْ جَهَدُوا — طُولَ الْحَيَاةِ وَلَا يُوهُونَ مَارَقَعَا

٧٣— لَمَّا يُرِدْ مِنْ جَمِيعٍ بَعْدُ فَرَّقَهُ — وَمَا يُرِدْ بَعْدُ مِنْ ذِي فُرْقَةٍ جَمَعَا

٧٤— قَدْ نَالَ أَهْلَ شَبَامٍ فَضْلُ سُؤْدَدِهِ — إِلَى الْمَدَائِنِ خَاضَ الْمَوْتَ وَادَّرَعَا

(٦٥ — ٦٨) نطاع اسم الموضع الذى نهبت فيه تميم قافلة كسرى . حسى الماء شربه . يصور تنهدهم وكأنه احتساء للأنفاس . الطائفة من الشيء القطعة . الجدع الحبس والسجن وقطع الأنف أو الأذن أو اليد . وجدعته أمه أساءت غذاءه . وكلأ جداع (بضم الجيم) وبيل وخم فيه جدع لمن يرعاه . الرسل البطء والهينة والهدوء . الوثاق الرباط والقيد . وكذلك الغل .

(٦٩ — ٧٤) الفصح من أعياد النصارى ، وهو عيد تذكار قيامة المسيح من الموت وهو أكبر أعيادهم . أسدى وسدى ندم . أوهى أضعف . رقع الشيء أصلحه . جميع مجتمع . السؤدد السيادة . شبام بلد قديم في اليمن . ادرع لبس الدرع ، على وزن افتعل والدرع القميص .

— ١٤ —

يخاطب الأعشى بهذه القصيدة بني عبدان عامة ، وعمرو بن المنذر بن عبدان خاصة . وبنو عبدان بيت من بيوت سعد بن قيس بن ثعلبة ، وقيس بن ثعلبة — كما قدمنا في القصيدة (١٠) — هو الفرع الذي ينتمي إليه الأعشى . فبنو عبدان قريبو القرابة من الشاعر ، ولذلك فهو متعلق بهم لا يحتمل عليهم ، كما سنرى . وللأعشى فيهم — غير هذه القصيدة — ثلاث قصائد أخرى هي ١٥ ، ٣٨ ، ٧٣

وسبب القصيدة فيما يروون أن رجلا من قيس عيلان كان جاراً لعمرو بن المنذر(١) ، فسرقت راحلته وهو في جواره . فلما بحثوا عنها وجدوا بعض لحمها في بيت قائد الأعشى ، وكان اسمه (عداج) . والأعشى هنا يعاتب بني سعد بن قيس عامة ، وعمرا خاصة ، بهذه القصيدة . وهو باق من تابعه ما يلصقون به من تهمة السرقة . ويبدو من البيت (٢٠) أن قوم الأعشى (سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة) كانوا قد ارتحلوا من الحي إلى ديار أبناء عمومتهم ، بني شيبان ، ولبث الأعشى مقيما مع أبناء العم (سعد بن قيس) وربما يعودون ، فاتهم بهذه التهمة في أثناء غيابهم ولذلك فهو يشكو في القصيدة غربته وقلة أعوانه .

ويبدو من المناسبة التي قيلت فيها القصيدة أنها قيلت في آخر أيام الأعشى ، بعد أن كف بصره واحتاج إلى قائد يلازمه ليدله على الطريق . على أن أثر السن واضح في الشعر في الأبيات (٥) ، (٢٠) . وتمتاز القصيدة بصدق التعبير والبعد من التكلف والصناعة ، فهي صورة من حياة البادية فيما ترسم من صور ، وما تقدم من مثل تليض بالوفاء للقبيلة ، والتمسك بقرابة الدم .

يبدأ الأعشى قصيدته منقبضاً ضيق الصدر ، فهو يتصور صاحبته معرضة كثيرة الهجر والصدود ، ولكنه مع ذلك متعلق بها لا يتركها . وكأن بين هذه الصورة التي يقدم بها الشعر وبين ما هو مقبل عليه من عتاب قومه صلة . فهم كهذه الصاحبة يسرفون في الصد والهجر والإيذاء ، على حين يسرف هو في التعلق بهم والإبقاء عليهم ورعاية حقوقهم .

يقول الأعشى :

١ — إن ما تولينه من الهجر والصدود والإيذاء ، لحقيق بأن يزهده فيك ويبرئه من حبك ـ لو أنه

٢ — يستطيع تجنباً ـ وقد علاه الشيب . ويشبه حبها وقد ولد في قلبه صغيراً بولد الناقة ، لم يزل يشب

٣ — وينمو حتى أصبح لخلا صاحب أبناء كبار . كذلك ملكت عليه أمره ، وثبت هو على حبها ، لا يزيده ما يكابد فيها من الشوق إلا إمعاناً في الود والتقرب .

٤ — ثم ينتقل الشاعر إلى الشكوى من أبناء عمومته . فيقول إنه قد بات والهم ملازمه ، ينتابه كلما أوى إلى الفراش . وقد أصبح الشاعر قليل الثقة بالقرابة وبصلة النسب .

٥ — وهو لذلك سيوصي كل رجل عاقل ذي بصر ، إن دنت منيته ، وصاة امرىء مجرب خبير .

٦ — بألا يلتمس الود ممن يتباعد وإن قربت قرابته ، ولا ينأى عن المتودد المتقرب وإن سبقت عداوته .

٧ — فليس القريب من تربطك به صلة النسب ، ولكن القريب الحق من قرب نفسه بالود وأخلصه .

٨ ، ٩ فلقد صرنا إلى زمن لا يرعى فيه أحد قرابة ولا نسباً . يغترب الرجل عن أهـله فإذا هو وحيد بين قوم يعتزون بأنصارهم من رهطهم ، لا يجد من يغضب له أو ينصره إذا خاصم أحدهم .

١٠ — فهم يد واحدة عليه ، يحطمونه بجورهم ، ولا يزال كل يوم صريع ظلم جديد ، يتقاذفه جراً وسحباً .

---

(١) عمرو بن المنذر بن حذافة بن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة .

وقال يهجو عمرو بن المنذر بن عبدان ، ويعاتب بني سعد بن قيس :

(طويل)

١ — كفى بالذي توليـنــه لو تجنبا ‍‍‍‍ ‍ ‍ شفاء لسقم بعد ما عاد أشيبا

٢ — على أنها كانت تأول حبها ‍ ‍ ‍ تأول ربعي السقاب فأصحبـا

٣ — فتم على معشوقة لا يزيدها ‍ ‍ ‍ إليه بلاء الشوق إلا تحببـا

٤ — وإني امرؤ قد بات همي قريبتي ‍ ‍ ‍ تأوبني عند الفراش تأوبا

٥ — سأوصي بصيرا إن دنوت من البلى ‍ ‍ ‍ وصاة امرىء قاسى الأمور وجربا

٦ — بأن لا تبغ الود من متباعد ‍ ‍ ‍ ولا تنأ عن ذي بغضة إن تقربا

٧ — فإن القريب من يقرب نفسه ‍ ‍ ‍ لعمر أبيك الخـيـر لا من تنسبا

٨ — وإن امرءا في حقبة الناس هذه ‍ ‍ ‍ وإن ....

٩ — متى يغترب عن قومه لا يجد له ‍ ‍ ‍ على من له رهط حواليه مغضبـا

١٠ — ويحطم بظلم لا يزال يرى له ‍ ‍ ‍ مصارع مظلوم مجرا ومسحبا

١١ — وتدفن منه الصالحات وإن يسيء ‍ ‍ ‍ يكن ما أساء النار في رأس كبكبا

١٢ — وليس مجيرا إن أتى الحي خائف ‍ ‍ ‍ ولا قائلا إلا هو المتعيبـا

١٣ — أرى الناس هروني وشهر مدخلي ‍ ‍ ‍ وفي كل ممشى أرصد الناس عقربا

١٤ — فأبلغ بني سعد بن قيس بأنني ‍ ‍ ‍ عتبت فلما لم أجد لي معتبـا

(١ — ٣) أولاه للمعروف منحه له ، ويقصد ما توليتى من الهجر والجفاء . تأول الكلام دبره وقدره وفسره . الربعي ولد الناقة في أول الانتاج . السقاب جمع سقب (بفتح السين) وهو ولد الناقة ساعة يولد . أصحب الرجل إذا بلغ ابنه فصار مثله وصار له كالصاحب . أي أن حبها كان صغيراً ثم كبر ونما . تم على أمره مضى عليه .

(٤ — ٦) قريبتي مثل قرابتي أي ملازمي . تأوبه آب إليه أي عاد ليلا . البصير العاقل الحاذق بالأمور . البلى للموت لأنه يبلى . قاسى الأمور ذاق شدتها وعاناها . لا تبغ لا تبتغ أو تطلب .

(٧ — ٩) الخير منصوب على نزع الخافض أي من يقرب نفسه بالخير وبعمله . تنسب انتسب إليك واتصل بالقرابة . الحقبة المدة من الزمن .

(١٠ — ١٢) حطمه كسره . مجراً ومسحباً مصدر ميمي من جر وسحب . كبكب جبل . أي تكون إساءته مشهورة ظاهرة لأنهم يشنعون بها ، كالنار فوق الجبل . ليس مجيراً أي أنه لا يملك أن يؤمن رجلا فيجعله في جواره لأن الناس لا يحترمون هذا الجوار ، وإنما يحترمون جوار القوى فلا يجرءون على أن ينالوا جاره بالأذى . المتعيب اسم مفعول من تعيب أي عاب وتنقص .

(١٣ — ١٤) هر الشيء كرهه . شهر به شنع عليه . مدخل مذهبي . أرصدوا عقربا هذا مثل أي أقاموا في طريقه الأذى . معتب موضع العتب .

إن أحسن ستره وأصلح أعماله ودفنوه، وإن أخطأ شهره وابخطئه وأذاعوه، حتى كأنه النار فى رأس جبل (كبكب).

١٢ — يلجأ المستجير إلى الحى فلا يستطيع أن يجيره لضعفه بينهم ، وينطق بالكلمة فترَدُّ عليه وتعاب .

١٣ — لقد كرهنى القوم وشنَّعوا بى ، وراحوا يضعون الأذى فى طريق حيثما سرت .

١٤ — فأبلغ بنى سعد بن قيس بأنى قد عتبت . فلما لم أجد موضعاً لعتاب ،

١٥ — لم يكن بد من أن أقطع صلتى بهم - وإن كنت لم أفعل بعد - ولكن من طوى كشحه معرضاً يتهيأ للرحيل كمن قد رحل .

١٦ — ومثل الذى تمطرونى من الأذى وسط بيوتكم خليق أن ينبت الشر ، وأن يجعل للقناة سناناً طويلا كأنه ريش الجناح .

١٧ — يبعد بيت الرجل من دار قومه ، فلا يعلمون كيف بات من بعدهم إلا ظناً .

١٨ — ويعيش بين قوم لا يرعون وداً ولا نسباً .

١٩ — لقد هان أمرى فى أعينكم منذ غاب عنى قومى ، حتى كأنى فى نظر هذا الباحث عن حقه وحق جاره أرنب ضعيف .

٢٠ — دعا قومه من حوله فنصروه ، وقد غاب عنى قومى بالمُسَنَّاة (وهو ماء لبنى شيبان) .

٢١ — فحكموا له على ظلماً ، وما كنت قبل ذلك قليل الأنصار ، ولا كنت دعياً لئيما .

٢٢ — فلقد أهتف مستنجداً فيأتينى كل كريم ينفض رأسه ، وقد هب لنصرتى ثائراً مغضباً.

ويتجه الأعشى إلى خصمه عمرو بن المنذر ، فيشير إليه قائلا :

٢٣ — أرى بينكم رجلا قد ذهب به الغضب وأضناه الكمد ، كأنما قد قطعت كفه .

٢٤ — وما أعرف له مجداً قديماً ، ولا أعرف له فضلا فى شىء .

٢٥، ٢٦ فليعلم هذا الذى أسى فى غضبه أعق الناس للقرابة والنسب، أن مثلى ومثلكم فيما تكلفونى من ذنوب لايد لى فيها ، كمثل الثور يضرب الراعى ظهره حين تعاف البقر الماء ، ليدفعه إلى الحوض فتقبل بأقباله.

٢٧ — كلما أعرضت البقر ضُرِب الثور ، على غير ذنب جناه .

ويعود الأعشى إلى مخاطبة بنى سعد بن قيس قائلا إنه لن يكون إلا وفياً للقرابة والنسب .

١٥— صَرَمْتُ وَلَمْ أَصْرِمْكُمُ وَكَصَارِمٍ ... أَخٌ قَدْ طَوَى كَشْحًا وَأَبَّ لِيَذْهَبَا

١٦— وَمِثْلُ الَّذِي تُولُونَنِي فِي بُيُوتِكُمْ ... يُقَنِّي سِنَانًا كَالقُدَامَى وَثَعْلَبَا

١٧— وَيَبْعُدُ بَيْتُ المَرْءِ عَنْ دَارِ قَوْمِهِ ... فَلَنْ يَعْلَمُوا مُمْسَاهُ إِلَّا تَحَسُّبَا

١٨— إِلَى مَعْشَرٍ لَا يَعْرِفُ الوُدُّ بَيْنَهُمْ ... وَلَا النَّسَبُ المَعْرُوفُ إِلَّا تَنَسُّبَا

١٩— أَرَانِي لَدُنْ أَنْ غَابَ قَوْمِي كَأَنَّمَا ... يَرَانِي فِيهِمْ طَالِبُ الحَقِّ أَرْنَبَا

٢٠— دَعَا قَوْمَهُ حَوْلِي فَجَاءُوا لِنَصْرِهِ ... وَنَادَيْتُ قَوْمًا بِالمُسَنَّاةِ غُيَّبَا

٢١— فَأَرْضَوْهُ أَنْ أَعْطَوْهُ مِنِّي ظُلَامَةً ... وَمَا كُنْتُ قُلًّا قَبْلَ ذَلِكَ أَزْيَبَا

٢٢— وَرُبَّ بَقِيعٍ لَوْ هَتَفْتُ بِجَوِّهِ ... أَتَانِي كَرِيمٌ يَنْفُضُ الرَّأْسَ مُغْضَبَا

٢٣— أَرَى رَجُلًا مِنْكُمْ أَسِيفًا كَأَنَّمَا ... يَضُمُّ إِلَى كَشْحَيْهِ كَفًّا مُخَضَّبَا

٢٤— وَمَا عِنْدَهُ مَجْدٌ تَلِيدٌ وَلَا لَهُ ... مِنَ الرِّيحِ فَضْلٌ لَا الجَنُوبُ وَلَا الصَّبَا

٢٥— وَإِنِّي وَمَا كَلَّفْتُمُونِي وَرَبِّكُمْ ... لِيَعْلَمَ مَنْ أَمْسَى أَعَقَّ وَأَحْرَبَا

٢٦— لَكَالثَّوْرِ وَالجِنِّيُّ يَضْرِبُ ظَهْرَهُ ... وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتِ المَاءَ مَشْرَبَا

٢٧— وَمَا ذَنْبُهُ أَنْ عَافَتِ المَاءَ بَاقِرٌ ... وَمَا إِنْ تَعَافُ المَاءَ إِلَّا لِيُضْرَبَا

٢٨— فَإِنْ أَنَا عَنْكُمْ لَا أُصَالِحْ عَدُوَّكُمْ ... وَلَا أُعْطِهِ إِلَّا جِدَالًا وَمِحْرَبَا

٢٩— وَإِنْ أَدْنُ مِنْكُمْ لَا أَكُنْ ذَا تَمِيمَةٍ ... يُرَى بَيْنَكُمْ مِنْهَا الأَجَالِدُ مُثْقَبَا

(١٠ — ١٨) صرم قطع وفارق . الكشح الجنب ، وطوى كشحه أعرض . أب تهيأ واستعد . أولاه المعروف صنعه له ، وإنما يولونه الأذى . قنى السنان ركبه في القناة . القدامى الريشة في أول الجناح . الثعلب طرف الرمح الداخل في السنان . التحسب السؤال عن الخبر . لن يعلموا ممساه أي لن يعلموا كيف أمسى وكيف صار في الليل إلا ما يصل إليهم من أخباره حين يسألون عنه الناس .

(١٩ — ٢١) المسناة ماء لبني شيبان حيث ينزل قوم الأعشى بعيداً عنه . قل قليل . الأزيب اللئيم الدعي . البقيع الموضع فيه شجر من ضروب شتى . هتفت بجوه دعوت مستنجداً .

(٢٣ — ٢٥) الأسيف الحزين والغضبان ومن لا يكاد يسمن لأن الحقد يأكله . تليد قديم . الجنوب ريح تهب من الجنوب . والصبا ريح من الشرق . أي لا يعرف له فضل في أي وقت ، لا في وقت هبوب هذه الريح ، ولا في وقت هبوب تلك . عق الولد والده خالفه وترك الشفقة عليه والإحسان إليه . وأعق أفعل منه . أحرب من حرب الرجل حرباً أي غضب .

(٢٦ — ٢٩) الجني الراعي . هذا مثل زعموا أن البقر إذا عافت الشرب وانصرفت عنه أخذوا ثوراً فضربوه حتى يرد الماء فتتبعه البقر . وقيل إن هذا لم يكن يحدث فعلا ولكنه مثل ضربه الشاعر وتصوره . حرب الرجل (كطرب) اشتد غضبه فهو حرب غضوب . التميمة الفص والقراض . أي لا أثقب جلدكم باغتيابكم ونهش أعراضكم .

٢٩،٢٨ إن نأيت عنكم لم أصالح عدوكم ولم أكن إلا حرباً عليه . وإن دنوت منكم لم أكن كالمقراض أقطع جلودكم بنهش أعراضكم ونبش سيئاتكم .

٣٠ — سينبح كلبي من ورائكم مدافعاً . ولكني سأغني عيالي عنكم . حتى لا ينالني لوم أو تأنيب .

٣١ — سأدفع عن أعراضكم ، وأضع في خدمتكم لساناً قاطعاً كأنه المقراض.

٣٢ — وما أبغي بما أفعل منكم جزاء أو ثواباً ، فإنما ثوابي فيما أفعل على الله .

٣٣ — سأثني عليكم في غيابكم ، فإذا أزمت الأزمات ، وصار كل رجل إلى حزبه ،

٣٤ — كنت واحداً منكم على ما ينوبكم من النائبات ، ولن يراني أعداؤكم ثوراً أغضب مكسور القرن .

وبعود الأعشى إلى عمرو بن المنذر مرة أخرى ، ولكنه يخاطبه مهدداً في عنف ، فيقول :

٣٥ — بيني وبين عمرو عداوة حادة قاتلة ، ليس وراءها إلا أن يمسني الجنون أو يصيبه الكَلَب .

٣٦ — لا يزال كلانا يدعي أنه برىء وأنه ليس ظالماً ، حتى نفد صبري وطرحت عني حلمي فهو اليوم بعيد .

٣٧ — لقد أطاع الواشين فأفسدوا ما بينه وبين كل صديق ، حتى الحبيب القريب .

٣٨ — وكنت إذا أدام صاحبي ظلمي أمسكت به ولم أفلته ، حتى لا يتعود ذلك مني ويظن بي الضعف .

٣٩ — وعند ذلك يحاول الإفلات فلا يستطيع ، كما يلتمس الرومي فتح قفل مستغلق ، فلا يزال يدير فيه مفتاحه فيخطىء حد أسنانه ويزل عنها .

٤٠ — ما ظنكم بالليث يحمي عرينه وينفي عنه الأسد مهيباً مرهوباً .

٤١ — يخفي مخالبه إذا مشى ، ويبرزها إذا غضب وثار .

٤٢ — ويُعْجِل خصمه بالوثوب فلا يجد سبيلا للفرار!

٤٣ — لقد تعلمون أني علوتكم قبل أن يعلو رأسي الشيب ، الآن بعد أن أصبحت كهلا مجربا تُهادُونني الشعر ؟

٣٠— سَيَنْبَحُ كَلْبِي جَهْدَهُ مِنْ وَرَائِكُمْ — وَأُغْنِي عِيَالِي عَنْكُمُ أَنْ أُؤَنَّبَا

٣١— وَأَدْفَعُ عَنْ أَعْرَاضِكُمْ وَأُعِيرُكُمْ — لِسَانًا كَمِقْرَاضِ الْخَفَاجِيِّ مِلْحَبَا

٣٢— هُنَالِكَ لَا تَجْزُونَنِي عِنْدَ ذَاكُمُ — وَلَكِنْ سَيَجْزِينِي الْإِلَٰهُ فَيُعْقِبَا

٣٣— ثَنَائِي عَلَيْكُمْ بِالْمَغِيبِ وَإِنَّنِي — أَرَانِي إِذَا صَارَ الْوَلَاءُ تَحَزُّبَا

٣٤— أَكُونُ امْرَءًا مِنْكُمْ عَلَى مَا يَنُوبُكُمْ — وَلَنْ يَرَنِي أَعْدَاؤُكُمْ قَرْنَ أَعْضَبَا

٣٥— أَرَانِي وَعَمْرًا بَيْنَنَا دَقُّ مَنْشِمٍ — فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ أُجَنَّ وَيَكْلَبَا

٣٦— كِلَانَا يُرَى أَنَّهُ غَيْرُ ظَالِمٍ — فَأَعْزَبْتُ حِلْمِي أَوْ هُوَ الْيَوْمَ أَعْزَبَا

٣٧— وَمَنْ يُطِعِ الْوَاشِينَ لَا يَتْرُكُوا لَهُ — صَدِيقًا وَإِنْ كَانَ الْحَبِيبَ الْمُقَرَّبَا

٣٨— وَكُنْتُ إِذَا مَا الْقِرْنُ دَامَ ظُلَامَتِي — غَلِقْتُ فَلَمْ أَغْفِرْ لِخَصْمِي فَيَدْرَبَا

٣٩— كَمَا التُّمِسَ الرُّومِيُّ مِنْشَبَ قُفْلِهِ — إِذَا اجْتَسَّهُ مِفْتَاحُهُ أَخْطَأَ الشَّبَا

٤٠— فَمَا ظَنُّكُمْ بِاللَّيْثِ يَحْمِي عَرِينَهُ — نَفَى الْأُسْدَ عَنْ أَوْطَانِهِ فَتَهَيَّبَا

٤١— يَكُنْ حِدَادًا مُوجَدَاتٍ إِذَا مَشَى — وَيُخْرِجُهَا يَوْمًا إِذَا مَا تَحَرَّبَا

٤٢— لَهُ السَّوْرَةُ الْأُولَى عَلَى الْقِرْنِ إِذْ غَدَا — وَلَا يَسْتَطِيعُ الْقِرْنُ مِنْهُ تَغَيُّبَا

٤٣— عَلَوْتُكُمُ وَالشَّيْبُ لَمْ يَعْلُ مَفْرِقِي — وَهَادَيْتُمُونِي الشِّعْرَ كَهْلًا مُجَرَّبَا

(٣٠ — ٣٠) أن أؤنبا أي حق لا أؤنب وأعنف باللوم . ملحب قاطع . خفاجة حي من بني عامر والخفاجي نسبة له . أعقبه جازاه بخير . الولاء المحبة والنصرة والقرابة . الأعضب المكسور القرن . منشم عطرشاق الدق ، وقالوا هو قرون السنبل ، سم قاتل لساعته . وقالوا إنه إسم امرأة عطارة من همدان ، كانوا إذا تطيبوا من عطرها نشب بينهم القتال ، فتشاءموا بها . الكلب داء يصيبه الجنون يأخذ الكلاب فتعض الناس ، ويصاب من تعضه بمثل ذلك الداء .

(٤٦ — ٣٨) أعزب حلمه غيبه وطرحه بعيداً بعد أن نفد صبره . القرن والقرين الصاحب والملازم . غلق الرهن (كطرب) استحقه المرتهن ، وذلك إذا لم يفكه الراهن في الوقت المشروط . ومنها غلق الرجل في حدته إذا لازمته الحدة واشتدت به الم يهدأ . فيدرب أي يتعود من ذلك وأصبح هينا عنده ، لأنه قد تعود من الصبر على الأذى دائما .

(٣٩ — ٤٠) منشب القفل غير موجود في المعاجم ولكن الظاهر أن المقصود به أسنان القفل ، لأنها تنشب أي تعلق ، والفعل نشب (كفرح) . اجتسه جسه ولمسه . الشباة جمع شباة ، وشباة كل شيء حده ، أي أنه يكون كهذا القفل المغلق الذي لا يدري صاحبه كيف يفتحه ، كلما أدار فيه المفتاح زلق عن الأسنان ولم يصبها ، وجعله روميا لأن العرب لا تستعمل الأقفال .

(٤١ — ٤٣) يكن يخفي . حدادا عقابا حادة . موجدات أصلها مؤجدات من أجده أي قواه ، وناقة أجد (بضمتين) قوية وثيقة . تحرب غضب . المفرق وسط الرأس .

موضوع هذه القصيدة متصل بموضوع القصيدة السابقة ، فهو يوجهها لأبناء عمومته سعد بن قيس ، ويخص منهم بالهجاء عمير بن عبد الله بن المنذر بن عبدان ، وهو ابن أخي عمرو بن المنذر بن عبدان الذى قيلت فيه القصيدة السابقة . ويبدو أن الهجاء قد لج بين الشاعر وبين بنى عبدان، بعينهم على ذلك رهطهم من بنى سعد بن قيس ، حتى أغرى عمير بن عبد الله شاعرا اسمه جهنام بالأعشى يهاجيه ويجيبه على شعره .

وللأعشى فى جهنام قصيدة أخرى هى القصيدة (٧٣) . والظاهر أن جهنام هذا ابن أمة من إماء بنى عبدان ، فالأعشى يصفه فى البيت (٤٣) من هذه القصيدة بأنه هجين ، والهجين هو الذى ولد من أمة . ونجد إشارة أصرح إلى ذلك فى القصيدة (٣٨) فى البيت (٥) منها حيث يصفه بأنه عبد . وتبدو تلك الحقيقة بشكل واضح فى القصيدة (٧٣) فى البيتين (٢) ، (٨) حيث يصفه بأنه ابن عاهرة وبأنه مختلط النسب ، ويقول إن أمه أحق بهجائه ، لما جنت عليه من الفضيحة .

يقول الأعشى :

١ — أقرِ (تيا) منى السلام ، وأبلغها تحية مشتاق ، قبل أن تُـبْرِم ما عزمت عليه من قطيعتى .

٢ — أقرِها السلام على قولها يوم التقينا ـ ومن يطع الوشاة يقطع أصدقائه ويقطعوه ـ :

٣ — أحقٌّ ما تزعم من أن عاما كاملا كنا نلتقى خلال لياليه لم يكفك ولم يشف نفسك ؟

٤ — لقد كنت أجيبكَ إلى كل ما تطلب منى، ولـكنك أكثرتَ وأثقلت، وليس وراء الإلحاح إلا الرد والحرمان.

٥ — لن تنال منى غير الذى نلت، فبحسبك ذلك، وسواء عندى رضيت بذلك فصبرت، أم ضقت به فثرت وتذمرت.

ويجيب الأعشى على ذلك ، فى هدوء الجلد الذى لا تذهب نفسه وراء غاية ، مهما يبلغ حبه لها :

٦ — لك ما تشائين ، فإنى قادر على أن أجد الطريق إلى حاجتى بما بقى لى من الرأى المجتمع والعزم القوى.

٧ — وبِرَحْلٍ (عِلاَفِىٍّ) ، فوقه بساط ووسادة ، وتحته ناقة ضخمة تُرْقِلُ وقت الهاجرة واحتدام الحر مسرعة .

٨ — كأن ذَنَبها وقد حفه الشعر الطويل من ناحيتيه طلع الكافور تدلى من وعائه غير مُكَمَّم .

٩ — شديدة لا يضنيها السير فيضمر بطنها ويسترخى حزامه ، كأنها فى نشاطها حمار وحش فى أرض مخصبة كساها النبات ، فهو غليظ ضخم ، لا يزال طريدة الصياد .

ويمضى الشاعر ـ على عادة الجاهليين ـ فى وصف الحمار ، يتبعه إلى قلب الصحراء ، ناسياً ناقته ، ويجول معه متنقلا ، حتى يرضى حاجته من الوصف ، ويتم سياحته الطويلة مع هذا الحمار فى الصحراء ، فإذا فعل ذلك عاد إلى ناقته بعد أربعة عشر بيتاً ليقول إنها تشبه هذا الحمار فى نشاطه وفى تخطيه العقبات ، فهى مثله بنت الصحراء .

يقول الأعشى فى وصف هذا الحمار الوحشى :

١٠ — رعى النبات الكثيف حيث يجتمع الماء فى الوديان ، ثم رعى النبات المتخلف عن مطر الربيع ،

وقالَ يهجو عُمَيْرَ بنَ عبدِ اللهِ بنِ المُنْذِرِ بنِ عَبْدانَ حِينَ جَمَعَ بينَهُ وبينَ جَهْنَامٍ لِيُهَاجِيَه :

(طويل)

١ — أَلَا قُلْ لِتَيَّا قَبْلَ مِرَّتِهَا اسْلَمِي ... تَحِيَّةَ مُشْتَاقٍ إِلَيْهَا مُتَيَّمِ

٢ — عَلَى قِيلِهَا يَوْمَ الْتَقَيْنَا وَمَنْ يَكُنْ ... عَلَى مَنْطِقِ الْوَاشِينَ يَصْرِمْ وَيُصْرَمِ

٣ — أَجِدَّكَ لَمْ تَأْخُذْ لَيَالِيَ نَلْتَقِي ... شِفَاءَكَ مِنْ حَوْلٍ جَدِيدٍ مُجَرَّمِ

٤ — تُسَرُّ وَتُعْطَى كُلَّ شَيْءٍ سَأَلْتَهُ ... وَمَنْ يُكْثِرِ التَّسْآلَ لَابُدَّ يُحْرَمِ

٥ — فَمَا لَكَ عِنْدِي نَائِلٌ غَيْرُ مَا مَضَى ... رَضِيتَ بِهِ فَاصْبِرْ لِذَلِكَ أَوْ ذَمِ

٦ — فَلَا بَأْسَ إِنِّي قَدْ أُجَوِّزُ حَاجَتِي ... بِمُسْتَحْصِدٍ بَاقٍ مِنَ الرَّأْيِ مُبْرَمِ

٧ — وَكُورٍ عِلَافِيٍّ وَقِطْعٍ وَنُمْرُقٍ ... وَوَجْنَاءَ مِرْقَالِ الْهَوَاجِرِ عَيْهَمِ

٨ — كَأَنَّ عَلَى أَنْسَائِهَا عِذْقَ خَصْبَةٍ ... تَدَلَّى مِنَ الْكَافُورِ غَيْرَ مُكَمَّمِ

٩ — عَرَنْدَسَةٍ لَا يَنْقُضُ السَّيْرُ غَرْضَهَا ... كَأَحْقَبَ بِالْوَفْرَاءِ جَأْبٍ مُكَدَّمِ

١٠ — رَعَى الرَّوْضَ وَالْوَسْمِيَّ حَتَّى كَأَنَّمَا ... يَرَى بِيَبِيسِ الدَّوِّ إِمْرَارَ عَلْقَمِ

١١ — تَلَاسِقْبَةً قَوْدَاءَ مَشْكُوكَةَ الْقَرَى ... مَتَى مَا تُخَالِفْهُ عَنِ الْقَصْدِ يَعْذِمِ

١٢ — إِذَا مَا دَنَا مِنْهَا الْتَقَتْهُ بِحَافِرٍ ... كَأَنَّ لَهُ فِي الصَّدْرِ تَأْثِيرَ مِحْجَمِ

(١ — ٣) تيا اسم إشارة مثل تلك . المرة طاقة الحبل والقوة والشدة ، أي قبل إحكام أمرها وتوكيده . صرم قطع . أجدك أي أجد منك هذا . تجرم العام تصرم وانقضى ، وحول مجرم أي كامل تام .

(٤ — ٦) النائل ما نلت من معروف إنسان . ذم تخفيف اذأم ، وهو الأمر من ذأمه (كمنعه) أي حقره وطرده وأخزاه ، والاذآم الرعب ، وما صمت له ذأمة أي كلة . جوز الأمر أمضاه ونفذه . مستحصد ومبرم بمعنى واحد أي مفتول فتلا قوياً محكماً .

٧ — الكور الرحل الذى يوضع فوق الناقة . العلاف الرحل العظيم ، منسوب إلى رجل من قضاعة اسمه علاف . القطع بساط يجعله الراكب تحته ويغطى كتفى البعير . النمرقة وسادة صغيرة توضع فوق الرحل . وجناء ناقة غليظة . مرقال مفعال من أرقل ، والارقال ضرب من عدو الابل . الهواجر جمع هاجرة وهى احتدام الحر . عيهم ضخمة سريعة .

٨ — الأنساء جمع نسا (بفتح النون) وهو عرق يجرى من الورك إلى الحافر فى بطن الفخذين . العذق قنو النخلة أى العنقود الذى يحمل البلح . الخصبة النخلة او الطلع . الكافور نبت طيب نوره كنور الأقحوان . الكم وعاء الطلع ، مكمم أى منطى مستور . يشبه ذنب الناقة .

٩ — عرندسة شديدة . الغرض حزام الرحل . لا ينقضه السير ، اى لا يهزلها السير . الأحقب حمار الوحش . جأب غليظ . الوفراء الأرض التى لم ينقص من نبتها شيء . مكدم من كدمه اى عضه ، وكدم الصيد طرده . يشبه ناقته بحمار وحش هذه صفته .

(١٠ — ١٢) الروض جمع روضة وهو المكان المعشب الذى يستنقع فيه الماء . الوسمى أول مطر الخريف . الدو الصحراء . اليبيس العشب اليابس . العلقم الحنظل وهو شديد المرارة . السقبة الجحشة . الأقود الذليل المنقاد والمؤنث منه قوداء . مشكوكة محبة . شك البعير لزق عضده بالجنب . القرى (بفتح القاف) الظهر . عذم عض . المحجم آلة صغيرة مخروطية الشكل توضع على =

حتى اكتنز جسمه وتضخم ، وحتى كأن لنبات الصحراء اليابس فى فمه طعمَ العلقم ، لطول ما ألف هذا العيش الناعم .

١١ — استهوته جحشة وديعة ضامرة قد لصق عضدها بجنبها ، فتبعها ، كلما خالفت عن أمره أهوى عليها عضا .

١٢ — وهى لخوفها منه ، لا يدنو منها إلا اتقته بأرجلها رفساً ، فيترك حافرها فى صدره كدما كأنه أثر محجم .

١٣ — إذا برزت إليه فى الفضاء انبرى لها بعدو سريع متلاحق كأنه إلهاب الحريق المضرم .

١٤ — فأن استرسلا على ضرب جديد من العدو ، ترتفع فيه اليدان معا وتنزلان معاً ، غالها بنشاط مُفْتَنّ فى جريه سريع ، خبير بأساليب العدو وضروبه .

١٥ — ولم يزالا يتباريان ألوانا ويعدوان ضروبا ، حتى ارتفعت الشمس والتهب الحصى ، فتذكر أدنى مورد يستطيع الوارد أن يقصده .

١٦ — ودفعها أمامه إلى عين غزيرة من الماء عند ساحل الوادى ، من حولها أوكار يكمن فيها الصائد ، كأنها نبت النخل الصغير كُمِّمَ بغطاء حتى يقوى ويشتد .

١٧ — بناها صائد من (ذَلان) ، وأعدها لقتل الوحوش ، خبير بصيدها واقتناصها .

١٨ — فلما أتى الحمار عين الماء ونظر ما حولها ، عرف أنه لن يشرب إلا بعد حرمان طويل .

١٩ — وفرح الصياد حين رأى الحمار والجحشة ، وقد كمن فى وكره كأنه الذئب ، فقال : ما أطيب الصيد !

٢٠ — وهيأ سهماً محدداً ، يسوقه وَتَرٌ قوى ، فيمضى مصوِّتاً مترنما .

٢١ — وقذف به فمر تحت صدر الحمار ، فانثنى على جنبه ، ومضى فى غير إبطاء .

٢٢ — وظل يجرى والجحشة تجرى معه ، يثور من تحتهما التراب فيحتويهما ، وقد انتشر فى الفضاء أغبر قاتما .

٢٣ — وحمى جوفه من شدة عدوه جرياً بعد جرى ، فكأنه قُمْقُمٌ يغلى .

ويترك الشاعر الحمار ليتابع نشاطه فى الصحراء ، ويعود إلى ناقته قائلا :

١٣— إِذَا جَاهَرَتْهُ بِالفَضَاءِ انْبَرَى لَهَا ... بِشَدٍّ كَأَلْهَابِ الحَرِيقِ المُضَرَّمِ

١٤— وَإِنْ كَانَ تَقْرِيبٌ مِنَ الشَّدِّ غَالَهَا ... بِمَيْعَةِ فَتَّانِ الأَجَارِيِّ مُجْذِمِ

١٥— فَلَمَّا عَلَتْهُ الشَّمْسُ وَاسْتَوْقَدَ الحَصَى ... تَذَكَّرَ أَدْنَى الشِّرْبِ لِلْمُتَيَمِّمِ

١٦— فَأَوْرَدَهَا عَيْنًا مِنَ السِّيفِ رَيَّةً ... بِهَا بُرَءٌ مِثْلُ الفَسِيلِ المُكَمَّمِ

١٧— بِنَاهِضٍ مِنْ ذَلَّانَ رَامٍ أَعَدَّهَا ... لِقَتْلِ الهَوَادِي دَاجِنٍ بِالتَّوَقُّمِ

١٨— فَلَمَّا عَفَاهَا ظَنَّ أَنْ لَيْسَ شَارِبًا ... مِنَ المَاءِ إِلَّا بَعْدَ طُولِ تَحَرُّمِ

١٩— وَصَادَفَ مِثْلَ الذِّئْبِ فِي جَوْفِ قُتْرَةٍ ... فَلَمَّا رَآهَا قَالَ يَا خَيْرَ مَطْعَمِ

٢٠— وَيَسَّرَ سَهْمًا ذَا غِرَارٍ يَسُوقُهُ ... أَمِينُ القُوَى فِي صُلْبَةِ المُتَرَنِّمِ

٢١— فَمَرَّ نَضِيُّ السَّهْمِ تَحْتَ لَبَانِهِ ... وَجَالَ عَلَى وَحْشِيِّهِ لَمْ يُتَمْتِمِ

٢٢— وَجَالَ وَجَالَتْ يَنْجَلِي التُّرْبُ عَنْهُمَا ... لَهُ رَهَجٌ فِي سَاطِعِ اللَّوْنِ أَقْتَمِ

٢٣— كَأَنَّ احْتِدَامَ الجَوْفِ فِي حَمْيِ شَدِّهِ ... وَمَا بَعْدَهُ مِنْ شَدِّهِ غَلْيُ قُمْقُمِ

٢٤— فَذَلِكَ بَعْدَ الجَهْدِ شَبَّهْتُ نَاقَتِي ... إِذَا مَا وَنَى حَدُّ المَطِيِّ المُخَزَّمِ

= الجلد بعد أن يشرط بموسى ويجذب النفس من طرفها الآخر الدقيق فيخرج الدم الفاسد أو المطلوب استخراجه لتخلف من الضغط . وهى تترك على الجلد أثرا مستديرا ، يشبه به الشاعر أثر الحافر فى صدر الحمار حين ترفسه الأتان .

(١٣ — ١٥) جاهرته برزت له . الشد العدو . التقريب ضرب من العدو ، وهو أن يرفع يديه معا ويضعهما معا . الميعة الدفعة من كل شىء وميعة الشباب والنهار أوله وأنشطه . فتان له فنون فى العدو . الأجارى جمع إجريا (بكسر الهمزة وتشديد الياء) وهو الوجه الذى تأخذ فيه وتجرى عليه . مجذم سريع ، أجذم السير أسرع فيه . الشرب (بكسر الشين) الماء والمورد ووقت الشرب . تيمم الشىء قصد إليه .

(١٥ — ١٨) السيف ساحل البحر وساحل الوادى . رية غزيرة . برء جمع برءة (بضم فسكون) وهى بيت الصائد . الفسيل جمع فسيلة وهى النخلة الصغيرة . المكمم الذى غطى حتى يشتد . رام صائد يرمى بالنبل . الهوادى جمع هادى وهو المتقدم ، وهو من الابل أول وهيل يطلع منها . داجن متعود ، دجن بالصيد تعوده وخبره . التوقم التهدد والتعمد وتتبع الصيد . عفاها أتاها ، يقصد عين الماء .

(١٩ — ٢١) مثل الذئب ذلك هو الصياد . القترة ناموس الصائد ، وقد أقتر فيها أى دخل واختبأ . يسر سهما هيأه لها . ذا غرار أى حد . أمين القوى ذلك هو الوتر . المترنم لأن له صوتا ورنينا . نضى فيل من نضى أى خلع ونزع . لبانه صدره . الوحشى الجانب الأيمن ، وقيل الأيسر . لم يتمتم ، التمتمة الاحتباس .

(٢٢ — ٢٤) الرهج الغبار . سطع علا وانتشر فهو ساطع . أقتم مظلم لكثافته . احتدام النهار والحر اشتداده . الجوف البطن . شده عدوه . الحمى مصدر حمى ، وحميت الشمس والنهار اشتد حرها . القمقم آنية من نحاس يسخن فيها الماء . ونى فتر ، حدها نشاطها . المطى جمع مطية . المخزم الذى وضعت فى أنفه الخزامة (بكسر الخاء) وهى برة توضع فى أنف البعير ويعلق بها الزمام . لتؤلمه إذا جذب منها فينقاد ولا يستعصى على راكبه

٢٤ـــ إن ناقتي لا يذهب بنشاطها السير ، ولا يفني عزمها الجهد ، فهي تشبه هذا الحمار ، بعد أن تتكلف ما تتكلف من الأسفار، حين يَفْتُرُ نشاط المطى التي خُرِمَتْ أنوفها وشُدَّ إليها الزمام.

وينصرف الشاعر عن كل ذلك إلى خصمه ، فيقول مخاطباً نفسه :

٢٥ ـــ دع عنك كل ذلك . ولكن ماذا ترى في هذا العدو الحقود ، الذي يرى من جهله أن بيني وبينه حسابا شاقا عسيراً ، مشقة دق عطر (المَنْشِم) .

٢٦ـــ أراني بريئاً من (عمير) ورهطه . ثم يقول موجهاً خطابه إليه : إن الحقد لن ينال من أحد كما ينال منك . فإذا لم تبرأ نفسك من الشر فلتمت غماً وكمداً .

٢٧ـــ إذا ما رآني (عمير) مقبلا أخفى سهامه ، فإذا أدبرت رماني من وراء ظهري .

٢٨ـــ ولا ذنب لي في ذلك إلا أن عداوة قد ثارت في نفسك واستخفتك . فافعل ما بدالك ، واجهد جهدك .

٢٩ـــ فإني أعرف كيف أداوي كل غَوِيّ إذا حدثته نفسه بي ، إني أضرب فوق أنفه بمكواة لا يزول أثرها.

٣٠ـــ وإني أقسم برب الإبل تهوي إلى نجد تجتاز جبالا من بعد جبال .

٣١ـــ ضامرة غائرة الأعين ، قد أضَرَّبها السفر ونال منها الكلال ، حتى إن خفَّ رجلها ليقع مكان خف يدها وقد شُدَّت أرساغها بالسيور والنعال .

٣٢ـــلئن خرقت الأرض فكنت في جُبِّ ثمانين قامة ، أو طرت في الفضاء فرقيت أسباب السماء .

٣٣ـــ ليبلغنك قولي وليتركنك تدرج على الأرض حتى تكره الكلام ، وتعلم أني غير عاجز عن الانتقام.

٣٤ـــ وحتى تشرق بما أذعت من قول ، كما يشرق مقدم الرمح بالدم .

٣٥ـــ فما أنت بشيء حتى تتيه على فخراً ، لست من قريش أصحاب « الحُجُون » و « الصفا » و « زمزم » .

٣٦ـــ وما جعل الرحمن بيتك عالياً هناك ، في « أجياد » غربي « الصفا » و « المحَرَّم » .

٣٧ـــ فقيم إذن تتهددني مفاخراً ، وقد جعل الله بيتي في الرهط الكثير العرمرم ؟

ويتحدث الشاعر عن آل الحُرْقَتَيْن (وهما سعد وتيم ابنا قيس بن ثعلبة ، وكانا حليفين) قائلا :

٣٨ـــ إني لأعجب لأمرهم ، فهم يفاخرونني كأنني لست واحداً منهم ، وكأني غريب من « إياد » أو « جُرْهُمُ » .

٢٥— فدع ذا ولكن ما ترى رأى كاشح ... يرى بيننا من جهله دق منشم

٢٦— أرانى بريئاً من عمير ورهطه ... إذا أنت لم تبرأ من الشر فاسقم

٢٧— إذا ما رآنى مقبلاً شام نبله ... ويرمى إذا أدبرت ظهرى بأسهم

٢٨— على غير ذنب غير أن عداوة ... طمت بك فاستأخر لها أو تقدم

٢٩— وكنت إذا نفس الغوى نزت به ... صقعت على العرنين منه بميسم

٣٠— حلفت برب الراقصات إلى منى ... إذا مخرم جاوزته بعد مخرم

٣١— ضوامر خوصاً قد أضر بها السرى ... وطابقن مشياً فى السريح المخدم

٣٢— لئن كنت فى جب ثمانين قامة ... ورقيت أسباب السماء بسلم

٣٣— ليستدرجنك القول حتى تهره ... وتعلم أنى عنك لست بملجم

٣٤— وتشرق بالقول الذى قد أذعته ... كما شرقت صدر القناة من الدم

٣٥— فما أنت من أهل الحجون ولا الصفا ... ولا لك حق الشرب من ماء زمزم

٣٦— وما جعل الرحمن بيتك فى العلى ... بأجياد غربى الصفا والمحرم

٣٧— فلا توعدنى بالفخار فإننى ... بنى الله بيتى فى الدخيس العرمرم

٣٨— عجبت لآل الحرقتين كأنما ... رأونى نفياً من إياد وترخم

(٢٥ — ٢٨) كاشح مبغض ، والكشح الجنب وهو مكاشح لأنه معرض لا يقبل بوجهه ولكنه يشيح بجنبه . دق منشم شرحت فى القصيدة السابقة (١٠) فى البيت (٣٥) . شام نبله أى أغمدها ، وهو من الأضداد تقول شام سيفه يشيمه استله أو أغمده . طما ارتفع ، وطمت به العداوة استخفته وأثارته .

(٢٩ — ٣١) صقعه (مثل منعه) ضربه على رأسه . العرنين قصبة الأنف . الميسم المكواة . الراقصات الإبل . المخرم منقطع أنف الجبل . خوص جمع أخوص أى غائرات الأعين . المطابقة أن تقع خف الرجل مكان خف اليد وذلك من الحفا والكلال . السريح السيور التى يخاط بها النعل إلى الخف ، والمخدمة (بثلاث فتحات) سير يربط حول الرسغ ويشد النعل إليه بالسيور ليق خف الناقة .

(٣٢ — ٣٤) الجب البئر . السبب الحبل ، وأسباب السماء مراقيها وقيل طرقها ونواحيها . استدرجه خدعه وأدناه ، أو أثقله حتى تركه يدرج على الأرض . تهره تكرهه . تشرق تغص . صدر القناة أعلاها .

(٣٥ — ٣٨) الحجون جبل بمعلاة مكة على فرسخ وثلث منها وفيه مقابرهم . الصفا جبل بمكة من مشاعرها . المحرم حرم مكة . أجياد أرض بمكة أو جبل . الدخيس الأصل . العرمرم العدد الكثير . الحرقتان سعد وتيم ابنا ضبيعة ، وهم أبناءهم قبيلته . نفى فعيل من نفاه ينفيه أى نحاه ودفعه وأزاله . إياد وترخم قبائل يمنية .

٣٩ ـ ينفوننى عن المجد والحسب يوم يتفاخرون بالكرم ، ويتمدحون بعظائم الأمور .

٤١ ـ أقبل الناس للشر هائجين ، وتجمعوا أخلاطاً بين فصيح وأعجم ثائرين .

٤٢ ـ وتجاوب صياحهم وهتافهم ، تضطرب فى أيديهم السياط والرماح ، يشيرون إلى راية قد نصبت عند محفل كبير .

٤٣ ـ فاستعنت بشيطانى « مِسْحَل » ، واستعانوا بشاعرهم « جَهَنَّام » . ألا تبًّا لابن الأمة الذميم !

٤٠ ـ وقام ابن الأمة ساعة يحمل اللواء . وما ظنك بهجين لئيم ، ضاع نسبه بين « سِلهِم » و « حام » ؟

٤٤ ـ إنى أقسم براهب « الأبج » وبعمله الصالح ، وأقسم بالكعبة التى بناها قصى وابن جرهم .

٤٥ ـ لئن جد بيننا الجد واستحكم العداء ، لترحلن هاربا على ظهر القنفد الشائك .

٤٦ ـ ولئن تمَرَّسْتَ بى وبلوت مبلغ جهدى ، لتركبن بى مركباً صعبا ، فوق جمل عجوز أعجف ، ليس كمثله شىء

٤٧ ـ ومالى أن لا أغلبك وأذيقك الهوان ، وحسبى عريق ولسانى ماض حديد .

٤٨ ـ لم نزل نتبادل فاحش القول وقارصه ، ولم يزل أقوام يفسدون بيننا ، يسعون للهلاك والإثم .

٤٩ ـ ولم يزل أمرنا يمضى على هذا النحو من التهور والسفه ، حتى التقينا غداة يوم ، يحامى كل منا عن قومه ويحتمى بهم .

٥٠ ـ ويئس العقلاء الذين يرجون الإصلاح فخلوا بيننا ، نتقاذف أشد نيران العداوة التهابا .

٥١ ـ وعند ذاك أمدنى أخى من الجن ـ نفسى فداؤه ـ ببحر فياض ، يجيش سيله متدفقا بالعشيات .

٣٩— وَغَرَّ بَنِى سَعْدُ بنُ قَيْسٍ عَنِ العُلَى | وَأَحْسَابِهِمْ يَوْمَ النَّدَى وَالتَّكَرُّمِ

٤٠— مَقَامَ هَجِـــينٍ سَاعَةً بِلِوَائِهِ | فَقُلْ فِى هَجِينٍ بَيْنَ حَامٍ وَسِلْهِمِ

٤١— فَلَمَّا رَأَيْتُ النَّـاسَ لِلشَّرِّ أَقْبَلُوا | وَثَابُوا إِلَيْنَا مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ

٤٢— وَصِيحَ عَلَيْنَا بِالسِّبَاطِ وَبِالقَنَا | إِلَى غَايَةٍ مَرْفُوعَةٍ عِنْدَ مَوْسِمِ

٤٣— دَعَوْتُ خَلِيلِى مِسْحَلاً وَدَعَوْا لَهُ | جِهِنَّامَ جَدْعًا لِلْهَجِينِ الْمُذَمَّمِ

٤٤— فَأَنِّى وَثَوْبَى رَاهِبِ اللُّجِّ وَالَّتِى | بَنَاهَا قُصَىٌّ وَالْمُضَاضُ بْنُ جُرْهُمِ

٤٥— لَئِنْ جَدَّ أَسْبَابُ الْعَدَاوَةِ بَيْنَنَا | لَتَرْتَحِلَنْ مِنِّى عَلَى ظَهْرِ شَيْهَمِ

٤٦— وَتَرْكَبُ مِنِّى إِنْ بَلَوْتَ نَكِيثَتِى | عَلَى نَشَزٍ قَدْ شَابَ لَيْسَ بِتَوْءَمِ

٤٧— فَمَا حَسَبِى إِنْ قِسْتَهُ بِمُقَصِّرٍ | وَلَا أَنَا إِنْ جَدَّ الهِجَاءُ بِمُفْحَمِ

٤٨— وَمَا زَالَ إِهْدَاءُ الهَوَاجِرِ بَيْنَنَا | وَتَرْقِيشُ أَقْوَامٍ لِحَيْــنٍ وَمَأْثَمِ

٤٩— وَأَمْرُ السَّفَى حَتَّى الْتَقَيْنَا غُدَيَّةً | كِلَانَا يُحَامِى عَنْ ذِمَارٍ وَيَحْتَمِى

٥٠— تَرَكْنَا وَخَلَّى ذُو الْمَوَادَّةِ بَيْنَنَا | بِأَثْقَبِ نِيرَانِ الْعَدَاوَةِ تَرْتَمِى

٥١— حَبَانِى أَخِى الجِنِّىُّ نَفْسِى فِدَاؤُهُ | بِأَفْيَحَ جَيَّاشِ الْعَشِيَّاتِ خِضْرِمِ

(٣٩ — ٤١) الندى من ندا القوم ينعون أى اجتمعوا . الهجين ابن الأمة ، ومن أبوه أشرف من أمه . يعرض بجهنام . بين حام وسلهم ، ينفيه من العرب لأن العرب أولاد سام ، لأن أمه حامية من الزنوج . وسلهم لم أعثر له على معنى ، ولكن السلهم (كجعفر) هو الضامر والناقة من المرض . وهم كذلك من يمق من مذحج . ثابوا رجعوا واجتمعوا .

(٤٢ — ٤٤) الغاية الراية والمدى . الموسم المجتمع . المسحل الحار ، وهو اسم شيطان الأعشى ، وكانت العرب تزعم أن لكل شاعر شيطانا له اسم معين ، ولهم فى ذلك أقاصيص كثيرة . جدعاً أى جدعه الله والجدع القطع . الثياب يكنى بها عن العمل ومن الشخص نفسه مثل قوله تعالى (وثيابك فطهر) ، وهو المقصود بقوله وثوبى راهب اللج . واللج غدير عند دير عند ابنة النعمان ، وكانت ترهبت فيه حين غضب كسرى على أبيها النعمان . وقيل بعد قتل أبيها لزوجها فى قصة طويلة ستأتى . يقسم براهب هذا الدير وبالكعبة التى بناها قصى وجرهم . وكان أمر الكعبة إلى جرهم ثم صار إلى قصى .

(٤٥ — ٤٧) الشيهم القنفذ وجلده مكسو بالشوك ، ولذلك يصعب القبض عليه ، هذا فضلا عن ركوبه . نكيثتى جهدى وأقصى ما عندى . النشز اللسن القوى ، والنشيزة الدابة التى لا يكاد يستقر السرج والراكب على ظهرها . التوءم المولود مع غيره فى بطن . ليس بتوءم أى لا نظير له فى صعوبة مركبه . أفحمه غلبه وأسكته .

(٤٨ — ٥١) الهواجر جمع هجر (بضم فسكون) وهو الكلام القبيح . رقش ما بين القوم أفسده . الحين الهلاك والمحنة . المأثم الإثم السفى السفه ، الذمار العرض والعرض . الموادة الحب . تثقب النار اتقدت . بحر أفيح واسع . الخضرم الكثير الماء والجواد المعطاء .

٥٢— يقول : انزل على المجد ، فقد كتب لك الفوز ، قُلِّدْتَ الخير إذ سبقت ، فأنعم بك شاعراً .

٥٣— وولى « عمير » على عقبيه وقد أظلم وجهه . فكأنما صبغ بالزعفران ، أو غُشّي قطعا من الليل .

ويختم الشاعر قصيدته بتسعة أبيات يفتخر فيها بقومه ، معدداً فضلهم على بنى سعد بن قيس . وهو هنا أشبه بالمؤرخ الذى يجمع الوثائق والمستندات ليؤيد وجهة نظره ، فهو أقرب إلى سرد الوقائع منه إلى التحليق وراء الخيال . يقول :

٥٤— فى يوم « قُطَيْمة » منعنا بنى شيبان غداة « العين » من ماء « مَحْلَمْ » .

٥٥— وواجهناهم بالطعن حتى تولوا هاربين يهزون صدور رماحهم .

٥٦— وفى أيام « حَجْر » غلبناكم بتحريق نخيلكم .

٥٧— فكأنه على أعقاب الحريق نساء قائمات فى مأتم قد لبسن الحداد .

٥٨— ونحن الذين فككنا سيديكم ، فأطلقناهما بعد أن أسلمتموهما للعدو .

٥٩— أنقذهما « بِشْر » من الموت ، بعد ما أصابهما النحس وأدركهما الشؤم .

٦٠— ذلك بعض أيامنا وبلائنا ، وأمثلة من نعمنا عليكم لو أنكم تشكرون .

٦١— فإن كنتم لا تعلمون فاسألوا « أبا مالك » ، أو « رهط أشيم » ، فعندهم الخبر اليقين .

٦٢— وكم لنا عليكم من فضل ، وكم لنا فى رقابكم من نعم ، ولكنكم لا تشكرون نعمة المنعمين .

٥٢— فقالَ ألا فانْزِلْ على المجدِ سابقًا   لكَ الخيرُ قُلِّدْ إذ سبقتَ وأنعِمِ
٥٣— وولَّى عُميرٌ وهو كابٍ كأنّما   يُطلَى بحُصٍّ أو يُغشّى بعِظلِمِ
٥٤— ونحنُ غداةَ العينِ يومَ فُطيمةٍ   منعنا بني شيبانَ شُربَ محلِّمِ
٥٥— جبهْناهمُ بالطعنِ حتى توجّهوا   وهزّوا صدورَ السمهريِّ المقوَّمِ
٥٦— وأيامَ حجرٍ إذ يُحرَّقُ نخلُهُ   ثأرناكمُ يومًا بتحريقِ أرقمِ
٥٧— كأنَّ نخيلَ الشطِّ غِبَّ حريقهِ   مآتمُ سودٌ سلَّبتْ عندَ مأتمِ
٥٨— ونحنُ فككنا سيّدَيْكمْ فأرسلا   من الموتِ لمّا أُسلِما شرَّ مُسلَمِ
٥٩— تلافاهما بشرٌ من الموتِ بعدَ ما   جرتْ لهما طيرُ النحوسِ بأشأمِ
٦٠— فذلكَ من أيامِنا وبلائنا   ونُعمى عليكم إنْ شكرتُم لأنعُمِ
٦١— فإنْ أنتمُ لم تعرفوا ذاكَ فاسألوا   أبا مالكٍ أو سائلوا رهطَ أشيمِ
٦٢— وكانَ لنا فضلًا عليكمْ ومنّةً   قديمًا فما تدرونَ ما منُّ مُنعِمِ

(٥٢ — ٥٤) قلد (على البناء المجهول) أمر من الفعل المبني للمجهول وهو غريب لم أره ، ولكنه مثبت بهذه الصورة في كل نسخ الديوان. كاب متغير اللون . الحص الورس أو الزعفران . العظلم الليل المظلم ، وهو كذلك شجر يصبغ به الشيب . يوم العين مضى في القصيدة (٦) في البيت (٦٥)

(٥٥ — ٥٧) جبهه رده أو صك جبهته . السمهري الرمح الصلب منسوب إلى سمهر زوج ردينة اللذين كانا يثقفان الرماح ، أو إلى قرية في الحبشة . ثأرناكم طلبنا كم وتركنا فيكم الثأر . أرقم لعله موضع كثير النخيل ، كما يبدو من البيت التالي . الشط شاطىء النهر والبحر وهو كذلك قرية باليمامة ولعله هو المقصود هنا . المآتم جمع مأتم وهو جماعة النساء في الحزن . سلبت المرأة على زوجها لبست السواد .

(٥٨ — ٦٢) أسلما أسلمهما قومهما وتخلوا عنهما . تلافاهما تداركهما . أشأم من الشؤم . البلاء الاختبار يكون بالخير والشر . ومنه أبلى في الحرب بلاء حسنا أي أظهر بأسه حتى اختبره الناس . المن الانعام والافضال

١ ــ ياجبير ! هل لمن وقع فى أسركم من فاد يفتديه ، أم هل لمن عزم الرحيل من زاد يستعين به على السفر الطويل ؟

٢ ــ أم هل لجاركم من مواس يكفكف عبرته ، وقد فاضت بها عيناه حتى بلت حمائل السيف ؟

٣ ــ رأيتها فى ضحى يوم من الأيام ، فأحببتها من نظرة واحدة ، ومَنْ حان حَيْنُه هداه القدر إلى مصرعه .

٤ ــ رأيتها وهى تتنقل بين مقدَّم الخباء وبين الفُرُش المنضدة الوثيرة فى داخله .

٥ ــ تجلو أسنانها بريشتَى حمام ، فتبدو ناصعة كأنها البَرَد ، يسطع بياضها بين لثاتها المشربة بالسواد .

٦ ــ عذبة الريق حين تسألها اختلاس القبلة أو الخلوة ، فكأنما شربت آخر الليل ،

٧ ــ خمراً صهباء صافية ، إذا صبت بعد تقطيرها كسرت حدتها بماء السماء .

٨ ــ ....

٩ ــ ياجبير ! إن كنت لا تروين غلة عاشق مفتون بحبك ظامىء لوصلك .

١٠ــ فانهى خيالك أن يزور ، فانه يتتبعنى حيثما كنت ، ويؤرقنى كلما وضعت رأسى إلى الوساد .

١١ــ تمسى فتغلق بابها من دوننا ، فيَصِرُّ صرير البكرة حين تدور فوقها الحبال .

١٢ــ تجدد لها وصلا فتجددى وصلك قطيعة ، وكذلك هى ، تعرض عن وصل الزائر المتودد .

١٣ــ ذلك دأب النساء . فأن شاء صاحبهن أن يفسد ودهن ، فينقلب عداء بعد وداد ، فليكثر من التودد إليهن والتردد عليهن .

وقال يفتخر :

(كامل)

١ — أَجُبَيْرُ هَلْ لِأَسِيرِكُمْ مِنْ فَادِي ... أَمْ هَلْ لِطَالِبِ شِقَّةٍ مِنْ زَادِ

٢ — أَمْ هَلْ تُنَهْنِهُ عَبْرَةٌ عَنْ جَارِكُمْ ... جَادَ الشُّؤُونُ بِهَا تَبُلُّ نِجَادِي

٣ — مِنْ نَظْرَةٍ نَظَرَتْ ضُحًى فَرَأَيْتُهَا ... وَلِمَنْ يَحِينُ عَلَى الْمَنِيَّةِ هَادِي

٤ — بَيْنَ الرِّوَاقِ وَجَانِبٍ مِنْ سِتْرِهَا ... مِنْهَا وَبَيْنَ أَرَائِكَ الْأَنْضَادِ

٥ — تَجْلُو بِقَادِمَتَيْ حَمَامَةِ أَيْكَةٍ ... بَرَدًا أُسِفَّ لِثَاتُهُ بِسَوَادِ

٦ — عَزْبَاءَ إِذْ سُئِلَ الْخِلَاسَ كَأَنَّمَا ... شَرِبَتْ عَلَيْهِ بَعْدَ كُلِّ رُقَادِ

٧ — صَهْبَاءَ صَافِيَةً إِذَا مَا اسْتُودِفَتْ ... شُجَّتْ غَوَارِبُهَا بِمَاءِ غَوَادِي

٨ — .... عرق فصاد

٩ — إِنْ كُنْتِ لَا تَشْفِينَ غُلَّةَ عَاشِقٍ ... صَبٍّ بِحُبِّكِ يَا جُبَيْرَةُ صَادِي

١٠ — فَانْهَيْ خَيَالَكِ أَنْ يَزُورَ فَإِنَّهُ ... فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ يَعُودُ وِسَادِي

١١ — تُمْسِي فَيَصْرِفُ بَابُهَا مِنْ دُونِنَا ... غَلَقًا صَرِيفَ مَحَالَةِ الْأَمْسَادِ

١٢ — أَحْدِثْ لَهَا تُحْدِثْ لِوَصْلِكَ إِنَّهَا ... كُنُدٌ لِوَصْلِ الزَّائِرِ الْمُعْتَادِ

١٣ — وَأَخُو النِّسَاءِ مَتَى يَشَأْ يَصْرِمْنَهُ ... وَيَكُنَّ أَعْدَاءً بُعَيْدَ وِدَادِ

١٤ — وَلَقَدْ أَنَالُ الْوَصْلَ فِي مُتَمَنِّعٍ ... صَعْبٍ بَنَاهُ الْأَوَّلُونَ مَصَادِ

(١ — ٣) الشقة البعد والسفر البعيد . تهنه تكف . الشئون مجاري الدمع إلى العين . نجاد السيف حمائله التي يعلق منها . يحين يهلك .

(٤ — ٦) الرواق مقدم البيت ، أو هو ستر يمد دون السقف . الأريكة سرير متجد مزين في قبة أو بيت . الأنضاد جمع نضد (بفتحتين) وهو ما نضد من المتاع . القادمتان الريشتان الطويلتان في أول الجناح . الأيكة ما التف من الشجر . أسف المسحوق على الشيء ذره عليه كأنه جعله سفوفا له . يصف أسنانها بالبياض ولثاتها بالسواد فذلك أظهر لبياض أسنانها . عزباء غير مناسبة للمعنى هنا والراجح أنها عذباء بالذال . وليس في المعاجم فعلاء من مادة (عذب) ولكن في الأساس نساء عذاب الثنايا ، وفلان مفتون بالأعذبين وهما الخمر والرضاب . الخلاس المخالسة ، والخلسة الفرصة . شربت عليه على ريقها بعد كل رقاد ، أي أن النوم لا يغير من عذوبته وطيب رائحته .

(٧ — ٩) استودفت قطرت ووكفت . شج الخمر صب عليها الماء . غوارب جمع غارب ، وغوارب الماء أعالي موجه ، وغرب كل شيء حده وحدته . غوادي جمع غادية وهي السحابة . الغلة حرارة الظمأ . صاد عطشان .

(١٠ — ١٢) المنزل والمنزلة مكان الإقامة . الصريف صوت الباب والأسنان والبكرة حين تدور . المحالة البكرة . الأمساد الحبال ، جمع مسد (بفتحتين) ، يشبه صوت الباب حين تغلقه من خلفها في المساء بصوت الحبال حين تدور حول البكرة على البئر .

(١٣ — ١٤) صرم الحبل قطعه . يصرمنه يقطعن وده . متمنع حصين منيع . المصاد المعقل والحصن .

١٥ــ أى سفه يدفعك إلى تذكر ودها وأنت مقيم ههنا فى «صوءة الأثماد»

١٦ــ وفى «شبَاك باعجة» و«جنبى جاثر»، على حين أنها نازحة بعيدة فى «ديار إياد»!

١٤ــ إن أكن قد حُرِمتها، فلقد أنال الوصل فى المعقل الصعب المنيع القديم البناء.

١٧ــ يذود عنه حراس شداد قد وقفوا على رأسه بالقسى والسهام.

١٨ــ ويرفرف فوق شرفاته العالية الحمام.

١٩ــ ولقد أُرَجِّل شعرى بالعشىّ مبادراً إلى الشراب، أسبق إليه خيل الطالبين من الشاربين.

٢٠ــ وإلى الغوانى البيض العوانس، قد طالت عزوبتهن فيما هن فيه من نعمة بين العبيد وقطعان الإبل.

٢١ــ ولقد أختلس منهن ما أشاء فيما مضى من عصر الشباب، فيملن على بأجيادهن مستسلمات.

٢٢ــ ولقد أغدو للمرعى البعيد قد استحلس نباته وتراكب متكاثفاً، آخذاً بعنان فرس جواد.

٢٣ــ كل ذلك قد مضى يا آبنة مالك وفات، (والدهر يُعْقِبُ صالحاً بفساد).

* * *

٢٤ــ ولكن لا يزال لى ما أفخر به من المجد الباقى فى قومى أبناء «قيس بن ثعلبة»، الشم الأنوف البيض الوجوه، الذين يحشدون على طَلِبَتهم الجهد والمال.

٢٥ــ والواطئين على صدور نعالهم تيها وكبرياء، حين يمشون فى نفيس الثياب من «الدَّفَنِىّ» و«الأبْراد».

٢٦ــ والشاربين فى أزمان القحط، إذا عزَّت الإبل وغالى صاحبها فى أثمانها، خالصَ الخمر، بما يملكون من طارف وتليد.

٢٧ــ والضامنين فى الحروب ـ بما لقومهم من قوة وعتاد ـ حسن الأحدوثة وطيب الذكر.

٢٨ــ كم فيهم يوم القتال من فارس حاذق اليدين، يصيح صيحة الفرح والنصر، حين يصيب بضربته فيقتل.

٢٩ــ وإذا راحت الإبل عند الغروب، تعدو فى الليلة الباردة عدو النعام.

١٥— أنَّى تذكَّرُ وُدَّها وصفاءَها   سَفَهًا وأنتَ بصَوْةِ الأثمادِ

١٦— فَشَبَاكِ بَاعِجَـةٍ فَجَنْبَيْ جَاثِرٍ   وتَحُلُّ شاطِنَةً بدارِ إيادِ

١٧— منعَتْ قِيَاسُ الماسِخِيَّةِ رأسَهُ   بِسِهامِ يَثْرِبَ أوْ سِهامِ بِلادِ

١٨— وتَرَى الحَمَامَ مُعانِقًا شُرُفاتِهِ   يُهدَى له مِنْ

١٩— ولقد أُرَجِّلُ جُمَّتِي بِعَشِيَّةٍ   لِلشَّرْبِ قبلَ سَنابِكِ المُرْتادِ

٢٠— والبِيضِ قد عَنَسَتْ وطالَ جِراؤُها   ونَشَأْنَ في قِنٍّ وفي أذوادِ

٢١— ولقد أُخالِسُهُنَّ ما يَمْنَعْنَنِي   عُصُرًا يَمِلْنَ عليَّ بالأجيادِ

٢٢— ولقد غَدَوْتُ لِعازِبٍ مُسْتَخْلِسِ الـ   قُرْبانِ مُقْتادًا عِنانَ جَوادِ

٢٣— فالدَّهْرُ غَيَّرَ ذاكَ يا ابنَةَ مالِكٍ   والدَّهْرُ يُعْقِبُ صالِحًا بِفَسادِ

٢٤— إنِّي امْرُؤٌ مِنْ عُصْبَةٍ قَيْسِيَّةٍ   شُمِّ الأُنوفِ غَرانِقٍ أحْشادِ

٢٥— الواطِئِينَ على صُدُورِ نِعالِهِمْ   يَمْشُونَ في الدَّفَنِيِّ والأَبْرادِ

٢٦— والشَّارِبِينَ إذا الذَّوارِعُ غُولِيَتْ   صَفْوَ الفِضالِ بِطارِفٍ وتِلادِ

٢٧— والضَّامِنِينَ بِقَوْمِهِمْ يَوْمَ الوَغَى   لِلْحَمْدِ يومَ تَنازُلٍ وطِرادِ

٢٨— كَمْ فيهِمُ مِنْ فارِسٍ يَوْمَ الوَغَى   ثَقِفِ اليَدَيْنِ يَهِلُّ بالأقْصادِ

٢٩— وإذا اللِّقاحُ تَرَوَّحَتْ بِأصِيلَةٍ   رَتَكَ النَّعامِ عَشِيَّةَ الصُّرّادِ

(١٥ — ١٨) السفه الجهل وضعف العقل . الصوة ما غلظ وارتفع من الأرض . شاطنة فقرة بعيدة . قياس وقسي جمع قوس . الماسخي صانع الأقواس ، والماسخية الأقواس نسبة إلى ماسخة رجل من الأزد . يثرب وبلاد موضعان دون اليمامة .

(١٩ — ٢١) الجمة شعر الرأس . يرجلها يرتبها ويمشطها . الشرب مصدر شرب ، أو هم جماعة الشاربين . ارتاد الشيء طلبه ، أي أنه يسبق طلاب الخمر إليها . عنست الجارية مكثت بغير زواج . الجراء مصدر من الجارية تقول جارية بينة الجراء . القن العبد الذي ملك هو وأبواه للواحد والجمع . الأذواد جمع زود (بفتح فسكون) وهو القطيع من الثلاثة إلى العشرة . عصرا دهرا .

(٢٢ — ٢٥) غدوت انطلقت مبكرا في الصباح . عازب بعيد . استخلس النبت كثف وغطى الأرض . القربان مستجمع ماء كثير في شبه واد صغير . الغرانق جمع غرنوق وجمع غرنيق (كزنبور وقنديل) وهو الشاب الأبيض الجميل . الأحشاد جمع حشد (ككتف) وهو من لا يدع عند نفسه شيئا من النصرة والجهد والمال . الدفني ثوب مخطط . والبرد كذلك نوع من الثياب المخططة .

(٢٦ — ٢٩) الذوارع جمع ذروع وهو البعير . الفضال الخمر . الطارف المستحدث المكتسب . التليد الموروث القديم . ثقف حاذق . هل الرجل فرح وصاح . أقصد السهم إقصادا أصاب فقتل . اللقاح جمع لقحة (بكسر فسكون) وهي الناقة الحلوب . الأصيل وقت غروب الشمس . تروحت عادت من المرعى إلى حظيرتها .

٣٠- وتلوذ صغارها من شدة البرد بالخيام ، تزج بنفسها فى مداخلها .

٣١- رأيتهم وقد قاموا على أضيافهم ، يشوون لهم من سنام الإبل الضخام ومن الأكباد .

٣٢- وإذا لفح البرد القيان فاغبرت وجوههن ، حتى لتحسبهن من الأحباش ، وشح المرعى فجف اللبن فى ضروع النوق التى كانت تملأ الضخم من الأقداح .

٣٣- ....

٣٤- أخذوا مجالسهم ، يجملهم الوقار ، ولا يبدو عليهم أثر الضُر .

٣٥- يقول لهم الذين يرصدونهم بالنصح : أما لكم من مُتحَوَّل عن هذا الجبروت الذى تترسمون به من خلا من قوم عاد ؟

٣٦- وإذا أعرض الرهط عن المكان المخيف متهيبين ، وعدلت عنه مقاتلتهم لا يقومون فيه ولا يُغنُّون .

٣٧- فلقد نحل به ونرعى مراعيه ، ونقوم عليه ونحميه ، بما لنا من قوة ومن عتاد .

٣٨- نرصد بجانبيه الماشية تشرب يوما بعد يوم ، والجال قد انبثت جماعاتها الكثيفة فى مراتعه الخصبة .

٣٩- لا يصرفها طارد ، ولا يتهددها مغير يذعر سربها ، فتصوت مرغية ، وقد تشردت مفزَّعة .

٤٠- وإذا هتف بهم الصارخ المتلهف مستغيثاً ، واحتدم القتال فسطعت أعمدة الغبار ذاهبة فى السماء .

٤١- هبوا وقد ركبوا كرائم الخيل التى تسق اللبن ، فهى ضامرة البطون ، تجول بما فوق ظهرها من ألباد .

٤٢- من كل فرس أملس سابح فى عدوه ، وفرسة سابحة فى عدوها ، ترجم الأرض بحوافرها حين تجرى بفرسان كأنهم الأسود فى أيديهم الرماح .

٤٣- إذ لا يعدل قومنا من « قيس » قومٌ فى رفعة الأحساب ، ولا يعدل بنيه أبناء بين سائر الناس .

٣٠— جَرْيًا يَلُوذُ رِبَاعُهَا مِنْ صُرِّهَا ... بِالْخَيْمِ بَيْنَ طَوَارِفٍ وَهَوَادِي

٣١— حَجَرُوا عَلَى أَضْيَافِهِمْ وَشَوَوْا لَهُمْ ... مِنْ شَطِّ مُنْقِيَةٍ وَمِنْ أَكْبَادِ

٣٢— وَإِذَا الْقِيَانُ حَسِبْتَهَا حَبَشِيَّةً ... غُبْرًا وَقَلَّ حَلَائِبُ الْأَرْفَادِ

٣٣— وَإِذَا .... الْأَجْمَادِ

٣٤— أَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ عَلَى أَحْلَامِهِمْ ... . الْأَفْنَادِ

٣٥— وَيَقُولُ مَنْ يَبْقِيهِمُ بِنَصِيحَةٍ ... هَلْ غَيْرُ فِعْلِ قَبِيلَةٍ مِنْ عَادِ

٣٦— وَإِذَا الْعَشِيرَةُ أَعْرَضَتْ سُلَّافُهَا ... جَنِفِينَ مِنْ ثَغْرٍ بِغَيْرِ سِدَادِ

٣٧— فَلَقَدْ تَحُلُّ بِهِ وَتَرْعَى رِعْيَةً ... وَلَقَدْ تَلِيهِ بِقُوَّةٍ وَعَتَادِ

٣٨— تَبْقِي الْغِبَابَ بِجَانِبَيْهِ وَجَامِلًا ... عَكَرًا مَرَاتِعُهُ بِغَيْرِ جِهَادِ

٣٩— لَمْ يَرْزُوهِ طَرَدٌ فَيَذْعَرَ دَرْؤُهُ ... فَيَلِجَّ فِي وَهَلٍ وَفِي تَشْرَادِ

٤٠— وَإِذَا يَثُوبُ صَارِخٌ مُتَلَهِّفٌ ... وَعَلَا غُبَارٌ سَاطِعٌ بِعِمَادِ

٤١— رَكِبَتْ إِلَيْكَ نَزَائِعٌ مَلْبُونَةٌ ... قُبُّ الْبُطُونِ يَجُلْنَ فِي الْأَلْبَادِ

٤٢— مِنْ كُلِّ سَابِحَةٍ وَأَجْرَدَ سَابِحٍ ... تَرْدِي بِأُسْدٍ خَفِيَّةٍ وَصِعَادِ

٤٣— إِذْ لَا يُرَى قَيْسٌ يَكُونُ كَقَيْسِنَا ... حَسَبًا وَلَا كَأَبِيهِ فِي الْأَوْلَادِ

(٣٠ — ٣١) رتك البعير والنعام رتكا ورتكانا ، وهو عدو فى مقاربة خطو . يوم صرد وعشية صرد باردة . الرباع جمع ربع (بضم ثم فتح) وهو ولد الناقة فى أول الانتاج . الطوارف من الخباء ما رفعت من جوانبه للنظر إلى الخارج . الهوادى جمع هادوهو الهوان ـ أى العمود ـ فى مقدم الخباء . حجر عليه منعه . الشط جانب السنام أو نصفه . أنقت الابل سمنت فهى منقية .

(٣٢ — ٣٤) القيان جمع قينة وهى الفتاة التى لم تتزوج وقد بلغت سن الزواج . حسبتها حبشية اسودت من البرد . الحلائب جمع حلوبة وهى الناقة فيها لبن . الأرفاد جمع رفد (بفتح الراء) وهو القدح الضخم .

(٣٥ — ٣٨) يقاه رصده أو نظر إليه . عاد من العرب البائدة الذين لم يبق لهم أثر ، يضرب العرب بهم المثل فى الجبروت . سلاف العسكر متقدمهم . الثغر الموضع الذى يخاف هجوم العدو منه . جنفين مائلين عادلين عنه . وسد الثلمة (كمد) أصلحها ووثقها . وسداد الثغر سده فى وجه العدو والثبات فيه . ولى الأمر قام عليه ورعاه . العتاد العدة . تبقى أى ترصد . الغباب التى تشرب يوما وتدع يوما ، أو التى تدر اللبن يوما وتدع يوما . العكر الجماعة من الابل . الجهاد (بفتح الجيم) الأرض الصلبة لا نبات فيها .

(٣٩ — ٤١) لم يرزوه لم يصبه . طرد جمع طرد (بفتحتين) ، اسم من طرده أى ساقه ونحاه . درأ السيل دروا اندفع . ألجت الابل صوتت . والوهل الفزع والخوف . يثوب يهتف مرة بعد مرة . سطع الغبار علا وارتفع . النزائع جمع نزيع وهو الفرس الكريم . ملبونة تسقى اللبن لكرامتها عند أصحابها . قب جمع أقب وهو الضامر البطن الدقيق الخصر من الخيل . الألباد جمع لبد (بكسر فسكون) وهو ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج .

(٤٢ — ٤٣) أجرد أملس . سابح عداء حتى كأن أرجله لا تمس الأرض فهو سابح فى الفضاء . ردت الفرس رجمت الأرض بحوافرها . الصعاد جمع صعدة وهى القناة المستوية .

لهذه القصيدة قصة مشهورة ، تتلخص فى أن الأعشى خرج إلى النبى يريد الاسلام ، وقد أعد له هذه القصيدة ليمدحه بها . وكان ذلك فى المدة التى بين صلح الحديبية سنة ٦ هـ وفتح مكة سنة ٨ هـ . فلما بلغ مكة ، وعرفت قريش ما قصد له ، لم يزالوا ينفضون إليه الاسلام ، ويحدثونه بأسوإ مايقدرون عليه ، ويغرونه بالمال ، حتى صدوه عن وجهه ، بعد أن جمعوا له مائة ناقة حمراء . فقفل الأعشى راجعا إلى اليمامة ، ثم لم يلبث أن مات من عامه(١) .

والقصيدة مروية فى كثير من كتب الأدب . ولكن العجيب من أمرها أن القسم الثانى منها ، الذى خص فيه النبى بالمدح ، يريب الباحث لسببين . فهو أضعف بكثير من الشطر الأول ، يبلغ الضعف فى أبياته حد الركاكة والتفاهة ، ثم هو متأثر ببعض آيات القرآن فى معناها أو فى ألفاظها ، أو هو على الأقل يصور الأعشى وقد ألم بتعاليم الاسلام إلماماً حسناً ، بما يناقض زعم الرواة أنه عاد حين علم أن الاسلام يحرم الخمر.

ومن أمثلة تأثر هذا القسم بالقرآن :

البيتان ١٧ ، ١٨ متأثران بقوله تعالى : (وتزودوا فان خير الزاد التقوى ـ البقرة ١٩٧) فهو يستعير الزاد للعمل الصالح على أسلوب القرآن .

« ١٩ ، ٢٠ « « « « (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به ـ المائدة ٣) فهو يقرن فيهما بين الميتة والدم والذبح للأصنام على نحو ترتيب الآية .

البيت ٢١ « « « « (واذكر ربك كثيراً وسبح بالعشى والابكار ـ آل عمران ٤١)

« ٢٢ « « « « (وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ـ الذاريات ١٩) فاستعمل كلمتى السائل المحروم وقرن بينهما على نحو الآية .

« ٢٣ « « « « (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ـ الحجرات ١١)

« ٢٤ « « « « (ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا ـ الاسراء ٣٢) فاستعمل كلمة (تقرب) للالمام بالفحش ، وهو تلطف فى التعبير وتعفف فى العبارة عن هذا المعنى ، وذلك على أسلوب القرآن . وقوله بعد ذلك فى هذا البيت (فانكحن أو تأبدا) متأثر بقوله تعالى (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله ـ النور ٣٣) على مافى تحريك آخر الأمر (تأبد) بالفتح من غرابة لضرورة القافية .

يقول الأعشى :

١ ــ أحق أنك قضيت ليلة كليلة الأرمد لايغمض لك جفن ، وعادك ما يعود اللديغ المسهد ؟

٢ ــ ولم يكن سهرك من عشق النساء ، فقد فارقتهن من زمن ، وتناسيت صداقة (مَهْدَد)

٣ ــ ولكنما كان سهرك لطوارق الدهر الخؤون ونائباته ، كلما أصلحتْ يدك كرَّ على ما أصلحت بالإفساد .

٤ ــ لله هذا الدهر فى تقلبه . فما أعجب ترددى فيه بين الشباب والشيب ، والثروة والفقر .

٥ ــ أنفقت عمرى دائباً فى جمع المال منذ راهقت ، صبياً أمرد ، وكهلا قد علانى المشيب .

٦ ــ أبتذل العيس ، ترقل بى مسرعة بين (النُّجير) فى حضرموت (وصَرْخَد) فى العراق .

٧ ــ فلا تسألى عنى . فما أكثر من يسأل عن الأعشى مظهراً العناية بأمره حين يمضى فى البلاد .

٨ ــ ألا فليعلم الذى يسألنى أين تقصد ناقتى أنها على موعد عند أهل (يثرب) .

٩ ــ تسير ليلها كله ، لها رقيبان لا يغيبان من نجمى (الجدْى) و (الفرْقد) .

---

(١) الأغانى ٩ : ١٢٥ ، السيرة ٢ : ٢٦ ، خزانة الأدب ١ : ١٢٢

وقال يمدح النبيّ صلى الله عليه وسلم :

(طويل)

١ — أَلَمْ تَغْتَمِضْ عَيْنَاكَ لَيْلَةَ أَرْمَدَا ... وَعَادَكَ مَا عَادَ السَّلِيمَ الْمُسَهَّدَا

٢ — وَمَا ذَاكَ مِنْ عِشْقِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا ... تَنَاسَيْتَ قَبْلَ الْيَوْمِ خُلَّةَ مَهْدَدَا

٣ — وَلَكِنْ أَرَى الدَّهْرَ الَّذِى هُوَ خَاتِرٌ ... إِذَا أَصْلَحَتْ كَفَّاىَ عَادَ فَأَفْسَدَا

٤ — شَبَابٌ وَشَيْبٌ وَافْتِقَارٌ وَثَرْوَةٌ ... فَلِلَّهِ هَـذَا الدَّهْرُ كَيْفَ تَرَدَّدَا

٥ — وَمَا زِلْتُ أَبْغِى الْمَالَ مُذْ أَنَا يَافِعٌ ... وَلِيدًا وَكَهْلًا حِينَ شِبْتُ وَأَمْرَدَا

٦ — وَأَبْتَذِلُ الْعِيسَ الْمَرَاقِيلَ تَغْتَلِى ... مَسَافَةَ مَا بَيْنَ النُّجَيْرِ فَصَرْخَدَا

٧ — فَإِنْ تَسْأَلِى عَنِّى فَيَارُبَّ سَائِلٍ ... حَفِىٍّ عَنِ الْأَعْشَى بِهِ حَيْثُ أَصْعَدَا

٨ — أَلَا أَيُّهَـذَا السَّائِلِى أَيْنَ يَمَّمَتْ ... فَإِنَّ لَهَا فِى أَهْلِ يَثْرِبَ مَوْعِدَا

٩ — فَأَمَّا إِذَا مَا أَدْلَجَتْ فَتَرَى لَهَا ... رَقِيبَيْنِ جَدْيًا لَا يَغِيبُ وَفَرْقَدَا

١٠ — وَفِيهَا إِذَا مَا هَجَّرَتْ عَجْرَفِيَّةٌ ... إِذَا خِلْتَ حِرْبَاءَ الظَّهِيرَةِ أَصْيَدَا

١١ — أَجَدَّتْ بِرِجْلَيْهَا نَجَاءً وَرَاجَعَتْ ... يَدَاهَا خِنَافًا لَيِّنًا غَيْرَ أَحْرَدَا

١٢ — فَآلَيْتُ لَا أَرْثِى لَهَا مِنْ كَلَالَةٍ ... وَلَا مِنْ حَفًى حَتَّى تَزُورَ مُحَمَّدَا

١٣ — مَتَى مَا تُنَاخِى عِنْدَ بَابِ ابْنِ هَاشِمٍ ... تُرِيحِى وَتَلْقَىْ مِنْ فَوَاضِلِهِ يَدَا

١٤ — نَبِىٌّ يَرَى مَا لَا تَرَوْنَ وَذِكْرُهُ ... أَغَارَ لَعَمْرِى فِى الْبِلَادِ وَأَنْجَدَا

(١ — ٣) الأرمد الذى يشتكى وجعاً فى عينيه . السليم الذى لدغته الحية أو العقرب سمى بذلك تفاؤلا. الخلة الصداقة . خاتر غادر .

(٤ — ٦) اليافع فى سن العشرين . الوليد الصبى . الأمرد الذى لم ينبت شعر لحيته . ابتذال الشىء استعمله وامتهنه ، المراقيل التى ترقل ، والإرقال ضرب من عدو الإبل . تغتلى تسرع فى السير . النجير بحضرموت . صرخد بالجزيرة .

(٨ — ٩) حفى بالرجل تلطف به وبالغ فى إكرامه والسؤال عن حاله . أصعد أصله من الصعود فى الأماكن المرتفعة . وأصعد فى الأرض ذهب . الادلاج سير الليل كله . الجدى نجم إلى جنب القطب يدور مع بنات نعش تعرف به القبلة . الفرقد نجم قريب من القطب الشمالى يهتدى به .

(١٠ — ١٢) هجرت سارت فى الهجير وهو وقت احتدام الحر . جمل عجرفى يسرع فى سيره ولا يبالى . الحرباء يدور مع الشمس ويستقبلها بعينيه ليستدفىء بها . الأصيد البعير المصاب بالصاد وهى قروح فى منخريه لا يضم منها رأسه . أجدت أسرعت . النجاء السرعة خنف البعير خنافاً قلب فى مسيره خف يده إلى اليمين . الحرد (بفتحتين) استرخاء عصب يد البعير ، حتى كأنه ينفضها إذا مشى .

(١٣ — ١٤) أراح رجعت إليه نفسه بعد الاعياء . أغار سار إلى الغور وهو المنخفض من الأرض . أنجد سار إلى النجاد وهى المرتفعات.

١٠ــ وتندفع فى التهاب الحر لا تبالى شيئاً ، حين يستقبل الحرباء الشمس بوجهه ، حتى يخيل لناظره أنه مريض بداء (الصاد) فهو لا يستطيع أن يضع رأسه .

١١ــ تنقل رجليها جادة فى سرعتها ، وتجدف يديها السليمتين من الاسترخاء فى لين ومرونة .

١٢ــ وقد آليت أن لا أرحمها مما تعانى من كلال ومن حفى حتى تزور (محمدا)

١٣ــ متى ما تناخى عند بابه تجدى الراحة بعد إعياء ، وتعوّضى عما لقيت من فواضله ونداه .

١٤ــ نبى يرى مالا يرى الناس ، قد سار ذكره فى البلاد ، وذهب صيته فى كل مكان .

١٥ــ يغمر الناس بصدقاته وعطاياه التى لا تنقطع ، ولا يمنعه مايعطى اليوم ، أن يعطى فى الغد .

١٦ــ أحقًّا أنك لم تسمع وصاة (محمد) نبى الإله ، حين أوصى وأشهد الناس على ما يقول .

١٧ــ إذا أنت لم تتزود من دنياك بالعمل الصالح ، ولقيت بعد الموت من تزود ،

١٨ــ ندمت على ما فرط منك ، ووددت لو أنك قد تزودت كما تزود ، وأخذت عدتك للذى أعد .

١٩ــ فإياك أن تأكل الميتة ، أو الدم تفصده بسهم من حديد .

٢٠ــ ولاتذبح القرابين للأنصاب ، واعبد الله وحده ولا تعبد الأوثان .

٢١ــ وصل فى العشى وفى الضحى ، واجعل شكرك لله لا للشيطان .

٢٢ــ ولا تترك السائل لحرمانه ولا الأسير لقيده .

٢٣ــ ولا تسخر من البائس الذى مسه الضر ، فلست مخلداً على الدهر .

٢٤ــ ولا تقرب جارتك فهى محرمة عليك ، فتزوج أو تعفف مبتعداً عن النساء .

١٥— له صدقاتٌ ما تغِبُّ ونائلٌ ... وليسَ عطاءُ اليومِ مانعَهُ غدا

١٦— أجِدَّكَ لم تسمعْ وصاةَ محمّدٍ ... نبيِّ الإلهِ حينَ أوصى وأشهدا

١٧— إذا أنتَ لم ترحلْ بزادٍ من التُّقى ... ولاقيتَ بعدَ الموتِ مَنْ قد تزوّدا

١٨— ندمتَ على أنْ لا تكونَ كمثلِهِ ... وأنّكَ لم تُرصِدْ لما كانَ أرصدا

١٩— فإيّاكَ والميتاتِ لا تأكلنّها ... ولا تأخذنْ سهمًا حديدًا لتفصدا

٢٠— وذا النُّصُبَ المنصوبَ لا تنسُكنّهُ ... ولا تعبدِ الأوثانَ واللهَ فاعبدا

٢١— وصلِّ على حينِ العشيّاتِ والضحى ... ولا تحمدِ الشيطانَ واللهَ فاحمدا

٢٢— ولا السائلَ المحرومَ لا تتركنّهُ ... لعاقبةٍ ولا الأسيرَ المقيّدا

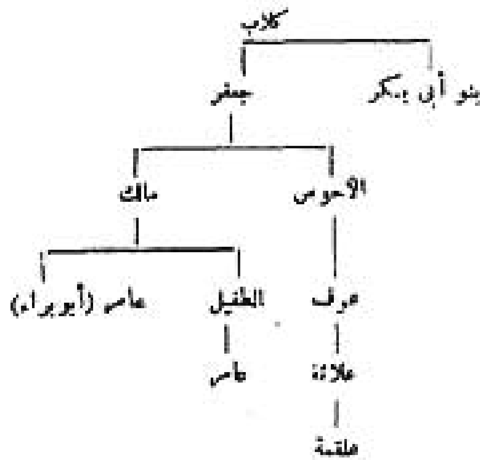
٢٣— ولا تسخرنْ من بائسٍ ذي ضرارةٍ ... ولا تحسبنَّ المرءَ يومًا مخلّدا

٢٤— ولا تقربنَّ جارةً إنّ سرَّها ... عليكَ حرامٌ فانكحنْ أو تأبّدا

(١٥ — ١٨) لا تغب أي لا تبطيء عنه ولا تنقطع . أجدك أحق ما تقول . أرصد له الشيء أعده .

(١٩ — ٢١) فصد شق الجلد لاستخراج الدم . النصب الأصنام . نسك البيت أتاه ، ونسك كذلك ذبح .

(٢٢ — ٢٤) الضرارة ذهاب البصر والنقص في الأموال والأنفس . السر فرج المرأة والزنى . النكاح الزواج . التأبد التعزب والبعد عن النساء .



منافرة عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة من أشهر ماجرى في الجاهلية من منافرات لكثرة من اشترك فيها من كبار الشعراء والحكام. وعامر وعلقمة كلاهما من كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهما يلتقيان عند الجد الثالث لعلقمة والجد الثاني لعامر. وقد كانت السيادة في بني كلاب خاصة، وفي عامر بن صعصعة عامة، للأحوص جد علقمة.

وكان الأحوص على رأس عامر يوم (رحرحان) وأخوه مالك بن جعفر يشهدها، ومعه ابناه عامر والطفيل. فلما مات الأحوص انتقلت السيادة إلى ابن أخيه عامر بن مالك، وهو أبو براء الملقب بملاعب الأسنة. فلما أسن أبو براء تنازع عامر وعلقمة الرياسة. عامر يرى أنها يجب أن تنتقل إليه لأنها في عمه، ثم هو يرى نفسه أحسن بلاء في الحرب من علقمة وأجود منه. وعلقمة يرى أنها كانت في جده الأحوص، وإنما انتقلت إلى أبي براء بسببه لأنه ابن أخيه.

وسرى الشر بينهما حتى صار إلى المنافرة. وانحاز لبيد إلى عامر وانحاز الحطيئة وبعض بني الأحوص — وفيهم السندري — إلى علقمة. واحتكما إلى رجل يقال له خزيمة بن عمرو بن الوحيد، ثم إلى أبي سفيان بن حرب، ثم إلى أبي جهل بن هشام ابن المغيرة، وكلهم يتحرج من الحكم فلا يقول بينهما شيئاً، إلى أن صار الأمر إلى هرم بن قطبة بن سنان بن عمرو الفزاري، فاحتال للأمر، واستدعى كلا من الخصمين على حدة، فكان يصور لكل منهما أن خصمه أفضل منه، فيتخيل أحدهما أنه سيفضل صاحبه، ويرجوه أن لا يفعل، وأن يكتفي بالتسوية بينهما. فلما كان يوم الحكم قام هرم فسوى بينهما قائلا (أنتما كركبتي البعير الأدرم الفحل، يقعان الأرض معا. وليس منكما واحد إلا وفيه ماليس في صاحبه، وكلاكما سيد كريم)

وجاء الأعشى على أعقاب ذلك، فانحاز إلى عامر، وزعم أنهما قد حكماه في أمرهما، وقال هذه القصيدة والقصيدة التي تليها، ينافر فيهما عامرا على علقمة، فذاع حكمه في الناس، واشتد وقعه على علقمة. وقد تحرج صاحب السيرة وصاحب الخزانة من رواية القصيدتين، لأن النبي نهى عن روايتهما، وذلك بعد أن أسلم علقمة، بينما قتل عامر وفد الرسول من المسلمين إلى نجد، ومات كافراً (١).

هذا ملخص ماروي في هذه القصة (٢). أما تاريخها فشيء لم تشر إليه المراجع التي بين يدينا. ولكنا نستطيع بمقارنة الحوادث أن نؤرخها بما بين ٤ قبل الهجرة، ٤ بعد الهجرة. فهي بعد بعثة النبي على كل حال وقبل ٤ هـ. أما أنها بعد البعثة فذلك لأن أبا براء كان على رأس عامر يوم (فيف الريح) وقد كان هذا اليوم بعد البعثة (٣). وإنما تنازع عامر وعلقمة الرياسة حين أسن أبو براء وقعد عن الغزو، وينبغي أن يكون ذلك بعد فيف الريح بسنوات. وقد أصيب عامر في هذا اليوم بطعنة رمح في عينه (٤) وقد عيره علقمة نقص بصره في هذه المنافرة حين قال (ولكني أنافرك أني خير منك أثرا، وأحد منك بصراً) وقول عامر (أنت رجل ثائر، وليس لبني الأحوص فضل على بني عامر في العدد، وبصري ناقص وبصرك صحيح. ولكني أنافرك أني أسن منك سنة وأطول منك قمة . . . . الخ

ثم إن أبا براء لاينبغي أن يكون قد أسن قبل ظهور الإسلام، فقد كان فتى ناشئاً يوم (رحرحان)، وهو قبل الاسلام بواحد وأربعين عاما أو بستة وأربعين عاما (٥)

وليس ينبغي أن ينازع عامر بن الطفيل في الرياسة قبل الاسلام، فقد ولد يوم جبلة، وهو قبل الاسلام بأربعين عاما أو بخمسة وأربعين عاما (٦)

وأما أن المنافرة لاتتأخر عن ٤ هـ فذلك لأن أبا براء قد شهد المنافرة. وأبو براء مات يوم (بئر معونة)، قتل نفسه بشرب الخمر (٧)، وبئر معونة سنة ٤ هـ.

وقصيدة الأعشى هذه من بحر السريع. وهو بحر نادر في الشعر الجاهلي، لم يرو للأعشى فيه غير هذه القصيدة، ولم يرو لزهير ولا النابغة ولا عنترة فيه شعر. أما طرفة فلم يرد له فيه غير ثلاثة أبيات:

أسلمني قومي ولم يغضبوا ... لسوءة حلت بهم فادحة

ورووا لعلقمة خمسة أبيات:

دافعت عنه بشعري إذ ... كان لقومي في الفداء جحد

ورووا لامرىء القيس مقطوعتين، إحداهما ثلاثة أبيات والأخرى عشرة:

أحلت رحلي في بني ثعل ... إن الكريم للكريم محل

يا دار ماوية بالحائل ... فالسهب فالخبتين من عاقل

(١) السيرة ٣ : ١٩٣، خزانة الأدب ١ : ١٢٢

(٢) راجع التفاصيل في الأغاني ١٥ : ٥٠-٥٥، ثعلب (شرح ديوان الأعشى) ١٦٥، بلوغ الأرب ١ : ٢٨٧، الهجاء والهجاءون ١ : ٨٥

(٣) العقد الفريد ٦ : ٨٩ (٤) نقائض جرير والفرزدق ٤٧٠ (٥) العقد الفريد ٦ : ٩، النقائض ٢٣٠، ١٠٦٢

(٦) النقائض ٢٢٩، ٦٠٩ (٧) النقائض ١٩٩

وقال يَهجو عَلْقَمَةَ بْنَ عُلاثَةَ ويمدح عَامِرَ بْنَ الطُّفَيْلِ فى المُنافَرَةِ التى جرت بينهما :

١ — شَاقَتْكَ مِنْ قَتْلَةَ أَطْلَالُهَا ... بِالشَّطِّ فَالْوِتْرِ إِلَى حَاجِرِ (سريع)

٢ — فَرُكْنِ مِهْرَاسٍ إِلَى مَارِدٍ ... فَقَاعِ مَنْفُوحَةَ ذِى الْحَائِرِ

٣ — دَارٌ لَهَا غَيَّرَ آيَاتِهَا ... كُلُّ مُلِثٍّ صَوْبُهُ زَاخِرِ

٤ — وَقَدْ أَرَاهَا وَسْطَ أَتْرَابِهَا ... فِى الْحَىِّ ذِى الْبَهْجَةِ وَالسَّامِرِ

٥ — كَدُمْيَةٍ صُوِّرَ مِحْرَابُهَا ... بِمُذْهَبٍ فِى مَرْمَرٍ مَائِرِ

٦ — أَوْ بَيْضَةٍ فِى الدِّعْصِ مَكْنُونَةٍ ... أَوْ دُرَّةٍ شِيفَتْ لَدَى تَاجِرِ

٧ — يَشْفِى غَلِيلَ النَّفْسِ لَاهٍ بِهَا ... حَوْرَاءُ تُصْبِى نَظَرَ النَّاظِرِ

٨ — لَيْسَتْ بِسَوْدَاءَ وَلَا عِنْفِصٍ ... تُسَارِقُ الطَّرْفَ إِلَى الدَّاعِرِ

٩ — عَبْهَرَةُ الْخَلْقِ بُلَاخِيَّةٌ ... تَشُوبُهُ بِالْخُلُقِ الطَّاهِرِ

١٠ — عَهْدِى بِهَا فِى الْحَىِّ قَدْ سُرْبِلَتْ ... هَيْفَاءَ مِثْلَ الْمُهْرَةِ الضَّامِرِ

١١ — قَدْ نَهَدَ الثَّدْىُ عَلَى صَدْرِهَا ... فِى مُشْرِقٍ ذِى صَبَحٍ نَائِرِ

١٢ — لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتًا إِلَى نَحْرِهَا ... عَاشَ وَلَمْ يُنْقَلْ إِلَى قَابِرِ

(١ — ٣) شاقته الحب هاجه . الأطلال آثار الديار . الحائر مجتمع الماء ، والموضع المطمئن من الأرض . آيات جمع آية والآية العلامة . ملث مقيم . الصوب السحاب ذو الصوت . زخر البحر طما وكثر ماؤه .

(٤ — ٦) الترب من ولد معك ، السامر اسم فاعل من سمر أى لم ينم وتحدث ليلا . والسامر أيضا مجلس السمار . المحراب الغرفة وصدر البيت . مائر تصلح صفة للذهب والمرمر ، فالذهب مائر فى المرمر أى غائر فيه داخل ، والمرمر مائر أى يراق يتموج لجودة صقله . الدعص كثيب الرمل ، مكنونة مخبوءة ، فهى لذلك محفوظة صافية اللون . شيفت جليت .

(٧ — ١٠) الغليل حرارة العطش . أصباه انهوه شاقه ودعاه إلى الصبا فحن إليه . عنفص بذيئة قليلة الحياء . الداعر الخبيث والفاسق . العبهرة الرقيقة البشرة الناصعة البياض والسمينة الممتلئة . بلاخية طويلة عظيمة فى نفسها . سربلت لبست السربال وهو القميص . الهيفاء الضامرة البطن الرقيقة الخصر . المهر ولد الفرس .

(١١ — ١٢) نهد برز . إشراق الحلى بريقها . الصبح بريق الحديد والحلى . النائر والنير المشرق . النحر أعلى الصدر . وقيل موضع القلادة .

يبدأ الأعشى قصيدته بغزل رقيق يحن فيه إلى صاحبته (قتْلَة) وهي من أحب صواحبه إليه وأشهرن في شعره، يسميها تارة (قتْلَة) ويدللها تارة . فيسميها (قُتَيلة أو (قَتْل) . وقد زعم أبو عبيدة أنها أمة لبني عبيد كان قد تزوجها .

يقول الأعشى :

١ ــ هاجت أطلال قتلة في قلبك شوقا قديما بين « الشط » و « الوتْر » و « حاجر »

٢ ــ و « ركن مهراس » و « مارد » و « قاع منفوحة » حيث تجتمع مياه الأمطار .

٣ ــ دار غيرت معالمها الأمطارُ المتتالية الغزيرة .

ويرجع الأعشى بخياله إلى الماضي ليتصورها أيام كانت تحل هذه الديار فيقول :

٤ ــ لكأني أراها بين أترابها ، أيام كان الحي آهلا بهم ، ملء جوانبه البهجةُ في النهار ، والسُّمار في الليل .

٥ ــ كانت كدمية أقيمت في محراب من المرمر زخرف بالذهب اللامع البراق .

٦ ــ أو بيضة مكنونة في الرمال ، أو درة مصقولة عند التجار .

٧ ــ تشفي غليل نفس اللاهي لو أن يده تنالها ، وتملك على الناظر أمره ولبه فما ينفك متعلقاً بها .

٨ ــ ليست بسوداء ولا بذيئة قليلة الحياء تسترق النظر إلى الداعر من الرجال .

٩ ــ قد اكتمل حسنها في ضخامة جسمها وامتداده الذي يضفي عليها ثوباً من الكبرياء تشوبه بالخلق الطاهر العفيف .

١٠ ــ عهدي بها في الحي يكشف قيصها عن بطنها الضامر وخصرها الدقيق كأنها المُهْرَةُ الضامرة .

١١ ــ قد نهد الثدي على صدرها الذي تزينه الحلي البراقة اللامعة .

١٢ ــ لو أسندت ميتاً إلى نحرها الفتان لبعث من جديد ودبت فيه الحياة .

١٣ ــ حتى يقول الناس مما يرون (يا عجبًا للميت الناشر !)

وينتقل الأعشى من هذا الغزل الرقيق الممتع فجأة إلى مهاجمة علقمة قائلا :

١٤ ــ دع عنك صاحبتك ، فقد بان عذرك في حبها بعد الذي وصفت من مفاتنها ، واذكر إلحاش علقمة الفاجر في الكلام .

١٣— حَتَّى يقولَ النَّاسُ مِمَّا رَأَوْا ... يَا عَجَبًا لِلْمَيِّتِ النَّاشِرِ

١٤— دَعْهَا فقد أَعْذَرْتَ فِي جُبْهَا ... وَاذْكُرْ خَنَا عَلْقَمَةَ الفَاجِرِ

١٥— عَلْقَمَ لَا لَسْتَ إِلَى عَامِرٍ ... النَّاقِضِ الأَوْتَارَ وَالوَاتِرِ

١٦— وَاللَّابِسِ الخَيْلَ بِخَيْلٍ إِذَا ... ثَارَ غُبَارُ الكَبَّةِ الثَّائِرِ

١٧— سُدْتَ بَنِي الأَحْوَصِ لَمْ تَعْدُهُمْ ... وَعَامِرٌ سَادَ بَنِي عَامِرِ

١٨— سَادَ وَأَلْفَى قَوْمَهُ سَادَةً ... وَكَابِرًا سَادُوكَ عَنْ كَابِرِ

١٩— مَا يُجْعَلُ الجُدُّ الظَّنُونُ الَّذِي ... جُنِّبَ صَوْبَ اللَّجِبِ الزَّاخِرِ

٢٠— مِثْلَ الفُرَاتِيِّ إِذَا مَا طَمَا ... يَقْذِفُ بِالبُوصِيِّ وَالمَاهِرِ

٢١— إِنَّ الَّذِي فِيهِ تَمَارَيْتُمَا ... بُيِّنَ لِلسَّامِعِ وَالنَّاظِرِ

٢٢— حَكَّمْتُمُونِي فَقَضَى بَيْنَكُمْ ... أَبْلَجُ مِثْلُ القَمَرِ البَاهِرِ

٢٣— لَا يَأْخُذُ الرِّشْوَةَ فِي حُكْمِهِ ... وَلَا يُبَالِي غَبَنَ الخَاسِرِ

٢٤— لَا يَرْهَبُ المُنْكَرَ مِنْكُمْ وَلَا ... يَرْجُوكُمْ إِلَّا تُقَى الآصِرِ

٢٥— يَا عَجَبَ الدَّهْرِ مَتَى سُوِّيَا ... كَمْ ضَاحِكٍ مِنْ ذَا وَكَمْ سَاخِرِ

(١٠—١٣) نشر الله الموتى أحياهم وبعثهم فكأنهم نشروا بعد ما طووا . أعذر صار ذا عذر . الخنا الفحش فى الكلام . لست إليه أى لاتشبه ولا تقاس إليه . الأوتار جمع وتر وهو الثأر . الواتر الغالب الذى يترك ثأره فى الأعداء .

(١٦—١٨) اللابس الخالط . الكبة الدفعة من الخيل . الأحوص جد علقمة . عامر بن صعصعة هو الجد الأكبر الذى يجتمع عنده عامر وعلقمة وبقية الفروع الأخرى . ألفى قومه سادة ، يقصد أباءه ، وهو عامر بن مالك بن جعفر عم عامر . وقد تنازع عامر وعلقمة الرياسة لما أسن . الكابر الكبير والرفيع القدر .

(١٩—٢٠) الجد البئر . الظنون الذى لايعرف أفيه ماء أم لا ، أو القليل الماء . جنبه الشيء أبعده عنه . الصوب هنا الناحية . اللجب الذى له صوت وجلبة . الزاخر الكثير الماء . طما البحر ارتفع ماؤه . البوصى السفين وهو كذلك الملاح . الماهر السابح .

(٢٠ - ٢١) تماريتما اختلفتما . السامع الذى سمع الخبر من غيره ولم يشاهده . الناظر الذى حضره وعاينه . أبلج واضح مشرق الوجه . الباهر الذى يبهر النجوم فيقطع ضوءها . الغبن النقص . المنكر الذى ينكر حكمه ولا يرضاه . الآصر عظم العضد أو كل عظم ذى مخ فى داخله . أصر الشيء (كضرب) أصراً كسره .

١٥— إنك يا علقمة لا تقاس إلى عامر ولا تدانيه ، الآخذ ثأره من الخصم لا يتركه ، والتارك الثأر فيهم لا يأخذونه .

١٦— والخالط الخيل بالخيل إذا ثار غبار جماعاتها فى القتال .

١٧— سدت بيتك من (بنى الأحوص) لم تعد ذلك ولم تتجاوزه ، وساد عامر (بنى عامر) جميعاً .

١٨— ساد وكان قومه من قبل سادة ، ولقد سادوك سيداً من بعد سيد .

١٩— ليس البئر القليل الماء قد جانبه السيل الزاخر الدفاق ،

٢٠— مثلَ الفرات إذا جاش بالماء يقذف بالسفين وبالسبّاح .

٢١— إن الذى تتماريان فيه من التنافس على السيادة أمر واضح يعرفه الغائب والحاضر .

٢٢— حكمتمونى فقضيت بينكم وكنت كالقمر المشرق الذى يبهر الأنظار .

٢٣— وماقاضيكم بالذى يصرفه عن العدل والصواب رشوة يأخذها ، ولاهو بالذى يبالى على أيكم تقع الخسارة .

٢٤— لا هو يرهب الذى ينكر حكمه ، ولا هو يرجوكم إلا رجاء الذى يكسر العظام مفتشاً عما فى داخلها من تافه الدسم .

٢٥— ياعجب الدهر ! متى كان عامر وعلقمة سواء ؟ كم ضاحكٍ من ذا وكم ساخرٍ !

٢٦— فالزم حياءك الذى أضعته يا علقمة ، فمالك بعد المشيب من عذر .

٢٧— فيم تزعم أنك أعز منه ، ولست بالأكثر منه قوما ، وإنما العزة لصاحب الكثرة .

٢٨— ولست فى شىء من قومه الأثرياء (بنى مالك) ، ولا أنت من (بنى أبى بكر) المنجدين الأقوياء .

٢٩— فبنو مالك هم رءوس الحى وهامته يوم يُجمَع الناس . وهم بمكان السؤدد القاهر من بنى جعفر .

٣٠— أقول لما جاءنى فخر علقمة على عامر « سبحان من علقمة الفاخر ! » .

٣١— فاربع على نفسك ، وكف عن سفهك ، ولا تجعل عرضك للوارد والصادر من الناس .

٣٢— إنى أرد الحكم إلى وجه الصحيح من الحق والصواب ، ولا أصدر فيه عن الهوى الجائر .

٣٣— وقد حكمت حكما قضى بينكم ، واعترف المغلوب للغالب

٣٤— وكم قضيت فى مثله فمضى قضائى وسار قولى فى الناس لايرده شىء .

٢٦- فَاقْنَ حَيَاءً أَنْتَ ضَيَّعْتَهُ ... مَالَكَ بَعْدَ الشَّيْبِ مِنْ عَاذِرِ

٢٧- وَلَسْتَ بِالأَكْثَرِ مِنْهُمْ حَصًى ... وَإِنَّمَا العِزَّةُ لِلْكَاثِرِ

٢٨- وَلَسْتَ فِي الأَثْرَيْنَ مِنْ مَالِكٍ ... وَلَا أَبِي بَكْرٍ ذَوِي النَّاصِرِ

٢٩- هُمْ هَامَةُ الْحَيِّ إِذَا حُصِّلُوا ... مِنْ جَعْفَرٍ فِي السُّؤْدَدِ القَاهِرِ

٣٠- أَقُولُ لَمَّا جَاءَنِي فَخْرُهُ ... سُبْحَانَ مِنْ عَلْقَمَةَ الفَاخِرِ

٣١- عَلْقَمَ لَا تَسْفَهْ وَلَا تَجْعَلَنْ ... عِرْضَكَ لِلْوَارِدِ وَالصَّادِرِ

٣٢- أَوَّلُ الْحُكْمِ عَلَى وَجْهِهِ ... لَيْسَ قَضَائِي بِالْهَوَى الجَائِرِ

٣٣- قَدْ قُلْتُ قَوْلًا فَقَضَى بَيْنَكُمْ ... وَاعْتَرَفَ الْمَنْفُورُ لِلنَّافِرِ

٣٤- كَمْ قَدْ مَضَى شِعْرِيَ فِي مِثْلِهِ ... فَسَارَ لِي مِنْ مَنْطِقٍ سَائِرِ

٣٥- إِنْ تَرْجِعِ الْحُكْمَ إِلَى أَهْلِهِ ... فَلَسْتَ بِالْمُسْتِي وَلَا النَّائِرِ

٣٦- وَلَسْتَ فِي السِّلْمِ بِذِي نَائِلٍ ... وَلَسْتَ فِي الْهَيْجَاءِ بِالْجَاسِرِ

٣٧- إِنِّي آلَيْتُ عَلَى حَلْفَةٍ ... وَلَمْ أُقِلْهُ عَثْرَةَ الْعَاثِرِ

٣٨- لَيَأْتِيَنْهُ مَنْطِقٌ سَائِرٌ ... مُسْتَوْسِقٌ لِلْمُسْمِعِ الآثِرِ

(٢٦-٢٨) اقن الحياء الزمه . الأثرى الكثير المال . ابو بكر هم بنو ابي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

(٢٩ - ٣١) هامة الحى رأسه . حصلوا جمعوا وميزوا . السؤدد السيادة . القاهر الغالب . سبحان منه تعجب ، اى سبحان الله منه . الوارد الذى يجيء الماء ليشرب . الصادر الذى يعود من الماء بعد أن شرب .

(٣٢-٣٤) أول الحكم إلى أهله رده إليهم أى جعله يؤول ويرجع إليهم . الجائر المنحرف عن الصواب والحق . المنفور المغلوب في المنافرة ، والنافر الغالب فيها . منطق سائر مشهور ذهب بين الناس وسار .

(٣٥-٣٨) أستى الثوب وأسداه أقام سداه ، والسدى من الثوب ما مد من خيوطه ، وهو خلاف لحمته . والنير هدب الثوب ولحمته ، يريد أن يقول له لست شيئاً . النائل العطاء . الهيجاء الحرب . الجاسر الجرىء الشجاع . أقال عثرته صفح عنه . منطق سائر شعر ينال شهرة بين الناس . استوسق له الامر أمكنه . الآثر الذى يأثر الحديث أو الشعر ويرويه ، فهو آثر والكلام مأثور .

٣٥- فأن رجعت الحكم إلى أهله فما أنت بين الناس فى شىء .

٣٦- ما أنت بالكريم فى السلم ، ولا أنت بالجرىء فى الحرب .

٣٧- ولقد آليت على نفسى مقسما - ولم أصفح عنه حين عثر -

٣٨- لأتينه منى شعر سائر ذائع يطاوع السامعَ على إذاعته وروايته .

٣٩- يعض حين يسمع قولى بما أبقت له المواسى من أمه فى غابر الأزمان .

٤٠- وما أبقت إلا أذى عند رأس فرجها واقى الحروف .

٤١- لا تحسبنى غافلا عنكم ، فلست بالفاتر ولا الكليل .

٤٢- واستمع لقولى فأنى فطن حاذق ، وإنى عالم بأخبار الناس ، أعرف كيف أخرس المتطاول وأقطع شقشقة الهادر .

٤٣- يقسم بالله لئن بلغه عنى ما يؤذيه من سامع .

٤٤- ليجعلنّى بعدها سُبّةً فى الناس . ألا جَدْعًا لك يا علقم من متهدد !

٤٥- أذلك شىء جديد ، أن تتوعّدنى وقد ركبت رأسك متحيراً ؟ وعهدى بك أضعف الناس عن أن تنال عدواً بأذى .

٤٦- انظر إلى الكف وما انطوت عليك من غيب وأسرار ، ثم خبرنى : هل أنت إن أوعدتنى ضائرى ؟

٤٧- ما أراك إن شمّرت الحرب واشتد القتال إلا مغلوباً مدوّخا .

٤٨- وقد التف حولى قومى من سادة « وائل » ، منتشرين كأنهم الليل من بادٍ ومن حاضر .

٤٩- المطعمو اللحم إذا أزم الشتاء الناسَ وضيق عليهم الرزق ، والجاعلو رزقَ فقرائهم على أغنيائهم المقامرين .

٥٠- يذبحون كل ناقة ضخمة قد تراكم على سنامها الشحم ، حين تجف من اللحم سكاكينُ الجازرين .

٣٩- عَضَّ بِمَا أَبْقَى الْمَوَاسِى لَهُ ... مِنْ أُمِّهِ فِى الزَّمَنِ الْغَابِرِ

٤٠- وَكُنَّ قَدْ أَبْقَيْنَ مِنْهَا أَذًى ... عِنْدَ الْمَلَاقِى وَافِى الشَّافِرِ

٤١- لَا تَحْسَبَنِّى عَنْكُمُ غَافِلاً ... فَلَسْتُ بِالْوَانِى وَلَا الْفَاتِرِ

٤٢- وَاسْمَعْ فَإِنِّى طَبِنٌ عَالِمٌ ... أَقْطَعُ مِنْ شِقْشِقَةِ الْهَادِرِ

٤٣- يُقْسِمُ بِاللهِ لَئِنْ جَاءَهُ ... عَنِّى أَذًى مِنْ سَامِعٍ خَابِرِ

٤٤- لَيَجْعَلَنِّى سُبَّةً بَعْدَهَا ... جُدِّعْتَ يَا عَلْقَمُ مِنْ نَاذِرِ

٤٥- أَجِذَعًا تُوعِدُنِى سَادِرًا ... لَسْتَ عَلَى الْأَعْدَاءِ بِالْقَادِرِ

٤٦- انْظُرْ إِلَى كَفٍّ وَأَسْرَارِهَا ... هَلْ أَنْتَ إِنْ أَوْعَدْتَنِى ضَائِرِى

٤٧- إِنِّى رَأَيْتُ الْحَرْبَ إِنْ شَمَّرَتْ ... دَارَتْ بِكَ الْحَرْبُ مَعَ الدَّائِرِ

٤٨- حَوْلِى ذَوُو الْآكَالِ مِنْ وَائِلٍ ... كَاللَّيْلِ مِنْ بَادٍ وَمِنْ حَاضِرِ

٤٩- الْمُطْعِمُو اللَّحْمَ إِذَا مَا شَتَوْا ... وَالْجَاعِلُو الْقُوتَ عَلَى الْيَاسِرِ

٥٠- مِنْ كُلِّ كَوْمَاءَ سَحُوفٍ إِذَا ... جَفَّتْ مِنَ اللَّحْمِ مُدَى الْجَازِرِ

٥١- وَالشَّافِعُونَ الْجُوعَ عَنْ جَارِهِمْ ... حَتَّى يُرَى كَالْغُصْنِ النَّاضِرِ

(٣٩ - ٤١) بما أبقى المواسى له من أمه . المواسى جمع موسى ، يقطع به الشىء الزائد فى العورة وهو الذى نسميه (الطهارة) . الزمن الغابر الذاهب القديم . الملاقى شعب رأس الرحم ، جمع ملقى (كملتى) . الشفر (بضم الشين) والشافر حرف الفرج . واف ضخم . الوانى والفاتر بمعنى واحد وهو الضعيف والبطىء .

(٤٢ - ٤٤) طبن فطن . عالم يعرف أخبار الناس ولا يخفى عليه منها شىء . الشقشقة شىء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج ، ولا يعرف موضعها منه فى غير تلك الحال . هدر البعير ردد صوته فى حنجرته عند الغضب . جدعه (بتشديد الدال) دعا عليه فقال جدعك الله . والجدع القطع . ناذر متهدد .

(٤٥ - ٤٨) الجذع الشاب الحدث ، والذى أخذ فى الأمر حديثا . السادر المتحير ، والذى تحير بصره من شدة الحر . انظر إلى كف ، كانوا ينظرون إلى الكف ويرون فيها دلائل على المستقبل . شمرت الحرب اشتدت ، وكأنها كشفت عن يديها أو ساقيها . الآكال الطعام كانت الملوك تطعمها للأشراف ، البادى الذى يسكن البادية والصحراء . الحاضر الذى يسكن الحاضرة أى المدن .

(٤٩ - ٥١) القوت النفقة . الياسر الذى يلعب الميسر ، أو الداخل فى الميسر . وكان الداخل يفرق ما غنم من اللحم ، وهم يعيرون من يأخذه إلى بيته . إذا ما شتوا ، لأن الشتاء عندهم زمن الشدة والقحط وانقطاع الرزق . الكوماء الناقة الضخمة . السحيفة طبقة الشحم والجمع سحائف ، وناقة سحوف كثيرة السحائف . المدى جمع مدية (بضم الميم) وهى السكين . الجازر الجزار الذى يذبح . الشافعون الدافعون ، والشفع أصله الزوج ، فهو يكون معه ويقف بجانبه ولا يتركه وحده .

٥١- والدافعون الجوع عن جارهم حتى يقوى ويشتد ، ويصير كالغصن المورق النضير .

٥٢- كم فيهم من فرس طويلة سريعة ، ومن جواد سابح نشيط وثاب .

٥٣- ومن درع محكمة الصنع ، ومن سيف قاطع ذى رونق بتار .

٥٤- ومن قوس ذات رنين تُصوِّت حين تدفع بالسهام ، ومن رمح غليظ القناة مرن الكعوب .

ويختم الأعشى قصيدته بأبيات فى الناقة ، يصور فيها جرأته على اقتحام الصحراء وكثرة أسفاره . فيقول :

٥٥- إنى إذا نزلت بى الهموم تسليت بالرحلة فوق ناقة ضخمة جريئة على اقتحام الصحراء ، عاقر لم يذهب بعزمها الحمل والرضاع .

٥٦- تسرع متمايلة وهى تضرب بذنبها حتى إنها لتقذف بالرحل القوى المتماسك العيدان المتمكن من سنامها .

٥٧- وإن لى فوق ظهرها ليوماً عسيراً هو أشد هولا من يوم (حيَّان) أخى (جابر) ،

٥٨- وقد حبس فى حصن عال مشيد ، بنى من حجارة صماء ملساء يزل عنها ظفر الطائر .

٥٩- يجمع كتيبة كثيفة يعلو رجالها الحديد ، لها سطوة وبأس لا يقف فى سبيلها شىء ، فهى تعصف بالحاسر وبالدارع على السواء .

٦٠- شديدة الوقع ، تلمع فوق رجالها الدروع البيضاء ، وقد صفُّوا إلى جانب هذا الحصن المرتفع المنيع .

٥٢— كَمْ فِيهِمُ مِنْ شَطْبَةٍ خَيْفَقٍ ... وَسَابِحٍ ذِي مَيْعَةٍ ضَامِرِ

٥٣— وَكُلِّ جَوْبٍ مُتْرَصٍ صُنْعُهُ ... وَصَارِمٍ ذِي رَوْنَقٍ بَاتِرِ

٥٤— وَكُلِّ مِرْنَانٍ لَهُ أَزْمَلٌ ... وَلَيِّنٍ أَكْعُبُهُ حَادِرِ

٥٥— وَقَدْ أُسَلِّي الْهَمَّ حِينَ اعْتَرَى ... بِجَسْرَةٍ دَوْسَرَةٍ عَاقِرِ

٥٦— زَيَّافَةٍ بِالرَّحْلِ خَطَّارَةٍ ... تُلْوِي بِشَرْخَيْ مَيْسَةٍ قَاتِرِ

٥٧— شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا ... وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

٥٨— فِي مِجْدَلٍ شُيِّدَ بُنْيَانُهُ ... يَزِلُّ عَنْهُ ظُفُرُ الطَّائِرِ

٥٩— بِجَمْعٍ خَضْرَاءَ لَهَا سَوْرَةٌ ... تَعْصِفُ بِالدَّارِعِ وَالْحَاسِرِ

٦٠— بَاسِلَةُ الْوَقْعِ سَرَابِيلُهَا ... بِيضٌ إِلَى جَانِبِهِ الظَّاهِرِ

(٥٢ — ٥٤) شطبة فرس طويلة . خيفق خفيفة سريعة . سابح فرس عداء . ذى ميعة سريع ، ماع الشيء سال وجرى على وجه الأرض . ضمر الفرس وضمر للقيد جمع قوائمه ووثب . جوب ترس . متر ص محكم . صارم قاطع . رونق السيف ماؤه وحلاوته . أرنت القوس صوتت فهي مرنان كثيرة الرنين . الأزمل كل صوت مختلط . لين أكعبة رمح مرن . حادر غليظ .

(٥٥ — ٥٦) اعتراه عرض له ونزل به . جسرة ناقة ضخمة . وكذلك دوسرة . عاقر غير حامل . زاف البعير أسرع فى تمايل . ناقة خطارة تضرب بذنبها يميناً وشمالا . ألوى به ذهب به . الشرخ الحرف الناتىء من الشيء ، وشرخا الرحل آخرته وقادمته ، ولا يزال فلان بين شرخى رحله إذا كان مسافرا . الميسة شجرة تعمل منها الرحال . قتر الشيء ضم بعضه إلى بعض . والقاتر من الرحال والسرج هو الجيد الوقوع على الظهر ، أو اللطيف منها ، الذى يقى الظهر ولا يعقره .

(٥٧ — ٦٠) المجدل القصر . يزل يزلق ولا يستقر لأن أحجاره مصقولة ملساء لا يتعلق بها الظفر . خضراء كتيبة يعلوها الحديد فهى خضراء ، والعرب يسمى الأسود أخضر أحيانا . سورة الشيء حدته وشدته وسطوته . الدارع الذى يلبس الدرع . والحاسر العارى الذى لا درع عليه . غضب باسل ويوم باسل شديد . السربال القميص والدرع . إلى جانبه أى إلى جانب المجدل وهو القصر . الظاهر المرتفع وفعله كظهر (كجمل) اى برز وارتفع . والظهر (بفتح الظاء) ما ارتفع من الأرض .

— ١٩ —

تلى هذه القصيدة القصيدة السابقة . فالذى يبدو من الشعر أن علقمة تهدد الأعشى حين ذاع هجاؤه فى تنفير علقمة عليه . فرد الأعشى على تهدده بهذه القصيدة مستخفا به . وقد بنى الشاعر قصيدته على قافية صعبة هى الصاد ، ألجأته إلى كثير من التكلف والاغراب . وليس أدل على صعوبة القافية من أن الشاعر لم يستطع أن يمضى فى قصيدته إلى أكثر من خمسة وعشرين بيتا . وليس له على هذا الروى بعد ذلك فى ديوانه إلا ستة أبيات فى الاعتذار إلى علقمة (القصيدة ٨١) ، وأربعة عشر بيتا فى مدح آل جفنة (القصيدة ٣١) .

وقد كان من أشد أبيات هذه القصيدة إيلاما لعلقمة قول الأعشى :

تبيتون فى المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يبتن خمائصا

حتى لقد زعم الرواة أن علقمة بكى حين سمعه وقال : قاتله الله ! أنحن كذلك ؟

يقدم الأعشى لقصيدته بأربعة أبيات فى صاحبته عُفَيْرة (تصغير عفراء) فيقول :

١ — لئن أمسيت وقد شخصت من الحى ذاهبا لِطِيَّتى ، فما نلت من (عُفَيْرَة) إلا القليل اليسير .

٢ — إذا جُرِّدَتْ رأيتَ جسمها الأملس يبرق كأنه الذهب ، وقد انسدل عليه شعرها كأنه خطوط الكساء المُعَلَّم .

٣ — تَصَيَّدها شيخ عجوز حين وقعت عليها عينه فى بعض العشيات ، فأصبحت فى (قضاعة) كارهة لزوجها تأتى الكواهن رجاء الخلاص منه .

٤ — فصوبت إليها سهمى فلم يخطئها ، ولكن أصاب أمثالها من نساء الحى فلم يخطئه .

ثم لا يلبث أن يتجه الأعشى إلى (بنى الأحوص) قوم علقمة قائلا :

٥ — لقد بلغنى وعيد بنى الأحوص من آل جعفر . فهلا نهيت يا (عبد عمرو) قومك عن سفههم ؟

٦ — لم أملك حين بلغنى وعيدهم أن أقول : يالبكر بن وائل ! متى كنت ضعيفا كنبت الكَمْأة التافه ينبت فى أصول شجر القَصَائص ؟

٧ — وحولى قومى من بكر ومن اجتمع إليهم ، قد ملأوا (نُبَاكا) و (أَحْوَاضَ الرَّجا) و (النَّواعص)

٨ — وما ذنبى إليك ياعلقمة وقد حكمتنى فوجدتنى عالما بكم وبما دق وخفى من شئونكم .

٩ — كان أبوكم وأبوهم كلاهما شريف ماجد . ولكنهم بنوا إلى مجدهم مجدا ، وهدمتم أنتم ما ورثتم من مجد .

١٠ — فهم الأشراف القاهرون لعدوهم ، وأنتم آخر الثلاثة من بيوت قومكم ، تأكلون القتيل الميت من الحيوان .

١١ — تبيتون فى الشتاء وقد ملأتم بطونكم ، ثم لا تبالون أن تبيت جاراتكم جوعى فارغات البطون ،

١٢ — فهن لا يزلن فى جوعهن يترقبن غفلة الحى فى الليل وطلوع النجوم ، ليخرجن فيلتقطن ما يقوتهن .

وقَالَ يَهجُو علقمَةَ أيضًا :

(طويل)

١ — لَعَمْرِي لَئِنْ أَمسَى مِنَ الْحَيِّ شَاخِصًا ... لَقَدْ نَالَ خَيْصًا مِنْ عُفَيْرَةَ خَائِصًا

٢ — إِذَا جُرِّدَتْ يَوْمًا حَسِبْتَ خَمِيصَةً ... عَلَيْهَا وَجِرْيَالًا يُضِيءُ دُلَامِصَا

٣ — تَقَمَّرَهَا شَيْخٌ عِشَاءً فَأَصْبَحَتْ ... قُضَاعِيَّةً تَأْتِي الْكَوَاهِنَ نَاشِصَا

٤ — فَأَقْصَدَهَا سَهْمِي وَقَدْ كَانَ قَبْلَهَا ... لِأَمْثَالِهَا مِنْ نِسْوَةِ الْحَيِّ قَارِصَا

٥ — أَتَانِي وَعِيدُ الْحُوصِ مِنْ آلِ جَعْفَرٍ ... فَيَا عَبْدَ عَمْرٍو لَوْ نَهَيْتَ الْأَحَاوِصَا

٦ — فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ - أَبَكْرَ بْنَ وَائِلٍ ... مَتَى كُنْتُ فَقْعًا نَابِتًا بِقَصَائِصَا

٧ — وَقَدْ مَلَأَتْ بَكْرٌ وَمَنْ لَفَّ لِفَّهَا ... نُبَاكًا فَأَحْوَاضَ الرَّجَا فَالنَّوَاعِصَا

٨ — أَعَلْقَمُ قَدْ حَكَّمْتَنِي فَوَجَدْتَنِي ... بِكُمْ عَالِمًا عَلَى الْحُكُومَةِ غَائِصَا

٩ — كِلَا أَبَوَيْكُمْ كَانَ فَرْعًا دِعَامَةً ... وَلَكِنَّهُمْ زَادُوا وَأَصْبَحْتَ نَاقِصَا

١٠ — هُمُ الطَّرَفُ النَّاكُو الْعَدُوَّ وَأَنْتُمُ ... بِقُصْوَى ثَلَاثٍ تَأْكُلُونَ الْوَقَائِصَا

١١ — تَبِيتُونَ فِي الْمَشْتَى مِلَاءً بُطُونُكُمْ ... وَجَارَاتُكُمْ غَرْثَى يَبِتْنَ خَمَائِصَا

١٢ — يُرَاقِبْنَ مِنْ جُوعٍ خِلَالَ مَخَافَةٍ ... نُجُومَ السَّمَاءِ الطَّالِعَاتِ الشَّوَاخِصَا

(١ — ٣) الخيص القليل ، والخائص مثله ، توكيد له . جردت نزعت عنها ثيابها فأصبحت عارية . الخميصة كساء أسود مربع مخطط بخطين ، شبه به شعرها . الجريال الذهب شبه به جسمها في ملاسته وبريقه . دلامص لماع . تقمر الظباء تصيدها في القمراء ، وتقمر المرأة تزوجها . قضاعية لأنها تزوجت رجلا من قبيلة قضاعة . نشصت المرأة على زوجها فهي ناشص كرهته وملت صحبته .

(٤ — ٦) أقصده السهم أصابه فلم يخطئه . الحوص ضيق العينين ، والحوص هم بنو الأحوص قوم علقمة ، عبد عمرو زعيمهم وهو عبد عمرو بن الأحوص . لو نهيت أي هلا نهيتهم . الفقع الأبيض الرخو من الكمأة . والكمأة نبات يقال له شحمة الأرض وهو أصل مستدير كالقلقاس لا ساق له ولا عرق لونه إلى الغبرة ، يضرب به المثل في الذل ، لأنه يجتنى بسهولة أو لأن الأقدام تدوسه . قصائص جمع قصيصة وهي شجرة تنبت في أصلها الكمأة .

(٧ — ٩) اللف (بكسر اللام) الجماعة من الناس والحزب . غائصا من الغوص وهو التعمق في المعرفة . الدعامة عماد البيت . والدعامتان الخشبتان تنصب عليهما البكرة فوق البئر .

(١٠ — ١٢) نكأ العدو قتل فيهم وجرح وأثخن . أقصى الشيء آخره وأبعده . الوقائص والوقائذ المكسورة الأعناق ، أي أنهم يأكلون الميتة من البهائم التي سقطت فكسرت عنقها . المشتى بيت الشتاء أو زمن الشتاء . الغرثان والخميص الجائع الضامر البطن .

١٣ — ففيم وعيدك ؟ أتوعدنى اتكالا على شرف ابن عمك (عامر) أن جاش بحره ، وبحرك ساكن راكد لا يوارى أحقر الديدان ؟

١٤ — فلو كنتم نخلا ما كنتم إلا حثالة التمر ، ولو كنتم نَبْلاً ما كنتم إلا أردأ السهام .

١٥ — وإنما قذف بك فى أقصى القوم وفضل الناسَ عليك مراتب ودرجات ، أنك خامل لا تأخذ بأسباب المجد.

١٦ — فعض وجه الأرض بفيك إن كنت ساخطاً . أو عض أحجار (الكلاب) الراسية .

١٧ — فأن تهددنى أتهددك بمثل ما تهدد ، وأزيد على التهدد ما يبقى أثره ويؤلم لذعه .

١٨ — شِعْراً يذهب مذهب الأمثال ، ويظهر فى جلدك كالرقعة زيدت فى عرض القميص .

١٩ — وليس عداؤنا بالجديد . فقد كان كبيرنا وكبيركم إذا التقيا عدوين متباعدين يتقاذفان ويتراميان .

٢٠ — وما أظن أن الحروب الطويلة التى تُركَبُ فيها الإبل وتُجنَبُ الأفراس فتتقدمها ، تركت بيننا من المودة ما نحرص على استبقائه .

٢١ — فهل كنتم إلا عبيداً ؟ وهل أنتم حين يُعَدُّ الصديق إلا مخادعون كذابون يبدو الحقد فى عيونكم الخُوصِ الغائرة ؟

٢٢ — وما أرى نكوصكم عن حقكم سيجديكم نفعاً ، يوم لا ينبغى للكريم أن ينكص على عقبيه .

٢٣ — فأن قدر لقومى وقومك أن يلتقِيا ، فسترى قتالا مريرا تتكسر فيه الرماح ويكثر فيه الطعان .

٢٤ — وإن لنا من القوة والثروة لما يجعلنا حقيقين أن نثيرها حربا شعواء . فما كنا فى وادى (العَرْض) مليئة بالنخيل والزروع وعلف الدواب .

٢٥ — تشرف من بينها قصورنا الباذخة التى يقصر الطير عن بلوغ شُرُفاتها ويعشش فيها الحمام .

١٣— أَتُوعِدُنِي أَنْ جَاشَ بَحْرُ ٱبْنِ عَمِّكُمْ ... وَبَحْرُكَ سَاجٍ لَا يُوَارِي الدَّعَامِصَا

١٤— فَلَوْ كُنْتُمُ نَخْلًا لَكُنْتُمْ جُرَامَةً ... وَلَوْ كُنْتُمُ نَبْلًا لَكُنْتُمْ مَعَاقِصَا

١٥— رَمَى بِكَ فِي أُخْرَاهُمُ تَرْكُكَ الْعُلَى ... وَفَضَّلَ أَقْوَامًا عَلَيْكَ مَرَاقِصَا

١٦— فَعَضَّ حَدِيدَ الْأَرْضِ إِنْ كُنْتَ سَاخِطًا ... بِفِيكَ وَأَحْجَارَ الْكُلَابِ الرَّوَاهِصَا

١٧— فَإِنْ تَتْعِدْنِي أَتْعِدْكَ بِمِثْلِهَا ... وَسَوْفَ أَزِيدُ الْبَاقِيَاتِ الْقَوَارِصَا

١٨— قَوَافِيَ أَمْثَالًا يُوَسِّعْنَ جِلْدَهُ ... كَمَا زِدْتَ فِي عَرْضِ الْقَمِيصِ الدَّخَارِصَا

١٩— وَقَدْ كَانَ شَيْخَانَا إِذَا مَا تَلَاقَيَا ... عَدُوَّيْنِ شَتَّى يَرْمِيَانِ الْفَرَائِصَا

٢٠— وَمَا خِلْتُ أَبْقَى بَيْنَنَا مِنْ مَوَدَّةٍ ... عِرَاضُ الْمَذَاكِي الْمُسْنِفَاتِ الْقَلَائِصَا

٢١— فَهَلْ كُنْتُمُ إِلَّا عَبِيدًا وَإِنَّمَا ... تُعَدُّونَ خُوصًا فِي الصَّدِيقِ لَوَامِصَا

٢٢— تَخَامُصُكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ غَيْرُ طَائِلٍ ... عَلَى سَاعَةٍ مَا خِلْتُ فِيهَا تَخَامُصَا

٢٣— فَإِنْ يَلْقَ قَوْمِي قَوْمَهُ تَرَ بَيْنَهُمْ ... قِتَالًا وَأَكْسَارَ الْقَنَا وَمَدَاعِصَا

٢٤— أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعِرْضَ أَصْبَحَ بَطْنُهَا ... نَخِيلًا وَزَرْعًا نَابِتًا وَفَصَافِصَا

٢٥— وَذَا شُرُفَاتٍ يَقْصُرُ الطَّيْرُ دُونَهُ ... تَرَى لِلْحَمَامِ الْوُرْقِ فِيهِ قَرَامِصَا

(١٣ — ١٥) جاش البحر غلا بالماء واضطرب . ساج ساكن لهمانه . الدعامص جمع دعموص (بضم الدال) وهى دودة سوداء تكون فى الغدران إذا قل ماؤها . الجرامة حثالة التمر . المعاقص جمع معقص (بكسر الميم) وهو السهم المعوج أو الذى انكسر نصله . مراقصاً لعله تحريف مراهصاً والمرهصة المنزلة والمرتبة .

(١٦ — ١٨) حديد الأرض وجهامن الجدد وهو الغلظ . الكلاب موضع . الرواهص من الصخور المتراصفة الثابتة ، والواحدة راهصة . الباقيات القصائد التى تبقى على ألسن الرواة ولا تنسى . أمثالا يقصد ذائعة تسير سيرورة المثل . الدخارص واحدها دخرص (بكسر الدال والراء) أصله فارسى ، وهو كل رقعة تزاد فى ثوب أو دلو لتوسعه .

(١٩ — ٢١) الشيخ كبير القوم . قوم شتى من قبائل متفرقة . الفريصة لحمة بين الثدى والكتف ترعد عند الفزع . المذاكى من الخيل التى قد بلغت أسنانها . المسنفات المتقدمات . القلائص الابل . وكانوا فى غاراتهم يركبون الابل ويسوقون أمامها الخيل فلا يركبوها إلا إذا قاربوا موضع الغارة حتى لا يتعبوها ويجهدوها ، ليتزلوا بها إلى القتال موفورة القوة والنشاط . خوص جمع أخوص وهو الذى ينظر بشق عينيه بغضاً أو عداوة. لوامص جمع لموص وهو الكذاب الخداع .

(٢٢ — ٢٥) تخامصكم عن حقكم تجافيكم عنه وتركِكُم له . غير طائل غير مجد . المداعص الرماح . العرض واد باليمامة وهى موطن الأعشى . الفصفصة (بكسر الفاء) نبات تعلفه الدواب . يقصر الطير دونه لاتبلغه لعلوه وارتفاعه . الورقاء الحمامة التى يضرب لونها إلى الخضرة . القرموص الوكر والعش .

—٢٠—

يتصل موضوع هذه القصيدة بموضوع القصيدة (١٠) فهما فى هجاء شيبان بن شهاب الجحدرى ، أحد سادة بنى جحدر (ربيعة بن ضبيعة) ، وهم أبناء عمومة (سعد بن ضبيعة) بيت الأعشى[1].

والأعشى يتناول فى هذه القصيدة بعض بنى فزارة بالهجاء ، مصغراً من شأنهم ، حاطاً من قدرهم ، مقارناً بينهم وبين أشراف قومهم. والظاهر أن هؤلاء الذين يهجوهم من (فزارة) كانوا يعينون بنى جحدر على قوم الأعشى .

وهذا النوع من الشعر يدخل فى الشعر السياسى كما عرفه الجاهليون ، حين كان الوطن لا يتجاوز القبيلة .

وتصور هذه القصيدة الشعر القبلى : الذى ينطق فيه الشاعر بلسان قبيلته . ويحتاج الذى يتصدى لمثل هذا القصد إلى الاحاطة بالأنساب والأخبار وتكثر فى مثل هذا اللون من الشعر الاشارات التاريخية للأفراد والوقائع . بما يجعله أشبه بالسرد التاريخى وتقرير الواقع فى كثير من مواضعه . ولكنه تاريخ ضيق الأفق والنطاق . لأنه لا يتجاوز نطاق القبيلة كما قدمنا .

يقدم الأعشى لقصيدته بمقدمة طويلة ، يتغنى فيها بصاحبته (عُفَارة) ويذكريات شبابه ، فيقول :

١ ـــ أى جارة كنت لى ياصاحبتى ، وأى حزن أورثتنى من بعْدك !

٢ ـــ كانت ترضيك بتدللها وبجهالها الذى تخالطه السذاجة وحداثة السن .

٣ ـــ تبدو بشرتها بيضاء فى النهار ، فإذا دخل المساء وتطيبت بالطيب بدت صفراء كأنها نور (العرّار)

٤ ـــ أسرت قلبك حين بدت من وراء الستارة تبتسم ومن خلفها سريرها المزين الوثير .

٥ ـــ بقوامها الحسن الذى جمع بين الطول وجمال التنسيق .

٦ ـــ تثنى فى ثوبها المشقوق الذى يكشف عن ذراعيها ، وقد اتزرت فوقه بمِلْحَفَتِها كأنها النشوان .

٧ ـــ ....

٨ ـــ ....

٩ ـــ وتتيه بجيدها الصقيل الطويل وكأنه جيد غزال ، ووجهها الفاتن النضير .

١٠ـــ أسنانها صافية كالبلور ، تبرق أطرافها ، ويشق لثها المتيم ، ويثلج لوعته وحرارته .

١١ـــ كأنها أوراق زهر (الأقحوان) البيضاء ، قد صفى لونها ، وارتفع ساقها ، وقد نبتت فى منخفض استقر فيه الماء .

١٢ـــ وتسترسل غدائر شعرها الأسود على كَفَلِها الوثير الرجراج .

---

(١) راجع القصيدة (١٠)

وَقَالَ يَهْجُو شَيْبَانَ بْنَ شِهَابٍ الجَحْدَرِيَّ :

(مجزوء الكامل)

١ — يَا جَارَتِي مَا كُنْتِ جَارَهْ   بَانَتْ لِتَحْزُنَنَا عَفَارَهْ
٢ — تُرْضِيكَ مِنْ دَلٍّ وَمِنْ   حُسْنٍ مُخَالِطُهُ غَرَارَهْ
٣ — بَيْضَاءُ ضَحْوَتُهَا وَصَفْـ   ـرَاءُ العَشِيَّةِ كَالعَرَارَهْ
٤ — وَسَبَتْكَ حِينَ تَبَسَّمَتْ   بَيْنَ الأَرِيكَةِ وَالسِّتَارَهْ
٥ — بِقَوَامِهَا الحَسَنِ الَّذِي   جَمَعَ المَدَادَةَ وَالجَهَارَهْ
٦ — كَتَمَيُّلِ النَّشْوَانِ يَرْ   فُلُ فِي البَقِيرَةِ وَالأَزَارَهْ
٧ — .... هِرَارَهْ
٨ — .... العَمِيمِ بِلَاقِصَارَهْ
٩ — وَبِجِيدِ مُغْزِلَةٍ إِلَى   وَجْهٍ تُزَيِّنُهُ النَّضَارَهْ
١٠— وَمَهًا تَرِفُّ غُرُوبُهُ   يَشْفِي المُتَيَّمَ ذَا الحَرَارَهْ
١١— كَذُرَى مُنَوِّرِ أُقْحُوَا   نٍ قَدْ تَسَامَقَ فِي قَرَارَهْ
١٢— وَغَدَائِرٍ سُودٍ عَلَى   كَفَلٍ تُزَيِّنُهُ الوَثَارَهْ
١٣— وَأَرَتْكَ كَفًّا فِي الخِضَا   بِ وَمِعْصَمًا مِلْءَ الجِبَارَهْ
١٤— وَإِذَا تُنَازِعُكَ الحَدِيـ   ـثَ ثَنَتْ وَفِي النَّفْسِ ازْوِرَارَهْ

(١ — ٣) ماكنت أى كنت وما فى موضع نصب خبر كان . دلت المرأة على زوجها أظهرت الجرأة عليه فى تغنج ، كأنها تخالفه وما بها خلاف . الغرارة التصابى والغفلة وحداثة السن . صفراء العشية لأنها تتزين وتطلى جسمها بالزعفران والطيب . العرارة شجر له نور أصفر قدر شبر .

(٤ — ٨) الأريكة سرير منجد مزين فى قبة أو بيت . جهر مرآه جميله وهيئته . البقيرة ثوب يشق فيلبس بلا أكمام . الإزار الملحفة وكل ماستر .

(٩ — ١٢) مغزلة معها غزال ، أى غزالة ترعى ولدها ، فهو أجمل لها وأظهر لحنانها ووداعتها . النضارة الجمال . المها البلور. ترف تبرق . غرب كل شىء أوله وحده . المتيم الذاهب العقل . ذرى الشىء أعاليه . منور أخرج النور أو الزهر . الأقحوان نبت طيب الرائحة حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر . تسامق علا وارتفع . قرارة الماء مستقره . الكفل المؤخرة . الوثارة كثرة اللحم والطراوة .

(١٣ — ١٤) الجبارة سوار عريض . ازور عدل وانحرف .

١٣— يزين كفها الخضاب ، ويملأ معصمها السوار .

١٤— إذا نازعتك الحديث انثنت معرضة عنك فى دلال .

١٥— نائية عن هواك ، فما ترجو لحبك المكظوم فى صدرك أن يؤتى الثمار .

١٦— ولقد تعود إلى اللين والمياسرة أحياناً فتحيى فى نفسك الأمل ، ولكنها لا تلبث أن ترجع لما تعودت من الشح والإعسار .

١٧— ذهبت بلبك ثم لم تنولك منها منالا ، على طول ما صبرتَ وكتمتَ همك مظهرا الحلم والوقار .

١٨— وما منعها أن تسخو فتثيبك على حبك وقد استطار

١٩— إلا أن أمرك كان هينا عليها ، وقد حال من دونها الباب واحتوتها الدار .

٢٠— ورأت الشيب وقد اشتملك فجانبه البشاشة والجمال .

٢١— فاصبر فأنك طالما أفنيت عمرك فى الخسارة .

٢٢— ولقد آن لك أن تفيق مما أنت بسبيله من الصبابة والدعارة

٢٣— بعد أن استمتعت بالحياة فى شتى ألوانها ، ولبست من نعيم العيش ما تشتهى وتريد .

٢٤— وأصبت لذات الشباب تيّاها متبختراً ، ونعمت ناره .

٢٥— فشربتَ الراح تُسقاها فى آنيتها وأكوابها .

٢٦— حتى إذا أخذت منك مأخذها اشتمل عليك الدوار ، وغشيتك النشوة .

ويتهى الشاعر من هذا الحديث الذى يسترجع به بعض ذكريات شبابه وقد أدركته الشيخوخة ليأخذ فيما هو بسبيله من مهاجة خصمه ، فيبدأ ذلك ببعض من أغراهم (شيبان بن شهاب) من (بنى فزارة الذبيانى) فأغاروا (بنى جحدر) على قومه . فيقول :

٢٧— دع عنك كل ذلك واقصد لغيره ، فشيطانى (مِسْحَل) يريد اليوم أن يذيع شراً منكراً .

٢٨— يعدو على الأعداء مضيقاً عليهم ، لا يستسلم لقوة ولا يُغلَب على أمر .

١٥— مِنْ سِرِّكَ الْمَكْتُومِ تَنْـ ... أَى عَنْ هَوَاكَ فَلَا ثَمَارَهْ

١٦— وَتَثِيبُ أَحْيَانًا فَتَطْـ ... مَعُ ثُمَّ تُدْرِكُهَا الْغَرَارَهْ

١٧— تَبْلَتْكَ ثُمَّتَ لَمْ تُنِلْـ ... كَ عَلَى التَّجَمُّلِ وَالْوَقَارَهْ

١٨— وَمَا بِهَا أَنْ لَا تَكُو ... نَ مِنَ الثَّوَابِ عَلَى يَسَارَهْ

١٩— إِلَّا هَوَانَكَ إِذْ رَأَتْ ... مِنْ دُونِهَــا بَابًا وَدَارَهْ

٢٠— وَرَأَتْ بِأَنَّ الشَّيْبَ جَا ... نَبَهُ الْبَشَاشَةُ وَالْبِشَارَهْ

٢١— فَاصْبِرْ فَإِنَّكَ طَالَمَا ... أَعْمَلْتَ نَفْسَكَ فِي الْخَسَارَهْ

٢٢— وَلَقَدْ أَنَى لَكَ أَنْ تُفِيـ ... قَ مِنَ الصَّبَابَةِ وَالدَّعَارَهْ

٢٣— وَلَقَدْ لَبِسْتُ الْعَيْشَ أَجْـ ... مَعَ وَارْتَدَيْتُ مِنَ الْأَبَارَهْ

٢٤— وَأَصَبْتُ لَذَّاتِ الشَّبَا ... بِ مُرَفَّلًا وَنَعِمْتُ تَارَهْ

٢٥— وَلَقَدْ شَرِبْتُ الرَّاحَ أَسْـ ... قَى مِنْ إِنَاءِ الطُّهْرِجَارَهْ

٢٦— حَتَّى إِذَا أَخَذَتْ مَا ... خَذَهَا تَغَشَّتْنِي اسْتِدَارَهْ

٢٧— فَاعْمِدْ لِنَعْتِ غَيْرِ هَـ ... ذَا مِسْحَلٌ يَنْعِي النَّكَارَهْ

٢٨— يَعْدُو عَلَى الْأَعْدَاءِ قَصْـ ... رًا وَهْوَ لَا يُعْطَى الْقَسَارَهْ

٢٩— وَسْمَ الْمُسْــلُوبِ فَإِنَّهُ ... أَبْقَى عَلَى الْقَوْمِ اسْتِنَارَهْ

٣٠— .... رَهْ

(١٥ — ١٨) ثمارة من ثمر الشجر (كثمر) أى طلع ثمره . تثيب تعاود . غارت الناقة (بتشديد الراء) غرارا نقص لبنها . تبله الحب أسقمه وأتلفه . تجمل التفيرلم يظهر على نفسه السكنة والذل . الوقار الرزانة والحلم . اليسارة السهولة والغنى .

(١٩ — ٢١) الدارة الأرض السهلة تحيط بها الجبال ، وكل موضع يدار به شىء فهو دارة . البشارة الجمال .

(٢٢ — ٢٥) أنى لك آن لك . لبس العيش خبره ولازمه ملازمة الثوب للابسه . أبر الرجل (كفرح) صلح حاله . ترفل تبختر كبرا . الطهر جارة والطهر جالة الفنجانة .

(٢٦ — ٣٠) للمسحل الحمار ، وهو اسم شيطان الأعشى . ينعى عليه ذنوبه أى يظهرها ويشهرها . النكر الداهية والفطنة ، وكذلك النكارة . قصره فى بيته قصرا حبسه ، وقصره على الأمر رده إليه . قسره على الأمر أكرهه عليه وقهره . وسمه أعلمه بالكى . العلب (بفتح فسكون) الأثر والحز . استنارة وضوحا . واستنار عليه ظفر به وغلبه .

٢٩- يترك على القوم آثاراً كحزّ المكواة، تبقى ظاهرة لا تزول.

٣٠- ....

٣١- إننا لا ينقصنا الشرف ولا تعوزنا القوة، حين يحتاج غيرنا من الضعفاء المقصّرين إلى المدد والعون.

٣٢- ولا نشبه: (الخشرمَيْن) و (مالك) و (أبى زُخارة)

٣٣- و (بنى بُدَيْد). أولئك هم أهل اللؤم والذل والهوان.

٣٤- ليسوا بأكفاء حين توازنهم بأخوَيْ (فزارة) الماجدين.

٣٥- (بدر) و (حصن)، سيدَيْ (قيس عيلان) بما ضمت من قبائل كثيرة وجماعات.

٣٦- ولا هم يقاسون إلى (هرم بن قُطْبة) و (هَرِم بن سِنان) فى بيت الحكومة والفضل.

٣٧- ولا إلى (قيس بن زهير) ولا (الربيع بن زياد) ولا (عُمارة بن زياد) سادة عبس.

٣٨- ولا إلى (خارجة بن سنان) الذى حقن دماء قومه، وتولى عنهم دفع ديات القتلى متكفلا بها [١].

ثم يتجه الشاعر إلى شَيْبان بن شِهاب الجَحْدَرِىّ الذى يتهمه بتهييج الشر بين الحيين، وبإغراء هذا النفر من بنى فَزارة، فيقول:

٣٩- لقد حملتَ هؤلاء القوم على مركب صعب سينتهى بهم إلى الدمار.

٤٠- ولقد علمتَ ما فى الحرب من ضيق ومكاره لا أراك تصبر لها.

٤١- وليحبسنك هذا الضيق بأيدينا فيعصرك عصراً.

٤٢- ولسوف تعبس لمشهد الرماح حتى تبدو أسنانك فى فزعك، وما تبدو لضحكٍ أو ابتسام.

٤٣- ولتزهقن روحك حتى تسير فوق لحيتك حين لا سبيل إلى الرجوع.

(١) كل من ذكرهم الشاعر فى الأبيات ٣٠ — ٣٨ من رجال عبس وذبيان المشهورين فى حرب داحس والغبراء التى جرت بينهما.

٣١— لَا نَاقِصِي حَسَبٍ وَلَا ‏ ‏ أَيْدٍ إِذَا مُدَّتْ قِصَـارَهْ

٣٢— .... نِي بِٱلْحَشْرَمْـ ‏ ‏ ـنِ وَمَالِكٍ وَأَبِي زُعَارَهْ

٣٣— وَبَنِي بُدَيْدٍ إِنَّهُـمْ ‏ ‏ أَهْـلُ اللَّآمَةِ وَالصَّغَارَهْ

٣٤— لَيْسُوا بِعِدْلٍ حِينَ تَنْـ ‏ ‏ ـسُبُهُمْ إِلَى أَخَوَيْ فَزَارَهْ

٣٥— بَدْرٍ وَحِصْنٍ سَيِّدَيْ ‏ ‏ قَيْسِ بْنِ عَيْلَانَ ٱلْكُثَارَهْ

٣٦— وَلَا إِلَى ٱلْهَرِمَيْنِ فِي ‏ ‏ بَيْتِ الْحُـكُومَةِ وَٱلْخِيَارَهْ

٣٧— وَلَا إِلَى قَيْسِ ٱلْحِفَا ‏ ‏ ظِ وَلَا الرَّبِيعِ وَلَا عُمَارَهْ

٣٨— وَلَا كَخَارِجَةَ ٱلَّذِي ‏ ‏ وَلِيَ ٱلْحَمَالَةَ وَٱلصَّبَارَهْ

٣٩— وَحَمَلْتَ أَقْوَامًا عَـلَى ‏ ‏ حَدْبَاءَ تَجْعَلُهُمْ دَمَارَهْ

٤٠— وَلَقَدْ عَلِمْتَ لَتَكْرَهَـ ‏ ‏ ـنَّ ٱلْحَرْبَ مِنْ أَصْرٍ وَغَارَهْ

٤١— وَلَسَوْفَ يُخْبِرُكَ ٱلْمُضِيـ ‏ ‏ ـقُ بِنَا فَتُعْتَصَرُ ٱعْتِصَارَهْ

٤٢— وَلَسَوْفَ تَكْلَحُ لِلْأَسِنَّـ ‏ ‏ ـةِ كَلْحَةً غَـيْرَ ٱفْتِرَارَهْ

(٣١ — ٣٥) الحسب ما يعد من مفاخر الآباء . الأيد القوة . مدت من مد القوم أى صار لهم مددا وأمدهم بنفسه . قصارة جمع قصيرة ، ويقصد بها الضعاف الذين يحتاجون للعون والمدد من غيرهم . مالك بن بدر الفزارى . الصغارة الهوان والذل . العدل النظير . فزارة من ذبيان ، وأخوا فزارة هما اللذان بينهما فى البيت التالى . حذيفة بن بدر صاحب داحس والغبراء . حصن بن حذيفة ابن بدر الفزارى الذى طلب بدم حذيفة أبيه فى حرب داحس والغبراء التى كانت بين عبس وذبيان ، وفزارة كما قلنا من ذبيان . وعبس وذبيان أبناء عم ينتهى نسبهم إلى قيس عيلان . كثره غلبه فى كثرة العدد فهو كثر (بفتح الكاف) وكثير وكثار (بضم الكاف) .

(٣٦) الهرمين هما هرم بن سنان بن حارثة المرى صاحب زهير الشاعر ومضرب المثل فى الجود ، وهرم بن قطبة بن سنان الفزارى أحد حكام قيس ، وهو أحد الذين حكموا فى منافرة عامر وعلقمة . بيت الحكومة ، الذين يحكمون بين الناس فى خصوماتهم ويلجئون إليهم لعرفهم فيرضون حكمهم . خيار الشىء أفضله .

(٣٧) قيس بن زهير من زعماء عبس ، وهو الذى راهن حذيفة بن بدر على فرسيه داحس والغبراء بفرسيه الخطار والحنفاء ، فكان ذلك سبب الحرب بين الحيين . الحفاظ الأنفة والذب عن المحارم . الربيع بن زياد أحد زعماء بنى عبس كان نديما للنعمان ملك الحيرة . عمارة بن زياد من زعماء عبس .

(٣٨) خارجة بن سنان ، تحمل بعض حمالات الحرب بين عبس وذبيان . الحمالة الغرامة والدية يحملها قوم عن قوم . وكان القتال إذا طال بين الحيين قام أحد أشراف الحى فيتعهد على نفسه بدفع ديات القتلى من الحى الآخر ، ويدفع ذلك من عنده أو يستعين بنفوذه على جمعه من الأحياء الأخرى . الصبارة الكفالة .

(٣٩ — ٤٢) الحدباء الناقة التى بدت عظامها من الهزال فهى تتعب راكبها . والحدباء السنة الشديدة ، والأمور الهائلة . الأصر الكسر والحبس . الكلوح ظهور الأسنان عند العبوس . افتر تبسم وضحك .

٤٥— ....

٤٦— وعند ذاك تعلم أنك قد أثرت الشر بما قدمت يداك ، وأطرته وقد كان راقدا .

٤٧— وعند ذاك يصدق ما ظننت وما أردت من قطع صلات القرابة . فلن تكون إلا الحرب . لا اجتماع ، ولا زيادة ،

٤٨— ولا براءة لبرىء ، ولا إسجاحَ ولا انقياد ، ولا حُرْمَةَ ولا جوار .

٤٩— لن يكون بيننا إلا مفاجأة فرس طويل العنق والقوائم ، يستنفد القتالُ العُلالَةَ الباقية من نشاطه ،

٥٠— أو فرسة طويلة ملساء تثب بالفارس يغطى جسمهَ ورأسه الدرعُ والمِغْفَر .

٥١— تنطلق فى الصباح بفرسان كأنهم أسود (الرَّقْمَتَيْن) قد لزمت الغاب والآجام ، فى حمرتهم الدكناء .

٥٢— ولقد يعلم (بنو ضبيعة) أن الشراسةَ بعضُ خُلقِ الجرىء الشجاع .

٥٣— إنا لنواجه من يواجهم ، ونُثْخِنُ ذا العداوة بالقتل والجراح .

٥٤— وليس قتالنا قرعا بالعصى ، ولا هو قذفا بالحجارة .

٥٥— ....

٥٦— ولكنه ضرب بالسيف الأبيض الصارم ، يتموّج نصله بالخطوط التى تكشف عن أصالته .

٥٧— ماضى الحد بتار ، يشفى النفوس مما تجد من حرارة الحقد والغيظ .

٥٨— فلتلحقنَّك بمن سلف من (بنى مِنْقَر) و (بنى زُرَارة)

٥٩— ولنذلنَّكم فتكونون كأبناء هؤلاء الذين قتلهم (عمرو بن هند) (يوم القُصَيْبَة) فى (أوارة)

٤٣-- وَتَسِيرُ نَفْسُ فَوْقَ لَحْـ ـيَيْهَا وَلَيْسَ لَهَـا إِحَارَهْ

٤٤— وَتَر .... سَارَهْ

٤٥— رَبْذِينَ فِى ٱلْأَفْزَاعِ يَبْـ ....ن ....ارَهْ

٤٦— وَهُنَاكَ تَعْلَمُ أَنْ مَا قَدَّمْتَ كَانَ هُوَ ٱلْمَطَارَهْ

٤٧— وَهُنَاكَ يَصْدُقُ ظَنُّكُمْ أَنْ لَا ٱجْتِمَاعَ وَلَا زِيَارَهْ

٤٨-- وَلَا بَرَاءَةَ لِلْبَرِى ءِ وَلَا عِطَاءَ وَلَا خُفَارَهْ

٤٩— إِلَّا عُـلَالَةَ أَوْ بُدَا هَةَ سَابِحٍ نَهْدِ ٱلْجُزَارَهْ

٥٠— أَوْ شَطْبَةٍ جَرْدَاءَ تَضْـ ـبِرُ بِٱلْمُدَجَّجِ ذِى ٱلْغَفَارَهْ

٥١— تَغْدُو بِأَكْلَفَ مِنْ أُسُو دِ ٱلرَّقْمَتَيْنِ حَلِيفِ زَارَهْ

٥٢— وَبَنُو ضُبَيْعَةَ يَغْـلُو نَ بَوَارِدَ ٱلْخُلُقِ ٱلشَّرَاسَهْ

٥٣— إِنَّا نُوَازِى مَنْ يُوَا زِيهِمْ وَنَنْكِى ذَا ٱلضَّرَارَهْ

٥٤— لَسْنَـا نُقَاتِلُ بِٱلْعِصِـ ـىِّ وَلَا نُرَامِى بِٱلْحِجَـارَهْ

٥٥— .... ٱلْبِكَارَهْ

٥٦— .... ذِى شُطَبٍ مِنَ ٱلْبِيضِ ٱلذُّكَارَهْ

٥٧— قَضِمِ ٱلْمَضَـارِبِ بَاتِرٍ يَشْفِى ٱلنُّفُوسَ مِنَ ٱلْحَرَارَهْ

(٤٣ — ٤٥) حار يحور رجع ، وأحار الشيء رده . ربذين سراع . الافزاع جمع فزع وهو الاغاثة ، تقول فزعتهم أى أغثتهم .

(٤٦ — ٤٨) المطارة من أطار الطائر إطارة أى نفره وجعله يطير . العطاء الانقياد من عاطى يده إذا انقاد . الخفارة (بكسر الخاء وضمها) الذمام ، من خفره أى أجاره وحماه وأمنه .

(٤٩ — ٥١) العلالة البقية من الشيء . البداهة الفجاءة. سابح فرس يسبح بيديه فى العدو . نهد ضخم القوائم . الجزارة أطراف الجزور وهى اليدان والرجلان والرأس ، سميت بذلك لأن الجزار يأخذها فهى جزارته . الشطبة الفرس السبطة اللحم .جرداء ملساء. تضبر الفرس والمقيد جمع قوائمه ووثب . المدجج المغطى بالسلاح . الغفارة المغفر الذى يلبسه المحارب فى رأسه . تغدو تنطلق فى الصباح . أكلف فى لونه حمرة تميل إلى السواد . الزارة الأجمة . الرقمتان روضتان بناحية الصمان . والرقمة جانب الوادى أو مجتمع مائه .

(٥٢ — ٥٥) بنو ضبيعة فرع من بكر وهو الجد الذى يجتمع فيه الأعشى بعيان بن شهاب الجحدرى . الوارد الجرىء والسابق والشجاع. الشراسة مصدر من شرس الرجل أى ساء خلقه . وازاه قابله وواجهه . نكى فى العدو نكاية أكثر الجراح . الضرارة العداوة .

(٥٦ — ٥٧) شطب جمع شطبة (بكسر فسكون) وهى طريقة السيف أو الواحدة من الخطوط التى فى متنه . قضم الشيء (كعلم وضرب) أكله بأطراف أسنانه . المضارب جمع مضرب اسم مكان أى حد السيف .

٦٠- لجروا على ما ألفوا من خنوع واستكانة ، ولكل عادات أمارة .

٦١- وعصارة العود تنبىء عن نوعه ، ولكل عيدان عصارة .

٦٢- إنا لنفرض أنفسنا على المياه ونَرِدُهَا أوَّلَ الواردين ، ولا نُسْتَذَلُّ ولا نُطْرَدُ عليها كما تطرد الكلاب

٦٣- فاعرف قدر نفسك قبل أن توردها موارد الهلاك ، وانظر كيف ورطتها فى الحرج والضيق .

٦٤- فأنى زعيم بأن تعضك الحرب عضة عقوراً .

٦٥- ولقد حلفت لتصبحن فى حيرة تعمى عليك فيها السبل جزاء بعض ظلمك الذى جنيت .

٦٦- ولتشربن غارتنا فى الصباح كأساً من السم مرة العواقب وخيمة الآثار .

٦٧- ولقد علمتم حين يُنْسَبُ كل حى ذى نعمة ويسار .

٦٨- أنَّا عريقون فى العز والمجد ، ورثناه ثابتاً ، نحل منه فى أفضل مراتبه .

٦٩- لنا دونكم العدد الجم الكثير . وما أرى لكم بعد ذلك عقولا .

٧٠- فلقد كنتم لصوص ليل ، وغدا تصبحون عُزَّابًا حين تسبى نساؤكم فى الحروب .

٥٨— وَتَكُونُ فِي ٱلسَّلَفِ ٱلْمُوَا	زِي مِنْقَرًا وَبَنِي زُرَارَةْ
٥٩— أَبْنَاءَ قَوْمٍ قُتِّلُوا	يَوْمَ ٱلْقُصَيْبَةِ مِنْ أُوَارَةْ
٦٠— جَرَوْا عَلَى مَا عُوِّدُوا	وَلِكُلِّ عَادَاتٍ أَمَارَةْ
٦١— وَٱلْعُودُ يُعْصَرُ مَاؤُهُ	وَلِكُلِّ عِيدَانٍ عُصَارَةْ
٦٢— وَلَا تُشَبَّهُ بِالْكِلَا	بِ عَلَى ٱلْمِيَاهِ مِنَ ٱلْحَرَارَةْ
٦٣— فَٱقْدِرْ بِذَرْعِكَ أَنْ تَحِيـ	نَ وَكَيْفَ بُوِّئْتَ ٱلْقَدَارَةْ
٦٤— فَأَنَا ٱلْكَفِيلُ عَلَيْهِمُ	أَنْ سَوْفَ تُعْتَقَرُ ٱعْتِقَارَةْ
٦٥— وَلَقَدْ حَلَفْتُ لَتُصْبِحَـ	نْ بِبَعْضِ ظُلْمِكَ فِي مَحَارَةْ
٦٦— وَلَتَصْبَحَنَّكَ كَأْسُ سُـ	مٍّ فِي عَوَاقِبِهَا مَرَارَةْ
٦٧— وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ حِينَ بَذْ	سَبُ كُلَّ حَيٍّ ذِي غَضَارَةْ
٦٨— أَنَّا وَرِثْنَا ٱلْعِزَّ وَٱلْـ	مَجْدَ ٱلْمُؤَثَّلَ ذَا ٱلسَّرَارَةْ
٦٩— وَوَرِثْتُ دَهْمًا دُونَكُمْ	وَأَرَى حُلُومَكُمُ مُعَارَةْ
٧٠— إِذْ أَنْتُمُ بِٱللَّيْلِ سُرْ	اقٌ وَصُبْحَ غَدٍ صَرَارَةْ

(٥٨ — ٦٠) منقر بطن من سعد بن زيد مناة بن تميم منهم قيس بن عاصم المنقري . وزرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، وكان المنذر بن ماء السماء أودع عنده أصغر أبنائه، فعدا عليه زوج ابنته فقتله ، فكان ذلك سبب يوم أوارة الثاني ، إذ سار عمرو ابن هند — بعد وفاة أبيه المنذر — إلى بني تميم ، فاتخذ لهم أخدوداً أضرم فيه النار وأحرقهم فيه . وأوارة جبل لبني تميم . الأمارة العلامة .

(٦١ — ٦٤) اقدر بذرعك أي قس بذراعك ، يطلب إليه أن يقدر الأمور تقديراً صحيحاً فيعرف أين هو منهم . تحين تهلك . بوأ المكان وتبوأه حله وأقام به . القدارة مصدر قدر عليه (بفتحتين) أي ضيق وأمسك . عقره جرحه ونحره . وعقر الفرس والإبل قطع قوائمها بالسيف .

(٦٥ — ٦٧) محارة مصدر ميمي من حار يحار إذا نظر إلى الشيء فعشي عليه أو ضل ولم يهتد لطريقه . صبح القوم (كضرب) أتاهم وأغار عليهم صباحا . وصبحهم ناولهم الصبوح (بفتح الصاد) وهي خمر الصباح . النضارة النعمة والسعة والخصب .

(٦٨ — ٧٠) أثل ماله أصله وعظمه وثبته ، والمؤثل الثابت . السرارة خالص النسب وأفضله . وسرار الوادي (بفتح السين) بطنه وأفضل مواضعه . الدهم العدد الكثير . الحلم الأناة والعقل . صرارة وصرار (بكسر الصاد) لم يتزوج ، الواحد والجمع . يقصد أن نساءهم أخذن سبايا في الحرب .

إياس بن قبيصة الطائي يعني من (طيء) وأمه ربعية من (شيبان بن ثعلبة) ، وهي أمامة بنت مسعود (١) ، أخت هانيء بن مسعود الذي أودع عنده النعمان أسلحته قبل أن يقدم على كسرى . وكان إياس عامل كسرى على (عين التمر) وما والاها إلى (الحيرة) . وقد أطعمه كسرى أبرويز ثلاثين قرية على شاطيء الفرات ، واستعمله على الحيرة ، وما كان عليه النعمان بن المنذر ، بعد قتله (٢). وكان المنذر قد أوصاه بابنه قبل وفاته (٣) ، وملكه على الحيرة إلى أن يرى كسرى رأيه . فمكث ملكا عليها أشهرا ، حتى اختار كسرى النعمان بن المنذر . فلما قتل النعمن جعل ملكه لإياس . وقد ظل إياس على الحيرة من بعد النعمان أربع عشرة سنة وثمانية أشهر . ولما غزا كسرى بني بكر بعد مقتل النعمان في (ذي قار) كان إياس أحد قواده ، ولما قدم عليها خالد بن الوليد سنة ١٢ هـ كان أحد نقباء الحيرة الخمسة الذين أبرموا معه الصلح على تسعين ومائة ألف درهم (٤) (أو ستين ألف) (٥) ، فكانت أول جزية حملت من أرض المشرق وأول مال قدم به من المشرق على أبي بكر . وذكر أبو يوسف في كتاب الخراج أن إياساً ظل والياً على الحيرة حتى قدم خالد .

وقد كان إياس معرقا فيما يصور لنا التاريخ والقصص . لحسان بن ثابت يحدثنا عن تيه في الجاهلية ، ويصف مجلسا لجبلة بن الأيهم كانت فيه عشر قيان ، خمس يغنين بالرومية على برابط ، وخمس يغنين غناء أهل الحيرة . ثم يقول إن إياس بن قبيصة كان قد أهداهن إليه (٦).

وكان أيضاً ذا جاه ومكانة يعتد بها . فهو يدخل على النعمان محتداً ينتصر لحاتم الطائي ، في بعض خلاف قام بينه وبين بيت آخر من بيوت طيء ، كانت تصله بالنعمان صلة المصاهرة . فينصفه النعمان (٧).

وقد روى للأعشى في مدح إياس هذا خمس قصائد وهي : (٢١) ، (٢٩) ، (٣٦) ، (٥٥) ، (٧٩) .

ونظام هذه القصيدة هو النظام المألوف : غزل وذكريات للشباب من خمر ونساء ، ثم وصف للصحراء والناقة في رحلتها الطويلة الشاقة ينتهي به المدح .

وهو لا يذكر اسم صاحبته ، ولكنه يعبر إليها بـ (تيا) كما يفعل في كثير من غزله . يقول :

---

١ — ألا قل لـ(تيّاك) فيم تجمع حوائجها وأحمالها ؟ أو قد اعتزمت الرحيل فهي تشد الرحال ؟

٢ — أم أنها تفعل ذلك عن تيه ودلال ؟ فمن حق فتاة مثلها على شيخ مثلي الإعزاز والإدلال .

٣ — فقد مضى الشباب ، ومضى معه تطلاب الغانيات .

٤ — وكيف لك أن تعود ذا لِمّة وقد ذهب شعرك . وكيف لك أمثالها من البيض الحسان !

٥ — إذا قامت راعتك بقوام مديد كأنه جريدة النخل ، وإذا قعدت برز ردفها كأنه كثيب الرمال ، رقيقة ناعمة العيش والبال .

٦ — إذا أدبرت خلتها كثيباً مركوما ، وإن أقبلت رأيت ظبيا رشيقاً .

٧ — حيثما حللت ، وفي كل منزلة بت ، يؤرق خيالها الفتان عينيك .

٨ — إنما هي وشغلي الشاغل ، فليت دارها تقرب وتواتي ! ولكنها تحل بعيداً نائية . .

٩ — ياللشباب الذاهب ! رب خمر صِرْف كأنها حدق العيون في صفائها ، تسرع نشوتها وفترتها إلى الشاربين

---

(١) الأغاني ٢٠ : ١٣٢ (٢) الأغاني ٢٠ : ١٣٢ ، النقائض ١٣٩ (٣) الأغاني ٢ : ١٠٦
(٤) الطبري ١ : ٦١٤ ، ٢ : ٥٦٢ (٥) الخراج لأبي يوسف ١٤٢ — ١٤٠ (٦) الأغاني ١٦ : ١٤ (٧) الأغاني ١٦ : ٩٦

وقالَ يمدحُ إياسَ بنَ قبيصةَ الطائيّ :

١ ــ ألا قُلْ لِتيّاكَ ما بالُها	ألِلْبَيْنِ تُحدَجُ أحمالُها	(متقارب)
٢ ــ أمْ للدَّلالِ فإنّ الفتا	ةَ حقٌّ على الشيخِ إدلالُها	
٣ ــ فإنْ يكُ هذا الصِّبى قدْ مضى	وتَطلابُ تيّا وتَسآلُها	
٤ ــ فأنّى تحوّلُ ذا لِمّةٍ	وأنّى لنفسِكَ أمثالُها	
٥ ــ عَسيبُ القيامِ كثيبُ القعو	دِ وهَنانةٌ ناعمٌ بالُها	
٦ ــ إذا أدبرَتْ لِمّتها دِعصةٌ	وتُقبلُ كالظبيِ تِمثالُها	
٧ ــ وفي كُلّ منزلةٍ بِتَّها	يُؤرّقُ عينيكَ أهوالُها	
٨ ــ هِيَ الهمُّ لو ساعفَتْ دارُها	ولكنْ نأى عنكَ تَحلالُها	
٩ ــ وصَهباءَ صِرفٍ كلونِ الفُصوصْ	سريعٍ إلى الشَّرْبِ إكسالُها	
١٠ ــ تُريكَ القَذى وهْيَ منْ دونِهِ	إذا ما تُصفَّقُ جِريالُها	
١١ ــ شربتُ إذا الرّاحُ بعدَ الأصيـ	ـلِ طابتْ ورُفِّعَ أطلالُها	
١٢ ــ وأبيضَ كالنّجمِ آخيتُهُ	وبيداءَ مُطّرِدٍ آلُها	
١٣ ــ قطعتُ إذا خبَّ رَيعانُها	وتُطق بالهولِ أغفالُها	

(١ ــ ٣) تيا تصغير تى اسم إشارة للمفرد المؤنث . البين الفراق . حدج الأحمال شدها ووسقها ، وحدج البعير شد عليه الحدج وهو مركب من مراكب النساء كالهودج .

(٤ ــ ٦) العسيب الجريدة من النخل مستقيمة دقيقة يكشط خوصها . الكثيب القطعة المتراكمة من الرمل . الوهنانة من النساء التى فيها فتور وأناة ، أو الكسلى عن العمل نعما . الدعصة كثيب صغير . تمثالها صورتها وشخصها .

(٧ ــ ٩) الأهوال جمع هول وهو مصدر من هالت المرأة بحسنها إذا تزينت بزينة اللباس والحلى ، فهى تهول بحسنها من رآها . الصهباء الخمر . صرف لم تمزج بالماء . الفصوص جمع فص (بفتح الفاء) وهو حدقة العين .

(١٠ ــ ١٣) القذى ما يقع فى العين والشراب من غبار ونحوه . صفق الشراب حوله من إناء إلى إناء ليصفو . الجريال صبغ أحمر . الراح الخمر . الأصيل وقت غروب الشمس . رفعه قدمه ، ورفّعه كذلك شدد وضعه . الطلة (بالتشديد والفتح) الخمر اللذيذة ، واللذيذ من الروائح . يقال خمر طلة ورائحة طلة ، والروضة يلها الطل وهو الندى . اطرد الأمر تبع بعضه بعضا واستقام ، خب طال وارتفع . الريعان السراب . الأغفال جمع غفل (بضم فسكون) وهى الأرض التى لا علم بها .

١٠- إذا صفيت من إناء إلى إناء بدت فى حمرتها رائقة تشف عما وراءها من أقذاء .

١١- شربتها حين تطيب الخمر للشاربين بعد الغروب ، وتسطع رائحتها العبقة فتملأ الأرجاء

١٢- كم من رفيق أبيض صبيح كأنه النجم قد آخيته . وكم من بيداء يطرد فيها السراب ،

١٣- قطعتها وقت الهاجرة حين يخفق فيها الآل ويرتفع ، وتنطق بالهول مسالكها المضلة التى لا يهتدى فيها بأعلام

١٤- فوق ناقة سريعة من خيرة الهجان ، تأتى على مسالك الصحراء وتغتال فجاجها فجاً من بعد فجاج .

١٥- كأنها فى نشاطها حمار وحش ذو خطين ، يجمع القطعان من الأتن فيسوقها أمامه ويجول بها فى الصحراء .

١٦- حُولًا لا ولد لها ولا لبن ، جمعها من شتى البقاع ، واختارها على ما يحب ويشتهى ، فاتخذها حلائل

لم يغرم فيها مهراً ولا مالا .

١٧- وهو على نشاطه ، عنيف فى الجمع بين هذا العدد الضخم من الضرائر ، يسوقه أمامه حيث يشاء .

١٨- إذا حال بينها وبينه دفعة من التراب ، فارتفع ستاره ذاهبا فى السماء ،

١٩- لم يرض بالقرب منها حتى يلصق رأسه بأعجازها ، فيتخذه لفكه وسادا .

٢٠- أقام ميلها وشذوذها حتى استوى له أمرها واجتمع ، فكأنه الحبل المُسْتَحْصِد المفتول .

٢١- فذلك شبيه ناقتى فى العنف والنشاط . وما تدمنُ السير وتديم الرحلة لسواك .

٢٢- وكم دون بيتك من تيه من الصحارى والرمال ، ومن أرض إذا قُدّرت ميلا من ورائه أميال ،

٢٣- خيفتها على المسافرين الهلاك فى مسالكها المضلة ، وأقطارها المترامية التى تغتال الرجال .

٢٤- من عندك تعود ناقتى يا إياس ، وإليك تُقبِل ، حين تقطع مثل هذه المسالك فى العودة والإقبال .

٢٥- وإنك لَلْمَفَرْدُ الذى لا نظير له فى القوم ولا مثال .

٢٦- وإنك لأبرهم باليمين إذا أقسمت ، وأفضلهم إذا عدت الأفضال .

٢٧- وإن المستجير بجواره ليعيش تحت ظله فى خير حال ، حتى ما يتمنى شيئاً وراء ما اختار له من نعمة البال .

١٤— بِناجِيَةٍ مِنْ سَراةِ الْهِجا ... نِ تَأْتِي الْفِجاجَ وَتَغْتالُها

١٥— تَراها كَأَحْقَبَ ذِي جُدَّتَيْـ ... ـنِ يَجْمَعُ عُونًا وَيَجْتالُها

١٦— نَحائِصَ شَتَّى عَلَى عَيْنِهِ ... حَلائِلَ لَمْ يُؤْذِهِ مالُها

١٧— عَنِيفٌ وَإِنْ كانَ ذا أَشِرَةٍ ... بِجَمْعِ الضَّرائِرِ شَلَّالُها

١٨— إِذا حالَ مِنْ دُونِها غَبْيَةٌ ... مِنَ التُّرْبِ فَانْجالَ سِرْبالُها

١٩— فَلَمْ يَرْضَ بِالْقُرْبِ حَتَّى يَكُونَ ... وِسادًا لِلَحْيَيْهِ أَكْفالُها

٢٠— أَقامَ الضَّغائِنَ مِنْ دَرْئِها ... كَفَتْلِ الْأَعِنَّةِ فَتّالُها

٢١— فَذلِكَ شَبَّهْتُهُ ناقَتِي ... وَما إِنْ لِغَيْرِكَ إِعْمالُها

٢٢— وَكَمْ دُونَ بَيْتِكَ مِنْ مَهْمَهٍ ... وَأَرْضٍ إِذا قِيسَ أَمْيالُها

٢٣— يُحاذِرُ مِنْها عَلَى سَفْرِها ... مَهامِهُ تِيهٌ وَأَغْوالُها

٢٤— فَتِلْكَ تَؤُوبُ إِذا أَدْبَرَتْ ... وَنَحْوَكَ يَعْطِفُ إِقْبالُها

٢٥— إِياسٌ وَأَنْتَ امْرُؤٌ لا يُرَى ... لِنَفْسِكَ فِي الْقَوْمِ مِعْدالُها

٢٦— أَبَرُّ يَمِينًا إِذا أَقْسَمُوا ... وَأَفْضَلُ إِنْ عُدَّ أَفْضالُها

٢٧— وَجارُكَ لا يَتَمَنَّى عَلَيْـ ... ـهِ إِلّا الَّتِي هُوَ يَقْتالُها

(١٤ — ١٥) ناجية سريعة . سراة كل شيء خياره وأحسنه . الهجين الكريم من كل شيء . الفجاج جمع فج وهو الطريق والناحية . تغتالها تقطع غولها أي بعدها . الأحقب حمار الوحش ، سمي بذلك لبياض في حقويه ، والحقو (بفتح الحاء) الخصر . الجدة الطريقة والعلامة والخطة في ظهر الحمار تخالف لونه . عون جمع عانة وهي القطعة من الحمير . اجتياله حوله من قصده، واجتالته الشياطين صرفته عن هداه إلى ضلالتها وأخذته بأن يجول معها . واجتاله كذلك اختاره .

(١٦ — ١٨) النحوص (بفتح النون) الحائل غير الحامل . حلائل جمع حليلة وهي الزوجة . الأشرة الحدة والنشاط والمرح. الضرائر جمع ضرة، وهي النساء التي يجمع بينهن زوج واحد . الشل الطرد . الغبية الدفعة من كل شيء . انجال التراب ذهب وسطع وارتفع . السربال القميص والدرع وكل ما يلبس .

(١٩ — ٢١) اللحي منبت اللحية ولكل حيوان لحيان في كل مدغ لحي وهما الفك الأسفل . الكفل المؤخرة . الدرء الميل والاعوجاج في القناة ونحوها ، وقومت درء فلان أي عوجه . الأعنة جمع عنان وهو سير اللجام الذي تمسك به الدابة . أعمل الناقة كلفها العمل والسير .

(٢٢ — ٢٥) المهمه الصحراء . الميل ما أحاط به البصر . السفر (بفتح فسكون) جماعة المسافرين . تيه يضل سالكها . الغول (بفتح الغين) بعد المسافة لأنه يغتال من يمر به ، والغول كذلك المشقة . عدل الرجل ومعداله نظيره .

(٢٦ — ٢٧) لايتمنى عليه أي على نفسه . اقتال الشيء اختاره .

٢٨ – فهو من جواره فى حصن حصين ، وكأن بيته فى صخرة ممتنعة تُطيف حولها الأوعال .

٢٩ – وكم من كتيبة كاملة الآلات من الأقواس والدروع تمضى فى القوم سريعة الإيغال .

٣٠ – سموت إليها بكتيبة كثيفة موّارة ، فغادرت أبطالها مجندلين فيما ثار من غبار القتال .

٣١ – ولقد تحل بقومه النازلة المستغلقة التى يُعجز ذوى الرأى فى حلها الاحتيال ،

٣٢ – فلا يزال يعالجها حتى يجد لهم منها مخرجا ، ويمضى فى إتمامها إلى غاية الكمال .

٣٣ – إذا دعوته فى الليلة المدلهمة الخطب ، التى تطول فيها الهموم وتعظم الأهوال ،

٣٤ – وجدت حامياً للمحارم حمالا لأعبائها ، يحشد على حمايتها أقصى الجهد والمال .

٣٥ – وإذا احتدمت الحرب وتوقدت نيرانها وجدت بطلا يبلى أحسن البلاء فى القتال .

٣٦ – وإذا نزلت به النازلة صبر لها غير مبال ، وإذا وهب أجزل النوال .

٣٧ – يقود الخيل فى القتال حتى يطول كر القائمين عليها وإيغالهم فى الغزو والترحال .

٣٨ – يسيرون الليل كله وقد غارت أعين الإبل وتضعضعت قواها وجفت ضروعها من الألبان .

٣٩ – وتتعالى الأصوات مختلطة بزجر الخيل بين مهيأة عليها أرسانها أو مطلقة لا قلائد عليها ولا أرسان .

٤٠ – يكف القائمون على تدبير الجيش له صفوفه ويسوونها حتى إذا حان وقت النزال ،

٤١ – انطلقت جماعاته تتدفق تدفُّق دلاء الماء قد انطلقت من محبسها ، فتكتسح من حان حَيْنُه وكتب عليه النكال .

٢٨- كَأَنَّ الشُّمُوسَ بِهَا بَيْتُهُ ... يُطِيفُ حَوَالَيْهِ أَوْعَالُهَا

٢٩- وَكَامِلَةِ الرِّجْلِ وَالدَّارِعِينْ ... سَرِيعٍ إِلَى الْقَوْمِ إِيغَالُهَا

٣٠- سَمَوْتَ إِلَيْهَا بِرَجْرَاجَةٍ ... فَغُودِرَ فِي النَّقْعِ أَبْطَالُهَا

٣١- وَمَعْقُودَةِ الْعُقْمِ مِنْ قَوْمِهِ ... قَلِيلٌ مِنَ النَّاسِ مُحْتَالُهَا

٣٢- تَمِمْتَ عَلَيْهَا فَأَتْمَمْتَهَا ... وَتَمَّ بِأَمْرِكَ إِكْمَالُهَا

٣٣- وَإِنَّ إِيَاسًا مَتَى تَدْعُهُ ... إِذَا لَيْلَةٌ طَالَ بَلْبَالُهَا

٣٤- أَخٌ لِلْحَفِيظَةِ حَمَّالُهَا ... حَشُودٌ عَلَيْهَا وَفَعَّالُهَا

٣٥- وَفِي الْحَرْبِ مِنْهُ بَلَاءٌ إِذَا ... عَوَانٌ تَوَقَّدَ أَجْذَالُهَا

٣٦- وَصَبْرٌ عَلَى الدَّهْرِ فِي رُزْئِهِ ... وَإِعْطَاءُ كَفٍّ وَإِجْزَالُهَا

٣٧- وَتَقْوَادُهُ الْخَيْلَ حَتَّى يَطُو ... لَ كَرُّ الرُّوَاةِ وَإِيغَالُهَا

٣٨- إِذَا أَدْلَجُوا لَيْلَةً وَالرِّكَا ... بُ خُوصٌ تُخَضْخِضُ أَشْوَالَهَا

٣٩- وَتَسْمَعُ فِيهَا هَبِي وَاقْدَمِي ... وَمَرْسُونُ خَيْلٍ وَأَعْطَالُهَا

٤٠- وَتَهْنَهُ مِنْهُ لَهُ الْوَازِعُو ... نَ حَتَّى إِذَا حَانَ إِرْسَالُهَا

٤١- أُجِيلَتْ كَمَرِّ ذَنُوبِ الْقَرَى ... فَأَلْوَى بِمَنْ حَانَ إِشْعَالُهَا

(٢٨ — ٣١) الشموس الخشبة الصعبة المرتقى . رجل القوس ماعطف من طرفيها . ورجل السهم حرفاه ، والرجل كذلك القطعة العظيمة من الجراد . الدارعين جمع دارع ، ورجل دارع عليه درع . أوغل في البلاد إيغالا ذهب وبالغ وأبعد . سموت إليها إلى هذه الكتيبة الضخمة وهي كتيبة الأعداء . كتيبة رجراجة من الرجرجة وهي الاضطراب والاهتزاز . النقع غبار المعركة . حرب عقيم ويوم عقيم وعقام أي شديد . معقودة العقم أي خطة شديدة صارت عقيما لا يهتدى لها . والعقيم في الأصل هي التي لا تلد .

(٣٢ — ٣٥) تم على الأمر لزمه . أتممتها أي أصلحتها . البلبال الحزن والقلق وما يشغل البال . الحفيظة الغضب فيما يجب أن يحفظ والذب عن المحارم والمنع لها عند العرب . الحشود من لا يدع عند نفسه شيئاً من الجهد والمال والنصرة والاعانة . العوان من الحروب التي قوتل فيها مرة بعد مرة ، وأصله الناقة التي ولدت بعد ولادتها الأولى . أجذال جمع جذل (بكسر الجيم) وهو ما عظم من أصول الشجر .

(٣٦ — ٣٨) الاجزال الاكثار . الراوى من يقوم على الخيل والجمع رواة . الايغال مصدر أوغل في السير أي أبعد . أدلجوا ساروا في الليل . الركاب الابل والواحدة منها راحلة (من غير لفظها) . خوص جمع أخوص ، والفعل خوص (كطرب) أي غارت عينه . الخضخضة تحريك الماء ونحوه . الأشوال جمع شائلة ، وهي ما أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فارتفع ضرعها وجف لبنها .

(٣٩ — ٤١) هبي واقدمي زجر للخيل تحث بها على التقدم . المرسون من الخيل الذي له رسن . والأعطال هي التي لا قلائد عليها ولا أرسان لها . الشج الشق والكسر ، وشج الأرض براحلته شجا سار بها سيرا سريعاً . الذنوب الدلو فيها ماء . القرى كل ما حبس الماء كالحوض ، وقرى الماء في الحوض جمعه . ألوى به ذهب به . حان هلك ودنت منيته .

٤٢ـــ ويعود بجيشه الظافر آخر النهار يسوق الجمال والأسلاب والأنفال .

٤٣ـــ إلى بيت كريم بَذّال ، يعتريه ما تعود من الجود ، حين يغلب على النفس الشح والإعجاب بالمال .

٤٤ـــ وليس كمن ختم البخل على عطائه ومعروفه بالخواتم والأقفال .

٤٥ـــ على هذا يعيش . وما ضره لومُ الجهال وما يفترون من أقوال .

٤٦ـــ يعم بعطائه عشيرته ، ويغفر زلة سفيههم إذا استطال .

٤٧ـــ ولقد شُدَّتْ حبالُ بيتك من (سِنْبِسٍ) إلى ذروة العز والمجد والكمال .

٤٢ـ فَآبَ لَهُ أُصُلاً جَامِلٌ ... وَأَسْلَابُ قَتْلَى وَأَثْقَالُهَا

٤٣ـ إِلَى بَيْتِ مَنْ يَعْتَرِيهِ ٱلنَّدَى ... إِذَا النَّفْسُ أَعْجَبَهَا مَالُهَا

٤٤ـ وَلَيْسَ كَمَنْ دُونَ مَاعُونِهِ ... خَوَاتِمُ بُخْلٍ وَأَقْفَالُهَا

٤٥ـ فَعَاشَ بِذَلِكَ مَاضَرَّهُ ... صُبَاةُ ٱلْحُلُومِ وَأَقْوَالُهَا

٤٦ـ يَنُولُ ٱلْعَشِيرَةَ مَاعِنْدَهُ ... وَيَغْفِرُ مَا قَالَ جُهَّالُهَا

٤٧ـ وَبَيْتُكَ مِنْ سِنْبِسٍ فِي الذُّرَى ... إِلَى العِزِّ وَٱلْمَجْدِ أَحْبَالُهَا

(٤٢ — ٤٤) أصل جمع أصيل وهو وقت غروب الشمس . جامل جمع جمل . الأسلاب والأثقال الغنائم . اعتراه ألم به وعرض له . الندى الكرم والسخاء . الماعون في الجاهلية الاعطاء والمعروف ، وفي الاسلام الطاعة والزكاة .

(٤٥ — ٤٧) صبا الرجل مال إلى الصبوة وجهلة الفتوة . وصبا للشيء مال . نال المطية ونال له المطية ونا له بالمطية كلها سواء . الجهال من الجهل وهي السفه والطيش . سنبس فرع من قبيلة طيء منه الممدوح . الذرى جمع ذروة وهي القمة .

نجران أحد مراكز المسيحية الثلاثة في الجاهلية ، وكان يلي أمرها بنو الحارث بن كعب ، وهم قبيلة يمنية من مذحج . يقول ابن فضل الله العمري « وكان أهل ثلاثة بيوت من اليمن نصارى يتبارون في البيع وزيها وحسن بنائها ، آل المنذر بالحيرة وغسان بالشام وبنو الحارث بن كعب بنجران ، فتكون دياراتهم في المواضع الكثيرة الشجر والرياض والغدران الشاهقة البناء ، ويجعلون آلاتها من الذهب والفضة ، وستورها الديباج ، ويجعلون حيطانها الفسافس ، وفي سقوفها الذهب »(١) وتروي كتب التاريخ أن النصرانية دخلت نجران على يد راهب اسمه (فيمون) في قصة طويلة ذكرها صاحب السيرة (٢) ، وهم أصحاب الأخدود الذين أحرقهم ذو نواس حين أراد أن يهودهم فأبوا (٣) .

وقد اختلفوا في حقيقة (كعبة نجران) التي أشار إليها الأعشى في هذه القصيدة . فقال بعضهم إنها قبة من جلد ، وقال آخرون إنها غرفة ، وجعلها بعضهم بيعة ، وجعلها البعض الآخر ديرا كبيرا . أما ابن الكلبي فقد ذهب إلى أنها لم تكن كعبة عبادة وإنما كانت غرفة لأولئك القوم (٤) وأما صاحب الأغاني فقد روى في أمرها روايتين ، تزعم إحداهما أنها كانت بيعة بناها بنو عبد المدان على بناء الكعبة وعظموها مضاهاة لها وسموها كعبة نجران . وتزعم الرواية الأخرى أنها كانت قبة من أدم سوها الكعبة ، إذا نزل بها مستجير أجير ، أو خائف أمن ، أو طالب حاجة قضيت ، أو مسترفد أعطي ما يريد (٥) . وتبعه في نقل الروايتين ياقوت في معجم البلدان ، وأضاف إلى الرواية الثانية أنها كانت قبة ضخمة من ثلاثمائة جلد ، وكانت على نهر بنجران ، وكان صاحبها ينفق عليها عشرة آلاف دينار كل عام (٦) . أما ابن فضل الله العمري فقد هول من أمرها فسماها (دير نجران) وروى أن بناءها أعجب بناء وأحسنه على نحو عمارة غمدان (٧) .

وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان أربعة مواضع بهذا الاسم : نجران اليمن التي نحن بصددها وهي بين عدن وحضرموت على القرب من صنعاء ، ونجران العراق على يومين من الكوفة بينها وبين واسط . وإليها انتقل أهل نجران اليمن حين أجلاهم عمر ، ونجران البحرين ، ونجران الشام وكانت في موضع بحوران . وقال في وصف الأخيرة إنها بيعة عظيمة عامرة حسنة ، مبنية على العمد الرخام ، منمقة بالفسيفساء .

ويبدو أن هذا التعدد والتشابه في الأسماء كان داعية إلى الخلط ، ولذلك فنحن نرجح أن ما ذهب إليه ابن فضل الله العمري كان نتيجة لاختلاط أمر نجران اليمن بنجران العراق وتشابهها عليه ، أو اختلاط أمر كعبة نجران هذه بالقليس التي بناها أبرهة في صنعاء بالقرب من نجران ، وأنفق عليها أموالا طائلة (٨) . ويؤيد ذلك أن المراجع القديمة كالأصنام والسيرة والأغاني لم تذهب إلى هذا التهويل من أمرها . ثم إنها لم تذكر في شعر قديم ، ولم يرو فيها غير هذه الأبيات للأعشى . وقد قال ابن الكلبي بعد أن ذكر ما يروى من أنها لم تكن كعبة عبادة وإنما كانت غرفة لأولئك القوم « وما أشبه ذلك عندي بأن يكون كذلك ، لأني لم أسمع بني الحرث تسموا بها في شعر » .

وقدم وفد بني الحارث بن كعب ، فيهم يزيد بن عبد المدان ، وعبد المسيح ، وقيس بن الحصين ، (الذين ذكرهم الأعشى في القصيدة) سنة ١٠ هـ فأسلموا فيما يروي الطبري (٩) ، وامتنعوا عن الإسلام فيما يروي صاحب السيرة (١٠) ، بعد نقاش طويل في أمر المسيح وحقيقته ، نزل فيه صدر من سورة آل عمران ، حتى دعاهم الرسول إلى المباهلة فأبوا . فصالحهم على ألفي حلة تؤدى في شهر صفر وألف تؤدى في رجب ثمن كل حلة منها أوقية (١١) .

وفي ديوان الأعشى — عدا هذه القصيدة — أربعة أبيات في مدح بني الحرث بن كعب هي المقطعة (٤٣) وإشارة لهم في آخر القصيدة (٣٢) ، وفي أبيات القصيدة تقديم وتأخير ، وهي مروية في كتب الأدب بروايات يختلف فيها الترتيب باختلافها . وربما كان من الراجح أن يجيء البيت (٢٦) بعد البيت (١٦) مباشرة ، فمن الطبيعي أن ينتقل الشاعر من حديث الرحلة إلى الممدوح . ومن الراجح كذلك أن تكون الأبيات (٧ — ٢٤) بعد البيت (٩) .

والأعشى لا يصور في صدر القصيدة امرأة من الحرائر ، ولكنه يتحدث عن إحدى هذه الطبقة من الجواري اللائي يحترفن الفجور ، وذلك واضح من الأبيات (٤ — ٩) . وقد كان الإماء في الجاهلية يساعين (أي يزنين)(١٢) . يدل على ذلك قوله تعالى (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا — النور ٣٣) أي لا تكرهوا إماءكم على الزنا لتأخذوا من أجورهن على ذلك . ويدل عليه كذلك ما رواه المسعودي في قصة استلحاق زياد إذ يقول « وكانت سمية من ذوات الرايات بالطائف ، تؤدي الضريبة إلى الحارث ابن كلدة . وكانت تنزل بالموضع الذي ينزل فيه البغايا بالطائف خارجا عن الحضر ، في محلة يقال لها حارة البغايا(١٣) » .

يقول الأعشى :

١ — أَلَم تَنهَ نَفسكَ عن التصابي والمجون ؟ بلى ، فقد عاودها بعض شوقها القديم ،

٢ — لجارتنا ، حين قالت وقد رأت شعر لمتي : لك الويل ! من أين لك هذا الشيب الذميم ؟

٣ — فإن تعهديني ولي لمة سوداء ، فقد ذهبت بها الحوادث والأرزاء .

---

(١) مسالك الأبصار ٣٠٩ (٢) السيرة ١ : ٣٢ — ٣٤ (٣) السيرة ١ : ٣٧
(٤) الأصنام ٤٥ (٥) الأغاني ١١ : ٣٨١ (٦) معجم البلدان : « نجران »
(٧) مسالك الأبصار ٣٠٩ (٨) أخبار مكة ٨٨ — ٩٠ ، معجم البلدان : « القليس »
(٩) الطبري ٢ : ٢٠٦ (١٠) السيرة ٢ : ٢٢٢ — ٢٢٣ (١١) السيرة ، فتوح البلدان ٧٠ — ٧٩ ، الخراج لأبي يوسف ٧١ — ٧٥
(١٢) أساس البلاغة : مادة « سعى » (١٣) مروج الذهب ٢ : ٥٦ ، الفخري ٨٠

—٢٢—

وَقَالَ يَمْدَحُ رَهْطَ عَبْدِ ٱلْمَدَانِ بْنِ الدَّيَّانِ سَادَةَ نَجْرَانَ مِنْ بَنِي ٱلْحَرِثِ بْنِ كَعْبٍ :

١ — أَلَمْ تَنْهَ نَفْسَكَ عَمَّا بِهَـا   بَلَى عَادَهَا بَعْضُ أَطْرَابِهَـا   (متقارب)

٢ — لِجَارَتِنَا إِذْ رَأَتْ لِمَّتِي   تَقُولُ لَكَ ٱلْوَيْلُ أَنَّى بِهَا

٣ — فَإِنْ تَعْهَدِينِي وَلِي لِمَّةٌ   فَإِنَّ ٱلْحَوَادِثَ أَلْوَى بِهَا

٤ — وَقَبْلَكِ سَاعَيْتُ فِي رَبْرَبٍ   إِذَا نَامَ سَامِرُ رُقَّابِهَـا

٥ — تُنَازِعُنِي إِذْ خَلَتْ بُرْدَهَا   مُفَضَّلَةً غَيْرَ جِلْبَابِهَـا

٦ — فَلَمَّا ٱلْتَقَيْنَا عَلَى بَابِهَـا   وَمَدَّتْ إِلَيَّ بِأَسْبَابِهَا

٧ — بَذَلْنَا لَهَا حُكْمَهَا عِنْدَنَا   وَجَادَتْ بِحُكْمٍ لِأَلْهَى بِهَا

٨ — فَطَوْرًا تَكُونُ مِهَادًا لَنَا   وَطَوْرًا أَكُونُ فَيَعْلَى بِهَا

٩ — عَلَى كُلِّ حَالٍ لَهَا حَالَةٌ   وَكُلُّ الْأَجَارِيِّ يُجْرَى بِهَا

١٠ — فَكَيْفَ بِدَهْرٍ خَلَا ذِكْرُهُ   وَكَيْفَ لِنَفْسٍ بِأَعْجَابِهَا

١١ — وَإِذْ لِمَّتِي كَجَنَاحِ ٱلْغُدَافِ   تَرْنُو ٱلْكَعَابُ لِأَعْجَابِهَا

١٢ — وَعَنْسٍ .... السَّبَاسِبِ .. وَكَّابِهَا

١٣ — وَيَعْلُنُ مِنْهَا صَرِيفُ ٱلسَّدِيسِ   إِذَا ....

١٤ — أَكَلْتُ ٱلسَّنَامَ فَأَفْنَيْتُهُ   وَشَدَّ ٱلنُّسُوعُ بِأَصْلَابِهَا

(١ — ٣) أطراب جمع طرب وهو الشوق . اللمة الشعر الذى جاوز شحمة الأذن . ألوى بها الحوادث ذهبت بها .

(٤ — ٦) المساعاة الفجور وهو خاص بالإماء . الربرب القطيع من بقر الوحش يشبه به النساء . سامر اسم فاعل من سمر القوم اجتمعوا ليلا للحديث . مفضلة من التفضل والابتذال وهو أن تلبس الجارية ثوبا رقيقا كقميص النوم إذا خلت لنفسها وإنما تلبسه فى خدرها وخلوتها . غير جلبابها أى لا تلبس غيره مباشرا لجسمها . السبب الحبل وما يتوصل به إلى غيره .

(٧ — ٩) حكمها ما حكمت به واشترطته . المهاد الفراش والأرض . وطورا أكون أى وطورا أكون مهاداً . الأجارى جمع إجريا (بكسر الهمزة والراء وتشديد الياء) وهى الطريقة التى يجرى عليها .

(١٠ — ١٣) الأعجاب جمع عجب (بفتحتين) وهو الاستحسان والروعة التى تعترى الإنسان عند استحسان الشىء . الغداف الغراب الأسود . الكعاب جمع كاعب وهى الناهدة الحسن أو التى نهد ثديها . العنس الناقة الصلبة القوية . السباسب جمع سبسب وهى الأرض المستوية . وكاب من وكب (كضرب) مشى فى تؤدة أو قام وانتصب .

(١٣ — ١٤) يعلن يعلو ويظهر . الصريف صوت الأسنان إذا تحاكت . السديس الناقة التى ألقت سدسها وهى الأسنان فى السنة السادسة . النسوع جمع نسع (بكسر فسكون) وهى السيور التى يشد بها الرحل . أصلاب جمع صلب (بضم فسكون) وهو عظم الظهر أو ما تسميه السلسلة الفقرية .

٤ — ولكم سعيت من قبلك ألتمس الفجور فى القطيع من البقر ، بعد أن نام السُّمار والرقباء .
٥ — أجاذبها إذ خلوت بها جلبابها الذى لا ثياب تحته ، وتنازعنى إياه فى إباء .
٦ — ولما التقينا على الباب ، وبسطت سبيل الوصل وبيّنتْ ما تطلب من جزاء .
٧ — بذلت لها ما أرادت ، فسحت بما اشتهيت منها لألهو كيف أشاء .
٨ — فطورا هى من تحتى ، وطورا أنا من تحتها ولها الإعلاء .
٩ — على كل حال لها حال ، ولك منها كل ما خطر من أساليب اللهو ببال .
١٧ — ولكم شربت الكأس على اللذات ، ثم اتبعتها بأخرى أتداوى منها بها .
١٨ — لكى يعلم الناس أنى خبير بضروب العيش ، آتى اللذات من أبوابها .
١٩ — خمر حمراء ، تشف لصفائها عما تحت قعر الكأس من مثل قذى العيون الضئيل .
٢٠ — ومن حولنا الورد والياسمين ، والزامرات بالمزامير .
٢١ — والناقرات على الدُّف لا يفترن ولا ينثنين ، فبأى هذه اللذات الثلاث يعيبنى العائبون .
٢٢ — وترى الصنج يبكى مستجيبا للدف بكاء الحزين ، مخافة أن يلومه اللائمون .
٢٣ — أبليت من عمرى ثمانين عاما ، وكذلك يزعم الحاسبون .
٢٤ — فأصبحت وقد ودعت اللهو والخمر لأصحابها من الشباب .
٢٥ — أحب (أثافت) وقت القطاف ، وحين تعصر الأعناب .
١٠ — فكيف لك بدهر قد مضى وفات ، وكيف لنفسك بما كان يروعها من اللذات العِذاب .
١١ — أيام كان شعر لمتى كجناح الغراب ، ترنو له الحسان فى إعجاب

(١٣،١٢) ....

١٤ — أفنيت سنام ناقتى من إدمان الرحلة ، وشُدّت فوق ظهرها السيور والحبال .
١٥ — وترى النوق وقد أدمنّ السير طول الليل ثم وصلنه بالنهار دائبات ،
١٦ — طوالَ الأعناق ، غائرات العيون ، ناحلات البطون فى موضع الحزام .
٢٦ — ليس لها دون «كعبة نجران» من مرام ، حتى تناخ بأبوابها .
٢٧ — نزور «يزيد» و «عبد المسيح» و «قيسا» خير ساداتها .
٢٨ — إذا تموجت البرود فوق قاماتهم المديدة ، يجرون هدابها تياهين .
٢٩ — لهم غرفات تروق بهجتُها وعجيب صنعتها العيون .

١٥— تَرَاهُنَّ مِنْ بَعْدِ إِسْآدِهِنَّ ... وَسَيْرِ النَّهَارِ وَتَدْآبِهَا

١٦— طِوَالَ الأَخَادِعِ خُوصَ العُيُونِ ... خِمَاصًا مَوَاضِعُ أَحْقَابِهَا

١٧— وَكَأْسٍ شَرِبْتُ عَلَى لَذَّةٍ ... وَأُخْرَى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا بِهَا

١٨— لِكَيْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَنِّي امْرُؤٌ ... أَتَيْتُ المَعِيشَةَ مِنْ بَابِهَا

١٩— كُمَيْتٍ يُرَى دُونَ قَعْرِ الأَنَى ... كَمِثْلِ قَذَى الْعَيْنِ يُقْذَى بِهَا

٢٠— وَشَاهِدُنَا الوَرْدُ وَاليَاسَمِيـ ... ـنُ وَالْمُسْمِعَاتُ بِقُصَّابِهَا

٢١— وَمِزْهَرُنَا مُعْمَلٌ دَائِمٌ ... فَأَيُّ الثَّلَاثَةِ أَزْرَى بِهَا

٢٢— تُرَى الصَّنْجَ يَبْكِي لَهُ شَجْوَهُ ... مَخَافَةَ أَنْ سَوْفَ يُدْعَى بِهَا

٢٣— مَضَى لِي ثَمَانُونَ مِنْ مَوْلِدِي ... كَذَلِكَ تَفْصِيلُ حُسَّابِهَا

٢٤— فَأَصْبَحْتُ وَدَّعْتُ لَهْوَ الشَّبَا ... بِ وَالْخَنْدَرِيسَ لِأَصْحَابِهَا

٢٥— أُحِبُّ أُثَافِتَ وَقْتَ الْقِطَافِ ... وَوَقْتَ عُصَارَةِ أَعْنَابِهَا

٢٦— وَكَعْبَةُ نَجْرَانَ حَتْمٌ عَلَيْـ ... ـكِ حَتَّى تُنَاخِي بِأَبْوَابِهَا

٢٧— نَزُورُ يَزِيدَ وَعَبْدَ الْمَسِيحِ ... وَقَيْسًا هُمُ خَيْرُ أَرْبَابِهَا

٢٨— إِذَا الْحَبَرَاتُ تَلَوَّتْ بِهِمْ ... وَجَرُّوا أَسَافِلَ هُدَّابِهَا

٢٩— لَهُمْ مَشْرَبَاتٌ لَهَا بَهْجَةٌ ... تَرُوقُ الْعُيُونَ بِتَعْجَابِهَا

(١٥ — ١٨) الإسآد سير الليل كله . الأخادع جمع أخدع وهو عرق فى العنق ، وهما أخدعان ، عرقان فى صفحتى العنق . خوص غائرة العينين . الخمص الجوع ويقصد به الضمور . الأحقاب جمع حقب (بفتحتين) وهو شىء تتخذه المرأة تعلق به معاليق الحلى وتشده إلى وسطها ، ويقصد به موضع الحزام من بطن الناقة .

(١٩ — ٢١) كميت حمراء تضرب لسواد . الأنى الإناء . قصر المد للتخفيف . القذى ما يسقط فى العين أو فى كأس الخمر من الغبار ونحوه . المسمعات الجوارى التى تغنى . قصاب جمع قاصب وهو الزامر فى القصب، وهو قاب أجوف له ثقوب يلعب عليها الزامر بأصابعه . المزهر العود ويسمى البربط أيضا (بفتح الباءين) ، والمزهر كذلك ، وقد يطلق على الدف الكبير يشار عليه وهو المشهور . أزرى به وأزرى عليه عابه .

(٢٢ — ٢٦) الصنج دوائر صغار من النحاس تعلق بالأصابع وتنقر عليها الراقصة . الشجو الهم والحزن والشوط من البكاء . دعا فلانا بمكروه أنزله به . الخندريس الخمر القديمة ، قيل هى لفظة عربية وقيل إنها يونانية معربة . أثافت قرية باليمامة كثيرة الكروم يقال إن الأعشى كان يعصر فيها الخمر و يعصر له .

(٢٧ — ٢٩) الحبرات جمع حبرة (بثلاث فتحات) وهى ضرب من برود اليمن . الهداب الخيوط التى تبقى فى طرف الثوب ، أو هو طرف الثوب . المشربة أرض لينة دائمة النبات . وهى كذلك الغرفة لأنهم يشربون فيها ، أو هى العلية والصفة والمشرفة .

— ٢٣ —

يتجه الأعشى بهذه القصيدة إلى أبناء عمومته (بنى جحدر) ، وهى تتصل بالقصيدتين السابقتين (١٠) ، (٢٠) اللتين هجا فيهما شيبان ابن شهاب الجحدرى . وللأعشى بعد هذا قصيدة أخرى فى بنى جحدر ، هى القصيدة (٥٣) . وكل هذه القصائد تصور ما كان بين الحيين القريبين من علائق لا يسودها الوئام . والقصيدة خير ما يمثل هذا اللون من الشعر القبلى الذى يتصل بأبناء العمومة الأقربين ، فيتراوح بين العنف واللين ، ويجمع بين الغضب والحنين ، والإباء والوفاء .

يقول الأعشى :

١ — عفت أطلال « ميثاء » ، وقد تعاورتها ريح الصبا بما تحمل من أمطار .

٢ — فوقفت عند ساحتها بما بقى فيها من رماد أبكى ، فلا يجيبنى داثر الآثار .

٣ — أبكى على « ميثاء » إذ كان أهلها وأهلى متقابلى الديار ، وإذ يسعى رسولها بيننا بالأخبار .

٤ — وإذ أظن الحب المستقر فى قلبى دائماً من الدهر ، لا يبليه الليل والنهار .

وينتقل الأعشى من هذه المقدمة القصيرة ، التى تلائم ما هو مقبل عليه ، من تصوير الأسى على انقطاع ما بين أبناء العمومة من ود لم يكن ينبغى أن ينقطع ، ليقول :

٥ — صرفنى عنك يا « مَيْثَاءَ » ـ لو تعلمين ـ شئون متدافعة ، لم ينزل بسواى خَطْبُها الجليل .

٦ — مصارع إخوان ، وظلم أبناء عمومة علينا ، كأنهم من قبيل ونحن من قبيل .

ويمضى الشاعر مناقشا فى رفق ولين فيقول :

٧ — تعالوا ياقوم فإن الحق واضح كالفرس السوداء المعلمة الأرجل ببياض التحجيل ، فهى متميزة لا تخفى بين الخيول .

٨ — تعالوا نتعاط الحق بيننا ، حتى تعرفوا على أينا يقع اللوم ، إذا قيس الإحسانُ بالإحسان والجميلُ بالجميل .

ثم لا يلبث أن تدركه الشدة ويثور ، فيقول :

٩ — فإن لم تقبلوا فشأنكم وما تريدون . ولتدركم « الحُجَيْم » و « مازن » ، و « شَيْبَان » معنا برجالها ، وهم كثير غير قليل .

١٠— أولئك حكام العشيرة كلها وساداتها ، وقوامها عند كل خطب ثقيل .

١١— إن دعوتهم يوما لنصرى ، أتتنى منهم الكتائب والخيول ، مأمونة الخذول .

وقال في الحرب التي كانت بينه وبين الحرقتين يعاتب بني مرثد وبني جحدر

(طويل)

١ — لمن دارٌ قد تعفّت طلولها   عفتها نضيضات الصبا فسيلها

٢ — لما قد تعفّى من رماد وعرصة   بكيت وهل يبكي إليك محيلها

٣ — لمن إذ كانت وأهلك جيرةٌ   رِثاء وإذ يُفضي إليك رسولها

٤ — وإذ تحسب الحبّ الدخيل لجاجةً   من الدهر لا تمنى بشيء يزيلها

٥ — وإني عداني عنك لو تعلمينه   موازىء لم ينزل سواى جليلها

٦ — مصارع إخوانٍ ونحن قبيلة   علينا كأنا ليس منا قبيلها

٧ — تعالوا فإن العلم عند ذوي النهى   من الناس كالبلقاء بادٍ حجولها

٨ — نعاطيكم بالحق حتى تبينوا   على أيِّنا تؤدى الحقوق فضولها

٩ — وإلا فعودوا بالجحيم ومازنٍ   وشيبان عندي جمّها وحفيلها

١٠ — أولئك حكام العشيرة كلها   وساداتها فيما ينوب وجولها

١١ — متى أدع منهم ناصري تأت منهم   كراديس دُهْمٌ على خذولها

١٢ — رِعالاً كأمثال الجراد لخيلهم   عكوبٌ إذا ثابت بطيءٌ نزولها

١٣ — فإني بحمد الله لم أفتقدكم   إذا ضمّ هاماً إلى حلولها

١٤ — أجارتكم بسلٌ علينا محرمٌ   وجارتنا حلٌّ لكم وحليلها

(١ — ٣) النضيضة المطر القليل ، والريح التي تنض بالماء فيسيل ، أو هي الضعيفة . الصبا الريح الشرقية . تعفى انطمس . العرصة ساحة الدار ، وهي كذلك البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء . محيل دائر مطموس . قوم رثاء يقابل بعضهم بعضا ، ودورهم رثاء أي متقابلة متراثية . أفضى إليه وصل إليه وأصله أنه صار في فضائه .

(٤ — ٦) داء دخيل داخل في أعضاء البدن . اللجاجة التمادي في المعتاد إلى الفعل المزجور عنه . منى بالأمر أصيب به . عداني صرفني . موازىء من وزأ القوم أي دفع بعضهم عن بعض ووزأت الناقة به صرعته . الجليل العظيم .

(٧ — ٩) النهى العقل . فرس بلقاء سوداء الجسم في أرجلها بياض ، والحجول هو هذا البياض . عاطاه أخذ منه وأعطاه . تبين الشيء عرفه وتحققه . تؤدى من أداه أي أوصله والأداء الايصال والقضاء . الفضول جمع فضل وهو الزيادة والاحسان ، وفضل الزمام طرفه . جما كثرتها . حفيلها جماعتها .

(١٠ — ١٢) الجول جدار البئر الذي يمسكها من التهدم والانهيار . الكراديس جمع كردوسة (بضم الكاف) وهي القطعة العظيمة من الخيل . خذولها أي خذلانها (وهو مصدر غير مذكور في المعاجم) . رعال جمع رعيل وهو القطعة المتقدمة من الخيل والرجال وغير ذلك . عكوب غبار وأصوات من عكبت الابل أي ازدحمت واعتكب الغبار ثار . ثابت رجعت .

(١٣ — ١٤) افتقد الشيء طلبه عند غيبته . حلول جمع حال اسم فاعل من حل المكان أي نزل به . بسل حرام ، وهو من الأضداد يطلق على الحرام والحلال ، والذلك بينه بقوله (محرم) بعده . حليلها زوجها .

١٢— جماعات كثيفة كأنها الجراد ، تثير خيولها حين تندفع الغبارَ ، فينعقد فى الجو عالياً بطىء النزول ، لا يكاد يزول .

١٣— فأنى بحمد الله فى غنى عنكم ، لا أفتقدكم حين تغيبون ، إذا اجتمعت علىّ (هآم) بما ضمت من جماعات وقبيل .

ويعود الشاعر إلى هدوئه ، مناقشاً نقاش الذى يريد أن يلزم خصمه الحجة فيقول :

١٤— أتحلون لأنفسكم ما تحرمون علينا ؟ جارتكم حرام علينا ، وجارتنا حِلٌّ لكم وزوجُها الحليل !

١٥— فأن كان هذا ما تحكمون ، فذَلَّ إذنْ من يرضى بحكمكم من قبيل .

ثم يعود إلى شدته فيقول :

١٦— إنى أقسم برب الساجدين فى العشيات ، ورب راهب النصارى يدق الناقوس ،

١٧— لن أصالحكم حتى تبوءوا بمثل جنايتكم وبغيكم ، وتصرخوا صرخة الحبلى حين تعينها القابلة فى المخاض .

١٨— ....

١٩— ولو تدبرتم أمركم لا تهيتم عنا ، وقد كان فيكم جماعات من القتلى ، لا تزال جثثهم مبعثرة فى ميدان القتال ، لم يوسَّدوا فى القبور .

٢٠— وإن ذلك الذى يسعى للقتل ظلماً ليُعدُّ جريمة لا سبيل إلى التحلل منها .

٢١— تحدثه نفسه أنا لسنا أقوياء ، ولسنا له بأكفاء .

٢٢— ويخبركم « حران » أن بناتنا سيُهزَلن من الجوع ، إذا لم ترتفع العيرُ إلينا بالمؤَن والطعام .

٢٣— فَعيرُكم أذل ، وأرضكم على ماتعلمون من الجدب والمَحْل .

٢٤— فأن حُلتُمْ بيننا وبين « المشقَّر » و « الصفا » ، فنخيل « الخَطّ » جم لا ينفد .

٢٥— ولنا « دُرْنَى » يُحمَل إلينا كلَّ عشية منها الخزُ ولَيِّن الطعام .

٢٦— وإنكم لتأكلون دم الفصيد ، ونغذو أولادنا الشحم واللبن الغزير .

٢٧— أبِالمَوْت تخوفنى « عِبَاد » ، والموت يسعى دليلُه بين الناس ؟

٢٨— فما ميتة إن مِتُّها غَيْرَ ذليل بعار ، إذا غال نفسى ما يغول الأعمار .

١٥— فَأَنْ كَانَ هَذَا حُكْمُكُمْ فِى قَبِيلَةٍ ... فَأَنْ رَضِيتَ هَذَا فَقَلَّ قَلِيلُهَا

١٦— فَإِنِّى وَرَبِّ السَّاجِدِينَ عَشِيَّةً ... وَمَا صَكَّ نَاقُوسَ النَّصَارَى أَبِيلُهَا

١٧— أُصَالِحُكُمْ حَتَّى تَبُوءُوا بِمِثْلِهَا ... كَصَرْخَةِ حُبْلَى يَسَّرَتْهَا قَبُولُهَا

١٨— .... أُمًّا بِحِيلِهَا

١٩— تَنَاهَيْتُمُ عَنَّا وَقَدْ كَانَ فِيكُمُ ... أَسَاوِدُ صَرْعَى لَمْ يُوَسَّدْ قَتِيلُهَا

٢٠— وَإِنَّ امْرَءًا يَسْعَى لِيَقْتُلَ قَاتِلاً ... عَدَاءً مُعِدٌّ جَهْلَةً لَا يُقِيلُهَا

٢١— وَلَسْنَا بِذِى عِزٍّ وَلَسْنَا بِكُفْئِهِ ... كَمَا حَدَّثَتْهُ نَفْسُهَا وَدَخِيلُهَا

٢٢— وَيُخْبِرُكُمْ حُزَّانُ أَنْ بَنَاتِنَا ... سَيُهْزَلْنَ إِنْ لَمْ يَرْفَعِ العِيرَ مِيلُهَا

٢٣— فَعِيرُكُمْ كَانَتْ أَذَلَّ وَأَرْضَكُمْ ... كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ جَدْبُهَا وَمُحُولُهَا

٢٤— فَأَنْ تَمْنَعُوا مِنَّا الْمُشَقَّرَ وَالصَّفَا ... فَأَنَّا وَجَدْنَا الْخَطَّ جَمًّا نَخِيلُهَا

٢٥— وَإِنَّ لَنَا دُرْنَى فَكُلَّ عَشِيَّةٍ ... يُحَطُّ إِلَيْنَا خَمْرُهَا وَنَخِيلُهَا

٢٦— فَأَنَّا وَجَدْنَا النِّيبَ إِنْ تَفْصِدُونَهَا ... يَعِيشُ بِلَيْنَا سِيئُهَا وَجَمِيلُهَا

٢٧— أَبِالْمَوْتِ خَشَّتْنِى عِبَادٌ وَإِنَّمَا ... رَأَيْتُ مَنَايَا النَّاسِ يَسْعَى دَلِيلُهَا

٢٨— فَمَا مِيتَةٌ إِنْ مِتُّهَا غَيْرَ عَاجِزٍ ... بِعَارٍ إِذَا مَا غَالَتِ النَّفْسَ غُولُهَا

(١٥ — ١٨) الأبيل الراهب ، من أبلت الابل (كضرب) إذا توحشت وانفردت ليس معها راع . تبوءوا تبوءوا . يسرتها سهلت ولادتها وأعانتها فيها . القبول المرأة التى تستقبل الولد عند الولادة .

(١٩ — ٢١) الأساود الجماعة من الناس الكثير . عداء ظلما . أقال الرجل البيع فسخه ، وأقال الله عثرته صفح عنه .

(٢٢ — ٢٥) الميل قدر امتداد البصر من الأرض . العير الابل لا واحد لها من لفظها . المحول الجدب . المشقر والصفا مدينتان فى البحرين قرب هجر (المشهورة بالتمر) وفيهما حصنان قديمان يقال إنهما من بناء طسم وبينهما نهر يجرى يقال له « العين » الخط جزيرة بالبحرين وهى التى تنسب إليها الرماح . درنى قرية باليمامة ، واليمامة موطن الأعشى . الخيل ما الاذمن الطعام .

(٢٦ — ٢٨) النيب جمع ناب وهى الناقة المسنة . فصدها شق جلدها ليستخرج الدم ، وكانوا يأكلونه إذا جد ، وقد نهى عنه الاسلام بقوله تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم) تفصدونها كان حقها الجزم لأنها فعل الشرط . السىء (بكسر السين) اللبن الذى ينزل قبل الحلب ويكون فى أطراف الأخلاف لغزارته . الجميل الشحم المذاب . خشتنى خوفتنى . غير عاجز غير ضعيف . غولها ما يغتالها من الهلاك .

(٢٤)

تروى هذه الأبيات فى هجاء رجل يمنى زعم جامع ديوان الأعشى أنه من قضاعة ، وروى الأصفهانى وابن قتيبة أنه من كلب (١)

وكان هذا الرجل قد أصاب الأعشى أثناء عودته من بعض غاراته ، فأسره وهو لا يعرفه ، ثم إنه نزل ضيفا على شريح بن السموءل فى حصنه المسمى الأبلق فى تيماء . فاستغاث الأعشى بشريح ، فاستوهبه من هذا الرجل ، فوهبه له . فأكرمه شريح وأعانه على العودة لقومه .

ويقول صاحب الأغانى إن الأعشى هجا الرجل بالبيتين قبل أن يأسره ، فلما علم بعد إطلاقه أنه الأعشى ، ندم على مافعل ، وأراد أن يسترجعه فوجد شريحاً قد أطلقه .

ويقول جامع الديوان إن الأعشى إنما هجا الرجل بالبيتين بعد أن أطلقه شريح فلامه فى ذلك ، فكف عنه ولم يزد .

وهؤلاء الذين ذكرهم الشاعر فى البيتين رجال من أشراف كلب ، وهو يقول لعمرو بن ثعلبة هذا إنه لاينتسب لواحد من هؤلاء ، وأنه دونهم شرفا . وهذا أسلوب جاهلى معروف فى الهجاء اشتهر به الحطيئة ، ونهاه عنه عمر لما يستتبع من إثارة العداوة والتنافس بين الأهل والأقرباء .

(٢٥)

يذهب صاحب الأغانى إلى أن شريحاً الذى مدحه الأعشى بهذا الشعر هو ابن السموءل ، الذى يضرب به المثل فى الوفاء (٢) . أما ثعلب فقد نسبه فى ديباجة هذه القصيدة هكذا : شريح بن حصن بن عمران بن السموءل بن حيا بن عاديا . وعلى ذلك فالسموءل جد أبيه . وأكمل الأصفهانى بقية نسبه فقال : عاديا بن رفاعة بن ثعلبة بن كعب بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء . وربما كانت رواية ثعلب أشبه بالصواب ، لأن الأصفهانى رد قول الذين وصلوا عاديا بعمرو مزيقيا بعد ثلاثة آباء ، محتجاً بأن الأعشى أدرك ابنه شريح بن السموءل ، وبأن عمرو مزيقيا أقدم من ذلك (٣) .

والسموءل يهودى كان ينزل فى « تيماء » ببادية الشام . كان بها حصنه المعروف « الأبلق » الذى أشار إليه الأعشى فى هذه القصيدة ، وكان مبنيا بحجارة بيضاء وحجارة سوداء . وكان له حصن آخر فى « دومة الجندل » اسمه « مارد » ، وكان مبنياً بحجارة سوداء . وكانت العرب تنزل بالسموءل فيضيفها ، وتمتار من حصنه ، وتقيم هناك سوقا (٤) .

وقد اشتهر السموءل حتى ضرب به المثل ، بسبب هذه القصة التى ضمنها الأعشى فى شعره . فقد زعموا أن امرأ القيس أودع عند السموءل دروعه وسلاحه قبل أن يقصد إلى قيصر فى رحلته المشهورة . فلم تزل عنده حتى أتاه الحارث بن ظالم (أو الحارث بن شمر الغسانى) فطلبها منه ، فامتنع عليه السموءل وتحصن فى حصنه . وكان للسموءل ابن قد خرج للصيد، فصادفه الحارث فى عودته، واتخذه رهينة عنده، وخير السموءل بين أن يدفع إليه وديعة امرىء القيس أو يقتل ابنه ، فأصر على إبائه . فقتل الحارث ولده الذى عنده . وأدى السموءل الوديعة إلى أهل امرىء القيس .

ولسنا نحب أن نتعرض لمناقشة هذه القصة بما فيها من مبالغة تخرج عن المألوف . ولكنا نلاحظ أن شعر الأعشى قد فصل هذه القصة تفصيلا لانجده فى غيره من الشعر الجاهلى الذى بين أيدينا . وهو تفصيل يطابق ما يروون من هذه القصة فلا يخرج شىء منها عنه . بما يكاد يوحى إلى قارئها أنها مستنبطة منه . ثم إنهم يروون أن الأعشى قد ارتجل هذه الأبيات حين مر به شريح ، متحرماً به ، متوسلا إليه أن لا يتركه ، كما يبدو من البيت الأول . وليس يستقيم مع هذه الرواية أن يقول الأعشى كل هذه الأبيات ، ولم يكن المقام مقام تفصيل . ولاكأن المقصود نظم القصة وتدوينها على هذا النحو الذى يشبه الشعر التعليمى . ومع كل ذلك فالقصيدة ضعيفة البناء مهلهلة النسج .

ولسنا نقصد بهذا إلى إنكار القصة برمتها . ولكنا نميل إلى القول بأن أبيات الأعشى قد لا تتجاوز البيت السادس . وأن باقى القصيدة من إضافة الرواة .

يقول الأعشى :

١ — لا تتركنى اليوم ياشريح فى سيور القيد بعد أن علقت أظفارى بحبالك .

٢ — فلقد طوفت الآفاق ، وترددت بين « بانقيا » و « عدن » وبلاد العجم .

---

(١) الأغانى ٦ ، ٣٢٣ ، ٩ : ١١٨ الشعر والشعراء ٢١٧

(٢) الأغانى ٩ : ١١٨ ، ١٩ : ٩٨

(٣) الأغانى ١٩ : ٩٨

(٤) الأغانى ، بلوغ الأرب ١ : ٢١٠ و ٢١١

(٢٤)

وَقَالَ الأَعْشَى يَهْجُو عَمْرَو بْنَ ثَعْلَبَةَ بْنِ الحَرْثِ القُضَاعِيّ :

١ — بَنُو الشَّهْرِ الحَرَامِ فَلَسْتَ مِنْهُمْ   وَلَسْتَ مِنَ الكِرَامِ بَنِي العُبَيْدِ   (وافر)

٢ — وَلاَ مِنْ رَهْطِ جَبَّارِ بْنِ قُرْطٍ   وَلاَ مِنْ رَهْطِ حَارِثَةَ بْنِ زَيْدِ

(٢٥)

وَقَالَ يَمْدَحُ شُرَيْحَ بْنَ حِصْنِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ السَّمَوْءَلِ بْنِ عَادِيَا :

١ — شُرَيْحُ لَا تَتْرُكَنِّي بَعْدَمَا عَلِقَتْ   حِبَالَكَ اليَوْمَ بَعْدَ القِدِّ أَظْفَارِي   (بسيط)

٢ — قَدْ طُفْتُ مَا بَيْنَ بَانِقْيَا إِلَى عَدَنٍ   وَطَالَ فِي العُجْمِ تَرْحَالِي وَتَسْيَارِي

٣ — فَكَانَ أَوْفَاهُمُ عَهْدًا وَأَمْنَعَهُمْ   جَارًا أَبُوكَ بِعُرْفٍ غَيْرِ إِنْكَارِ

٤ — كَالغَيْثِ مَا اسْتَمْطَرُوهُ جَادَ وَابِلُهُ   وَعِنْدَ ذِمَّتِهِ المُسْتَأْسِدُ الضَّارِي

٥ — كُنْ كَالسَّمَوْءَلِ إِذْ سَارَ الهُمَامُ لَهُ   فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارِ

٦ — جَارُ ابْنِ حَيَّا لِمَنْ نَالَتْهُ ذِمَّتُهُ   أَوْفَى وَأَمْنَعُ مِنْ جَارِ ابْنِ عَمَّارِ

٧ — بِالأَبْلَقِ الفَرْدِ مِنْ تَيْمَاءَ مَنْزِلُهُ   حِصْنٌ حَصِينٌ وَجَارٌ غَيْرُ غَدَّارِ

٨ — إِذْ سَامَهُ خُطَّتَيْ خَسْفٍ فَقَالَ لَهُ   مَهْمَا تَقُلْهُ فَإِنِّي سَامِعٌ حَارِ

٩ — فَقَالَ ثُكْلٌ وَغَدْرٌ أَنْتَ بَيْنَهُمَا   فَاخْتَرْ وَمَا فِيهِمَا حَظٌّ لِمُخْتَارِ

(١ — ٣) القد السير من الجلد غير المدبوغ ، كان يربط به الأسير . أظفاري فاعل علقت . العرف ما استقر في النفوس وقبلته الطباع .

(٤ — ٦) الذمة العهد والأمان والضمان . الهمام هو الحرث بن أبي شمر الغساني أو هو الحارث بن ظالم على خلاف بين الرواة . حيا أبو السموءل .

(٧ — ٩) الأبلق حصن السموءل . الفرد الذي لا نظير له . الخسف الذل . حار ترخيم حارث .

٣ — فلم أر كأبيك وفاء للعهد وحماية للجار . ذلك مشهور معروف ، غير مدافع ولا منكور .

٤ — إذا سئل العطاء انهمر كالغيث ، وإذا أعطى عهده دافع عنه دفاع الأسد المفترس .

٥ — كن لي وفياً ، وفاء (السموءل) إذ سار له (الحارث) في جحفل جرار كسواد الليل ، لا تدرك العين مداه.

٦ — ومن نال عهد (ابن حيا) ولجأ إلى جواره ، فهو آمن إلى منحته ووفائه .

٧ — منزله من « تيماء » في « الأبلق » الذي لا شبيه له ، حصن حصين ، وجار غير غدار .

٨ — خيّره (الحارث) بين أمرين كلاهما ذل . فأجابه : قل ما شئت يا حارث فأنى مصغ إليك .

٩ — فقال : اختر لنفسك بين الثكل والغدر . وما فيهما حظ لمختار .

١٠ — فتردد طويلا ثم قال : اذبح أسيرك ، فقد قررت أن أمنع جاري ولا أغدر به .

١١ — وإن لي خلفاً من ولدي إن قتلته - وإن كنتَ إنما تقتل كريماً غير ضعيف ولا جبان -

١٢ — مالا كثيراً ، وعرضاً ناصعاً غير ذي دنس ، وإخوة مثله غير أشرار .

١٣ — ورثوا عني أدبا جما لا يخالطه طيش أو حمق ، وحنكة وتجربة إذا شمرت الحرب للقتال .

١٤ — وسوف يُعْقِبُني خلفًا منه - إن قتلته - ربٌّ كريم ، ونساء بيض وَلُودات.

١٥ — أرعى ودهن ، فهو عندي غير مضيع ولا مشوب بكدر . ويكتمن ما أستودعهن من أسرار .

١٦ — فقال - تَقَدِمَةً لما عزم عليه من أمر فظيع - إذ هم به ليقتله : أشرف سموءل ! فانظر للدم الجاري .

١٧ — أأحبس ابنك حتى الموت ، أم تجيئني طوعا بوديعة امرىء القيس ؟ فأنكر السموءل مايقول أيما إنكار.

١٨ — فشك الحارث عروق رقبته بالسيف . وصدرُ أبيه ينطوي على ألم موجع لاذع كالنار .

١٩ — واختار أن يحفظ وديعته من الدروع ، حتى لا تكون سبة فيه . وكان لعهده وفيا غير غدار ،

٢٠ — وقال : لا أبيع شرفي وذكري بين الناس لأشتري العار .

٢١ — وقديماً كان الصبر منه عادة وخلقاً ، وكان أسرع الناس إلى الوفاء وحفظ الجار .

١٠ — فَشَكَّ غَيْرَ قَلِيلٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ	اذْبَحْ هَدِيَّكَ إِنِّي مَانِعٌ جَارِي
١١ — إِنَّ لَهُ خَلَفًا إِنْ كُنْتَ قَاتِلَهُ	وَإِنْ قَتَلْتَ كَرِيمًا غَيْرَ عُوَّارِ
١٢ — مَالًا كَثِيرًا وَعِرْضًا غَيْرَ ذِي دَنَسٍ	وَإِخْوَةً مِثْلَهُ لَيْسُوا بِأَشْرَارِ
١٣ — جَرَوْا عَلَى أَدَبٍ مِنِّي بِلَا نَزَقٍ	وَلَا إِذَا شَمَّرَتْ حَرْبٌ بِأَغْمَارِ
١٤ — وَسَوْفَ يُعْقِبُنِيهِ إِنْ ظَفِرْتَ بِهِ	رَبٌّ كَرِيمٌ وَبِيضٌ ذَاتُ أَطْهَارِ
١٥ — لَا سِرُّهُنَّ لَدَيْنَا ضَائِعٌ مَذِقٌ	وَكَاتِمَاتٌ إِذَا اسْتُودِعْنَ أَسْرَارِي
١٦ — فَقَالَ تَقْدِمَةً إِذْ قَامَ يَقْتُلُهُ	أَشْرِفْ سَمَوْءَلُ فَانْظُرْ لِلدَّمِ الْجَارِي
١٧ — أَأَقْتُلُ ابْنَكَ صَبْرًا أَوْ تَجِيءُ بِهَا	طَوْعًا فَأَنْكَرَ هٰذَا أَيَّ إِنْكَارِ
١٨ — فَشَكَّ أَوْدَاجَهُ وَالصَّدْرُ فِي مَضَضٍ	عَلَيْهِ مُنْطَوِيًا كَاللَّذْعِ بِالنَّارِ
١٩ — وَاخْتَارَ أَدْرَاعَهُ أَنْ لَا يُسَبَّ بِهَا	وَلَمْ يَكُنْ عَهْدُهُ فِيهَا بِخَتَّارِ
٢٠ — وَقَالَ لَا أَشْتَرِي عَارًا بِمَكْرُمَةٍ	فَاخْتَارَ مَكْرُمَةَ الدُّنْيَا عَلَى الْعَارِ
٢١ — وَالصَّبْرُ مِنْهُ قَدِيمًا شِيمَةٌ خُلُقٌ	وَزَنْدُهُ فِي الْوَفَاءِ الثَّاقِبُ الْوَارِي

(١٠ — ١٢) الهدى الأسير . العوار الضعيف الجبان .

(١٢ — ١٥) النزق الخفة والطيش . أغمار جمع غمر (بفتح فسكون) وهو الأبله الذي لم يجرب الأمور . وبيض يقصد زوجاته ، ذات أطهار إشارة إلى أنهن فى سن وحالة ينتظر منها الولد ، والأطهار أيام طهر المرأة من الحيض ، أى أنهن يلدن له غيره إن مات . السر النكاح ، يكنى به عما بينه وبينهن من عشرة وود . مذق اللبن والشراب مزجه فأكثر ماءه ، ومذق الود شابه بكدر ولم يخلصه .

(١٦ — ١٨) الصبر الحبس ، وصبره على القتل حبسه ورماه حتى يموت . أوداج جمع ودج (بفتحتين) وهو عرق فى صفحة العنق يقطعه الذابح فلا يبقى معه حياة .

(١٩ — ٢١) ختار غدار . ثقبت النار اتقدت ، وكذلك ورت .

يتصل الكلام من هذه القصيدة بحديث (ذى قار) ، وهى واقعة مشهورة كانت بين الفرس وبين بكر ، هزمت فيها جيوش كسرى شر هزيمة، فكان ذلك أول نصر أحرزه العرب على الفرس . وسأفصل الكلام عن هذه الواقعة فى القصيدة (٣٤) .

أما قيس بن مسعود الذى قيلت فيه هذه القصيدة ، فهو أحد أشراف بكر المشهورين . وقد عظم أمره بعد أن ولاه كسرى الأبلة (وهى بلد على شاطئ دجلة فى زاوية الخليج الذى يدخل إلى الوضع الذى بنيت عليه البصرة بعد ذلك)

روى صاحب الأغانى أن بكراً جعلت تغير على السواد بعد مقتل النعمان . فوفد قيس بن مسعود على كسرى ، فسأله أن يجعل له أجراً ، على أن يضمن له على بكر أن لا يدخلوا السواد ولا يفسدوا فيه . فأقطعه كسرى (الأبلة) وما والاها . فكان يأتيه من بكر فيرضيهم ، حتى قدم الحارث بن وعلة (من ذهل بن ثعلبة) والمكسر بن حنظلة (من عجل بن لجيم) ، فاستقلا عطاءه ، واستغويا رجالا أغاروا بهم على السواد . فلما بلغ ذلك كسرى حنق عليه واستدعاه ، فحبسه بساباط حتى مات(١) . والأصفهانى يذهب فى هذه الرواية إلى أن قيس بن مسعود قد رحل إلى كسرى قبل وقعة ذى قار .

ويخالفه فى ذلك الطبرى وابن الأثير وابن عبد ربه . فهم يروون أن قيس بن مسعود كان لايزال والياً لكسرى عند غزوه بكراً . وقد أمره كسرى أن يوافى جيوشه ويصحبها فى غزوها . فسار إلى قومه سراً فأعلمهم بقدوم الجيوش ، وأشار عليهم برأيه . فلما هزم جيش كسرى ، وعلم بما فعل قيس استدعاه فسجنه حتى مات (٢) . وقد روى ابن الأثير أنه سار مع جيوش كسرى كما أمره ، ولم يذكر شيئاً من مسيره إلى قومه وإشارته عليهم ، ولا عن رحلته لكسرى وسجنه .

وقصيدة الأعشى التى بين أيدينا تنفى ما يذهب إليه أبو الفرج ، وتؤيد رواية الطبرى وابن الأثير والعقد الفريد . فهى تشير إلى أن قيس بن مسعود قد سار مع جيوش كسرى فى يوم (ذى قار) ، ثم رحل بعد ذلك إليه حين استدعاه . والأعشى يلومه على مسيره إليه ويسفه رأيه ، ويقول له إن قومه كانوا كفيلين بحمايته وإغنائه عن كسرى . وهو يأخذ عليه رحلته إليه طالباً رضاه ، بعد الذى سفك من دماء قومه فى يوم ذى قار .

يقول الأعشى :

١ — ياقيس بن مسعود ـ وأنت امرؤ تعلق (وائل) عليك الآمال ، وترجو فى حياتك وشبابك الخير !

٢ — أتخيب آمالنا فيك مرتين فى عام واحد ؟ فتصحب كسرى فى غزوه قومك ، ثم ترحل إليه بعد الذى كان بيننا وبينه ؟ ألا ليتك مت ساعة ولدت ، وغرقتك القوابل فى المـاء الذى يكون مع الجنين .

٣ — وليت بيننا وبينك البحر ، أوليتك كنت متاعا تافهاً ملقى فى عرض الطريق ، تجرى عليه السيول فتكنسحه وتجرفه .

٤ — لكأنك لم تشهد القتلى الكثيرين من أشراف قومك المقربين إلى الملوك ، وقد بُعثِرَت جثثهم فى الصحراء ، تعيث فيهم الضباع والذئاب .

٥ — تركتهم صرعى عند موارد المـاء ، وأقبلت تصالح كسرى وتطلب رضاه . ثكلتك أمك من رجل !

٦ — أتصرُّ خيامَك ، وتجمع متاعك من (جبل الأمْرَار) لأمل عرض لك ، ونبأٍ سمعته ، أنّ وادى (الأشافى) قد أخصب وسال بالأمطار ؟

٧ — ما أتفه أمرك علينا إذن . وما أهون أن يبلغنا عنك أنك مت أو قتلت ، فصفِرَ وِطابُك، وجف سقاؤك من اللبن ، حين سرت إلى كسرى محتملا متاعك .

---

(١) الأغانى ٢ : ١٢٦ (٢) الطبرى ١ : ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ — ابن الأثير ١ : ٢٨٩ ، ٢٩٠ — العقد الفريد ٦ : ١٣

وَقَالَ لِقَيْسِ بْنِ مَسْعُودِ بنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ الشَّيْبَانِيّ حِينَ وَفَدَ عَلى كِسْرَى بَعْدَ ذِي قَارٍ :

(طويل)

١ — أَقَيْسَ بْنَ مَسْعُودِ بْنِ قَيْسِ بْنِ خَالِدٍ ... وَأَنْتَ امْرُؤٌ تَرْجُو شَبَابَكَ وَائِلُ

٢ — أَطَوْرَيْنِ فِي عَامٍ غَزَاةٌ وَرِحْلَةٌ ... أَلَا لَيْتَ قَيْسًا غَرَّقَتْهُ القَوَابِلُ

٣ — وَلَيْتَكَ حَالَ البَحْرُ دُونَكَ كُلُّهُ ... وَكُنْتَ لَقًى تَجْرِي عَلَيْهِ السَّوَائِلُ

٤ — كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ قَرَابِينَ جَمَّةً ... تَعِيثُ ضِبَاعٌ فِيهِمُ وَعَوَاسِلُ

٥ — تَرَكْتَهُمُ صَرْعَى لَدَى كُلِّ مَنْهَلٍ ... وَأَقْبَلْتَ تَبْغِي الصُّلْحَ أُمُّكَ هَابِلُ

٦ — أَمِنْ جَبَلِ الأَمْرَارِ صُرِّتْ خِيَامُكُمْ ... عَلَى نَبَأٍ أَنَّ الأَشَافِيَّ سَائِلُ

٧ — فَهَانَ عَلَيْنَا أَنْ تَجِفَّ وِطَابُكُمْ ... إِذَا حُنِيَتْ فِيهَا لَدَيْهِ الزَّوَاجِلُ

٨ — ....رمُتَرَاحِلُ

٩ — لَقَدْ كَانَ فِي شَيْبَانَ لَوْ كُنْتَ رَاضِيًا ... قِبَابٌ وَحَيٌّ حِلَّةٌ وَقَنَابِلُ

(١ — ٣) القوابل جمع قابل وهي المرأة التي تتلق المولود عند الولادة . غرقته في ماء السلى . السوائل جمع سائل وهو السيل .

(٤ — ٦) القرابين جمع قربان وهو ما يتقرب به إلى الله . يقصد القتلى في الحروب . عاث الشيء وعاث في الشيء أفسده . عواسل جمع عاسل وهو الذئب ، والعسلان في الأصل الاضطراب . المنهل مورد الماء . هابل ثاكل . الأمرار جبال . الأشافي وادي بلاد بني شيبان . سائل أي سائل بالأمطار هذا مثل ضربه الشاعر ، لأن أهل جبل الأمرار لا يرحلون إلى الأشافي ينتجعونه لبعده ، إلا أن يجدبوا كل الجدب ويبلغهم أنه مطر وسال .

(٧ — ٩) الوطاب جمع وطب (بفتح فسكون) وهو سقاء اللبن . جفت وطابه وصفرت كذلك أي مات وقتل فأصبحت وطابه بغير لبن لأنه لا يأكل ولا يشرب حتى جفت . الزواجل جمع زاجل وهو عود يكون في طرف الحبل يعلق به الوطب . قباب جمع قبة وهي الخيمة الضخمة الكبيرة . الحلة القوم الحلول فيهم كثرة . القنابل جمع قنبل وقنبلة (بفتح القاف والباء) وهي الطائفة من الناس والخيل .

٨ — ....

٩ — ولو أنك قنعت بقومك ورضيت ، لقد كان فيهم قباب ضخمة ، وجماعات كثيرة ، وطوائف من الخيل والرجال ..

١٠ — وكتائب ضخمة تموج بما ازدحم فيها من فرسان ، ومن سلاح يرد بريقه عين الناظر عشواء ، وأفراس جياد ، تحيط بها كرائم الإبل ونجائب الجمال .

١١ — ولكنك تركت قومك سفهاً ، وأنت كبيرهم وعميدهم . فلا بلغني عنك خبر ، ولا سمعت عنك نبأ .

١٢ — أى شر قد جنيت على نفسك حين رحلت إليه ، فجُرِّدت مما جمعت من ثروة ومال ، ولم تك إلا كالمغزل ، ليس له مما يغزل شيء ، ولا يتراكم عليه الغزل إلا ليجرد منه من جديد ، فإذا هو عار سليب .

١٣ — لقد شفى النفسَ ما قتلنا من رجال تفرقت جثثهم فى غربتهم لا يضمها قبر ، ولا يبكى عليها نادب ، ولا يعض عليها إصبعه صديق .

١٤ — بعينيك قد أبصرتهم يوم الحنوف (ذى قار) ، إذ غشيتهم فى الصباح كتائبُ تحمل الموت ، لا يمنعها عنهم لوم اللائمين ، ولا يكف شرها نصح الناصحين .

(٢٧)

الحارث بن وعلة هو أحد رجال بن رقاش بن ذهل بن ثعلبة . وذهل بن ثعلبة ، هم إخوة قيس بن ثعلبة الذين ينتهى إليهم بيت الأعشى فى سعد بن ضبيعة . والحارث هو جد المعلى بن المنذر صاحب راية على يوم صفين . وقد كان ـ كما ذكرنا فى التعليق على القصيدة السابقة ـ أحد الذين أغاروا على السواد فى ولاية قيس بن مسعود ، ونقضوا عهده لكسرى ولم يحفظوه . وها هو ذا يغير على إبل قوم اجتمعوا بجوار بعض قبائل بكر ، فينقض عهدهم مرة أخرى ولا يحترمه . فيهجوه الأعشى متهدداً بهذه القصيدة . وللأعشى قصيدة أخرى فى هجائه ، هى القصيدة (٣٠) . وله بعد ذلك قصيدة ثالثة لم يفرغ فيها لهجائه ، ولكنه قدم به لمدح هوذة ، وهى القصيدة (٧) ، التى مضى ذكرها . والظاهر أن الأعشى كان يقدم على الحارث مسترفداً حتى هجاه . فلما قدم عليه يسأله قال : ولا كرامة . ألست القائل « ألا من مبلغ عنى حريثاً » تهجونى وتصدرنى ثم تسألنى ؟ وحرمه . فقال الأعشى فى ذلك القصيدة (٧) التى شهر فيها ببخله ، مقارناً بينه وبين كرم هوذة .

يقول الأعشى :

١ — ألا من يحمل عنى رسالة إلى « حُرَيْث » ـ الذى يتعجل لنفسه الموت إذ يزدرينا ـ فيسأله : أحان حَيْنُه ، أم استخف بأمرنا واستهان ؟

٢ — فأنّا قد أقمنا فى وادى « الرَّداع » حين فشلتم وأعوزتكم الجرأة والثبات للإقامة فيه ، لا نبالى أمر من يبغينا بالعدوان .

١٠— وَرَجْرَاجَةٍ تُعْشِي النَّوَاظِرَ فَخْمَةٍ ‏ ‏ ‏ وَجُرْدٍ عَلَى أَكْنَافِهِنَّ الرَّوَاحِلُ

١١— تَرَكْتَهُمُ جَهْلًا وَكُنْتَ عَمِيدَهُمْ ‏ ‏ ‏ فَلَا يَبْلُغَنِّي عَنْكَ مَا أَنْتَ فَاعِلُ

١٢— وَعُرِّيتَ مِنْ وَفْرٍ وَمَالٍ جَمَعْتَهُ ‏ ‏ ‏ كَمَا عُرِّيَتْ مِمَّا تُمِرُّ الْمَغَازِلُ

١٣— شَفَى النَّفْسَ قَتْلَى لَمْ تُوَسَّدْ خُدُودُهَا ‏ ‏ ‏ وِسَادًا وَلَمْ تُعْضَضْ عَلَيْهَا الْأَنَامِلُ

١٤— بِعَيْنَيْكَ يَوْمَ الْجِنْوِ إِذْ صَبَّحَتْهُمُ ‏ ‏ ‏ كَتَائِبُ مَوْتٍ لَمْ تَعُقْهَا الْعَوَاذِلُ

(٢٧)

وَقَالَ يَهْجُو الْحَارِثَ بْنَ وَعْلَةَ حِينَ أَغَارَ عَلَى إِبِلِ عَمْرِو بْنِ تَمِيمٍ جِيرَانِ بَكْرٍ:

١ — أَلَا مَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي حُرَيْثًا ‏ ‏ ‏ مُغَلْغَلَةً أَخَانَ أَمِ ازْدَرَانَا (وافر)

٢ — فَأَنَّا قَدْ أَقَمْنَا إِذْ فَشِلْتُمْ ‏ ‏ ‏ وَإِنَّا بِالرِّدَاعِ لِمَنْ أَتَانَا

٣ — مِنَ النَّعَمِ الَّتِي كَجَرَاجِ أَبْلِي ‏ ‏ ‏ تَحُشُّ الْأَرْضَ شِيمًا أَوْ هِجَانَا

٤ — وَكُلُّ طُوَالَةٍ شَنِجٍ نَسَاهَا ‏ ‏ ‏ تَبُذُّ بُدَا الْمَعَارِقِ وَالْعِنَانَا

(١٠ — ١٢) كتيبة رجراجة تموج من كثرتها وكثرة ما عليها من الحديد. تعشي تعمي العينين لشدة بريق آلاتها. الرواحل جمع راحلة وهي النجيب الصالح لأن يرحل من الابل، والقوي على الأسفار. الأكناف جمع كنف (بفتحتين) وهو الجانب، كانوا يركبون الابل في الغارات البعيدة ويجنبون الخيل، فإذا قاربوا الأعداء ركبوا الخيل. عميد القوم سيدهم ورئيسهم. الوفر الثروة والغنى. تمر من أمر الحبل والخيط أي فتله.

(١٣ — ١٤) شفى النفس أراحها وسرها. وسده دفنه أو وسده التراب في قبره. الأنامل أطراف الأصابع. تعض من الغيظ أو الأسف. صبحه هاجمه في الصباح. عذله لامه وزجره ونهاه فهو عاذل وهم عواذل.

(١ — ٣) حريث هو الحارث يصغره تحقيراً له. رسالة مغلغلة محمولة من بلد إلى بلد. غلغل إليه رسالة بعث بها إليه محمولة من بلد إلى بلد. خان وقع في الهلاك. أقمنا ثبتنا. الرداع واد. النعم الابل. الجراج الشجر الملتف. أبلي جبل بين مكة والمدينة قرب ينبع. تحش [illegible] تأكل. شيما جمع شامة وهي الناقة السوداء. تقول ماله شامة ولا زهراء، أي ليس له ناقة سوداء ولا بيضاء. الهجان من الابل البيض الكرام يستوي فيه المذكر والمؤنث والجمع.

(٤) الطوالة الطويلة الظهر. الشنج المتقبض. والنسا عرق من الورك إلى الكعب، وفرس شنج النسا منقبضه، وذلك أقوى له وأشد لأنه إذا تشنج لم تسترخ رجلاه. بد (كمل) تباعد ما بين فخذيه من كثرة لحمها. وبذه (كنصر) فرقه والبداة (بالفتح) الكفاءة والتراب. والعرقة (بفتح) هي الطرق في الجبال. والمعنى على هذا أنها تبذ التراب وتثيره في مسالك الجبال، ويصعب على راكبها أن يحفظ بالعنان في يده لطول عنقها. ولعل بدا تخفيف لبدة (بالكسر) وهي الطاقة. والمعارق جمع معراق وهو العدو، والمعنى على هذا أن نشاطها يفوق طاقة العدو وطاقة الزمام.

٣ — لنا إبل ضخمة كثيرة ، كأنها أدغال « أيل » الملتفة الأشجار ، قد انتشرت ترعى الأرض بين سُودٍ وبِيضٍ هِجان .

٤ — ولنا كل فرس طويلة الظهر مشدودة القوائم ، تبدد لنشاطها وقوة أرجلها تراب المسالك بين الجبال وتثيره ، ويصعب على راكبها لطول عنقها أن يحتفظ فى يده بالعنان .

٥ — ولنا كل جواد أملس من فحول الخيل كريم ، يلمع جلد خاصرته ، كأنه قد طلى بزيت أو دهان .

٦ — يقوم على حمايتنا جيش ضخم ، يضطرب بما حوى من الدروع والرجال ، يتقدم الحى كأنه الإيوان .

٧ — فلا وأبيك لن تنال منّا ما حيينا إلا الطعان

٨ — وإلا كلّ رمح أسمر صلب ، كأن قناته لمرونتها من خيزران .

٩ — وإلا كل صقيل يتموج متنه ، يقدُّ الفقار إذا علا الأعناق .

١٠ — أكب عليه فتانا « أبو عجلان » يوما كاملا ، يصقله بمصقلتيه غير متوان .

١١ — وظل العرق يتساقط عليه من صفحتى وجهه إذ يَعد شفرتيه ، فما ألان .

١٢ — إننا لا نعطى ما نعطى إلا راضين مختارين . وليس يستطيع أحد أن يحملنا على مايتمنى ويريد ، كائناً من كان .

١٣ — فلسنا بالقليلى السلاح ، فنسأمَ الحرب إذا التقى الجمعان .

١٤ — يسوق لنا « عبدُ عمرو » « قلابةَ » ويثيرهم علينا ، ليرمينا بهم فيمن يبغينا بالعدوان .

١٥ — ولو انتظروا حربنا وغارتنا ، لعرفوا كيف تُضَيِّفُ الضيفان بالطعان .

١٦ — إنا نحل « الصُّلَيْب » و « بطْن فَلْج » جميعاً ، نوقد بها النيران .

١٧ — فيرتفع لظاها فى النهار بالدخان . ولا نستخفى على الذى يبغينا من ذوى الأضغان .

١٨ — فإن يسأل عنا « أبو عمران » ، فإنى أقسم بالنجوم ، لو أنا برزنا للعيان .

١٩ — لصاح النادبات عليه من قومه والأخدان ، « لقد حانت منيته وحان » .

٥ — وَأَجْرَدَ مِنْ فُحُولِ ٱلْخَيْلِ طِرْفٍ ... كَأَنَّ عَلَى شَوَاكِلِهِ دِهَانَا

٦ — وَتَحْمِي ٱلْحَيَّ أَرْعَنُ ذُو دُرُوعٍ ... مِنَ ٱلسُّلَّافِ تَحْسَبُهُ إِوَانَا

٧ — فَلَا وَأَبِيكَ لَا نُعْطِيكَ مِنْهَا ... طَوَالَ حَيَاتِنَا إِلَّا سِنَانَا

٨ — وَإِلَّا كُلَّ أَسْمَرَ وَهْوَ صَدْقٌ ... كَأَنَّ ٱلْأَبْطَ أَنْبَتَ خَيْزُرَانَا

٩ — وَإِلَّا كُلَّ ذِي شُطَبٍ صَقِيلٍ ... يَقُدُّ إِذَا عَلَا ٱلْعُنُقَ ٱلْجِرَانَا

١٠ — أَكَبَّ عَلَيْهِ مِصْقَلَتَيْهِ يَوْمًا ... أَبُو عَجْلَانَ يَشْحَذُهُ فَتَانَا

١١ — فَظَلَّ عَلَيْهِ يَرْشَحُ عَارِضَاهُ ... يَحُدُّ ٱلشَّفْرَتَيْنِ فَمَا أَلَانَا

١٢ — وَلَا نُعْطِي ٱلْمُنَى قَوْمًا عَلَيْنَا ... كَمَا لَيْسَ ٱلْأُمُورُ عَلَى مُنَانَا

١٣ — وَلَا كُشُفٌ فَنَسْأَمَ حَرْبَ قَوْمٍ ... إِذَا أَزِمَتْ رَحَى لَهُمُ رَحَانَا

١٤ — يَسُوقُ لَنَا قِلَابَةُ عَبْدُ عَمْرٍو ... لِيَرْمِيَنَا بِهِمْ فِيمَنْ رَمَانَا

١٥ — وَلَوْ نَظَرُوا ٱلصَّبَاحَ إِذًا لَذَاقُوا ... بِأَطْرَافِ ٱلْأَسِنَّةِ مَا قِرَانَا

١٦ — وَإِنَّا بِٱلصُّلَيْبِ وَبَطْنِ فَلْجٍ ... جَمِيعًا وَاضِعِينَ بِهَا لَظَانَا

١٧ — نُدَخِّنُ بِٱلنَّهَارِ لِتُبْصِرِينَا ... وَلَا نَخْفَى عَلَى أَحَدٍ بَغَانَا

١٨ — فَإِنْ يَحْتَفْ أَبُو عِمْرَانَ عَنَّا ... فَإِنَّا وَٱلثَّوَاقِبِ لَوْ رَآنَا

١٩ — لَقَالَ ٱلْمُعْوِلَاتُ عَلَيْهِ مِنْهُمْ ... لَقَدْ حَانَتْ مَنِيَّتُهُ وَحَانَا

(٥ — ٨) الطرف الكريم من الخيل . الشاكلة الخصر . الأرعن الجيش الذى يضطرب لكثرته . سلاف العسكر متدمته . الاوان بيت مرتفع البناء غير مسدود الوجه ، (وهو فارسى معرب) . الابطة شجرة يصنع منها القوس والقناة. الصدق الصلب المستوى من الرماح .

(٩ — ١٢) الشطبة (بضم الشين) طريقة السيف فى صفحته وتموج فرنده . الجران مقدم العنق . المصقلة ما يجلى به السيف ويكشف صداه . فتانا بدل من (أبو عجلان) . العارض صفحة الخد . شفرة السيف حده .

(١٣ — ١٦) كشف جمع أكشف وهو الذى لا ترس معه فى الحرب . أزمه عضه ، وأزم عليهم الدهر اشتد . نظروا انتظروا . الصباح يوم الغارة . القرى إضافة الضيف ، وهو يقصد هنا النكاية بالعدو . اللظى النار أو لهبها .

(١٧ — ١٩) يحتف يستخفى، حتى عنه أكثر السؤال عن حاله . الثواقب النجوم ،شهاب ثاقب ونجم ثاقب شديد الاضاءة . المعولات النادبات يعولن والعويل البكاء .

هذه هي القصيدة الوحيدة في ديوان الأعشى ، التي رويت له في مدح النعمان بن المنذر . وقد سقط اسم الممدوح من ديباجة هذه القصيدة في الأصل وفي طبعة أوربا . فجاءت هكذا (. . . وقدم النابغة وزهير وعلقمة بن عبدة فمدحوه ومدحه الأعشى) ثم جاء في نهاية القصيدة (وفضل النعمان يومئذ الأعشى عليهم بهذا الشعر) . وليس في القصيدة مايدل على اسم الممدوح . ولكننا استدللنا على أنها في مدح النعمان بما جاء في نهاية القصيدة، وبما جاء في خزانة الأدب للبغدادي ، إذ روى البيت (١٢) من هذه القصيدة ، وقال إنه من قصيدة للأعشى في مدح النعمان بن المنذر .

والنعمان بن المنذر هو آخر ملوك الحيرة من آل المنذر . وهو الذي غضب عليه كسرى أبرويز بن هرمز ، لمكيدة دبرها له زيد بن عدي ، انتقاماً منه لقتله أباه عدي بن زيد قبل ذلك فقتله . وقد اختلفوا في قتله ، فقيل إنه سجنه في سجن (خانقين) الذي خنق فيه عدي بن زيد من قبل ، فلم يزل فيه حتى وقع الطاعون هناك فمات . وقيل إنه حبسه في موضع بالمدائن يسمى (ساباط) ، وقيل إنه ألقاه تحت أرجل الفيلة فقتلته . ولقتله قصة طويلة فصلها صاحب الأغاني في كتابه (١) .

وكان النعمان متزوجاً من كندة . وكانت له من زوجته الكندية ابنة جميلة اسمها هند ، تزوجها عدي بن زيد . ثم غدر النعمان بزوجها فسجنه حتى مات . فترهبت هند بعد موته ، وحبست نفسها في الدير المعروف بدير هند في ظاهر الحيرة . وقد عاشت هند بعد الاسلام بزمان طويل ، وتوفيت في ولاية المغيرة بن شعبة بالكوفة (٢) . وروى أن المغيرة خطبها لنفسه ، فردته حين علمت أنه إنما قصد إلى الفخر ، بعد أن ذهب شبابها وجمالها . وكان النعمان بن المنذر نصرانيا فيما يروى ، نصره عدي بن زيد .

يقدم الشاعر للمديح بثلاثة أبيات في الغزل فيقول :

١ — أترحل عن (ليلى) بغير زاد ، وكأنك قضيت من اللهو حاجتك وبلغت المراد ؟

٢ — إن من فساد رأي الرجل ، أن يعلق قلبه بغانية ناعمة ، كلما دنا منها أمعنت في الصد والبعاد .

٣ — أتنسين ماقضينا في (دُحَيْضَة) وبين (البَدِيّ) و (ثَهْمَد) من أيام الوداد؟

ثم لايلبث الشاعر أن ينتقل إلى وصف الصحراء والرحلة للممدوح ، فيقول :

٤ — كم من صحراء مضلة ، يلعب فوقها السراب متموجاً ، كأنه كساء الكتان الأبيض المخطط بسواد .

٥ — قطعتها بناقة حمراء من خيرة النوق، تمرح طول ليلها في نشاط، ثم تصبح مكتملة القوى لم يعتورها الكلال.

٦ — لم تزل تعلف النوى المدقوق قد خلط بالحشيش ، وتسق صافي المـــاء ، وتطعم الشعير يكال لها بالمكيال .

٧ — عند (ابن يزيد) أو (ابن مُعَرِّف) ، يفتّ لها العلف طوراً بأصابعه . ويحش لها الكلأ تارة أخرى بالمنجل .

٨ — حتى أصبحت في ضخامتها كبنيان (التهامي) الشامخ ، شيد بالحجارة والآجر والطين والجير .

٩ — فلما جاء اليوم الذي يرقد فيه النوّام ، وأمضي أنا لما عقدت عليه العزم ، وما تهيأت له من أمر ،

١٠ — شددت عليها الرحل ، فنهضت به مسرعة ، تنحرف عن ظهر الطريق تارة ، وتعود تارة أخرى للرشاد .

---

(١) الأغاني ٢ : ١٠٦ — ١٤٦

(٢) ولي المغيرة الكوفة سنة ٤١ هـ وتوفي سنة ٥٠ .

وَقَالَ يَمْدَحُ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ :

(طويل)

١ — أَتَرْحَلُ مِنْ لَيْلَى وَلَمَّا تَزَوَّدِ ... وَكُنْتَ كَمَنْ قَضَّى اللُّبَانَةَ مِنْ دَدِ

٢ — أَرَى سَفَهًا بِالْمَرْءِ تَعْلِيقَ لُبِّهِ ... بِغَانِيَةٍ خَوْدٍ مَتَى تَدْنُ تَبْعُدِ

٣ — أَتَنْسَيْنَ أَيَّامًا لَنَا بِدُحَيْضَةٍ ... وَأَيَّامَنَا بَيْنَ الْبَدِيِّ فَثَهْمَدِ

٤ — وَبَيْدَاءَ تِيهٍ يَلْعَبُ الْآلُ فَوْقَهَا ... إِذَا مَا جَرَى كَالرَّازِقِيِّ الْمُعَضَّدِ

٥ — قَطَعْتُ بِصَهْبَاءِ السَّرَاةِ شِمِلَّةٍ ... مَرُوحِ السُّرَى وَالْغِبِّ مِنْ كُلِّ مِسْأَدِ

٦ — بَنَاهَا السَّوَادِيُّ الرَّضِيخُ مَعَ الْخَلَى ... وَسَقْيِي وَإِطْعَامِي الشَّعِيرَ بِمَحْفَدِ

٧ — لَدَى ابْنِ يَزِيدٍ أَوْ لَدَى ابْنِ مُعَرِّفٍ ... يُفَتُّ لَهَا طَوْرًا وَطَوْرًا بِمِقْلَدِ

٨ — فَأَضْحَتْ كَبُنْيَانِ التَّهَامِيِّ شَادَهُ ... بِطِينٍ وَجَيَّارٍ وَكِلْسٍ وَقَرْمَدِ

٩ — فَلَمَّا غَدَا يَوْمُ الرُّقَادِ وَعِنْدَهُ ... عَتَادٌ لِذِي هَمٍّ لِمَنْ كَانَ يَغْتَدِي

١٠ — شَدَدْتُ عَلَيْهَا كُورَهَا فَتَشَدَّدَتْ ... تَجُورُ عَلَى ظَهْرِ الطَّرِيقِ وَتَهْتَدِي

١١ — ثَلَاثًا وَشَهْرًا ثُمَّ صَارَتْ رَذِيَّةً ... طَلِيحَ سِفَارٍ كَالسِّلَاحِ الْمُفَرَّدِ

١٢ — إِلَيْكَ أَبَيْتَ اللَّعْنَ كَانَ كَلَالُهَا ... إِلَى الْمَاجِدِ الْفَرْعِ الْجَوَادِ الْمُحَمَّدِ

١٣ — إِلَى مَلِكٍ لَا يَقْطَعُ اللَّيْلُ هَمَّهُ ... خَرُوجٍ تَرُوكٍ لِلْفِرَاشِ الْمُمَهَّدِ

١٤ — طَوِيلِ نِجَادِ السَّيْفِ يَبْعَثُ هَمُّهُ ... نِيَامَ الْقَطَا بِاللَّيْلِ فِي كُلِّ مَهْجَدِ

(١ — ٣) الدد والددن اللهو . الخود الشابة الحسنة المنظر الناعمة .

(٤ — ٦) الآل السراب . الرازقى ثوب أبيض من الكتان . المعضد ثوب مخطط فى موضع العضد . الصهبة حمرة مضربة بالسواد . سراة كل شىء خياره . شملة وشمول بمعنى واحد وهى النشيطة . غب كل شىء عقبه ومايليه . الإسآد سير الليل كله . السوادى النوى . الرضيخ فعيل بمعنى مفعول من رضخه أى دقه بالمرضخة . الخلى الحشيش . المحفد شىء تعلف به الدواب ، وقدح يكال به .

(٧ — ٩) فت الشىء وفتته دقه وكسره بالأصابع . المقلد الوعاء والقلادة . الكلس الحجارة . القرمد الآجر (وهو معرب) . الهم مايشغل البال . يغتدى ينطلق فى الغداة وهو الصباح المبكر .

(١٠ — ١٢) تجور تنحرف عن الجادة أى الطريق . الرذية الناقة المهزولة من السير ، وكذلك الطليح . المفرد الذى لانظير له . المحمد المحمود .

(١٣ — ١٤) همه مايشغل باله ومايدبره من كبار الأمور . الفراش الممهد اللين الوثير . نجاد السيف حمائله يكنى بطوله عن طول قامته . القطا طائر فى حجم الحمام .

١١ــ وظلت تدمن السير شهراً كاملا وثلاثة أيام ، حتى هزلت وأعيتها الأسفار ، وذهب كل صحبها فبقيت هي وحدها كالسيف الفريد .

ثم يتخلص الشاعر إلى ممدوحه قائلا :

١٢ــ إليك ـ أبيتَ اللعن ـ كان هزالها وإعياؤها ، إلى ماجد الأصل الكريم المحمود الخصال .

١٣ــ إلى ملك لايعوقه الليل عما هم به من أمر ، ولا يحول دون إنفاذه ، فهو كثير الخروج فيه ، كثير الهجر لفراشه الناعم الوثير .

١٤ــ تتدلى على قامته المديدة علائق سيفه الطويلة ، ويثير قطا الصحراء الراقدة فى مكامنها .

١٥ــ إذا كشفت الحرب عن أنيابها لم تجدك وانياً ولا نعّاساً على مراصدها ومسالكها .

١٦ــ ولكن توقدها وتصطلى نارها ، إذا بعثوك لها أوسعتها حطباً ، وأشعلتها غير متوان .

١٧ــ وإنى أقسم بالذى تحج إليه قريش ، لقد كدت أعداءك كيد رجل غير دعى ولا ضعيف .

١٨ــ كدتهم جميعاً غير معتد ولا ظالم ، ووطئتهم وطأ البعير المقيد الذى يدوس بكلتا يديه .

١٩ــ بكتيبة مجتمعة مضمومة ، لا تبلغ مداها العين ، وخيل وأرماح ، وجنود مؤيدة بروحك وقوتك .

٢٠ــ رابط الجأش ، حين يفزع الناس أشتاتاً ، ويتعالى صوت المستغيث ، حتى لكأن نعام الصحراء الجفل النفور قد باض عليهم ، حين خيل إليه لثباتهم أنهم جماد .

ويشبه الشاعر ممدوحه بالأسد . ثم ينصرف إلى إبراز صورة هذا الأسد وتصوير شجاعته ، حتى إذا أرضى نفسه من ذلك ، عاد فقال إن ممدوحه لايقل جرأة عن مثل هذا الأسد . وهذا أسلوب جاهلى معروف ، أكثر ما نجده فى شعر الناقة . وقد تقدمت له أمثلة كثيرة فيما مضى من شعر فى هذا الديوان . يقول الأعشى :

٢١ــ وليس الأسد فى خدره ، وكأن جبينه قد طُلِىَ بصبغ (الوَرْس) الأصفر ، أو ضُمِّخ بالزعفران .

٢٢ــ تراكم عليه بعوض (القَرْيَتين)، حتى أصبح جبينه كثوب القطيفة المخمّل، كلما آذته بلدغها ضاق صدره وثار .

٢٣ــ كأن ثياب القوم من حول عرينه ، وقد تمزقت فلم يبق منها إلا قطع متناثرة ، سراويل الملاحين القصيرة ، قد ألقيت إلى جنب نبات استوى على سوقه جافا وقد بلغ الحصاد .

١٥— فَمَا وَجَدَتْكَ الْحَرْبُ إِذْ فَرَّ نَابُهَا ... عَلَى الْأَمْرِ نَعَّاسًا عَلَى كُلِّ مَرْصَدِ

١٦— وَلٰكِنْ يَشُبُّ الْحَرْبَ أَدْنَى صِلَاتِهَا ... إِذَا حَرَّكُوهُ حَشَّهَا غَيْرَ مُبْرِدِ

١٧— لَعَمْرُ الَّذِي حَجَّتْ قُرَيْشٌ قَطِينَهُ ... لَقَدْ كِدْتَهُمْ كَيْدَ امْرِئٍ غَيْرِ مُسْنَدِ

١٨— أُولَى وَأُولَى كُلٌّ فَلَسْتَ بِظَالِمٍ ... وَطِئْتَهُمْ وَطْءَ الْبَعِيرِ الْمُقَيَّدِ

١٩— بِمَلْمُومَةٍ لَا يَنْفُضُ الطَّرْفُ عَرْضَهَا ... وَخَيْلٍ وَأَرْمَاحٍ وَجُنْدٍ مُؤَيَّدِ

٢٠— كَأَنْ نَعَامَ الدَّوِّ بَاضَ عَلَيْهِمُ ... إِذَا رِيعَ شَتَّى لِلصَّرِيخِ الْمُنَدَّدِ

٢١— فَمَا مُخْدِرٌ وَرْدٌ كَأَنَّ جَبِينَهُ ... يُطَلَّى بِوَرْسٍ أَوْ يُطَانُ بِمُجْسَدِ

٢٢— كَسَتْهُ بَعُوضُ الْقَرْيَتَيْنِ قَطِيفَةً ... مَتَى مَا تَنَلْ مِنْ جِلْدِهِ يَتَزَنَّدِ

٢٣— كَأَنَّ ثِيَابَ الْقَوْمِ حَوْلَ عَرِينِهِ ... تَبَابِينُ أَنْبَاطٍ إِلَى جَنْبِ مُحْصَدِ

٢٤— رَأَى ضَوْءَ نَارٍ بَعْدَ مَا طَافَ طَوْفَةً ... يُضِيءُ سَنَاهَا بَيْنَ أَثْلٍ وَغَرْقَدِ

٢٥— فَيَا فَرَحًا بِالنَّارِ إِذْ يَهْتَدِي بِهَا ... إِلَيْهِمْ وَإِضْرَامِ السَّعِيرِ الْمُوقَدِ

٢٦— فَلَمَّا رَأَوْهُ دُونَ دُنْيَا رِكَابِهِمْ ... وَطَارُوا سِرَاعًا بِالسِّلَاحِ الْمُعَتَّدِ

٢٧— أُتِيحَ لَهُمْ حُبُّ الْحَيَاةِ فَأَدْبَرُوا ... وَمَرْجَاةُ نَفْسِ الْمَرْءِ مَا فِي غَدٍ غَدِ

٢٨— فَلَمْ يَسْبِقُوهُ أَنْ يُلَاقِي رَهِينَةً ... قَلِيلَ الْمَسَاكِ عِنْدَهُ غَيْرَ مُفْتَدِي

(١٥ — ١٨) فر الدابة فتح فاها وكشف عن أسنانها ليعرف سنها . المرصد اسم مكان من رصد . رصده قعد له على طريقه وراقبه . (أدنى صلاتها) حال من الفاعل المستتر في (يشب) . شب النار أوقدها . صلى النار (كعلم) قاسى حرها . حش النار حركها . مبرد اسم فاعل من أبرد الشيء أي برده ، يعني أنه لا يدعها تطفأ . يقال لأهل مكة قطين الله ، والقطين القاطن ، والأنسب هنا أن تكون قطين بمعنى المقطون ودار الاقامة . المسند الدعي . البعير المقيد أثقل وطأ لأنه يطأ بكلتا رجليه .

(١٩ — ٢١) كتيبة ملمومة مجتمعة مضموم بعضها إلى بعض . نفض المكان نظر جميع ما فيه حتى يعرفه . مؤيد قوي يؤيده الممدوح أي يقويه . الدو المفازة والصحراء . ريع من راعه أي أفزعه . شتى متفرقون . الصريخ المغيث والناصر وهو كذلك المستغيث ، من الأضداد . ندد بصوته رفعه . مخدر أسد في خدره أي عرينه . الورس نبات كالسمسم أصفر يزرع في اليمن ويصبغ به . ثوب مجسد مصبوغ بالزعفران . والجسد الزعفران . يطان يطلى .

(٢٢ — ٢٥) القريتان مكة والطائف . القطيفة نوع معروف من النسيج له وبر . تزند غضب وضاق صدره . التبان سراويل صغير يلبسه الملاحون والمصارعون (فارسي معرب) . النبط جيل كان يسكن العراق سموا بذلك لكثرة الماء في أرضهم . محصد زرع حان حصاده ، اسم مفعول من أحصد الزرع حان حصاده . الأثل والغرقد شجرتان . السعير النار .

(٢٦ — ٢٨) دنيا مؤنث أدنى من الدنو وهو القرب . المعتد المعد أعتده أي أعده مهيأ . أتيح له الأمر هيئ وقدر . ما في غد هو خبر المبتدأ (مرجاة) ، غد الثانية توكيد للأولى ، أي أن رجاءهم لما في الغد قد حملهم على الفرار . الرهينة الأسير . المساك الاحتباس والثبات والاعتصام .

٢٤— ظل يطوف باحثاً عن فريسة ، حتى رأى ناراً يلمع ضوؤها ، وقد استعرت فى خشب (الأثْل) و(الغَرْقد)

٢٥— ففرح بها إذ هدته إلى موضع القوم ودلته على مكانهم .

٢٦— فلما رأوه وقد بلغ أقرب ركابهم ، وفزعوا إلى أسلحتهم وعتادهم مسرعين ،

٢٧— عاودهم التعلق بالحياة فتراجعوا مدبرين ، وثناهم ما يداعب نفوس الناس فى غدهم من آمال .

٢٨— ولكنه عاجلهم باختطاف أحدهم ، واحتجزه عنده رهينة قليلة البقاء ، لا تُفْتَدَى بمال .

٢٩— ولم يكد يصرخ مستغيثاً بأصحابه إلا صرخة واحدة، ثم كان الذى لا يسمعون له بعده صوتاً ولا استغاثة .

ويعود الشاعر بعد هذا التفصيل الطويل فى وصف الأسد وجرأته ليقول :

٣٠— ليس مثل هذا الأسد بأصدق منك بأساً ونجدة ، إذا اشتد الحرج فنكص الأبطال هاربين .

٣١— وليس النهر الفياض الذى يمد بمائه الجداول فى (صَغْنَبَى) ، وقد مُهِّدت لمورده المسالك والطرقات .

٣٢— يروى (النبيطُ) الزُّرْقُ ديارَهم من نواحيه ، وقد مدوا إليها القنوات فاجتمع فيها الماء .

٣٣— بأجود منه بالعطاء ، حين يذود بعض الناس عن ماله بكاذب الوعود وهى هباء .

٣٤— يهب الإبل البيضاء ، ضخمةً كأنها النخيل ، والجيادَ الملساء ، طويلةَ الظهور كأنها الرماح ، بين مستحدَث أفاءته عليه الحروب والغارات ، وقديمٍ ورثه عن آبائه السادات .

ويختم الشاعر قصيدته بالاعتذار إلى النعمان عن إقلاله من زيارته ، لضعف بصره أو ذهابه ـ ونحن نعلم أن الأعشى فقد بصره فى آخر أيامه ـ فيقول :

٣٥— فلا تحسبنى جاحداً لفضلك ونعمتك على ، فإنى أُشهدُ اللهَ والحاضرين على صدق ما أقول .

٣٦— ولكن مثلى ممن لا تبصر عينه الأرض ولا يستطيع أن يميز الطريق ، يحتاج إلى الذى يصاحبه ويؤنس وحدته من صديق أو رفيق .

٢٩— فَأَسْمَعَ أُولَى الدَّعْوَتَيْنِ صِحَابَهُ ... وَكَانَ الَّتِي لَا يَسْمَعُونَ لَهَا قَدِ

٣٠— بِأَصْدَقَ بَأْسًا مِنْكَ يَوْمًا وَنَجْدَةً ... إِذَا خَامَتِ الْأَبْطَالُ فِي كُلِّ مَشْهَدِ

٣١— وَمَا فَلَجٌ يَسْقِي جَدَاوِلَ صَغْنَبَى ... لَهُ شَرَعٌ سَهْلٌ عَلَى كُلِّ مَوْرِدِ

٣٢— وَيُرْوِي النَّبِيطُ الزُّرْقُ مِنْ حَجَرَاتِهِ ... دِيَارًا تُرَوَّى بِالْأَتِيِّ الْمُعَمَّدِ

٣٣— بِأَجْوَدَ مِنْهُ نَائِلًا إِنَّ بَعْضَهُمْ ... كَفَى مَالَهُ بِاسْمِ الْعَطَاءِ الْمُوَعَّدِ

٣٤— تَرَى الْأُدْمَ كَالْجَبَّارِ وَالْجُرْدَ كَالْقَنَا ... مُوَهَّبَةً مِنْ طَارِفٍ وَمُتَلَّدِ

٣٥— فَلَا تَحْسَبَنِّي كَافِرًا لَكَ نِعْمَةً ... عَلَيَّ شَهِيدٌ شَاهِدُ اللَّهِ فَاشْهَدِ

٣٦— وَلَكِنَّ مَنْ لَا يُبْصِرُ الْأَرْضَ طَرْفُهُ ... مَتَى مَا يُشِعْهُ الصَّحْبُ لَا يَتَوَحَّدِ

(٢٩ — ٣١) أسمع أولى الدعوتين صاح صيحة واحدة ثم لم يمهله الأسد ليصيح صيحة ثانية . قد اسم فعل بمعنى يكفي . البأس القوة . النجدة إغاثة المستغيث . خام نكص وجبن . المشهد يقصد به القتال . الفلج والجدول النهر الصغير . صغنبى موضع باليمامة . الشرع الطريق إلى الماء . المورد موضع الورود على الماء .

(٣٢ — ٣٣) النبيط جيل من العجم ينزلون بالبطائح بين العراقين ، ويستعمل كذلك في أخلاط الناس وعوامهم . الزرق يقصد الزرق العيون لأنهم ليسوا عربا . حجراته نواحيه . الأتي جدول تؤتيه إلى أرضك . المعمد من عمد السيل إذا سد وجهه بتراب ونحوه حتى يجتمع في موضع . العطاء الموعد أي الذي يظل وعدا ولا ينفذه صاحبه ولا يفي به .

(٣٤ — ٣٦) الأدم جمع آدم وهو من الإبل لون مشرب سوادا أو بياضا أو هو البياض الواضح ، من الأضداد . الجبار النخلة الطويلة . الجرد الخيول . كالقنا طويلة الظهور كالرماح . طارف مستحدث من الغنائم . متلد قديم . من لا يبصر الأرض طرفه ، ذلك لأن الأعشى عمي في آخر أيامه . أشاعه الصحب كانوا له شيعة ورفقاء . توحد تفرد . لا يتوحد أي لا يستوحش بوحدته .

هذه هي القصيدة الثانية في مدح إياس بن قبيصة الطائي . وقد مضت ترجمة إياس مع القصيدة الأولى (٢١) .

يقول الأعشى :

١ ــ وقفت اليوم عند ديار (تيا) فى (جو) ، فاهتديت إلى منزلها ، وإلى عيدان الشجر المسقوفة التى كانت تستظل بها من الحر .

٢ ــ فهيجت الآثار الحنين فى قلب حزين مكروب ، فأرسل دمعه يجرى غزيراً فوق هذه الأطلال .

٣ ــ وغنت الحمامة فى (قرماء) تدعو أليفها ، وقد فترت الحرارة حين بدأت السحب فى التجمع ، فهاجت أشواقك للحبيب .

٤ ــ ومن عجب أن يشتاق مثلك من آثار ذهبت وامحت ، فلم يبق منها إلا يابس الحشائش ، وإلا ما كانت تسد به الفتحات والثقوب من خوص (الثمام) .

٥ ــ تعيبنى (قُتَيْلة) - وإن كانت هى نفسها لا تخلو من عيب - فتقول حين رأتنى :

٦ ــ أراك كبرت ، وتغير خلقك عما عهدت ، فانصرفت عن الخز والنساء .

٧ ــ فإن يك شعر صدغى قد شاب يا (قتل) ، وأضحت رأسى وكأن نور (الثغام) الأبيض قد نثر فوق مفرقها ،

٨ ــ وعاد باطلى إلى القصد والاعتدال ، وصحوت من سكرة الغواية حتى كأن لم أكن غلاما عابثا فى يوم من الأيام ،

٩ ــ فإن دوران الزمن وتتابع أحداثه الجسام ، تفنى السيف الصلب الحسام .

* * *

١٠ ــ ولقد تحل بى الهموم وتثقل على ضيافتها ، فأطعمها ناقة شديدة مكتنزة اللحم ، قد ادخرت للرحلة ومنع عنها الفحول فهى عقام .

١١ ــ يتجافى مرفقها المفتول عن إبطها ، وتسمع لسيور الرحل حين تحز فى هيكلها الضخم أطيطا كأنه صوت الرماح فى يد الذى يلينها ويقومها على النار .

١٢ ــ إذا رعتها بالزجر هبت مسرعة ، لهـــا فى جريها حفيف كحفيف ذكر النعام حين ينشر جناحيه مطاردا أنثاه .

وقال يمدح إياسَ بْنَ قبيصةَ الطائي :

١ — عرفْتَ ٱليومَ من تَيَّا مُقَاما   بجَوٍّ أوْ عرفْتَ لها خِيَامَا   (وافر)

٢ — فَهاجَتْ شوْقَ محْزونٍ طَرُوبٍ   فَأسْبَلَ دمْعَهُ فيها سِجَامَا

٣ — ويوْمَ ٱلخَرْجِ مِنْ قَرْماءَ هاجَتْ   صِبَاكَ حَمَامَةٌ تَدْعُو حَمَامَا

٤ — وهَلْ يَشْتَاقُ مِثْلُكَ مِنْ رُسُومٍ   عَفَتْ إلا ٱلأَيَاصِرَ والثُّمَامَا

٥ — وقَدْ قالَتْ قُتَيْلَةُ إذْ رَأَتْنِي   وقَدْ لا تَعْدَمُ ٱلحسْنَاءُ ذَامَا

٦ — أَرَاكَ كَبِرْتَ وَاسْتَحْدَثْتَ خُلْقًا   وَوَدَّعْتَ ٱلكَوَاعِبَ وَٱلمُدَامَا

٧ — فَإنْ تَكُ لِمَّتِي يا قَتْلُ أَضْحَتْ   كَأَنَّ عَلَى مَفَارِقِهَا ثَغَامَا

٨ — وأَقْصَرَ بَاطِلِي وَصَحَوْتُ حَتَّى   كَأَنْ لَمْ أَجْرِ فِي دَدَنٍ غُلَامَا

٩ — فَإنَّ دَوَائِرَ ٱلأَيَّامِ يُفْنِي   تَتَابُعُ وَقْعِهَا الذَّكَرَ ٱلحُسَامَا

١٠ — وقَدْ أَقْرِي ٱلهُمُومَ إذَا ٱعْتَرَتْنِي   عُذَافِرَةً مُضَبَّرَةً عُقَامَا

١١ — مُفَرَّجَةً يَئِطُّ النِّسْعُ فِيهَا   أَطِيطَ ٱلسَّمْهَرِيَّةِ أَنْ تُقَامَا

١٢ — إذَا مَا رُعْتَهَا بِالزَّجْرِ أَجَّتْ   أَجِيجَ مُصَلَّمٍ يَزْفِي نَعَامَا

(١ — ٣) تيا اسم إشارة تصغير تي . الخيمة بيت يبنى من عيدان الشجر ويلقى عليه ثمام ويتجرد به فى الحر . والثمام نبت ضعيف له خوص . هاجت حركت وأثارت . طروب حزين وهو من الأضداد . انسجم الدمع سال . الخرج السحاب أول ما ينشأ . قرماء موضع باليمامة . الصبا الشوق .

(٤ — ٦) الأيصر والأياصر الحشيش . الثمام نبت ضعيف له ورق شبيه بالخوص تسد به خصائص البيوت . الذام العيب . هذا مثل عربى له قصة ذكرها الميدانى فى كتابه « مجمع الأمثال » يقصد به أن الحسناء — مهما يبد من كمالها — لا تخلو من نقص يعيبها .

(٧ — ٩) اللمة الشعر المجاوز شحمة الأذن ، فاذا بلغ المنكبين فهو جمة (بضم الجيم) . المفرق وسط الرأس وهو الموضع الذى يفرق فيه الشعر . الثغام نبت له نور أبيض يشبه به الشيب . أقصر عن الأمر انتهى وكف . الددن اللهو . الذكر السيف الصارم . الحسام القاطع الذى يحسم أى يقطع .

(١٠ — ١٢) قرى الضيف أضافه وأطعمه . اعتراه حل به . عذافرة ناقة شديدة . مضبرة مجتمعة . عقام بازل شديدة ، أو لم يولد لها ، والولادة تضعفها وتذهب بقوتها . مفرجة بعد مرفقها عن إبطها لامتلائه . الأطيط صوت الرحل . النسع السير الذى يشد به الرحل إلى بطن الناقة . السمهرية الرماح . تقام يقوم اعوجاجها على النار . راعها أفزعها . أجت عدت وكان لها حفيف فى عدوها . المصلم المقطوع الأذنين وهو النعام . زف الظليم نشر جناحيه ، وزفت الريح السحاب طردته .

١٣ـ تشق الليل وبرد الصباح ، بعنقها الطويل الكثير الحركة إذ يضطرب فيه الزمام .

١٤ـ وعلا هيكلها الضخم ـ وكأنه هيكل الفحل المكرم الذى أُدْخِر للضراب ـ سيورَ الرحل ، حتى ما تتحرك فوقه ، وتسرع حين يقوم قائم الظهيرة ويركد الحر ويصوم النهار .

١٥ـ إذا قر صحبها من النوق الأثمات ، تحاملت على ماتعانى من آلام ، تطوى الطريق وتجترع الآكام .

١٦ـ ولقد أبادر صحبى من الشاربين بالراح فى الصباح ، من دَنّ أسود ضخم عتيق .

١٧ـ من نادر الخمر ، التى اجتلبت من مواطنها محمولة فوق النوق والدواب، تنفذ رائحتها القوية إلى الأنف وكأنها ريح المسك ، فتستل الزكام .

١٨ـ إذا مزجت بالماء ، بدا سطحها ـ بعد أن يذهب زبده ـ متوهجاً براقاً ، كأنما صبت الشمس فوقه قطعاً من شعاعها .

١٩ـ ظل تاجرها فى (عانات) شهراً يختارها وينتقيها ، ثم حبسها عنده ، يرجى مايعود عليه منها عاماً بعد عام .

٢٠ـ كان يعلق عليها الآمال ، ويرجو أن يصيب بها الثراء ، فأغلق دونها يساوم فى ثمنها ، مغاليا فى السوام .

٢١ـ فوفيناه ماطلب ولم نبخل عليه به . فلمثلها كنا نهين الإبل ، فنشربها بأثمانها .

٢٢ـ إذا فت الخمار عن فم دنها السداد . انبعث ضوؤها كشعاع الشمس الوهاج .

٢٣ـ ولكم خلوت ليلة كاملة بمضاجعة بيضاء المعاصم صاحبة لهو لعوب .

وبعد هذا الحديث الطويل ، الذى تنقل فيه الشاعر بين ذكريات شبابه ، ينتقل فجأة ، وبغير تقديم ، إلى المدح . فيتجه بالخطاب إلى بعض أعداء ممدوحه ، أو بعض رعيته ممن كان يلى عليهم . وكأنه كان مريضاً ، فجرأهم مرضه عليه . فهو يقول لهم إنه جدير أن ينكل بهم إن أبلَّ من مرضه

٢٤ـ إنى أقسم لكم بمن قتل من رجالكم فى (رأس العين) ، لئن قام من فراشه ونفض عنه السقام ،

٢٥ـ ـ وذلك قريب غير بعيد ـ ثم اجتمعت إليه الجموع من جيوشه ، ليسعينَّ إليكم فى دياركم حتى يروم مالا يرام .

١٣— تَشُقُّ اللَّيْلَ وَالسَّبَرَاتِ عَنْهَا ... بِأَتْلَعَ سَاطِعٍ يُشْرِى الزِّمَامَا

١٤— وَتَغْتَالُ النُّسُوعَ بِجَوْزِ قَرْمٍ ... مُوَاشِكَةً إِذَا مَا الْيَوْمُ صَامَا

١٥— إِذَا مَا الآئِمَاتُ وَنَيْنَ حَطَّتْ ... عَلَى الْعِلَّاتِ تَجْتَرِعُ الْأَكَامَا

١٦— وَأَدْكَنَ عَاتِقٍ جَحْلٍ سِبَحْلٍ ... صَبَحْتُ بِرَاحِهِ شَرْبًا كِرَامَا

١٧— مِنَ اللَّائِي حُمِلْنَ عَلَى الرَّوَايَا ... كَرِيحِ الْمِسْكِ تَسْتَلُّ الزُّكَامَا

١٨— مُشَعْشَعَةً كَأَنَّ عَلَى قَرَاهَا ... إِذَا مَا صَرَّحَتْ قِطَعًا سَهَامَا

١٩— تَخَيَّرَهَا أَخُو عَانَاتَ شَهْرًا ... وَرَجَّى أَوْلَهَا عَامًا فَعَامَا

٢٠— يُؤَمِّلُ أَنْ تَكُونَ لَهُ ثَرَاءً ... فَأَغْلَقَ دُونَهَا وَعَلَا سِوَامَا

٢١— فَأَعْطَيْنَا الْوَفَاءَ بِهَا وَكُنَّا ... نُهِينُ لِمِثْلِهَا فِينَا السَّوَامَا

٢٢— كَأَنَّ شُعَاعَ قَرْنِ الشَّمْسِ فِيهَا ... إِذَا مَا فُتَّ عَنْ فِيهَا الْخِتَامَا

٢٣— وَبَيْضَاءِ الْمَعَاصِمِ إِلْفِ لَهْوٍ ... خَلَوْتُ بِشَكْرِهَا لَيْلًا تَمَامَا

٢٤— حَلَفْتُ لَكُمْ عَلَى مَا قَدْ تَعَيْشَمْ ... بِرَأْسِ الْعَيْنِ إِنْ نَقَضَ السِّقَامَا

٢٥— وَشِيكًا ثُمَّ ثَابَ إِلَيْهِ جَمْعٌ ... لِيَلْتَمِسَنْ بِلَادَكُمُ إِلَى مَا

(١٣ — ١٥) السبرة الغداة الباردة . أتلع عنق طويل . ساطع مرتفع . أشرى الزمام حركه . اغتال عليه احتكم . النسوع السيور التي يشد بها الرحل . جوز الشيء وسطه . القرم الفحل الذي لم يمسه حبل ولم يحمل عليه وترك للنسل . مواشكة سريعة . صام النهار قام قائم الظهيرة واشتد حره ، وأصل الصوم الامساك والسكون . الآئمات التي لا تصدق السير . حط انحدر من أعلى إلى أسفل ، وحط البعير اعتمد في الزمام على أحد شقيه . العلة المرض ، والعلات الحالات المختلفة . الآكام المرتفعات .

(١٦ — ١٨) أدكن هو الدن لأنه يطلى بالقطران لتسد مسامه فلا يرشح ما فيه من الخمر . عاتق قديم . الجحل السقاء العظيم . سبحل ضخم . الشرب (بفتح الشين) جماعة الشاربين . الزوايا جمع راوية وهو البعير أو البغل أو الحمار الذي يستقى عليه . المشعشعة الخمر التي أرق مزجها . القرى الظهر . صرحت ذهب زبدها . السهام (بفتح السين) مخاط الشيطان وهو لعاب الشمس ، شيء تراه كأنه ينحدر من السماء إذا حميت الظهيرة وقام قائمها .

(١٩ — ٢١) عانات بلد بالشام . أولها ما يؤول إليه أى يعود عليه من ربحها . ساوم السلعة غالى بها سوماً . السوام (بفتح السين) الابل الراعية .

(٢٢ — ٢٥) قرن الشمس أول شعاعها أو هو أول ما يبدو عند طلوعها . إلف لهو معتادة ذلك . الشكر (بفتح الشين) النكاح والفرج أو لحمه . تماه أنعم بموته . يقسم لهم بجرعتين في ذلك اليوم . وشيكا سريعاً . ثاب رجع . الى ما ، يوم ما أو شيء ما أو الى ما قد كان .

٢٦- ليسعين إلى دياركم بجيش عظيم يثير الغبار كثيفا مظلماً فوق الفيافى والقفار .

٢٧- جيش عريض تضيق به أرجاء الصحراء ، يستنفد أوله الموارد الغزيرة الماء ، قبل أن يبلغها آخره من الظماء .

٢٨- يحمل إليكم الموت ، يتقدمه (إياس) راكبا فرسا جرداء ، يملأ جنباها العظيمان حزام السرج .

٢٩- تبارى ظل رمح مستقيم مفتول - وكأنها تريد أن تسبقه - مرن فى يد الفارس الذى يركبها ، إذا هزه ارتعش متذبذبا ثم استقام .

٣٠- أخو نجدة يخـــف للمستغيث ، صبور إذا مسه الضر لا يرزح تحته ، وقور إذا دام عليه الخير لا يستخفه ولا يزدهيه .

٣١- يقسم أيامه بين اللهو والحرب ، فيوم للعاب الغوانى ويوم لركوب الأهوال العظام .

٣٢- مشرق الوجه ، يكشف الشدائد الجسام ، ويجلو ضوء طلعته الظلام .

٣٣- إذا بليت قوى العاجز المستضام ، والتذ لينَ الفراش فنام ،

٣٤- كفاه (إياس) الحرب إذ هاجت بعد سكون ، وخفَّ عن الوسائد فقام .

٣٥- إذا سار نحو بلاد قوم ، حمل إليهم الموت الزؤام .

٣٦- تعود جياده من الغارة آخر النهار كأنها الغيلان ، تتفتت تحت وقع حوافرها الصلبة الصخور .

٣٧- وهو قائم فوقها ، ممشوق القد ، ماضى العزم ، كأنه السيف الصقيل يهتز مشهورا فى يد الفارس المغوار .

٢٦— لِيَلْتَمِسَنْ بِلَادَكُمُ بِمَجْرٍ ... يُثِيرُ بِكُلِّ بَلْقَعَةٍ قَتَامَا

٢٧— عَرِيضٍ تَعْجِزُ الصَّحْرَاءُ عَنْهُ ... وَيَشْرَبُ قَبْلَ آخِرِهِ الْجِمَامَا

٢٨— يَقُودُ الْمَوْتَ يَهْدِيهِ إِيَاسٌ ... عَلَى جَرْدَاءَ تَسْتَوْفِي الْحِزَامَا

٢٩— تُبَارِي ظِلَّ مُطَّرِدٍ مُمَرٍّ ... إِذَا مَا هُزَّ أُرْعِشَ وَاسْتَقَامَا

٣٠— أَخُو النَّجَدَاتِ لَا يَكْبُو لِضُرٍّ ... وَلَا مَرِحٌ إِذَا مَا الْخَيْرُ دَامَا

٣١— لَهُ يَوْمَانِ يَوْمٌ لِعَابِ خَوْدٍ ... وَيَوْمٌ يَسْتَمِي الْقُحَمَ الْعِظَامَا

٣٢— مُنِيرٌ يَحْسُرُ الْغَمَرَاتِ عَنْهُ ... وَيَجْلُو ضَوْءُ غُرَّتِهِ الظَّلَامَا

٣٣— إِذَا مَا عَاجِزٌ رَثَّتْ قُوَاهُ ... رَأَى وَطْءَ الْفِرَاشِ لَهُ فَنَامَا

٣٤— كَفَاهُ الْحَرْبَ إِذْ لَقِحَتْ إِيَاسٌ ... فَأَعْلَى عَنْ نَمَارِقِهِ فَقَامَا

٣٥— إِذَا مَا سَارَ نَحْوَ بِلَادِ قَوْمٍ ... أَزَارَهُمُ الْمَنِيَّةَ وَالْحِمَامَا

٣٦— تَرُوحُ جِيَادُهُ مِثْلَ السَّعَالِي ... حَوَافِرُهُنَّ تَهْتَضِمُ السِّلَامَا

٣٧— كَصَدْرِ السَّيْفِ أَخْلَصَهُ صِقَالٌ ... إِذَا مَا هُزَّ مَشْهُوراً حُسَامَا

(٢٦ — ٢٨) المجر الجيش العظيم . البلقعة الأرض القفر التي لا شيء فيها . القتام الغبار الأسود . تعجز الصحراء عنه من كثرته . الجمام جمع جم (بفتح الجيم) وهو الكثير من كل شيء . يهديه يرشده ويقوده .

(٢٩ — ٣١) مطرد رمح مستقيم . ممر صلب مفتول . كبا يكبو انكب على وجهه . الضر (بضم الضاد وفتحها) سوء الحال والشدة . الخود الشابة الناعمة . يستمي يطلب . القحم الأهوال جمع قحمة (بضم القاف) .

(٣٢ — ٣٤) حسر الشيء (كنصر) كشفه ، لازم ومتعد . الغمرة (بفتح الغين) الشدة . غرته وجهه . رث الشيء بلى ، القوى الحبال . وطء الفراش وطأ سهل ولان . لقحت الحرب هاجت بعد سكون ، وأصله لقحت الناقة أي حملت . النمارق جمع نمرقة (بضم النون والراء) وهي الوسادة الصغيرة يتكأ عليها . أعلى عن الدابة نزل عنها وخفف حملها .

(٣٥ — ٣٨) تروح تعود آخر النهار . السعالى جمع سعلاة (بكسر السين) وهي الغول . السلمة (بفتح ثم كسر) الحجارة جمعها سلام . هضم الشيء كسره . صدر الشيء أعلاه ومتقدمه . أخلصه صفاه وميزه من غيره . الصقال الجلاء . مشهوراً أي مرفوعاً في اليد . حسام قاطع ، من حسم الشيء أي قطعه .

— ٣٠ —

هذه هي القصيدة الثالثة في الحارث بن وعلة . وقد سبقتها القصيدتان (٧) ، (٢٧) وكلتاهما هجاء ، وترجمة الحارث بن وعلة مذكورة في القصيدة (٢٧).

يقول الأعشى :

١ — أوقد تصابيت وشاقك لهو الشباب ، أم أنك قد فقدت الصواب ، حين آذن ود (زينب) بالذهاب ؟

٢ — وهاجت هوادج (زينب) منذ الصباح في قلبك الأحزان والعذاب ، وقد جعل القوم يهيئونها للرحيل طوال النهار حتى توارت الشمس بالحجاب .

٣ — فلما ارتحلوا قلتُ بالنخل (ابن يامن) ، أيهما أدنى إلى النعمة والثراء ، أهن أم اللاتى تغذوهن برطبك الحلو العُجاب ؟

٤ — ونخلك الطويل المرتفع الضخم الجذوع ، تحط عليه من الطيور أسراب ، تتجاوب أصواتها بالنعاب .

٥ — واستوين فوق هوادجهن وقد غطيت بغالى الثياب ، فى ألوانها الرِّغاب ، وقد حفت حواشيها بلون الورد وبالحمرة القانية .

٦ — وأسرعوا السير وقد حثوا المطى ، فلما خفت أن يتفرقوا فى الشِّعاب ، بين منحدر فى الوديان ومُصْعِد فى الهضاب .

٧ — تبعتهم تطوى بى البيد ناقة ضخمة نشيطة بارزة الأنياب .

٨ — مكتنزة اللحم صلبة ، فكأنما الرحل منها فوق حمار وحش من حمر (بَيَّان) الصِّلاب .

٩ — فلما بلغت الحى تطلع الفتيات ينظرن إلى وقد تطاولن بأجيادهن ، كأنهن القطيع من بقر الوحش المستظل بالأشجار وقد مد الرقاب .

١٠ — وفى الحى من يحب لقاءنا ويشتهيه ، ومنهم من قتلتهم الغيرة فهم ظاهرو العداوة غضاب .

١١ — فما أنس من شىء : فلن أنسى قولها : لعل النوى تجمعنا بعد التفرق والاغتراب .

١٢ — ولست أنسى خدها الأملس المسترسل وقد تحدر فوقه الدمع ، تكفكفه بأنامل كأنها هُدّاب الحرير الناعم الطويل وقد زانها الخضاب .

وقال يهجو الحارث بن وعلة :

(طويل)

١ — تَصَابَيْتَ أم بَانَتْ بعقلك زينبُ ... وقد جعل الوُدُّ الذي كان يَذْهَبُ

٢ — وشَاقَتْكَ أظعانٌ لزينبَ غُدْوَةً ... تَحَمَّلْنَ حتى كادت الشمسُ تَغْرُبُ

٣ — فلما استقلَّتْ قلتُ نخلُ ابنِ يامنٍ ... أَهُنَّ أم اللاتي تُرَبِّتُ يَتْرِبُ

٤ — طريقٌ وجَبَّارٌ رِوَاءٌ أصولُهُ ... عليه أبابيلٌ من الطيرِ تَنْعَبُ

٥ — عَلَوْنَ بأنماطٍ عِتَاقٍ وعَقْمَةٍ ... جوانبُها لونانِ وَرْدٌ ومُشْرَبُ

٦ — أجَدُّوا فلما خِفْتُ أن يتفرَّقُوا ... فريقينِ منهم مُصْعِدٌ ومُصَوِّبُ

٧ — طَلَبْتُهُمُ تَطْوِي بيَ البِيدَ جَسْرَةٌ ... شُوَيْقِئَةُ النابينِ وجناءُ ذِعْلِبُ

٨ — مُضَبَّرَةٌ حَرْفٌ كأنَّ قُتُودَها ... تَضَمَّنَها من حُمْرِ بَيَّانَ أحقبُ

٩ — فلما ادَّرَكْتُ الحيَّ أتلعَ أُنَّسٌ ... كما أتلعتْ تحتَ المكانسِ رَبْرَبُ

١٠ — وفي الحيِّ من يَهْوَى لِقَانا ويشتهي ... وآخرُ من أبدى العداوةَ مُغْضَبُ

١١ — فما أنسَ مِلْأشياءِ لا أنسَ قولَها ... لعلَّ النوى بعد التفرُّقِ تُصْقِبُ

١٢ — وخَدًّا أسيلًا يَحْدُرُ الدمعَ فوقه ... بنانٌ كهُدَّابِ الدِّمَقْسِ مُخَضَّبُ

(١ — ٣) تصابى الرجل مال إلى الصبوة واللهو واللعب وجهة الفتوة . كان هنا تامة أي الذي مضى وانقضى . شاقتك هاجتك . أظعان جمع ظعينة وهى الهودج . غدوة صباحا . تحملوا وضعوا أحمالهم على الابل يريدون الرحيل . استقل القوم ذهبوا وارتحلوا . ربت الربيب رباه . ترب (كطرب) اغتنى وافتقر ضد .

(٤ — ٦) الطريق والجبار من النخل الطويل . أبابيل جماعات . أنماط جمع نمط (بفتحتين) وهو ثوب ملون من صوف يطرح على الهودج . عتاق جمع عتيق وهو الكريم من كل شيء . العقم والعقمة (بفتح فسكون) ضرب من الوشي ، وهو أن تظهر خيوط أحد النيرين فيعمل العامل ، فاذا أراد أن يوشي بغير ذلك اللون لواه فأغمضه وأظهر ما يريد عمله . وأصل الاعتقام الى . أشرب اللون أشبعه فهو مشرب .

(٧ — ٩) جسرة ناقة ضخمة . شقأ نابه طلع حده فهو شاقىء ، وشويقئة تصغيره للأنثى . وجناء غليظة ، والوجين ما غلظ من الأرض . ذعلب خفيفة . مضبرة مكتنزة اللحم . حرف صلبة . بيان موضع . القتود الرحل . حمر جمع حمار . أحقب في حقويه بياض ، والحقو المخصر . ادرك افتعل من درك وأدرك أي لحق . أتلعت رفعت رؤوسها . أنس جمع آنسة وهى الطيبة النفس . المكانس جمع مكنس (اسم مكان) وهو مولج الوحش من الظباء وبقر الوحش تستكن فيه من الحر . الربرب القطيع من بقر الوحش

(١٠ — ١٢) النوى البعد ، وهى كذلك الدار ، والوجه الذي يذهب فيه المسافر وينويه . تصقب تدنو وتقرب . خد أسيل لين أملس طويل مسترسل . البنان أطراف الأصابع . الهداب ما فضل في أطراف النسيج من الخيوط . الدمقس الحرير . مخضب صفة للبنان مصبوغ بالحناء .

١٣- لكم اصطبحت بخمر صافية كعين الديك ، أغدو إليها قبل مطلع الشمس فأشربها على قرع النواقيس. مع فتية صلاب .

١٤- من سلاف الخمر وخالصها الرائق ، كأنها الزعفران الأصفر خلط بصبغ العندَم الأحمر، حين تروّق فى إنائها الفخارى الضخم ثم تمزج بالماء .

١٥- تسطع رائحتها فواحة فى البيت ، فكأنما حط به تجارُ (دارين) الركّاب، بما يحملون من مسك وأطياب.

١٦- ألا أبلغا (حُرَيْثًا) منى رسالة ، فأنى أراك متنكباً للإنصاف ، منحرفا عن الصواب.

١٧- أتفاخر مزهواً بوفائك مَرَّةً للجار ؟ إن هذا لشيء عُجَاب !

١٨- فلقد وفى (الرقاد) قبلك لجاره ، فأنجاه مما كان يخشى ويهاب .

١٩- وأظله بجواره وحمايته، ومنحه قدحا نفيساً مستوى الريش ، يشارك به الياسرين فى القمار . فوفى لجاره وقد كان على وشك الذهاب .

٢٠- تداركه فى شهر رجب الذى تنزع فيه نصال الحراب ، ويكف فيه الناس عن القتال ، وقد مضى الشهر الحرام فلم تبق منه إلا ليلة واحدة ، ثم يحل به العطب والدمار .

٢١- وإنا لأصلب الناس عوداً بين بكر وتغلب جميعاً إذا عد الرجال وقيست الأنساب .

٢٢- لنا إبل لا يحل بأصحابها ذم ولا عاب ، فهم يقرون بها الضيفان ، ويطعمون ألبانها ولحومها لمن يحل بهم من الغرباء .

٢٣- ويعينونه بها ليدفعها فى ديات القتلى إذا أثقلته ، حين يستخفى الأغنياء والموسرون مخافة أن يطلب منهم العون.

٢٤- ويحل فى جوارهم آمناً ، تحميه خيل ادخرت للشدائد ، تسرع إلى المستغيث ، وتركب الوعور والصعاب.

٢٥- ضامرة من سلالة (الصريح) و (أعوج) ، تندفع إلى القتال جريئة لا تهاب ، ولا يأمن الفرسان الحاذقون بالقتال ، أن تكر عليهم المرة بعد المرة لا ينالها كلال .

١٣ — وكأسٍ كعينِ الدِّيكِ باكرتُ حدَّها ... بفتيانِ صدقٍ والنَّواقيسُ تُضرَبُ

١٤ — سُلافٍ كأنَّ الزعفرانَ وعَندَمًا ... يُصفَّقُ في ناجودِها ثمَّ تُقطَبُ

١٥ — لها أرَجٌ في البيتِ عالٍ كأنَّما ... ألمَّ بهِ من تَجْرِ دارينَ أركُبُ

١٦ — ألا أبلِغا عنِّي حُرَيثًا رسالةً ... فإنَّكَ عن قَصدِ المحجَّةِ أنكَبُ

١٧ — أتعجَبُ أنْ أوفيتَ للجارِ مرَّةً ... فنحنُ لعمري اليومَ مِن ذاكَ نَعجبُ

١٨ — فقبلَكَ ما أوفى الرُّفادُ لجارِهِ ... فأنجاهُ ممَّا كانَ يخشى ويَرهَبُ

١٩ — فأعطاهُ حِلسًا غيرَ نِكسٍ أرَبَّهُ ... لُؤامًا بهِ أوفى وقدْ كادَ يَذهَبُ

٢٠ — تَدارَكَهُ في مُنصِلِ الألِّ بعدَما ... مَضى غيرَ دأداءٍ وقد كادَ يَعطَبُ

٢١ — ونحنُ أناسٌ عُودُنا عُودُ نَبعةٍ ... إذا انتسبَ الحيَّانِ بكرٌ وتغلبُ

٢٢ — لنا نَعَمٌ لا يعتَري الذمُّ أهلَهُ ... تُعقَّرُ للضيفِ الغريبِ وتُحلَبُ

٢٣ — ويُعقَلُ إنْ نابتْ عليهِ عظيمةٌ ... إذا ما أناسٌ موسِعونَ تغيَّبوا

٢٤ — ويَمنَعُهُ يومَ الصِّياحِ مَصونةٌ ... سِراعٌ إلى الدَّاعي تثوبُ وتُركَبُ

٢٥ — عناجيجُ مِن آلِ الصَّريحِ وأعوجٍ ... مَغاويرُ فيها للأريبِ مُعقَّبُ

(١٣ — ١٥) كعين الديك لأن عين الديك صافية . باكرها شربها فى الصباح . حدا الخمر سورتها وحدتها . الصدق الفضل والجد والشدة والصلابة . السلاف ما تحلب وسال قبل عصر الخمر وهو أجودها . العندم شجر له عروق حمر يصبغ به . صفق الخمر روقها وصفاها . ناجود الخمر الاناء الفخارى الذى تحتفظ فيه وهو الباطية . قطب الخمر مزجها . الأرج الرائحة القوية . دارين موضع بالبحرين مشهور بالمسك . والمسك الدارى مشهور . أركب جمع ركب وهم جماعة المسافرين .

(١٦ — ١٩) حريث هو الحارث يصغره تحقيراً له . المحجة الطريق . القصد استقامة الطريق . أنكب منحرف . الرفاد هو عمرو بن عبد الله بن جعدة بن كعب . الحلس القدح الرابع فى الميسر . وكان الرجل ربما أكرم ضيفه بأن يهبه السهم من السهام فى الميسر فيكون له ربحه . النكس السهم المكسور الرأس . ربه وأربه جمعه وألزمه . سهم لؤام (بالفتح فسكون) عليه ريش لؤام أى يلائم بعضه بعضاً . وكان السهم إذا انكسر جبروه وربطوه لانه عزيز عليهم . أوفى بالعهد وفى وأتمه وأنجزه . وقد كاد يذهب يعنى الضيف الذى أكرمه بأن وهبه ذلك السهم .

(٢٠ — ٢٢) الألة (بتشديد اللام) الحربة . المنصل اسم فاعل من أنصل أى نزع نصل الحربة . ومنصل الأل هو شهر رجب . كانت تنزع فيه الأسنة من الرماح لأنه كان شهراً حراما لا يقاتلون فيه . الدأداء آخر ليلة من رجب . العطب التلف . يقول مضى الشهر الحرام الذى يعصمهم من قتل هذا الطريد الذى أجاره ، ولم يبق إلا ليلة واحدة ثم يقتل . النبع شجر صلب تتخذ منه القسى ومن أغصانه السهام ينبت فى قمم الجبال . النعم (بفتحتين) الابل . عقر الناقة ذبحها . وعقرها كذلك قطع قوائمها بالسيف .

(٢٣ — ٢٥) عقل القتيل دفع لأهله العقل وهى الدية . وعقل عن الرجل أدى عنه الدية . ناب حل . والنوائب الحوادث لأنها تنوب الناس لوقت معروف . موسعون من السعة واليسار . مصونة من صان الشىء أى حفظه . يقصد أفراس مصونة لوقت الحاجة . ثاب رجع . عناجيج ضمر . الصريح وأعوج فرسان مشهوران . أرب بالشىء درب به وصار فيه حاذقا فهو أريب . والأريب العاقل المصيب الرأى والداهية . معقب أى غزو يعقبه غزو .

٢٦ــ ورماح مرنة قد اجتلبت عيدانها من (الخطّ)، وركبت فيها سنان مما صنع (أَبْزَى) و (شَرْعَب)

٢٧ــ وسيوف بيض قاطعة تلمع كالبرق، لا نزال نصونها ونصقلها ونعدها لإذلال الأعداء.

٢٨ــ ودروع لينة ملساء، تبرق متموجة كأنها الغدران، تغطي جسم لابسها وتحميه، وتتذبذب عليه أطرافها.

(٣١)

آل جفنة هم ملوك الشام في الجاهلية المعروفون بالغساسنة. وهم ينتسبون إلى مؤسس دولتهم جفنة بن عمرو بن مزيقياء. والخلاف كثير حول مدة حكمهم وعدد ملوكهم. فكتاب العرب يرون أن مدة حكمهم تتراوح بين أربعة قرون وستة قرون قبل الاسلام. ومؤرخو اليونان وكتاب الغرب يرون أن أقدم من عرف الروم من ملوكهم كان في آخر القرن الخامس الميلادي، وهو جبلة أبو شمر المتوفى سنة ٥٠٠ م. وربما كان الصواب وسطاً بين الرأيين. فبطارقة الروم لم يتصلوا بالغساسنة قبل القرن الخامس الميلادي، ولكن الغساسنة قضوا مدة من الزمن قبل ذلك التاريخ يحكم عليهم أمير منهم لم تتسع سلطته وشهرته، حتى احتاج ملوك الروم إليهم في حربهم ضد الفرس، وفي حماية أطراف أمبراطوريتهم من غارات الأعراب فنصبوهم أمراء، ومنحوهم لقب (Phylarch) ــ ومعناها باليونانية رئيس قبيلة أو رئيس فرسان القبيلة ــ وأنشأوا معهم علاقات سياسية ثابتة وتنصر هؤلاء الأمراء الذين كانوا يلقبون بين قومهم بالملوك، وانتشرت النصرانية بين أفراد رعيتهم، واصطبغت حضارتهم بالصبغة الرومانية(١)

وقد كان بعض شعراء العرب، مثل النابغة وحسان، يفدون على الغساسنة مادحين، ويقيمون في الشام زمناً، يستمتعون بهذه الألوان الزاهية من الحضارة المترفة التي لا عهد لهم بها في البادية.

ولم يرو للأعشى في ديوانه غير هذه الأبيات في مدح الغساسنة. ولكن صاحب الأغاني يروي له قصة مع حسان بن ثابت في بعض دور الخمر بالشام، إذ ظلا يشربان حتى نام حسان، فظن الأعشى أنه إنما يتناوم تفادياً من دفع ثمن ما شرب، فلما نام الأعشى وصحا حسان عرف ما فعله الخمار، فاشترى خمر الخمارة فسكبه في البيت حتى سال تحت الأعشى وقال في ذلك شعراً(٢).

يقول الأعشى:

١ ــ ....

٢ ــ ....

٣ ــ اكتمل حسنها، وتم شبابها واستحكمت حلقاته، فأين أذهب منها اليوم؟

٤ ــ فتلك التي منعتك نفسها، وحرمتك ما تتلهف عليه من المتاع، وذهبت بقلبك فلم تترك منه إلا أقل القليل.

---

(١) زيدان: تاريخ العرب قبل الاسلام ١٧٢-١٨٤ (٢) الأغاني ٤: ١٦٧

٢٦ــ وَلَدْنٌ مِنَ ٱلخَطِّيِّ فِيهِ أَسِنَّةٌ   ذَخَائِرُ مِمَّا سَنَّ أَبْزَى وَشَرْعَبُ
٢٧ــ وَبِيضٌ كَأَمْثَالِ ٱلْعَقِيقِ صَوَارِمٌ   تُصَانُ لِيَوْمِ الدَّوْخِ فِينَا وَتُخْشَبُ
٢٨ــ وَكُلُّ دِلَاصٍ كَٱلْأَضَاةِ حَصِينَةٍ   تَرَى فَضْلَهَا عَنْ رَبِّهَا يَتَذَبْذَبُ

(٣١)

وقالَ يَمْدَحُ آلَ جَفْنَةَ :

(متقارب)

١ ــ أَأَزْمَعْتَ ....
٢ ــ كَذَلِكَ بَعْضُ خَيَالِ الشَّتَا   يَجِدُّ إِلَى رَهْنٍ ....
٣ ــ وَقَدْ أَغْلَقَتْ حَلَقَاتُ الشَّبَابْ   فَأَنَّى لِيَ ٱلْيَوْمَ أَنْ أَسْتَفِيصَا
٤ ــ فَتِلْكَ الَّتِي حَرَمَتْكَ ٱلْمَتَاعَ   وَأَوْدَتْ بِقَلْبِكَ إِلَّا شَقِيصَا

---

(٢٦) لدن مرن . الخطي الرمح ينسب إلى الخط ، وهو مرفأ السفن بالبحرين كانت تباع به ، وليس هو منبتها كما قد يتوهم . الأسنة جمع سنان وهو حديدة الرمح المحددة . ذخائر مدخرة للحرب . سن الرمح ركب فيه السنان . أبزى وشرعب رجلان من صناع الرماح .

(٢٧) العقيق البرق الذي يستطيل في عرض السحاب . وقد أكثروا استعارتها للسيوف حتى جعلوها من أسمائها ، فقالوا : سلوا عقائق كالعقائق أي سيوفا تلمع كالبرق . صوارم جمع صارم أي قاطع ، وصرم الحبل قطعه . الدوخ الذل من داخ الرجل أي ذل وخضع . تخشب تصقل .

(٢٨) الدلاص اللين البراق ، ودرع دلاص لينة ملساء ، للمفرد والجمع . الأضاة غدير الماء يشبه به سطح الدرع في تموج بريقه . فضل الدرع ما فضل منها أي زاد .

(٣١)

(١ — ٤) فاص في الأرض ذهب ، وفاص منه حاد ، واستفاص برح . الشقص (بكسر فسكون) والشقيص النصيب والسهم والقطعة من الشيء والقليل من الكثير . أودت بقلبك ذهبت به .

٥ ــ ولقد تراها متفردة بالحسن ، فتسير طول العمر باحثاً عن شبيه لها ، مدققاً فى التنقيب .

٦ ــ ثم تعود مستحسناً للذى كنت تطلبه ، وقد عرفت أن الغوانى سواء ، فكلهن له بريق خلاب فى رائعة النهار .

٧ ــ فأن كنت قد يئست من ودها وزهدت فيها ، وأزمعت أن ترحل عنها قاصداً لوجهك ،

٨ ــ فأدن من رحلك ناقة شديدة ، تنشط للرحلة فى الليل ، ولا تمل الاستجابة لراكبها كلما استحثها على الإسراع .

٩ ــ إذا اطَّرَدَتْ فى السير ، واندفعت لوجهها وقد انتصف الليل ، لا تكل ولا ينالها الفتور ، خُيِّلَ لصحبى أنها حمارة وحش مكتنزة اللحم ، لم يُنْهِز لها ولد ترضعه وترعاه .

١٠ ــ إليك يا (ابن جفنة) قد أدمنت السير ، وواصلت الرحلة فى الليل ، وأنضيت الإبل ، على بعد الشقة وطول الطريق .

١١ ــ تشتكى إلىّ ناقتى أخفافها ، وقد أدمى السفر حروفها ، وأكلت الأحجار بطونها ، فلا أرحمها ولا أرثى لشكواها .

١٢ ــ يراك الأعداء وقد حللت منهم مكان المتحكم القاهر على الرغم منهم .

١٣ ــ كأنك حية من حيات (سَلْع) القاتلات ، تنشق عن مناكب الدروع ، حين تمضى يدك صاعدة هابطة بالسيف ، فى صرامة لا تفتر ولا تلين .

١٤ ــ إذا ما برز فبدا للعيون ، لم ير أعداؤه بداً من أن يحيدوا عن طريقه هاربين .

٥ ـــ وَإِنَّكَ لَوْ سِرْتَ عُمْرَ ٱلْفَتَى ... لِتَلْقَى لَهَا شِبْهًا أَوْ تَغُوصَا

٦ ـــ رَجَعْتَ لِمَا رُمْتَ مُسْتَحْسِنًا ... تَرَى لِلْكَوَاعِبِ كَهْرًا وَبِيصَا

٧ ـــ فَأَنْ كُنْتَ مِنْ وُدِّهَا يَائِسًا ... وَأَجْمَعْتَ مِنْهَا بِحَجٍّ قَلُوصَا

٨ ـــ فَقَرِّبْ لِرَحْلِكَ جُلْذِيَّةً ... هَبُوبَ السُّرَى لَا تَمَلُّ النَّصِيصَا

٩ ـــ يُشَبِّهُهَا صُحْبَتِي مَوْهِنًا ... إِذَا مَا ٱسْتَتَبَّتْ أَتَانًا نَحُوصَا

١٠ـــ إِلَيْكَ ٱبْنَ جَفْنَةَ مِنْ شُقَّةٍ ... دَأَبْتُ السُّرَى وَحَسَرْتُ ٱلْقَلُوصَا

١١ـــ تَشَكَّى إِلَيَّ فَلَمْ أُشْكِهَا ... مَنَاسِمَ تَدْمَى وَخُفًّا رَهِيصَا

١٢ـــ يَرَاكَ ٱلْأَعَادِي عَلَى رَغْمِهِمْ ... تَحُلُّ عَلَيْهِمْ مَحَلًّا عَوِيصَا

١٣ـــ كَحَيَّةِ سَلْعٍ مِنَ ٱلْقَاتِلَاتِ ... تَقُدُّ الصَّرَامَةُ عَنْكَ ٱلْقَمِيصَا

١٤ـــ إِذَا مَا بَدَا بَدْوَةً لِلْعُيُونِ ... تَذَكَّرَ ذُو الضِّغْنِ مِنْهُ ٱلْمَحِيصَا

(٥ ـــ ٧) رام الشيء طلبه . الكواعب جمع كاعب وهي الحسناء . كهر النهار ارتفع ، وكهر الحر اشتد ، كهراً ظهراً أي نصف النهار . الوبيص البريق ، وبص البرق وبصا ووبيصاً لمع وبرق . حج فلاناً (كنصر) قصده ، وحج علينا قدم . القلوص من الابل الشابة ، بمنزلة الجارية من النساء .

(٨ ـــ ٩) جلذية سريعة شديدة ، اجلوذ (بفتح اللام وتشديد الواو) أسرع في السير . هبوب نشيط . السرى سير الليل . النصيص مصدر نص ، وتص ناقته استحثها ليستخرج آخر ما عندها . الوهن والموهن نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه ، أو هو حين يدبر الليل . استتبت أقامت في السير ، واستتب الأمر اطرد واستقام . الأتان أنثى الحمار . نحوص لا ولد لها ولا لبن ، والنحوص كذلك الشديدة السمن ، والتي منعها السمن من الحمل .

(١٠ ـــ ١٢) الشقة السفر والمسافة . حسر البعير ساقه حتى أعياه ، وحسر البعير (كفرح) أعيا من السير وكل . أشكاه قبل شكواه وأرضاه وأزال عنه ما يشكوه . المنسم خف البعير ، وقيل طرفه الذي هو له كالظفر . خف رهيص أصابه الحجر ، والرواهص الحجارة المتراصفة . أمر عويص صعب .

(١٣ ـــ ١٤) سلع جبل بالمدينة . صرم السيف (ككرم) صرامة كان صارماً أي ماضياً ، ورجل صرامة أي مستبد برأيه منقطع عن المشاورة . تقد الصرامة عنك القميصا أي أنه لصرامته يقطع أكمام القميص حتى لا يعوق يده عن الحركة . حاص عنه عدل وحاد ، والحيص المحيد والمهرب .

-٣٢-

رأينا فى القصيدة (٢٣) أن الأعشى كان يقصد (نجران) فيمدح سادتها بنى الحارث بن كعب، ويقيم عندهم ماحلت له الاقامة. وهذه إحدى القصائد التى أنشأها الأعشى أثناء إقامته عندهم، يتشوق إلى قومه مفاخراً بهم، وهى من جيد شعره.

يقول الأعشى:

١ — ....

٢ — يوم تجمعت الإبل عليها هوادجهم وأمتعتهم، فتولوا مسافرين، وفارقوا موطن الأصدقاء والخلطاء، فحركوا فى قلوبنا الشوق والحنين.

٣ — جعلوا أرض (اليمامة) عن شمالهم، وانطلقوا قد استعجلهم الرحيل مسرعين.

٤ — قاطعين (بطان العتيق)، تمضى إبلهم الرقيقة وقد أهزلتها الرحلة الطويلة متتابعات.

٥ — قطعوا حبل ودك فى ذاك الصباح وساقوا الإبل راحلين، بعد قرب من دارهم وائتلاف.

٦ — يوم بدت (قُتَيْلَةُ) تكشف عن جيد طويل، يزينه ماالتف به من حلى وأطواق.

٧ — وثغر متفرق الأسنان، فيه عذوبة واستواء، كأنه نور (الأُقْحُوان) الناصع، جلاه الندى وأذهب ماعليه من الغبار، فأشرق زاهيا له بريق.

٨ — وشعر كثيف قد نما غزيرا، ترويه هذه الفاتنة اللعوب الساذجة التى تنعم بعيش رقيق.

٩ — كريمة العنصر، بضة الأنامل، جميلة كالدمية، لايفسد جمالها العبوس، ولايذهب بوقارها الإسراف فى الضحك.

١٠ — كأنها ظبية تخلفت عن صحبها من الغزلان، ترعى مُنْهَبَطَ الوادى الخصيب فى (تَثْلِيث)، حيث يجرى الماء فيزدهر النبات، وقد خلا لها القاع.

١١ — تهز شجر الأراك بقرنيها اللطيفين، وكأنهما منفاخان صغيران قد تباعدما بينهما وانفرج، فتتساقط فوقها أوراقه وثماره رطبةً ويابسة.

١٢ — تحت أغصان الأراك، يكاد إذا طلعت الشمس عليه أن يترقرق ويذوب.

١٣ — تدع طفلا لها ضئيلا لين العظام فاتر الطرف ضعيف القوى،

١٤ — لاتبعد عنه طول النهار، ولا تؤخر رضاعته، إلا ريثما يجتمع فى ضرعها بعض اللبن.

وَقَالَ بِنَجْرَانَ يَتَشَوَّقُ إِلَى قَوْمِهِ مُفْتَخِرًا بِهِمْ :

١ — .... ـاقُ .... (خفيف)

٢ — يَوْمَ قَفَّتْ حُمُولُهُمْ فَتَوَلَّوْا قَطَعُوا مَعْهَدَ ٱلْخَلِيطِ فَشَاقُوا

٣ — جَاعِلَاتٍ جَوْزَ ٱلْيَمَامَةِ بِٱلْأَشْـ ـمُلِ سَيْرًا يَحُثُّهُنَّ ٱنْطِلَاقُ

٤ — جَازِعَاتٍ بَطْنَ ٱلْعَتِيقِ كَمَا تَمْـ ـضِي رِفَاقٌ أَمَامَهُنَّ رِفَاقُ

٥ — بَعْدَ قُرْبٍ مِنْ دَارِهِمْ وَٱئْتِلَافٍ صَرَمُوا حَبْلَكَ ٱلْغَدَاةَ وَسَاقُوا

٦ — يَوْمَ أَبْدَتْ لَنَا قُتَيْلَةُ عَنْ جِيـ ـدٍ تَلِيعٍ تَزِينُهُ ٱلْأَطْوَاقُ

٧ — وَشَتِيتٍ كَٱلْأُقْحُوَانِ جَلَاهُ ٱلْـ ـطَّلُّ فِيهِ عُذُوبَةٌ وَٱتِّسَاقُ

٨ — وَأَثِيثٍ جَثْلِ ٱلنَّبَاتِ تَرُوقُـ ـهُ لَعُوبٌ غَرِيرَةٌ مِفْنَاقُ

٩ — حُرَّةٌ طَفْلَةُ ٱلْأَنَامِلِ كَٱلدُّمْـ ـيَةِ لَا عَابِسٌ وَلَا مِهْزَاقُ

١٠— كَخَذُولٍ تَرْعَى ٱلنَّوَاصِفَ مِنْ تَثْـ ـلِيثَ قَفْرًا خَلَا لَهَا ٱلْأَسْلَاقُ

١١— تَنْفُضُ ٱلْمَرْدَ وَٱلْكَبَاثَ بِخِمْلَا جٍ لَطِيفٍ فِي جَانِبَيْهِ ٱنْفِرَاقُ

١٢— فِي أَرَاكٍ مَرْدٍ يَكَادُ إِذَا مَا ذَرَّتِ ٱلشَّمْسُ سَاعَةً يُهْرَاقُ

(١ — ٣) قف انضم بعضه إلى بعض ، والقف (بضم القاف) المتجمع الغليظ من الأرض . الحمول الهوادج أو الابل عليها الهوادج . الخليط من يخالطك من الناس . المعهد مصدر ميمي أو اسم مكان من العهد وهو المودة واللقاء . جوز الشيء وسطه ومعظمه. حثه على الأمر حضه عليه .

(٤ — ٧) جزع الوادي قطعه عرضاً . ناقة وثيقة ضمنت أنتاؤها ورقت والتحم مجرى محنها ، والأثنا عظم العضد وكل عظم ذي مخ. صرموا قطعوا. الحبل يكنى به عن الود . الغداة الصباح المبكر ظرف زمان . تليع طويل . شتيت متفرق وهو أسنانها المتفرقة غير متلاصقة وذلك أدعى للاحتفاظ بها نظيفة دائما لأن بقايا الطعام لا تتخللها . الأقحوان نبت زهره أبيض . جلاه أذهب ماعليه من الغبار فأشرق وحسن . الطل الندى والمطر الخفيف . اتساق استواء .

(٨ — ٩) أثيث غزير . جثل كثيف . تروقه تنميه بالعناية به . غريرة ساذجة لم تجرب الأمور ، والسذاجة تزين المرأة فهي لا توصف بالمكر ولا القوة . مفناق منعمة مترفة . حرة كريمة ، والحر الكريم والخالص من كل شيء . طفلة ناعمة رخصة . الدمية التمثال والصورة . مهزاق كثيرة الضحك .

(١٠ — ١٢) خذلت الظبية وغيرها من الدواب تخلفت عن صحبها وانفردت فهي خاذل وخذول . النواصف جمع ناصفة وهي مجرى الماء والمكان الكثير النبات الخصب . تثليث بلد في اليمن . الأسلاق جمع سلق (بفتحتين) وهو القاع، والقاع الوادي المطمئن الذي يستقر فيه الماء . المرد ثمر الأراك الأخضر ، فاذا نضج وأدرك فهو كباث (بفتح الكاف) . الخلاج متاع الصائغ شبه به قرنيها . الانفراق انفتاح مابين القرنين . الأراك شجر تستعمل قضبانه في السواك . هراق الماء وأراقه صبه .

١٥ــ قد ملأ قلبها الإشفاقُ عليه، حتى شف جسمها وأهزلها، فهي لا تتركه ولا تتجاوزه.

١٦ــ وإذا خافت عليه السباع من الأدغال، وحل بها المساء كان انطلاقها عن هذا الموضع الخطير،

١٧ــ عادت هذه الظبية الطويلة العنق بطفلها، لاتبيت حيث كانت ترتع وترعى في النهار، حتى لاتعرضه للأخطار. لاتمنع عنه لبنها، ولاتمل رعايته، ولاتضيق به.

١٨ــ لم يُغْنِ كل ذلك عنها ولا عن وليدها شيئا. فاصبري على مصابك، فلا بد من نفاذ المقدور، ولا سبيل إلى إصلاح مافات، فصدع الزجاجة لايلتئم.

ثم ينتقل الشاعر إلى وصف الصحراء فيقول:

١٩ــ وصحراء قفر كأنها ظهر تُرْس، لاتتبلَّغ فيها الإبل إلا الاجترارَ واسترجاعَ مافي بطنها من طعام.

٢٠ــ تجاوزتها مسافرا، وتخطيت أهوالها فوق ناقة نشيطة صلبة، تمد عنقها في سيرها حين توسع الخطو، مسترسلة في سير فسيح مديد.

٢١ــ ترجم الآكام بأخفافها الصلبة فيتكسر من تحتها الحصى والأحجار.

٢٢ــ ولقد أقطع ود الخليل حين أستيئس من وصله ـ وإنما الإخاء صدق الود والصفاء ـ

٢٣ــ بناقة دكناء صلبة الخف، رعت ماءَيْ (عَوانة) و (قتاق).

٢٤ــ ذات حدة ونشاط، تمضي في طريقها رامية صدرها بالأعجاز، إذا تدافع سائرُ جسدها في حركة لاتفتر

٢٥ــ تستظل بالأشجار حين يلتهب الحر وتقوم الشمس فوق الرءوس فتنكمش الظلال.

٢٦ــ وكأن الرحل والقربة وسائرَ المتاع، حين مضت تتلاحق أرجلها الطوال،

٢٧ــ فوق حمار وحش تضخم وسمن بعد أن رعى النبت وأكل البقول، يقـــاسي حر الصيف وعضَّ الفحول والنُّهاق.

٢٨ــ أو كأن رحلي ومتاعي فوق ثور وحش هزله الجوع، فاندس تحت شجرة من أشجار (الارطى) يبيت في جانبها، على ضيق المكان.

٢٩ــ أفزعته سحابة مظلمة حمراء غزيرة المطر، تقصف رعودها، وينهلُّ مقدَّمها بالماء.

١٣— وَهْىَ تَتْلُو رَخْصَ ٱلْعِظَامِ ضَئِيلًا ... فَاتِرَ ٱلطَّرْفِ فِى قُوَاهُ ٱنْسِرَاقُ

١٤— مَا تَعَادَى عَنْهُ ٱلنَّهَارَ وَلَا تَعْـ ... ـجُوهُ إِلَّا عُفَافَةٌ أَوْ فُوَاقُ

١٥— مُشْفِقًا قَلْبُهَا عَلَيْهِ فَمَا تَعْـ ... ـدُوهُ قَدْ شَفَّ جِسْمَهَا ٱلْأَشْفَاقُ

١٦— وَإِذَا خَافَتِ ٱلسِّبَاعَ مِنَ ٱلْغِيـ ... ـلِ وَأَمْسَتْ وَحَانَ مِنْهَا ٱنْطِلَاقُ

١٧— رَوَّحَتْهُ جَيْدَاءُ ذَاهِبَةُ ٱلْمَرْ ... تَعِ لَا خَبَّةٌ وَلَا مِغْلَاقُ

١٨— فَٱصْبِرِى ٱلنَّفْسَ إِنَّ مَا حُمَّ حَقٌّ ... لَيْسَ لِلصَّدْعِ فِى ٱلزُّجَاجِ ٱتِّفَاقُ

١٩— وَفَلَاةٍ كَأَنَّهَا ظَهْرُ تُرْسٍ ... لَيْسَ إِلَّا ٱلرَّجِيعَ فِيهَا عَلَاقُ

٢٠— قَدْ تَجَاوَزْتُهَا وَتَحْتِى مَرُوحٌ ... عَنْتَرِيسٌ نَعَّابَةٌ مِعْنَاقُ

٢١— عِرْمِسٌ تَرْجُمُ ٱلْإِكَامَ بِأَخْفَا ... فٍ صِلَابٍ مِنْهَا ٱلْحَصَى أَفْلَاقُ

٢٢— وَلَقَدْ أَقْطَعُ ٱلْخَلِيلَ إِذَا لَمْ ... أَرْجُ وَصْلًا إِنَّ ٱلْإِخَاءَ ٱلصِّدَاقُ

٢٣— بِكُمَيْتٍ عَرْفَاءَ مُجْمَرَةِ ٱلْخُفْـ ... ـفِ غَذَتْهَا عَوَانَةٌ وَفِتَاقُ

٢٤— ذَاتِ غَرْبٍ تَرْمِى ٱلْمُقَدَّمَ بِٱلرِّدْ ... فِ إِذَا مَا تَدَافَعَ ٱلْأَرْوَاقُ

٢٥— فِى مَقِيلِ ٱلْكِنَاسِ إِذْ وَقَدَ ٱلْيَوْ ... مُ إِذَا ٱلظِّلُّ أَحْرَزَتْهُ ٱلسَّاقُ

(١٣ — ١٥) تتلو تتبع . رخص لين . الـسراق تعب وضعف . تعادى تتباعد . مجت الأم ولدها أخرت رضاعته من مواقيته ، ومجته أيضاً أرضعته ، من الأضداد . العفافة اجتماع اللبن فى الضرع ، والبقية من اللبن فى الضرع بعد ما استنزف أكثره . الفواق (بضم الفاء) ما بين الحلبتين من الوقت . تعدوه تتجاوزه وتتركه . شف جسمها أنحله وأسقمه .

(١٦ — ١٨) الغيل الشجر الملتف . أمست حل بها المساء . روحته من الرواح وهو العودة إلى المنزل فى آخر النهار . جيداء طويلة العنق . المرتع المكان الذى ترتع فيه أى ترعى وتلعب . ذاهبة المرتع يريد أنها إذا أمست لم تبت فى المرتع . خبة مخادعة تحاولها . مغلاق من غلق الرجل (كفرح) إذا ضجر وقلق . حم الأمر (على البناء للمجهول) قضى .

(١٩ — ٢٠) الفلاة الصحراء . الترس صفحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف ونحوه . الرجيع الجرة (بكسر الجيم) لأن الدابة تسترجع ما أكلت حين تجتر . العلاق ما تتبلغ به الماشية من الشجر . مروح نشيطة . عنتريس صلبة شديدة . نعابة من نعبت الإبل إذا مدت أعناقها فى سيرها . معناق من العنق (بفتحتين) وهو سير منبسط فسيح واسع للإبل والدابة .

(٢١ — ٢٣) العرمس الصخرة والناقة الصلبة . الإكام المرتفعات . أفلاق جمع فلقة (على وزن قطعة) وهى المتكسرة من الشىء . الصداق مصدر صادق . ناقة كميت حمراء تضرب للسواد . عرفاء عالية السنام صار سنامها فوقها كالعرف . مجمرة مجتمعة صلبة . عوانة وفتاق ما.ان .

(٢٤ — ٢٥) الغرب الحدة والنشاط . الرداف العجز (بفتح ثم ضم) الأرواق جماعة الجسم ، والروق الجثة ، وأرواق الليل أثناء ظلمته ، والروق (بفتح فسكون) الطائفة من الليل . المقيل الموضع الذى يستكن فيه من الحر . الكناس شجرة يأوى إليها الحيوان ليستظل بها . وقد اليوم اشتد حره .

٣٠— فظل طول ليله ساهراً يعانى المتاعب والآلام . حتى إذا أشرق الصباح ، لاح له على ضوء النهار ،

٣١— صائد عابس الوجه من (جَديلة) أو (نَبْهان)، أفنى كلابه الضارية كثرةُ الملاحقة للصيد وطولُ الطِّراد .

٣٢— فظل طول نهاره يتفادى منها ، متواريا بالرمال العريضة وبصغار الكثبان .

٣٣— تطارده كلاب مسترخية الآذان ، قد انتشرت كأنها النحل ، لا هم لها إلا اقتناصه وقد عضها الجوع .

٣٤— فذلك شبيه ناقتي حين يجهدها السير ، وحين تتقاذفني فوقها رمال الصحراء المتلبدة بالحصى والأحجار .

* * *

٣٥— على مثلها أزور قومى من (بنى قيس) إذا طال بالحبيب الفراق .

٣٦— فأنا منهم وهم قومى وإنى إليهم لمشتاق .

٣٧— وهم ما يعلم الناس من الجود فى الجدب ، حين تعز الخمر ، وتجف القِرَب ، ويخلو كلُّ وعاء .

٣٨— المنفقون مالهم فى زمان الجدب ، حتى إذا عاد إلى الخصب ، عادوا إلى ما تعودوا من العطاء .

٣٩— وإذا ضن الموسرون وطووا مالهم عن الصديق ، وكشفت الشدة عن مخبوء الطبائع وعن حقائق الأخلاق ،

٤٠— وهزل الإبلَ الجوعُ فسقطت على الأرض من الإعياء ، ومشى الناس إليها ، يضعون الأعمدة تحت بطونها ليعينوها على الوقوف ، وأعيى الراعى أن يجد المرعى لاستحكام الجدب ،

٤١— جَرَوا عند ذاك على ما طُبِعوا عليه من الفضل ، كما يجرى القدح الكريم فى الميسر على ما تعود من الفوز .

٤٢— فاذا جادت الأمطار ، فعم الزرع الآفاق ، وكلل الزهر الربى والمرتفعات ، وضعوا القداح وأبطلوا الميسر وقد أخصب الناس .

٤٣— يشربون الخمر ، ويشاركون فى ضروب اللهو ، ويُجْرون الخيل فى السباق ، فلا يذهب شيء من ذلك بأحلامهم ، ولا يخرجهم عن وقارهم فيسفهوا .

٤٤— وإذا كلحت الوجوه فى الحروب ، وتقلصت الشفاه عن الأسنان ، حتى يبدو قصيرها طويلا ، وجفت الحلوق من البصاق ،

٢٦— وَكَأَنَّ ٱلْقُتُودَ وَٱلْعِجْلَةَ وَٱلْـ ... ـوَفْرَ لَمَّا تَلَاحَقَ السُّوَّاقُ

٢٧— فَوْقَ مُسْتَبْقِلٍ أَضَرَّ بِهِ الصَّيْـ ... ـفُ وَزَرُّ ٱلْفُحُولِ وَالنُّهَاقُ

٢٨— أَوْ فَرِيدٍ طَـاوٍ تَضَيَّفَ أَرْطَا ... ةً يَبِيتُ فِي دَفِّهَا وَيُضَاقُ

٢٩— أَخْرَجَتْهُ قَهْبَاءُ مُسْبِلَةُ ٱلْوَدْ ... قِ رَجُوسٌ قُدَّامَهَا فُرَّاقُ

٣٠— لَمْ يَنَمْ لَيْلَةَ التَّمَامِ لِكَيْ يُصْـ ... ـبِحَ حَتَّى أَضَاءَهُ ٱلْإِشْرَاقُ

٣١— سَاهِمَ ٱلْوَجْهِ مِنْ جَدِيلَةَ أَوْ لِحْـ ... ـيَانَ أَفْنَى ضِرَاءَهُ ٱلْإِطْلَاقُ

٣٢— وَتَعَادَى عَنْهُ ٱلنَّهَارَ تُوَارِيـ ... ـهِ عِرَاضُ الرِّمَالِ وَالدَّرْدَاقُ

٣٣— وَتَلَتْهُ غُضْفٌ طَوَارِدُ كَالنَّحْـ ... ـلِ مَغَارِيثُ هَمُّهُنَّ اللَّحَاقُ

٣٤— ذَاكَ شَبَّهْتُ نَاقَتِي إِذْ تَرَامَتْ ... بِي عَلَيْهَا بَعْدَ ٱلْبِرَاقِ ٱلْبِرَاقُ

٣٥— فَعَلَى مِثْلِهَا أَزُورُ بَنِي قَيْـ ... ـسٍ إِذَا شَطَّ بِٱلْحَبِيبِ ٱلْفِرَاقُ

٣٦— إِنَّنِي مِنْهُمُ وَإِنَّهُمُ قَوْ ... مِي وَإِنِّي إِلَيْهِمُ مُشْتَاقُ

٣٧— وَهُمُ مَا هُمُ إِذَا عَزَّتِ ٱلْخَمْـ ... ـرُ وَقَامَتْ زِقَاقُهُمْ وَٱلْحِقَاقُ

٣٨— ٱلْمُهِينِينَ مَالَهُمْ لِزَمَانِ ٱلسُّـ ... ـوءِ حَتَّى إِذَا أَفَاقَ أَفَاقُوا

٣٩— وَإِذَا ذُو ٱلْفُضُولِ ضَنَّ عَلَى ٱلْمَوْ ... لَى وَصَارَتْ لِخِيمِهَا ٱلْأَخْلَاقُ

٤٠— وَمَشَى ٱلْقَوْمُ بِٱلْعِمَادِ إِلَى الرَّزْ ... حَى وَأَعْيَى ٱلْمُسِيمُ أَيْنَ ٱلْمَسَاقُ

(٢٦ — ٢٨) القتود الرحل بأداته. العجلة المزادة وهي قربة صغيرة لحفظ الماء والخمر. الوفر من المال والمتاع الكثير. السواق جمع سائق والسواق كذلك الطويل الساق. تبقلت الماشية واستبقلت خرجت من أكل البقل. صاف بالمكان صيفاً أقام به في الصيف. وزره طرده وعضه، وزف الشعر نتفه. طاو جائع. تضيفه أتاه ضيفاً. الأرطاة شجرة نارها حامية تأكلها الإبل غضة، دفها جنبها.

(٢٩ — ٣١) الأقهب الذي فيه حمرة فيها غبرة. الودق المطر. رجست السماء رعدت رعداً شديداً وأمطرت. الفراق جمع فارق وهي الناقة يشتد بها المخاض ثم تلقي ولدها من شدة الوجع. لم ينم يقصد الثور. ليلة التمام كل ليلة تكابدها صاحبها. سهم وجهه (كقطع وكرم) تغير لونه. جديلة ولحيان حيان. الضرو والضاري من الكلاب جمعها ضراء. الإطلاق مصدر أطلق المواشي أي سرحها وأرسلها.

(٣٢ — ٣٥) تمادى تباعد. النهار ظرف زمان. الدرداق ذلك صغير متلبد من الرمال. الغضف كلاب الصيد، وغضفت الأذن (كعلم) طالت واسترخت. مغاريث من غرث (كطرب) جاع. البراق جمع برقة (بضم الباء) وهي الأرض الغليظة فيها حجارة ورمل وطين. شط بعد.

(٣٦ — ٤٠) الحقاق جمع حقة (بالضم ثم التشديد) وهي وعاء من خشب وقد يصنع من العاج. أفاق رجع إلى الخصب. أفاقوا رجعوا إلى السعة. الخيم (بكسر الخاء) الطبيعة والسجية. الرزحى الإبل تهزل فلا تستطيع المشي فتسقط، جمع رازح. يضمون العماد تحت بطونها ثم يرفعونها. المسيم اسم فاعل من أسام الماشية أرعاها في المرعى.

٤٥ـ ركبوا الخيول إلى القتال ، ثابتين فوق سروجها لا يميلون ، حين ترتبك الأيدى فى وضع السهام موضعها من الأقواس .

٤٦ـ ....

• • •

٤٧ـ مقيما بين سادة (نجران) ، مغموراً بالخير والنعيم ، غير أنى مشتاق .

٤٨ـ بين مطايا تَجِل أصحابها عن المقام ، ولا هَمّ لهم إلا العراق .

٤٩ـ لنا فى الصباح طعام طيب من دقيق القمح الأبيض الخالص ، واللحم الكثير تتخطفه الأيدى من القدور ، تدور علينا كئوس الخمر فى الصباح وفى المساء .

٥٠ـ ينادمنا فتيان بيض الوجوه ، كأنهم الفحول المكرمة عند أصحابها ، لا تُركَب ولا يمسها حبل .

٥١ـ فيهم الخصب والسماحة والنجدة ، والخطيب الذى يُدوِّى صوته مجلجلا .

٥٢ـ أبيون لا يُسامون الذل ، وغُرٌّ راجحو الأحلام .

٥٣ـ لهم مجلس يَغَصُّ صدرُه برجال كالأسود ، عليهم ناعم الملبس ورقيق الثياب .

٤١— أَخَذُوا فَضْلَهُمْ هُنَاكَ وَقَدْ تَجْـ ... رِى عَلَى فَضْلِهَا ٱلْقِدَاحُ ٱلْعِتَاقُ

٤٢— فَإِذَا جَادَتِ ٱلدُّجَى وَضَعُوا ٱلْقِدْ ... حَ وَجُنَّ ٱلتِّلَاعُ وَٱلْآفَاقُ

٤٣— لَمْ يَرِدْهُمْ سَفَاهَةً شُرْبُهُ ٱلْكَأْ ... سِ وَلَا ٱللَّهْوُ بَيْنَهُمْ وَٱلسِّبَاقُ

٤٤— وَإِذَا مَا ٱلْأَكَسُّ شُبِّهَ بِٱلْأَرْ ... وَقِ عِنْدَ ٱلْهَيْجَا وَقَلَّ ٱلْبُصَاقُ

٤٥— رَكِبَتْ مِنْهُمُ إِلَى ٱلرَّوْعِ خَيْلٌ ... غَيْرُ مِيلٍ إِذْ يُخْطَأُ ٱلْأَيْفَاقُ

٤٦— أَنْ تَكُونُوا وَدَعْتُمُ وَ .....

٤٧— وَاضِعًا فِى سَرَاةِ نَجْرَانَ رَحْلِى ... نَاعِمًا غَيْرَ أَنَّنِى مُشْتَاقُ

٤٨— فِى مَطَايَا أَرْبَابُهُنَّ عِجَالٌ ... عَنْ ثَوَاءٍ وَهَمُّهُنَّ ٱلْعِرَاقُ

٤٩— دَرْمَكٌ لَنَا غُدْوَةً وَنَشِيلٌ ... وَصَبُوحٌ مُبَاكِرٌ وَٱغْتِبَاقُ

٥٠— وَنَدَامَى بِيضُ ٱلْوُجُوهِ كَأَنَّ ٱلـ ... شَّرْبَ مِنْهُمْ مَصَاعِبُ أَفْنَاقُ

٥١— فِيهِمُ ٱلْخِصْبُ وَٱلسَّمَاحَةُ وَٱلنَّجْـ ... دَةُ فِيهِمْ وَٱلْخَاطِبُ ٱلْمِصْلَاقُ

٥٢— وَأَبِيُّونَ مَا يُسَامُونَ ضَيْمًا ... وَمَكِيثُونَ وَٱلْحُلُومُ وِثَاقُ

٥٣— وَتَرَى مَجْلِسًا يَغَصُّ بِهِ ٱلْمِحْـ ... رَابُ كَٱلْأُسْدِ وَٱلثِّيَابُ رِقَاقُ

(٤١ — ٤٤) القداح أسهم الميسر . العتيق الكريم والخيار من كل شيء ، وكانوا يتفاءلون ببعض القداح ويعترون بها لأنهم يعتقدون أنها ميمونة كثيرة الربح . الدجى الأمطار جمع دجية (بضم فسكون) . وضعوا القدح تركوا الميسر . كانوا ينحرون ويضربون بالقدح في الشدة والقحط ، فاذا أخصبوا تركوا ذلك ، لأن الميسر إنما يحمد في الجدب . وجن التلاع حسن نباتها . آفاق الأرض نواحيها . السباق سباق الخيل وهو إجراؤها في مضمار تتسابق فيه . الأكس القصير الأسنان . الأروق الطويل الأسنان . الهيجى والهيجاء الحرب .

(٤٥ — ٤٨) الأميل من يميل على السرج في جانب ، ومن لاترس معه ولا رمح . أوفق السهم إيفاقاً وضع الفوق في الوتر ليرمى ، والفوق مشق رأس السهم حيث يقع الوتر . سراة كل شيء خياره وأجوده . الثواء الاقامة . الهم ما يشغل البال .

(٤٩ — ٥١) الدرمك الدقيق الأبيض من لباب القمح . النشيل اللحم المتناول من القدر باليد لا بالمغرفة ، وهو كذلك ماطبخ من اللحم بغير توابل . الصبوح خمر الصباح . والغبوق (بفتح الغين) خمر المساء . الشرب (بفتح الشين) جماعة الشاربين . المصعب الفحل الذى لا يركب ولا يمس لكرامته عند أصحابه . الفنيق (على وزن كريم) هو المصعب (بضم الميم وفتح العين) . الصلق (بفتح الصاد وسكون اللام) الصوت الشديد .

(٥٢ — ٥٣) أبيون يأبون الضيم . الضيم الذل . المكانة التؤدة . الوثيق المحكم . المحراب مقدم المجلس وصدره .

لهذه القصيدة قصة مشهورة ، خلاصتها أن المحلق – وقيل إنه لقب بذلك لبعير عضه فترك في وجهه أثراً كالحلقة ، أو لكدنة كانت في خده كالحلقة – كان فقيراً ذا بنات . واتفق أن قدم الأعشى مكة – وكان يوافي سوق عكاظ في كل عام – فأسرع إليه المحلق فضيفه وبالغ في إكرامه ، رجاء أن يصيبه خير من مدحه ، فلما أصبح الأعشى وافى عكاظاً فأنشد هذه القصيدة . قالوا ، فتسارع إليه الناس يخطبون بناته ، فلم تمس منهن واحدة إلا هي في عصمة رجل ثري شريف (الأغاني ٩ : ١١٣ – ١١٧)

يبدأ الأعشى قصيدته شاكياً مما اجتمع عليه من ضعف الشيخوخة وكلال البصر وتتابع النوائب فيقول :

١ – قضيت ليلي ساهراً لا أنام ، ولست بالعاشق ولا السقيم .

٢ – ولكن أحداث الدهر تنتابني وتطرقني كل يوم بجديد ، فلي منها في الصباح مالم يكن عندي في المساء .

٣ – ولئن أمسيت وقد اجتمع علي الشيب والهم وكلال البصر – وإن الأحجار لتتفلق ويفنيها الزمان –

٤ – فما أثارت هذه المصائب إلا شجاعا جلداً قد علمته النكبات ، وتتابع عليه من الدهر القضاء يتلوه القضاء ، فتعلم منه واستفاد ، حتى ماتخيفه النكبات والأحداث .

ويمضي الشاعر في إبراز هذا المعنى الذي يقصد إليه من تفاهة الدنيا وهوانها ، فيقص طرفا من أخبار الملوك وماكانوا فيه من نعيم لم يرد عنهم الموت ، فكل الناس يصيرون إلى نهاية واحدة ، لافرق بين كبير وحقير . وهذه الأخبار التي يرويها الأعشى هي جزء من ثقافة الشاعر في ذلك الوقت . وهي خليط من التاريخ والأساطير . يقول الأعشى :

٥ – وهل هذا الألم إلا إلى نهاية كما أن النعيم إلى نهاية ، فما أنا بالمخلد ، وما خلد من قبل (ساسان) ملك الفرس ولا (مُورَق) ملك الروم .

٦ – ولا خلد (كسرى شَهِنْشَاه) بعد أن اجتمع له من دنياه ما اشتهى من خمر عتيق ومن رياحين .

٧ – ولا منعت أموال (عاديا) عنه الموت ، ولا رده عنه حصنه (الأبلق) في (تيماء) ،

٨ – وقد بناه (سليمان) في سالف الأحقاب وقديم الزمان ، عالياً وثيق البناء .

٩ – يرتفع إلى كبد السماء ، قد فرشت أرضه بالبلاط ، وأحاطت به الأسوار بنيت بالأحجار ، ودار من حول كل ذلك خندق عميق .

١٠ – في أعلاه غرف الشراب فرشت بالطنافس ، وتنشر فيها المسك والريحان ، حيث تقدم الخمر الرائقة للشاربين

١١ – وقيان ناصعات البياض كأنهن التماثيل ، وخدم ، وطباخ يقوم على طهو ألوان الطعام في القدور وأقداح ، وخوان .

١٢ – كل ذلك كان له ، فلم يُعجِز اللهَ أن يتوفاه ، ولكن أتاه الموت ظاهراً عارياً لا يتخفى ولا يستتر .

وَقَالَ يَمْدَحُ الْمُحَلِّقَ بْنَ حَنْتَمِ بْنِ شَدَّادِ بْنِ رَبِيعَةَ :

(طويل)

١ — أَرِقْتُ وَمَا هٰذَا السُّهَادُ الْمُؤَرِّقُ ... وَمَا بِيَ مِنْ سُقْمٍ وَمَا بِي مَعْشَقُ

٢ — وَلٰكِنْ أَرَانِي لَا أَزَالُ بِحَادِثٍ ... أُغَادَى بِمَا لَمْ يُمْسِ عِنْدِي وَأُطْرَقُ

٣ — فَإِنْ يُمْسِ عِنْدِي الشَّيْبُ وَالْهَمُّ وَالْعَشَى ... فَقَدْ بِنَّ مِنِّي وَالسِّلَامُ تُفَلَّقُ

٤ — بِأَشْجَعَ أَخَّاذٍ عَلَى الدَّهْرِ حُكْمَهُ ... فَمِنْ أَيِّ مَا تَجْنِي الْحَوَادِثُ أَفْرَقُ

٥ — فَمَا أَنْتَ إِنْ دَامَتْ عَلَيْكَ بِخَالِدٍ ... كَمَا لَمْ يُخَلَّدْ قَبْلُ سَاسَا وَمُورَقُ

٦ — وَكِسْرَى شَهِنْشَاهُ الَّذِي سَارَ مُلْكُهُ ... لَهُ مَا اشْتَهَى رَاحٌ عَتِيقٌ وَزَنْبَقُ

٧ — وَلَا عَادِيًا لَمْ يَمْنَعِ الْمَوْتَ مَالُهُ ... وَحِصْنٌ بِتَيْمَاءَ الْيَهُودِيِّ أَبْلَقُ

٨ — بَنَاهُ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُودَ حِقْبَةً ... لَهُ أَزَجٌ عَالٍ وَطَيٌّ مُوَثَّقُ

٩ — يُوَازِي كُبَيْدَاءَ السَّمَاءِ وَدُونَهُ ... بَلَاطٌ وَدَارَاتٌ وَكِلْسٌ وَخَنْدَقُ

١٠ — لَهُ دَرْمَكٌ فِي رَأْسِهِ وَمَشَارِبُ ... وَمِسْكٌ وَرَيْحَانٌ وَرَاحٌ تُصَفَّقُ

١١ — وَحُورٌ كَأَمْثَالِ الدُّمَى وَمَنَاصِفٌ ... وَقِدْرٌ وَطَبَّاخٌ وَصَاعٌ وَدَيْسَقُ

١٢ — فَذَاكَ وَلَمْ يُعْجِزْ مِنَ الْمَوْتِ رَبَّهُ ... وَلٰكِنْ أَتَاهُ الْمَوْتُ لَا يَتَأَبَّقُ

(١ — ٣) معشق مصدر يعنى من العشق . غاداه باكره ، والغدوة بين صلاة الفجر وطلوع الشمس . طرقه صكه وضربه بالمطرقة ، وطرق الرجل القوم أتاهم ليلا . بن أى فارقن ، يقصد الشيب والهم والعشى . السلام (بكسر السين) جمع سلمة (بثلاث فتحات) وهي الحجارة .

(٤ — ٦) الأشجع الشجاع . أخذ تحتمل أن تكون من أخذ من فلان أى نال ، وتحتمل أن تكون من أخذ على يده أى منعه وكفه . الحكم القضاء . ما مصدرية . الفرق الخوف والفزع . ساسان ملك الفرس . مورق قالوا إنه ملك الروم . شهنشاه كلمة فارسية معناها ملك الملوك . الزنبق نبات له زهر طيب الرائحة طويل كالحربة يغلب عليه اللون الحمرى .

(٧ — ٩) تيماء اليهودى ، اليهودى مضاف إليه ، نسب تيماء التى كان بها حصنه (الأبلق) إليه . وكان عاديا يهوديا ، وهو أبو السموءل . وتزعم الروايات والأساطير أن هذا الحصن من بناء سليمان عليه السلام . الأزج ضرب من الأبنية يبنى طولا . وأزج البناء علاه . طوى البئر يطويها طيا عرشها بالحجارة والآجر . الدارة ما أحاط بالشيء . الكلس الحجارة . الخندق حفير حول أسوار المدن (فارسى معرب) .

(١٠ — ١٢) الدرمك التراب الناعم ، ودرمك البناء ملسه . مشارب غرف يشربون فيها . صفق الخمر وفيها بأن يصبها من إناء إلى إناء . الحور جمع حوراء وهي البيضاء . مناصف جمع منصف وهو الخادم . الصاع قدح يكال به . الديسق خوان من فضة (فارسى معرب) . يتأبق يختفى ويستتر .

١٣- وكذلك كان أمر (النعمان) . ولقد لقيتُه في نعمته ، يصرف العطاء بين الناس فيفضل هذا على ذاك، ويدفع إليهم صكوكهم بما قسم لهم من الجوائز .

١٤- تتدفق على خزائنه الأموال والمكوس ، من (الُسَيْلَحُون) ، ومن ورائها (صَرِيفُون) ذات الأنهار ، و (الخورنق) .

١٥- يقسم أمر الناس بين السعادة والشقاء ، فهذا نهار مشرق بهيج ، وذاك ليل مظلم بهيم ، وهم ساكتون ، والموت يتكلم .

١٦- ويأمر لفرسه (اليَحْمُوم) كل مساء فيعلف القت والشعير ، حتى يمتلىء ويكتظ بالطعام .

١٧- يغطي ظهره بالأكسية التي تصونه من البرد في الليل ، ويروضه القائم عليه في النهار ، فيجريه حتى يتصبب منه العرق .

١٨- كل ذلك كان له ، فلم ينجه من الموت ، حتى مات سجيناً في (ساباط) .

فإذا فرغ الأعشى من إبراز هذا الذي قصد إليه من تصوير تفاهة الحياة ، راح يتسلى باسترجاع ذكريات شبابه ، فيقول :

١٩- كم قصَّرْتُ اليومَ الطويل بين فتية كرماء ، نشرب الخمر في خباء قد أظل بابَه سقفٌ ممدود .

٢٠- وعندنا جارية قد طلت جسمها بالمسك والزعفران فبدت بشرتها صفراء ، يتحسس الندماء جسمها من فتوق قميصها المشقوق الأكمام .

٢١- إذا طلبتُ إليها الغناء ، نهضت إلى مزهرها ، تدير أصابعها على أوتاره ، فتنبعث منه أنغام كأنها الكلام .

٢٢- يشوي لنا اللحم خادم نشيط حين تشاء ، ونشرب الخمر حمراء يعلوها الزبد حين تصفَّق من إناء إلى إناء .

٢٣- لو سقط فيها القذى لظهر لصفائها واضحاً في قعر الكأس ، فكأنه في سطحها ، يذوقها الشارب فيظل يتلمظ متلذذاً مستعذبا .

٢٤- وعندنا قربة تفيض بالماء ، ودن أسود مليء بالراح .

٢٥- وكم من صحراء واسعة مخيفة ، قد قطعتها بناقة ضخمة ، حين يخفق فوقها السراب ويضطرب .

٢٦- قطعتها وحدي لا أستعين عليها إلا بناقتي ، فهي الصديق القريب ، من فوقها رَحْلٌ عظيم قد فرش ببساط وألقيت عليه وسادة .

١٣— وَلَا المَلِكُ النُّعْمَانُ يَوْمَ لَقِيتُهُ ... بِأُمَّتِهِ يُعْطِي القُطُوطَ وَيَأْفِقُ

١٤— وَيُجْبَى إِلَيْهِ السَّيْلَحُونَ وَدُونَهَا ... صَرِيفُونَ فِي أَنْهَارِهَا وَالخَوَرْنَقُ

١٥— وَيَقْسِمُ أَمْرَ النَّاسِ يَوْمًا وَلَيْلَةً ... وَهُمْ سَاكِتُونَ وَالمَنِيَّةُ تَنْطِقُ

١٦— وَيَأْمُرُ لِلْيَحْمُومِ كُلَّ عَشِيَّةٍ ... بِقَتٍّ وَتَعْلِيقٍ وَقَدْ كَادَ يَسْنَقُ

١٧— يُعَالَى عَلَيْهِ الجُلُّ كُلَّ عَشِيَّةٍ ... وَيُرْفَعُ نُقْلًا بِالضُّحَى وَيُعَرَّقُ

١٨— فَذَاكَ وَمَا أَنْجَى مِنَ المَوْتِ رَبَّهُ ... بِسَابَاطَ حَتَّى مَاتَ وَهْوَ مُحَرْزَقُ

١٩— وَقَدْ أَقْطَعُ اليَوْمَ الطَّوِيلَ بِفِتْيَةٍ ... مَسَامِيحَ تُسْقَى وَالخِبَاءُ مُرَوَّقُ

٢٠— وَرَادِعَةٍ بِالمِسْكِ صَفْرَاءَ عِنْدَنَا ... لِجَسِّ النَّدَامَى فِي يَدِ الدِّرْعِ مَفْتَقُ

٢١— إِذَا قُلْتُ غَنِّي الشَّرْبَ قَامَتْ بِمِزْهَرٍ ... يَكَادُ إِذَا دَارَتْ لَهُ الكَفُّ يَنْطِقُ

٢٢— وَشَاوٍ إِذَا شِئْنَا كَمِيشٌ بِمِسْعَرٍ ... وَصَهْبَاءُ مِزْبَادٌ إِذَا مَا تُصَفَّقُ

٢٣— تُرِيكَ القَذَى مِنْ دُونِهَا وَهْيَ دُونَهُ ... إِذَا ذَاقَهَا مَنْ ذَاقَهَا يَتَمَطَّقُ

٢٤— وَظَلَّتْ شَعِيبٌ غَرْبَةُ المَاءِ عِنْدَنَا ... وَأَسْحَمُ مَمْلُوءٌ مِنَ الرَّاحِ مُتْأَقُ

٢٥— وَخَرْقٍ مَخُوفٍ قَدْ قَطَعْتُ بِجَسْرَةٍ ... إِذَا خَبَّ آلٌ فَوْقَهُ يَتَرَقْرَقُ

(١٣ — ١٥) الأمة النعمة . القطوط جمع قط (بكسر القاف) وهو الصك بالجائزة . أفق (كضرب) في العطاء فضل وأعطى بعضاً أكثر من بعض . السيلحون وصريفون قريتان . الخورنق قصر مشهور للنعمان ، وأصله خورنكاه ومعناه بالفارسية موضع الشرب .

(١٦ — ١٨) اليحموم اسم فرس النعمان . القت نبات تعلفه الدواب واسمه الفصفصة (بكسر الفاءين) ، فإذا يبس سمي قتا . التعليق ما تعلفه الدواب من الشعير ونحوه . السنق للحيوان كالتخمة للإنسان ، فعله سنق (كعلم) ، وقد أخذ النقاد على الأعشى هذا البيت، فقالوا إن هذا قليل جداً في ملك ، فذلك ما يفعله أقل الناس لفرسه . الجل ما تغطى به الدابة لصونها . رفع الفرس كلفه المرفوع، وهو عدو دون الحضر (بضم فسكون) . نقل الفرس أسرع نقل القوائم ، أو سار بين العدو والخبب . ربه صاحبه . محرزق مضيق عليه . وقد استشهد المؤرخون بهذا البيت على أن النعمان مات عند كسرى سجيناً في (ساباط) .

(١٩ — ٢٢) بيت مروق أي مد فيه الرواق ، والرواق سقف في مقدم الخباء . ردعه بالشيء لطخه به . الدرع القميص . شاو هو الذي يشوي اللحم . كميش مسرع . المسعر والمسعار ما تسعر به النار أي توقد .

(٢٣ — ٢٥) يتمطق يتلمظ . الشعيب المزادة . الغرب والغربة (بسكون الراء) البيضة من الخمر ومن الدمع ، وكثرة الريق وبلله . أسحم يقصد دن الخمر لأنه يطلى من خارجه بالقار . الخرق الصحراء الواسعة تنخرق فيها الريح أي يشتد هبوبها . الجسرة الناقة الضخمة . الآل السراب . خب خفق وطال واضطرب . يترقرق يجيء ويذهب .

٢٧- تدمن السير طول الليل ، وتصبح بعد هذا الجهد المتصل الشاق موفورة النشاط ، كأن بها مسًّا من الجنون .

ثم ينتقل الأعشى إلى التعريض بخصم له اسمه (شراحيل بن طود) ويشير إلى آخر يكنى (أبا ليلى) . ويعترض فى هذا الجزء ثلاثة أبيات نرجح أنها فى غير موضعها ، وهى الأبيات (٤١-٤٣) التى يمدح بها المحلق ، فموضعها الطبيعى بعد البيت (٥٠) ، فهى متصلة بما بعده من مدح المحلق الذى يمضى إلى نهاية القصيدة . وتعترضه كذلك ثلاثة أبيات أخرى فى الحكم تبدو غريبة على شعر الأعشى ، فليس من المألوف فى شعره إرسال الحكم على هذا النحو ، وهى الأبيات (٣٥-٣٧) ، وهى لا تتصل بهذا الحديث .

يقول الأعشى مخاطباً (شراحيل بن طود) وهو أحد أقاربه كما يبدو من رفقه به ونصحه له ، فيقول:

٢٩- ما لهذا السفيه الذى يتعرض للناس بالشر يهدى إلى فاحش الكلام . إن هذا لهو الهم الذى ينحل الجسم ويبريه .

٣٠- لست بغافل عما تعملون ، ولكنى لست سفيها يتدفق لسانى بفاحش القول .

٣١- نهار (شراحيل بن طود) يبعث فى نفسى الوساوس والشكوك . وليل (أبى ليلى) أدهى وأمر .

٣٢- ولست أعيى بالكلام ، فما هو إلا أن يسدى إلى شيطانى (مِسْحَلُ) القولَ حتى أقول .

٣٣- فنحن شريكان فيما بيننا من هوادة ولين ، صديقان متصافيان ، جِنِّيٌّ وإنْسٌ موفق .

٣٤- يوحى إلى القول فلا أعيى به ولا أضيق ، كفانى مئونته شيطان ليس بالعاجز الحَصِر ولا الجاهل الغرير .

وهنا يستطرد الأعشى إلى هذه الحكم التى لا تكاد تتصل بموضوعه فيقول :

٣٥- إنما يحسن التصلب وجمع الإرادة فى الرشد ، فذلك أدنى إلى الخير . وبمثل ما يحسن التصلب فى الرشد ، يحسن تركه فى الغى ، فذلك أدنى إلى السلامة والصواب .

٣٦- وليس اللجاج ولا التشبث من الحكمة فى شىء ، والعاقل مَنْ إذا أعجزه الشىء واستعصى عليه ، تركه إلى غيره حين يفوته .

٣٧- فذلك أدنى أن ينال الجسيم الضخم من المطالب . فالاعتدال أدوم وأبقى فى المسير ، وأحرى بأن يُبلِّغ صاحبه ويُلحِقه بما قصد إليه .

٢٦— هِيَ الصَّاحِبُ الْأَدْنَى وَبَيْنِي وَبَيْنَهَا ... مجُوفٌ عِلَاقِيٌّ وَقِطْعٌ وَنُمْرُقُ

٢٧— وَتُصْبِحُ مِنْ غِبِّ السُّرَى وَكَأَنَّمَا ... أَلَمَّ بِهَا مِنْ طَائِفِ الْجِنِّ أَوْلَقُ

٢٨— فَإِنْ ....

٢٩— مِنَ الْجَاهِلِ الْعِرِّيضِ يُهْدِي لِيَ الْخَنَا ... وَذَلِكَ مِمَّا يَنْتَرِينِي وَيَعْرُقُ

٣٠— فَمَا أَنَا عَمَّا تَعْمَلُونَ بِجَاهِلٍ ... وَلَا بِشَبَاةٍ جَهْلُهُ يَتَدَفَّقُ

٣١— نَهَارُ شَرَاحِيلَ بْنِ طَوْدٍ يُرِيبُنِي ... وَلَيْلُ أَبِي لَيْلَى أَمَرُّ وَأَعْلَقُ

٣٢— وَمَا كُنْتُ شَاحِرْذًا وَلَكِنْ حَسِبْتُنِي ... إِذَا مِسْحَلٌ سَدَّى لِيَ الْقَوْلَ أَنْطِقُ

٣٣— شَرِيكَانِ فِيمَا بَيْنَنَا مِنْ هَوَادَةٍ ... صَفِيَّانِ جِنِّيٌّ وَإِنْسٌ مُوَفَّقُ

٣٤— يَقُولُ فَلَا أَعْيَى لِشَيْءٍ أَقُولُهُ ... كَفَانِيَ لَا عَيٌّ وَلَا هُوَ أَخْرَقُ

٣٥— جِمَاعُ الْهَوَى فِي الرُّشْدِ أَدْنَى إِلَى التُّقَى ... وَتَرْكُ الْهَوَى فِي الْغَيِّ أَنْجَى وَأَوْفَقُ

٣٦— إِذَا حَاجَةٌ وَلَّتْكَ لَا تَسْتَطِيعُهَا ... فَخُذْ طَرَفًا مِنْ غَيْرِهَا حِينَ تَسْبِقُ

٣٧— فَذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَنَالَ جَسِيمَهَا ... وَلَلْقَصْدُ أَبْقَى فِي الْمَسِيرِ وَأَلْحَقُ

٣٨— أَتَزْعُمُ لِلْأَكْفَاءِ مَا أَنْتَ أَهْلُهُ ... وَتَخْتَالُ إِذْ جَارُ ابْنِ عَمِّكَ مُرْهَقُ

(٢٦ — ٢٨) المجوف العظيم الجوف الضخمه . العلاقي الرجل العظيم ، منسوب إلى رجل من قضاعة اسمه علاق . القطع (بكسر القاف) البساط والنمرقة . النمرق والنمرقة وسادة تلقى على الرحل . غب الشيء عاقبته وما يليه . السرى السير في الليل . ألم به خالطه . الطائف ما يلم بالانسان ويطوف به . أولق الرجل (على البناء للمجهول) ألقا أي جن فهو مألوق . وبه أولق أي مس من جنون .

(٢٩ — ٣١) الجاهل السفيه . العريض (بالكسر والتشديد) الذي يتعرض للناس بالشر . الخنا الفحش من القول . ينتريني أي ينحل جسمي من برى العود أي كشطه . عرق العظم أكل ما عليه من اللحم ونهسه بأسنانه . رجل شباة أي سفيه ، وأشباه ألقاه في مكروه . أرابه وراب به أوقعه في الريبة والشك . أعلق أشد مرارة ، أفعل تفضيل من العلقم .

(٣٢ — ٣٤) شاحرذا قالوا إن معناها متعلم . مسحل اسم شيطان الأعشى ، والمسحل حمار الوحش . سدى إليه وأسدى إليه أحسن ، وأصله من السدى وهي خيوط النسيج . الموادة الألفة والرفق . العي العاجز والحصر الذي لا يستطيع أن يبين . خرق بالشيء (كعلم) جهله ولم يحسن عمله ، فهو أخرق .

(٣٥ — ٣٨) جماع الشيء جمعه . الهوى إرادة النفس ، والشيء الذي تحبه وتشتهيه محمودا كان أو مذموماً ، وقد غلب استعماله على المذموم . الغي الضلال والانهماك في الجهل . ولتك أي فاتتك وانصرفت عنك . القصد مصدر قصد (كضرب) ضد أفرط ، وقصد في مشيه مشى مستويا . الأكفاء جمع كفء ، وهو المثل والنظير . الارهاق أن تحمل الانسان ما لا يطيق . وقد كان وجه الكلام عندى أن يقول (ما لست أهله) .

ثم يعود الشاعر إلى مخاطبة خصمه فيقول :

٣٨ـ أتزعم لأندادك ونظرائك ما أنت مستوجب له خليق به ، وتتيه مختالا وجار ابن عمك مرهق مكدود؟

٣٩ـ وتظن أنك قد فعلت ما تحمد عليه ، حين أصبت بالأمس قطيعاً من الإبل؟ وإنما هو أمر له ما يليه ، وستجنى ثماره حين تتتابع عليك عواقبه بعد حين .

٤٠ـ فتفجع ذا المال الكثير فى ماله ، وتغنى الفقير وتلحقه بأصحاب الثراء .

٤٤ـ لقد نهيتكم عن سفهكم وتهوركم ، وإن كنت قد أديت حقكم فنصرتكم على ظلمكم ، وإنما كان حرصى على إصلاحكم بدافع من الحزم .

٤٥ـ أنذرتكم قومكم الذين تظلمونهم ، على ما يتصفون به من الكرم ، ولتلتقين بهم إن كان فى العمر بقية .

ويتنقل الشاعر من هذا الحديث انتقالا مفاجئاً إلى صاحبته (ليلى) وما تكلف فى الرحلة إليها من مشاق فيقول :

٤٦ـ كم دون (ليلى) من عدو ، ومن بلاد ، ومن صحارى يخفق فوقها السراب .

٤٧ـ ليس فيها ماء إلا الراكد قد اصفر كأنه الحناء ، وطمسته الرياح والرمال . إذا ذاقه من لم يألفه من اعتاد شرب الماء العذب ، بصقه ولم يستطع أن يُسيغه .

٥٠ـ ولا بد لسالك هذه الصحراء أن يتودد إلى الذين يمر بهم من القبائل ، وينال جوارهم ليجيزوه وينفذوه ، كما ينفذ النجار المسمار فى الباب .

٤٨ـ وإن الذى سار إليك الليالى الطوال ، وبينه وبينك الصحارى والقفار ، والبيد المترامية الأطراف يخفق فوقها السراب ،

٤٩ـ لحقيق أن تستجيب له وأن تعينه ، فالمعان موفق للرشاد .

وهنا يتنقل الشاعر إلى (المحلق) فيمضى فى مدحه إلى نهاية القصيدة ، فيقول :

٤١ـ يا (أبا مسمع) ، لقد سار الذى صنعتم وذاع ، فتحدث به الناس فى نجد وفى العراق .

٤٢ـ وستزوركم كرائم الإبل . قد عُلقَ على أعجازها الثناء .

٣٩— وأَحْمَدْتَ أَنْ أَلْحَقْتَ بِالأَمْسِ صِرْمَةً ... لَهَا غُدُرَاتٌ وَاللَّوَاحِقُ تَلْحَقُ

٤٠— فَيَفْجَعْنَ ذَا ٱلْمَالِ ٱلْكَثِيرِ بِمَالِهِ ... وَطَوْرًا يُقَنِّينَ الضَّرِيكَ فَيَلْحَقُ

٤١— أَبَا مِسْمَعٍ سَارَ ٱلَّذِى قَدْ صَنَعْتُمُ ... فَأَنْجَدَ أَقْوَامٌ بِذَاكَ وَأَعْرَقُوا

٤٢— وَإِنَّ عِتَاقَ ٱلْعِيسِ سَوْفَ يَزُورُكُمْ ... ثَنَاءٌ عَلَى أَعْجَازِهِنَّ مُعَلَّقُ

٤٣— بِهِ تُنْفَضُ ٱلأَحْلَاسُ فِى كُلِّ مَنْزِلٍ ... وَتُعْقَدُ أَنْسَاعُ ٱلْمَطِىِّ وَتُطْلَقُ

٤٤— نَهَيْتُكُمْ عَنْ جَهْلِكُمْ وَنَصَرْتُكُمْ ... عَلَى ظُلْمِكُمْ وَٱلْحَازِمُ الرَّأْىِ أَشْفَقُ

٤٥— وَأَنْذَرْتُكُمْ قَوْمًا لَكُمْ تَظْلِمُونَهُمْ ... كِرَامًا فَإِنْ لَا يَنْفَدِ ٱلْعَيْشُ تَلْتَقُوا

٤٦— وَكَمْ دُونَ لَيْلَى مِنْ عَدُوٍّ وَبَلْدَةٍ ... وَسَهْبٍ بِهِ مُسْتَوْضِحُ ٱلْآلِ يَبْرُقُ

٤٧— وَأَصْفَرَ كَٱلْحِنَّاءِ طَامٍ جِمَامُهُ ... إِذَا ذَاقَهُ مُسْتَعْذِبُ ٱلْمَاءِ يَبْصُقُ

٤٨— وَإِنَّ ٱمْرَءًا أَسْرَى إِلَيْكِ وَدُونَهُ ... فَيَافٍ تَنُوفَاتٌ وَبَيْدَاءُ خَيْفَقُ

٤٩— لَمَحْقُوقَةٌ أَنْ تَسْتَجِيبِى لِصَوْتِهِ ... وَأَنْ تَعْلَمِى أَنَّ ٱلْمُعَانَ مُوَفَّقُ

٥٠— وَلَابُدَّ مِنْ جَارٍ يُجِيزُ سَبِيلَهَا ... كَمَا جَوَّزَ السَّكِّىَّ فِى ٱلْبَابِ فَيْتَقُ

٥١— لَعَمْرِى لَقَدْ لَاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ ... إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِى يَفَاعٍ تُحَرَّقُ

(٣٩ — ٤١) أحمد الرجل فعل ما يحمد عليه . ألحقته كلاحقته أدركه . الصرمة (بكسر فسكون) القطعة من الابل . غدرات جمع غدرة (بضم الغين) وهو ما أغدر أى بقى من الشيء . اللواحق جمع لاحقة وهو الثمر بعد الثمرة الأولى . فيفجعن الضمير عائد على اللواحق . قنا المال جمعه وكسبه ، وقناه - بالتشديد) أغناه وجعله يجمعه ويكسبه . الضريك الفقير ، (وليس له فعل من لفظه) . يلحق أى يلحق ذا المال ويدركه . سار اشتهر وذهب فى الناس . أنجد أتى نجدا . أعرق أتى العراق .

(٤٢ — ٤٤) العيس الابل . عتاقها كرامها . أعجاز جمع عجز (كرجل وكتف) وهو المؤخر من كل شيء . يقصد أن الركبان تحمل هذا الثناء . الأحلاس جمع حلس (بكسر فسكون) وهو ما يوضع تحت الرحل مباشرا الظهر العلية حتى لا يؤذيها . المنزل مكان النزول . الأنساع السيور التى يشد بها الرحل إلى الناقة . الحزم ضبط الأمر وأخذه بالشدة . شفق الناصح عليه (كعلم) حرص على إصلاحه . والشفقة عطف مع خوف ، ولذلك لا يوصف الله تعالى بالشفقة .

(٤٦ — ٤٨) السهب الصحراء . الآل السراب . أصفر يقصد مورد ماء أصفر . طام مطموس . الجمام جمع جمة (بضم ثم تشديد) وجم (بالفتح) وهو ما اجتمع من الماء . أسرى سار ليلا . فياف صحارى ، جمع فيفاء . التنوفة القفر . الخيفق الصحراء الواسعة يخفق فيها السراب أى يضطرب .

(٤٩ — ٥١) البيت (٤٩) قال المرزبانى فى الموشح إن عجزه لا يلائم صدره . أجازه أعطاه الاجازة والاذن . السكى ذكروا فيه معانى كثيرة فقالوا إنه المسمار أو الدينار أو البريد . والفيتق قالوا إنه النجار أو البواب أو الملك . وسئل الأصمعى عن الكلمتين فلم يعرفهما . لاح الشيء بدا وظهر . عيون يقصد عيون الناس ، أطلق الجزء وأراد الكل . اليفاع الأرض المرتفعة . وإنما يوقد الكريم النار على التلال والجبال ليعرف مكانه ، وليراها الناس من بعيد فيقصدوا إلى ضيافته .

٤٣— يتحدث به الركبان حيثما نزلوا فنفضوا عن مطيهم الأحلاس ، ويرددونه حين يشدون على مطيهم الحبال وحين يفكونها ، فى الحل والترحال .

٥١— ولعمرى إن أشخاص الناس لتبدو وهى تقصد إلى ناركم ، وقد أوقدت فوق التلال .

٥٢— بات عليها اثنان يستدفئان من البرد ويَسْمُرَان ، هما الكَرَمُ (والمحلق)

٥٣— هما أخوان قد رضعا ثدى أم واحدة ، وتحالفا بحرمة الثدى الذى رضعاه لا يفترقان .

٥٤— يداك يدا فضل ، فكف تفيد الغنى ، وكف تنفق فى الشدة ، حين يضن الناس بالقليل الذى عندهم من القوت والزاد .

٥٥— ترى الجود يجرى ظاهراً فوق وجهه فيزينه ، كما يجرى رونق السيف البراق متموجا على صفحته .

٥٦— وإذا اشتد القحط واستحكم الجدب ، فرد الرعاة إبلهم لا يجدون العشب ، وبدت الأرض فى العشيات صفصفاً جرداء ليس على ظهرها نبات ،

٥٧— صان (آل المحلق) أعراضهم بالجود . ونفى عنهم الذمَّ جفنةٌ ضخمةٌ تقدم للضيفان ، كأنها حوض الماء يُمِدُّه نهر العراق.

٥٨— يغدو عليهم هذا الفتى المفضال ويروح ، بجفان مملوءة من شحم السنام ، يتدفق عليها بغير انقطاع .

٥٩— ويعود وقد نقل إليهم القِدْرَ بما فيها من الطعام الذى لم يُكْثَر بمزجه بالماء .

٦٠— ترى القوم من حولها مادِّينَ أيديهم إليها يغترفون ، صفوفا من خلفهم صفوف ، من الناس ومن صغار الأطفال .

٦١— طويل الباع لا تقصر يده عن تناول مكرمة وإن بعدت ، ليس رهطه ممن يحشرن فى المكان الثانى من قومهم . فهم السادة غير شك . أبى كريم ، لا يغشى جاره الشر ، ولا يسمو إليه الأذى .

٦٢— كذلك فليكن صنيعك إلى الناس ما حييت . وكذلك فليكن إقدامك حين يتراجع الناس فى ساعة الفزع ، فتزيغ الأبصار ، وتُعمِى الدهشةُ العيون .

٥٢— تُشَبُّ لِمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا ... وَبَاتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى وَالْمُحَلَّقُ

٥٣— رَضِيعَيْ لِبَانٍ ثَدْيَ أُمٍّ تَحَالَفَا ... بِأَسْحَمَ دَاجٍ عَوْضُ لَا نَتَفَرَّقُ

٥٤— يَدَاكَ يَدَا صِدْقٍ فَكَفٌّ مُفِيدَةٌ ... وَأُخْرَى إِذَا مَا ضَنَّ بِالزَّادِ تُنْفِقُ

٥٥— تَرَى الْجُودَ يَجْرِي ظَاهِرًا فَوْقَ وَجْهِهِ ... كَمَا زَانَ مَتْنَ الْهِنْدُوَانِيِّ رَوْنَقُ

٥٦— وَأَمَّا إِذَا مَا أَوَّبَ الْمَحْلُ سَرْحَهُمْ ... وَلَاحَ لَهُمْ مِنَ الْعَشِيَّاتِ سَمْلَقُ

٥٧— نَفَى الذَّمَّ عَنْ آلِ الْمُحَلَّقِ جَفْنَةٌ ... كَجَابِيَةِ السَّيْحِ الْعِرَاقِيِّ تَفْهَقُ

٥٨— يَرُوحُ فَتَى صِدْقٍ وَيَغْدُو عَلَيْهِمُ ... بِمِلْءِ جِفَانٍ مِنْ سَدِيفٍ يُدَفَّقُ

٥٩— وَعَادَ فَتَى صِدْقٍ عَلَيْهِمْ بِجَفْنَةٍ ... وَسَوْدَاءَ لَأْيًا بِالْمَزَادَةِ تُمْرَقُ

٦٠— تَرَى الْقَوْمَ فِيهَا شَارِعِينَ وَدُونَهُمْ ... مِنَ الْقَوْمِ وِلْدَانٌ مِنَ النَّسْلِ دَرْدَقُ

٦١— طَوِيلُ الْيَدَيْنِ رَهْطُهُ غَيْرُ ثِنْيَةٍ ... أَشَمُّ كَرِيمٌ جَارُهُ لَا يُرَهَّقُ

٦٢— كَذَلِكَ فَافْعَلْ مَا حَيِيتَ إِلَيْهِمُ ... وَأَقْدِمْ إِذَا مَا أَعْيُنُ النَّاسِ تَبْرَقُ

(٥٢ — ٥٤) تشب توقد أي النار . المقرور من أصابه البرد . اصطلى النار استدفأ بها . الندى الكرم . بأسحم داج يحتمل أن يكون المقصود هو الليل ، أو يكون المقصود هو حلمة الثدي ويقصد الثدي الذي رضعا منه . عوض أي أبد الدهر ، مبني على الضم مثل قط وقبل وبعد . الصدق الفضل والصلاح . مفيدة معطية ، وأفاده أعطاه . ضن بالشيء بخل به وحرص عليه .

(٥٥ — ٥٧) رونق السيف طلاوته وماؤه وبريقه الذي يتلألأ متموجا . متن السيف صفحته . أوب أرجع . المحل القحط والجفاف . السرح الإبل ، أرجعوها لأنهم لا يجدون لها مكانا مخصباً ترعاه . السملقة والسملق القاع الصفصف المستوى من الأرض . الجابية الحوض الذي يجبى فيه الماء للإبل لتشرب منه . السيح النهر . فهق الإناء امتلأ حتى صار يتصبب .

(٥٨ — ٥٩) الجفان جمع جفنة وهي القصعة التي يقدم فيها الطعام . السديف شحم السنام . سوداء يقصد القدر ، وهي سوداء الظاهر لكثرة استعمالها في الطبخ لأنه يطعم ضيفانه دائما . اللأى الشدة والبطء والمشقة . المزادة الراوية ، وهي قربة من جلدين يوصلان بثالث بينهما ليوسعهما . مرق القدر أكثر مرقها . يقول إن هذه القدر لا يكاد يصب عليها من ماء القربة إلا القليل ، فالقدر مملوءة لحما وطعاماً وهو لا يكثرها بالماء .

(٦٠ — ٦٢) شرع الرجل في الماء شرب بكفيه أو تناوله بفمه . الدردق الأطفال والصغير من كل شيء . ثنية جمع ثنى (بفتح فكسر) وهو من دون السيد في المرتبة . رهقه اتهمه بشر ، أو حمله ما لا يطيق . برق (كعلم) تحير حتى لا يطرف ، أو دهش فلم يبصر .

٣٤

يتصل حديث هذه القصيدة بواقعة (ذى قار) . وقد وعدت فى القصيدة (٢٦) التى تتصل بهذا الحديث ، أن أفصل خبرها فى هذا الموضع.

(ذو قار) موضع قريب من الكوفة ــ بينها وبين واسط ــ كانت فيه واقعة مشهورة بين الفرس وبكر ، اختلفوا فى تاريخها . فقال الطبرى وابن الأثير وابن عبد ربه إنها كانت بعد مبعث النبى ، ولم يعينا تاريخها (١) . وحدد صاحب الأغانى تاريخها فقال إنها كانت بعد وقعة بدر بأشهر (٢) . وزعم ياقوت فى معجم البلدان عند حديثه عن (ذو قار) أنها كانت يوم مولد النبى صلى الله عليه وسلم ، وضعف الرأى الأول فقال : « وقيل ، كانت وقعة ذى قار عند منصرف النبى صلى الله عليه وسلم من وقعة بدر الكبرى » . ورأى ياقوت بعيد عن الصواب . فالثابت أن المعركة كانت بعد مقتل النعمان ، وفى ولاية إياس بن قبيصة الطائى . وقد بعث النبى لثمانية أشهر ، أو لسنة وثمانية أشهر ، من ولايته (٣).

وقد اختلف الرواة فى سبب هذا اليوم . فقيل إن كسرى لما حبس النعمان بساباط حتى مات قبيل الاسلام غضبت له العرب ، وكان ذلك سبب ذى قار . وقيل إنه كان بسبب أسلحة النعمان التى أودعها عند رجل من أشراف بكر اسمه هانىء بن قبيصة بن هانىء بن مسعود (على الأرجح) قبل رحلته إلى كسرى . وقالوا إنه كان بسبب غارات البكريين على السواد . وكانت بكر قد جعلت تغير على السواد بعد مقتل النعمان . فوفد (قيس بن مسعود) ــ الذى تقدمت قصته فى القصيدة (٢٦) ــ على كسرى ، فسأله أن يجعل له أجراً على أن يضمن له على بكر أن لا يدخلوا السواد ولا يفسدوا فيه . فأقطعه كسرى الأبلة وما والاها ، فكان يأتيه من يأتيه من بكر فيرضيهم بالعطاء ويتصرفون . ولكن ذلك لم يمنع أن يغير بعض سفهائهم على السواد فى بعض الأحيان ، كالذى يروى من أن (الحارث بن وعلة) و (المكسر بن حنظلة) قدما فى رجال من بكر إلى قيس فاستقلوا عطاءه وأغاروا على السواد.

ويبدو أن وقعة ذى قار لا ترجع إلى واحد من هذه الأسباب ، ولكنها ترجع إليها جميعاً . ولعلها ترجع بنوع خاص إلى غزوات الأعراب من البكريين على أطراف المملكة الفارسية . فهى شبيهة بيوم (الصفقة) الذى تحدثنا عنه فى القصيدة (١٣) والذى أوقع فيه كسرى بتميم بسبب غاراتهم على قوافله .

قال الرواة فى خبر هذا اليوم إن كسرى أرسل إلى هانىء بن قبيصة ، يطلب منه رد دروع النعمان وأسلحته فرفض . فبعث كسرى إلى بكر بالجيوش يقودها (الهامرز) على ألف من الأساورة ــ وكان على مسلحة كسرى بالسواد . ومن قوادها من العرب (إياس بن قبيصة الطائى) ــ وكان يحكم على ما كان يحكمه النعمان ، ومعه كتيبتاه الشهباء والدوسرة . وقد أمر كسرى قيس بن مسعود أن يسير معه كما قدمنا فى القصيدة (٢٦) و (خالد بن يزيد البهرانى) على قضاعة وإياد . وزعموا أن (النعمان بن زرعة التغلبى) كان مع جيوش كسرى يقود تغلب والنمر ، وأنه هو الذى دل كسرى على مورتهم من ذى قار فى الصيف . ولكن الشعر الذى بين يدينا لا يرجح ذلك . فليس فيه إشارة واحدة إلى خروج تغلب عليهم . ولو أنها فعلت لكان شيئاً بشعاً أن تنضم قبيلة عربية إلى الفرس ضد أبناء عمومتها ، ولاستحق هذا الحادث الخطير أن يسجل . على أن البيت (٤١) من القصيدة (٣٤) التى بين يدينا يثبت غير ذلك . فالأعشى يتهدد كسرى فى هذا البيت بقوة قومه فيقول :

فى عارض من وائل إن تلقه يوم الهياج يكن مسيرك أنكدا

فقوله (وائل) معناه أن (تغلب) كانت مع (بكر) . ولو أنها كانت منضمة عليهم لخصص فقال : فى عارض من (بكر) .

وكان كسرى قد طلب من بكر أن يسلموا حلقة النعمان ، ويقدموا مائة غلام يكونون رهناً بما يحدث سفهاؤهم فى السواد . وخيرهم بين ذلك وبين الجلاء عن أرضهم أو القتال . فاختاروا القتال . وتزعمهم فى هذا اليوم (حنظلة بن ثعلبة بن سيار العجلى) الذى عرف من ذلك اليوم بمقطع الوضن (والوضين الحزام ، سمى بذلك لأنه قطع وضن الابل التى تحمل النساء حتى لا يفر المقاتلة ، وحتى يعرف الواحد منهم أنه إن هرب لم تستطع امرأته أن تفر معه) و (يزيد بن مسهر الشيبانى) ، و (هانىء بن قبيصة الشيبانى) . وقد ذهب بنو شيبان خاصة بفخر هذا اليوم .

وروى للأعشى فيه أربع قصائد : (٢٦) وهى فى رحلة قيس بن مسعود إلى كسرى بعد ذى قار و (٣٤) وهى هذه القصيدة التى قدمنا لها بهذا الحديث . وقد قيلت قبيل ذى قار . فالشاعر يتهدد فيها كسرى بالحرب ، رافضا ما كان يطلب من الرهن . و (٤٠) ، (٥٦) وهما بعد ذى قار . وسيأتى حديثها فى مواضعها من الديوان .

يقول الأعشى :

١ ــ عدل عن سفره فأقام ، وتخلف ليلة ليتزود من (قُتَيْلَة) فمضت الليلة ، وأخلفته (قتيلة) الموعد .

٢ ــ ومضى هو لحاجته ، وقد أصبح ودها باليا ، وكان يظن أنه دائم لا ينقطع .

٣ ــ أدركنى الشيب : فهجرتنى الغوانى حين فارقتنى نضرة الشباب .

---

(١) الطبرى ١ : ٦٠٠ ، ٦٠٨ ــ ابن الأثير ١ : ٢٩٠ ــ العقد الفريد ٦ : ١١١ (٢) الأغانى ٢٠ : ١٣٨

(٣) الطبرى ١ : ٦١٤ ــ ابن الأثير ١ : ٢٩٢

وَقَالَ الأَعْشَى لِكِسْرَى حِينَ أَرَادَ مِنْهُمْ رَهَائِنَ ، لَمَّا أَغَارَ ٱلْحَارِثُ بْنُ وَعْلَةَ عَلَى بَعْضِ السَّوَادِ :

١ — أَثْوَى وَقَصَّرَ لَيْلَةً لِيُزَوَّدَا ... فَمَضَتْ وَأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِدَا (كامل)

٢ — وَمَضَى لِحَاجَتِهِ وَأَصْبَحَ حَبْلُهَا ... خَلَقًا وَكَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يُنْكَدَا

٣ — وَأَرَى ٱلْغَوَانِيَ حِينَ شِبْتُ هَجَرْنَنِي ... أَنْ لَا أَكُونَ لَهُنَّ مِثْلِيَ أَمْرَدَا

٤ — إِنَّ ٱلْغَوَانِيَ لَا يُوَاصِلْنَ آمْرَءًا ... فَقَدَ الشَّبَابَ وَقَدْ يَصِلْنَ ٱلْأَمْرَدَا

٥ — بَلْ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَعُودَنْ نَاشِئًا ... مِثْلِي زُمَيْنَ أَحُلُّ بُرْقَةَ أَنْقَدَا

٦ — إِذْ لِمَّتِي سَوْدَاءُ أَتْبَعُ ظِلَّهَا ... دَدَنًا قُعُودَ غَوَايَةٍ أَجْرِي دَدَا

٧ — يَلْوِينَنِي دَيْنِي ٱلنَّهَارَ وَأَجْتَزِي ... دَيْنِي إِذَا وَقَذَ ٱلنُّعَاسُ الرُّقَّدَا

٨ — هَلْ تَذْكُرِينَ ٱلْعَهْدَ يَا بْنَةَ مَالِكٍ ... أَيَّامَ نَرْتَبِعُ السِّتَارَ فَثَهْمَدَا

٩ — أَيَّامَ أَمْنَحُكِ ٱلْمَوَدَّةَ كُلَّهَا ... مِنِّي وَأَرْعَى بِٱلْمَغِيبِ ٱلْمَأْحَدَا

١٠ — قَالَتْ قُتَيْلَةُ مَا لِجِسْمِكَ سَابِئًا ... وَأَرَى ثِيَابَكَ بَالِيَاتٍ هُمَّدَا

١١ — أَذْلَلْتَ نَفْسَكَ بَعْدَ تَكْرِمَةٍ لَهَا ... أَوْ كُنْتَ ذَا عَوَزٍ وَمُنْتَظِرًا غَدَا

١٢ — أَمْ غَابَ رَبُّكَ فَٱعْتَرَتْكَ خَصَاصَةٌ ... فَلَعَلَّ رَبَّكَ أَنْ يَعُودَ مُؤَيَّدَا

(١ — ٣) ثوى وأثوى بمعنى واحد أي أقام . قصر توانى . مضت أي الليلة . أخلف فلانا وجد موعده خلفاً (بكسر الخاء) أي مختلفاً. خلقا باليا . تكدت البئر (كفلم) قل ماؤها . وتكده منعه ما سأله ولم يعطه . الأمرد الناعم الوجه الذي لم ينبت شعر لحيته .

(٤ — ٦) يطلق العرب البرقة (بضم الباء) على كل أرض غليظة . وبرقة أنقد واحدة من هذه البراق ، وهي كثيرة ، أحصى منها صاحب القاموس أكثر من مائة موضع . يكنى العرب بالظل عن الراحة ، لاشتداد الحرارة في الصحراء ، فهم يعانون منها الآلام . ولذلك وصفت الجنة بالظل . وقالوا هو في ظل أي في عز ومنعة ورفاهة . وقالوا هو يتبع ظل لمته ، ويبارى ظل رأسه ، إذا اختال . ومنه قول الشاعر (فراح يبارى ظل رأس مرجل) . الدد والددن اللهو واللعب . قعود غواية ، أطلق المصدر وأراد اسم الفاعل ، أي قاعداً في الغواية .

(٧ — ٩) يلويني يمطلني . أجتزي أتقاضى . وقذ صرع . يقول إن له حقاً على صاحباته بما بينه وبينهن من ود ومن صلات ، ولكنهن يمطلنه حقه إذا طالب به نهارا ، ولا يقبلن أداءه والوفاء به إلا ليلا حين ينام الناس . ارتبع وتربع أقام في الربيع . الأحد الانفراد مصدر ميمي من وحد فهو وحيد . وقيل إنه يريد (المعهد) فقلب العين همزة .

(١٠ — ١٢) سابئ، يسوء من رآه . همد الثوب تقطع من طول الطي ، ينظر إليه الناظر فيحسبه صحيحاً ، فإذا مسه تناثر من البلى . عوز فقر . ربك سيدك . الخصاصة الفقر وسوء الحال والحاجة .

٤ — والغوانى لا يواصلن من فقد الشباب ولكنهن يصلن الأمرد الناعم الوجه الغض الإهاب .

٥ — يا للشباب الذاهب ! كيف لى أن أعود ناشئاً ، كما كنت أيام أحل (برقة أنقد) .

٦ — أيام كانت لمتى سوداء ، أختال فى لهو وفى عبث لا ينقطع .

٧ — أسعى إلى صواحبى فى الليل ، حين يصرع النوم الراقدين ، أتقاضى منهن دينى وقد أنكرنه فى النهار .

٨ — هل تذكرين العهد يا (ابنة مالك) ، أيام كنا نقضى الربيع فى (السِّتار) و (ثَهْمَد) .

٩ — أيام أمنحك ودى كله لا شريك لك فيه ، وأحفظ حين تغيبين العهود .

١٠ — تقول (قُتَيْلَة) : ما لجسمك يسوء من رآه ، وما لثيابك باليات ؟

١١ — أأذللت نفسك وقد كنت لها مكرما ، أم أدركك الفقر فأنت ترجو الفرج من غد ؟

١٢ — أم غاب ولى نعمتك فساء حالك ؟ فلعله أن يعود من القتال مظفراً منصوراً .

١٣ — فأجبتها : سيدى كريم لا يشوب نعمته كدر ولا نكد ، إذا نُوشِدَ بما فى الكتب أجاب .

ويتنقل الشاعر من هذا الغزل الرقيق ، الذى تحدث فيه عن (قتيلة) ، أحب صواحبه إليه ، ليصف الصحراء ؛ فيقول :

١٤ — رب ناقة صلبة خفيفة ، كأنما وضعتُ الرحل منها فوق نعام أسود الظهر سريع .

١٥ — تصبح بعد إدمان السير فى الليل الطويل ، وكأنها حمار وحش مخطط ، قد اكتمل شبابه ، وبلغ أشده ، يتلو أتناً مخططة الظهور .

١٦ — أو كأنها نعامة رمادية اللون بـ (القارتين) ، أسرعت فى أثر ذكر النعام ، عائدين إلى وكرهما ، وقد بدأ الليل وتصرم النهار .

١٧ — يتجاريان مسرعين قبل أن يدركهما الظلام فيتعرضان للتلف ، إذ يضطران للإقامة فى مكانهما العارى المكشوف من الصحراء .

١٨ — فهى تارة تسبقه فى عدوها فتكون أمامه ، وتارة أخرى يشتد هو فى عدوه فيفوتها .

١٩ — ولقد أركب الجمل الضخم الفتى ، قد تماسكت فقاره ، فكأنها برج (النبيط) قد شيدوه بالآجر .

٢٠ — إذا أرغى وهدر ، فالتف زبده بأسنانه ، هب بجدد نشاطه ، وانطلق فى عدو سريع .

٢١ — فكأنه ذكر نعام يبارى نعامة رمادية اللون فى سرب من النعام .

٢٢ — دخل عليه الظلام فى (ذى العجلان) ، فهو يسرع ميمما إلى مأواه ، فى روضة خضراء قد التف نباتها المتموج المياس .

١٣— رَبٌّ كَرِيمٌ لَا يُكَدِّرُ نِعْمَةً   وَإِذَا يُنَاشَدُ بِالْمَهَارِقِ أَنْشَدَا

١٤— وَشِمِلَّةٍ حَرْفٍ كَأَنَّ قُتُودَهَا   جَلَّتْهُ جَوْنَ السَّرَاةِ خَفَيْدَدَا

١٥— وَكَأَنَّهَا ذُو جُدَّةٍ غِبَّ السُّرَى   أَوْ قَارِحٌ يَتْلُو نَحَائِصَ جُدَّدَا

١٦— أَوْ صَعْلَةٌ بِالْقَارَتَيْنِ تَرَوَّحَتْ   رَبْدَاءُ تَتْبَعُ الظَّلِيمَ الْأَرْبَدَا

١٧— يَتَجَارَيَانِ وَيَحْسَبَانِ إِضَاعَةً   مُكْثَ الْعِشَاءِ وَإِنْ يُعِيَا يَفْقِدَا

١٨— طَوْرًا تَكُونُ أَمَامَهُ فَتَفُوتُهُ   وَيَفُوتُهَا طَوْرًا إِذَا مَا خَوَّدَا

١٩— وَعُذَافِرٍ سَدَسٍ تَخَالُ مَحَالَهُ   بُرْجًا تُشَيِّدُهُ النَّبِيطُ الْقَرْمَدَا

٢٠— وَإِذَا يَلُوثُ لُغَامَهُ بِسَدِيسِهِ   ثَنْيٌ فَهَبَّ هَبَابُهُ وَتَزَيَّدَا

٢١— وَكَأَنَّهُ هِقْلٌ يُبَارِي هِقْلَةً   رَمْدَاءَ فِي خِيطٍ نَقَانِقَ أَرْمَدَا

٢٢— أَمْسَى بِذِي الْعَجْلَانِ يَقْرُو رَوْضَةً   خَضْرَاءَ أَنْضَرَ نَبْتُهَا فَتَرَادَا

٢٣— أَذْهَبْتُهُ بِمَهَامِهٍ مَجْهُولَةٍ   لَا يَهْتَدِي بُرْتٌ بِهَا أَنْ يَقْصِدَا

٢٤— مَنْ مُبْلِغٌ كِسْرَى إِذَا مَا جَاءَهُ   عَنِّي مَآلِكَ مُخْمِشَاتٍ شُرَّدَا

٢٥— آلَيْتُ لَا نُعْطِيهِ مِنْ أَبْنَائِنَا   رُهُنًا فَيُفْسِدَهُمْ كَمَنْ قَدْ أَفْسَدَا

(١٣ — ١٤) يناشد من قولهم نشدتك الله ، أى استحلفك به . المهارق الصحف (أعجمية معربة) جمع مهرق (بضم فسكون ففتح) وقيل المهرق حرير أبيض يسقى الصمغ ويصقل ثم يكتب فيه . أنشده أى أجابه إلى طلبه . وفى البيت إشارة إلى ان هـــذا الممدوح متدين بأحد الأديان السماوية . شملة خفيفة . حرف صلبة . القتود عيدان الرحل . الخفيدد الظليم وهو ذكر النعام .

(١٥ — ١٦) الجدة (بضم الجيم) العلامة والخطة فى ظهر حمار الوحش . القارح من ذى الحافر بمنزلة البازل من الابل ، وهو البعير إذا بزل نابه ، وذلك فى سن التاسعة . النحائص جمع نحوص وهى من الأتن مالا ولد لها ولا لبن ، وهى أوفر نشاطاً وأكثر اكتنازاً . يشبه ناقته بحمار وحش هذه صفته . صعلة صغيرة الرأس ، يقصد النعامة ، يشبه ناقته بها لسرعتهـــا . الاربد الأبيض المشوب بسواد . الظليم ذكر النعام .

(١٧ — ١٩) أقام بالمكان أكام . التخويد ضرب من العدو . العذافر العظيم الشديد من الابل . السدس قبل البازل فى نحو الثامنة من عمره . المحالة الفقارة من فقر البعير . القرمد الجص والحجارة والآجر والخزف المطبوخ .

(٢٠ — ٢٢) لاث عمامته أدارها . لغامه زبده . السديس السن قبل البازل . ثنى بالأمر إذا فعل أمرا ثم ضم إليه أمرا آخر . هب هبا وهبوبا وهبابا نشط وأسرع . التزيد سير فوق العنق . الهقل ذكر النعام . الهقلة النعامة . رمداء أى ربداء رمادية اللون . الخيط (بكسر الخاء) الجماعة من النعام . نقانق جمع نقنق (بكسر النونين) وهو ذكر النعام . القرو القصد والتتبع . ذو العجلان شجر . تراد اهتز وتمايل واضطرب .

(٢٣ — ٢٥) المهامة جمع مهمه وهى الصحراء . البرت الدليل . مآلك جمع مألكة (بفتح فسكون فضم) وهى الرسالة . ألكه أبلغه الرسالة . مخمشات مغضبات ، والخمش الخدش والقطع . شرد أى تأتى كل مكان لشهرتها وذيوعها ، وأصله من الناقة الشرود وهى التى تذهب على رأسها .

٢٣— صرفت هذا الجمل إلى صحار مضلة مجهولة المسالك ، لا يكاد يهتدى بها الدليل الخبير .

ثم ينتقل من حديث الصحراء ، فيوجه خطابه إلى (كسرى) قائلا :

٢٤— من يبلغ عنى (كسرى) إذا جاءه ، رسائل تخمش الوجوه ، وتذهب مشهورة فى كل مكان ، فتجرى على كل لسان .

٢٥— آليت أن لا نجيبه إلى ما يسألنا من تقديم رهائن من أبنائنا ، لنعرضهم للتلف ، كالذين أتلفهم وآذاهم من قبل .

٢٦— حتى ترهنه نجوم (نعش) أبناءها ، أو يرهنه (السِّمَاك) (الفَرْقَد)

٢٧— إلا ماسبق من أمر (خارجة) ، الذى يكلف نفسه أن يحضر حين أغيب .

٢٨— و (ابنى قبيصة) اللذين أخذ منهما الخوف ، فأرهقا أنفسهما وحملا إليك الرهائن ـ والخائف جدير بأن يرهق نفسه ـ

٢٩— كلا ، يمين الله ، لتنزلن لنا (الأسود) من حيث بحثته فى رأس الجبل .

٣٠— أو لنقاتلنك على مانشاء ونختار ، ولنبعثنها على المتمردين الطغاة ،

٣١— حرباً لا تهدأ بين (عانة) (والفرات) ، كأنها النار المستعرة ، يمدها الغواة بالحطب والأخشاب .

ويهاجم الأعشى قبيلة (إياد) التى يضطرها موقعها فى أطراف الجزيرة إلى ممالأة الفرس ، فينفيهم عن العرب ، ويشبههم بالأنباط ، ويتهكم بهم لأنهم يعتمدون فى حياتهم على الزراعة . وهذا يصور احتقار العرب ـ والأعراب منهم خاصة ـ لأصحاب الصناعة والزراعة . ذلك لأن مثلهم الأول أن يكون الرجل فارساً مقاتلا . والزراعة والصناعة والتجارة تقوم على الاستقرار ، وأصحابها يتجنبون الحروب والغارات ما استطاعوا . يقول الأعشى :

٣٢— خربت بيوت هؤلاء الأنباط ! لكأنهم لا يلقون بعدك من يقيم أمرهم ويتعهدهم ويعمر أرضهم .

٣٣— أظننتنا كـ(إياد) حرّاثين أذلاء ، قد اتخذوا (تكريت) داراً ، فهم لاصقون بأرضهم ينتظرون الحصاد ؟

٣٤— عاملين يقطعون الوقت فى معالجة القمل المنتشر فى أبدانهم ، وقد أوثقوا بالسلاسل ، وغُلِّقَت دونهم الأبواب .

٣٥— ليس هذا شأننا ، فقد جعل الله طعامنا فى الإبل ، نَرْحَلُها حيث نشاء ، رزقا لا ينفد .

٣٦— ضخمة كالهضاب ، نعقرها بسيوفنا للضيفان ، لا يطردها مُرَوِّعٌ أو مغير .

٣٧— ضمنت أعجازُها قدورَنا أن تفرغ ، وضمنت ضروعُها لنا اللبنَ خالصاً صافياً .

٢٦- حَتَّى يُفِيدَكَ مِنْ بَنِيهِ رَهِينَةً ... نَعْشٌ وَيَرْهَنَكَ السِّمَاكُ الفَرْقَدَا

٢٧- إِلَّا كَخَارِجَةَ المُكَلِّفِ نَفْسَهُ ... وَابْنَيْ قَبِيصَةَ أَنْ أَغِيبَ وَيَشْهَدَا

٢٨- أَنْ يَأْتِيَاكَ بِرَهْنِهِمْ فَهُمَا إِذَنْ ... جُهِدَا وَحَقَّ لِخَائِفٍ أَنْ يُجْهَدَا

٢٩- كَلَّا يَمِينَ اللهِ حَتَّى تُنْزِلُوا ... مِنْ رَأْسِ شَاهِقَةٍ إِلَيْنَا الأَسْوَدَا

٣٠- لَنُقَاتِلَنَّكُمُ عَلَى مَا خَيَّلَتْ ... وَلَنَجْعَلَنْ لِمَنْ بَغَى وَتَمَرَّدَا

٣١- مَا بَيْنَ عَانَةَ وَالفُرَاتِ كَأَنَّمَا ... حَشَّ الغُوَاةُ بِهَا حَرِيقًا مُوقَدَا

٣٢- خَرِبَتْ بُيُوتُ نَبِيطَةٍ فَكَأَنَّمَا ... لَمْ تَلْقَ بَعْدَكَ عَامِرًا مُتَعَهِّدَا

٣٣- لَسْنَا كَمَنْ جَعَلَتْ إِيَادُ دَارَهَا ... تَكْرِيتَ تَنْظُرُ حَبَّهَا أَنْ يُحْصَدَا

٣٤- قَوْمًا يُعَالِجُ قُمَّلًا أَبْنَاؤُهُمْ ... وَسَلَاسِلًا أُجُدًا وَبَابًا مُؤْصَدَا

٣٥- جَعَلَ الإِلَهُ طَعَامَنَا فِي مَالِنَا ... رِزْقًا تَضَمَّنَهُ لَنَا لَنْ يَنْفَدَا

٣٦- مِثْلَ الهِضَابِ جَزَارَةً لِسُيُوفِنَا ... فَإِذَا تُرَاعُ فَإِنَّهَا لَنْ تُطْرَدَا

٣٧- ضَمِنَتْ لَنَا أَعْجَازُهُنَّ قُدُورَنَا ... وَضُرُوعُهُنَّ لَنَا الصَّرِيحَ الأَجْرَدَا

---

(٢٦) بنات نعش سبعة كواكب ، أربعة منها نعش (أى على شكل مستطيل) وثلاث بنات (كالذيل لهذا المربع) . فمن الأربع الفرقدان ، وهما المتقدمان ، ومن البنات الجدى وهو آخرها . السما كان كوكبان نيران . يقول لكسرى إن رهنك (نعش) بنيه من النجوم ، وإن رهنك السماك الفرقد فنحن نرهنك أبناءنا . أى أن ذلك مستحيل .

(٢٧ - ٢٨) فى البيتين تقديم وتأخير . يقصد : إلا كخارجة المكلف نفسه أن أغيب ويشهد ، وابنى قبيصة ، أن يأتياك ... إلا كخارجة المتشائمين (لا نعطيه من أبنائنا) . يجهد يحضر . جهد (على البناء للمجهول) بلغ الجهد وأقصى الطاقة .

(٢٩ - ٣١) الشاهقة والحالقة أرفع موضع فى الجبل . الأسود هو أخو الحوفزان ، كان فى يد كسرى فى رهن قيس بن مسعود . أما خارجة وابنا قبيصة فنحن لا نعرضهما . تقول للرجل : افعل ذلك على ما خيلت ، أى على ما أرتك نفسك وشبهت لك وأوهمتك . حش النار أطعمها الحطب كما تحش الدابة وتطعمها . الغواة جمع غاو اسم فاعل من غوى (كضرب وعلم) أى ضل وانهمك فى الجهل والسفه .

(٣٢ - ٣٥) النبيط جيل من العجم ينزلون البطائح بين العراقين . قيل سموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء . وإنما هى أولاد نبيت ابن نوح أنباطاً لأنهم نزلوا هناك . هذا أصله ، ثم استعمل فى أخلاط الناس وعوامهم . والشاعر هنا ينفى إيادا من العرب ويجعلهم من النبيط . وكانت إياد تسكن البطائح بين العراقين ، وكانوا من جند كسرى حين حارب بكرا يوم ذى قار . عامر يعمر ديارهم ويدبر أمرهم . متعهد من تعهد الضيعة أى تفقدها وقام على إصلاحها . أجد موثقة . مؤصد مغلق . المال الإبل .

(٣٦ - ٣٧) الهضبة القطعة من الجبل خلقت من صخرة واحدة . الجزر كل شىء مباح للذبح ، والواحد جزرة (بالتحريك) . راعه أفزعه . طرد الإبل ضمها من نواحيها . أعجاز الإبل أفخاذها وهى أسمن موضع منها وأحسن ما يؤكل من لحمها . الصريح الخالص . الأجرد السائل .

فاذا بلغ الشاعر هذا الحد فقارب الانتهاء ، اتجه إلى كسرى وقد بلغ به الهياج أشده فيختم قصيدته متهدداً يقول :

٣٨ — فاقعد عليك تاجك معتصباً به ، ولا تسمنا الذل والاستعباد .

٣٩ — فما نحن بغافلين عن كيدك ، ولا نحن ممن يرهبون التهديد .

٤٠ — فلعمر جدك لو رأيتنا حيث نقيم ، لرأيت منا منظراً يروع ، وقوة لا تلين .

٤١ — فى جبل من (وائل) ، إن لقيته فى القتال ، لقيت به الشؤم والنكال .

٤٢ — وترى الجياد الجرد مربوطة حول الخيام ، وقد أسندت إليها الرماح .

(٣٥)

هذه هى القصيدة الثانية والأخيرة ، التى رويت فى مدح سلامة ذى فائش . والقصيدة الأولى هى القصيدة (٨) . وقد تقدمت فيها ترجمة الممدوح.

وفى هذه القصيدة أشياء تستوقف نظر الباحث: فقد شكك ابن قتيبة فى صحة نسبتها للأعشى . فقال بعد أن روى منها الأبيات الأربعة الأول (وهذا الشعر منحول ، لا أعرف فيه شيئاً يستحسن إلا قوله :

يا خير من يركب المطى ولا يشرب كأساً بكف من بخلا)

والواقع أن فى القصيدة ما يشكك فى نسبتها . فهى من بحر (المنسرح) . وهو بحر غريب على الأعشى ، لم يرو له فيه غير هذه القصيدة . ثم إنه بحر نادر فى الشعر الجاهلى عامة ، لم يرو فيه لامرىء القيس غير عشرة أبيات (فى ثلاث مقطوعات) . ولم يرو فيه لزهير غير قصيدتين ، إحداهما ١١ بيتا ، والأخرى ١٣ بيتا . ولم يرو فيه لحسان غير قصيدتين أيضاً ، إحداهما ١٢ بيتاً والأخرى ١٩ بيتاً .

على أن هذا النوع من التفكير ، الذى نراه فى صدر القصيدة ، غير مألوف فى الشعر الجاهلى عامة وفى شعر الأعشى خاصة . فهو أشبه بشعر من نظر فى الفلسفة أو علم الكلام . وقد كان جل ما يصل إليه تفكير الشاعر الجاهلى أن يذكر الذين ماتوا من الملوك والجبابرة متخذا من موتهم عظة ، أو يقول فى سذاجة إنه يستمتع بالحياة لأنه لا يعلم ما يكون من غد ، كما قال طرفة فى معلقته ، وكما قال الأعشى فى غير هذا الموضع . أما هذا التفكير الذى يستشهدون به على أن الأعشى كان قدريا فهو كثير على شاعر جاهلى ، وغير معروف فى بقية شعر الأعشى .

والقصيدة مع كل ذلك قلقة الألفاظ تافهة .

يقول الأعشى :

١ — إن لنا فى هذه الدنيا لمقاما ، وإن لنا عنها لمرتحلا . وإن الناس فيها لمسافرون يُمْهَلُون إلى حين .

٢ — ولقد خلق الله الخلق على ما أراد واختار . ثم خصّ نفسه بالوفاء وبالعدل ، وجعل اللوم على الناس.

٣ — وإنما تحمل الأرض ما أراد لها الله أن تحمل ، لا تستطيع لذلك رداً ولا دفعاً .

٤ — يعتريها الخصب حيناً ، فتكسوها الزهور ، كأنها حلة من برود اليمن الزاهية الألوان . ويعتريها القحط حيناً آخر ، فإذا هى مجدبة يتقشر أديمها من الجفاف .

٥ — وقد بث فيها الله الحيوان مختلفاً أنواعه ، منه ذوا الخف ومنه ذو البراثن وذو الحوافر ، ومنه الوعول العُصْم .

٦ — وجعل الناس مختلفى الطبائع ، فنهم الحافى الغليظ القدم ، ومنهم المتنعل .

٧ — وقد رحلت المطى المختارة أزجيها ثقالا قد أوقرتها الأحمال ، وخفافا تمضى مُصْعِدَةً فى الجبال .

٨ — أسوق أفراساً ضامرة كأنها قِسِىُّ (الشَّوْحط) ، فتجرى أمامى كأنها الحجل تطاردها الصقور .

٣٨ — فَاقْعُدْ عَلَيْكَ التَّاجُ مُعْتَصِبًا بِهِ ... لَا تَطْلُبَنْ سَوَامَنَا فَتُعَبَّدَا

٣٩ — لَا تَحْسَبَنَّا غَافِلِينَ عَنِ الْ ....

٤٠ — فَلَعَمْرُ جَدِّكَ لَوْ رَأَيْتَ مَقَامَنَا ... لَرَأَيْتَ مِنَّا مَنْظَرًا وَمُؤَيَّدَا

٤١ — فِي عَارِضٍ مِنْ وَائِلٍ إِنْ تَلْقَهُ ... يَوْمَ الْهِيَاجِ يَكُنْ مَسِيرُكَ أَنْكَدَا

٤٢ — وَتَرَى الْجِيَادَ الْجُرْدَ حَوْلَ بُيُوتِنَا ... مَوْقُوفَةً وَتَرَى الْوَشِيجَ مُسَنَّدَا

(٣٥)

وَقَالَ يَمْدَحُ سَلَامَةَ ذَا فَائِشٍ:

١ — إِنَّ مَحَلًّا وَإِنَّ مُرْتَحَلًا ... وَإِنَّ فِي السَّفْرِ مَا مَضَى مَهَلَا (منسرح)

٢ — اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْوَفَاءِ وَبِالْ ... عَدْلِ وَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلَا

٣ — وَالْأَرْضُ حَمَّالَةٌ لِمَا حَمَّلَ اللَّـ ... ـهُ وَمَا إِنْ تَرُدُّ مَا فَعَلَا

٤ — يَوْمًا تَرَاهَا كَشِبْهِ أَرْدِيَةِ الْ ... خِمْسِ وَيَوْمًا أَدِيمُهَا نَغِلَا

٥ — أَنْشَى لَهَا الْخُفَّ وَالْبَرَاثِنَ وَالْ ... حَافِرَ شَتَّى وَالْأَعْصَمَ الْوَعِلَا

٦ — وَالنَّاسُ شَتَّى عَلَى سَجَائِحِهِمْ ... مُسْتَوْقِحًا حَافِيًا وَمُنْتَعِلَا

٧ — وَقَدْ رَحَلْتُ الْمَطِيَّ مُنْتَخِلًا ... أُزْجِي ثِقَالًا وَقُلْقُلًا وَقِلَا

٨ — أُزْجِي سَرَاعِيفَ كَالْقِسِيِّ مِنَ الـ ... شَّوْحَطِ صَكَّ الْمُسَفَّعِ الْحَجَلَا

(٣٨ — ٤٢) سامه الأمر كلفه إياه . تعبده واستعبده صيره كالعبد . الجد (بفتح الجيم) الحظ ، يقسم له بحظه — على سبيل التهكم — والجد أيضا أبو الأب والأم . المنظر ما نظرت إليه فأعجبك أو ساءك . الأيد القوة وأيده قواه فهو مؤيد . العارض السحاب المعترض في الأفق والجبل ، شبه به الجيش . الهياج الحرب . الوشيج شجر الرماح .

(٣٥)

(١ — ٣) استشهد سيبويه بالبيت الأول على حذف خبر إن لأنه معلوم . أى إن لنا محلا فى الدنيا ومرتحلا . المهل التؤدة والرفق . السفر المسافرون . ما مصدرية ظرفية .

(٤ — ٦) الخمس (بكسر الخاء) ضرب من برود اليمن . نغل الأديم فسد فى الدباغ ، ونغل وجه الأرض إذا تهشم من الجدوبة . الأعصم من الظباء والوعول ما فى ذراعيه أو فى أحدهما بياض وسائر جسده أسود أو أحمر . السجائح جمع سجيحة وهى الطبيعة والخلق . وقح حافر الدابة (كقرب) وقحا (بالتحريك) صلب . وكذلك استوقح .

(٧ — ٨) انتخل الشيء اختاره . أزجى أى أسوق . القلقل (بضم القافين) الخفيف فى السفر والسريع الحركة . وقل فى الجبل (كضرب) صعد فيه فهو وقل (ككتف) ، وكذلك توقل . السرعوف (بضم السين) الفرس الطويل ، والجمع سراعيف . الشوحط ضرب من النبع (بفتح فسكون) ، وهو شجر تتخذ منه القسى ينبت فى السهل ، وأما النبع فينبت فى الجبل ، والواحد شوحطة . المسفع الصقر أو البازى لأن فى وجهه سفعة (وهو السواد المشرب بحمرة) . الحجل ذكر القبج (بفتح فسكون) وهو الكروان . والقبج فارسى معرب .

٩ — وأمتطى الإبل المسنة ، والناقة الضخمة الصلبة ، والجمل .

١٠ — يرشح البول على فخذيه وقد لصق به الغبار ، كما ترشح الإبل (العبدية) المسنة .

١١ — تسرع فى السير وتنساب حين تهبط السهول ، وترجم الأرض بأخفافها الصلاب ، شأن القَتِيّ الصغير من الإبل ، حين تُصْعِدفى الوُعُور .

١٢ — تمضى بمن يقطع الصحارى والقفار البعيدة ، قاصداً من يكافئه على رحلته الشاقة بالإبل .

١٣ — ويعطيه الضخم القوى من الأفراس ، والجوارى والعبيد . والإبل الضخام يتبعها أطفالها الصغار .

١٤ — تقيم المطايا عنده مكرمة ما أقامت . ويجزيها بما عملت أخفافها وما لقيت من متاعب وصعاب .

* * *

١٥ — أصبح ، سلامة ذو فائش ، منشرح الصدر مسروراً .

١٦ — أبيض ميمون ، لايشبح خوف الفقر والهزال ، ولا يقطع الأقرباء ، ولا يخون العهود .

١٧ — ياخير من يركب المطى ، ويامن لا يشرب كأساً بكف بخيل .

١٨ — قلدتك شعرى ياذا الفضل والإنعام ، وأنت به جدير .

١٩ — والشعر يستنزل الكريم ويدنيه ، كما يستنزل رعد السحابة الأمطار .

٢٠ — لو كنتَ ينبوعا لاجتمع ماؤك وتكاثر حين يَرِدُ القوم ، ولم يكن بالنزر ولا القليل .

٢١ — لقد أنجب والداك إذ ولداك ، فنعم ما ولدا من كريم .

٩ — وَٱلْهَوْزَبَ ٱلْعَوْدَ أَمْتَطِيهِ بِهَا   وَٱلْعَنْتَرِيسَ ٱلْوَجْنَاءَ وَٱلْجَمَلَا

١٠ — يَنْضَحُ بِٱلْبَوْلِ وَٱلْغُبَارِ عَلَى   فَخِذَيْهِ نَضْحَ ٱلْعَبْدِيَّةِ ٱلْجُلُلَا

١١ — وَسَاجَ سَابَ إِذَا هَبَطْتَ بِهِ ٱلـ   سَّهْلَ وَفِي ٱلْحَزْنِ مِرْجَمًا حَجِلَا

١٢ — بِسَيْرِ مَنْ يَقْطَعُ ٱلْمَفَاوِزَ وَٱلْـ   بُعْدَ إِلَى مَنْ يُثِيبُهُ ٱلْأَبِلَا

١٣ — وَٱلْهَيْكَلَ ٱلنَّهْدَ وَٱلْوَلِيدَةَ وَٱلْـ   عَبْدَ وَيُعْطِي مَطَافِلًا عُطُلَا

١٤ — يُكْرِمُهَا مَاثَوَتْ لَدَيْهِ وَيَجْـ   زِيهَا بِمَا كَانَ خُفُّهَا عَمِلَا

١٥ — أَصْبَحَ ذُو فَائِشٍ سَلَامَةُ ذُو ٱلـ   تَّفْضَالِ هَشًّا فُؤَادُهُ جَذِلَا

١٦ — أَبْيَضُ لَا يَرْهَبُ ٱلْهُزَالَ وَلَا   يَقْطَعُ رِحْمًا وَلَا يَخُونُ إِلَّا

١٧ — يَاخَيْرَ مَنْ يَرْكَبُ ٱلْمَطِيَّ وَلَا   يَشْرَبُ كَأْسًا بِكَفِّ مَنْ بَخِلَا

١٨ — قَلَّدْتُكَ ٱلشِّعْرَ يَا سَلَامَةَ ذَا ٱلـ   تَّفْضَالِ وَٱلشَّيْءُ حَيْثُمَا جُعِلَا

١٩ — وَٱلشِّعْرُ يَسْتَنْزِلُ ٱلْكَرِيمَ كَمَا ٱسْـ   تَنْزَلَ رَعْدُ ٱلسَّحَابَةِ ٱلسَّبَلَا

٢٠ — لَوْ كُنْتَ مَاءً عِدًّا جَمَمْتَ إِذَا   مَاوَرَدَ ٱلْقَوْمُ لَمْ تَكُنْ وَشَلَا

٢١ — أَنْجَبَ أَيَّامُ وَالِدَيْهِ بِهِ   إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعْمَ مَا نَجَلَا

(٩ — ١٠) الهوزب والعود (بفتح فسكون) المسن من الابل . العنتريس الناقة الصلبة . الوجناء الضخمة . ينضح يرشح العرق . العبدية منسوبة إلى قبائل عبد القيس . الجلل (بضم ثم فتح) جمع جليل وجل (بكسر الجيم) وهو المسن ، فعله جل (ككضرب) أى أسن واحتنك .

(١١ — ١٢) وسجت الابل أسرعت فى السير ، والجمل وساج أى سريع . ساب يسيب أسرع فى السير . مرجما أى يرجم الأرض بأخفافه . الحيول معناها هنا صغار الابل .

(١٣ — ١٥) الهيكل الضخم من كل حيوان . النهد الفرس المسن الجليل الجسم . الوليدة الجارية . مطافل جمع مطفل (بصيغة اسم الفاعل) أى معها طفلها . العطل من الابل (ككتف) الحسن الجسم . هش ارتاح وتبسم . جذل فرح .

(١٦ — ١٨) الرحم (بكسر فسكون) والرحم (بفتح فكسر) القرابة . الال العهد والميثاق . خير من يركب المطى أى خير الناس جميعا ، والراكب خير من الراجل . لايشرب كأسا بكف من بخلا ، أى أنه ليس بخيلا ، لأنه إنما يشرب بيده هو نفسه .

(١٩ — ٢١) السبل المطر . العد (بكسر العين) الماء الجارى الذى له مادة لا تنقطع كماء العين والينبوع . جم الماء كثر واجتمع . الوشل الماء القليل يتحلب من جبل أى صخرة ولا يتصل قطره . أنجب الرجل ولد ولدا نجيباً أى كريما . نسب الانجاب للأيام كما تقول نام ليل فلان ، تريد أنه هو الذى نام .

٢٢- قد علمت (فارس) و (حِمْيَر) والأعراب فى الصحراء ، أيكم أجدر بالثبات فى الحروب .

٢٣- هل تذكر أيامنا فى (تَنَمُّص) وقد تهيأت للقتال ، إذ تضرب لى بشجاعتك الأمثال ؟

٢٤- هو الليث فى الحرب ، حتى تذل له وتخضع . قد فاق بصنيعه كل الملوك .

(٣٦)

هذه هي القصيدة الثالثة فى مدح إياس بن قبيصة الطائى . وقد تقدمت فى مدحه القصيدتان (٢١) ثم (٢٩) ، حيث ترجمنا له فى القصيدة الأولى. يقول الرواة إن الأعشى مدح إياسا بهذه القصيدة ، حين استعان به كسرى أبرويز بن هرمز ، على مدافعة هرقل قيصر الروم ، حين غزاه بجيش ضخم ، حتى بلغ أطراف مملكته . فهب إياس لمناهضة الروم . فأدركهم فى (ساتيدما) وقد ولوا منهزمين ، ثم عاد من هذه الغزوة مريضاً(١). وفى القصيدة إشارة إلى مرضه فى الأبيات ٢ ، ٣ ، ٢٤. ومن الواضح أن كل ما روى للأعشى فى مدح إياس سابق على يوم ذى قار ، لأن إياساً كان فى جانب الفرس ضد بكر فى هذا اليوم ، كما سبقت الاشارة إلى ذلك فى القصيدة (٣٤) .

وترتيب القصيدة على هذا النحو الذى رويت به فى الديوان غريب غير مألوف . بدأها متشائماً ضيقاً بالحياة ثم أشار إلى مرض إياس ، وإلى تقلب الدنيا بالناس . وانتهى إلى مدحه متمنياً له الشفاء . حتى بلغ البيت (٢٨) ـ ثم وصف الصحراء فى أربعة أبيات ـ وانتقل منها إلى تصوير لهوه ومجونه حتى بلغ البيت (٥٤) ـ وهذا الجزء هو أطول أجزاء القصيدة وأجلها ـ وختم قصيدته بسبعة أبيات يفتخر فيها بنفسه ، ويتوعد ويقذع فى هجائه على خصمه.

وصلب القصيدة وصميمها هي أبيات الخمر واللهو (من ٣٣ ـ ٥٤) . وهذا القسم صالح لأن يكون قصيدة قائمة بنفسها . والأبيات التى تسبقه لاتصلح أن تكون تقديما له . فهي أشبه بأن تكون قصيدة أخرى مستقلة عما بعدها . على أن هذا القسم الأول من القصيدة ردىء ركيك فى كثير من مواضعه . وربما كانت غرابة الروى الذى بنى على الهاء الساكنة من أسباب هذه الركاكة . وقد نتج من إضافة القسم الثانى إلى الأول أن وقع فى القصيدة إيطاء فى أربعة مواضع ، تسلم منها القصيدة إذا فصل الجزآن . فقافية البيت (١٥) مكررة فى البيت (٣٧) . وقافية البيت (٢١) مكررة فى البيت (٥٧) . وقافية البيت (٢٦) مكررة فى البيت (٤٧) . وقافية البيت (٣٢) مكررة فى البيت (٤٥) .

على أن الطبرى وابن الأثير والمسعودى قد ذكروا نهوض هرقل لتحرير الشام من الفرس بعد قتل (موريقس) صهر (أبرويز) ملك الفرس ، وغارته على العراق . ولكنهم لم يشيروا إلى استعانة كسرى بإياس ، التى بنى عليها القسم الأول من القصيدة . وليس فى هذا القسم ما يدل دلالة صريحة على أن المقصود بالمدح هو (إياس) . وإنما يستفاد ذلك من قول الشراح .

يقول الأعشى :

١ ـ بأى شىء تخبرك الطير الراجعة إلى أوكارها ، من غراب ينعق للبين ، أو تيس يمر من يسارك ؟

٢ ـ وأنت جالس بين قوم قد يئسوا من أسير من صحب (قزح) ، قد أتى عليه حول ، وهو فى قيود المرض والسقم رهين .

٣ ـ عند ملك كلما قيل له : فادِ أسيرك بالمال ، تراخى مماطلا ، ومزح ساخراً .

٤ ـ فلئن كشف عنا ربك الضيق برحمته ، وفرج الكروب .

٥ ـ أو كنا هالكين كمن هلك ، وما لأحد ـ يالقومى ـ فى الدنيا من بقاء .

٦ ـ ليعودن لقبائل (معد) عزها ، فتسرى فى الليل آمنة فى حمايته حيث تشاء ، وتغمرها نعمه وعطاياه .

٧ ـ وما نحن إلا كشىء فاسد ، إن أراد به الله الصلاح صلح .

---

(١) راجع تفاصيل الغزوة فى الطبرى ١ : ٩٩٢ ، ٩٩٥ ـ ابن الأثير ٢ : ٢٨٢ ـ مروج الذهب ١ : ١٧٣

٢٢ — قَدْ عَلِمَتْ فَارِسٌ وَحِمْيَرُ وَآلْ ... أَعْرَابُ بِالدَّشْتِ أَيُّهُمْ نَزَلَا

٢٣ — هَلْ تَذْكُرُ ٱلْعَهْدَ فِي تَنَمُّصَ إِذْ ... تَضْرِبُ لِي قَاعِدًا بِهَا مَثَلَا

٢٤ — لَيْثٌ لَدَى ٱلْحَرْبِ أَوْ تَدُوخَ لَهُ ... قَسْرًا وَبَذَّ ٱلْمُلُوكَ مَا فَعَلَا

(٣٦)

وَقَالَ يَمْدَحُ إِيَاسَ بْنَ قَبِيصَةَ الطَّائِي :

(رمل)

١ — مَا تَعِيفُ ٱلْيَوْمَ فِي ٱلطَّيْرِ الرَّوَحْ ... مِنْ غُرَابِ ٱلْبَيْنِ أَوْ تَيْسٍ بَرَحْ

٢ — جَالِسًا فِي نَفَرٍ قَدْ يَئِسُوا ... مِنْ مُحِيلِ ٱلْقِدِّ مِنْ صَحْبِ قُزَحْ

٣ — عِنْدَ ذِي مُلْكٍ إِذَا قِيلَ لَهُ ... فَادِ بِٱلْمَالِ تَرَاخَى وَمَزَحْ

٤ — فَلَئِنْ رَبُّكَ مِنْ رَحْمَتِهِ ... كَشَفَ الضَّيْقَةَ عَنَّا وَفَسَحْ

٥ — أَوْ لَئِنْ كُنَّا كَقَوْمٍ هَلَكُوا ... مَا لِحَيٍّ يَا لَقَوْمِي مِنْ فَلَحْ

٦ — لَيَعُودَنْ لِمَعَدٍّ عَكْرُهَا ... دَلَجُ ٱللَّيْلِ وَتَأْخَاذُ ٱلْمِنَحْ

٧ — إِنَّمَا نَحْنُ كَشَيْءٍ فَاسِدٍ ... فَإِذَا أَصْلَحَهُ ٱللَّـهُ صَلَحْ

٨ — كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أُنَاسٍ هَلَكُوا ... وَرَأَيْنَا ٱلْمَرْءَ عَمْرًا بِطَلَحْ

٩ — آفِقًا يُجْبَى إِلَيْهِ خَرْجُهُ ... كُلُّ مَا بَيْنَ عُمَانٍ فَمَلَحْ

(٢٢—٢٤) الدشت الصحراء (فارسية معربة) . أيهم نزلا ، أى قد علموا أنك أكثر نباتاً منهم فى الحروب . والنزول أشد مواقف الحرب ، وهو أن ينزل الفريقان عن إبلهما إلى خيلهما فيتضاربوا . العهد المودة والميثاق . داخ ذل وخضع . قسره على الأمر قسرا (كضرب) أكرهه عليه وقهره . بذه غلبه وفاقه .

(٣٦)

(١—٣) عاف الطير يعيفها عيافة زجرها ، وهو أن تعتبر بأسمائها ومساقطها وأصواتها فتتفاءل أو تتشاءم . الروح جمع رائح ، والروح كذلك من الطير المتفرقة أو الرائحة إلى أوكارها . البين الفراق ، وكانوا يتشاءمون بنعيق الغراب ويرونه نذيراً بالفرقة والشتات . البارح من الطير والصيد ما جاء عن يسار الجالس ماراً نحو يمينه والعرب تتشاءم به ، وعكسه السانح والعرب تتفاءل به . القد القيد . محيل القد الذى أتى عليه حول ، أى عام وهو فى القيد . ويقصد الشاعر بالقيد هنا قيد المرض لأن الممدوح كان مريضاً . عند ذى ملك ، ذلك هو المرض نفسه لا يقبل الفدية فى أسيره . قزح اسم ملك من ملوك العجم .

(٤ — ٦) الفلح البقاء والنجاة والفوز أو هو الفلاح حذفت الألف للشعر . العكر (بفتح فسكون) والعكر (بفتحتين) ما فوق خمسمائة من الإبل ، وقيل ما بين الستين إلى المائة . دلج وتأخاذ بدل من عكرها .

(٧ — ٩) عمرو هو عمرو بن هند ملك الحيرة . الطلح (بفتحتين) النعمة . أفق (كعلم) بلغ النهاية فى الكرم أو العلم ، وأفق (كضرب) أعطى فتفضل قوما على قوم . عمان بالشام والملح فى اليمامة .

٨ — وكم رأينا من أناس هلكوا، ورأينا (عمرو بن هند) غارقا فى النعيم.

٩ — وقد بلغ النهاية فى الترف، يجبى إليه خراج ملكه العظيم، بين (عمان) و (مَلَح).

١٠— ورأينا (هرقل) ملك الروم، يوم (ساتيدما)، وقد بَذَّ قومه (بنى بُرْجان) فى الحروب وفى فن القتال.

١١— ورث السيادة عن آبائه، وتمرس بالغزو والقتال، حين كان غلاما حدثا لم يبلغ سن الزواج.

١٢— فأغاروا على فارس فى وضح النهار، بكتيبة ضخمة تطحن ما يعترض طريقها، وتبرق فوق رجالها الأسلحة والحديد.

١٣— ثم لم يجبنوا ولم يتهيبوا. ولكن قدموا فارساً كأنه الكبش، كلما التقى بخصم نطحه فأرداه.

١٤— فالتقى القوم بضرب يتصبب دما يسيل على وجه الارض.

١٥— مات منه من مات فى صدر النهار، وهرب من هرب منتشراً فى الآفاق.

* * *

١٧— ليت شعرى ماذا عساك تقول حين أصبح جسداً باليا؟ أتقول إنى صددت عنك وتناسيت؟

١٨— أم تقيم على العهد. وعهدى بك أنك خير من رعى الإبل، حين تسرح فى المرعى وحين تؤوب.

١٩— وإذا حُمِّلَ بعض الناس العبء، فاشتكى ضَعُفَ أوصاله عن احتماله، وأعيا وعجز.

٢٠— كان القوىّ المطيق لأحماله، حين يتخلى عن الرجل ناصره ومولاه، ويصد عنه معرضاً.

٢١— وهو الذى يدفع عن المكروب الجانى، حين يلجأ إليه، أيدىَ المطاردين.

٢٢— يشترى الحمد والثناء بأغلى الأثمان. ومن بذل الجهد وتكلف المشقة ليشترى بهما حمداً وثناء فقد ربح وفاز.

٢٣— ويبتنى المجد، ويتجاوز بثاقب فكره مدى العقول، وترى ناره من بعيد تهدى السراة وتدعو القاصدين.

٢٤— يقولون إنه سقيم. فلئن نفض عنه الأسقام وتماثل للشفاء،

١٠- وَهِرَقْلًا يَوْمَ سَاآتِيدَمَى مِنْ بَنِي بُرْجَانَ فِي ٱلْبَأْسِ رَجَحْ

١١- وَرِثَ السُّؤْدَدَ عَنْ آبَائِهِ وَغَزَا فِيهِمْ غُلَامًا مَا نَكَحْ

١٢- صَبَّحُوا فَارِسَ فِي رَأْدِ الضُّحَى بِطَحُونٍ فَخْمَةٍ ذَاتِ صَبَحْ

١٣- ثُمَّ مَا كَاءُوا وَلَكِنْ قَدِمُوا كَبْشَ غَارَاتٍ إِذَا لَاقَى نَطَحْ

١٤- فَتَفَانَوْا بِضِرَابٍ صَائِبٍ مَلَأَ ٱلْأَرْضَ نَجِيعًا فَسَفَحْ

١٥- مِثْلَ مَا لَاقَوْا مِنَ ٱلْمَوْتِ ضُحًى هَرَبَ ٱلْهَارِبُ مِنْهُمْ وَٱمْتَضَحْ

١٦- لَيْتَ شِعْرِي أَيَّ نُعْمَى .... وَٱصْطَرَحْ

١٧- هَلْ تَقُولَنْ إِذَا كُنْتُ صَدًى صَدَّ عَنِّي وَتَنَاسَى وَ......

١٨- أَمْ عَلَى ٱلْعَهْدِ فَعِلْمِي أَنَّهُ خَيْرُ مَنْ رَوَّحَ مَالًا وَسَرَحْ

١٩- وَإِذَ حُمِّلَ عِبْئًا بَعْضُهُمْ فَٱشْتَكَى ٱلْأَوْصَالَ مِنْهُ وَأَنَحْ

٢٠- كَانَ ذَا ٱلطَّاقَةِ بِالثِّقْلِ إِذَا ضَنَّ مَوْلَى ٱلْمَرْءِ عَنْهُ وَصَفَحْ

٢١- وَهُوَ الدَّافِعُ عَنْ ذِي كُرْبَةٍ أَيْدِيَ ٱلْقَوْمِ إِذَا ٱلْجَانِي ٱجْتَرَحْ

٢٢- تَشْتَرِي ٱلْحَمْدَ بِأَغْلَى بَيْعِهِ وَٱشْتِرَاءُ ٱلْحَمْدِ أَدْنَى لِلرِّبَحْ

٢٣- تَبْتَنِي ٱلْمَجْدَ وَتَجْتَازُ النُّهَى وَتَرَى نَارَكَ مَنْ نَاءٍ طَرَحْ

٢٤- أَوْ كَمَا قَالُوا سَقِيمٌ فَلَئِنْ نَفَضَ ٱلْأَسْقَامَ عَنْهُ وَٱسْتَصَحْ

(١٠ — ١٢) هرقل آخر ملوك القسطنطينية قبل الاسلام ، وكانت هجرة النبي لسبع سنين من ملكه . وهو الذى أخذ المسلمون الشام منه . (وهو يشير فى هذه الأبيات إلى استرجاعه الشام من الفرس بعد أن ملكوها ثم غزوه لهم) بنو برجان (كعثمان) جنس من الروم . البأس الحرب . ساتيدما اسم جبل أو نهر . رأد الضحى ورائد الضحى وقت ارتفاع الشمس وانبساط الضوء فى الحس الأول ، وذلك شباب النهار . والرأد والرود الشابة الحسنة . الصبح بريق الحديد . مصدر من صبح الحديد (كفرح) أى برق . بطحون فخمة أى بكتيبة طحون فخمة .

(١٣ — ١٥) كاء عنه يكوء (كمنع) هابه وجبن عنه . صاب السهم نحو الرمية قصد نحوها ولم يخطئها . وصاب المطر انحدر . النجيع دم الجوف أو الدم الذى يضرب للسواد . سفح الدم انصب ، يستعمل لازما ومتعديا . مضحت الابل (كقطع) انتشرت ، ومضحت الشمس انتشر شعاعها على الأرض . وروى (وامتصح) من مصح الشيء أى ذهب وانقطع .

(١٧ — ١٩) الصدى جسد الانسان بعد موته . المال الابل ، سرحها أرسلها صباحا لترعى ، روحها ردها آخر النهار . نحم الرجل ردد صوته فى جوفه . وروى كذلك (وبلح) أى أعيا وعجز .

(٢٠ — ٢٤) ضن بخل . المولى تطلق على السيد والعبد والصديق ، والمقصود هنا المعنى الأخير . صفح عنه صد وأعرض . اجترح كسب ، وأكثرما تستعمل فى الجرائم ، ومنه قوله تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا) . النهى جمع نهية وهى العقل . الطرح (بفتحتين) المكان البعيد .

٢٥- ليعيدن لقبائل (معد) عزها ، فتسرى فى الليل آمنة فى حمايته حيث تشاء ، وتغمرها نعمه وعطاياه.

٢٦- وتعود إلى عهدها به ، فى أيام له نعرفها ولا ننساها ، غمرتنا فيها نعمه ، حين عم الجدب ، واشتد البرد، حتى إن الكلاب لتهرُّ وتنبح.

٢٧- وهو الجرىء المقدام فى الحروب ، حين تعبس الوجوه ، وتتقلص الشفاه حتى تبدو الأنياب .

٢٨- كم من حرب قد قدح زنادها ، وأورى نارها ، وأمدها بالحطب والوقود .

* * *

ثم ينتقل الشاعر فجأة إلى الصحراء، يصف صبره على الرحلة فيها ، فيقول :

٢٩- وإنى لجدير أن أقطع حبال الود عامداً ، حين لا يرضينى المقام ، فوق ناقة صلبة ، حين ينقطع السراب.

٣٠- تقطع الصحراء البعيدة الآفاق حين يحتدم الحر ، نشيطة مسرعة .

٣١- وتُوَلِّى الأرض خفاً صلباً مجتمعاً ، تتكسر من تحته الأحجار .

٣٢- تسمع لطرفه المشقوق رنيناً خشن الصوت ، حين يحتك بالأرض .

* * *

ولا يلبث بعد هذا الوصف القصير للصحراء أن يتحول عنه فجأة ، كما دخل فيه فجأة ، فيتحدث عن ذكرياته فى حوانيت الخمر، مصورا ما تموج به من ضروب اللهو والترف ، مقدما صورة رائعة لهذه البيوت فى (الحيرة) . فيقول :

٣٣- وخمر باردة متوردة اللون ، يظنها الناظر قد عصرت من نَوْر (الذُّبَح) الزاهية الحمراء .

٣٤- يفوح ريحها كما تفوح رائحة المسك ، يصبها الساقى مسرعا حين يستعجله الشاربون .

٣٥- يصبها من زقاق الخمر التى حملها التجار ، فى باطية واسعة سوداء من آنية (الحيرة) ، تتوسط الندماء .

٣٦- بعيدة الغور ، لا تبالى غرف الاباريق منها والأقداح طول اليوم .

٣٧- تزبد الخمر فيها حين تصب ، ثم لا تلبث أن يذهب زبدها ، ويغور فى جوفها الواسع العميق .

٣٨- وإذا اغترفت الكؤوس الفضية منها فصادمت جوانبها ، كرت فيها سابحة .

٣٩- يتهافت فيها الزجاج لا ينقطع سيله ، وتهوى إليها أيدى النازحين ، يغترفون ما يغترفون .

٢٥— لَيُبِيدَنْ لِمَعَدٍّ عِكْرَهَا ... دَلَجُ اللَّيْلِ وَإِكْفَاءُ الْمِنَحْ

٢٦— مِثْلَ أَيَّامٍ لَهُ نَعْرِفُهَا ... هَرَّ كَلْبُ النَّاسِ فِيهَا وَنَبَحْ

٢٧— وَلَهُ الْمُقْدَمُ فِي الْحَرْبِ إِذَا ... سَاعَةُ الشِّدْقِ عَنِ النَّابِ كَلَحْ

٢٨— أَيُّ نَارِ الْحَرْبِ لَا أُوقِدُهَا ... حَطَبًا جَزْلًا فَأُورِي وَقَدَحْ

٢٩— وَلَقَدْ أَجْذِمُ حَبْلِي عَامِدًا ... بِعَفَرْنَاةٍ إِذَا الْآلُ مَصَحْ

٣٠— تَقْطَعُ الْخَرْقَ إِذَا مَا هَجَّرَتْ ... بِهِبَابٍ وَإِرَانٍ وَمَرَحْ

٣١— وَتُوَلِّي الْأَرْضَ خُفًّا مُجْمَرًا ... فَإِذَا مَا صَادَفَ الْمَرْوَ رَضَحْ

٣٢— فَتَرَاهُ فِلَقًا فَرَاسِنًا ... ذَا رَنِينٍ صَحِلَ الصَّوْتِ أَبَحْ

٣٣— وَشَمُولٍ تَحْسِبُ الْعَيْنُ إِذَا ... صُفِّقَتْ وَرْدَتَهَا نَوْرَ الذُّبَحْ

٣٤— مِثْلُ ذَكِيِّ الْمِسْكِ ذَاكٍ رِيحُهَا ... صَبَّهَا السَّاقِي إِذَا قِيلَ تَوَحْ

٣٥— مِنْ زِقَاقِ التَّجْرِ فِي بَاطِيَةٍ ... جَوْنَةٍ حَارِيَّةٍ ذَاتِ رَوَحْ

٣٦— ذَاتِ غَوْرٍ مَا تُبَالِي يَوْمَهَا ... غَرْفَ الْأَبْرِيقِ مِنْهَا وَالْقَدَحْ

(٢٥ — ٢٨) معد بن عدنان جد عرب الشمال من ربيعة ومضر. العكر (بكسر العين) الأصل، وهو كذلك المادة. دلج والادلاج سير الليل. أكفأت الإبل كثر نتاجها. وأكفأه إبله جعل له منافعها. الهرير صوت دون النباح. المقدم مصدر ميمي من أقدم. كلح عبس وكشر. الحطب الجزل اليابس الذي تسرع فيه النار. قدح أي قدح الزناد فأورى نارًا أي أخرج نارًا.

(٢٩ — ٣١) جذم الحبل قطعه. ناقة عفرناة شديدة قوية، والعفرناة كذلك الغول. الآل السراب. مصح ذهب وانقطع. الخرق الصحراء الواسعة لأن الرياح تتخرق فيها. هجرت سارت في الهاجرة وهو منتصف النهار. الهباب النشاط والاسراع. أرن البعير (كفرح) نشط. المرح النشاط. الثلاثة كلها بمعنى واحد. مجمر صلب مجتمع، من قولهم أجمر القوم على الشيء أي اجتمعوا. المرو حجارة صلبة بيضاء. رضح الحصى والنوى كسره.

(٣٢ — ٣٤) رواية الديوان في الطبعة الأوروبية (فتراه رمان خلفها). فتراه أي له. رمان خلفها حركته، من رام المكان أي فارقه. وفارتين على هذه الرواية حال من (خلفها) أو من الهاء في (فتراه)، على أن التكلف واضح في نظم الألفاظ في هذه الرواية. وأحسن منها الرواية الأخرى التي جاءت في الهامش (ويروى فرداه فلقاً رابتا) والذي أراه أن رابتا محرفة عن فراسنا، لأن الفرسن لدى الذئب والفرسن (كزبرج) لذي الخف وهو طرفه. والأنسب أن تكون (فرداه) في صيغة المضارع كأختها. فتراه أي المرو، وقد يعود الضمير على الخف. فلقاً أي مفلوقا، وقد تكون فلقاً (بكسر ثم فتح) جمع فلقة كقطعة من فلق الشيء إذا شقه. صحل الصوت (كفرح) احتدت بحته. وقيل الصحل خشونة في الصدر وانشقاق في الصوت من غير أن يستقيم. شمل الخمر (كنصر) عرضها للشمال لتبرد. والشمول والمشمولة الخمر الباردة التي ضربتها ريح الشمال فبردت. الذبح (بضم ففتح) نبت حلو يؤكل، له زهرة حمراء. ذكا المسك سطع ريحه. توح فعل أمر من توحى أي أسرع واستعجل.

(٣٥ — ٣٦) الزق جلد صغير يحمل فيه الخمر. من زقاق التجر أي أنها مستوردة من بعيد، حملها التجار من مواطنها، وإنما يحملونها في الزقاق لأن الدنان تعرض للكسر. الباطية إناء واسع الأعلى ضيق الأسفل يوضع بين الشاربين ليغترفوا منه، وهي كلمة فارسية. ويسمونه كذلك الناجود. جونة سوداء. حارية نسبة للحيرة. روح سعة. غرف مصدر غرف يغرف.

٤٠— فإذا غاضت الخمر ونزفت ، رفعنا إليها زقا جديداً ، نحل رباطه ، فتندفع منه الخمر ، كما يندفع الدم من أوداج الذبيح .

٤١— ينهمر انهمار السيل ، بخمر تجرى سائلة فتملأ الناجود .

٤٢— وقد تمدد إلى جانبه زق الخمر الأسود ، كأنه حبشى رقد على الأرض فانبطح .

٤٣— ولقد أبكر إلى النديم ، أو يبكر هو إلى ، فنشربها فى الصباح ناعمين .

٤٤— عند من كلما هتف به الرفاق أن يسمعهم ، رفع صوته المطرب بالغناء .

٤٥— يصاحب غناءه العود ، ينقل أصابعه على أوتاره ، فيختلط صوته بأنغامه ، بين حاد رقيق ، وخشن أجش .

٤٦— فى شباب يترقرق ماء النعمة والبشر فى وجوههم ، كأنهم المصابيح تضىء فى الظلام .

٤٧— يكسو مجلسهم الوقار ، حين يستخف الجهل السفهاء من الناس ، فينبحون كما تنبح الكلاب .

٤٨— لا يبخلون بالمال . ولم يكن من عادتهم فى قومهم أن يشدوا ضروع النوق ، بخلا بالألبان

٤٩— حتى إذا أخذت منهم الخمر ، تمددوا على الأرض ، كأنهم حبال متشابكة قد نصبت لصيد القرود .

٥٠— فهذا مغلوب قد صرعته الخمر لوجهه ، وذاك قد خذلته رجله فهو يجرها ، وما هو بكسيح .

٥١— وماجت الحانة بنساء طوال ضخام ناعمات ، لم يفسد جمالهن الكد ، ولم يذهب به الهوان .

٣٧ــ وَإِذَا مَا الرَّاحُ فِيهَا أَزْبَدَتْ ... أَفَــلَ الْأَزْبَادُ فِيهَا وَامْتَصَحْ

٣٨ــ وَإِذَا مَكُّوكُهَا صَــادَمَهُ ... جَانِبَاهَــا كَرَّ فِيهَا فَسَبَــحْ

٣٩ــ فَتَرَامَتْ بِزُجَاجٍ مُعْمَــلٍ ... يُخْلِفُ النَّــازِحَ مِنْهَا مَا نَزَحْ

٤٠ــ وَإِذَا غَاضَتْ رَفَعْنَا زِقَّنَــا ... طَلَقَ الْأَوْدَاجِ فِيهَا فَانْسَفَحْ

٤١ــ وَتُسِيحُ سَيَلَانَ صَــوْبِهِ ... وَهْوَ تَسْيَاحٌ مِنَ الرَّاحِ مِسَحّ

٤٢ــ تَحْسَبُ الزِّقَّ لَدَيْهَــا مُسْنَدًا ... حَبَشِيًّا نَامَ عَمْــدًا فَانْبَطَحْ

٤٣ــ وَلَقَدْ أَغْدُو عَلَى نَدْمَانِهَــا ... وَغَدَا عِنْدِى عَلَيْهَا وَاصْطَبَحْ

٤٤ــ وَمُغَنٍّ كُلَّمَا قِيــلَ لَهُ ... أَسْمِعِ الشَّرْبَ فَغَنَّى فَصَــدَحْ

٤٥ــ وَثَنَى الْكَفَّ عَلَى ذِي عَتَبٍ ... يَصِــلُ الصَّوْتَ بِذِى زِيرٍ أَبَحّ

٤٦ــ فِي شَبَابٍ كَمَصَــابِيحِ الدُّجَى ... ظَاهِرُ النِّعْمَةِ فِيهِمْ وَالْفَرَحْ

٤٧ــ رُجُحُ الْأَحْلَامِ فِي مَجْلِسِهِمْ ... كُلَّمَا كَلْبٌ مِنَ النَّاسِ نَبَحْ

٤٨ــ لَا يَشِحُّونَ عَلَى الْمَالِ وَمَا ... عَوَّدُوا فِي الْحَيِّ تَصْرَارَ اللِّقَحْ

٤٩ــ فَتَرَى الشَّرْبَ نَشَاوَى كُلَّهُمْ ... مِثْلَ مَا مُدَّتْ نِصَــاحَاتُ الرُّبَحْ

٥٠ــ بَيْنَ مَغْــلُوبٍ تَلِيلٍ خَدُّهُ ... وَخَذُولِ الرِّجْلِ مِنْ غَيْرِ كَسَحْ

٥١ــ وَشَغَامِيمَ جِسَامٍ بُدَّنٍ ... نَاعِمَــاتٍ مِنْ هَوَانٍ لَمْ تُلَحْ

(٣٧ — ٣٨) أفل رجع وذهب . امصح ذهب وانقطع . المكوك إناء من فضة يشرب فيه . جاناها الضمير للباطية .

(٣٩ — ٤١) معمل أى دائم السيل . أخلف لأهله استقى لهم ماء ، وأخلف فلان أهوى بيده إلى سيفه ليسله . ماهنا مصدرية ، ويخلف لازمة . غاض الماء جف وغار . الطلق الحلول ، الأوداج جمع ودج (بفتحتين) وهو عرق الأخدع الذى يقطعه الذابح ، يتصبب به حنا فم القربة . أساحه أجراه . الصوب مصدر من صاب المطر إذا انصب ونزل . مسح سائل من سح الماء والمطر والدمع سال .

(٤٢ — ٤٤) أغدو أنطلق فى الصباح . الندمان النديم . اصطبح شرب الخمر فى الصباح . صدح الرجل والطائر رفع صوته بالغناء .

(٤٥ — ٤٧) العتب (بالتحريك) العيدان المعروضة على وجه العود ، منها تمد الأوتار إلى طرف العود . الزير الدقيق من الأوتار وأحدها صوتا . الأبح الخشن الصوت . الأحلام العقول .

(٤٨ — ٤٩) يشحون يبخلون . اللقح جمع لقحة (بفتح فسكون) وهى الناقة الحلوب الغزيرة اللبن . صر الناقة شد ضرعها بالصرار حتى لا يرضعها ولدها . أى أنهم لا يصرون إبلهم بخلا بألبانها . الشرب (بفتح فسكون) جماعة الشاربين . النصاحات حبال يجعل لها حلق وتنصب فيصاد بها القرود ، واحدتها نصاحة (بكسر النون) . الربح (بضم ثم فتح) القرد .

(٥٠ — ٥١) مغلوب غلبه السكر . تليل قتيل بمعنى مفعول من تله أى صرعه . خذول الرجل أى خذلته رجله وتخلت عنه فهى لا تطاوعه حين يهم بالسير . شغاميم نساء طوال . لم تلح لم تهزل وتتغير من الحزن ، لاحه الحزن ولوحه لوحا غيره .

٥٢- كأنهن تماثيل قد ألبست حللا ، وعريت منها البطون .

٥٣- تكاد تضيق جلودهن بما اكتنز تحتها من الشحم ، حين يقوم الناحل المهزول فلا يتماسك من شدة الإعياء.

ويختم الأعشى هذه الذكريات بقوله :

٥٤- ذاك دهر لجيل من الناس قد مضى وفات ، ولهذا الجيل لون آخر من ألوان الحياة .

ثم ينتقل الشاعر من حديث الذكريات ، الذى لا يخلو من الفخر بما استمتع به من الشباب ، ليتحدث عن نفسه فى معرض آخر . فقد كان صاحب لذة ، ولكنه كان مع ذلك مر الخصومة ، مذلا لعدوه . يقول :

٥٥- ولقد أمنح العدو الذى يعرض عنى طاويا كشحه ، ما يشفيه من داء الكَشَح .

٥٦- وأرميه بالهجاء الذى لا يقف عند لطمه أو رده عن غلوائه ، ولكنه يقطع عروق عينيه ، فيبقى أثره ظاهرا لا يزول .

٥٧- هجاء يهلك من يحل به ، كأنه المكواة تنضج لحمه ، وتذكرهُ بما اجترم .

٥٨- فترى الأعداء حولى ينظرون بمؤخر عيونهم ، وقد استكانوا وذلت أعناقهم ، كأنهم الخنافس .

٥٩- قد ضرب عليهم اللؤم بيده ، وبدت أسنانهم البغيضة وقد علتها الصفرة والصدأ .

٦٠- فهم سود قصار الهمم ، كأنهم الخُصَى ، انتشر فيها التشقق فتسلخت من عرق الأفخاذ .

٦١- يضرب صديقهم وجهه جزعا على ما أصابهم ، فلا يبالى أى عينيه أصاب .

(٣٧)

١ - إذا أردت أن تحظى فى أرض (عكل) بجزيل العطاء ، فاعمد لـ (ربيعة بن حذار)

٢ - يهب الفرس النجيبة والجواد الفاره بسرجه ، ويهب النوق البيض ، أول عهدها بالحمل ، أو متهيئة للنتاج .

٥٢ـ كَالقَنَابِــلِ عَلَيْها حُلَلٌ ‏ ‏ ما يُوارِينَ بُطُونَ ٱلْمُكْتَشِحْ
٥٣ـ قَدْ تَفَتَّقْنَ مِنَ ٱلغَسْنِ إذَا ‏ ‏ قَامَ ذُو الضُّرِّ هُزَالًا وَرَزَحْ
٥٤ـ ذَاكَ دَهْرٌ لِأُنَاسٍ قَدْ مَضَــوْا ‏ ‏ وَلِهَــذَا النَّاسِ دَهْرٌ قَدْ سَنَحْ
٥٥ـ وَلَقَدْ أَمْنَحُ مَنْ عَادَيْتُهُ ‏ ‏ كُلَّ مَا يَحْسِمُ مِنْ دَاءِ ٱلْكَشَحْ
٥٦ـ وَقَطَعْتُ نَاظِرَيْهِ ظَاهِرًا ‏ ‏ لَا يَكُونُ مِثْلَ لَطْمٍ وَكَمَحْ
٥٧ـ ذَا جُبَارٍ مُنْضِجًــا مِيسَمُهُ ‏ ‏ يُذْكِرُ ٱلْجَارِمَ مَا كَانَ ٱجْتَرَحْ
٥٨ـ وَتَرَى ٱلْأَعْدَاءَ حَوْلِي شُزُرًا ‏ ‏ خَاضِعِي ٱلْأَعْنَاقِ أَمْثَالَ ٱلْوَذَحْ
٥٩ـ قَدْ بَنَى ٱللُّؤْمُ عَلَيْهِمْ بَيْتَهُ ‏ ‏ وَفَشَا فِيهِمْ مَعَ ٱللُّؤْمِ ٱلْقَلَحْ
٦٠ـ فَهُمْ سُودٌ قِصَــارٌ سَعْيُهُمْ ‏ ‏ كَٱلْحَصَى أَشْعَلَ فِيهِنَّ ٱلْمَذَحْ
٦١ـ يَضْرِبُ ٱلْأَدْنَى إِلَيْهِمْ وَجْهَهُ ‏ ‏ لَا يُبَالِي أَيَّ عَيْنَيْهِ كَفَحْ

(٣٧)

وَقَالَ يَمْدَحُ رَجُلًا مِنْ عُكْلٍ :

١ — وَإِذَا أَرَدْتَ بِأَرْضِ عُكْلٍ نَائِلًا ‏ ‏ فَٱعْمِدْ لِبَيْتِ رَبِيعَةَ بْنِ حُذَارِ (كامل)
٢ — يَهَبُ ٱلنَّجِيبَةَ وَٱلنَّجِيبَ بِسَرْجِهِ ‏ ‏ وَٱلْأُدْمَ بَيْنَ لَوَاقِحٍ وَعِشَارِ

(٥٢ — ٥٣) المكتشح المضمر . الغسن الشحم . رزح سقط من الهزال . ذو الضر الذي أضر به الهزال .

(٥٤ — ٥٦) سنح ظهر وعرض . الحسم القطع والكي . الكشح (بالتحريك) داء يصيب الكشح يسمونه ذات الجنب ، وربما كوى صاحبه منه . ويقصد هنا الكاشح الذي يطوى كشحه منه من بغضه وعداوته . الناظران عرقان على حرف الأنف يسيلان من المؤقين ، قال الشاعر (وأكوى الناظرين من الخنان) والخنان (بضم الخاء) داء يأخذ الطير والإبل في حلوقها وأنوفها . لطمه ضربه ببسطة كفه على وجهه . كمح الدابة مثل كبحها .

(٥٧ — ٥٨) الجبار (كغراب) الهدر ، ذهب دمه جبارا أي هدرا . والجبار كذلك كل ما أفسد وأهلك . الميسم المكواة . الجارم الآثم . اجترح جنى وارتكب من إثم يتعرضه الشاعر . ذا جبار مفعول ثان لأمنح في البيت (٥٥) ، بدل من قوله (كل ما يحسم) . شزر جمع شازر وهو الذي ينظر بمؤخر عينيه . الوذح ما يتعلق بأصواف الأغنام وخصاها من البعر والبول . والوذح كذلك جمع وذحة وهي الخنفساء .

(٥٩ — ٦١) القلح صفرة الأسنان . أشعل انتشر وعم وتفرق . المذح أن تصطك الفخذان فينسلخ ما بينها ، أو تعلق المصيبتين من عرق الأفخاذ ، وذلك في الحيوان خاصة . وأكثر ما يستعمل في الضأن . الأدنى إليهم الذي يليهم ويحميهم ويتقرب إليهم ، يلطم وجهه حسرة على ما أصابهم من هجاء الشاعر . كفحه بالعصا ضربه .

(٣٧)

(١ — ٢) عكل بن عبد مناة بن أد بن طابخة إخوة تميم . النجيب من كل شيء سراته وخياره . الأدم جمع آدم وهي البيض من النوق والظباء اللاقحة الحامل ، والعشار التي أتى على حملها عشرة أشهر .

هذه هى القصيدة الثالثة ، فيما كان بين الشاعر وبين أبناء عمومته ، بنى عبدان بن سعد بن قيس بن ثعلبة . أما القصيدتان السابقتان فهما القصيدة (١٤) يعاتبهم بها ، والقصيدة (١٥) يهجو فيها شاعرهم جهنام . وبقى للأعشى فيهم قصيدة واحدة بعد هذه التى بين يدينا ، وهى القصيدة (٧٣) يهجو فيها جهنام ، وهى قصيرة لاتتجاوز ثلاثة عشر بيتاً . والأعشى فى هذه القصيدة أكثر عنفاً منه فى القصيدتين السابقتين . فقد تمادت الخصومة بين البيتين ، بعد أن أغرى بنو عبدان شاعرهم جهنام بهجاء بنى سعد بن ضبيع وشاعرهم (الأعشى) — وكانت أم جهنام أمة ، كما تفهم من هذه القصيدة ومن القصائد الأخرى (١) — فمرى الشر بين الحيين . ولكن عنف الأعشى لايخرجه من الرفق ، ولاينسيه أن بنى عبدان هم أبناء عمومته الأقربون ، فهو يحاول أن يقنعهم بأنهم ظالمون ، مذكراً إياهم بما سبق من أيادى قومه عليهم .

والأعشى فى هذه القصيدة يهجم على غرضه دون تقديم ، صارخاً (ياللقيس !) فهو ينعدم القرابة ، ويستصرخ الجد الذى يجمعه وإياهم فى النسب (قيس بن ثعلبة) . ويحاول فى بقية القصيدة أن يصور لهم بغيهم ، بعد الذى سبق إليهم من نعم قومه .

يقول الأعشى :

١ — ياللقيس لما لقينا من قومنا هذا العام ! أتُبَاحُ أعراضنا لعبد هِجَان ؟ أم عَلاَمَ هذا العدوان ؟

٢ — وليس ذلك عن بغض أو عداوة يا (حُذَاف) ، وإنما هو السَّفَهُ والطغيان .

٣ — ما غَشِيناكم يوما بظلم ، ولا فضحنا لكم مستوراً ، ولا استبحنا منكم مُحَرَّما .

٤ — يا بنى المنذر بن عبدان ! أو قد ذهبت شهوة الطعام بأحلامكم ، وطمست بصائركم ،

٥ — حتى أمرتم عبداً مهيناً أن يهجو قوما كراما ، ظلماً وعدوانا ، لغير ذنب جنوه ؟

٦ — وبعثتم (بما فعلتم الشر بين الحيين)

* * *

ويمضى الشاعر فى تعديد نعم قومه على بنى عبدان فيقول :

٨ — أتفعلون بنا ذلك بعد أن أسلفنا لكم من النعم ما إنه لحقيق أن يحنى الرءوس اعترافا بالجميل ، وبعد الذى قدمنا من أياد ظاهرة يعرفها كل الناس .

٩ — أتنسون يوم (حَجْر) وما أسدينا إليكم فيه من عون ، إذ تلتهم النيران الوادى من جانبيه .

١٠ — وقد فاجأكم العدو ، يطارد رجالكم وينكل بهم ، حتى أصبح النخل خاوياً يفضح الذين يجنون منه الثمار .

١١ — فتراه وقد لفحته النيران بين قائم ومُصَرَّع ، أسودَ كالنُّوق الهزيلة العجاف .

١٢ — ثم نصرناكم بعد ذلك يوم (العَيْن) ، وقد لحقكم فيه من العـــار ما ينكسف له وجه الشمس ، وضاقت فى وجوهكم الدنيا وأظلم النهار ،

---

(١) راجع البيت (٥) من هذه القصيدة ، البيت ٤٣ من القصيدة ١٥ ، البيتين ٣ ، ٨ من القصيدة ٧٣ . فكلها تدل على أن أم جهنام كانت أمة من إماء بنى عبدان ، فولدت لهم هذا الشاعر . والأعشى يعيره وضاعة نسبه من جهة أمه .

وَقَالَ يُعَاتِبُ بَنِي عَبْدَانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ:

١ — يَا لَقَيْسٍ لِمَا لَقِينَا ٱلْعَامَا ... أَلِعَبْدٍ أَعْرَاضُنَا أَمْ عَلَى مَا (خفيف)

٢ — لَيْسَ عَنْ بِغْضَةٍ حُذَاقَ وَلَكِنْ ... كَانَ جَهْــلًا بِذَلِكُمْ وَعُرَامَا

٣ — لَمْ نَطَأْكُمْ يَوْمًا بِظُلْمٍ وَلَمْ نَهْـ ... ـتِكْ حِجَابًا وَلَمْ نُحِـلَّ حَرَامَا

٤ — يَا بَنِي ٱلْمُنْذِرِ بْنِ عَبْدَانَ وَٱلْبِطْـ ... ـنَةُ يَوْمًا قَدْ تَأْفِنُ ٱلْأَحْلَامَا

٥ — لِمْ أَمَرْتُمْ عَبْدًا لِيَهْجُوَ قَوْمًا ... ظَالِمِيهِمْ مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ كِرَامَا

٦ — وَٱبْتَغَشْتُمْ ....

٧ — يَوْمَنَا بِالْمَسِيلِ فِي سَيْدَبِهِمْ ... حَيْثُ جُشْمٌ وَآدَ ....

٨ — وَٱلَّتِي تُلْبِثُ الرُّءُوسَ مِنَ ٱلنُّعْـ ... ـمَى وَيَأْبَى إِسْمَاعُهَا ٱلْأَقْوَامَا

٩ — يَوْمَ حَجْرٍ بِمَا أُزِلَّ إِلَيْكُمْ ... إِذْ تُذَكِّي فِي حَافَتَيْهِ الضِّرَامَا

١٠ — جَارَ فِيهِ نَاقِي ٱلْعُقَابَ فَأَضْحَى ... آئِدَ ٱلنَّخْلِ يَفْضَحُ ٱلْجُرَّامَا

١١ — فَتَرَاهَا كَٱلْخُشْنِ تَسْفَحُهَا ٱلنِّيـ ... ـرَانُ سُودًا مُصَرَّعًا وَقِيَامَا

١٢ — ثُمَّ بِٱلْعَيْنِ عُرَّةٌ تَكْسِفُ ٱلشَّمْـ ... ـسَ وَيَوْمًا مَا يَنْجَلِي إِظْلَامَا

١٣ — إِذْ أَتَتْكُمْ شَيْبَانُ فِي شَارِقِ ٱلصُّبْـ ... ـحِ بِكَبْشٍ تَرَى لَهُ قُدَّامَا

(١ — ٣) بالقيس ، هو قيس بن ثعلبة ، جد الحيين المتخاصمين ، بني عبدان بن سعد وبني سعد بن ضبيعة . العبد مقصود به هنا جهنام نجم الأعشى . حذاق ترخيم حذاقة ، وهو جد جهنام . الجهل السفه والاسراع للشر . العرام الشراسة والأذى .

(٤ — ٦) أفن الرجل (كعلم) ضعف رأيه ، وأفنه الله (كضرب) أذهب عقله . البطنة الشره وحب المأكل . وكان بنو عبدان قد اتهموا الأعشى بأنه سطا على عسل لهم فالخصومة . الأحلام العقول .

(٧ — ٩) اللبث البطء والتوقف . تلبث الرءوس أي تخفضها وتحنيها وتنفضا اعترافاً بالجميل . أزل إليه نعمة أسداها إليه . حجر في اليمامة يقرب مدينة اليمامة .

(١٠ — ١٣) (ناقي العقاب) كذلك هي في كل أصول الديوان كما نشره جاير . وتخريجها على هذا الضبط (بفتح القاف في ناقي) عسير ولكنها قد تكون (ناقي) بكسر القاف ، إسم فاعل من نقي بمعنى طرد . والعقاب الراية ، فيكون المعنى أن هذا الرجل الذي هزم الجيش وطرده (وهو يكنى عن الجيش بالعقاب وهي الراية) قد جار في هذا اليوم وجاوز القصد في انتقامه فأحرق نخيل القوم . آئد إسم فاعل من أود (كعلم) أي أعوج . الجرام جمع جارم وهو الذي يجمع ثمار النخيل . العين يقصد به عين التمر ، وهو يوم عظيمة ، وعظيمة امرأة من بني سعد بن قيس (قوم جهنام) كانت عند رجل من بني سيار (من شيبان) ، وله امرأة غيرها من قومه ، فتغايرتا ، فعمدت السيارية إلى عظيمة فحلقت ذوائبها ، فاهتاج الحيان واقتتلا ، فهزمت بنو سيار يومئذ . العرة الجرب ، ويقصد به هنا العار والفضيحة . شارق الصبح وضح الصبح . الكبش سيد القوم . القدام الملك والسيد ومن يتقدم الناس بالعرف .

١٣ — إذ أغارت عليكم (شَيْبَان) فى وضح النهار ، يقدُمُهم سيد شريف همام .

١٤ — فعدونا عليهم مُهْطِعين، إسراعَ الظِماء إلى الماء .

١٥ — برجال كأنهم الأُسْدُ استفزها مطارد ، وخيلٍ تعودت الإقدام .

١٦ — لا نقيها حد السيوف ، ولا نألم من جوع ، ولا نبالى ما يصيبنا فى القتال من مشقة وهزال .

١٧ — فما هى إلا ساعة من صدر النهار ، بمقدار ما يجمع الراعى أغنامه ، وقد توقع المطارحين دخل الظلام .

١٨ — من رجال شبابهم شجعان ، وكهولهم محنكون راجحو الأحلام .

١٩ — حتى ولى العدو هارباً ، حيث يَحْسُنُ الصبر والثبات ، نسوقه أمامنا كما تدفع ريح الجنوب سحابة خفيفة لا يثقلها الماء .

* * *

فإذا فرغ الشاعر من تعديد أيادى قومه عليهم ختم ذلك بقوله :

٢٠ — إن ذاك الجفاء والكفران شيء قد فطرتم عليه فهو فى طبعكم. إن لنا عليكم لحقوقاً ونعماً، ولكنكم لا تشكرون .

* * *

وينتقل الشاعر من ذلك إلى الفخر بقومه فيقول :

٢١ — إذا أجدب الناس فى الشتاء ، وخمدت النيران تحت القدور ، حتى يتشوق الناس إلى دخان الطبخ تشوقهم إلى البخور .

٢٢ — سُمِعَ رنينُ أقداحنا ، تضرَبُ على الإبل الضخام حين يُكْرَه ذبحها .

٢٣ — برجال كرام يتيهون على كل سيد مختال ، ويفوقونه فى إطعام الجائع وقت الجدب فى الشتاء .

٢٤ — وخيام ضخام كأنها الهضاب ، ورماح حمر من آثار الدماء ، تدفع عن وجوه أصحابها الطِعان .

٢٥ — وخيلٍ قد تهيأت للغزو ، حيث يُتَوَقَّعُ هجوم العدو فأذاجاء القتال . وأدركت الغارة الإبل فى مراعيها ،

٢٦ — كان منا الذين يدافعون عنها ويحمون أطراف الحى ، حين يشتد النزال ، وتكشف العذارى عن الساق والخلخال .

١٤— فَغَدَوْنَا عَلَيْهِمُ بُكَرَ ٱلْوِرْ   دِ كَمَا تُورِدُ ٱلنَّضِيحَ ٱلْهِيَامَا

١٥— بِرِجَالٍ كَٱلْأُسْدِ حَرَّبَهَا ٱلزَّجْ   رُ وَخَيْلٍ مَا تُنْكِرُ ٱلْأَقْدَامَا

١٦— لَا تَقِيهَا حَدَّ ٱلسُّيُوفِ وَلَا تَأْ   لَمُ جُوعًا وَلَا تُبَالِي ٱلسِّهَامَا

١٧— سَاعَةً أَكْبَرَ ٱلنَّهَارِ كَمَا شَـ   لَّ مُخِيلٌ لَبُونَهُ إِعْتَامَا

١٨— مِنْ شَبَابٍ تَرَاهُمُ غَيْرَ مِيلٍ   وَكُهُولًا مَرَاجِحًا أَحْلَامَا

١٩— ثُمَّ وَلَّوْا عِنْدَ ٱلْحَفِيظَةِ وَٱلصَّبْ   رِ كَمَا يَطْحَرُ ٱلْجَنُوبُ ٱلْجَهَامَا

٢٠— ذَاكَ فِي جِبْلِكُمْ لَنَا وَعَلَيْكُمْ   نِعْمَةٌ لَوْ شَكَرْتُمُ ٱلْأَنْعَامَا

٢١— وَإِذَا مَا ٱلدُّخَانُ شُبِّهَ ٱلْآ   نُفُ يَوْمًا بِشَتْوَةٍ أَهْضَامَا

٢٢— فَلَقَدْ تَصْلَقُ ٱلْقِدَاحُ عَلَى ٱلنِّيـ   بِ إِذَا كَانَ يُسْرُهُنَّ غَرَامَا

٢٣— بِمَسَامِيحَ فِي ٱلشِّتَاءِ يُخَالُو   نَ عَلَى كُلِّ فَالِجٍ إِطْعَامَا

٢٤— وَقِبَابٍ مِثْلِ ٱلْهِضَابِ وَخَيْلٍ   وَصِعَادٍ حُمْرٍ يَقِينَ ٱلسِّهَامَا

٢٥— فِي مَحَلٍّ مِنَ ٱلثُّغُورِ غُزَاةٍ   فَإِذَا خَالَطَ ٱلْغِوَارُ ٱلسَّوَامَا

٢٦— كَانَ مِنَّا ٱلْمُطَارِدُونَ عَنِ ٱلْأُخْـ   رَى إِذَا أَبْدَتِ ٱلْعَذَارَى ٱلْخِدَامَا

(١٤ — ١٥) البكر (بالتحريك) والبكرة (بضم فسكون) واحد وهو أول الصبح ، وهي هنا ظرف زمان . النضيح الحوض ، لأنه ينضح عطش الابل حين تشرب منه . الهيام العطاش ، أي الابل العطاش ، وربما أخذبها . الزجر الطرد مع صوت .

(١٦ — ١٨) السهام (بضم السين) الضمور والهزال . أتانى فلان أكبر النهار (بنصب أكبر على الظرفية) أى حين ارتفع النهار . شل طرد . أخيلت السماء إخيالا تهيأت للمطر ، وأخيل الرجل شام سحابة مخيلة ، وأخيل عليه الشيء اشتبه وأشكل . لبونه إبله ، واللبون ذات اللبن . إعتاماً حين دخلت العتمة ، وهى ثلث الليل الأول . الأميل الذى يميل على السرج ولا يثبت فوقه . مراجحاً أحلاماً أحلاماً تمييز أى أنهم راجحو العقول .

(١٩ — ٢١) الحفيظة الغضب لما يجب صونه والدفاع عنه . طحره دفعه وقذف به . الجنوب ريح . الجهام السحاب الذي لاماء فيه . جبله الله جبلا خلقه ، وجبله على الشيء فطره وطبعه . آنف جمع أنف . أهضام جمع هضم (بفتح فسكون) وهو البخور .

(٢٢ — ٢٤) الصلق الصوت الشديد ، وصلق نابه بمثله بأخر فحدث بينهما صوت . القداح هي قداح الميسر . النيب جمع ناب ، وهي الناقة المسنة ، قيل سميت بذلك لطول نابها . غراماً أى مكروه . أى أنهم يضربون القداح على مثل هذه النوق الكبار حين يكره ذبحها في الميسر لشدة الجدب في الشتاء . والعرب تفخر بالميسر فى مثل هذا الوقت لأنه دليل الكرم الحق . مساميح كرماء . يخالون يختالون ويباهون . فلج على خصمه (كنصر) ظهر عليه . قباب جمع قبة وهى الخيمة الضخمة . صعاد جمع صعدة (بفتح فسكون) وهى القناة التى تنبت مستقيمة . حمر من أثر الدماء . حام الانسان فمه ومنخراه وأذناه ، أى أن هذه الرماح تدفع من أصحابها أذى بالغ الطعن .

(٢٥ — ٢٦) الثغر الموضع الذى يخاف منه هجوم العدو . الغوار الغارة ، مصدر غاور . السوام الابل الراعية . الخدام جمع خدمة (بثلاث فتحات) وهو الخلخال والساق .

يتحدث الشاعر فى هذه القصيدة عن ذكريات شبابه ، وعن لهوه ومجونه ، حديث الباكى النادم ، حتى يبلغ البيت (٣٧) . ولكنه يختم قصيدته بوصف قصير لرحلة صحراوية ، انتهت به إلى (سعد بن قيس) — وهو رجل أو قبيلة لم أوفق لتحقيقها — فيقدم هذا الرجل أو هذه القبيلة فى أبيات لا تكاد تربطها ببقية القصيدة صلة . ويمتاز الغزل فى هذه القصيدة ، بنزعة واضحة إلى الأسلوب القصصى ، الذى عرف به عمر بن أبى ربيعة بعد ذلك ، وبرع فيه . وسنرى مثالا آخر لهذا الأسلوب القصصى فى القصيدة (٥٤)

يقول الشاعر :

١ — أوصلت حبل الود من (سلمى) ، بعد أن انقطع لطول الهجر والاجتناب ؟

٢ — ورجعت بعد الشيب ، تبغى ودها ، وتلح فى طلبها ، وقد مضى الشباب ؟

٣ — أقصِرْ وآتِهِ خيراً لك ، فلقد قاسيت من قبل فى حبها العذاب .

٤ — والزجاجة إذا تحطمت لم تلتئم مرة أخرى ، وإن شُدَّتْ بعِصَاب .

* * *

٦ — وما من شيء إلا هو إلى زوال . وستهلك القرى يوما وتبيد ، من قبل أن يحق عليها العذاب .

٧ — وتصير بعد بهائها وعمارتها إلى الخراب .

٨ — ألم ترى ياصاحبتى إلى (حِجْر) — وأنت حكيمة تعقلين — وهى رهينة البلى والاكتئاب .

٩ — تمرح الثعالب فى ضحوة النهار لدى أبوابها والشِّعاب .

١٠ — ويُسمع للجن من حولها عزيف كرَطَانَةِ الأحباش فى المحراب .

١١ — وقد مرت من دون ذلك سنون وأحقاب .

٥ — حتى ما يتبين الناظر فيما بقى من الأطلال ، ما ينبىء عن بهائها وروعتها التى توارت بالحجاب ؟

* * *

١٢ — ولقد ساومت الكواعب فغلبتهن ، وأمتعت نفسى بأفساد الغانيات .

١٣ — أخون غفلة قومها ، إذ يطوفون حول قبابها الشامخات .

١٤ — يحاذرون عليها أن ترى ، أو أن يطوف ببابها الغُواة .

وقال :

(مجزوء الكامل)

١ — أَوَصَلْتَ صُرْمَ ٱلْحَبْلِ مِنْ سَلْمَى لِطُولِ جِنَابِهَا

٢ — وَرَجَعْتَ بَعْدَ الشَّيْبِ تَبْـ ـغِي وُدَّهَا بِطِلَابِهَا

٣ — أَقْصِرْ فَإِنَّكَ طَالَمَا أَوْضَعْتَ فِي إِعْجَابِهَا

٤ — أَوَلَنْ يُلَاحَمَ فِي الزُّجَا جَةِ صَدْعُهَا بِعِصَابِهَا

٥ — أَوَلَنْ تَرَى فِي الزُّبْرِ بَيِّـ ـنَةً بِحُسْنِ كِتَابِهَا

٦ — إِنَّ الْقُرَى يَوْمًا سَتَهْـ ـلِكُ قَبْلَ حَقِّ عَذَابِهَا

٧ — وَتَصِيرُ بَعْدَ عِمَارَةٍ يَوْمًا لِأَمْرِ خَرَابِهَا

٨ — أَوَلَمْ تَرَىْ حِجْرًا - وَأَنْـ ـتِ حَكِيمَةٌ - وَلِمَا بِهَا

٩ — إِنَّ الثَّعَالِبَ بِالضُّحَى يَلْعَبْنَ فِي مِحْرَابِهَا

١٠ — وَٱلْجِنُّ تَعْزِفُ حَوْلَهَا كَٱلْحُبْشِ فِي مِحْرَابِهَا

١١ — فَخَلَا لِذَلِكَ مَا خَلَا مِنْ وَقْتِهَا وَحِسَابِهَا

١٢ — وَلَقَدْ غَبَنْتُ ٱلْكَاعِبَا تِ أَحَظُّ مِنْ تَخْبَابِهَا

١٣ — وَأَخُونُ غَفْلَةَ قَوْمِهَا يَمْشُونَ حَوْلَ قِبَابِهَا

١٤ — حَذَرًا عَلَيْهَا أَنْ تُرَى أَوْ أَنْ يُطَافَ بِبَابِهَا

(١ — ٣) صرمه صرما وصرماً (بفتح الصاد وضمها) قطعه . جانبه جنابا ومجانبة . طلاب مصدر طالب . أقصر عن الأمر كف وانتهى . أوضعت الأبل (على البناء للمعلوم) أسرعت فى سيرها . وأوضع فى تجارته (على البناء للمجهول) خسر فيها ولم يربح . أوضع (على البناء للمعلوم أسرع) . الإعجاب (بالكسر) مصدر من أعجب بالشيء . ويجوز أن تكون أعجابها (بفتح الهمزة) جمع عجب ، وهو الروعة التى تعترى الناظر إذا استحسن شيئا واستعظمه .

(٤ — ٦) العصب والعصاب شد الشيء وضمه . الصدع الشق والكسر . الزبر جمع زبور (بفتح الزاى) وهو الكتاب ، وهو فعول بمعنى مفعول ، من زبر الكتاب (كضرب ونصر) كتبه . وموضع هذا البيت (٥) أن يجيء بعد البيت (٧) أو (١١) . الحق الأمر المقضى . وحق الأمر وجب وثبت .

(٧ — ٩) الحجر (بكسر الحاء) مساكن ثمود فى الشام إلى الجنوب من دومة الجندل . والحجر (بفتح الحاء) من منازل بنى حنيفة (ابن بكر بن وائل) فى اليمامة . لما بها من الخراب . تقول هو لما به إذا كان هالكا .

(١٠ — ١٤) عزفت الجن صوتت وصاحت فى الصحارى . المحراب مجلس الناس ومجتمعهم . غبنه فى البيع والشراء خدعه وغلبه . حظ (كعلم) كان ذا حظ . تخبابها من خب المرأة والأمة إذا أفسدها على صاحبها . القبة الخيمة الضخمة .

١٥ — فبعثت رسولا لنا شيطانا ، ليأتينا منها بالجواب .

١٦ — فمشى إليها لا يخشى الرقباء ، حتى تخلص إليها غيرَ هيَّاب .

١٧ — فنازعها الحديث مُخَافِتا ، فلما لَوَتْهُ أقام عليها الحجة رَجُلٌ غَلاَّب .

١٨ — حديدُ اللسان ، حاذق فطن ، لا تعييه الحيلة ولا يعدم الأسباب .

١٩ — رفيق بالنساء ، خبير بلين حديثهن ، حتى أسلست له القياد .

٢٠ — وقالت : قد قلت حقا ، ولم تتجاوز الرشاد والسداد

٢١ — فراودها ، كيف السبيل إلى دخول الحى ، وكيف آتيها فى الميعاد .

٢٢ — فى قبتها الحمراء ، التى تزين سقفها طُرَّةٌ وضاءة غراء .

٢٣ — ولم ينس ماقال له صاحبه ، حين بعثه إلى صاحبته الحسناء .

٢٤ — وأوصاه أن يرفق بها ولا يعنف عليها ، فهى صغيرة قليلة التجربة والدهاء .

٢٥ — وليس يُتَوَسَّل إلى مثلها بالعنف ولا بالجفاء .

٢٦ — ....

٢٧ — فأنا أخشى أن تغضبها ، فينعق الغراب بيننا بانقضاء الود والصفاء .

° ° °

٢٨ — ودخلت إليها وقد نام الرقباء ، فبت إلى جانبها لا يفصلنا حجاب

٢٩ — حتى إذا أنِسَتْ إلى ، بعد طول المعابثة واللّعاب .

١٥ — فَبَعَثْتُ جِنِّيًّا لَنَا ... يَأْتِي بِرَجْعِ حَدِيثِهَا

١٦ — فَمَشَى وَلَمْ يَخْشَ ٱلْأَنِيـ ... ـسَ فَزَارَهَا وَخَلَا بِهَا

١٧ — فَتَنَازَعَا سِرَّ ٱلْحَدِيـ ... ـثِ فَأَنْكَرَتْ فَنَزَا بِهَا

١٨ — عَضْبُ ٱللِّسَانِ مُتَقِّنٌ ... فَطِنٌ لِمَا يُعْنَى بِهَا

١٩ — صَنَعٌ بِلِينِ حَدِيثِهَا ... فَدَنَتْ عُرَى أَسْبَابِهَا

٢٠ — قَالَتْ قَضَيْتَ قَضِيَّةً ... عَدْلًا لَنَا يُرْضَى بِهَا

٢١ — فَأَرَادَهَا كَيْفَ ٱلدُّخُو ... لُ وَكَيْفَ مَا يُؤْتَى لَهَا

٢٢ — فِي قُبَّةٍ حَمْرَاءَ زَيَّـ ... ـنَهَا ٱئْتِلَاقُ طِبَابِهَا

٢٣ — وَدَنَا تَسَمُّعُهُ إِلَى ... مَا قَالَ إِذْ أَوْصَى بِهَا

٢٤ — إِنَّ ٱلْفَتَاةَ صَغِيرَةٌ ... غِرٌّ فَلَا يُسْدَى بِهَا

٢٥ — وَٱعْلَمْ بِأَنِّي لَمْ أُكَلِّـ ... ـمْ مِثْلَهَا بِصِعَابِهَا

٢٦ — فِيهِنَّ ....

٢٧ — إِنِّي أَخَافُ ٱلصُّرْمَ مِنْـ ... ـهَا أَوْ شَحِيجَ غُرَابِهَا

٢٨ — فَدَخَلْتُ إِذْ نَامَ ٱلرَّقِيـ ... ـبُ فَبِتُّ دُونَ ثِيَابِهَا

٢٩ — حَتَّى إِذَا مَا ٱسْتَرْسَلَتْ ... مِنْ شِدَّةٍ لِلِعَابِهَا

(١٥ — ١٦) جنيا يقصد رسولا حاذقا ذكيا . ما بالدار من أنيس أي ليس بها أحد ، والأنيس كل مأنوس به .

(١٧ — ١٩) تنازعا سر الحديث ، أي أنه كان يناقشها في صوت مخفوض حتى لا يسمعهما أحد . نزا وثب ، أي أنه هاجها ماليها . عضب اللسان فاعل نزا ، يقصد صاحبه ، والعضب الحاد القاطع ، أي أنه رجل حديد اللسان . متقن يتقن التأتي لما يريد . صنع رفيق .

(٢٠ — ٢٢) كيف ما يؤتى ، ما مصدرية أي كيف السبيل إلى المجيء إليها . طبابة السماء ، وطبابها طرتها المستطيلة .

(٢٣ — ٢٥) إلى ما قال ، الضمير في قال يعود على الأعشى نفسه ، يقول إن هذا الرسول قد استمع إلى وصيته حين أوصاه بصاحبته . يسدى بها من قولهم . سدى الصبي بالجوز (كنصر) وأسدى به كذلك ، أي لعب به . صعابها ، مصدر صاعبه أي كده وأجهده ، ضد ساهله .

(٢٦ — ٢٩) الصرم القطيعة . الشحيج نعيق الغراب . بت قضيت ليلتي . دون ثيابها أي قريبا منها . ودون تكون بمعنى أمام وخلف وفوق وتحت ، وهي ظرف يفيد القرب على كل حال . استرسل إليه انبسط إليه واستأنس . لعاب مصدر لاعب .

٣٠ — قسَّمتها قسمين ، أرْمي بها كلَّ وجه ، وأصرِّفها كيفما أشاء .

٣١ — فأثنى جيدها الفتان ، أو ألمس بطنها الملساء .

٣٢ — وكأنها وعاء طِيبٍ أصفر، لصق به عَبِيرُ خالطه (الملاَب) .

٣٣ — وقد وُضِع بيننا إناء الخمر ، مرفوعا قد أُعِدَّ للشراب .

٣٤ — وظلت تجرى بيننا الخمر يسعى علينا الساق بالأكواب ، وقد شد على فمه خرقة بيضاء

٣٥ — وعلق فى أذنيه لؤلؤتين ، يسير فى خفة ونشاط ، ويعدو بالكأس مسرعا يلبى النداء

٣٦ — ....

٣٧ — ....

٣٨ — رب صحراء مجدبة شهباء ، قد جُلِّلت آكامها بالسراب .

٣٩ — ركدت فوقها الشمس طوال النهار ، تصب عليها لهيبها الوهاج .

٤٠ — حتى احتدم فيها الحر ، فالجمر الملتهب مثل ترابها حين تلتهب الرمال .

٤١ — خُضْتُها بناقة صلبة ، مأمونة العِثار، حين تسرع باديةَ النشاط .

٤٢ — فلم أزل أدمن بها السير حتى عراها الكلال ، وبدت فِقارُ ظهرها من شدة الهزال .

٣٠– قسّمتها قسمين كل موجّه يرمى بها

٣١– فثنيت جيد غريرة ولمست بطن حقابها

٣٢– كالحقة الصفراء صا ك عبيرها بملابها

٣٣– وإذا لنا تامورة مرفوعة لشرابها

٣٤– ونظل تجرى بيننا ومفدّم يسقى بها

٣٥– هزج عليه التومتا ن إذا تشاء غدا بها

٣٦– .... أكوابها

٣٧– .... حول كامل وقتا لحين إيابها

٣٨– وودیقة شهباء ردّ ى أكمها بسرابها

٣٩– ركدت عليها يومها شمس بحرّ شهابها

٤٠– حتى إذا ما أوقدت فالجمر مثل ترابها

٤١– كلفت عانسة أمو نا فى نشاط هبابها

(٣٠ — ٣١) موجه مصدر ميمى من وجه ، أى أنه يرمى بها كل وجه ويصرفها كيفما أراد . الغريرة الساذجة القليلة التجربة . الحقاب شيء تتخذه المرأة تعلق به معاليق الحلى وتشده إلى وسطها ، وقد يقصد به هنا سراويلها .

(٣٢ — ٣٣) الحقة وعاء الطيب ، وهى صفراء من أثر الطيب ، وهو يصور بشرة صاحبته صفراء لكثرة ما تتضمخ به من طيب وزعفران . صاك لصق ، ويقصد به هنا اختلاط العبير بالملاب . والعبير أخلاط من الطيب كالمسك والعنبر والدهن ونحو ذلك مما يتعطر به . والملاب كل عطر سائل (فارسى معرب) . التامورة صومعة الراهب (فارسى - الجواليقى) وفى شرح الطبعة الأوروبية التامورة وعاء لشرابها ، ولم أجده فى المعاجم . مرفوعة أى رفيعة أو مقربة مهيأة .

(٣٤ — ٣٦) نظل تجرى أى الخمر والضمير يعود عليها لأنها مفهومة مما قبلها وما بعدها . المفدم الذى وضع على فمه الفدام ، وهى خرقة تشدها العجم والمجوس على أفواهها عند السقى . هزج (كمارب) ترنم وأنشد وطرب فى صوته . والهزج كذلك الخفة وسرعة وقع القوائم ووضعها ، وهو المقصود هنا . التومة (بضم التاء) حبة من فضة شبه الدرة توضع فى الأذن كالقرط .

(٣٧ — ٣٨) الوديقة شدة الحر فى الهاجرة ، والمقصود هنا الصحراء الملتهبة فى وقت الهاجرة . شهباء مجدبة لا نبات فيها ، والشهبة بياض خالطه سواد خفيف ، وسميت السنة المجدبة شهباء لأن النبات يجف فيها ويشهب . أكم جمع أكمة (بالتحريك) وهى التل والرابية . رديت هذه التلال بالسراب كأنها ألبسته وجللت به .

(٣٩ — ٤١) ركدت الشمس سكنت وثبتت فوق الرءوس حين يقوم قائم الظهيرة . الشهاب شعلة من نار ساطعة . الجمر مثل ترابها تعبير مقلوب ، وهو يقصد به المبالغة ، والحقيقة أن ترابها مثل الجمر . عانسة ناقة صلبة . أمون يؤمن عثارها . هبابها نشاطها .

٤٣ — تشكو إلى ما أصابها من ضر وإعياء .

٤٤ — وكأنها محموم أصابته حمّى (خيبر) ، ثم أفاق من البلاء .

٤٥ — بعد أن لعبت به سنين ونهكت قواه ، فهو بادى الإعياء .

* * *

٤٦ — وردت ناقتى على (سعد بن قيس) ، بها ما بها من الضر والهزال .

٤٧ — فإذا عبيد مقيمون لا يبرحون ، مستمسكون بالأصنام .

٤٨ — وقد تجمعت (ثعلبة بن سعد) كلها حول الخيام .

٤٩ — فعجبت ...

٥٠ — من شربها الخمر ، وما دخل جوفى شىء مما يشربون

٥١ — وعلمت عند ذاك أن الله قد أراد بهم الهلاك ، وجعلهم مُثْلَةً للناس .

٤٢— أَكَلْتُهَا بَعْدَ الْمِرَا حِ فَآلَ مِنْ أَصْلَابِهَا

٤٣— فَشَكَتْ إِلَيَّ كَلَالَهَا وَالْجَهْدَ مِنْ أَتْعَابِهَا

٤٤— وَكَأَنَّهَا مَحْمُومُ خَيْـ ـبَرَ بَلَّ مِنْ أَوْصَابِهَا

٤٥— لَعِبَتْ بِهِ الْحُمَّى سِنِيـ ـنَ وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهَا

٤٦— وَرَدَتْ عَلَى سَعْدِ بْنِ قَيْـ ـسٍ نَاقَتِي وَلِمَا بِهَا

٤٧— فَإِذَا عَبِيدٌ عُكَّفٌ مُسُكٌ عَلَى أَنْصَابِهَا

٤٨— وَجَمِيعُ ثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْـ ـدٍ بَعْدُ حَوْلَ قِبَابِهَا

٤٩— فَعَجِبْتُ ....

٥٠— مِنْ شُرْبِهَا الْمِزْرَ مَا اسْـ ـتَبْطَنْتُ مِنْ إِشْرَابِهَا

٥١— وَعَلِمْتُ أَنَّ اللهَ عَمْـ ـدًا حَسَّهَا وَأَرَى بِهَا

(٤٠ — ٤٤) أكلتها أتعبتها . المراح النشاط . آل نقص وضمر . أصلاب جمع صلب (بضم فسكون) وهو عظم في الظهر ذو فقار من لدن الكاهل إلى الذنب (وهو ما يسمى الآن السلسلة الفقرية) . خيبر مدينة كبيرة من مدن الحجاز على ثمانية برد من المدينة إلى الشام ، رديئة الهواء ، كثيرة الوباء ، تنتشر فيها الحمى . بل من مرضه وأبل واستبل أفاق . أوصاب جمع وصب (بالتحريك) وهو الوجع والتعب .

(٤٦ — ٤٨) لما بها من التعب الشديد ، تقول هو لما به إذا كان هالكا . عكف جمع عاكف وهو المقيم والمحبوس . مسك به (كنصر وضرب) أخذ به وتعلق واحتبس واعتصم . الأنصاب جمع نصب (بضم فسكون) وهو كل ما عبد من دون الله . القباب جمع قبة وهي الخيمة الكبيرة . ثعلبة بن سعد قبيلة ، لعلها من ذبيان .

(٥٠ — ٥١) المزاء الخمر . الاشراب (بكسر الهمزة) مصدر أشربه أي جعله يشرب . وأشرب الرجل عطش (ضد) . وأشرب بفلان كذب عليه . وقد تكون الأشراب (بفتح الهمزة) جمع شرب (بكسر فسكون) وهو الماء المشروب والمورد ووقت الشرب . والمعنى الاجمالي للبيت غير واضح لي على التحقيق . حسها أماتها واستأصلها أرى بها أي جعل الناس يرون بها ذلك .

يتصل خبر هذه القصيدة بالقصيدتين السابقتين (٢٦) و (٣٤) . وقد مضى الكلام في الأولى عن رحلة قيس بن مسعود إلى كسرى . وقصصنا في الثانية الحديث عن ذى قار . وبقى للأعشى في ديوانه غير هذه القصائد الثلاث قصيدة أخرى هى (٥٦).
والأعشى يخص بنى ذهل بن شيبان في هذه القصيدة بمدحه وثنائه — وكانوا من أحسن الناس بلاء في هذا اليوم — فيقول:

---

١ — تفدى ناقتى وصاحبها بنى ذهل بن شيبان يوم النزال ، وأعلى الله ذكرهم من رجال .

٢ — فلقد ضربوا مقدمة (الهامرز) في (حِنْوِ قُرَاقِرٍ) ، حتى تولت في شر حال .

٣ — ألا سلمت عينا من رأى هذه العصابة من الأبطال ، يردون كيد البغاة ويذيقونهم النكال .

٤ — فهم أشد نكاية في القتال من هؤلاء الذين أتوهم من (البطحاء) ، يبرق فوق رءوسهم الحديد ، وتخفق فوقهم الرايات الطوال .

٥ — واختلط أمر الناس ، واضطربوا في ثورتهم الهائجة ، يجول بينهم الموت ، وتلفحهم الغمرات والأهوال.

٦ — وقد جد الجد ، واحتدم القتال ، كالحاً مريراً ، يصرع الرجال ، ويُلوِى بالآجال .

٧ — عند ذلك أغنت بنو شيبان وكفوا قومهم ، وقد أقبل (الهامرز) تخفق فوقه رايته ، كأنها عقاب كاسر هوى متعلقاً في الفضاء .

٨ — وقاموا من دون الحِمَى يقاتلون ويمنعون النساء ، وقد حللنا هوادجهن وقطعنا سيورها ، فنزلن إلى الأرض لايستطعن الفرار .

— ٤٠ —

وقال يمدح بني شَيْبَانَ بن ثَعْلَبة في يوم ذي قار :

(طويل)

١ — فِدًى لِبَنِي ذُهْلِ بْنِ شَيْبَانَ نَاقَتِي ... وَرَاكِبُهَا يَوْمَ اللِّقَاءِ وَقَلَّتِ

٢ — هُمُو ضَرَبُوا بِالْحِنْوِ حِنْوِ قُرَاقِرٍ ... مُقَدِّمَةَ الْهَامَرْزِ حَتَّى تَوَلَّتِ

٣ — فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِنْ عِصَابَةٍ ... أَشَدَّ عَلَى أَيْدِي السُّعَاةِ مِنَ الَّتِي

٤ — أَتَتْهُمْ مِنَ الْبَطْحَاءِ يَبْرُقُ بَيْضُهَا ... وَقَدْ رُفِعَتْ رَايَاتُهَا فَاسْتَقَلَّتِ

٥ — فَثَارُوا وَثُرْنَا وَالْمَنِيَّةُ بَيْنَنَا ... وَهَاجَتْ عَلَيْنَا غَمْرَةٌ فَتَجَلَّتِ

٦ — وَقَدْ شَمَّرَتْ بِالنَّاسِ شَمْطَاءُ لَاقِحٌ ... عَوَانٌ شَدِيدٌ هَمْزُهَا فَأَظَلَّتِ

٧ — كَفَوْا إِذْ أَتَى الْهَامَرْزُ تَخْفِقُ فَوْقَهُ ... كَظِلِّ الْعُقَابِ إِذْ هَوَتْ فَتَدَلَّتِ

٨ — وَأَحْمَوْا حِمَى مَا يَمْنَعُونَ فَأَصْبَحَتْ ... لَنَا ظُعُنٌ كَانَتْ وُقُوفًا تَحَلَّتِ

٩ — أَذَاقُوهُمُو كَأْسًا مِنَ الْمَوْتِ مُرَّةً ... وَقَدْ بَذَخَتْ فُرْسَانُهُمْ وَأَدَلَّتِ

(١ — ٢) راكبها يعني نفسه . يوم اللقاء لقاء الأعداء في القتال . قلت من قل الشيء (لازم) أي علا ، وقل النبات أناف وارتفع ، والضمير في قلت يعود على ذهل بن شيبان . يفديهم بناقته وبنفسه يوم القتال لما أبلوا من بلاء ، ويدعو لهم بالعلا . الحنو في اللغة كل شيء فيه اعوجاج ، وكل منعرج فهو حنو . وحنو قراقر وحنو ذي قار ، والبطحاء ، كلها مواضع قرب الكوفة حيث جرت المعركة المشهورة بين الفرس وبكر بن وائل . الهامرز أحد قادة كسرى في هذا اليوم . وكانت شيبان على ميمنة بكر بازاء كتيبة الهامرز . مقدمة الجيش (بفتح الدال وكسرها) طائفة متقدمة منه .

(٣ — ٤) العصابة هم بنو ذهل بن شيبان ومن حرف جر زائد . يتعجب ممن رأت عيناه هذه العصابة وهم يقاتلون . أشد صفة لعصابة . السعاة الذين يسعون للحرب ويهيجونها ، وهم الفرس . ويروى (السقاة) أي الذين يسقاقون الموت بينهم . ويروى كذلك (أشد إذا خام الكماة) خام أي جبن . الكماة الفرسان المنطوون بالسلاح . من التي تضمين وهو قبيح ، والتضمين بالموصول من أقبح الأشياء ، لأنه يفصل بين الصلة والموصول وهما كالشيء الواحد . وصلة الموصول (أتتهم) في البيت التالي . أي أنهم أشد في القتال من الكتيبة التي أتتهم من البطحاء ، وهم الفرس . والبطحاء كما تقدم قرب ذي قار . البيض جمع بيضة ، وهي غطاء الرأس يلبسه المقاتل ليقيه ، وكذلك المغفر . استقلت علت وارتفعت .

(٥ — ٦) الغمرة الشدة والزحام . هاجت ثارت وانبعثت . تجلت تكشفت وظهرت . شمرت خف الأمر وبه وفيه . شمطاء عجوز ، والأشمط هو الذي خالط بياض رأسه سواد ، يصف الحرب بذلك . لأنها كالعجوز مطيقة ، وهو على تشبيه الحرب بالأنثى الحامل التي لا يدرى ما تلد . عوان قوتل فيها مرة بعد مرة فهي حرب طويلة مريرة . والعوان في الأصل التي ولدت للمرة الثانية بعد بطنها الأول . همزه (كضربه) ضغطه وصرعه وعصره . أضله دفنه وغيبه وأهلكه .

(٧ — ٩) كظل العقاب صفة لموصوف محذوف أي راية كظل العقاب . وظل كل شيء شخصه وسواده . والعقاب طائر من الجوارح ، وهو سيد الطيور عند العرب ، ويسمونه الكاسر . هوت العقاب انقضت على فريستها . تدلت تعلقت ونزلت . الحمى ما حمى من أرض أو شيء فكان محرما لا يقربه أحد . أحمى الحمى منعه وحماه . ما هنا موصولة ، مفعول أحموا ، أي أنهم منعوا ما يمنعون من حمى . ظعن (ككتب) جمع ظعينة وهي الهودج فيه امرأة أو المرأة نفسها . يشير الشاعر بهذا إلى ما فعل حنظلة ابن ثعلبة حين قطع الوضن (جمع وضين ، وهو الحزام الذي يربط الرحل ببطن البعير) حتى لا تهرب النساء فينهزم الرجال تحلت أي نزلت ، لأن النساء نزلت من الهوادج بعد تقطيع الوضن . بذخ (كعلم) تكبر وعلا . أدل تاه وترفع .

٩ — سقوهم كأس الموت المرير ، وقد أقبلوا يتيهون في عُجْبٍ وإدلال .

١٠ — تبرق عليهم الدروع ، سابغة تغطى سائر الجسد ، خفيفة لا تعوق الحركة ، وتلمع فوق رءوسهم الخوذات كأنها النجوم .

١١ — وأقفرت حومة الوغى من كل شيء ، إلا من الدروع الفضفاضة ، مبعثرة هنا وهناك ، وقد هبط فريق منهم إلى السهول متشبثاً بالقتال .

١٢ — ففاجأهم جنودنا صباحاً في (حِنْوِ قُرَاقِرِ) و (ذى قار) ، لحطموا جموعهم ، ونالوا منهم كل منال .

١٣ — ينقضون عليهم بأفراسهم القوية المحبوكة الظهور ، وكأنها عقبان تهوى من فوق برج عال .

١٤ — وتفتحت أبواب السماء بالموت ، ينهمر على (الهامَرْز) وسط بيوتهم ليذوق الوبال .

١٥ — عند ذلك كف الفرس عن غُلَوائهم ، وردهم إلى صوابهم مالقوا من ثبات فوارس (شَيْبـان) ، وصبرهم على مكاره الحرب والنزال .

١٦ — وفاتهم (قيس بن مسعود) فلم يدركوه ، فرجوت أن ينجو ، على ما ارتكب من خطاء ، وماتردى من عار .

١٧ — وعدنا بنسائهم ، نسوقهن أمامنا ، ونقتسمهن بيننا ، يعشن في ذل السبي راغمات .

١٨ — لعمرك ما يُضْنِي الفتى شيء كالهَمّ الثقيل حين تنطوى الصدور على الأمر الجليل .

ـ ٥٥ ـ

١٠ـ سَوَابِغُهُمْ بِيضٌ خِفَافٌ وَفَوْقَهُمْ ... مِنَ ٱلْبِيضِ أَمْثَالُ ٱلنُّجُومِ ٱسْتَقَلَّتِ

١١ـ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا ذَاتُ رَيْعٍ مُفَاضَةٌ ... وَأَسْهَلَ مِنْهُمْ عُصْبَةٌ فَأُطِلَّتِ

١٢ـ فَصَبَّحَهُمْ بِٱلْحِنْوِ حِنْوِ قُرَاقِرٍ ... وَذِي قَارِهَا مِنْهَا ٱلْجُنُودُ فَفُلَّتِ

١٣ـ عَلَى كُلِّ مَحْبُوكِ ٱلسَّرَاةِ كَأَنَّهُ ... عُقَابٌ هَوَتْ مِنْ مَرْقَبٍ إِذْ تَعَلَّتِ

١٤ـ فَجَادَتْ عَلَى ٱلْهَامُرْزِ وَسْطَ بُيُوتِهِمْ ... شَآبِيبُ مَوْتٍ أَسْبَلَتْ وَٱسْتَهَلَّتِ

١٥ـ تَنَاهَتْ بَنُو ٱلْأَحْرَارِ إِذْ صَبَرَتْ لَهُمْ ... فَوَارِسُ مِنْ شَيْبَانَ غُلْبٌ فَوَلَّتِ

١٦ـ وَأَفْلَتَهُمْ قَيْسٌ فَقُلْتُ لَعَلَّهُ ... يَبِلُّ لَئِنْ كَانَتْ بِهِ ٱلنَّعْلُ زَلَّتِ

١٧ـ فَمَا بَرِحُوا حَتَّى ٱسْتُحِثَّتْ نِسَاؤُهُمْ ... وَأَجْرَوْا عَلَيْهَا بِٱلسِّهَامِ فَذَلَّتِ

١٨ـ لَعَمْرُكَ مَا شَفَّ ٱلْفَتَى مِثْلُ هَمِّهِ ... إِذَا حَاجَةٌ بَيْنَ ٱلْحَيَازِيمِ جَلَّتِ

١٠ـ سوابغهم دروعهم السابغة أى التي تغطي سائر الجسد . خفاف لا تثقل لابسيها فتعوقهم عن الحركة فى القتال . يصف استعدادهم الكامل للقتال ، ليقول بعد ذلك إنهم قد هزموهم وهم فى كامل عدتهم . استقلت ارتفعت ، يشبه البيض فى بريقه فوق رءوسهم بالنجوم فى السماء .

(١١ ـ ١٢) الريع من الدرع فضول كميها وذيلها ، مفاضة واسعة . أسهلوا نزلوا إلى السهل . أطلت (على البناء للمعلوم) من قولهم أطل عليه بالأذى إذا لم يزل له مؤذيا . فإن بنيت للمفعول فهى من أطل (على البناء للمجهول) أي أهدر دمه وذهب فلم يثأر له . ذى قارها ، الضمير يعود على (حنو قراقر) ، وهو ضعيف على كل حال لم يقصد به إلا إقامة الوزن . منها أي من الحنو وهو المنعرج والمنحنى فى الطريق . فلت هزمت وشردت ، وأصله من تفلل السيف وهو تثلمه وتكسر حده . يشير الشاعر إلى ما روى الرواة من أن جيوش الفرس فرت إلى السواد فتبعتهم بكر تقتلهم ، فلم ينج منهم إلا القليل .

(١٣ ـ ١٤) السراة الظهر والوسط ، فرس محبوك السراة أى محكم الخلق شديد وثيق . المرقب الموضع المرتفع الذى يشرف من فوقه الرقيب . (على كل محبوك السراة) حال من الجنود فى البيت السابق . يشبه الفرس فى اندفاعه فى القتال بالعقاب حين تنقض على فريستها من مرقبها . جادت السماء مطرت . شآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر . أسبل المطر هطل . استهل وانهل اشتد انصبابه مع صوت .

(١٥ ـ ١٦) تناهى عن الشيء كف ، وتناهى القوم عن المنكر نهى بعضهم بعضا . بنو الأحرار هم الفرس . غلب جمع أغلب ، وهو الغليظ العنق ، يكنى به هنا عن القوة ومتانة بنيان الجسم ، وفعله غلب (كفرح) . قيس هو قيس بن مسعود . بل فى الأرض (كضرب) ذهب . وبل من مرضه وأبل أفاق . (إن كانت به النعل زلت) أى إن كان أخطأ بمسيره مع جيوش كسرى . والظاهر أن كسرى تشكك فى أمره فطلبه فهرب منه (راجع القصيدة نمرة ٢٦)

(١٧ ـ ١٨) استحثت نساؤهم سيقوا أمام القوم وقد أخذن سبايا ، يدفعن طلبا للإسراع . أجروا عليها بالسهام ، اقترعوا عليهن فيخرج لكل مقاتل سهمه أى نصيبه من السبايا . شفه الحزن أضناه . الحيازيم جمع حيزوم وهو الصدر أو موضع الحزام . جلت عظمت . الهم ما هم به الرجل من شيء ، وأعمل فكره فى إنفاذه . وشبيه بهذا البيت قول المتنبي .

وأتعب خلق الله من زاد همه ... وقصر عما تشتهي النفس وجده

(٤١)

يستشهدون بهذه الأبيات على أن الطلاق كان معروفاً فى الجاهلية . وقد روى صاحب الأغانى هذه الأبيات فى أخبار الأعشى ، وذكر فيها ضروباً من الألحان لكثير من المغنين المشهورين ، كإسحق ، وابن جامع ، وفليح ، وابن سريج ؛ وقال إنها كانت تغنى فى أيامه مع شىء من التبديل . وروى أن الأعشى قالها فى امرأة له من عنزان ، تزوجها ، ثم لم يرضها ولم يستحسن خلقها ، فطلقها . وأضاف بعض الرواة إلى ذلك ، أنه كان يدخل عليها بعد أن ذهب بصره ، فيجد رجلاً غريباً . فإذا سألها عنه زعمت أنه بعض أهلها . فرابه ذلك من أمرها فطلقها .

يقول الأعشى :

١ — اذهبى ياصاحبتى ، فأنت طالق . وكذلك تعرض للناس فى حياتهم شئون ، وتجد أمور ، فى الليل أو فى النهـار .

٢ — فارقينى ، فالفراق خير لك من العصا ، وإن لاتفعلى ، لم تزل العصا فوق رأسك تُضْرَبِين .

٣ — وليس ذلك من جرم عظيم ارتكبته ، أو خطب فادح اقترفته .

٤ — اذهبى عفيفةً طاهرة غير ذميمة ، بل محبوبة - كذلك - كما كنت تحبيننى .

٥ — وذوقى غيرى من الفتيان ، فأنى ذائق غيرك من النساء .

٦ — فقد كان لك عنى مندوحة ، فى شبان قومك ، وفى فتيانهم الطوال البيض الوجوه .

(٤٢)

مدح الأعشى بنى الحارث بن كعب (سادة نجران) ، أو أشار إليهم ، فى موضعين آخرين من الديوان ، وهما القصيدتان (٢٣) ، (٣٢) . وقد مضت ترجمتهم فى القصيدة (٢٣) . والأعشى يشير فى البيت الرابع من هذه القطعة إلى احتمال إغارة الدولة الرومانية على نجران ، ويقول لبنى الحارث : إنكم أكفاء لقتالهم ، فأنتم رجال حرب .

يقول الأعشى :

١ — ياسيدى نجران . ما أنا فى حاجة إلى أن أوصيكما بنجران ، فيماينوبهامن محن ، ومايعتريكمامن خطوب .

٢ — فإن تفعلا الخير وترتدياه ، فأنتم أهل لذلك ، وأنتم به جديرون .

٣ — وإن تدفعا عن (نجران) وتكفياها فادح النوائب والأحداث ، فقد سادها آبواكما من قبل

٤ — وإن اجتمعت عليكم جموع الروم من (صِهْيَون) ، فأنتم أكفاء لكل حرب مدمرة طحُون

(٤١)

وقال لامرأته الهِزّانيّة حين طلقها :

١ — يَا جَارَتِي بِينِي فَإِنَّكِ طَالِقَهْ ‏ ‏ ‏ كَذَاكِ أُمُورُ النَّاسِ غَادٍ وَطَارِقَهْ ‏ (طويل)

٢ — وَبِينِي فَإِنَّ الْبَيْنَ خَيْرٌ مِنَ الْعَصَا ‏ ‏ ‏ وَإِلَّا تَزَالُ فَوْقَ رَأْسِكِ بَارِقَهْ

٣ — وَمَا ذَاكِ مِنْ جُرْمٍ عَظِيمٍ جَنَيْتِهِ ‏ ‏ ‏ وَلَا أَنْ تَكُونِي جِئْتِ فِينَا بِبَائِقَهْ

٤ — وَبِينِي حَصَانَ الْفَرْجِ غَيْرَ ذَمِيمَةٍ ‏ ‏ ‏ وَمَوْمُوقَةً فِينَا كَذَاكِ وَوَامِقَهْ

٥ — وَذُوقِي فَتَى قَوْمٍ فَإِنِّي ذَائِقٌ ‏ ‏ ‏ فَتَاةَ أُنَاسٍ مِثْلَ مَا أَنْتِ ذَائِقَهْ

٦ — فَقَدْ كَانَ فِي شُبَّانِ قَوْمِكِ مَنْكَحٌ ‏ ‏ ‏ وَفِتْيَانِ هِزَّانَ الطِّوَالِ الْغَرَانِقَهْ

(٤٢)

وقال يمدح يزيد وعبد المسيح الحارثيَّيْن :

١ — أَيَا سَيِّدَيْ نَجْرَانَ لَا أُوصِيَنْكُمَا ‏ ‏ ‏ بِنَجْرَانَ فِيمَا نَابَهَا وَاعْتَرَاكُمَا ‏ (طويل)

٢ — فَإِنْ تَفْعَلَا خَيْرًا وَتَرْتَدِيَا بِهِ ‏ ‏ ‏ فَإِنَّكُمَا أَهْلٌ لِذَاكَ كِلَاكُمَا

٣ — وَإِنْ تَكْفِيَا نَجْرَانَ أَمْرَ عَظِيمَةٍ ‏ ‏ ‏ فَقَبْلَكُمَا مَا سَادَهَا أَبَوَاكُمَا

٤ — وَإِنْ أَجْلَبَتْ صِهْيَوْنُ يَوْمًا عَلَيْكُمَا ‏ ‏ ‏ فَإِنَّ رَحَى الْحَرْبِ الدَّكُوكِ رَحَاكُمَا

(١ — ٢) الجارة هنا زوجته . بيني أي فارقي . غاد وطارقة ، ذكر (غاد) على إرادة الجمع ، وأنث (طارقة) على إرادة الجماعة . الغادي الذي يأتي غدوة في الصباح ، والطارق الذي يطرق أي يأتي ليلا . وإلا ، أي وإن لا تفارقي . وروى (وألا بفتح الهمزة) على تقدير : الفراق خير من العصا ومن أن تظل العصا لا محة فوق رأسك . بارقة خبر لا تزال . وبرق الشيء (كنصر) لمع وتلألأ .

(٣ — ٦) البائقة المصيبة . حصان الفرج عفيفة غير متهمة في عرضك . مومومقة محبوبة . وامقة محبة . منكح مصدر ميمي من نكح المرأة أي تزوجها . غرانقة جمع غرنوق (بضم الغين) وهو الشاب الأبيض الجميل .

(٤٢)

(١ — ٤) صهيون معناها الجبل المشمس أو الجاف . وقد يطلق هذا الاسم للدلالة على كل أورشليم . ولكنه ينحصر غالبا في الجبل الجنوبي الغربي من المدينة ... وكانت صهيون في سابق العصور أشرف قسم في أورشليم ، وفيها بيوت الأكابر . وكان في زاويتها الشمالية الغربية القصر البهيج ، الذي بناه (هيرودس) ، والذي سمي بعد ذلك (دار الولاية) ، لأن الوالي الروماني كان يسكنها (قاموس الكتاب المقدس) .
دك الحائط دقه وهدمه حتى سواه بالأرض . والحرب الدكوك هي الحرب المدمرة التي لا تبقي شيئا .

هذه القطعة ، والقطع الثلاث التي تليها (٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦) وكذلك القطعة (٥٠) ، كلها من الرجز . والرجز من أسهل ضروب الشعر وأبسطها تركيبا . وقد كان النقاد يعتبرونه دائما أحط مرتبة من بحور الشعر الأخرى . وربما أخرجوه من الشعر ليجعلوه فنا قائما بنفسه . فهو فن شعبي ، أقرب إلى (الزجل) و (المواويل) في عصرنا هذا . وأكثر ما كان يشيع بين الأعراب ، وبين أصحاب المواهب المحدودة ، والناشئين في الشعر ، الذين لا تتجاوز شهرتهم الفنية حدود القبيلة . أما مشاهير الشعراء ، فقد كانوا يترفعون عن تناوله ، ولا يكادون يقولونه إلا نظرا ، ومجاراة لأصحابه ، وإثباتا لقدرتهم عليه . ولذلك ، فمن الراجح أن تكون هذه القطعة والقطع الثلاث التي تليها من إنتاج الأعشى المبكر . ولو أن الأعشى هجا هؤلاء القوم وهو شاعر كبير ، لأنف أن يسلك طريق الرجز ، واختار الشعر .

ويمتاز الرجز من بين سائر ضروب الشعر بكثرة ما فيه من الغريب ، وببعده عن الصناعة المهذبة المحكمة . وربما كان ذلك من مظاهر شعبيته . أما الشعر ، فقد كان يجرى على أساليب معينة ، وألفاظ مختارة منتقاة ، تختلف بعض الاختلاف عن لغة الحديث اليومى المألوف . وذلك يعلل لنا ما نجد من تشابه في أساليب الشعراء ، على اختلاف قبائلهم ، وتباين ما بين لهجاتهم .

ويظهر في الرجز آثار الارتجال والعجلة ؛ فهو صورة من تلك البيئة البدوية الخشنة الجافية ، في ألفاظه وفي صوره . من أجل ذلك كان الشعر القديم أقل غرابة من الرجز بالقياس إلينا . لأن احترام الناس للشعر — دون الرجز — قد ضمن للغته وأساليبه أن تبقى حية على الألسن ، وأن لا تتغير إلا في أضيق الحدود . وبينا ظل الشعراء على مر العصور يتداولون لغة هذا الشعر القديم وألفاظه وأساليبه ، انقطعت صلتنا بألفاظ ذلك الرجز القديم وأساليبه ، لأنه كان صورة من لغة الحديث ، التي خضعت للتطور والتغير على مر العصور ، ولم تلق من عناية الناس والنقاد ما يثبتها ويضمن لها شيئا من الاستقرار . وليس بصحيح ما يظنه الناس ، من أن هذا الشعر القديم الذى تتداوله وتتدارسه ، كان يكتب باللغة التي يتكلمها الناس . فالواقع أن لغة الأدب كانت في كل عصر وفي كل مكان — ولا تزال — تختلف عن لغة الحديث .

والرجز — بحكم تركيبه وبنيته التي تتكون من وحدة مكررة ، تتوالى فيها الحركة والسكون — من أكثر فنون القول ملاءمة لمصاحبة الحركات الرتيبة التي تجرى على نسق واحد ، كسير الابل ، وحركات الجند في القتال ، واضطرابهم في ميدانه ، وحفر الآبار ، ومتح الماء منها بالدلاء .

وقد طغى الشعر على الرجز شيئا فشيئا ، حتى ضيق نطاقه وأكسده ، فأصبح مقصورا في صدر الاسلام على طبقة من الاعراب ، أمثال العجاج ، وابنه رؤبة ، وحفيده عقبة ، ومن تشبه بهم ، وسلك مسالكهم .

يقول الأعشى :

١ — ألا تعجبون معي للعجب العُجَاب .

٢ — بنو قُلَابة المتقلبون .

٣ — يشمخون بأنوفهم فخراً ويتيهون .

٤ — وأستاههم العارية تباشر الأرض ، وقد عفَّر شعرها بالتراب .

٥ — يارَخَماً قد وقف في شدة القَيْظ ، يرقب أستاه الخارئين .

٦ — يُعْجِل أكُفَّهم عن مسح أستاههم ويسبقها إلى الأقذار .

٧ — ——————————————

٨ — ——————————————

٩ — أهل العقول الراجحة ، والنسب العريق .

١٠ — والخمر التي تذْهِب الهم ، والزبيب .

وقال يهجو وائل بن شرحبيل بن عمرو بن مرثد وقومه :

(رجز)

١ — أَلَمْ تَرَوْا لِلْعَجَبِ ٱلْعَجِيبِ

٢ — إِنَّ بَنِي قِلَابَةَ ٱلْقَلُوبِ

٣ — أُنُوفُهُمْ مِلْفَخْرِ فِي أُسْلُوبِ

٤ — وَشَعَرُ ٱلْأَسْتَاهِ بِٱلْجَبُوبِ

٥ — يَارَخَمًا قَاظَ عَلَى يَنْخُوبِ

٦ — يُعْجِلُ كَفَّ ٱلْخَارِئِ ٱلْمُطِيبِ

٧ — ....

٨ — ....

٩ — أَهْلُ ٱلنُّهَى وَٱلْحَسَبِ ٱلْحَسِيبِ

١٠ — وَٱلْخَمْرِ وَٱلتِّرْيَاقِ وَٱلزَّبِيبِ

(٢ — ٣) القلوب الكثير التقلب والتغير ، على وزن فعول ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع . الأسلوب الشموخ فى الأنف ، وأتيه فى أسلوب أى لا يلتفت يمنة ولا يسرة ، يقال للمتكبر .

(٤ — ٦) الجبوب الأرض . الاست الدبر جمعها أستاه . الرخم طائر يأكل العذرة ، وهو من أكثر الأجناس طلبا لها وسميا وراءها . ولئام الطير عند العرب ثلاثة : الغربان والبوم والرخم . والرخم أخبثها لجبنه وكسله وقذارته . قاظ من القيظ (بفتح القاف) وهو شدة الحر . الينخوب الجبان ، والينخوبة الاست . ويمكن فهم الشعر على الوجهين . فعلى الأول يصور هذا الطائر فى البيت التالى (٦) حين يفزع إذا أخذ المتطيب حجرا ليتمسح به ، ظنا منه أنه يريد أن يرميه . وعلى الوجه الثانى ، يكون المعنى أن هذا الطائر يبادر إلى القذر ويسبق إليه قبل أن يتطيب صاحبه . والتطيب الاستنجاء .

(٩ — ١٠) النهى العقل ، لأنه ينهى عن القبيح . الحسب ما يعد من مفاخر الآباء . الدرياق والترياق رومى معرب ، معناه دواء السموم . والدرياقة (بالدال والتاء) الخمر ، لأنها تذهب الهم . قال حسان :

من خمر بيسان تخيرتها درياقة توشك فتر العظام

في هذا الرجز إقواء — وهو اختلاف حركة الروي — فالروي مضموم في الأبيات السبعة الأولى ولكنه مكسور في الأبيات الثلاثة الأخيرة . ويمكن تفادي هذا الاقواء بتسكين أواخر الأبيات . على أن بعض المشهورين من شعراء الجاهلية قد أتوا في شعرهم . والرجز أليق بمثل هذا التجوز ، لما قدمنا من أنه فن شعبي.

١ — لست بالضعيف ، ولست بالخائر الكثير الزلل والعثار

٢ — مضت الفرصة ، ولم يعد أمامكم وقت لتجنب المعركة ، فلا سبيل إلى الفرار .

٣ — (بنو شُرَحْبِيل) في الذل والدناءة سواء .

٤ — منهم (ضُبَيْعَة) الجبان الكثير الضراط .

٥ — ضخم الجثة ، ولكنه مجرّب معروف ، ليس عنده غير الصياح والعياط .

٦ — وأما (وائل) الأصلع ، فكأنه مخاط .

٧ — تَزِلُّ عن جبهته الأمشاط .

٨ — لقد ابْتُلِيتم مني ببلية ، يسطو على القِرْن ويبطش بالرجال .

٩ — ويثبت للخصم ، ولا يعيا بالجواب ، مهما امتد المَدَى وطال.

١٠ — كالفرس السابق العدَّاء ، لا يفتر نشاطه ، ولا يدركه الكَلاَل .

— ٤٤ —

وقال يهجوهم :

١ — لا فَشَــلٌ فِيَّ وَلَا سِقَاطُ

٢ — لَيْسَ أَوَانَ يُكْرَهُ ٱلْخِلَاطُ

٣ — بَنُو شُرَحْبِيلَ سَوًى بِسَــاطُ

٤ — وَعَنْهُمُو ضُبَيْعَةُ ٱلْمِضْرَاطُ

٥ — صَمَحْمَحٌ مُجَرَّبٌ عَيَّاطُ

٦ — وَوَائِلٌ كَأَنَّهُ مُخَــاطُ

٧ — يَزِلُّ عَنْ جَبْهَتِهِ ٱلْأَمْشَــاطُ

٨ — لَقَدْ مُنُوا بِتَيِّحَانٍ سَاطِي

٩ — ثَبْتٍ إِذَا قِيــلَ لَهُ يُعَاطِي

١٠ — أَخْرَجَ حُضْرًا غَيْرَ ذِي نِيَاطِ

(١ — ٣) الفشل الضعف والتراخي والجبن . السقاط العثرة والزلة . الخلاط مصدر خالطه أي مازجه وعاشره . سوى متساوون لا فرق بينهم . بساط جمع بسيط أو بسيطة وهو المنبسط المستوى . شرحبيل أبو وائل الذي يهجوه .

(٤ — ٦) مضراط مفعال ، أي كثير الضراط . الصمحمح الرجل الشديد المجتمع الألواح . وهو كذلك القصير والأصلع . مجرب معروف على حقيقته ، لأنه قد جرب أي امتحن واختبر مرة بعد أخرى . عياط كثير الصياح . وائل بن شرحبيل اسم المهجو .

(٧ — ١٠) يزل يزلق . فرس تياح (كشداد) ومتيح (كمنبر) وتيحان ، أي جواد . ورجل متيح ومتيحة لا يزال يقع في بلية . ساطي اسم فاعل من سطا يسطو ، أي صال ووثب وبطش . ثبت ثابت عند الخصومة . يعاطي يتبادل الهجاء . الحضر (بضم الحاء) ارتفاع الفرس في عدوه . والحضر (بفتح فسكون) ذو البيان . نياط جمع نيط (بفتح فسكون) وهو الوتد والأجل . ونياط الصحراء أقطارها . يقصد أنه لا يعجز ولا ينتهي نشاطه إلى مدى .

(٤٥)

١ — إن تورطوا ياقومنا فى عداوتنا ، وتوردوا أنفسكم موارد الضيق .

٢ — فنحن أشداء تثقل وطأتنا ، ولا يستساغ ظلمنا ولا يطاق .

٣ — عليك يا (خُثَيْمُ) بالأعداء ، وحَرِّك (البَزْباز) للقتال .

٤ — فلدينا سلاح مدخر كثير .

٥ — وجياد ضامرات ، تضرب فى قلب الصحراء .

٦ — تحمل على ظهورها عدة القتال .

٧ — وجِمَال شداد سراع .

(٤٦)

١ — أقدم يا (خُثَيْم) فاليوم قاس شديد .

٢ — يتمخض عن مولود مشئوم ، قد نبت من خلف أذنه الشعر .

٣ — لم تر مثله شمس ولا قمر .

٤ — فأقدم غير هياب إذا حمى القتال .

٥ — وزاحم العدو بكل بطل مغوار ، يثبت فى ساعة الشدة ، حين يتخلف الهيَّابة الجبان .

٦ — كن عند ذاك سماً قاتلا مر المذاق .

٧ — واضرب فى غير هوادة ، حين يفر الجبناء مولين الأدبار .

(٤٥)

وقال لابن أخيه خُشَيْم بن حمة بن قيس بن جَنْدَل يحرضه على القتال :

١ — يا قَوْمَنا إِنْ تَرِدُوا النِّكازَا (رجز)
٢ — لا تَجِدُوا لِظُلْمِنَا مَجازَا
٣ — وَيْهًا خُشَيْمُ حَرِّكِ البَزْبازَا
٤ — إِنَّ لَدَيْنَا حَلَقًا كِنازَا
٥ — وَقافِلاتٍ ذَهَبَتْ أَجْوازَا
٦ — يُلْقَى عَلَى مُتُونِها البَزازَا
٧ — تَرَى لَنا عَرَكْرَكًا جَمَّازَا

(٤٦)

وقال له :

١ — وَيْهًا خُشَيْمُ إِنَّهُ يَوْمٌ ذَكَرْ (رجز)
٢ — مُذَمِّرٌ سَقْبًا بِذِفْراهُ شَعَرْ
٣ — لَمْ تَرَ تَحْمِسْ مِثْلَهُ وَلَا قَرْ
٤ — فَادْنُ مِنَ البَأْسِ إِذَا البَأْسُ حَضَرْ
٥ — وَزاحِمِ الأَعْداءَ بِالثَّبْتِ الغَدِرْ
٦ — كُونُنْ كَسَمٍّ نَاقِعٍ فِيهِ الصَّبِرْ
٧ — وَارْجُمْ إِذَا مَا ضَيَّعَ النَّاسُ الدُّبُرْ

---

(٤٥)

(١ — ٣) النكوز البئر التي ذهب ماؤها ، فعله نكز (كنصر وعز) . وهو في منكزة من العيش أي في ضيق . مجازا أي مساغا . ويها كلمة إغراء وتحريض . البزباز السريع في السير ، وهو هنا اسم رجل .

(٤ — ٧) الحلق الدروع والسلاح . كناز كثير مدخر . قافلات أي أفراس ضامرات ، قفل الفرس (كضرب) ضمر . أجواز جمع جوز ، وجوز الشيء وسطه ومعظمه . وأجواز الفلا وسطها ومعظمها . البزاز أي البز (بفتح الباء) وهو السلاح . العركرك الجمل القوى الغليظ . جماز سريع .

(٤٦)

(١ — ٢) ويها كلمة إغراء وتحريض . يوم ذكر شديد . ذمر أدخل يده في حياء الناقة ، لينظر أذكر جنينها أم لا . الذفرى من الحيوان هو العظم الذي خلف الأذن ، والشعر لا ينبت في هذا الموضع . السقب ولد الناقة ساعة يولد ، وقيل إنه خاص بالذكر . يقول إن هذا اليوم سيتمخض عن مثل هذا المولود المشؤوم .

(٤ — ٥) البأس الحرب والقتال . غدر عن أصحابه (كعلم) تخلف . وثبت الغدر ، الذي يثبت في القتال حين يتخلف الناس .

(٦ — ٧) سم ناقع أي قاتل . الصبر (بفتح فكسر) عصارة شجر مر ، ولا تسكن الباء إلا لضرورة الشعر . رجمه (كنصر) قذفه وقتله . ضيع الناس الدبر أي فروا في القتال ، وولوا ظهورهم ، لا يقدرون على حمايتها .

(٤٧)

تتفق هذه الأبيات مع أبيات القصيدة (٢٦) وزنا وقافية وموضوعا . ومن المحتمل أن تكون جزءا منها ، والاشارة إلى النساء فى البيتين (١ ، ٢) ليس لها صلة ظاهرة بالموضوع . وقد يكون فيها تعريض خفى بشىء يتصل بحياة قيس بن مسعود ، كأن يكون فراره فى يوم (عباعب) خوفا من الموت ، وحرصا على أن يستمتع بالحياة ، إلى جانب زوجة يحبها أو خليلة . وقد تقدمت ترجمة قيس بن مسعود فى القصيدة (٢٦) .

يقول الأعشى :

١ — يلوم النساء الفتى للهفوة الصغيرة ، ثم يتخلين عنه ويخذلنه ، إن أصابه الدهر بمكروه .

٢ — ويزعمن أنهن لا يُطِقْنَ الحياة بعده ، فإذا مات سلونه ونسينه .

٣ — متى جئتنا تعدو بك فرس كريمة تَهْوِى كالعُقَاب ، فنكّس الرأس خزياً وتجنب لقاءنا

٤ — صددت عن العدو يوم (عُبَاعِبٍ) مولياً الأدبار ، كما تصد الخيلُ قد حبسها اللجام .

(٤٨)

١ — وجدت (أبا الخنساء) خير الناس ، فصدقته مدحى خالصاً ، ووقفت عليه شعرى مجداً .

٢ — وإن النفس لتطيب بوعدك ، فهو وعد رجل حر ، آت لا ريب فيه .

٣ — ما أعرف فوق بيتك بيتاً فى الناس . وكذلك تنمو الأشجار على مغارسها ، وتطيب الفروع إذ كرمت الأصول .

---

(٤٩)

١ ....

٢ — شبابهم خير شباب ، وكهولهم سادة حلماء ، لا يستفزهم الغضب .

٣ — يخفون غير متكاسلين ، للجليل الخطير من المهام . ولا تراهم — حيثما ذهبوا — إلا مطالبين بثأر ، ساعين لقتال .

(٤٧)

وقال يعيّر قيسَ بن مسعود فزارةَ يومَ عُباعِب :

١ — يَلُمْنَ ٱلْفَتَى إِنْ زَلَّتِ ٱلنَّعْلُ زَلَّةً ... وَهُنَّ عَلَى رَيْبِ ٱلْمَنُونِ خَوَاذِلُ (طويل)

٢ — يَقُلْنَ حَيَاةٌ بَعْدَ مَوْتِكَ مَرَّةً ... وَهُنَّ إِذَا قَفَّيْنَ عَنْكَ ذَوَاهِلُ

٣ — مَتَى تَأْتِنَا تَعْدُو بِسَرْجِكَ لِقْوَةٌ ... صَبُورٌ تُجَنِّبْنَا وَرَأْسُكَ مَائِلُ

٤ — صَدَدْتَ عَنِ ٱلْأَعْدَاءِ يَوْمَ عُبَاعِبٍ ... صُدُودَ ٱلْمَذَاكِي أَقْرَعَتْهَا ٱلْمَسَاحِلُ

(٤٨)

وقال يمدحُ رجلا :

١ — إِنِّي وَجَدْتُ أَبَا ٱلْخَنْسَاءِ خَيْرَهُمُ ... فَقَدْ صَدَقْتُ لَهُ مَدْحِي وَتَمْجِيدِي (بسيط)

٢ — إِنَّ عِدَاتِكَ إِيَّانَا لَآتِيَةٌ ... حَقًّا وَطَيِّبَةً مَا نَفْسُ مَوْعُودِ

٣ — مَا فَوْقَ بَيْتِكَ مِنْ بَيْتٍ عَلِمْتُ بِهِ ... وَفِي أَرُومَتِهِ مَا مَنْبِتُ ٱلْعُودِ

(٤٩)

وقال :

١ — .... يَزِبُ (بسيط)

٢ — .... كَمُخْلِفِهِمْ ... وَلَا كَأَحْلَامِهِمْ إِنْ هَاجَهُمْ غَضَبُ

٣ — تَرَاهُمُو غَيْرَ أَثْبَاطٍ بِمَذْرَعَةٍ ... تَوَابِعَ لِلْحِيمِ حَيْثُمَا ذَهَبُوا

---

(٤٧)

(١ — ٢) يلمن ، الضمير عائد على النساء . زل ، زلق عن صخرة أو نحوها ، وزلت نعله ، تورط فى خطأ أو وقع فى محظور . ريب المنون نوائب الدهر وحدثانه . خذله تخلف عن نصرته وأسلمه . لقا الشيء يقفوه تبعه . قفين أى مشين بعد موته وخلفن بعده . ذهل عنه (كفتح) نسيه وسلاه .

(٣ — ٤) اللقوة (بفتح اللام وكسرها) العقاب الأنثى وهو طائر سريع ، يشبه به الفرس . صبور ، تصبر على القتال والقتال وتقوى عليها . رأسك مائل أى منكس خزيا . أو أنه يميل على السرج فى جانب ، لجبنه ولأنه ليس متمكنا فى الفروسية والقتال . المذاكى الخيل التى تم سنها وكملت قوتها ، والمفرد مذكٍ (بضم الميم وتشديد الكاف وكسرها) . أقرع الدابة بلجامها حبسها وردها . المساحل جمع مسحل (بكسر الميم) وهو اللجام أو حديدته .

(٤٨)

(٢ — ٣) عدات جمع عدة أى وعد ، مصدر وعد (كضرب) . طيبة ما نفس موعود ، ما زائدة ، وموعود مضاف إليه ، أى أن نفس الموعود تطيب بوعدك ، لأنها واثقة أنك ستنفذه وتبر به . الأرومة أصل الشجرة . ما زائدة . العود ضرب من الطيب يتبخر به

(٤٩)

(١ — ٣) وزب الماء يزب (كضرب) سال . وأوزب فى الأرض إزابا ذهب فيها . المخلف (بصيغة اسم الفاعل) الغلام المراهق . أخلف الغلام راهق الحلم . هاجهم غضب ، أثارهم . أثباط جمع ثبط (بفتح فكسر) وهو الكسول الثقيل . ذرع الفرس (ككرم) كان واسع الخطو . وذرعت الناقة الصحراء ، قطعتها مسرعة . أى أنهم لا يبطئون ولا يتكاسلون فى الموضع الذى يتطلب السرعة والنشاط . لحم (على البناء للمجهول) قتل ، فهو لحيم أى قتيل .

(٥٠)

ينتسب الأعشى إلى (سعد بن ضبيعة) ، أما بنو قيئة الذين يهجوهم فهم بيت من (سعد بن مالك بن ضبيعة) أبناء عمومة (سعد بن ضبيعة) الذين ينتسب إليهم طرفة الشاعر . ومن المرجح أن يكون هذا الرجز من إنتاج الأعشى المبكر ، كما قدمنا قبل ذلك .

يقول الأعشى :

١ — إن بنى (قَيْئة بن سعد) .

٢ — كلهم دَعِىٌّ أو عبد .

٣ — ألأم من الكلاب الملتوية الأذناب .

٤ — وأذل من الكلاب فى أعناقها الأطواق .

٥ — إن نسبتهم لم تجدهم إلا رعاة .

٦ — عبيد أذلاء ، بين عاجز ضعيف ، وساقط دنىء .

٧ — لا يكادون يبصرون قبرا حديث العهد ،

٨ — حتى يُنْبشوا فيه ، نبش فيران القبور العمياء .

٩ — نَبْشٌ فقد بلغت قعر اللحد !

١٠ — واهناً ، فقد ظفرت بهامَةٍ وشطر من ثوب .

(٥١)

بنو جحدر ، الذين ينتسب إليهم شيبان بن شهاب ، هم أبناء عمومة سعد بن ضبيعة ، الذين ينتسب إليهم الأعشى . فكلا البيتين فرعان من (قيس بن ثعلبة) . وقد تقدم للأعشى فى هجاء شيبان بن شهاب قصيدتان ، هما (١٠) ، (٢٠) . وله بعد هذا قصيدتان فى هجاء قومه بنى جحدر تهديداً لهم ، وهى القصيدة (٢٣) ، وستجيء الأخرى ، وهى القصيدة (٥٣) . وستجيء هذه القطعة مكررة فى هذا الديوان ، وقد أضيف إليها بيت واحد ، فى القطعة (٦١) .

يقول الأعشى :

١ — سينصرف قوم لشأنهم ، ويُتْرك آخرون قد وَرِمَتْ منهم الكُرات .

٢ — يكر عليهم (ابن جحدر) بفرسه ، ويخوض معهم (معظم) القتال ، لا يلتمس فى التخلف عنه المعاذير .

(٥٠)

وقالَ يَهجُو بَنِي قَيْنَةَ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ ضُبَيْعَةَ بْنِ قَيسِ بْنِ ثَعْلَبَةَ :

١ — إِنَّ بَنِي قَيْنَةَ بْنِ سَعْدِ (رجز)

٢ — كُلُّهُمُ لِمُلْصَقٍ وَعَبْدِ

٣ — أَدْنَى لِشَرٍّ مِنْ كِلَابِ عِقْدِ

٤ — وَهُمْ أَذَلُّ مِنْ كِلَابِ عِقْدِ

٥ — يُعْزَوْنَ بَيْنَ وَبَرٍ وَقِدِّ

٦ — عِبْدَانُ بَيْنَ عَاجِزٍ وَوَغْدِ

٧ — إِنْ يُبْصِرُوا قَبْرًا حَدِيثَ الْعَهْدِ

٨ — يَنْبُشُوا فِيهِ احْتِفَارَ الْخُلْدِ

٩ — انْقُرْ فَقَدْ بَلَغْتَ قَعْرَ اللَّحْدِ

١٠ — وَهَامَةٌ وَشِقَّةٌ مِنْ بُرْدِ

(٥١)

وقَالَ يَمْدَحُ شَيْبَانَ بْنَ شِهَابٍ الجَحْدَرِيَّ، ومَطَرَ بْنَ شَرِيكٍ الشَّيْبَانِيَّ :

١ — سَيَذْهَبُ قَوْمٌ ذَاهِبُونَ لِشَأْنِهِمْ ... وَيَتْرُكُ قَوْمٌ وَزْمَ الْكَرَاتِ (طويل)

٢ — يَكُرُّ عَلَيْهِمْ بِالسَّحِيلِ ابْنُ جَحْدَرٍ ... وَمَا مَطَرٌ فِيهَا بِذِي عَذَرَاتِ

(١ — ٤) الملصق الدعي غير الثابت النسب . لملصق أي ينتسبون لملصق . عقد (بضم فسكون) جمع أعقد ، وهو الملتوى الذنب من الكلاب والذئاب . العقد (بكسر العين) القلادة.

(٥ — ٦) عزا فلانا إلى أبيه يعزوه ويعزيه (واوى ويائى) نسبه إليه . الوبر صوف الجمال . القد (بكسر القاف) إناء من جلد ، والقد كذلك السوط ، يقصد أنهم رعاة وليسوا سادة . عبدان (بكسر العين) جمع عبد . الوغد الساقط الدنيء .

(٧ — ٨) الخلد دابة عمياء في مثل حجم الفأر وشكله تنبش القبور . ويضرب بها المثل في حدة السمع . قبرا حديث العهد ، خصه بأنه حديث العهد ، لأن لصوص المقابر ينبشونها قبل أن تتعفن الجثة فتتلف الأكفان .

(٩ — ١٠) الهامة طائر صغير من طير الليل يألف المقابر . وقيل هو الصدى ، الطائر الذى يخرج من رأس الميت فى زعمهم . الشقة القطعة المشقوقة المستطيلة من الثوب . والبرد ثوب مخطط.

(٥١)

(١ — ٢) الكرات جمع كرة (بالتحريك) وهى رأس الذكر . السحيل اسم فرس . عذرات جمع عذرة (على وزن اسم المرة) أى أنه لا يلتمس الأعذار لتجنب القتال وتفاديه . ابن جحدر هو شيبان بن شهاب . مطر هو مطر بن شريك بن عمرو (من ذهل بن شيبان) . وكانا قد أغارا على أرض النعمان بن المنذر فأخذا محلّا وطرائف له فيها ، ثم عرضا إلى الشام .

هذه القصيدة إحدى القصائد القليلة فى ديوان الأعشى ، التى فرغ فيها الشاعر للفنه ، فلم يمدح ولم يفتخر ولم يهج . فالقصيدة كلها غزل ووصف. وتمتاز هذه القصيدة بظاهرة كثيرة الشيوع فى شعر الأعشى ، هى الاستطراد . فقد يحدث أن يشبه الشاعر شيئاً بشىء ، ثم يسترعى المشبه به انتباهه ، فيستطرد إلى وصفه فى تفصيل طويل . وقد كانت هذه الظاهرة معروفة مشهورة عند الجاهليين ، فى شعر الناقة . فقد كانوا يشبهونها بالنعامة تارة ، وبحمار الوحش أخرى ، أو بثور وحشى . ثم يستطردون لوصف هذا الثور أو ذاك الحمار أو تلك النعامة . ولكن الأعشى توسع فى استعمال هذه الظاهرة توسعاً ميزه عن غيره من الشعراء . فاستعملها فى كل فنون الشعر . وقد تكررت هذه الظاهرة فى القصيدة التى بين يدينا ثلاث مرات .

(١ —٥) يبدو الأعشى هنا وقد أسن ومل النساء ، فهو يحدث نفسه قائلا : أما للجرى وراء النساء وطلب الغانيات من نهاية ؟ كف عن ذلك واتئه ، فطالب النساء حقيق أن يمل ، إذا كان حبيبه غير مخلص ، لا يمنحه حبا بحب . وهو يقول: إن حوادث الدهر ونوائبه قد علته ، فصار حكيما بعدجهل . فهو يقول للسفيه الجاهل ، إذا استشاره فى بعض شأنه : ما أرى طلاب الغانيات إلا جهلا وحمقا . يقول ذلك ، وقد كان اللهو والغزل كل همه فى بعض أيامه الخالية . وهو يصور النساء فى خبثهن الختال ، إذ يسترقن النظر إلى الرجال فى هوادجهن ، من خلف الستور المطرزة الموشاة .

(٦ —١١) أصبح الأعشى قليل العناية بالنساء ، لا يكاد يعيرهن التفاتا . ولكنه مع ذلك لا يستطيع أن ينسى صاحبته (قتيلة) ، التى غلبت على قلبه ، وخصها بمعظم غزله . فهو يصفها بين النساء ، فيشبهها بغزال أكحل العينين ، قد نما مترعرعا ، يرتع فى واد جاده مطر الخريف فأعشب واخضر ، ينادى أمه فى صوت ضعيف رخيم ملؤه الحنان .

ويسترسل الشاعر فى خياله ـ على عادته فى كثير من المواضع ـ فيمضى مع هذا الظبى الصغير، شبيه صاحبته ، يصفه ، ويخلع عليه أجمل صور الحنان والرقة والضعف ، الذى يشبه ضعف الأنوثة الناعمة . فهو بض ، أسود العينين ، ضعيف المنكبين ، يصيح فى صوت باغم حنون حين تعانقه أمه. وقد شب ونما فى رعايتها ، ترضعه المرة بعد المرة ، كلما اجتمع فى ضرعها شىء قليل من اللبن. وقد ملىء قلبها إشفاقا عليه، فهى لا تخرجه إلا فى مكان أمين قد أحاطت به الأشجار، تخفى ماوراءها وتستره حين يعم الدفء، ويطن الذباب الرمادى اللون ، بين الأيك المتشابك الأغصان . يرعى شجر الأراك ، وقد تهدلت ثماره ، ونبتت من حوله الزهور ندية مشرقة . وهى لا تزال ترعاه بعينها ، تخشى عليه أن يضل إذا ابتعدت عنه .

(١٢—١٥) ويفيق الشاعر بعد هذه الجولة الحالمة ، ويرجع إلى نفسه ليقول : أرى إلى هذه الظبية الجميلة الناعمة ! إنها تشبه (قتلة) ، بل إن قتلة لتفوقها جمالا حين تبدو سافرة .

وقال :

١ — أَقْصِرْ فَكُلُّ طَالِبٍ سَيَمَلْ ‏ ‏ إِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى الْحَبِيبِ عَوَلْ ‏ ‏ (سريع)

٢ — أَحْكَمَهُ رَيْبُ الْمَنُونِ وَمَا ‏ ‏ يُحْكِمُ فِي الْـ ....

٣ — فَهْوَ يَقُولُ لِلسَّفِيهِ إِذَا ‏ ‏ آمَرَهُ فِي بَعْضِ مَا يَفْعَلْ

٤ — جَهْلُ طِلَابِ النَّابِيَاتِ وَقَدْ ‏ ‏ يَكُونُ لَهْوٌ هَمُّهُ وَغَزَلْ

٥ — السَّارِقَاتِ الطَّرْفَ مِنْ ظُعُنِ الْـ ‏ ‏ حَيِّ وَرَقْمٌ دُونَهَا وَكِلَلْ

٦ — فِيهِنَّ مَخْرُوفُ النَّوَاصِفِ مَسْـ ‏ ‏ رُوقُ الْبُغَامِ شَادِنٌ أَكْحَلْ

٧ — رَخْصٌ أَحَمُّ الْمُقْلَتَيْنِ ضَعِيـ ‏ ‏ فُ الْمَنْكِبَيْنِ لِلْعِنَاقِ زَجِلْ

٨ — تَعُلُّهُ رَوْعَى الْفُؤَادِ وَلَا ‏ ‏ تَحْرِمُهُ عُفَافَةً جَزَلْ

٩ — تُخْرِجُهُ إِلَى الْكِنَاسِ إِذَا الْـ ‏ ‏ تَجَّ ذُبَابُ الْأَيْكَةِ الْأَطْحَلْ

١٠ — يَرْعَى الْأَرَاكَ ذَا الْكَبَاثِ وَذَا الْـ ‏ ‏ مَرْدِ وَزَهْرًا نَبْتُهُنَّ خَضِلْ

١١ — تَخْشَى عَلَيْهِ أَنْ تَبَاعَدَ أَنْ ‏ ‏ تَغْنَى بِهِ مَكَانَهُ فَيَضِلْ

١٢ — ذَلِكَ مِنْ أَشْبَاهِ قَتْلَةَ أَوْ ‏ ‏ قَتْلَةُ مِنْهُ سَافِرًا أَجْمَلْ

١٣ — بَيْضَاءُ جَمَّاءُ الْعِظَامِ لَهَا ‏ ‏ فَرْعٌ أَثِيثٌ كَالْحِبَالِ رَجِلْ

١٤ — عُلِّقْتُهَا بِالشَّيْطَيْنِ فَقَدْ ‏ ‏ شَقَّ عَلَيْنَا حُبُّهَا وَشَغَلْ

(١ — ٣) أقصر كف وانتهى . عول عليه اتكل واعتمد ، والاسم عول (بكسر ثم فتح) . أحكمه صيره حكيما . ريب المنون نوائب الدهر . آمره استشاره .

(٥ — ٦) السارقات صفة للنابيات فى البيت السابق . الظعن جمع ظعينة ، وهى الهودج إذا كانت فيه امرأة . الرقم ضرب من الوشى أو الخز أو البرود . الكلل الستور ، جمع كلة (بكسر الكاف وفتح اللام وتشديدها) . خرفت البهائم (على البناء للمجهول) أصابها مطر الخريف فأنبت لها ما ترعاه ، فهى مخروفة . النواصف جمع ناصفة ، وهى ما اتسع من الوادى . بغمت الظبية (كنصر وضرب وعلم) صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها . شدن قوى وترعرع . أكحل أسود الجفون .

(٧ — ٩) رخص بض طرى . أحم أسود . الزجل رفع الصوت والتطريب . تعله تسقيه مرة بعد أخرى . روعى الفؤاد ، فزعة فهى ترتاع لكل ما سمعت أو رأت لحدة إحساسها . العفافة بقية اللبن فى الضرع ، بعد ما امتك أكثره . جزل قوى واشتد . الكناس بيت الظبى فى الشجر يستتر فيه . التجت الأصوات اختلطت . الطحلة لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد .

(١٠ — ١٤) الأراك شجر يتخذ من قضبان السواك . البرير ثمر الأراك ، أوله كباث ، ثم مرد ثم برير . خضل مبلل بالندى . سفرت المرأة (كضرب) كشفت عن وجهها . جماء العظام أى كثيرة اللحم على عظامها . فرع شعر . أثيث غزير . شعر رجل ليس بالسبط المترسل ، ولا الجعد الملتوى ، ولكنه بين ذلك . الشيطان واديان فى ديار بنى تميم . ويبدو من شعر الأعشى فى (قتيلة) أنها كانت فى اليمامة ، ثم ارتحلت إلى نجد . فهو يشير فى القصيدة (١٨) إلى (الشط) و (الوتر) و (حاجر) و (ركن مهراس) و (مارد) و (منفوحة) ، وكلها مواضع باليمامة . ثم يشير إلى رحلتها فى القصيدة (٣٢) . ويذكر فى القصيدة (٣٤) أنه أمضى معها الربيع فى (الستار) و (تيمن) ، وهى فى حى ضرية بنجد .

ويمضى الشاعر فى تصوير صاحبته . فهى بيضاء ، قد امتلأ جسمها باللحم ، حتى دقت عظامها واختفت فما تبين ، يزينها شعر غزير ، يسترسل متموجا متثنيا . رآها الأعشى فى (الشيِّطين) ، فأحبها وتعلق بها حتى شغفت قلبه ، ولقى فى حبها مشقة وعذابا . فقد كانت فاتنة لعوبا ، تصطاد الرجال ، ولكنهم ـ بالغا ما بلغ دهاؤهم وخبرتهم بالنساء ـ لا ينالونها ، ولا يدركون منها مغنما .

(١٦ — ١٨) تمسك السواك بأناملها ، وتجريه على أسنانها المفلَّجة المستوية ، وقد بدت بين لثتيها السمراوين ، براقة بيضاء ، كأنها شوك (السَّيال) ويتخيل الأعشى نفسه وقد ضاجعها ، فاشتمل عليه ساعدها البَضُّ الممتلىء باللحم ، يزينه الوشم ، وقد بدا كأنه جلد مزخرف منقوش ، ويشبه مذاق ريقها العذب الزكى ، بطعم الزنجبيل والتفاح ، قد مزجا بعسل النحل .

(١٩ — ٢٢) ويسترسل الشاعر فى الخيال مرة أخرى ، وينسى نفسه ، فيجول مع الذى يشتار هذا العسل ويجنيه ، مصورا ما يلقى فى استخراجه من عناء . فهو يصعد إلى جبل مرتفع ، وقد تعلق بحبل متين ، وامتلأ قلبه فزعا ورعبا حين أوقد النار ، ليطرد بدخانها النحل من خليته ، فانبعث من حوله كأنه صغار البعوض ، يطن طنينا عاليا . وراح هو يدفعه عن نفسه ، وهو معلق فى الحبل ، فى هذا الجبل الأسود الشاهق ، وقد أحاطت به الصحراء من كل نواحيه .

٢٣ — ويعود الشاعر مرة ثانية إلى صاحبته ليقول : بمثل هذا العسل الصعب المنال ، ممزوجا بالخمر ، قد كانت (قُتَيلَة) تسق وتُعَلّ .

(٢٤ — ٢٥) ويختم الشاعر هذا الوصف الطويل بقوله : آه ، لو أنها تصدق فيما تقول ! ولكنها تُمَنِّى الوعود ، ثم تنتحل فى إخلافها المعاذير . فهى فى تقلب دائم ، تصد تارة ، وتقبل أخرى ، وتترك المحب بين اليأس والرجاء . لا هى تعطى فيرضى ، ولا هى تبخل فيستريح .

(٢٦ — ٢٧) ويتمالك الشاعر نفسه ، ويستجمع عزمه ، ليقول لها فى حزم : قد تعلمين يا (قُتَيلة) ، أنى جدير بأن أقطع حبل الود ، أشد ما يكون اشتباكا واتصالا ، حين يخون الحبيب عهده يا (قُتَل) ' وينبه وَقده ملاء الصَّلَف والغرور . . ولكنه حزم يخفى ضعفا ، واستخفاف أشبه بالاستعطاف . تخفف منه هذه اللهفة البادية فى تكرير اسمها والهتاف به ، مرة بـ (قُتَيلَة) ، وأخرى بـ (قُتَل) .

(٢٨ — ٣٠) نعم ، أنا قادر على أن أقطع حبل الوصل . وإن لى مُتَحَوَّلاً . فوق ناقة ضخمة قوية ، تجرى فى الصحراء ، كما تجرى البكرة الضخمة يدور من حولها الحبل ، قد ادخرت للرحلة ، فلم تقربها

١٥— إذْ هِيَ تَصْطَادُ الرِّجَالَ وَلَا ‏ ‏ يَصْطَادُهَا إذَا رَمَاهَا الأَبِلْ

١٦— تَجْرِي السِّوَاكَ بِالْبَنَانِ عَلَى ‏ ‏ أَلْمَى كَأَطْرَافِ السَّيَالِ رَتِلْ

١٧— تَرُدُّ مَعْطُوفَ الضَّجِيعِ عَلَى ‏ ‏ غَيْلٍ كَأَنَّ الْوَشْمَ فِيهِ خِلَلْ

١٨— كَأَنَّ طَعْمَ الزَّنْجَبِيلِ وَتُفْـ ‏ ‏ ـاحًا عَلَى أَرْيِ الدَّبُورِ نَزَلْ

١٩— يَزْفِي لَقِيدٍ .... وَقَلْ

٢٠— ظَلَّ يَذُودُ عَنْ مَرِيرَتِهِ ‏ ‏ أَهْوَى لَهُ مِنَ الْفُؤَادِ وَجَلْ

٢١— تَحَلَّا كَدَرْدَاقِ الْحَفِيضَةِ مَرْ ‏ ‏ هُوبًا لَهُ حَوْلَ الْوُقُودِ زَجَلْ

٢٢— فِي يَافِعٍ جَوْنٍ يَلْفَعُ بِالْـ ‏ ‏ صَّحْرِيِّ إذَا مَا تَجْتَبِيهِ أَهَلْ

٢٣— يَعُلُّ مِنْهُ فُو قُتَيْلَةَ بِالْـ ‏ ‏ إسْفِنْطِ قَدْ بَاتَ عَلَيْهِ وَظَلّْ

٢٤— لَوْ صَدَقَتْهُ مَا تَقُولُ وَلَـ ‏ ‏ كِنْ عِدَاتٍ دُونَهُنَّ عِلَلْ

٢٥— تَنْأَى وَتَدْنُو كُلُّ ذَلِكَ مَا ‏ ‏ شَتَّى فَلَا تُعْطِي وَلَا تَبْخَلْ

٢٦— قَدْ تَعْلَمِينَ يَا قُتَيْلَةُ إذْ ‏ ‏ خَانَ حَبِيبٌ عَهْدَهُ وَأَدَلْ

٢٧— أَنْ قَدْ أَجُدُّ الْحَبْلَ مِنْهُ إذَا ‏ ‏ يَا قَتْلُ مَا حَبْلُ الْقَرِينِ شَكَلْ

٢٨— بِعَنْتَرِيسٍ كَالْمَحَالَةِ لَمْ ‏ ‏ يُثْنَ عَلَيْهَا لِلضِّرَابِ جَمَلْ

٢٩— مَتَى الْقُتُودُ وَالْفِتَانُ بِأَلْـ ‏ ‏ وَاحٍ شِدَادٍ مَتْنُهُنَّ مُجُلْ

(١٥ — ١٩) الأبل الفاجر والجدل والألد . البنان أطراف الأصابع . الألمى سمرة في باطن الشفة . السيال نبات له شوك أبيض طويل . رتل مفلج حسن الاستواء . غيل (بفتح فسكون) ساعد ممتلئ لحماً . الخلل جمع خلة (بكسر الخاء وتشديد اللام) وهو الجلد المنقوش . الأري عسل النحل . الدبور جمع دبر (بفتح الدال وكسرها وسكون الباء) وهو جماعة النحل . يزفي يطرد . وقل في الجبل (كضرب) صعد فيه .

(٢٠ — ٢١) المريرة الحبل الشديد الفتل . أهوى الشيء سقط ، وأهوت يده له امتدت وارتفعت . الوجل الخوف . (تحلا) مفعول (يذود) في البيت السابق . الدردق الصغار من كل شيء . الحفيضة خلية النحل . زجل صوت مرتفع حاد . (حول الوقود) لأن الذي يجمع العسل يدخن عند الخلية ، فإذا دخل الدخان فيها فر منها النحل ، فيتمكن من جمع ما فيها من العسل .

(٢٢ — ٢٥) يافع مرتفع . الجون يطلق على الأسود وعلى الأبيض . يلفع بالصحري ، كأنه قد اشتمل بها كما يتلفع الرجل بالشملة . أهل رفع صوته . عله سقاه مرة بعد مرة . الاسفنط نوع من الخمر (رومي معرب) . عدات أي وعود ، جمع عدة . علل أعذار تعتل بها وتنتحلها . أشياء شتى أي مختلفة . ما زائدة .

(٢٦ — ٢٩) أدل تكبر وتاه . جد الحبل (كنصر) قطعه . شكل اشتبك . عنتريس ناقة قوية ضخمة . المحالة الدولاب والبكرة العظيمة التي يدور حولها الحبل ، يشبه الناقة بها في سرعتها . الضراب نزو الفحل على الأنثى . القتود جمع قتد (بالتحريك) وهو خشب الرحل أو أدواته جميعاً . الفتان غشاء الرحل من الجلد . الألواح جمع لوح ، وهو العظم العريض من عظام الجسم ، ما خلا قصب اليدين والرجلين . مجل (بالضم) جمع مجول (بفتح الميم) يقصد بها قوائمها لسرعتها في السير .

الفحول . إذا وُضِع الرحل المكسو بالجلود فوق هيكلها الضخم المتين ، تحمله أربع شداد سراع ، فهى العُدَّة والعتاد فيما أقبل عليه من الأمر ؛ تمضى جريئة ، وتسير فى كبرياء ، وقد تباعد ما بين أرجلها وانفرج .

ويشبه الأعشى ناقته ، فى نشاطها وفى صلابتها وقدرتها على تحمل المشاق وتخطى العقبات ، بثور وحشى ، قاسى ألوانا من المتاعب والمشاق . وللمرة الثالثة ، ينسى الأعشى موضوع الحديث ، ويسرح خياله فى هذه الصورة الجديدة التى عرضت له . فيقدم لنا سلسلة من الصور الحية المتحركة ، يعرض فيها قصة هذا الثور ، فى كفاحه المرير .

(٣١—٣٣) فهو ثور ضامر قد أهزله الجوع ، فاجأه مطر تسوقه ريح الشمال . فبات ليلته فوق تل من الرمال ، وقد اندس تحت أغصان الشجر ، منكبا على وجهه ، كأنه صَيْقَل قد أكب على شحذ السيوف . كلما اشتد هجوم المطر واندفاعه صاح (أَصْبِحْ لَيْلُ !) ، ولكن الليل ثقيل بطىء لا يكاد ينقضى .

(٣٤—٣٨) حتى إذا انجلى الصباح بعد هذا الليل الطويل ، صبّحه صياد أغبر نحيل ، كأنه قناة الرمح ، خفيف لحم الفخذين ، خبير بمهاجمة الوحوش فى معاقلها . تتبعه كلاب مسترخية الآذان ، فى أعناقها الأطواق ، يسوقها هذا الصائد المغوار المظلم الوجه . وكأنه الذئب فى خفته ، إذا قصد طريدة لم يكد يتحول عنها ، حتى يرميها فيرديها لتَوّها .

(٣٩—٤٢) ولا تكاد الكلاب تبصر هذا الثور الجائع المكدود ، حتى تنبعث نحوه مهاجمة ، فيجد فى العدو مسرعا كالشهاب ، متجها إلى كثيب من الرمال يعتصم به ، وقد صمم على الصمود للقتال . حتى إذا اقتربت منه ، أقبل عليها (وقد علته روعةٌ وفزع) ، خفيفا نشيطا . يسدد الطعن بقرنه فلا يخطئ هدفه ؛ ليس بالرث السلاح ، ولا بالذى ينكص على عقبيه فى القتال . فهو يطعن الكلاب محنقا مغيظا ، ذات اليمين وذات الشمال ، فى قوة وقسوة ، وقد تعبّس وجهُه ، فأصبح منظره مرعبا مخيفا . وبهذه القصة المثيرة ، المملوءة بالحركة ، يختم الأعشى قصيدته الرائعة .

٣٠— فِيهَا عَتَادٌ إِذْ غَدَوْتَ عَلَى الْـ ‏ ‏ أَمْرِ وَفِيهَا جُرْأَةٌ وَقَبَلْ

٣١— كَأَنَّهَا طَاوٍ تَضَيَّفَهُ ‏ ‏ ضَرْبُ قِطَارٍ تَمُجُّهُ شَمْأَلْ

٣٢— بَاتَ يَقُولُ بِالْكَثِيبِ مِنَ الْـ ‏ ‏ غَبْيَةِ أَصْبِحْ لَيْلُ لَوْ يَفْعَلْ

٣٣— مُنْكَرِسًا تَحْتَ الْغُصُونِ كَمَا ‏ ‏ أَحْنَى عَلَى شِمَالِهِ الصَّيْقَلْ

٣٤— حَتَّى إِذَا انْجَلَى الصَّبَاحُ وَمَا ‏ ‏ إِنْ كَادَ عَنْهُ لَيْلُهُ يَنْجَلْ

٣٥— أَحَسَّ بِالسَّمَارِ مُجْمَلَ طِمِلٌ ‏ ‏ .... الْغُفُلْ

٣٦— أَطْلَسَ طَلَّاعَ النِّجَادِ عَلَى الْـ ‏ ‏ وَحْشِ غَبَا مِثْلَ الْقَنَاةِ أَزَلْ

٣٧— فِي إِثْرِهِ غُضُفٌ مُقَلَّدَةٌ ‏ ‏ يَسْعَى بِهَا مُغَاوِرٌ أَطْحَلْ

٣٨— كَالسِّيدِ لَا يَنْمِي طَرِيدَتَهُ ‏ ‏ لَيْسَ لَهُ بِمَا يُحَانُ حِوَلْ

٣٩— هِجْنَ بِهِ فَانْصَاعَ مُنْصَلِتًا ‏ ‏ كَالنَّجْمِ يَخْتَارُ الْكَثِيبَ أَبَلْ

٤٠— حَتَّى إِذَا نَالَتْ نَحَا سَلِبًا ‏ ‏ وَقَدْ عَلَتْهُ رَوْعَةٌ وَوَهَلْ

٤١— لَا طَائِشٌ عِنْدَ الْهِيَاجِ وَلَا ‏ ‏ رَثُّ السِّلَاحِ مُغَادِرٌ أَعْزَلْ

٤٢— يَطْعَنُهَا شَزْرًا عَلَى حَنَقٍ ‏ ‏ ذُو جُرْأَةٍ فِي الْوَجْهِ مِنْهُ بَسَلْ

٤٣— ———————— ‏ ‏ ———————— رَفَلْ

(٣٠ — ٣٤) العتاد العدة للأمر وما تهيئه له . القبل (بالتحريك) الفحج ، وهو انفراج مابين الرجلين في المشي . طاو جائع . تضيفه نزل به . الضرب المطر الخفيف . القطار جمع قطر (بفتح القاف) وهو المطر . الشمأل ريح الشمال . الكثيب التل من الرمل . الغبية الدفعة الشديدة من المطر . منكرسا منمساً قد انكب على وجهه . الصيقل الذي يشحذ السيوف ويجلوها . أحنى أنحنى .

(٣٥ — ٣٦) السمار اللبن المذوق الذي كثر مزجه بالماء . الطمل الذئب شبه به الصياد لخفته . مجل (بالضم) جمع عجول (بالفتح) وهو المسرع ، يقصد بها الكلاب . أطلس في لونه غبرة إلى السواد . النجاد جمع نجد وهو المرتفع من الأرض . غبا مصدر غبي (كعلم) أي خفي ، أي أنه يدب إلى هذه الوحوش خفية . أزل أرسح ، والأرسح قلة لحم العجز والفخذين .

(٣٧ — ٣٨) غضف مسترخية الآذان ، غضف الكلب أذنه أرخاها . مغاور من غاور العدو أي أغار عليه . أطحل أغبر في مثل لون الرماد . السيد (بكسر السين) الذئب . نمى الصيد رماه فأصابه ، ولكنه ذهب وفيه بقية من روح ، ففات بعيداً بحيث لا يراه . أحانه أهلكه ، والحين الهلاك . حول تحول واحتيال . أي أنه لا يتحول عن الصيد الذي قدر له أن يهلك على يديه .

(٣٩ — ٤٠) هاج الشيء ثار وتحرك وانبعث . هجن أي الكلاب . به أي بالثور . انصاع مر مسرعا . انصلت في سيره أو عدوه مضى جادا . الأبل الألد المتمنع ، والشديد اللؤم الذي لا يدرك ما عنده ، والظلوم . السلب (ككتف) الخفيف . ثور سلب الطعن بالقرن أي خفيفه . الروعة الخوف . الوهل الفزع .

(٤١ — ٤٣) الطائش الذي لا يصيب إذا رمى . رث ضعيف بال . مغادر يفر من المعركة . الأعزل الذي لا سلاح معه . طعنه شزرا أي عن يمين وشمال طعنا عنيفاً . فتل الحبل شزرا أي عن يسار وهو أشد لفتله . بسل عبوس . وجه باسل عابس كريه من أثر الغضب أو الشجاعة . رفل (كنصر) رفلا جر ذيله وتبختر ، أو خطر بيديه .

هذه القصيدة فى هجاء بنى جحدر . وقد تقدمت فى هجائهم القصيدة (٢٣) . وتقدم كذلك فى هجاء شيبان بن شهاب الجحدرى — أحد سادتهم — القصيدتان (١٠) ، (٢٠) ، ثم القطعة (٥١) . والقصيدة من مجزوء البسيط ، وهو بحر نادر فى الشعر الجاهلى ، وليس فى ديوان الأعشى منه غير هذه القصيدة .

والواقع أن هجاء بنى جحدر لا يستغرق من هذه القصيدة إلا أقلها . فالقصيدة اثنان وعشرون بيتا ، لم يعرض الشاعر فيها لبنى جحدر إلا فى ستة أبيات (١٣ — ١٩) . أما بقية القصيدة ، فهو حديث عن بعض الأمم البائدة ، والمدن العامرة ، التى أصابها الخراب ، ودار عليها الزمان ، يقدم الشاعر به الهجاء ، ويختمه كذلك به .

وليس حديث الشاعر الجاهلى فى مثل هذه المواضع غريباً ، فهو مألوف كثير . فالشاعر الجاهلى — كما رأينا فى كثير من المواضع — كان يمثل الرجل المثقف ، الذى يحيط بكل المعارف فى عصره ، من تاريخ وأساطير وأنساب . وهو مع هذا رجل حكيم ، يمتاز من بين سائر الناس ، بأنه أعمق غوراً ، وأصح نظراً . لذلك كان من المألوف أن يعرض الشاعر لحديث مثل هذه الأمم البائدة ، حين يتحدث من تفاهة الدنيا ، وعن غدرها بالناس ، ليصل من ذلك إلى أن كل شىء يصير إلى الزوال والفناء . فهو لا يقصد من ذلك إلا إلى استنباط العظة والعبرة وقد جرى القرآن الكريم على هذا الأسلوب العربى المألوف فى التذكير وفى الترهيب والوعيد .

نقول إن مثل هذا الحديث عن الأمم البائدة ليس غريباً فى نفسه . ولكن موضع الغرابة هو أن هذا الحديث لا يمت لموضوع القصيدة بصلة ، ولا يصح أن يكون مقدمة أو خاتمة لجزء الهجائى القصير . ولذلك فمن الراجح أن تكون الأبيات الهجائية من القصيدة (١٣ — ١٩) جزءا مستقلا قائما بنفسه .

والقصيدة مع هذا ضعيفة البناء ، مضطربة النظم ، مملوءة بالزحافات والعلل ، التى تنفر منها الأذن فى بعض الأحيان . فالقصيدة من مجزوء البسيط ، عروضها مقطوعة مخبونة (مستفعلن فاعلن فعولن) . ولكنه يقول فى البيت (٥) : وأهل غمدان جمعوا (متفعلن فاعلن فعل) ، خبن (مستفعلن) وحذف (فعولن) . ويقول فى البيت (١٥) : فما إليكم ولم يردنا (مستفعلن فاعلن متفعولن) . بعد أن جرى فى كل القصيدة على خبن (مفعولن) ، وهو شاذ يصدم الأذن ، ويخرجها عما ألفت إليه من النغمة التى تجرى عليها سائر القصيدة .

وكل ما فى هذه القصيدة من حديث (عاد) و (ثمود) ، يتفق مع ما جاء به القرآن الكريم . وهو أمر معقول . فالقرآن إنما كان يتحدث إلى العرب بما ألفوا ، وبما عرفوا وتداولوا . ولم يكن يقصد بذلك إلا إلى التذكير والعظة . فليس القرآن الكريم كتاب تاريخ ، وإنما هو كتاب دين . ولم تكن هذه القصص إلا أمثالا . فهو يختم قصة نوح وعاد وثمود فى سورة إبراهيم بقوله : (وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا أنفسهم ، وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الأمثال) . ويقول فى سورة العنكبوت ، بعد أن يسهب فى قصص نوح ، وإبراهيم ، وقوم لوط ، وأهل مدين ، وعاد ، وثمود (وتلك الأمثال نضربها للناس ، وما يعقلها إلا العالمون) ويقول فى سورة القمر بعد قصة قوم نوح وعاد (ولقد يسرنا القرآن للذكر ، فهل من مدكر) ثم يكرر هذه الآية بعد قصة ثمود . ويكررها مرة ثالثة بعد قصة لوط .

وخلاصة ما جاء فى أخبار هذه الأمم البائدة ، أن الملك بعد طوفان نوح كان فى عاد الأولى . الذين أشار إليهم القرآن الكريم بقوله (وأنه أهلك عادا الأولى) وقوله : (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح) . وهم الذين بنوا (إرم ذات العماد) . التى أشار إليها القرآن الكريم بقوله : (ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد) . وقد اختلفوا فى (إرم) ، بين قائل إنها اسم بلدتهم ، وقائل إنها اسم أبيهم ، أو اسم قبيلتهم . وقد أهلكهم الله ، حين خالفوا نبيهم (هودا) وكذبوه . وكانت مساكنهم فى أقصى الجنوب من شبه جزيرة العرب فى الدهناء وعالج ويبرين ووبار وعمان ، إلى حضرموت ، الى اليمن . وقد أصبحت الآن صحراء جرداء . ثم ظهر من بعدهم أبناء عمومتهم (ثمود) — وهم الذين يطلق عليهم اسم (عاد الثانية) — والى ذلك أشار القرآن الكريم بقوله (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد) . فأرسل الله إليهم نبيهم (صالحا) . فتحدوه أن يخرج لهم ناقة من صخرة ، فأخرجها لهم بإذن الله . وجعل لها يوما تشرب فيه . وأنذرهم عذاب الله إن مسوها بسوء . فعدا عليها قدار بن سالف — وهو أحمر ثمود الذى يضرب به المثل فى الشؤم — فقتلها . فأنزل الله عليهم عذابه فأفناهم . وإلى ذلك أشار القرآن الكريم بقوله (إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم ، فارتقبهم واصطبر ، ونبئهم أن الماء قسمة بينهم ، كل شرب محتضر . فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر . فكيف كان عذابى ونذر) وكانت مساكن ثمود قرب وادى القرى . ومن هذه الأمم البائدة كذلك (طسم) و (جديس) وكانت منازلهم فى (اليمامة) ، حيث صلبت الزرقاء على باب مدينة (جو) فسميت بعد ذلك باسمها .

يقول الأعشى :

١ — ألم تروا إِرَماً و (عاد) ، أفناهم تتابع الليل والنهار .

٢ — بادوا . فلما اجتمع شملهم من جديد ، لحقت بهم (ثمود) ، بشؤم أحمرهم (قُدَار) .

٣ — وقبلهم غالت المنايا (طَسْماً) ، ولم ينجها الحذار

وقال فيما كان بينه وبين بني جَحْدَر :

(بسيط، مجزوء)

١ — أَلَمْ تَرَوْا إِرَمًا وَعَادًا   أَوْدَى بِهَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

٢ — بَادُوا فَلَمَّا أَنْ تَآدَوْا   قَفَّى عَلَى إِثْرِهِمْ قُدَارُ

٣ — وَقَبْلَهُمْ غَالَتِ الْمَنَايَا   طَسْمًا وَلَمْ يُنْجِهَا الْحِذَارُ

٤ — وَحَلَّ بِالْحَيِّ مِنْ جَدِيسٍ   يَوْمٌ مِنَ الشَّرِّ مُسْتَطَارُ

٥ — وَأَهْلُ غُمْدَانَ جَمَّعُوا   لِلدَّهْرِ مَا يُجْمَعُ الْخِيَارُ

٦ — فَصَبَّحَتْهُمْ مِنَ الدَّوَاهِي   جَائِحَةٌ عُقْبُهَا الدَّمَارُ

٧ — وَقَدْ غَنَوْا فِي ظِلَالِ مُلْكٍ   مُؤَبَّدٍ عَقْلُهُمْ جِفَارُ

٨ — وَأَهْلُ جَوٍّ أَتَتْ عَلَيْهِمْ   فَأَفْسَدَتْ عَيْشَهُمْ فَبَارُوا

٩ — وَمَرَّ حَدٌّ عَلَى وَبَارِ   فَهَلَكَتْ جَهْرَةً وَبَارُ

١٠ — بَلْ لَيْتَ شِعْرِي وَأَيْنَ لَيْتٌ   وَهَلْ يَفِيئَنْ مُسْتَعَارُ

١١ — وَهَلْ يَعُودَنْ بَعْدَ عُسْرٍ   عَلَى أَخِي فَاقَةٍ يَسَارُ

١٢ — وَهَلْ يُشَدَّنْ مِنْ لَقُوحٍ   بِالشَّخْبِ مِنْ ثَرَّةٍ صِرَارُ

(١ — ٤) إرم بن سام بن نوح . عاد بن عوص بن إرم . أودى بهم أفناهم . تآدوا تفاعلوا، من الأيد وهو القوة . قدار: هو أحمر ثمود الذي يضرب به المثل في الشؤم ، وهو الذي تولى قتل الناقة ، فأنزل الله عليهم العذاب بسببه . طسم وجديس وعاد وثمود ، كل هؤلاء أبناء عمومة ، وهم من نسل إرم بن سام . شر مستطار شديد ، وقد استطار غضبه أي اشتد .

(٥ — ٧) غمدان أشهر قصور اليمن وعمائرها القديمة ، كان في صنعاء . زعموا أن بناءه كان عشرين طبقة . وكانت الطبقة العليا مسقوفة برخام شفاف . الخيار الذهب ، والمال مطلقا ، أو هو أفضله . صبحتهم أتتهم صباحا . جائحة داهية . غنى بالمكان (كطرب) أقام . مؤيد قوى . جفار (بضم الجيم) واسع ، من قولهم جفر الفم أي اتسع .

(٨ — ١٠) جو مدينة قديمة ، صبت بعد ذلك اليمامة ، نسبة إلى امرأة اسمها اليمامة ، وهي الزرقاء المشهورة بحدة البصر ، حين قلع (تبع) عينها وصلبها على باب مدينة (جو) . وكانت بعض منازل طسم وجديس . والزرقاء امرأة من جديس . باروا هلكوا . الحد نهاية الشيء ، أي أنها بلغت نهاية ما قدر لها من الأجل ثم هلكت . وبار من مساكن عاد في الأحقاف . وقد زعموا أنها أصبحت بعدهم مساكن للجن . فاء يفيء رجع ، يقول : هل يرجع ما مضى ؟

(١١ — ١٢) الفاقة الجوع والعوز . اللقوح الناقة ذات اللبن في الشهرين الأولين بعد أن تنتج ولبنها أغزر ما يكون . شخب اللبن (كنصر وقطع) حلبه . ثرة غزيرة . الصرار ما يشد فوق ضرع الناقة لئلا يرضعها ولدها . يقول : إن شد الصرار لا يغني شيئا إذا كانت الناقة غزيرة اللبن ، وهو مثل للعجز عن دفع المصائب .

٤ — وحل بـ (جَدِيس) يوم من الشر مُستَطار .

٥ — وجمع أهل (غُمدان) من المال والمتاع ، ما ظنوا أنه يدفع صروف الزمان .

٦ — فدهمتهم المصائب ، وصاروا كالذين قبلهم إلى الدمار .

٧ — بعد أن عاشوا ماعاشوا فى ظلال مُلْك عظيم ، يدبرون الأمر بعقول راجحة كبار .

٨ — وأتت صروف الزمان على أهل (جَوّ) فأهلكتهم ، وأصابهم البوار .

٩ — وعمرت (وَبَار) ، وازدهرت بالحضارة زمنا ، حتى بلغت أجلها ، فخربت الديار .

١٠ — ليت شعرى - وهل تغنى ليت - وهل يعود مامضى وفات ؟

١١ — وهل يعود العز واليسار على الفقير المنكوب بعد إعسار ؟

١٢ — وهل يدفع النكبات شىء ، حين تتوالى كما يَتَحَلَّبُ لبن الناقة المِدْرَار لا يَكُفُّه الصِّرَار ؟

* * *

١٣ — أقسمتم لنقاتلنكم . فدونكم ما تمنيتم من القتال .

١٤ — كما أقسم (أبورباح) أمام الله ، ألا يدفع دية القتيل ، فَبَرَّتْ يمينُه ، إذ مات فى شرّ حال .

١٥ — ها نحن أولاء نعيش مجتمعى الشمل ، وما أفدتم غير الطعن العنيف فى ظهوركم ، تندفع منه الدماء .

١٦ — فنا إليكم لا يرد غليلنا الماء ، ولا يسكن غضبنا رجاء .

١٧ — وصبرنا للقتال ، فليس من شأننا أن نفر عند اللقاء .

١٨ — وفررتم أنتم مذعورين قد لحقكم العار وكنتم من الجبناء .

١٩ — فليتنا لم نكن حيث نحن فى (نجد) ، وليتهم رحلوا إلى (الغَوْر) ، فلم نلتق ولم يجمعنا مكان .

* * *

٢٠ — مضى (لقَيْم) و (قَيْل) و (لقمان) فعريت منهم الديار .

٢١ — وفنى قومهم فلم يبق بعدهم أحد ، ثم خَلَفَتْ من بعدهم (نِزَار) .

٢٢ — فبلغوا الأوطار بعد البوار ، وقاتلوا حتى الانتصار .

١٣— أَقْسَمْتُمْ لَا نُعْطِيَنَّكُمْ ‏ إِلَّا عِرَارًا فَذَا عِرَارْ

١٤— كَحَلْفَةٍ مِنْ أَبِي رِيَاحٍ ‏ يَسْمَعُهَا لَاهُهُ ٱلْكُبَارْ

١٥— نَحْمِي جَمِيعًا وَلَمْ يُفِدْكُمْ ‏ طَعْنٌ لَنَا فِي ٱلْكُلَى فَوَارُ

١٦— قُلْنَا إِلَيْكُمْ وَلَمْ يُبَرِّدْنَا ‏ نَضْحٌ عَلَى حَمْيِنَا قِرَارُ

١٧— فَقَدْ صَبَرْنَا وَلَمْ نُوَلِّ ‏ وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِنَا ٱلْفِرَارْ

١٨— وَقَدْ فَرَرْتُمْ وَمَا صَبَرْتُمْ ‏ وَذَاكَ شَيْنٌ لَكُمْ وَعَارُ

١٩— فَلَيْتَنَا لَمْ نَحُلَّ نَجْدًا ‏ وَلَيْتَهُمْ قَبْلَ تِلْكَ غَارُوا

٢٠— إِنَّ لُقَيْمًا وَإِنَّ قُيَيْلًا ‏ وَإِنَّ لُقْمَانَ حَيْثُ سَارُوا

٢١— لَمْ يَدَعُوا بَعْدَهُمْ عَرِيبًا ‏ فَغَنِيَتْ بَعْدَهُمْ نِزَارُ

٢٢— فَأَدْرَكُوا بَعْدَ مَا أَضَاعُوا ‏ وَقَاتَلَ ٱلْقَوْمُ فَٱسْتَثَارُوا

(١٣ — ١٥) العرار القتال . عره غشيه بما يكره . أبو رياح رجل من بني ضبيعة ، قتل جاراً لبني سعد بن ثعلبة ، فسألوه أن يديه ، فحلف أن لا يفعل ، ثم إنه قتل بعد حلفه ، فبرت يمينه . يقول لهم : قد برت يمينكم ، حين أقسمتم متهكمين أن لا نعطيكم إلا القتال، كما برت يمين أبي رياح هذا . لاهه إلهه . وهم يستشهدون بهذا البيت على أن لفظ الجلالة (الله) أصله (لاه) ثم عرف بالألف واللام . الكبار العظيم . فار العرق هاج وقذف بالدم . ضرب فوار منبثق واسع يندفع منه الدم ، خفف التشديد لضرورة الشعر . طعن في الكلى يريد أنهم يطعنون في ظهورهم لأنهم يفرون منهزمين . الكلى جمع كلية .

(١٦ — ١٨) يرد غليله بالماء وأبرده صب فيه ماء . نضحه بالماء (كضرب وقطع) رشه . ونضح عطشه سكنه . حمت الحديدة حميا (بفتح فسكون) وحموا (بتشديد الواو) اشتد حرها بالنار . نضحه بالماء رشه . ونضح عطشه سكنه . قرار جمع قرة وهو الماء البارد . قره بالماء برده .

(١٩ — ٢٢) نجداً ، لعله يقصد نجد برق ، وهو موضع باليمامة ، حيث كان يسكن قوم الأعشى . غاروا رحلوا الى الغور (بفتح فسكون) وهو تهامة . لقيم وقيل ولقمان هم وفد (عاد) الذين جاءوا الى مكة يستسقون ، بعد أن حبس الله المطر عن قومهم ثلاث سنوات، فمرت بهم سحائب ، ونودي منها ، اختاروا . فاختاروا سحابة سوداء ، ظناً منهم أنها أغزرها ماء . فكان فيها هلاك قومهم . عريبا أي متكلما بالعربية . يقصد أن قومهم ماتوا جميعا . غنيت أقامت . نزار جد عرب الشمال (ربيعة ومضر) . أدركوا أي بلغوا ما أرادوا . أضاعوا أي أضاعوا الفرصة . استثار به ظفر به وعلا عليه .

— ٥٤ —

هذه القصيدة تشبه القصيدة (٣٩) من وجوه كثيرة . فهما تتفقان فى البحر والقافية . ثم إنهما تتفقان فى أن الشاعر سلك فى كل منهما أسلوباً هو أدنى إلى القصص فى الغزل ، والتمس العبرة والعزاء فى مصير ملوك اليمن . وتتفقان فى أن الممدوح فى كليهما لا نكاد نعرف عنه شيئاً . وتتفقان بعد كل هذا فى أن المدح لا يكاد يظفر من الشاعر إلا بأقل اهتمام ، ولا يتجاوز أبياتاً قليلة فى نهاية كل من القصيدتين . فالقصيدة السابقة واحد وخمسون بيتاً لا يحتل المدح منها إلا ستة أبيات · والقصيدة التى بين أيدينا تسعة وأربعون بيتاً لا يتجاوز المدح فيها ثمانية أبيات .

وقد مرت بنا فى الديوان صورة أخرى من هذا الأسلوب القصصى فى القصيدة (٨) ، حين عرض الشاعر لوصف الخمر ، وما دار بينه وبين الخمار .

وفى أبيات القصيدة تقديم وتأخير يخل له النسق ويضطرب السياق . والأصوب عندى أن يكون ترتيبها : ٢ — ٢٠ ، ٣٦ — ٤١ ، ٢٣ — ٣٥ ، ٢٦ — ٣٢ ، ٢١ — ٢٥ ، ٤٢ — ٤٩

وكان أبو عبيدة يرى أن هناك خلطاً بين شعر الأعشى فى هذه القصيدة وبين شعر المخارق بن شهاب المازنى .

(١ — ٣) يتحدث الأعشى عن صاحبته (لَيس) ، بعد أن انقطع ما بينه وبينها من ود . وكأن تلك الأيام الحلوة الجميلة كانت بالأمس القريب . فهو يسائل نفسه : أوقد هجرتها اليوم ، أم أن العهد قد طال وتقادم على تلك الأيام ، وخلفتك للهم والكآبة ، وقد أصبحت بعيدة المنـــال ، لا يكاد يدركها الطلاب .

ولكن الأعشى لا يلبث أن ينصرف عن صاحبته ، ليتحدث عن بعض ذكريات شبابه وفتوته .

(٤ — ٨) فلقد كان يزور صواحبه ، فيدب إلى الحى فى سواد الليل ، حين ينام الناس ، تنبحه الكلاب ، وقد ركب فرسا طويل الظهر كأنه ساق النخلة ، يبرق صدره الأحمر كأنما خضب بالحناء ، ينقاد لراكبه فى سهولة ويسر ، وينبىء خده الأملس المسترسل عن كرم أصيل ، وعيش ناعم رقيق . فقد حبس هذا الفرس على المرعى البعيد ، الذى يفصله عن الحى مسير شهر ، وقد أنبته مطر الربيع الذى لا يُعي الأعشى تتبعُه مهما بعد . فتراه وقد وشته الرياح بما تسوق من أمطار ، فنمت وجهه بالنبات والأزهار المختلفة الألوان ، كأنه الجلود المنقوشة التى تقدم للملوك .

(٩ — ١٢) وربما قصد إلى صاحبته فى قومها الذين يعيشون فى خصب ، يُطيف بالحى ، حتى إذا جن الليل ، واضطربت الذئاب فى الصحراء ، ومال القمر للمغيب — وقد كان ضوؤه الفضّاح يحول دون بغيته .

وقال يمدح رجلا من كِنْدَةَ يقال له رَبِيعَةُ بْنُ حَيْوَةَ :

(كامل ، مجزوء)

١ — أَصَرَمْتَ حَبْلَكَ مِنْ لَمِيـ … سَ ٱلْيَوْمَ أَمْ طَالَ ٱجْتِنَابُهْ

٢ — .... إِلَى سَلْمَى .... … .... ٱلْقَلْبَ ٱكْتِئَابُهْ

٣ — .... أَقْـ … صَى نَازِحًا مِنْهَا طِلَابُهْ

٤ — وَلَقَدْ طَرَقْتُ ٱلْحَيَّ بَعْـ … دَ ٱلنَّوْمِ تَنْبَحُنِي كِلَابُهْ

٥ — بِمُشَذَّبٍ كَٱلْجِذْعِ صَا … كَ عَلَى تَرَائِبِهِ خِضَابُهْ

٦ — سَلِسٍ مُقَلَّدُهُ أَسِيـ … لٍ خَدُّهُ مَرِعٍ جَنَابُهْ

٧ — فِي عَازِبٍ وَسْمِيِّ شَهْـ … رٍ لَنْ يَعُزَّ بِيَ مَصَابُهْ

٨ — حَطَّتْ لَهُ رِيحٌ كَمَا … حُطَّتْ إِلَى مَلِكٍ عِيَابُهْ

٩ — وَلَقَدْ أَطَفْتُ بِحَاضِرٍ … حَتَّى إِذَا عَسَلَتْ ذِئَابُهْ

١٠ — وَصَفَا قُتَيْرُ كَأَنَّ يَمْـ … نَعُ بَعْضَ بَغْيَةِ ٱرْتِقَابُهْ

١١ — أَقْبَلْتُ أَمْشِي مِشْيَةَ ٱلْـ … حَشْيَانِ مُزْوَرًّا جَنَابُهْ

١٢ — وَإِذَا غَزَالٌ أَحْوَرُ ٱلْـ … عَيْنَيْنِ يُعْجِبُنِي لِعَابُهْ

(١ — ٥) صرم الحبل وجبه واجتبه قطعه . أقصى المكان إقصاء اتسع . نازحا بعيدا . طرقه دخله ليلا . فرس مشذب طويل ليس بكثير اللحم، استعير من الجذع المشذب أي المقشور . الجذع ساق النخلة . صاك لصق . الترائب عظام الصدر ، واحدتها تريبة . الخضاب الحناء، وكل ما يختضب به ، يقصد به حمرة الشعر الزاهية في صدر الفرس من أثر السمن والمرعى الحسن .

(٦ — ٨) سلس سهل الانقياد . مقلده عنقه أي موضع القلادة منه . أسيل لين أملس طويل . مرع المكان كثر كلأه . الجناب الفناء وما قرب من محلة القوم . العازب الكلأ البعيد . الوسمي مطر الربيع ، لأنه يسم الأرض بالنبات . صاب المطر يصوب انصب ونزل ، ومصاب مصدر ميمي منه . لن يعز بي أي لا يعد علي . حط الإسكاف الجلد صقله أو نعمه بخشبة معدة لذلك حتى يلين ويبرق . العياب جمع عيبة ، وهي جراب من جلد .

(٩ — ١٢) الحاضر هم القوم ينزلون عند الماء الدائم الذي لا ينضب ، فيرعون كلأه لا يتحولون عنه صيفا ولا شتاء ، وهو يطلق كذلك على الحي نفسه فيكون حاضر بمعنى محضور . عسلت ذئابه اضطربت . صفا (كنصر وقطع) مال للغروب . الحشيان (بالحاء) المصاب بالربو ، وهو ضيق النفس . والخشيان (بالخاء المعجمة) الخائف . مزور معوج الزور أي الصدر . جنابه جانبه . اللعاب والملاعبة مصدر لاعب .

أقبل يمشي في حذر ، يخفي شخصه متضائلا منحنى الصدر . ودخل على صاحبته ، فإذا هي كالغزال الأحور العينين ، الرشيق الحركة .[1]

(١٣—١٤) ما أجمل الحلى والقلائد في صدرها الجيل ، وما أطيب رائحته .

بيضاء ، ينشرح لمنظرها الصدر ، عذبة الروح ، يزين كفها الخضاب .

(١٥—٢٠) إني لأتكلف في سبيلها المشاق ، وأركب بغية الوصول إليها الأهوال . ولو أن دونها وادي (المرّوت) ، وقد تدافعت السيول تجري في شعابه ، حتى غمرت الآجام ، وغطت شجر (الطّرفاء) الطويل ، لعبرته إليها سابحا . ولو أن دون لقائها جبلا شاهقا تزل في رقيه الأقدام ، لفتشت عن طريق للصعود فيه ، واحتملت مسالكه الصعبة راضيا مسرورا ، حتى أصل إليها . ولكم يحتمل المحب من مشاق تنوء بها طاقته ، وتورثه الذم وآلعاب ، وتثير حوله القيل والقال . ولو قام دون لقائها أسد يبعث الفزع في القلوب ، بشعره الكثيف الذي يكلل هامته ، وأنيابه المحددة وقد برزت كأنها السهام ، لأقبلت عليه بسيفي أجالده غير هياب .

ويمضي الأعشى فيما كان بسبيله من ذكريات الشباب فيقول :

---

(١) تذكرنا قصة الأعشى هذه بقصة أخرى لعمر بن أبي ربيعة ، صورها في رائيته المشهورة ، حيث يقول :

فَلَمَّا فَقَدْتُ الصَّوْتَ مِنْهُمْ وَأُطْفِئَتْ ... مَصَابِيحُ شُبَّتْ بِٱلْعِشَاءِ وَأَنْوُرُ

وَغَابَ قُمَيْرٌ كُنْتُ أَرْجُو غُيُوبَهُ ... وَرَوَّحَ رُعْيَانٌ وَنَوَّمَ سُمَّرُ

وَنَفَّضْتُ عَنِّيَ النَّوْمَ أَقْبَلْتُ مِشْيَةَ ٱلْـ ... حُبَابِ وَشَخْصِي خَشْيَةَ ٱلْحَيِّ أَزْوَرُ

١٣— حَسَنٌ مُقَلَّدُ حَلْيِهِ وَالنَّحْرُ طَيِّبَةٌ مَلَابُهُ

١٤— غَرَّاءُ تَبْهَجُ زَوْلَهُ وَالْكَفُّ زَيَّنَهَا خِضَابُهُ

١٥— لَعَبْرَتُهُ سَبْحًا وَلَوْ عُمِرَتْ مَعَ الطَّرْفَاءِ غَابُهُ

١٦— وَلَوْ أَنَّ دُونَ لِقَائِهَا جَبَلًا مُزَلَّقَةً هِضَابُهُ

١٧— لَنَظَرْتُ أَنَّى مُرْتَقَا هُ وَحَيْثُ مَسْلَكُهُ عِقَابُهُ

١٨— لَأَتَيْتُهَا إِنَّ الْمُحِـ ـبَّ مُكَلَّفٌ دَنِسٌ ثِيَابُهُ

١٩— وَلَوْ أَنَّ دُونَ لِقَائِهَا ذَا لِبْدَةٍ كَالزُّجِّ نَابُهُ

٢٠— لَأَتَيْتُهُ بِالسَّيْفِ أَمْـ ـشِي لَا أَهُدُّ وَلَا أَهَابُهُ

٢١— وَلِيَ ابْنُ عَمٍّ مَا يَزَا لُ لِشِعْرِهِ خَبَبًا رِكَابُهُ

٢٢— سَحًّا وَسَاحِيَةً وَعَمْـ ـا سَاعَةٍ ذَلِقَتْ ضِبَابُهُ

٢٣— مَا بَالُ مَنْ قَدْ كَانَ حَظْـ ـى مِنْ نَصِيحَتِهِ اغْتِيَابُهُ

٢٤— يُزْجِي عَقَارِبَ قَوْلِهِ لَمَّا رَأَى أَنِّي أَهَابُهُ

(١٣ — ١٤) المقلد النحر أو موضع القلادة . والنحر أعلى الصدر . الملاب نوع من الطيب . غراء بيضاء . بهجه (كقطع) سره وأفرحه . الزول العجب . وهذا زول من الأزوال أي عجب من العجائب . والزول كذلك الشخص ، والخفيف الظريف الفطن ؛ والزولة (ويمكن أن يقرأ بها الشعر) المرأة الخفيفة الفطنة .

(١٥ — ١٦) لعبرته خبر لشرط محذوف . ولا بد أن يكون قبل هذا البيت بيت قد سقط . وكأنه على ما تقدر (ولو أن دون لقائها بحراً عميقاً) لعبرته . وقد أورد (Geger) فيما روى للأعشى مما ليس في ديوانه بيتاً نقله ابن سيدة في المخصص ج ١٠ ص ٣١ وهو : (ولو أن دون لقائها المروت دافقة شعابه) فلعل موضعه هنا ، ولعله هو البيت الساقط . المروت اسم واد . شعابه مسالكه ومنعطفاته . دافقه أي تفيض بالماء يدفع بعضه بعضاً . الطرفاء شجر على أنواع كثيرة ، منه الأثل ، وهو شجر طويل ذاهب في السماء . ولذلك يشبهون به المرأة المديدة المعتدلة القوام . وخشبه من الأخشاب النفيسة عند العرب . تتخذ منه الأقداح الصفر الجياد . الغاب جمع غابة ، وهي الأجمة من القصب . مزلقة هضابه ، يزلق الصاعد فيها ويزل لاستوائها وصعوبة الرقي فيها .

(١٧ — ١٩) مرتقاه موضع الارتقاء والصعود فيه (اسم مكان) العقاب جمع عقبة (بالتحريك) وهي المرقى الصعب من الجبال ، والطريق في أعلاها . مكلف يتحمل فوق طاقته . دنس ثيابه لا يبالي أن يأتي ما يصمه في سبيل من يحب . لبدة الأسد الشعر حول رقبته الزج نصل السهم ، والحديدة التي في أسفل الرمح .

(٢٠ — ٢١) لا أهد أي لا أتردد ولا أجبن ، هده الأمر ضعضع قواه وحطم عزمه . الخبب السرعة . خب الفرس راوح بين يديه ورجليه في عدوه . الركاب الإبل ، لا واحد لها من لفظها .

(٢٢ — ٢٤) سح الماء سحا وسحوحا (لازم) سال منحدراً . وسح الماء (متعد) صبه متتابعاً كثيراً . واستعمله قصيدة قصيدة سحها على سحا أي كرها مسرعا . ذلق اللسان (كعلم) ذرب فهو ذلق أي فصيح حديد . الضباب الأحقاد ، جمع ضب (بكسر الضاد) وهو الغيظ والحقد الخفي .

(٣٦—٤١) كم غشيت من حوانيت ، لدى خمّار أمين لا يقدم إلا أجود الخمور . يتوارد على خمره الشاربون ، فيغترفون منها بالأقداح ، صغيرها والكبير . إذا حاسبه الندماء مدققين ، لم يصرفني حسابه عما أنا مقبل عليه من شراب ، فأنا أشرب بكل ما أملك من مال ومتاع ، أشرب بالناقة الضخمة الكبيرة ، وبالفحل الكبير . وكم شهدت من معارك ، تخفق الرايات فيها فوق الأمير ، فلم يكن همى المغانم ، حين يقتسم الناس الأسلاب .

ولم تكن النساء والحروب هى كل ما يصبو إليه قلب الأعشى فى شبابه ، فقد كان يعشق الطبيعة ويتذوق جمالها .

(٣٣—٣٥) فهو يلفت صاحبه إلى البرق ، يلمع ضوءه بين الجبلين ، فيثير إعجابه ، حين تنشق السحب عن بريقه اللمّاح ، وقد سدت الآفاق ، وأقامت لا تبرح فى السماء ، مُرْعِدة مدوّية . وكأنها وقد تجمعت متكاثفة متراكبة ، قطيع من النعام ، تهدل ريشه معلقا فى الفضاء .

ويعود الأعشى إلى نفسه ، بعد هذا الحلم الطويل الجميل ، ليتعزى فى شيخوخته بأخبار من مضى ومات من أصحاب الجاه والسلطان ، فيقول :

(٢٦—٣٢) ألم تر قصر (رَيْمان) العظيم ، وقد أمسى خاويا مخرب البنيان . تسكنه الثعالب بعد قومه الناعمين الكرام ، وقد كانوا شعبا منظما ، يدبر أمرهم ملك قوى ، يرجون ثوابه ، ويتقون العقاب . تداولته الفُرْس بعد الحُبْش ، حتى هدموا بابه . فتراه وقد تداعت شرفاته ، وانسحقت مختلطة بالتراب . وبا رُبما كان فى عزّ مقيم . ورَغَدٍ من العيش لا يَرِيم .

٢٥— .... بَابُهْ

٢٦— يَا مَنْ يَرَى رَيْمَانَ أَمْ سَى غَاوِيًا خَرِبًا كِعَابُهْ

٢٧— أَمْسَى الثَّعَالِبُ أَهْلَهُ بَعْدَ الَّذِينَ هُمُو مَآبُهْ

٢٨— رِنْ سُوقَةٍ حَكَمٍ وَمِنْ مَلِكٍ يُعَدُّ لَهُ ثَوَابُهْ

٢٩— بَكَرَتْ عَلَيْهِ الْفُرْسُ بَعْ دَ الْحُبْشِ حَتَّى هُدَّ بَابُهْ

٣٠— فَتَرَاهُ مَهْدُومَ الْأَعَا لِي وَهْوَ مَسْحُولٌ تُرَابُهْ

٣١— وَلَقَدْ أَرَاهُ بِغِبْطَةٍ فِي الْعَيْشِ مُخْضَرًّا جَنَابُهْ

٣٢— فَخَوَى وَمَا مِنْ ذِي شَبَا بٍ دَائِمٍ أَبَدًا شَبَابُهْ

٣٣— بَلْ هَلْ تَرَى بَرْقًا عَلَى الْ جَبَلَيْنِ يُعْجِبُنِي انْجِيَابُهْ

٣٤— مِنْ سَاقِطِ الْأَكْنَافِ ذِي زَجَلٍ أَرَبَّ بِهِ سَحَابُهْ

٣٥— مِثْلِ النَّعَامِ مُعَلَّقًا لَمَّا دَنَا قَرَدًا رَبَابُهْ

٣٦— وَلَقَدْ شَهِدْتُ التَّاجِرَ الْ أَمَانَ مَوْرُودًا شَرَابُهْ

٣٧— بِالصَّحْنِ وَالْمِصْحَاةِ وَالْ إِبْرِيقِ يَحْجُبُهَا عِلَابُهْ

٣٨— فَأَذَا تُحَاسِبُهُ النَّدَا مَى لَا يُعَذِّبُنِي حِسَابُهْ

(٢٦ — ٢٧) ريمان قصر من قصور اليمن القديمة كان في خنفار . وغمدان (ولعله هو المقصود ، قلبت الذيز راء) قصر من قصور اليمن ، كانت تدفن فيه ملوكهم وعظماؤهم ، وكان فيه حائط مدور فيه كوى تتم الشمس كل يوم في كوة منها (الاكليل ٨ : ٢٨) . كعاب جمع كعبة ، وهي الغرفة أو كل بيت مربع . مآبه ساكنوه الذين كانوا يقطنونه ويؤوبون إليه أي يرجعون .

(٢٨ — ٣٠) السوقة الرعية من الناس ، للواحد والجمع . رجل حكم مسن ، وحكمه حكما (بفتح الحاء) منعه من الفساد . والمعنى لايستقيم إلا بأن تكون حكم بمعنى محكومين . الثواب الجزاء على الأعمال خيرها وشرها . يعد ثوابه أي يرجى ويتق من عد الدراهم أي أحصاها وحسبها . بكرت عليه أسرعت إليه وأصله من البكور وهو أول الصبح . حتى هد بابه ، ذلك لأن وهريز الفارسي لما هزم الحبشة جاء بالعلم فلم يدخل من الباب ، فتطير أن يدخل العلم منكوسا فأمر بهدم الباب . مسحول من سحله أي سحقه وقشره ونحته .

(٣١ — ٣٤) مخضر الجناب رغد العيش . والجناب الفناء وما قرب من محلة القوم . خوى سقط وتهدم . انجياب التوب الشق . وانجابت السحابة انكشفت وانقطعت . الأكناف النواحي . الزجل الصوت العالي المرتفع . أرب بالمكان أقام .

(٣٥ — ٣٨) قردا متلبدا ، تقرد الشعر والصوف تلبد واجتمع . الرباب السحاب الأبيض ، وهو كذلك الجماعة . التاجر بائع الخمر . الأمان (كرمان) المؤتمن الذى يوثق به ، فهو لا يقدم إلا أجود الخمر . الصحن القدح الضخم ، والقصعة الصغيرة . المصحاة قدح من فضة يشرب به . العلاب (بكسر العين) جمع علبة (بضم العين) ، وهو قدح ضخم من خشب ، أو من جلود الابل يوطر حولها قضيب . عداه عن الأمر صرفه وشغله . أى أنه لا يبالى أن يحاسبه فهو سخي يبذل في شربها . حسابه مصدر حاسبه .

ويختم هذا القصص القصير متمزيا معتبرا ، بقوله .

خوى ذلك القصر العظيم متهدما خربا . وكذلك يصير كل شيء إلى زوال ، ولا يدوم لذى الشباب شباب .

ثم يختم الأعشى قصيدته ، بذلك الممدوح الكِنْدِيّ المجهول (ربيعة بن حَبْوَة) فيقول :

(٤٢—٤٤) دع عنك كل ذلك ، وقل لآل (كِنْدَة) : خبرونى عن (ابن كَبْشَة) ، ما ذا نقمتم عليه ، وما الذى كنتم تعيبونه فيه ؟ إن الرزء الفادح لهو مثل ذلك اليوم، الذى فارق فيه (حَبْوَةَ) أصحابُه، وتخلوا عنه فى القتال ، حتى نهب متاعه ، وهدمت خيامه الضخمة ، فاندفعت ريح المسك من داخلها، فوّاحة تعطر الجو .

(٤٥—٤٩) من ذا يبلغنى ابنه (ربيعة) ، وله فى رقبتى دَيْنٌ لا أنساه له مدى الدهر . إنى إن أتيته لم يَخْفَنِى عطاؤه ، ولم يتجاوز ناقتى ثوابُه . وإن يكن كريما ابن كريم ، فإنما يرجع كل كريم إلى معدنه ، ويَصْدُرُ عن أصله ومنبته .

٣٩— بِالْبَازِلِ الْكَوْمَاءِ يَذْ   بَحُهَا الَّذِى قَدْ شَقَّ نَابُهْ

٤٠— وَلَقَدْ شَهِدْتُ الْجَيْشَ تَخْ   فِقُ فَوْقَ سَيِّدِهِمْ عُقَابُهْ

٤١— فَأَصَبْتُ مِنْ غَيْرِ الَّذِى   غَنِمُوا إِذِ اقْتُسِمَتْ نِهَابُهْ

٤٢— بَلْ آلَ كِنْدَةَ خَبِّرُوا   عَنِ ابْنِ كَبْشَةَ مَا مَعَابُهْ

٤٣— إِنَّ الرَّزِيَّةَ مِثْلُ حَبْ   وَةَ يَوْمَ فَارَقَهُ صِحَابُهْ

٤٤— بَادَ الْعَتَادُ وَفَاحَ رِ   حُ الْمِسْكِ إِذْ هُجِمَتْ قِبَابُهْ

٤٥— مَنْ ذَا يُبَلِّغُنِى رَبِيـ   عَةَ ثُمَّ لَا يُنْسَى ثَوَابُهْ

٤٦— إِنِّى مَتَى مَا آتِهِ   لَا يَجْفُ رَاحِلَتِى تُرَابُهْ

٤٧— .... ـابُهْ

٤٨— .... لِجَـ   لِيسِهِ وَلَا يُخْشَى شِغَابُهْ

٤٩— إِنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِ   يمِ لِكُلِّ ذِى كَرَمٍ نِصَابُهْ

(٣٩ — ٤١) بالبازل . أى أنه يحرب بثمن البازل ، وهى الناقة الكبيرة التى بزل نابها ، وذلك فى السنة التاسعة من عمرها . الكوماء الضخمة . الذى شق نابه الفحل الكبير من الابل فى سن التاسعة كذلك . شهد حضر . العقاب (بضم العين) الراية . النهاب الغنائم ، جمع نهب (بفتح فسكون) .

(٤٢ — ٤٥) ابن كبشة هو الممدوح . ما معابه ما عيبه . الرزية المصيبة . حبوة أبو الممدوح (ربيعة بن حيوة) . فارقه صحابه ، تخلوا عنه فى القتال . هجم البيت هدمه . العتاد كل ما أعد من سلاح ودواب وآلة حرب .

(٤٦ — ٤٩) لا يجفوها ترابه ، أى لاينحرف عنها ولا يعداها . الشغاب ، صدو شاغب ، أى أنه مأمون الشر . النصاب الأصل والمرجع . وخبر إن جملة (لكل ذى كرم نصابه) .

— ٥٥ —

اختلف الرواة فى هذه القصيدة ، هل هى فى مدح قيس بن معديكرب ، أم هى فى مدح إياس بن قبيصة الطائى . وروى البيت (٣٠) على وجهين (تؤم إياسا) و (تيمم قيسا) . وليس فى القصيدة ما يرجح أحد الوجهين . فالقصيدة أشبه بمدائح الأعشى لقيس بن معديكرب ، فى أسلوبها الذى يعتمد فى المدح على تعديد ما يحب الممدوح ، وعلى العناية بإبراز صفة الكرم بنوع خاص . ثم هى من ناحية أخرى مملاَّة بالألفاظ الفارسية ، وتصوير بيئات الخمر ، مما يناسب مدح إياس ، الذى كان واليا للفرس على العراق . وقد تقدم للأعشى فى مدح إياس القصائد : ٢١ ، ٢٩ ، ٣٦ ؛ وسيجىء فى مدحه القصيدة ٧٩ . أما قيس بن معديكرب ، فقد مدحه الأعشى فى القصائد : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ وسيجىء بعد ذلك قصيدتان ، هما ٦٨ ، ٧٨ .

(١ — ٢) بدأ الأعشى قصيدته بذكر (قُتَيْلة) أحب صواحبه إليه ، وأكثرهن ترددا فى غزله ، فقد طاف به خيالها ، بعد أن تراخى ما كان بينهما من ود وانقطع ، فبات مشرد الفكر ذاهلا ، كشارب بعد النوم خمرًا سلسة ، كأنها عصارة (العَنْدَم) الحمراء .

وكأن الأعشى لم يذكر صاحبته إلا ليتوسل بها إلى الخمر ، فما هو إلا أن يَعْرِض له هذا التشبيه ، حتى يمضى فى وصف هذه الخمر إلى غير عودة لـ (قُتَيْلة) . فيقول :

(٣ — ٧) إذا ثقب سِداد الدَّن الأسود ، فسالت منه الخمر ، سطعت رائحتها فوَّاحة قوية . يقف الخمَّار من دونها لا يبرحها ، كأنه الحارس الذى يحرص على كنزه ، فإذا ذُبِح الدَّن فسالت منه ، راح يتمتم ويهمهم مثنيا عليها مباركا . وكيف لا يفعل وهى خلاصة خمر (بابل) ، مما سال وتحلَّب قبل أن تعصر ، فكأنها فى دَنِّها المسدود بالختام ، قد مُزِجت بالعنبر والمسك . يطوف بها الساق وقد علق فى أذنيه لؤلؤتين ، يسرع فى رشاقة ليلبى النداء ، وقد شد على فمه وأنفه خرقة بيضاء . يحمل الكأس والإبريق ، وتبدو الخمر حين يصبها فى طاسه الفضى ، كأنها قد مزجت بعصارة شجر (البَقَّم) الحمراء .

(٨ — ١٢) ويمضى الأعشى فى وصف مجلس الخمر ، وما يحيطه من أزهار ورياحين وغناء ، فيجلو لنا صورة من بيئات الخمر الفارسية المترفة فى العراق ، ويعدد ألوان الرياحين وآلات الطرب ، التى لم يعرفها العرب ، بأسمائها الفارسية ، من جُلَّسان وبَنَفْسج وسِيسِنْبَر ومَرْزَجُوش ، إلى آخر هذه الأسماء ، التى يعددها الأعشى مزهوا مباهيا ، كما يعدد القروى الساذج ألوان الطعام وأدوات اللهو والترف فى العواصم ، ليرينا أنه قد عرفها وخبرها .

شرب الأعشى الخمر ومن حوله هذه الألوان المنمقة من الرياحين ، فى عيد (المِهْرَجَان) ، حتى تعتعه السكر . وشربها فى كل يوم غائم ، حين يحلو الشراب فى جوه الرطيب المثير . وشربها على نغمات (الوَنّ) و (البَرْبَط) ، يصحبهما جَرْس (الصَّنْج) الرنان . ومن حوله ندماء ظرفاء ، صفت قلوبهم ، وتآلفت نفوسهم . وكلهم يجله ويعظمه .

وقال يمدح إياسَ بنَ قبيصةَ الطائيّ (ورُويتْ في مدحِ قيسِ بنِ معديكرب)

(طويل)

١ — أَلَمَّ خَيَالٌ مِنْ قُتَيْلَةَ بَعْدَ مَا ... وَهَى حَبْلُهَا مِنْ حَبْلِنَا فَتَصَرَّمَا

٢ — فَبِتُّ كَأَنِّي شَارِبٌ بَعْدَ هَجْعَةٍ ... سُخَامِيَّةً حَمْرَاءَ تُحْسَبُ عَنْدَمَا

٣ — إِذَا بُزِلَتْ مِنْ دَنِّهَا فَاحَ رِيحُهَا ... وَقَدْ أُخْرِجَتْ مِنْ أَسْوَدِ الْجَوْفِ أَدْهَمَا

٤ — لَهَا حَارِسٌ مَا يَبْرَحُ الدَّهْرَ بَيْتَهَا ... إِذَا ذُبِحَتْ صَلَّى عَلَيْهَا وَزَمْزَمَا

٥ — بِبَابِلَ لَمْ تُعْصَرْ فَجَاءَتْ سُلَافَةً ... تُخَالِطُ قِنْدِيدًا وَمِسْكًا مُخَتَّمَا

٦ — يَطُوفُ بِهَا سَاقٍ عَلَيْنَا مُتَوَّمٌ ... خَفِيفٌ ذَفِيفٌ مَا يَزَالُ مُفَدَّمَا

٧ — بِكَأْسٍ وَإِبْرِيقٍ كَأَنَّ شَرَابَهُ ... إِذَا صُبَّ فِي الْمِصْحَاةِ خَالَطَ بَقَّمَا

٨ — لَنَا جُلَّسَانٌ عِنْدَهَا وَبَنَفْسَجٌ ... وَسِيسَنْبَرٌ وَالْمَرْزَجُوشُ مُنَمْنَمَا

٩ — وَآسٌ وَخِيرِيٌّ وَمَرْوٌ وَسَوْسَنٌ ... إِذَا كَانَ هِنْزَمْنٌ وَرُحْتُ مُخَشَّمَا

١٠ — وَشَاهَسْفَرَمٌ وَالْيَاسَمِينُ وَنَرْجِسٌ ... يُصَبِّحُنَا فِي كُلِّ دَجْنٍ تَغَيَّمَا

١١ — وَمُسْتَقُ سِينِينٍ وَوَنٌّ وَبَرْبَطٌ ... يُجَاوِبُهُ صَنْجٌ إِذَا مَا تَرَنَّمَا

١٢ — وَفِتْيَانُ صِدْقٍ لَا ضَغَائِنَ بَيْنَهُمْ ... وَقَدْ جَعَلُونِي فَيْسَحَاهَا مُكَرَّمَا

(١ — ٤) ألمّ زار زيارة قصيرة . وهى ضعف . تصرم انقطع . السخام والسخامى والسخامية الخمر السلسة اللينة المعز فى الحلق . شعر سخام لين . العندم شجر أحمر . بزل الخمر ثقب إناءها بالمبزل . أسود الجوف هو الدن ، لأنه مطلى بالقار (الزفت) . أدهم أسود . ذبحت أى ثقب إناؤها فسالت منه كما يسيل دم الذبيح . زمزم العلوج تراطنوا على أكلهم وهم صموت لا يستعملون لسانا ولا شفة ، ولكنه صوت يديرونه فى خياشيمهم فيفهم بعضهم من بعض . صلى عليها أثنى عليها وباركها .

(٥ — ٦) بابل مدينة قديمة كانت تبعد عن بغداد بثلاثة وتسعين كيلو مترا ، وقد بلغت أوج عظمتها فى عهد بختنصر سنة ٦٠٤ ق . م . ثم خربها دارا . ثم فتحها الاسكندر المقدونى ومات فيها سنة ٣٠٤ ق . م . والعرب ينسبون إليها الخمر والسحر . السلافة ما تحلب وسال قبل العصر وهو أجود الخمر . القند (بفتح القاف) والقنديد (بكسرها) عسل قصب السكر (فارسى معرب) والقنديد كذلك العنبر والكافور ، والمسك طيب يتخذ من دم الغزال . ختم الاناء سده بالطين ونحوه . متوم قد وضع فى أذنيه تومتين ، والتومة (بضم التاء) اللؤلؤة . ذفيف مسرع . مفدم قد شد على أنفه وفمه خرقة بيضاء .

(٧ — ٩) المصحاة قدح من فضة يشرب به . البقم شجر ساقه أحمر يصبغ به . الجلسان والبنفسج والسيسنبر والمرزجوش أنواع من الورود والرياحين ، وكلها أسماء فارسية معربة . نمنمه زخرفه ونقشه وزينه . الآس والخيرى والمرو والسوسن كلها أنواع من الرياحين . الهنزمن عيد من أعياد النصارى (معرب) . مخشم سكران شديد السكر . خشمه الشراب (بالتعدية) ثارت رائحته فى خيشومه فأسكرته .

(١٠ — ١٢) الشاهسفرم والياسمين والنرجس أنواع من الرياحين . يوم دجن غائم كثير المطر ، والدجن أن يسد الغيم أقطار السماء . المستقة آلة يضرب عليها (معرب) . الون ضرب من آلات الطرب الوترية . البربط هو المزهر أو العود ، وكلها فارسى الأصل . الصنج دوائر من النحاس تثبت فى أطراف الأصابع ويصفق بها على نغمات موسيقية . فيسحاها ، لم أعثر لها على أصل . وفى المعاجم : هو يفسحى الفيسحى أى يباعد فى خطوه .

فاذا أشبع الأعشى رغبته فى المباهاة بهذه الألوان الأعجمية المترفة ، انتقل إلى المباهاة بلون آخر من صميم الحياة العربية ، وهو الجرأة على اقتحام الصحراء . فيقول :

(١٣ — ١٦) دع عنك كل ذلك ، وتعال معى إلى الصحراء . كم من تيه رملى يضل فيه السالك ، قد قطعته فوق ناقتى الضامرة ، فى ظلام الليل البهيم . فأنا أخوض الصحراء بناقة سريعة جريئة ، كأنها الجمل الفحل ، حين يتزود الراكب لرحلته الطويلة بالماء ، ويلوث عمامته فوق رأسه ، متهيئا لما هو مقبل عليه من أمر . ترى عينها منحرفة فى جنب مؤقها ، تراقب فى كفى سوطا يابسا لم يمس جلدها قبلين . وكأنها إذ تحمل رَحْلى المكسو بالجلد والوسائد ، وقد نال منها الكلال : ثورٌ أفطس الأنف أسفع الخد ، قد هزله الجوع .

ثم يمضى الأعشى مستطردا إلى هذه القصة التقليدية الطويلة ، قصة الثور فى كفاحه المر العنيف . وهى صورة مكررة معادة فى الشعر الجاهلى ، قلما يتغير فيها الخيال أو الألفاظ ، وقد مرت بنا هذه الصورة منذ قليل فى القصيدة (٥٢) . ولها نظائر فى شعر امرىء القَيْس ، والنابغة الذُّبْيانى ، وأَوْس ، والمُتَلَمِّس ، والمُثَقِّب العَبْدى ، وأبى ذُؤَيب الهُذَلى ، والنابغة الجعدى .[1]

يقول الأعشى :

(١٧ — ٢٠) كأن ذلك الثور ، فى ظهره الأبيض وجسمه الأسود ، قد لبس ثوبا ناصعا ، من تحته جلد قاتم ، صبغه رَجُلٌ صَنَاعٌ بصبغ (العِظْلِم) الأسود . بات هذا الثور ليلته ظمآن طاويا ، يديم النظر إلى السماء ، كأنه يبارى رهطا بعدت أرضهم عن الكلأ والماء ، فصاموا عن الطعام والشراب . يلجأ إلى شجرة (أرْطَى) فى منعرج الرمال ، تعصف من حوله ريح شمالية هوجاء ، فتترك وجهه أغبر قاتما . وأكب الثور على أصل الشجرة بقرنيه ، يحفر فيها بيتا يؤويه ، فى هذا الموضع المكشوف ، الذى تنهال رماله غير متماسكة .

(٢١ — ٢٣) فلما أضاء الصبح ، قام من وكره مبادرا ، وقد حان انطلاقه من حيث أقام . فصبّحته كلابُ (عوف ابن أرقم) الصائد ، عند شروق الشمس فى الصباح المبكر . وكان ذلك الصياد يقودها إلى جنبه ،

(١) ديوان امرىء القيس ص ١٠٠ و ديوان النابغة الذبيانى ص٢٩ ، ٢٠٤ (مطبعة الهلال ١٩١١) ، وشعراء النصرانية ص٣٤٥ ، ٤٠٣ وجمهرة أشعار العرب ص ١٠٦ ، ٢٢٦ ، ٣٠٢ (المطبعة الرحمانية ١٩٢٦) .

١٣ــ فَدَعْ ذَا وَلٰكِنْ رُبَّ أَرْضٍ مُتِيهَةٍ   قَطَعْتُ بِعُرْجُوجٍ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا

١٤ــ بِنَاجِيَةٍ كَالْفَحْلِ فِيهَا تَجَاسُرٌ   إِذَا الرَّاكِبُ النَّاجِي اسْتَقَى وَتَعَمَّمَا

١٥ــ تَرَى عَيْنَهَا صَغْوَاءَ فِي جَنْبِ مُؤْقِهَا   تُرَاقِبُ فِي كَفِّي الْقَطِيعَ الْمُحَرَّمَا

١٦ــ كَأَنِّي وَرَحْلِي وَالْفِتَانَ وَنُمْرُقِي   عَلَى ظَهْرِ طَاوٍ أَسْفَعِ الْخَدِّ أَخْثَمَا

١٧ــ عَلَيْهِ دَيَابُوذٌ تَسَرْبَلَ تَحْتَهُ   أَرَنْدَجَ إِسْكَافٍ يُخَالِطُ عِظْلِمَا

١٨ــ فَبَاتَ عَذُوبًا لِلسَّمَاءِ كَأَنَّمَا   يُوَائِمُ رَهْطًا لِلْعَزُوبَةِ صُيَّمَا

١٩ــ يَلُوذُ إِلَى أَرْطَاةِ حِقْفٍ تَلُفُّهُ   خَرِيقُ شَمَالٍ تَتْرُكُ الْوَجْهَ أَقْتَمَا

٢٠ــ مُكِبًّا عَلَى رَوْقَيْهِ يَحْفِرُ عِرْقَهَا   عَلَى ظَهْرِ عُرْيَانِ الطَّرِيقَةِ أَهْيَمَا

٢١ــ فَلَمَّا أَضَاءَ الصُّبْحُ قَامَ مُبَادِرًا   وَحَانَ انْطِلَاقُ الشَّاةِ مِنْ حَيْثُ خَيَّمَا

٢٢ــ فَصَبَّحَهُ عِنْدَ الشُّرُوقِ غُدَيَّةً   كِلَابُ الْفَتَى الْبَكْرِيِّ عَوْفِ بْنِ أَرْقَمَا

٢٣ــ فَأَطْلَقَ عَنْ مَجْنُوبِهَا فَاتَّبَعْنَهُ   كَمَا هَيَّجَ السَّامِي الْمُعَسِّلُ خَشْرَمَا

٢٤ــ لَدُنْ غُدْوَةً حَتَّى أَتَى اللَّيْلُ دُونَهُ   وَجَشَّمَ صَبْرًا رَوْقَهُ فَتَجَشَّمَا

٢٥ــ وَأَنْحَى عَلَى شُؤْمَى يَدَيْهِ فَذَادَهَا   بِأَظْمَأَ مِنْ فَرْعِ الذُّؤَابَةِ أَسْحَمَا

(١٣ ــ ١٥) متيهة صحراء مضلة . عرجوج ناقة ضامرة . ناجية سريعة . تعمم كور العمامة على رأسه . صغواء مائلة ، فعلها صغا أي مال . المؤق طرف العين مما يلي الأنف . القطيع السوط . جلد محرم لم يدبغ ، وسوط محرم لم يمرن ، لأنه لا يحتاج لضربها .

(١٦ ــ ١٧) الرحل للإبل كالسرج للخيل ، وهو الخشب المعدود الذي يركب فوقه . الفتان غشاء للرحل من الجلد . النمرق وسادة صغيرة يتكأ عليها ، أو هي بساط يفرش فوق الرحل . طاو جائع . السفعة سواد يضرب للحمرة . الخثم عرض الأنف وغلظه . يقصد تشبيه ناقته بثور الوحش . الديابوذ ثوب ينسج على نيرين . تسربل لبس . الأرندج جلد أسود . الإسكاف الصانع الحاذق . العظلم نوع من الشجر يستخرج منه صبغ أسود يختضب به للشعر . يصور بذلك ثوراً أبيض الظهر قوائمه سوداء .

(١٨ ــ ٢٠) عذب الرجل (كضرب) ترك الأكل من شدة العطش ، فهو عاذب وعذوب . وائمه وافقه أو باهاه وصنع مثل صنيعه . العزوبة الأرض البعيدة المضرب إلى الكلأ . يلوذ يلجأ . الأرطى شجر ضخم ينبت في الرمال ، واحدته أرطاة . الحقف من الرمل ما اعوج وانعطف ، جمعه أحقاف . الخريق الريح الشديدة الهبوب . الشمال ريح باردة تهب من الشام . أقتم أغبر . مكبا مطأطئاً رأسه يحفر هذه الأرطاة ليتخذ فيها كناسا يأوي إليه . روقه قرنه . على ظهر عريان الطريقة أي على ظاهر الطريق . أهيم منهار لا يتماسك ، صفة (عريان الطريقة) .

(٢١ ــ ٢٥) مبادرا من كناسه . الشاة الثور . خيم أقام . غدية تصغير غدوة (بضم فسكون) ، وهي البكرة أو ما بين الفجر وطلوع الشمس . البكري نسبة إلى قبيلة بكر (قوم الأعشى) . جنب الدابة والبعير (كنصر) قادها إلى جنبه . السامي الذي يسوق الجبل . المعسل الذي يجمع العسل . الخشرم جماعة النحل والزنابير . لدن غدوة (بالنصب) كذلك جاءت في النص ، نصبها على أنها مفعول مطلق لفعل محذوف ، والتقدير لدن غدا غدوة . أنحى اعتمد ، أنحى البعير اعتمد في سيره على أيسره . اليد الشؤمى أي اليسرى . أظمأ أسمر ذابل . الفرع الشعر . الذؤابة شعر الناصية . أسحم أسود .

فلما رآه أطلقها عليه ، فانبعثت تتبعه ، كأنها جماعة النحل ، هَيَّجها جامع العسل الذى يرتقى فى طلبه الجبال .

(٢٤ — ٢٨) وظلت تطارده منذ الصباح المبكر حتى أقبل الليل . فلم يجد بدا من الثبات ، وجَشَّم قَرْنَه — وهو سلاحه — الصبرَ على القتال ، فتجشَّمه . واعتمد على يده اليسرى ، وراح يذودها عن نفسه ، بقَرْن ذابل محدَّد ، أشد سوادا من خصلة الشعر . وأقبـــل عليها ، يهز قرنه حين يدفعه فى صدرهـا ، كما يشك الجرادَ صائدُه وقد نظمه فى العُود . وانقلب بعد أن قتلها وقد أشرق وجهه ، فكأنه كوكب (الشعْرَى) ، وقد دخل فى أرض سوداء جرداء ، يعانى حرها الملتهب الشديد .

وتنتهى هذه القصة المثيرة إلى غايتها المرجوة ، وقد تحقق لبطلها الظفر ، بعد كفاح طويل مرير . فيعود الشاعر إلى ناقته من حيث تركها ليقول :

٢٩ — ذلك الثور المكافح الجسور ، أشبهُ شىء بناقتى ، وقد أجهدتها الرحلة ، تتجشم أهوالها ، حين يأوى الثور إلى وكره ، منكمشا لا يجرؤ على الخروج .

وقد تحملت الناقة كل هذه المشاق فى طريقها للمدوح .

(٣٠ — ٣٢) فهى تقصد (إياسا) ، الذى أيده الله بالعزة والكرامة مدى الدهر . وقد أعلى الله مكانه فوق كل قبيلة ، ورث السؤدد أبا عن أب ، فهو يأبى الدنية أينما تكون . لم يتورط يوما فى مَنْقَصَة تورثه العار ، فيُظلِم وجهُه من خجل ، فليس هو بالهيَّابة الذى يركب العجز ، وليس بالآثم الذى يُقَرِّب الشر .

(٣٣ — ٣٦) ولو أن العز فى رأس صخرة ملساء ، تَزِلُّ فيها حوافر الوعل المحجَّل ، لأعطاك الله مفتاح بابها ، أو أعطاك سلما تَرْقَى به إليها . وليس نيل مصر إذا التطمت أمواجه ، ولا الفرات إذا طغت مياهه ، بأجود منه عطاء . — وإن بعض الناس ليصد معرضا إذا سئل المعروف —

(٣٧ — ٤١) فهو الذى يهب للمستجير به الإبل الضخمة الغزيرة اللبن ، كأنها الشجر الضخام ، أو النخيل أثقله الثمار . ويهب كل فرس أدكن طويل الظهر كأنه القناة ، وكل جواد أسود وثاب ، مفتول العضلات كأنه المِرَاوة ، وكلَّ سريع عتيق من الخيل كأنه القناة ، ناعم الجلد ، بحيث حين يعدو لوجهه ،

٢٦— وَأَنْحَى لَهَا إِذْ هَزَّ فِي الصَّدْرِ رَوْقَهُ ... كَمَا شَكَّ ذُو الْعُودِ الْجَرَادَ الْمُخَزَّمَا

٢٧— فَشَكَّ لَهَا صَفْحَاتِهَا صَدْرُ رَوْقِهِ ... كَمَا شَكَّ ذُو الْعُودِ الْجَرَادَ الْمُنَظَّمَا

٢٨— وَأَدْبَرَ كَالشِّعْرَى وُضُوحًا وَنُقْبَةً ... يُوَاعِسُ مِنْ حُرِّ الصَّرِيمَةِ مُعْظَمَا

٢٩— فَذَلِكَ بَعْدَ الْجَهْدِ شَبَّهْتُ نَاقَتِي ... إِذَا الشَّاةُ يَوْمًا فِي الْكِنَاسِ تَجَرْثَمَا

٣٠— تَؤُمُّ إِيَاسًا إِنَّ رَبِّي أَبَى لَهُ ... يَدَ الدَّهْرِ إِلَّا عِزَّةً وَتَكَرُّمَا

٣١— نَمَاهُ الْإِلَهُ فَوْقَ كُلِّ قَبِيلَةٍ ... أَبًا فَأَبًا يَأْبَى الدَّنِيَّةَ أَيْنَمَا

٣٢— وَلَمْ يَتَنَكَّسْ يَوْمًا فَيُظْلِمَ وَجْهُهُ ... لِيَرْكَبَ عَجْزًا أَوْ يُضَارِعَ مَأْثَمَا

٣٣— وَلَوْ أَنَّ عِزَّ النَّاسِ فِي رَأْسِ صَخْرَةٍ ... مُلَمْلَمَةٍ تُعْيِي الْأَرَحَّ الْمُخَدَّمَا

٣٤— لَأَعْطَاكَ رَبُّ النَّاسِ مِفْتَاحَ بَابِهَا ... وَلَوْ لَمْ يَكُنْ بَابٌ لَأَعْطَاكَ سُلَّمَا

٣٥— فَمَا نِيلُ مِصْرٍ إِذْ تَسَامَى عُبَابُهُ ... وَلَا بَحْرُ بَانِقْيَا إِذَا رَاحَ مُفْعَمَا

٣٦— بِأَجْوَدَ مِنْهُ نَائِلًا إِنَّ بَعْضَهُمْ ... إِذَا سُئِلَ الْمَعْرُوفَ صَدَّ وَجَمْجَمَا

٣٧— هُوَ الْوَاهِبُ الْكُومَ الصَّفَايَا لِجَارِهِ ... يُشَبَّهْنَ دَوْمًا أَوْ نَخِيلًا مُكَمَّمَا

٣٨— وَكُلَّ كُمَيْتٍ كَالْقَنَاةِ نَحَالُهُ ... وَكُلَّ طِمِرٍّ كَالْهِرَاوَةِ أَدْهَمَا

(٢٦ — ٢٨) أنحى لها قصد إليها وأقبل عليها . خزم اللؤلؤ (كضرب) شكه ونظمه . البيت (٢٧) مكرر مع ما قبله . والمرجح أنه رواية أخرى له ، مع تغيير طفيف . أدبر أعرض أى بعد أن قتلها . الشعرى كوكب . النقبة اللون ، وهى كذلك الوجه . يواعس يدخل فى الوعاس (بكسر الواو) وهى الأرض الصلبة ، أو بياض فى الأرض الصلبة ، أو بياض فى الأرض لا ينبت شيئا . الصريم الأرض السوداء لا تنبت شيئاً . المعظمة النازلة الشديدة ، ومعظم الشىء أكثره ، والجمع معاظم (كمساجد) .

(٢٩ — ٣٢) الشاة الثور . الكناس بيته فى أصول الأشجار . تجرثم دخل فى كناسه ، ومعناه فى الأصل اجتمع ، وجرثومة الشىء أصله ، وجرثومة النمل قريته وبيته . تؤم إياساً ، وروى أيضاً (يميم قيسا) الذين رووها فى مدح قيس بن معديكرب . نماه رفعه . انتكس وقع على رأسه ، وانتكس المريض عادته العلة بعد النقه ، والمقصود هنا أنه لم يقع فى خطأ ، ولم يرتكب ما يهين . ليركب ، متعلق بـ (يتنكس) . ضرع من الشىء (كنصر) دنا منه . ضرعت الشمس وضارعت دنت للمغيب . يضارع مأثما يقارب إثما .

(٣٣ — ٣٥) ململمة مدورة مجتمعة ، يقصد بذلك صخرة ملساء تزلق عنها القدم . الأرح الوعل المنبسط الظلف . المخدم الوعل الذى يستدير التحجيل بأرساغ رجليه دون يديه . والتحجيل بياض يحيط بالأرجل ، بانقيا ناحية من نواحى الكوفة كانت على شاطىء الفرات .

(٣٦ — ٣٨) نائلا عطاء . صد أعرض . جمجم أحجم . الكوم جمع أكوم وكوماء وهو الضخم السنام من الإبل . صفت الناقة تصفو صارت غزيرة اللبن فهى صفية والجمع صفايا . الجار المجاور فى السكن ، وهو كذلك المستجير . الدوم ضخام الشجر . مكمم أخرج ثماره . كمت النخلة وأكمت أخرجت أكمامها (والكم هو الغلاف الذى ينشق من الثمر) . كميت صفة لمحذوف ، يقصد فرسا كميتا ، والكمتة حمرة تضرب للسواد . النحال جمع نحالة وهى الفقرة من فقار الظهر . طمر صفة لمحذوف ، أى جواد طمر وهو الخفيف الوثاب . أدهم أسود .

ويضرب الأرض بحوافره. وهو الذي يهب كل ناقة سريعة كأنها الفحل المكرّم عند أصحابه،

وكلَّ جارية مترفة، تجر ثوبها الفاخر المخطط حين تسعى إلى الحانوت.

لم يستغث بمثله في الناس مكروب، ليدفع عنه ظلماً يبهظه، أو يحمل عنه مغرّماً فدحه.

(٥٦)

هذه القصيدة هي إحدى القصائد التي رويت للأعشى في يوم (ذي قار) . وقد تقدم له في هذا اليوم ثلاث قصائد (٢٦ ، ٣٤ ، ٤٠) . وقد روى ابن إسحق بعض أبيات هذه القصيدة منسوباً لسيف بن ذي يزن الحميري في فتح الفرس ليمن ، حين استعان بهم على إخراج الحبش منها ، وهي الأبيات : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٩ ، ١٢ ، ١٣ . وعقب ابن هشام على الأبيات بقوله (وأنشدني خلاد بن قرة السدوسي آخرها بيتاً — يعني البيت (١٣) — لأعشى بني قيس بن ثعلبة في قصيدة له . وغيره من أهل العلم بالشعر ينكرها له (١) . وقال ثعلب في ديباجة القصيدة : (قال أبو عبيدة يخلطها قول سيف بن ذي يزن(٢). وغيره يقول : هي لعبد كلال الحميري(٣). ورواها أبو عمرو الشيباني في يوم ذي قار) .

ويمكننا أن نجمل رأينا فيما يلي :

١ — يرى أبو عبيدة أن الرواة قد خلطوا بين قصيدة الأعشى هذه ، وبين قصيدة أخرى من هذا البحر والروي لسيف بن ذي يزن الحميري فأدخلوا في قصيدة الأعشى بعض أبيات من قصيدة سيف بن ذي يزن . أما غيره فهو يروي القصيدة برمتها لشاعر آخر من حمير ، هو عبد كلال الحميري . والرأيان كلاهما يتفقان مع ابن إسحق فيما ذهب إليه من أن بعض أبيات القصيدة قيل في حرب الفرس للحبش وطردهم لهم من اليمن .

٢ — يذهب أهل العلم بالشعر في القرن الثاني الهجري إلى أن القصيدة ليست للأعشى فيما يروي عنهم ابن هشام المتوفى سنة ٢١٣ هـ . وينفرد أبو عمرو الشيباني بإثبات القصيدة للأعشى في يوم ذي قار .

٣ — إذا تتبعنا أصحاب هذه الروايات لاحظنا أنهم جميعاً لا يرتفعون عن مواطن الشبه . فابن هشام الذي أثبت القصيدة لسيف بن ذي يزن الحميري من حمير . وابن إسحق وأبو عبيدة وأبو عمرو كلهم موالي وهم متعاصرون . أما ابن إسحق فقد كان أجهل الناس بالشعر ، على علمه بالحديث والمغازي . وأما أبو عبيدة فقد عرف بكرهه للعرب وتحامله عليهم ، فهو يكره أن يروي هذا الشعر في انتصار العرب على الفرس . وأما أبو عمرو فقد جاور بني شيبان حتى نسب إليهم ، فغير بعيد أن يجامل شيبان برواية هذا الشعر . وخصوصاً إذا لاحظنا أن القصيدة تنسب لشيبان وحدها شرف هذا اليوم ولاتشير إلى أي فرع آخر من فروع بكر التي اشتركت في القتال ، بل إنها تخلو من الاشارة إلى فرع الأعشى نفسه (قيس بن ثعلبة) . ويروون عن أبي عمرو أنه كان كلما جمع شعر قبيلة فأخرجه للناس ، كتب بيده مصحفاً وجعله بمسجد الكوفة ، حتى كتب نيفاً وثمانين مصحفاً . أتراه كان يكفر بذلك عن كذب كثير ؟.

٤ — القصيدة من مجزوء الوافر . وهو بحر غريب على شعر الأعشى ، لم يرو له فيه غير هذه القصيدة .

٥ — البيتان (١ ، ٢) غامضان ، فلسنا نعرف من يعني بالملكين اللذين نفد التأما . وصلة البيتين ببقية القصيدة غير واضحة وغير مفهومة .

٦ — البيت (٢٢) من هذه القصيدة يناقض البيت (١٩) من القصيدة (٦٢) . فهو يقول هنا :

صبحناهم بنشاب كفيت تمتع الأدما

فقوم الأعشى هنا يقاتلون بالنشاب ، بينما يقول في القصيدة (٦٢) :

إذا أمالوا إلى النشاب أيديهم ملنا ببيض فظل الهام يختطف

فالفرس هنا هم الذين يقاتلون بالنشاب فيجيبهم قوم الأعشى بالسيوف .

ثم إن تلقيب (الهامرز) بـ (القيل) في البيتين (١٢ ، ١٩) غريب . فالذين كانوا يلقبون بهذا اللقب هم ملوك اليمن .

ومن مجموع هذه الظروف والملابسات ، نستطيع أن نقول : إن من حق الباحث أن يتردد في نسبة هذه القصيدة للأعشى . بل إن من واجبه أن يستبعدها حين يدرس هذا الشعر ليستنتج منه شيئاً يتعلق بفن الأعشى أو تاريخ عصره .

---

(١) سيرة ابن هشام ج ١ ص ٦٦ .

(٢) سيف بن ذي يزن هو الذي استنصر بالفرس في استنقاذ اليمن من الحبشة ، فأعانوه حتى ملك اليمن . وكان يسكن قصر غمدان في صنعاء ، وقد جاءته وفود العرب مهنئة . وكان فيمن وفد عليه وفد الحجازيين يرأسه عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم . (الأغاني ج ١٦ ص ٧٥-٧٧)

(٣) هو عبد كلال بن داذ بن أبي جمد . وهو جد وضاح اليمن الشاعر ، الذي قتله الوليد بن عبد الملك ، لتشبيبه بزوجته أم البنين ، بنت عبد العزيز بن مروان . وقد اختلف في نسبه ، فزعم قوم أنه من أصل فارسي ، وأنه من جنود الفرس الذين غزوا مع سيف بن ذي يزن . وقال آخرون إنه من قبيلة حمير (بكسر فسكون) .

٣٩— وَكُلُّ مِزَاقٍ كَالْقَنَاةِ طِمِرَّةٍ ... وَأَجْرَدَ جَيَّاشِ ٱلْأَجَارِيِّ مِرْجَمَا

٤٠— وَكُلُّ ذَمُولٍ كَالْفَنِيقِ وَقَيْنَةٍ ... تَجُرُّ إِلَى ٱلْحَانُوتِ بُرْدًا مُسَهَّمَا

٤١— وَلَمْ يَدْعُ مَلْهُوفٌ مِنَ ٱلنَّاسِ مِثْلَهُ ... لِيَدْفَعَ ضَيْمًا أَوْ لِيَحْمِلَ مَغْرَمَا

(٥٦)

وقال يفتخر بيوم ذى قار :

١ — يَظُنُّ ٱلنَّاسُ بِٱلْمَلِكَيْـ ... ـنِ أَنَّهُمَا قَدِ ٱلْتَأَمَا (وافر، مجزوء)

٢ — فَإِنْ تَسْمَعْ بِلَأْمِهِمَا ... فَإِنَّ ٱلْخَطْبَ قَدْ فَقِمَا

(٣٩—) المزاق (بكسر الميم) السريع . يقال فرس مزاق وناقة مزاق ، يكاد ينشق عنها جلدها من سرعتها . طمرة خفيفة وثابة . أجرد أى فرس أجرد قصير الشعر رقيقه ، وهى من الصفات المستحسنة فى الخيل . جاشت القدر غلت ، وجاش البحر هاج واضطرب . الأجارى جمع إجريا (بكسر الهمزة وتشديد الياء) وهو الوجه الذى يأخذ فيه حين يجرى . مرجم يرجم الأرض بحوافره حين يعدو .

(٤٠ — ٤١) الذميل السير اللين . إذا ارتفع السير عن العنق (بالفتح والتحريك) قليلا فهو التزيد ، وما فوقه الذميل ، ثم الرسيم . الفنيق الفحل المكرم الذى لا يمتهن بالركوب ، وهو من الأنتاق أى الترف والنعيم . البرد ثوب مخطط . مسهم قد رسمت عليه سهام . ملهوف مظلوم مكروب مستغيث . الضيم الظلم . المغرم الغرامة ، غرم الرجل الدية والدين أداها عن صاحبها ، فهو غارم .

(٥٦)

(١ — ٢) لأمه فالتأم أصلحه . الخطب الداهية والأمر العظيم . فقم عظم .

يقول الأعشى :

١ — يظن الناس أن المَلِكَيْن قد أصبحا فى وفاق ووئام .

٢ — فأن تسمعْ بذلك ، فأن الخطب إذن لعظيم .

٣ — تفاقم أمر الحرب بين الناس ، فهى كالفحل القوى ، قد اشتد واكتملت قواه .

٤ — وبرزت أنيابه الحادة ، يَهْدِر وقد أخرج شِقْشِقَتَه فى هياج عنيف مخيف .

٥ — جاءنا عن (بنى الأحرار) قول ظالم بعيد عن القَصْد والرشاد .

٦ — يريدون استئصالَ شأفتِنا ، ولكنا لا نسلمهم زمامنا ولا نلين .

٧ — فالبغى بغيض تعافه النفوس ، والجهل ثقيل يجثم على الصدور .

٨ — باتوا ليلهم ساهرين ، يدبرون ما عزموا عليه ويقدّرون .

٩ — ثم أقبلوا نحونا ، لهم جَلَبة وضوضاء تهدُّ السهل ، وتردّدها الجبال .

١٠ — قد لبسوا الدروع الفضْفاضة البراقة المُحْكَمَة النسج وتمنطقوا فوقها بالحُزُم .

١١— ....

١٢ — وجاء أميرهم (الهامَرْز) يقسم أغلظ الأيمان ،

١٣ — ألا يذوق الخمر ، حتى يعود محمّلا بالسبايا والأسلاب .

١٤ — فلقى الموت جاثما فى انتظاره ، ووجد (ذُهْلا) دون ما خَيَّلَتْ له نفسُه من أوهام .

١٥ — قوم يأبون الذل ، ولا ينزلون على حكم الأعداء .

٣ — وإنَّ ٱلْحَرْبَ أَمْسَى فَحْـ ـلُهَا فِي النَّـاسِ مُحْتَلِمَا

٤ — حَدِيدًا نَابُهُ مُسْتَدْ لِقًا مُتَخَمِّطًا قَطِمَا

٥ — أَتَانَا عَنْ بَنِي ٱلْأَحْرَا رِ قَوْلٌ لَمْ يَكُنْ أَمَمَا

٦ — أَرَادُوا نَحْتَ أَثْلَتِنَا وَكُنَّا نَمْنَعُ ٱلْخُطُمَا

٧ — وَكَانَ ٱلْبَغْيُ مَكْرُوهًا وَقَوْلُ ٱلْجَهْلِ مُنْتَحِمَا

٨ — فَبَـاتُوا لَيْلَهُمْ سَمَرًا لِيُسْدُوا غِبَّ مَا نَجَمَا

٩ — فَغَبُّوا نَحْوَنَا لَجِبًا يَهُدُّ السَّهْلَ وَٱلْأَكَمَا

١٠— سَوَابِغُ مُحْكَمُ ٱلْمَاذِ يِّ شَدُّوا فَوْقَهَـا ٱلْحُزُمَا

١١— .... الكُتُمَا

١٢— لِجَاءِ ٱلْقَيْلُ هَـامَرْزُ عَلَيْهِمْ يُقْسِمُ ٱلْقَسَمَا

١٣— يَذُوقُ مُشَعْشَعًـا حَتَّى يُفِيءَ السَّبْيَ وَالنَّعَمَا

١٤— فَلَاقَى ٱلْمَوْتَ مُكْتَنِعًا وَذُهْلًا دُونَ مَا زَعَمَـا

١٥— أُبَاةَ الضَّيْمِ لَا يُعْطُو نَ مَنْ عَادَوْهُ مَا حَكَمَا

(٣ — ٥) الفحل الجمل والذكر من كل حيوان. احتلم الصبي أدرك وبلغ مبلغ الرجال. حديد حاد. دلق البعير شقشقته أخرجها، والشقشقة (بكسر الشين) شيء كالرئة، يخرجه البعير من فيه إذا هاج وهدر. تخمط الفحل هدر. قطم هائج. بنو الأحرار الفرس. الأمم (بالفتح) الواضح البين من الأمر، والقصد والوسط.

(٦ — ٧) الأثلة شجرة طويلة. يقصد بنحت أثلتهم استئصالهم. الخطم جمع خطام (بكسر الخاء)، وهو الحبل الذي يشد على أنف البعير ليقاد به. النحيم صوت يخرج من الجوف، وشبه أنين في الصدر يستريح إليه صاحبه، كالذي يفعله الحمال إذا حمل حملا ثقيلا. والمتنحم من له زفير وزحير في صدره.

(٨ — ٩) سمرا سامرين يتحدثون. ليسدوا أي ليدبروا، وأصله من تسدية النسيج وهو مد خيوطه. غب الشيء عاقبته. نجم الأمر حدث وظهر. غب الرجل جاء زائرا بعد أيام، وغب فلان عندنا بات، وغبا له وغبا إليه (كفتح) قصد له. جيش لجب كثيف له جلبة وضوضاء.

(١٠ — ١٢) دروع سابغة فضفاضة تكسو سائر الجسد. والدرع ثوب من حديد يلبسه المقاتل حتى لا ينفذ السلاح في جسده. وهو منسوج من حلق قد ركب بعضها في بعض، وكانوا ينسجونها حلقة حلقة، فإن أرادوا زيادة إحكامها نسجوها حلقتين حلقتين ويسمونها عندئذ مضاعفة. درع ماذية بيضاء. الحزم المناطق، جمع حزام. القيل الملك. هامرز من قواد الفرس في ذلك اليوم، ولم يكن ملكا، ولكنه قصد بالقيل الرئيس. وروى (قيل الناس وهرز مقسم قسما) وذلك لمن روى هذه الأبيات لسيف بن ذي يزن في فتح الفرس لصنعاء، حين استجار بهم واستنصرهم على اليمن. وهرز هو أمير جيش الفرس الذي غزا اليمن وفتح صنعاء (السيرة ج ١ ص ٦٦).

(١٣ — ١٥) المشعشعة الخمر التي مزجت بالماء. فاء الفتية وأفاءها أخذها واقتسمها. السبي الأسرى من النساء. النعم (بالفتح) الإبل. يذوق أي أقسم ألا يذوق الخمر حتى ينتصر. كنع واكتنع تقبض وانكمش. وذهلا أي ولاقى ذهلا، وهم ذهل بن شيبان بن بكر، وكانوا أحسن الناس بلاء في يوم ذي قار. حكم تفنن، أي لا يعطونه ما أراد.

١٦ — شمخت رءوسهم عزا ، فما ينقادون لغاشم ظلوم .

١٧ — تحملهم الجياد الجُرْد المُلَمْلَمَة ، عوابسَ تلوك اللُّجُم فى ثورة واهتياج .

١٨ — وقد أحاطت بها الرماح الصلبة الذابلة ، كأنها أجمة كثيفة الأشجار .

١٩ — قتلنا أميرهم (الهامَرْز) ورويّنا كثبان الرمال بالدماء .

٢٠ — وكم من سبيّة تُقطّع قلبها الحسرات ، قد أنزلتها الرماح على حكمها ، فأصبحت تحت رجل من أبطالنا الشجعان .

٢١ — صبّحناهم شرابا ينصبُّ عليهم انصباب اللبن من الناقة الحَلوب .

٢٢ — صبّحناهم بالسهام ، تنطلق مسرعة ، فيُسْمَع لوقعها فى جلودهم طنين .

٢٣ — فدَتْ أُمّى بنى (ذُهل) ، إذ يتتابعون على راية الفرس فى هذا الموقف المشهود .

٢٤ — فدتهم أمى جزاء ما كانوا يضربون فوق الخُوَذِ المحبوكة ، حتى حطموا الفرس شر تحطيم .

٢٥ — ....

٢٦ — بمثلهم يومَ القتال ينجلى العزُّ والمجد وضّاء له بريق .

٢٧ — تجلوه كتائبُ بنى (ذُهل) وقد انتظمت عليها الدروع .

٢٨ — لقى بهم الفرس رجالا أُباة غضابا ، قاتلوا حتى تم لهم النصر

١٦— أبَتْ أعناقُهمْ عِزًّا ... فمَا يُعطونَ منْ غَشَما

١٧— عَلَى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ ... عوَابسَ تَعلُكُ اللُّجُما

١٨— بِخَالُ ذَوابِلَ الخَطِّ ... يِّ في حافاتِها أجَما

١٩— قتلْنَا القيْلَ هَامَرْزًا ... وروَّيْنَا الكَثِيبَ دمَا

٢٠— ألا يا رُبَّ ما حَسْرَى ... سَتُنكِحُها الرِّماحُ حَمَا

٢١— صَبَحْنَاهُمْ مُشَعْشَعَةً ... تخَالُ مَصَبَّها رَذَمَا

٢٢— صَبَحْنَاهُمْ بِنُشَّابٍ ... كَفِيتٍ قَعْقَعَ الأُدُمَا

٢٣— هُنَاكَ فِدًى لهُمْ أُمِّي ... غَدَاةَ تَوَارَدُوا العَلَمَا

٢٤— بِضَرْبِهِمُ حَبِيكَ البَيْ ... ضِ حتَّى ثَلُّوا العَجَمَا

٢٥— وَمَرْيِهِمُ ....

٢٦— بِمِثْلِهِمُ غَدَاةَ الرَّوْ ... عِ يَجْلُو العِزَّ والكَرَمَا

٢٧— كتَائِبُ مِنْ بَنِي ذُهْلٍ ... عَلَيْهَا الزَّغْفُ قدْ نُظِمَا

٢٨— فَلاقَوْا مَعْشَرًا أُنُفًا ... غِضَابًا أحْرَزُوا الغُنُمَا

(١٦ — ١٧) أبت من الإباء، وهو الامتناع والتكبر. عزا مفعول لأجله. غشم ظلم. لا يعطونه لا ينقادون له. جرد جمع أجرد وهو الفرس القصير الشعر. مسومة معلمة بعلامة لتتميز بها بين الخيل. تعلك اللجم تلوكها، لأنها نافرة مهتاجة.

(١٨ — ١٩) الخطي الرماح، منسوبة للخط، وهو مرفأ كانت ترسو عليه السفن التي تحملها. الرماح الذوابل هي الدقيقة التي لصقت بها قشرتها. آجم جمع أجمة وهي الغابة. هامرز قائد الفرس. ويروى (قتلنا القيل مسروقا) لمن رواها لسيف بن ذي يزن وهو مسروق ابن أبرهة، ملك اليمن من قبل الحبشة (السيرة : ٦٦).

(٢٠ — ٢١) ما زائدة. حسرى مؤنث حسران، وهو الذي يتحسر ويتندم على أمر فاته. الحم أبو الزوج، وهو غير مفهوم في هذا الوضع، فلعله مقلوب من حام، اسم فاعل من حمى القوم أي دافع عنهم. صبحه سقاه الصبوح (بفتح الصاد) وهو خمر الصباح. المشعشعة الخمر الممزوجة بالماء. يتهكم بهم، فهم لم يسقوهم خمرا، ولكنهم سقوهم الموت والدم. مصبها أي أصابها؛ مصدر ميمي. رذمت الناقة (كعلم) رذما (بالتحريك) دمعت بلبنها.

(٢٢ — ٢٣) صبح القوم أغار عليهم صباحا. النشاب السهام لأنها تنشب في المصاب أي تلزمه وتعلق به. كفت سريع، فعلها كفت (كضرب). الأدم البشرة جمعها أدم (بالضم). قعقعها كان له صوت حين أصابها. العلم الراية، يقصد راية الفرس. تواردوا جاءوا الواحد بعد الآخر.

(٢٤ — ٢٥) البيض جمع بيضة، وهي غطاء الرأس يلبسه المقاتل. حبيك محبوك النسج وثيق. ثلوهم كسروهم وحطموهم. مرى الناقة مسح ضرعها لتدر.

(٢٦ — ٢٨) الروع (بفتح الراء) الفزع، ويجيء بمعنى الحرب. جلا السيف والمرآة صقلهما، وجلا الأمر كشفه. وفاعل (جلا) كتائب، في البيت التالي، جمع كتيبة. درع زغف (بفتح فسكون)، ودروع زغف كذلك، واسعة محكمة. نظم الشيء ألفه ونسقه. أتى آباه. الغنم (بالتحريك) الفوز والغنيمة.

(٥٧)

يقول الطبرى (١ : ٦١٣) إن اللهازم ــ وهم بنو قيس وتيم اللات بن ثعلبة ، وعجل بن لجيم ، وعنزة بن أسد بن ربيعة ــ فضلوا حين تمس الأعشى والأصم بنى شيبان بالمدح فى يوم ذى قار ، ولامهما فى ذلك شاعر من بنى قيس اسمه أبو كلبة . فقال الأعشى هذين البيتين ، يتنزهما كل من إهالة بقية فروع بكر الأخرى فى شعره .

١ ــ متى تقرن (الأصم) بـ (الأعشى) يتماديا فى الضلال والخسران .

٢ ــ فليس (الأعشى) بمبصر مايرى (الأصم) ، وليس (الأصم) بسامع مايقول (الأعشى) .

(٥٨)

الأعشى فيما يبدو يتجه بهذه الأبيات إلى بعض أبناء عمومته ــ ولعلهم سعد وتيم (الحرقتان) كما يبدو من مقارنة البيت (٣) هنا بالبيت (١١) من القصيدة (٦٩) ــ الذين يوالون قومه بالأذى ويتحرشون بهم . وهو هنا يناشدهم القرابة ألا يمنوا الحرب بين الحيين . فيقول :

١ ــ يا أبناء العم لاتبعثوا الحرب بيننا ، بَغِيضَةً كأرواث الإبل الراعية حين تُرَدُّ على الحى ، واجنحوا للسلم

٢ ــ وعاملونا بمثل ما كنا نعاملكم ، وراعوا عهدنا كما رعينا عهد بنى (رُهْم) .

٣ ــ لحفظنا نساء أبناء عمومتنا الباكيات . وأنتم الذين حشدتمونا على محالفة (بنى غَنْم) .

٤ ــ فلا تبعثوا بيننا الشر ، فتكونوا كالذى يكسر رمحه فى صدره ، فلا يظلم إلا نفسه ، فإثارة الحرب بين الأقربين ظلم مبين .

(٥٩)

يبدو أن بنى قيس بن ثعلبة (قوم الأعشى) وأبناء عمومتهم (ذهل بن ثعلبة) ، كانوا قد أجاروا قوماً ، فانتهك (بنو حنيفة) جوارهم وقتلوا أحد جيرانهم ، زاعمين أن جوار قيس وذهل لا يلزمهم ، وأنهم أقل من أن يجيروا عليهم .

١ ــ إن لَقِيتَ (بنى قيس) و (بنى ذُهْل) ، فسلْهم : هل فيكم من عيب يعيِّركم به معيِّر؟

٢ ــ زعمت (حنيفة) أنكم لاتجيرون عليها ، وأن دماء من تجيرون حِلٌّ لهم ، فسيعلمون أنكم من القوة بحيث تجيرون .

٣ ــ كذبوا وبيتِ الله . لاينتهكون جواركم حتى توازى صغار الكُثْبان شامخ الجبال .

٤ ــ وحتى تلتهم نار الحرب الصغير والكبير ، فتبيد كل شىء ، لها دخان وسعير .

٥ ــ ومن أنتم يابنى حنيفة حتى تزعموا ماتزعمون ؟ هل كنتم إلا أرجلاً وأحشاء ، تدفع عنــ مناكبُ وصدورٌ؟

٦ ــ إنكَ إن أذعنت لهم اليومَ يا (أثال) ، كان ذلك ذلَّ الدهر ، ولم تزل مغلوباً تطؤك الأقدام .

وقال يعتذر من مدحه شيبان :

(٥٧)

١ — مَتَى تَقْرِنْ أَصَمَّ بِحَبْلِ أَعْشَى ... يَلَجَّا فِي الضَّلَالَةِ وَالْخَسَارِ (وافر)

٢ — فَلَسْتُ بِمُبْصِرٍ شَيْئًا يَرَاهُ ... وَلَيْسَ بِسَامِعٍ مِنِّي حِوَارِي

وقال :

(٥٨)

١ — بَنِي عَمِّنَا لَا تَبْعَثُوا الْحَرْبَ بَيْنَنَا ... كَرَدِّ رَجِيعِ الرَّفْضِ وَارْمُوا إِلَى السِّلْمِ (طويل)

٢ — وَكُونُوا كَمَا كُنَّا تَكُونُ وَحَافِظُوا ... عَلَيْنَا كَمَا كُنَّا نُحَافِظُ عَنْ رُهْمِ

٣ — نِسَاءِ مَوَالِينَا الْبَوَاكِي وَأَنْتُمُ ... مَدَدْتُمْ بِأَيْدِينَا حِلَافَ بَنِي غَنْمِ

٤ — فَلَا تَكْسِرُوا أَرْمَاحَكُمْ فِي صُدُورِكُمْ ... فَتَغْشِمَكُمْ إِنَّ الرِّمَاحَ مِنَ الْغَشْمِ

وقال :

(٥٩)

١ — أَبْلِغْ بَنِي قَيْسٍ إِذَا لَاقَيْتَهُمْ ... وَالْحَيَّ ذُهْلًا هَلْ بِكُمْ تَغْيِيرُ (كامل)

٢ — زَعَمَتْ حَنِيفَةُ لَا تُجِيرُ عَلَيْهِمُ ... بِدِمَائِهِمْ وَأَظُنُّهَا سَتُجِيرُ

٣ — كَذَبُوا وَبَيْتِ اللهِ يُفْعَلُ ذَلِكُمْ ... حَتَّى يُوَازِيَ حَزْرَمًا كِنْدِيرُ

٤ — أَوْ أَنْ يَرَوْا جَبَّارَهَا وَأَشَاءَهَا ... يَعْلُو دُخَانٌ فَوْقَهَا وَسَعِيرُ

٥ — هَلْ كُنْتُمُ إِلَّا دَوَارِجَ حُشْوَةً ... دَفَعَتْ كَوَاهِلُ عَنْكُمُ وَصُدُورُ

٦ — أَأُثَالُ إِنَّكَ إِنْ تُطِعْ فِي هَذِهِ ... تُصْبِحْ وَأَنْتَ مُوَطَّأٌ مَكْثُورُ

---

(٥٧)

(١ — ٢) أصم بني شيبان شاعر جاهلي . أعشى يقصد نفسه ، والعشى سوء البصر .

(٥٨)

(١ — ٢) الرجيع المردود إلى صاحبه ، وهو كذلك أرواث البهائم وأقذارها . الرفض (بفتح فسكون) الابل الراعية وحدها والراعي ينظر إليها . ارموا أي ارمأوا ، حذفت الهمزة تخفيفا ، من أرمأ إليه أي دنا . رهم اسم حي ، ورهم بنت الحباب (بفتح الحاء وتشديد الباء) امرأة من بني عجل بن لجيم بن بكر ، وهي أم الأسود بن يعفر النهشلي الشاعر الجاهلي .

(٣ — ٤) نساء بدل من (رهم) ، المولى الجار والحليف وابن العم . حلاف مصدر حالف أي عاهد . غنم (بفتح فسكون) هو غنم بن تغلب بن وائل .

(٥٩)

(١ — ٢) بنو قيس هم بنو قيس بن ثعلبة بن بكر رهط الأعشى . ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن بكر . حنيفة بن بكر ، منهم هوذة بن علي الذي كان يمدحه الأعشى . لا تجير عليهم ، الضمير في (تجير) يعود على ذهل ، والجوار أن تعطي الرجل اللاجيء إليك عهدا ليكون به جارك . فاذا كان المجير قويا احترم الناس جواره ولم يمسوا جاره بسوء ، وإن كان المجير ضعيفا لم يعبأ الناس بجواره وآذوا جاره .

(٣ — ٤) حزرم جبل ، الكندرة (مثل قنطرة) ما غلظ من الأرض وارتفع ، والكندير الغليظ . الجبار النخل الطويل . الأشاء صغار النخل .

(٥ — ٦) دوارج الدابة قوائمها . الحشوة الأمعاء ، والجزار يأخذ الكوارع (الأرجل) والحشوة لتفاهتها . الكواهل جمع كاهل ، وهو مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق ، ما بين الكتفين . يقول ليقل حنيفة إنكم ضعفاء ، وإنما يحميكم أبناء عمومتكم الأقوياء . أثال اسم رجل . موطأ (بصيغة المبالغة) من الوطء ، ووطئه داسه . مكثور مغلوب ، كاثره فكثره أي غلبه في الكثرة .

(٦٠)

هذه القطعة من بعض شعر الأعشى الذى يتصل بالخصومات الضيقة فى داخل البيوتات الصغيرة . «بنو عباد بن ضبيعة وبنو مالك بن ضبيعة الذين يعير إليهم الأعشى فى هذا الشعر ، هم إخوة (سعد بن ضبيعة) بيت الأعشى . ولذلك فهو هنا أقرب إلى العتاب اللين الرقيق .

والبيت (٤) من هذه القطعة لا يمت لقصيدة بسبب ، ومن المرجح أن يكون من خلط الرواة . وقد ذهب قوم إلى أن القطعة كلها لابن دأب(١) ولكن ثعلبا رواها عن أبى عبيدة .

وستجىء هذه القطعة مكررة ، مع بعض الزيادة والنقص ، فى القطعة (٧٢) من الديوان :

القطعة (٦٠) : الأبيات : ١٠٠٤٠٤٠٤٠ — ٣٤٤٤٥٠ ٦،٧ — ٩

القطعة (٧٢) : الأبيات : ١،٢،٣،٤،٥ — ٧،٥،١١،٥،٨ — ١٠

يقول الأعشى :

١ — فيم الخصام يا أخوينا من (عِبادٍ) و (مالك) ؟ ألم تعلموا أن كل ما على الأرض إلى الزوال والفناء ؟

٢ — وأننا أخوكم . وأننا حين تعرض لكم الكتيبة الضخمة ، يبرق فوق رجالها الحديد ، وتثير فى نفوسكم القلق ،

٣ — نقيم لها سُوقَ الحرب غير هايبين ، ونسرع إليها بسيوفنا ، حتى يتولى لواؤها مهزوماً مدحوراً .

٤ — إن (مَعَدّاً) لن تذهب بما فعلت ، وإن (إيادا) قد تجاوزت قدرها .

٥ — أفى كل عام لكم منا قتيل تقتلونه ، وبيت من ورائه تخربونه ، فبَيْضة تُفْقَأ ، وبيضة أخرى تترك وحيداً قد ذهبت عنها أختها ؟

٦ — فلو أن إسرافكم فى دمائنا لَدَى بئر ، لقد امتلأت بالدماء ، وحق لها أن تمتلىء وتفيض .

٧ — وكم من مُلِمة دفعناها عنكم ، وكم من كربة تورد صاحبها الهلاك ، قد فككنا عنكم قيودها .

٨ — وكم من أرملة تسعى بأطفالها ، وقد تلبدت شعورهم واغبرت ، كأنها نعامة تسوق فراخها ،

٩ — آويناها ثم لم نمنن عليها فضلنا ، فأصبحت رَخِيَّة البال ، وقد دفعنا عنها الكرب والهزال .

(٦١)

تقدم البيتان (٢ ، ٣) من هذه الأبيات فى القطعة (٥١) فلتراجع هناك .

١ — أفدى الفوارس الذين قاتلوا بنى (عَوْف) فى الغابة الملتفة الأشجار بأُخوتى وبناتى .

٢ — يكر عليهم (ابن جحدر) بفرسه ، ويخوض (مطر) القتال ، غير معتذرٍ ولا جَفّال .

٣ — فهم بين مهزومين قد فروا لوجههم ، وقتلى قد انتفخت بطونهم . وورِمت منهم الكمرات .

---

(١) هو أبو الوليد عيسى بن يزيد بن دأب الليثى (من ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة) توفى سنة ١٧١ هـ فى أول خلافة الرشيد ، وكان يسكن المدينة ويفد على بغداد ، وقد نال حظوة عند الهادى . وكان من أحفظ الناس للأنساب والأخبار والأشعار ، ولكنه كان متهما بوضع الشعر واختلاق القصص ، وكان هو نفسه جيد الشعر . وترجمته فى معجم الأدباء لياقوت .

(٦٠) وقال فيما كان بينه وبين بني عِبَادٍ ومَالِكٍ ابْنَيْ ضُبَيْعَةَ :

(طويل)

١ — فيا أخوينا من عِبَادٍ ومَالِكٍ ... ألَمْ تَعْلَمَا أَنْ كُلَّ مَنْ فَوْقَها لَهَا

٢ — وتَسْتَيْقِنُوا أنّا أخُوكُمْ وأنّنا ... إذَا سَنَحَتْ شَهْبَاءُ تَخْشَوْنَ فَالَهَا

٣ — نُقِيمُ لَهَا سُوقَ الجِلادِ ونَعْتَلِي ... بأسْيَافِنَا حَتّى نُوَجِّهَ حَالَهَا

٤ — وَإنّ مَعَدًّا لَنْ تُجَازَ بِفِعْلِهَا ... وَإنّ إيَادًا لَمْ تُقَدِّرْ مِثَالَهَا

٥ — أفي كُلِّ عَامٍ بَيْضَةٌ تَفْقَؤُونَهَا ... فَتُؤْذَى وتَبْقَى بَيْضَةٌ لا أخَا لَهَا

٦ — وَلَوْ أنّ مَا أسْرَقْتُمُ فِي دِمَائِنَا ... لَدَى قَرَبٍ قَدْ وُكِّرَتْ وَأنَى لَهَا

٧ — وكَائِنْ دَفَعْنَا عَنْكُمُ مِنْ مُلِمَّةٍ ... وكُرْبَةِ مَوْتٍ قَدْ بَتَتْنَا عِقَالَهَا

٨ — وأرْمَلَةٍ تَسْعَى بِشُعْثٍ كَأَنَّهَا ... وَإيّاهُمُ رَبْدَاءُ حَثَّتْ رِئَالَهَا

٩ — هَنَأْنَا وَلَمْ نَمْنُنْ عَلَيْهَا فَأَصْبَحَتْ ... رَخِيَّةَ بَالٍ قَدْ أزَحْنَا هُزَالَهَا

(٦١) وقال يمدح شَيْبَانَ بْنَ شِهَابٍ الجَحْدَرِيَّ ومَطَرَ بْنَ شَرِيكٍ الشَّيْبَانِيَّ :

(طويل)

١ — فِدَاءٌ لِقَوْمٍ قَاتَلُوا بِخَفِيَّةٍ ... فَوَارِسَ عَوْضٍ إخْوَتِي وبَنَاتِي

٢ — يَكُرُّ عَلَيْهِمْ بالسَّحِيلِ ابْنُ جَحْدَرٍ ... وَمَا مَطَرٌ فِيهَا بِذِي عَذِرَاتِ

٣ — سَيَذْهَبُ أقْوَامٌ كِرَامٌ لِوَجْهِهِمْ ... وتُتْرَكُ قَتْلَى وُرَّمَ الكَمَرَاتِ

(١ — ٣) فوقها أي الأرض . سنحت عرضت . الشهباء الكتيبة العظيمة الكثيرة السلاح ، سميت بذلك لبريق أسلحتها . الفأل التيمن والتطير . لافأل عليك أي لاضير . الجلاد مصدر جالد أي قاتل . نعتلي نسرع . الحال لواء الجيش . نوجهه نسوقه.

(٤ — ٦) معد بن عدنان جد عرب الشمال من ربيعة ومضر . تجاز من أجازه أي أعطاه الاجازة والاذن . إياد قبيلة يعدها معظم النسابين من ولد نزار . المثال المقدار ، أي أنها تجاوزت الحد ولم تعرف قدر نفسها . وهذا البيت (٤) شاذ لا موضع له من القصيدة. بيضة تفقؤونها ، هذا مثل ضربه لعدوانهم . القرب البئر القريبة الماء . وكر الاناء (كضرب) ملأه . أنى لها أي حان وقت امتلائها وأوانه .

(٧ — ٩) كائن دفعنا أي كم من مرة . الملمة المصيبة لأنها تلم بالناس أي تنزل بهم . كربة موت أي كربة يبلغ بصاحبها الموت . بتتنا قطعنا . العقال حبل يربط به البعير في وسط ذراعه حين يبرك فيمنعه من النهوض والحركة . شعث جمع أشعث ، أي أبناء صغار قد تلبد شعرهم واغبر لعدم العناية بهم . نعامة ربداء ، كلون الرماد . حثت ساقت . ورئال جمع رأل (بفتح فسكون) وهو فرخ النعامة . هنأه (كضرب ونصر) أطعمه وأعطاه وسره . المن أن تذكر الذي أنعمت عليه بنعمتك وتعيره بها . أزحنا دفعنا وكففنا . هزالها ضعفها ونحولها .

(٦١)

(١ — ٣) الخفية الغيضة الملتفة الأشجار ، والحي الجن ، وبه خفية أي مس من الجن . عوض بن ارم بن سام أبو عاد البائدة . ولعلها (فوارس عوف) وهم عوف بن عبد مناة بن أد بن طابخة . السحيل اسم فرس . ابن جحدر هو شيبان بن شهاب . مطر بن شريك الشيباني . ليس بذي عذرات أي لايلتمس المعاذير لتجنب القتال . الكمرة رأس الذكر . أي يقتلون فتنتفخ بطونهم ويتورم هذا الموضع من أجسامهم .

هذه القصيدة من الشعر الذى يتصل بالمسائل القبلية الضيقة . وقصة هذه القصيدة أن رجالا من (بكر) كانوا قد خرجوا غازين ، يؤمهم (عبد عمرو بن بشر بن مرثد) . فاعترضت طريقهم (الرباب) و (بنو أسد) ، فسألهم عبد عمرو أن يدعوه وشأنه ، وأخبرهم أنه لم يقصد لقتالهم ، فأبوا فقاتلهم . وكان مع الرباب رجل اسمه يزيد بن القحادية (منسوب إلى قحادة ، أحد فرسان العرب من تميم) ، وهو الذى يكنيه الأعشى فى هذا الشعر بأبى شريح ، وكانت معه زوجته واسمها حنتط . ويبدو من الشعر أن هذا الرجل كان من المحرضين على القتال . وقد قتل فى ذلك اليوم .

ويرى أبو عبيدة أن فى هذه القصيدة خلطا بين شعر الأعشى وشعر نابغة بنى شيبان (١) . ولعله يقصد بذلك الجزء الأخير من القصيدة ، الذى يفتخر فيه الشاعر بيوم ذى قار (من ١٧ — ٢٠) . فقد أطال الشاعر فيه وفصل ، حتى أوشك أن يكون هو الغرض الذى قصد إليه فى شعره ، على أن الحديث قد بتر فى هذا الجزء بترا ، ولم ينته إلى خاتمة يطيب عندها الوقوف .

يبدأ الأعشى قصيدته متحدثا عن صاحبته (هُرَيْرة) فيقول :

(١ — ٣) كان لك معها حديث توصيها فيه بأشياء ، وكانت لك عندها حاجات تقنع منها بأقل القليل ، لو أن صحبك قد وقفوا ، حين ناديتهم تسألهم الوقوف على ديار (هُرَيْرة) ، إذ قامت تشير إلينا مودعة ، وقد حال من دونها ما أحدق بالحى من التلال .

أَحْبِبْ بها من صاحبة ، لو أنها أقامت فلم ترحل إلى ذلك المكان النائى السحيق ، ولكن الفراق لا يُبقى على حبيب .

ثم ينتقل الشاعر من حديث صاحبته إلى بعض ما كان أبوهم قد أوصاهم به قبل أن يموت ؛ فى أربعة أبيات مهلهلة النسج ؛ إذا استثنينا منها البيت الأخير ، فيقول :

(٤ — ٨) كان أبونا العزيز قد قال لنا : أوصيكم قبل أن أموت بثلاث : أكرموا الضيف ، فأن له علىّ حقاً أعطيه مقرًّا به . واحفظوا الجار ، فأنه راحل عنكم فى يوم من الأيام . واستبسلوا فى القتال ، حين يعض الجبان يديه على أعراف الخيل خشية السقوط ، فالموت فى ساحة القتال شرف عظيم .

ولا يكاد الشاعر يصل إلى هذه الوصية الأخيرة ، حتى يتخذها سلماً لما هو بسبيله من وصف قومه بالاستبسال فى القتال ، فيتجه إلى (الرباب) و (بنى أسد) قائلا :

(٩ — ١٠) إن (الرِّباب) وحيًّا من (بنى أسد) - وهم بين متحير لا يدرى كيف يصنع ، ومتسرع قد انفلت يتقدم القوم مستعجلا القتال - قد صادفوا سيدنا فى عصبة من رجالنا . وكان كل من الفريقين يبحث عن مال يقتنيه ، أو مَغْنَم يصيبه ويحتويه .

(١١ — ١٢) سألناهم المهادنة ، فأبوا مستكبرين ، وقالوا لا نصالحكم أبدا ، وهل أنتم إلا أهلُ نخيل ، وحَمَّالو تمرٍ فوق العير ؟ وإنى أقسم ببيت الله ، ما كانت إبلنا تضطرب حين تضطرب ، إلا محملة بالدروع والسلاح .

---

(١) النابغة الشيبانى هو عبدالله بن المخارق ، شاعر أموى من الأعراب (من بنى ذهل بن شيبان بن ثعلبة) كان يفد إلى الشام لمدح الخلفاء ، وكان نصرانيا . (الأغانى ج ٧ ص ١٠٦ — ١١٢) .

وقال :

١ — كَانَتْ وَصَاةٌ وَحَاجَاتٌ لَنَا كَفَفٌ	لَوْ أَنَّ صَحْبَكَ إِذْ نَادَيْتَهُمْ وَقَفُوا	(بسيط)
٢ — عَلَى هُرَيْرَةَ إِذْ قَامَتْ تُوَدِّعُنَا	وَقَدْ أَتَى مِنْ إِطَارٍ دُونَهَا شَرَفُ	
٣ — أَحْبِبْ بِهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا وَقَفَتْ	وَقَدْ تُزِيلُ ٱلْحَبِيبَ ٱلنِّيَّةُ ٱلْقَذَفُ	
٤ — إِنَّ ٱلْأَعَزَّ أَبَانَا كَانَ قَالَ لَنَا	أُوصِيكُمُ بِثَلَاثٍ إِنَّنِي تَلِفُ	
٥ — الضَّيْفُ أُوصِيكُمُ بِالضَّيْفِ إِنَّ لَهُ	حَقًّا عَلَيَّ فَأُعْطِيهِ وَأَعْتَرِفُ	
٦ — وَٱلْجَارُ أُوصِيكُمُ بِٱلْجَارِ إِنَّ لَهُ	يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ يَثْنِيهِ فَيَنْصَرِفُ	
٧ — وَقَاتِلُوا ٱلْقَوْمَ إِنَّ ٱلْقَتْلَ مَكْرُمَةٌ	إِذَا تَلَوَّى بِكَفِّ ٱلْمُعْصِمِ ٱلْعُرُفُ	
٨ — بَلْ لَسْتُ وَجْ	....	
٩ — إِنَّ الرِّبَابَ وَحَيًّا مِنْ بَنِي أَسَدٍ	مِنْهُمْ بَغِيرٌ وَمِنْهُمْ سَارِبٌ سَلِفُ	
١٠ — قَدْ صَادَفُوا عُصْبَةً مِنَّا وَسَيِّدَنَا	كُلٌّ يُؤَمِّلُ قُنْيَانًا وَيَطَّرِفُ	
١١ — قُلْنَا الصَّلَاحَ فَقَالُوا الْأَنْصَالُ الْحَكَمُ	أَهْلُ النُّبُوكِ وَعِيرٌ فَوْقَهَا ٱلْخَصَفُ	
١٢ — لَسْنَا بِعِيرٍ وَبَيْتِ اللهِ مَائِرَةٍ	إِلَّا عَلَيْهَا دُرُوعُ ٱلْقَوْمِ وَالزَّغَفُ	

(١ — ٣) الكفف من الرزق ما كف عن الناس وأغنى عن السؤال . أي أنه لم يكن يطلب إلا القدر الضروري لاكتفاء لا تعج الفوق . على متعلق بـ (وقفوا) في البيت السابق . إطار الشيء كل ما أحاط به . الشرف ما ارتفع من الأرض . الخلة (بضم الخاء) الخليلة والصاحبة . النية الوجه الذي ينويه المسافر . القذف البعيدة .

(٤ — ٨) تلف من التلف ، أي ميت . أعترف أقر بحقه علي . المعصم (بصيغة اسم الفاعل) الذي يخاف أن يسقط عن دابته فيمسك بعرفها . وعرف الفرس شعر ناصيته .

(٩ — ١٠) الرباب (بكسر الراء) هم بنو تيم وعدي وعوف وثكل (بضم فسكون وهم بنو عبد مناة بن أد بن طابخة . ومن النسابين من يضيف إليهم ضبة . سموا بذلك لأنهم غمسوا أيديهم في الرب (بضم الراء) حين تحالفوا (والرب ما يطبخ من التمر) . أحد بن خزيمة ، منهم زينب بنت جحش زوج الرسول وبشر بن أبي خازم والكميت بن زيد . البغير من بغر (كعلم) أي حسر ونحوه فلا يكاد يصدر من دمعته . سرب الرجل (كنصر) ذهب على وجهه ومضى . سلف (كنصر) تقدم ومضى ، والسلاف (بضم السين وتشديد اللام) مقدمة العسكر . قنيانا أي مالا يقتنيه . يطرف الشيء يصيبه فيصبح طريفا عنده أي حديثا ، على وزن يفتعل من الطرافة .

(١١ — ١٢) الصلاح الوفاق ضد الخصام (مصدر صالح) . النبوك جمع نبكة (بالتحريك) وهي التل الصغير ، وقيل النبوك محل بالبحرين . العير (بكسر العين) الابل . الخصف (بالتحريك) جمع خصفة ، وهي جلة التمر تصنع من الخوص . مار الشيء تردد واضطرب ، ومارت الابل ترددت قوائمها في جريها جيئة وذهابا . الدرع ثوب ينسج من الحلق ويلبسه المقاتل ، درع زغف واسعة طويلة ، والجمع زغف (بفتحتين)

(١٣ — ١٤) وحسّرنا حين التقينا عن رءوسنا ، ليعلموا أننا (بكر) ، لعل ذلك يثنيهم فينصرفوا . فلما استحرّ فيهم القتل وحصدتهم السيوف ، قالوا : أبقوا علينا واحفظونا . ألاّ لا بقية إلا النار . فانصرفوا يولون الأدبار .

(١٥ — ١٦) ألم يكن يسر (حنقط) أن يصالح زوجها (أبو شُرَيْح) القومَ ، وقد علم أنه وحيد ليس له ولد يقوم مقامه إن مات ؟ فها هي ذى جارتها الحسناء ، قد عاد إليها عائلها يهرول وقد استخفه الفرح ، ولم يعد إليها هي إلا الثكل والخراب .

ثم ينتقل الشاعر إلى الحديث عن (ذى قار) فيختم قصيدته مفتخراً بانتصار قومه فى ذلك اليوم ، فيقول :

(١٧ — ٢٠) نحن أصحاب يوم (الحِنْو) ، إذ صبّحت كتائبُنا جنودَ كِسْرَى ، تسوق إليهم الموت ، حتى ولوا هاربين . سادةٌ من أبناء الملوك والأشراف ، قد علقوا فى آذانهم اللآلىء . إذا أمالوا أيديهم إلى النُّشّاب ، ملنا إلى السيوف فظلت تتخطف الرءوس . ولم تزل خيل بكر تطحنهم حتى ولوا الأدبار وقد انتصف النهار .

(٢١) فلو أن هذا الشرف الكبير قد قُسّم على قبائل (مَعَدّ) جميعاً لظفر كل رجل منه بمقدار .

(٢٢ — ٢٥) أقبلوا بجيوشهم الكثيفة ، كأنهم الليل ، يزحف فيسد آفاق الأرض ، ويغشّيها بالظلام . ووقف نساؤنا من خلفنا ، ينظرن بعيون كُحْل سود ، وقد اضطربت أكبادهن إشفاقاً من هول مايرين . وحسَرْنَ عن خدود جرت عليها الدموع ، وغيرها الحزن فعلتها غَبَرَةٌ مظلمة . وقد كن مشرقات تتلألأ وجوههن ، كالمرجانة أخرجها الغواص من أعماق البحر ، وقد صانتها الأصداف .

١٣ — لَمَّا ٱلْتَقَيْنَا كَشَفْنَا عَنْ جَمَاجِمِنَا ... لِيَعْلَمُوا أَنَّنَا بَكْرٌ فَيَنْصَرِفُوا

١٤ — قَالُوا ٱلْبَقِيَّةَ وَٱلْهِنْدِيُّ يَحْصُدُهُمْ ... وَلَا بَقِيَّةَ إِلَّا ٱلنَّارُ فَٱنْكَشَفُوا

١٥ — هَلْ سَرَّ حَنْظَلَةَ أَنَّ ٱلْقَوْمَ صَالَحَهُمْ ... أَبُو شُرَيْحٍ وَلَمْ يُوجَدْ لَهُ خَلَفُ

١٦ — قَدْ آبَ جَارَتَهَا ٱلْحَسْنَاءَ قَيِّمُهَا ... رَكْضًا وَآبَ إِلَيْهَا ٱلثُّكْلُ وَٱلتَّلَفُ

١٧ — وَجُنْدُ كِسْرَى غَدَاةَ ٱلْحِنْوِ صَبَّحَهُمْ ... مِنَّا كَتَائِبُ تُزْجِي ٱلْمَوْتَ فَٱنْصَرَفُوا

١٨ — جَحَاجِحٌ وَبَنُو مُلْكٍ غَطَارِفَةٌ ... مِنَ ٱلْأَعَاجِمِ فِي آذَانِهَا ٱلنُّطَفُ

١٩ — إِذَا أَمَالُوا إِلَى ٱلنُّشَّابِ أَيْدِيَهُمْ ... مِلْنَا بِبِيضٍ فَظَلَّ ٱلْهَامُ يُخْتَطَفُ

٢٠ — وَخَيْلُ بَكْرٍ فَمَا تَنْفَكُّ تَطْحَنُهُمْ ... حَتَّى تَوَلَّوْا وَكَادَ ٱلْيَوْمُ يَنْتَصِفُ

٢١ — لَوْ أَنَّ كُلَّ مَعَدٍّ كَانَ شَارَكَنَا ... فِي يَوْمِ ذِي قَارَ مَا أَخْطَاهُمُ ٱلشَّرَفُ

٢٢ — لَمَّا أَتَوْنَا كَأَنَّ ٱللَّيْلَ يَقْدُمُهُمْ ... مُطَبِّقَ ٱلْأَرْضِ يَغْشَاهَا بِهِمْ سَدَفُ

٢٣ — وَظُعْنُنَا خَلْفَنَا كُحْلًا مَدَامِعُهَا ... أَكْبَادُهَا وُجُفٌ مِمَّا تَرَى تَجِفُ

٢٤ — حَوَاسِرٌ عَنْ خُدُودٍ عَايَنَتْ عِبَرًا ... وَلَاحَهَا وَعَلَاهَا غُبْرَةٌ كُسُفُ

٢٥ — مِنْ كُلِّ مَرْجَانَةٍ فِي ٱلْبَحْرِ أَخْرَجَهَا ... غَوَّاصُهَا وَوَقَاهَا طِينَهَا ٱلصَّدَفُ

(١٣ — ١٥) قالوا البقية، من أبقيت عليه واستبقيته إذا راعيته ورحمته ولم أبالغ في إفساده. انكشفوا زالوا من مواضعهم. حنظلة زوجة رجل من بني جعفر بن ثعلبة كان يقاتل مع الرباب، اسمه يزيد بن العادية، منسوب إلى قعادة أحد فرسان العرب من بني تميم. أبو شريح هو زوجها يزيد هذا. الخلف الولد الصالح.

(١٦ — ١٨) قيمها زوجها الذي يقوم بشئونها ويعولها. الحنو منعرج الوادي، ويوم الحنو هو يوم ذي قار، وقد مضى الحديث عنه في القصيدة (٢١). صبحهم غزاهم صباحا. زجا الشيء (كنصر) وأزجاه ساقه ودفعه. الجحجح والجحجاح (كلها بالفتح) السيد المسارع إلى المكارم، وكذلك الغطريف (بكسر الغين). النطفة لؤلؤة تعلقها الأعاجم في الآذان.

(١٩ — ٢١) النشاب السهام. البيض السيوف. الهام جمع هامة وهي الرأس. انتصف النهار بلغ النصف وقت الظهر. معد بن عدنان هو جد عرب الشمال من قبائل ربيعة ومضر جميعا.

(٢٢ — ٢٣) تقدمه (كنصر) سبقه وتقدمه. طبق السحاب الجو، وطبق الماء وجه الأرض، غطاه. يغشاها الضمير راجع على الأرض، وهم الضمير يرجع على الفرس. السدف (بالفتح) والسدفة (بضم فسكون) الظلمة. ظعن جمع ظعينة وهي الزوجة. كحل جمع أكحل وكحلاء، وهو الذي يخيط عينيه سواد كأنه الكحل. المدامع جمع مدمع (اسم مكان من دمع) وهي العين. ووجف القلب يجف خفق، فهو واجف، والجمع وجف (بضمتين).

(٢٤ — ٢٥) حسر النقاب واللثام أزاحه. عبر (ككتب) جمع عبرة (بفتح العين) وهي الدمعة. لاحها غيرها وسلبها بريقها. الغبرة (بضم الغين) لون الغبار. كسف (بضمتين) صفة (حواسر) في أول البيت، جمع كاسف وهو المهموم الذي تغير لونه وهزل من الحزن. من كل مرجانة يشبههن في حمرة وجوههن ونضرتها بالمرجان حال خروجه من البحر قبل أن يتسخ ويظلم.

يتحدث الأعشى فى هذه القصيدة عن ذكريات شبابه ، وعن رحلاته إلى آل جفنة فى الشام ، والمناذرة فى العراق ، وجلنداء فى حضرموت ، وقيس بن معديكرب فى حضرموت ، وما كان يلقى من إكرامهم . ويبدو من الأبيات (١٨ — ٢٠) أن الأعشى قال القصيدة بعد أن أسن وأقعدته الشيخوخة عن الرحلة إلى الملوك . وقد روى ثعلب القصيدة فى مدح بنى الحارث بن معاوية ، وهم بطن من الأزد . منهم الجلندى الذى أشار إليه الشاعر فى البيت (١٥) . والأزد قبيلة يمنية ، منهم الغساسنة ملوك الشام ، ومنهم الأوس والخزرج فى يثرب ، ومنهم الجلندى الذى كان أميرا على عمان . ولم يحفظ لنا التاريخ شيئا عن الجلندى نفسه ، ولكن المؤرخين أشاروا إلى ابنين له ، هما جيفر (على وزن جعفر) وعبيد (وسماه بعضهم عباد ، وسماه آخرون عمرو) . وكان جيفر أميرا على عمان بعد أبيه . وقد أرسل إليه النبى عمرو بن العاص يدعوه للاسلام ، فيمن أرسل إليهم من الملوك والأمراء ، فأسلم سنة ٦ هـ او سنة ٧ أو سنة ٨ على خلاف بين المؤرخين فى ذلك(١) .

ولا يبدو من الشعر الذى بين يدينا أنه قد أنشىء فى مدح بنى معاوية قوم الجلندى . وإنما ذكرهم الشاعر فيمن ذكر ، ممن رحل إليهم من الملوك.

يبدأ الأعشى قصيدته بوصف صاحبته ، وقد تهيأ قومها للرحيل فيقول :

١ — آذن جيرانى اليوم بالرحيل ، وقطعوا ود محب محبوب .

٢ — ورفعوا الهوادج فوق الجمال الفتية ، وقد وقفوها استعداداً للرحيل .

٣ — وجلس فوقها النساء الناعسات الطرف ، فى فتور ، ينظرن كأنهن الظباء البيض بين النخيل .

٤ — خاشعات ساكنات ، يلبسن الحرير ، ومن تحته رقيق الثياب .

٥ — وحَثَّن الجمال ، فاندفعت تهتز من فوقها أجسامهن ، يحتك ماعليهن من خَزّ وأردية حُمر ، فيأ كل وَبَرُ القطيف .

٦ — حنّت الجمال لأوطانها ، ووافق هواها قَصْد المسافرات العائدات ، وخلفن قلبى من حبهن كالمجنون .

٧ — مشغوفاً بفتاة لعوب ، لاتعرف الهم ولا يستفزها الغضب ، يستمتع صاحبها وقد اضطجع إلى جنبها فى الليل ، بحديثها العذب الحنون .

٨ — حلوة الرائحة ، حلوة النادرة ، حلوة فى كل حالاتها ، لايشينها خشونة أو جفاء .

ولم تزل السن تتقدم بالأعشى وبصاحبته حتى أدركهما الشيب . أما هو فقد خضع له مستسلماً ، أماهى فلم تزل تكابر وتأبى الاستسلام — على عادة النساء — .

٩ — أزعجها المشيب ، فسترته عنا ، وأسدلت عليه الحجاب بالخضاب .

١٠ — أذعنى ياصاحبتى للشيب إذ شمل الرأس ، فالشباب لايدوم .

وكأن شيب صاحبته قد ذكره بشيخوخته وكلال بصره ، وكأن هاتفاً فى أعماقه يصيح به ساخراً : وأنت ! ألم تهدمك الشيخوخة ؟ فيقول :

١١ — دع ذكر ما أنا فيه من ضعف البصر وكلاله . فأنك لاتدرى كم كنت قوياً ، وكم كنت مالكاً لأمرى .

---

(١) سيرة ابن هشام ٤ : ٢٥٤ ، إمتاع الأسماع ٤٣٣ ، الطبرى ٢ : ٢٨٩ ، ٣١٢ ، ابن الأثير ٢ : ١٥٧ والعقد الفريد ٣ : ٣٣٦ فتوح البلدان ٨٧ ، إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ٢٦ — ٢٩

وقال :

١ — أَذِنَ ٱلْيَوْمَ جِيرَتِي بِحُفُوفِ ... صَرَمُوا حَبْلَ آلِفٍ مَأْلُوفِ (خفيف)

٢ — وَٱسْتَقَلَّتْ عَلَى ٱلْجِمَالِ حُدُوجٌ ... كُلُّهَا فَوْقَ بَازِلٍ مَوْقُوفِ

٣ — مِنْ كَرَاتٍ وَطَرْفُهُنَّ سُجُــوٌ ... نَظَرَ ٱلْأُدْمِ مِنْ ظِبَاءِ ٱلْخَرِيفِ

٤ — خَاشِعَاتٍ يُظْهِرْنَ أَكْسِيَةَ ٱلْخَـ ... ـزِّ وَيُبْطِنَّ دُونَهَـــا بِشُفُوفِ

٥ — وَحَشُنَّ ٱلْجِمَالَ يَنْهَكْنَ بِٱلْبَا ... غِزِ وَٱلْأُرْجُوَانِ خَمْلَ ٱلْقَطِيفِ

٦ — مِنْ هَوَاهُنَّ يَتَّبِعْنَ نَوَاهُـ ... ـنَّ فَقَلْبِي بِهِنَّ كَٱلْمَشْغُوفِ

٧ — بِلَعُوبٍ مَعَ ٱلضَّجِيعِ إِذَا مَا ... سَمَرَتْ بِٱلْعِشَاءِ غَيْرِ أَسُوفِ

٨ — حُلْوَةِ ٱلنَّشْرِ وَٱلْبَدِيهَةِ وَٱلْعِلاَّ ... تِ لَا جَهْمَةٍ وَلَا عُلْفُوفِ

٩ — وَلَقَدْ سَاءَهَا ٱلْبَيَاضُ فَلَطَّتْ ... بِحِجَابٍ مِنْ دُونِنَا مَسْدُوفِ

١٠ — فَٱعْرِفِي لِلْمَشِيبِ إِذْ شَمِلَ ٱلرَّأْ ... سَ فَإِنَّ ٱلشَّبَابَ غَيْرُ حَلِيفِ

١١ — وَدَعِ ٱلذِّكْرَ مِنْ عَشَايَ فَمَا يُدْ ... رِيكَ مَا قُوَّتِي وَمَا تَصْرِيفِي

١٢ — .... ـرِيفِ

(١ — ٣) أذن بالشيء علم به. حفوف زوال وذهاب. صرموا قطعوا. استقلت ارتفعت. الحدوج من مراكب النساء مثل الهودج. بازل جمل قد بزل نابه وظهر، وذلك في التاسعة. موقوف قد وقفوه استعدادا للرحلة. كرات ناعسات؛ من كري (كرضي) أي نعس، فهو كر وهي كرية (بتخفيف الياء)، وقد تكون مصحفة من (كراب) جمع كريب وهو المهموم المكروب، ليلائم وصفهن بالخشوع في البيت التالي. سجو سكون وامرأة ساجية الطرف فاترته. الأدم الظباء التي أشرب لونها البياض. الخريف الرطب المخروف أي المجني. وهو كذلك النخل الذي خرفت ثماره أي جنيت.

(٤ — ٦) خاشعات ساكنات خاضعات. الخز الحرير. يبطن دونها يلبسن تحتها. الشفوف الرقيق من الثياب. ينهكن يسحقن. البالغزية ثياب من الخز. الأرجوان صبغ أحمر (فارسي معرب) يقصد الثياب الحمر. الخمل الوبر والثوب المخمل الذي يكون له وبر كالقطيفة. أي أنهن لحركتهن فوق الجمال يسحقن القطيفة حتى يذهب وبرها. النوى الوجه الذي يذهب فيه المسافر وينويه. المشغوف المجنون حبا، والشغاف (بكسر الغين) غشاء القلب. من هواهن الضمير يعود على الجمال، تحن إلى أوطانها فتتبع من ركبها من النساء. نواهن أي النساء.

(٧ — ٩) سمر (كنصر) سهر يتحدث. الأسوف السريع الحزن والتغضب. النشر الرائحة. البديهة المفاجأة، وهو ذو بديهة أي يفهم من أول وهلة. العلات الحالات المختلفة. جهمة غليظة. علفوف جافية. لطت سترت. سدفت المرأة القناع أرسلته، ويقصد بالحجاب المسدوف المنسدل.

(١٠ — ١٢) اعرفي اصبري. العشي والعشاء (بفتح العين) سوء الابصار ليلا، وقد يطلق على العمى. تصريفي من صرف الأمور (بالتشديد) أي قلبها واحتال في توجيهها.

١٢- ....

١٣- لقد صحبت ملوكا كراماً من (آل جَفْنَة) فى (الشام)، بلاد الخصب والخضرة والأشجار.

١٤- وصحبت (بنى المُنذِر) البيض الوجوه فى (الحِيرة)، لهم رونق إذ يمضون فى الغَداة كأنهم السيوف.

١٥- وصحبت (جُلَنْدَاء) فى (عُمان)، و(قَيْسا) فى (حَضْرَمَوت) ذى القصور الشامخة البنيان.

ويمضى الشاعر فى أحلامه، متمثلا مجالس الخمر عند قيس.

١٦- جالساً يحيط به الندماء، تجرى بينهم الكئوس ملأى فارغة.

١٧- وتصدح المغنيــــة إذ يهيجها الشاربون، ويصفو صوتها متدرجاً فى الصعود، حين تضرب على أوتار العود.

وينقطع سلك الخيال، ويستيقظ الشاعر من الأحلام، فاذا هو فى ضعفه وشيخوخته، فيقول: ما أعجب الأيام!

١٨- بينما المرء كالرمح ذى السِّنان الماضى قوَّمه مُثَقِّفُهُ.

١٩- أو إناء الذهب صاغه الصائغ، وأعمل فيه أدواته حتى خفيت منه مواضع اللِّحام.

٢٠- إذا بدهره المضلِّل المأفون ينقله من حال إلى حال، وإذا هو من بعد المشى يهْدِج فى خَطْو متقارب قصير.

ولكن الشاعر لا يطيق الوقوف طويلا عند هذه الحقيقة المؤلمة. فيغمض عينيه ليعاود ما كان فيه من أحلام، وليتصور نفسه فوق ناقته، يطوى الصحارى والقفار، هارباً من صورة الشيخوخة القصيرة الخطو، التى لا يكاد يستقيم لها المشى إلا دبيباً.

٢١- كم من ناقة سريعة بيضاء، تراها من بعد الكلال موفورة النشاط، يَرْجُفُ فوقها الرحْل ويضطرب.

٢٢- مضيت بها أستنزف قواها على بُعد الطريق، تجتاز الموضع المخيف.

٢٣- ولقد أحمل أهلى على حزم أمرهم، أرمى بهم الغرض النائى والمقصد البعيد.

٢٤- فوق جمل شجاع القلب، يحتقر الظلماء مخترقا حجب الليل الكثيفة، ماضياً لا يهاب.

٢٥- لا يبالى أن يركب وراء صاحبه رَدِيف ويمضى الليلَ كلَّهُ خالى الجوف، لا يدير فكيه ليجتر، إلا ما يُسْمَع لأنيابه من صرير.

١٣ـ وَصَحِبْنَا مِنْ آلِ جَفْنَةَ أَمْلَا ... كًا كِرَامًا بِالشَّامِ ذَاتِ الرَّفِيفِ

١٤ـ وَبَنِي الْمُنْذِرِ الْأَشَاهِبِ بِالْحِيـ ... ـرَةِ يَمْشُونَ غُدْوَةً كَالسُّيُوفِ

١٥ـ وَجُلُنْدَاءَ فِي عُمَانَ مُقِيمًا ... ثُمَّ قَيْسًا فِي حَضْرَمَوْتَ الْمُنِيفِ

١٦ـ قَاعِدًا حَوْلَهُ النَّدَامَى فَمَا يَنْـ ... ـفَكُّ يُؤْتَى بِمُوكَرٍ مَجْدُوفِ

١٧ـ وَصَدُوحٍ إِذَا يُهَيِّجُهَا الشَّرْ ... بُ تَرَقَّتْ فِي مِزْهَرٍ مَنْدُوفِ

١٨ـ بَيْنَمَا الْمَرْءُ كَالرُّدَيْنِيِّ ذِي الْجُبْـ ... ـبَةِ سَوَّاهُ مُصْلِحُ التَّثْقِيفِ

١٩ـ أَوْ إِنَاءِ النُّضَارِ لَاحَمَهُ الْقَيْـ ... ـنُ وَدَارَى صُدُوعَهُ بِالْكَتِيفِ

٢٠ـ رَدَّهُ دَهْرُهُ الْمُضَلَّلُ حَتَّى ... عَادَ مِنْ بَعْدِ مَشْيِهِ لِلدَّلِيفِ

٢١ـ وَعَسِيرٍ مِنَ النَّوَاعِجِ أَدْمَا ... ءَ مَرُوحٍ بَعْدَ الْكَلَالِ رَجُوفِ

٢٢ـ قَدْ تَعَالَلْتُهَا عَلَى نَكَظِ الْمَيْـ ... ـطِ فَتَأْتِي عَلَى الْمَكَانِ الْمَخُوفِ

٢٣ـ وَلَقَدْ أَحْزِمُ اللُّبَانَةَ أَهْلِي ... وَأُعَدِّيهِمُ لِأَمْرٍ قَذِيفِ

٢٤ـ بِشُجَاعِ الْجَنَانِ يَخْتَفِرُ الظَّلْـ ... ـمَاءَ مَاضٍ عَلَى الْبِلَادِ خَشُوفِ

٢٥ـ مُسْتَقِلٍّ بِالرِّدْفِ مَا يَجْهَلُ الْجِـ ... ـرَّةَ بَعْدَ الْأَدْلَاجِ غَيْرَ الصَّرِيفِ

(١٣ ـ ١٥) آل جفنة ملوك الشام في الجاهلية . وقد مدحهم الأعشى بالقصيدة (٣١) . الرفيف الخصب ، والرطب الندى من الأشجار ، وقيل إنها سفن منضدة كانوا يجيرون عليها . بنو المنذر ملوك العراق في الجاهلية ، ليس في هذا الديوان شعر في مدحهم . الأشهب الأبيض . الغدوة والغداة من الفجر إلى طلوع الشمس و ويقصد به صدر النهار . كالسيوف رونقا ومضاء . جلنداء صاحب عمان من الأزد . المنيف المشرف المرتفع .

(١٦ ـ ١٨) موكر مملوء ، وكر الاناء (كضرب) ملأه . مجدوف مقطوع ، فعله جدف (كضرب) . صدوح مغنية تصدح ، أي ترفع صوتها بالغناء . ترقت تصعدت في الغناء . المزهر العود . الندف الضرب على الأوتار . الرديني الرمح ، منسوب إلى امرأة كانت تصلح الرماح . الجبة مدينة السنان التي يدخل فيها الرمح . تثقيف الرماح تسويتها وإصلاح سنانها وتحديدها .

(١٩ ـ ٢١) النضار الذهب . القين الحداد ، ويطلق على كل صانع . صدوع جمع صدع (بفتح فسكون) وهو الشق . الكتيف الضبة ، وهي من أدوات الحدادة والصياغة . رده حوله من حال إلى حال . دلف الشيخ والمقيد مشى في خطو متقارب قصير . العسير الناقة التي ترفع ذنبها في عدوها . الناعجة السريعة التي تدرك نعاج الوحش لسرعتها . أدماء بيضاء . المرح النشاط . رجوف يهتز الرحل فوقها لنشاطها .

(٢٢ ـ ٢٣) تعاللتها استنزفت نشاطها وطاقتها ، وهو من العلل أي الشرب المرة الثانية بعد المرة الأولى . النكظ الشدة . الميط البعد ، ماط يميط بعد . تأتي عليه تجتازه . حزم الخاتم شده وربطه ، وأحزمه جعله يشده ويربطه . اللبانة الحاجة . أهل الرجل عشيرته وزوجه . قذيف بعيد .

(٢٤ ـ ٢٥) الجنان القلب . خشف (كنصر وضرب) ذهب في الأرض ومشى في الليل . الردف الراكب الثاني الذي يركب خلف الأول . تستخف به لقوتها . الجرة ما تجتره . الصريف صرير الأنياب ، أي أنها خاوية البطن ليس في معدتها ما تجتره .

٢٦— ثم يصبح من هياجه موفور النشاط ، يتناثر الحصى متطايرا تحت خفه الصلب الغليظ .

٢٧— إن خلّفت عنه فى البيداء ، أو أعملته فتلاحقت ساقُه والذّراع .

٢٨— لم أخلّ شيئاً من ذلك يكُفّهُ أو يثنيه ، حتى تنيخه وتلوى تحت عنقه الزّمام .

(٦٤)

١ — عَفتْ دارُ (مَيْثاء) وانمحت آثارها ، فكأنها كتاب طُمِست سطوره فما تَبِين .

٢ — عرفتُها ، فريعَ لِعرفانها الفؤاد ، وهاجت فى النفس الذكريات .

٣ — ديارٌ كانت تحل بها (مَيْثاء) . . . فقد باعدت دارَها من ديارنا اليوم .

٤ — رأت تحت ثيابها جسماناعماً ، ورأت أنها فى ميعة الشباب .

٥ — ففتنها إعجابها بنفسها ، وحملها على البَطَر والغرور .

٦ — ....

٧ — كتمتُ حديثها ، فطارت به نفسى كلّ مَطَار .

٨ — فاليوم أذيعُ سرها الذى كتمتُه عن الناس ، فقد خانت العهد ، ولم تكن على ماينبغى للحبيب .

٩ — نأت وخلفت فى القلب صَدْعًا تخالطه هموم .

١٠— كصدع الزجاجة ، لايستطيع الصنّاع أن يرده كما كان ويسوّيه من جديد .

١١— ويارُبما عشنا زماناً ليس بيننا رسول .

٢٦— ثُمَّ يُضْحِي مِنْ فَوْرِهِ ذَاحبَاب   يَسْتَطِيرُ الحَصَى بِخُفٍّ كَثِيفِ

٢٧— إِنْ وضعْنَا عَنْهُ بِبَيْدَاء قَفْرٍ   أَوْ قَرَنَّا ذِرَاعَهُ بِوَظِيفِ

٢٨— لَمْ أَخَلْ أَنَّ ذَاكَ يَرْدَعُ مِنْهُ   دُونَ ثَنْيِ الزِّمَامِ تَحْتَ الصَّلِيفِ

(٦٤)

وقال :

(متقارب)

١ — لِمَيْثَاء دَارٌ عفَا رَسْمُهَا   فَمَا إِنْ تَبَيَّنُ أَسْطَارَهَا

٢ — وَرِيعَ الفُؤَادُ لِعِرْفَانِهَا   وَهَاجَتْ عَلَى النَّفْسِ أَذْكَارَهَا

٣ — دِيَارٌ لِمَيْثَاء حَلَّتْ بِهَا   فَقَدْ بَاعَدَتْ مِنْكُمُ دَارَهَا

٤ — رَأَتْ أَنَّهَا رَخْصَةٌ فِي الشَّبَابْ   وَلَمْ تَعْدُ فِي السِّنِّ أَبْكَارَهَا

٥ — فَأَعْجَبَهَا مَا رَأَتْ عِنْدَهَا   وَأَجْشَمَهَا ذَاكَ إِبْطَارَهَا

٦ — ....كَارَهَا

٧ — .... ذَاكَ الحَدِيثْ   وَطَارَ بِهَا النَّفْسُ أَطْيَارَهَا

٨ — تَنَابَشْتُهَا لَمْ تَكُنْ خُلَّةً   وَلَمْ يَعْلَمِ النَّاسُ أَسْرَارَهَا

٩ — فَبَانَتْ وَقَدْ أَوْرَثَتْ فِي الفُؤَا   دِ صَدْعًا يُخَالِطُ عَثَّارَهَا

١٠— كَصَدْعِ الزُّجَاجَةِ مَا يَسْتَطِيـ   ـعُ مَنْ كَانَ يَشْعَبُ تَجْبَارَهَا

١١— فَعِشْنَا زَمَانًا وَمَا بَيْنَنَا   رَسُولٌ يُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا

(٢٦ — ٢٨) فوره هياجه ، مصدر فار يفور . الحباب التفاخ . يستطير يطير . كثيف صلب غليظ . وضع عنه خلف عنه حمله . الوظيف الساق أو مقدمها . يردعه يكفه . الزمام الحبل الذى تقاد به الناقة . الصليف عرض العنق ، وهما صليفان من الجانبين .

(٦٤)

(١ — ٤) عفا ذهب وامحى . الرسم آثار الدار . تبين فعل مضارع ، أى تتبين أنت ، تميز وتعرف . أسطار جمع سطر . أذكار جمع ذكر (بضم الذال وكسرها) وهو التذكر . رخصة بضة طرية ناعمة . أبكار جمع بكر (بكسر فسكون) وهو أول كل شىء ، والضمير فى أبكارها عائد على السن ، أى أنها لاترى نفسها إلا صغيرة فى أول الشباب .

(٥ — ٨) جشم الأمر (كسمع) تكلفه على مشقة ، وأجشمه الأمر كلفه إياه . بطر بالنعمة وأبطرته النعمة ، أخذته دهشة وحيرة عند هجومها فطغى بها . أطيار جمع طائر ، وطار طائره أسرع وخف وغضب . نبش القبر أفشاه . ونبش الشىء المستور وانتبشه كشفه وأظهره . الخلة الخليلة والزوجة ، والمحبة والصداقة . الأبيات (٦ — ٨) مترابطة متصلة ، ولم يبق منها كاملا إلا البيت الأخير . ومعناه غير واضح لى على التحقيق .

(٩ — ١٢) بانت بعدت . الصدع الشق . العثار (بفتح العين وتشديد الثاء) والعاثور الشر والمكروه والمتالف . شعب الشق وجبره لأمه وأصلحه .

١٢ــ فقد أصبحت لا أستطيع أن أتحدث إليها أو تتحدث إلى إلا عن رسول .

ثم ينتقل الشاعر من حديث صاحبته إلى حديث الخمر ، فيصور مجالسها فى بيئة يغمرها الترف الفارسى ، فيقول :

١٣ــ ولقد أغدو على نديمى مبكرًا ، أشرب الصهباء صِرفًا صافية كأنها حدَقُ العيون.

١٤ــ تغلبنا مرارتُها آنًا ، ونعالجها مقبلين عليها آنًا آخر .

١٥ــ تكاد رائحتها الفوّاحة تسكر قبل أن تذاق . ويَغْشَى المفاصلَ منها لينٌ وفتور .

١٦ــ تسرى فى العظام فتخدّرها ، وتصعد إلى الرأس ثائرة تفور .

١٧ــ شربتها مُستأنياً ، أمزُجُها بين أبناء الحان ، واخترتها اختيار خبير .

١٨ــ أسوم صاحبها بيعها ، وأعنف فى مناقشته حتى يغضب ويثور .

١٩ــ معى من يحمل عنى ثمنها الغالى ، ويروّينى من التى هى كالسمع والبصر للقلوب .

٢٠ــ ذلك (أبو مالك) أكرمُ الناس حين يشتد الجدْب ، فتحرص النفس على اللقمة التى تمسك الرمق وتقيم الأوَد

٢١ــ ....

٢٢ــ تطربنا مغنيتان ، وعازفة تقلب بأناملها أوتار الصَّنج .

٢٣ــ وبَرْبَط لا يفتر ولا يَهِن ، حتى تكاد نشوةُ الطرب تطغى على نشوة الخمر .

٢٤ــ ويسعى علينا الساقى ذو اللؤلؤتين ، يحمل قارورة الخمر الكبيرة ، ويسرع تكرارها .

٢٥ــ حتى نشرب فى يوم وليلة ثمانين كأساً ، من أربع قوارير كبار

١٢— وَأَصْبَحْتُ لَا أَسْتَطِيعُ ٱلْكَلَامْ	سِوَى أَنْ أُرَاجِعَ سِمْسَارَهَا
١٣— وَصَهْبَاءَ صِرْفٍ كَلَوْنِ ٱلْفُصُو	صِ بَاكَرْتُ فِي الصُّبْحِ سَوَّارَهَا
١٤— فَطَوْرًا تَمِيلُ بِنَا مَرَّةً	وَطَوْرًا نُعَالِجُ إِمْرَارَهَا
١٥— تَكَادُ تُنَسِّى وَلَمَّا تُذَقْ	وَتَغْشَى ٱلْمَفَاصِلَ إِفْتَارَهَا
١٦— تَدِبُّ لَهَا فَتْرَةٌ فِي ٱلْعِظَامْ	وَتَغْشَى ٱلذُّؤَابَةَ فَوَّارَهَا
١٧— تَمَزَّزْتُهَا فِي بَنِي قَايِيَا	وَكُنْتُ عَلَى ٱلْعِلْمِ مُخْتَارَهَا
١٨— إِذَا سُمْتُ بَائِعَهَا حَقَّهُ	عَنُفْتُ وَأَغْضَبْتُ تُجَّارَهَا
١٩— مَعِي مَنْ كَفَانِي غَلَاءَ السِّبَا	وَسَمْعَ ٱلْقُلُوبِ وَإِبْصَارَهَا
٢٠— أَبُو مَالِكٍ خَيْرُ أَشْيَاعِنَا	إِذَا عَدَّتِ ٱلنَّفْسُ أَقْتَارَهَا
٢١— عَلَيْهِمْ	....
٢٢— وَمُسْمِعَتَانِ وَصَنَّاجَةٌ	تُقَلِّبُ بِٱلْكَفِّ أَوْتَارَهَا
٢٣— وَبَرْبَطُنَا مُعْمَلٌ دَائِمٌ	فَقَدْ كَادَ يَغْلِبُ إِسْكَارَهَا
٢٤— وَذُو تُومَتَيْنِ وَقَاقُزَّةٌ	يُعَلُّ وَيُسْرِعُ تَكْرَارَهَا
٢٥— تُوَفِّي لِيَوْمٍ وَفِي لَيْلَةٍ	ثَمَانِينَ تَحْسَبُ إِسْتَارَهَا

(١٢ — ١٥) السمار الرسول بين المحبين . أراجعه أحاوره وأنافثه . صهباء حمراء أو شقراء ، والصهباء الخمر ، وقيل هي المعصورة من العنب الأبيض . صرف خالصة لم تمزج بالماء . الفصوص جمع فص (بفتح الفاء) وهي حدقة العين ، تعبه بها الخرق صفائها . باكرها بادرها في الصباح . سار الشراب في رأسه دار وارتفع ، والسوار صفة الشراب نفسه أو لشارب الخمر الذي تسور في رأسه فيعربد . مال به غلبه . عالج الشيء زاوله ومارسه . أمر الشيء صار مراً . فتر سكن بعد حدته ولان بعد شدته ، أفتاره جعله يفتر ويسكن .

(١٦ — ١٨) تدب تسرى ، والدبيب المشي الضعيف كمشي النملة . فترة ضعف وانكسار . الذؤابة الرأس . فوارها من فارت القدر إذا جاشت وغلت ، وفار العرق هاج وضرب . تمزز الشراب تمصصه . بنو قاياء المجيسون لشرب الخمر . والقاياء اللئيم . سام المشتري السلعة طلب من صاحبها بيعها . تجارها أى تجار الخمر .

(١٩ — ٢١) سبأ الخمر سبأ وسباء اشتراها ليشربها . سمع القلوب وإبصارها هي الخمر ، يصفها بذلك . أبو مالك بدل من (من كفاني) في البيت السابق . شيعة الرجل أتباعه وأنصاره ، وجمعها أشياع وشيع . عد المال وعدده جمعه وادخره . أقتار جمع قتر (بفتح فسكون) وهو ما يمسك الرمق من العيش .

(٢٢ — ٢٥) مسمعتان جاريتان تغنيان . الصناجة الضاربة على الصنج ؛ وليس المقصود به هنا الصنج الذي تعرفه العرب ، وهو الأوتار النحاسية التي تكون في أطراف الأصابع أو إطار الدف ، فيحدث منها رنين عند اصطكاكها . ولكن المقصود به هنا آلة موسيقية ذات أوتار ، كان يستعملها الفرس . البربط آلة موسيقية ذات أوتار (رومي معرب) . القاقزة والقاقوزة إناء من آنية الشراب (معرب) . علّه سقاه المرة الأولى . إستار أربعة ، معرب جهار الفارسية . توفى يعني القاقوزة ، كل واحدة منها تسع عشرين كأساً . فإذا شربوا بالصغير ثمانين يكون بالكبير أربعة .

هذه القصيدة من شعر الأعشى في صاحبته (قتيلة) ، التي ظفرت بأكبر نصيب من غزله . وقد فرغ الشاعر فيها للغزل والوصف .

يقول الأعشى :

١ — بَلِيَ كل جديد يا (قُتَيْلُ) ، وحبك لا يبلَى ولا يَبِيد .

٢ — رمت فؤادك بلحاظها فصادته ، فليت الذى أسقمه الحب وأضناه يستطيع أن يصيد !

٣ — ولكنه يرميها فلا يصيب . وكيف تُصطاد غانية كَفور بالمودة جَحُود بالعهود ؟

٤ — يا فتنة العاشق وياشوقاً لا ينقضى ولا يَبِيد . لقد شقِيَ بكِ كلُّ من أحبك، فما تعلَّق بك رجلٌ سعيد.

ثم يتجه الأعشى إلى نفسه ، طالبا إليها أن تتماسك وتصطبر ، فيقول :

٥ — أما آن لك أن تلزَم الحياء ، وتكف عن البكاء ، صَنِيعَ الصبى الصغير ؟

ولكن ذكراها لا تبرحه ، فهو مشغول بها أبدا . وهو يعود للتحدث عنها قائلا :

(٦ — ٧) سهرتُ لا يغمض لى جفن ، وقد لاحت لى نارك فى (وَاقِصة) ، وأنا مقيم عند ماء (زَرُود) ، أقول للقوم : هذه نارها ! ويالها من نار ليس كمثلها نار .. ولكن ماذا أرى ؟ وعن أى شىء يكشف لهيب النار حين سطع وأضاء؟

ويستغرق الأعشى فى حلم يتمثل فيه صاحبته ، وكأنها قد لاحت له من بعيد .

(٧ — ١٠) هاهى ذى وقد أضاءتها النار . . حوراء العينين ، رَخْصة القوام، تَكدَّسَ فوق صدرها الدر المنظوم . وجهها كأصول الليف الندية البيضاء ، وشعرها طويل ، تسترسل غدائره السوداء ، على جيد كالفضة الملساء . تبسم عن ثغر بارد عذب تبرق أسنانه كأنها البلور ، من ذاق قبلة منه جُنَّ به ولم يصبر عنه .

ويطول ليل الأعشى وهو ساهر يرقب نارها ، ينعم بأحلامه آنا ، ويفيق منها آنا آخر، ليتلظى بنار الحسرة والحرمان .

(١٣ — ١٥) ما أطول ليل المحبين ! كأن نجومه قد شُدَّت إلى حبال ربطت بالجبال ، فهى تسرح وتدور، ولكنها مكانها لا تدور . إذا قلت لنفسى : مضى الليل وآن لها أن تغيب ، طلعت نجوم (الثريا)

وقال :

١ — ألا يا قتل قد خلق الجديد ... وحبك ما يمح وما يبيد (وافر)

٢ — وقد صادت فؤادك إذ رمته ... فلو أن امرءا دنفا يصيد

٣ — ولكن لا يصيد إذا رماها ... ولا تصطاد غانية كنود

٤ — علاقة عاشق ومطال شوق ... ولم يعلقكم رجل سعيد

٥ — ألا تفنى حياءك أو تناهى ... بكاءك مثل ما يبكي الوليد

٦ — أريت القوم نارك لم أغمض ... بواقصة ومشربنا زرود

٧ — فلم أر مثل موقدها ولكن ... لأية نظرة زهر الوقود

٨ — أضاءت أحور العينين طفلا ... يكدس في ترائبه الفريد

٩ — ووجها كالفتاق ومسبكرا ... على مثل اللجين وهن سود

١٠ — وتبسم عن مها شبم غري ... إذا يعطى المقبل يستزيد

١١ — .... ——————— يد

١٢ — .... ——————— جود

١٣ — كأن نجومها ربطت بصخر ... وأمراس تدور وتستزيد

١٤ — إذا ما قلت حان لها أفول ... تصعدت الثريا والسعود

(١ — ٣) خلق بلي . مح الثوب بلي . باد يبيد هلك وذهب . الدنف من لازمه المرض وحالفه السقم . الغانية الجميلة التي استغنت بجمالها عن الزينة . امرأة كنود كفور للمودة والمواصلة . والكنود الذي يعد السيئات وينسى الحسنات .

(٤ — ٦) علق به علاقة (كطرب) هويه وأحبه . تفني الحياء يفناه (كعلم) لزمه . تناهى فعل مضارع أي تتناهى . الوليد الصبي . واقصة ماء لبني كعب ، وموضع بطريق الكوفة دون زرخ ، وموضع باليمامة . زرود موضع قرب الكوفة في طريق الحاج .

(٧ — ٩) زهر أضاء وتلألأ . نظرة اسم مرة من نظره إذا مد طرفه إليه . وتكدس فلان (لازم) تكهن . أحور العينين أسودهما . الطفل (بفتح الطاء) الرخص الناعم . الترائب عظام الصدر . الفريد الدر المنظوم والمفصل بغيره من كريم الأحجار . الفتاق أصل الليف الأبيض ، وقرن الشمس ، وعينها . المسبكر كالمسطر وزنا ومعنى وهو المسترسل ؛ يقصد شعرها . اللجين الفضة ، يقصد رقبتها . هن أي غدائر الشعر .

(١٠ — ١٢) المها البلور . شبم بارد . غري فعيل ، من غري الغدير (كعلم) برد ماؤه . والغري كذلك الحسن من كل شيء ، والبناء الجيد ، ومنه الغريان ، البناءان المشهوران في الكوفة ، قبرا نديمي جذيمة الأبرش .

(١٣ — ١٤) نجومها نجوم تلك الليلة التي أرق فيها الأعشى . الأمراس الحبال ، والمفرد مرسة (بالتحريك) ، جمعها مرس (بفتحتين) ، وجمع الجمع أمراس . استزادت الدابة رمحت . أفول غروب . الثريا مجموعة من النجوم تتكون من كواكب ، سميت بذلك لكثرة كواكبها مع ضيق المحل . السعود مجموعة أخرى من النجوم تتكون من عشرة كواكب .

و (السُّعود) . ثم تميل للغروب بعد ليل طويل وما كادت تغيب ، ويخمد بريقها حين ينتشر ضوء الصباح .

وتتمثل أمام عينيه صورتها ، حين رحلت عائدة إلى موطنها مع قومها ، بعد أن جاوروا قوم الأعشى زمنا ، يجمعهم الخصب والمرعى . وكأنه يرى الجمال تتحرك أمامه الآن .

(١٦ — ١٨) انظر ياصاحبي ! ألا ترى الهوادج من فوق الجمال فى ضوء الفجر الخافت ، عليها الوسائد الوثيرة والطنافس الموشَّاة تُشْرف من فوقها الأوانس كأنهن ظباء (وَجْرَة) ، وقد لبسن الثياب المخططة ، من تحتها القمصان المصبَّغة الصفراء ؟ استوَيْنَ فوق هوادجهن العالية ، وتركنك فى تلك الغَداة وقد غلبك الشوق حتى أشرف بك على الهلاك .

رحلت صاحبته الجَحُود ، وسار هو فى أثرها يضنى ناقته ، فلم يجد منها إلا النفور والصدود . فهو يرثى لناقته المكدودة قائلا :

(١٩ — ٢٠) يا للناقة المسكينة ، وقد أجهدتها الرحلة الشاقة المضنية ، فتركتها قصيرة الخطو . وما كانت تقصد فيما نالها من إعياء غيرَ دار هذه الصاحبة الكَنُود . أى عناء قد حُمِلتِ عليه أيتها المسكينة ، فى سبيل قوم قد امتلأت قلوبُهم بالعداء ، وأحرقت أكبادَهم البغضاء .

ويتجه الأعشى إلى (قتَيْلة) فيقول :

٢١ — فارقتِنى . فليكن صديقك الذى تتخذينه من بعدى فتى كَسُوبا سخيا مثلى ، يعرف كيف يجمع المال ، وكيف ينفقه فى سخاء .

ويجمع الشاعر عزمه ، ليقول لها مستخفا ، مفاخرا بقوته وصلابته :

(٢٢ — ٢٥) كم لموتُ بمثلك ، وكم قطعتُ من قَفْرٍ مُضِل ، لا يجرؤ على اقتحامه صاحبُ الناقة الفتيَّة الجسُور . قطعتُه وحدى ، لا أصاحب إلا ناقة ضخمة كأنها قطعة من الجبل ، تسترسل مندفعة حين تمضى

١٥ـ فَلَأيًا مَا أَقَلْنَ مُخَوِّيَاتٍ خُمُودَ النَّارِ وَارْفَضَّ الْعَمُودُ

١٦ـ أُصَاحِ تَرَى ظَعَائِنَ بَاكِرَاتٍ عَلَيْهَا الْعَبْقَرِيَّةُ وَالنُّجُودُ

١٧ـ كَأَنَّ ظِبَاءَ وَجْرَةَ مُشْرِفَاتٍ عَلَيْهِنَّ الْمَجَاسِدُ وَالْبُرُودُ

١٨ـ عَلَى تِلْكَ الْحُدُوجِ إِذِ احْزَأَلَّتْ وَأَنْتَ بِهِمْ غَدَاةَ إِذٍ مَجُودُ

١٩ـ فَبِالدَّنِيَّةِ سَتَعُودُ شَزْرًا وَغَمْدًا دَارَ غَيْرِكِ مَا تُرِيدُ

٢٠ـ فَمَا أُجْشِمْتِ مِنْ إِتْيَانِ قَوْمٍ هُمُ الْأَعْدَاءُ وَالْأَكْبَادُ سُودُ

٢١ـ فَإِذْ فَارَقْتِنِي فَاسْتَبْدِلِينِي فَتًى يُعْطِي الْجَزِيلَ وَيَسْتَفِيدُ

٢٢ـ فَمِثْلِكِ قَدْ لَهَوْتُ بِهَا وَأَرْضٍ مَهَامِهَ لَا يَقُودُ بِهَا الْمُجِيدُ

٢٣ـ قَطَعْتُ وَصَاحِبِي سُرُحٌ كِنَازٌ كَرُكْنِ الرَّعْنِ ذِعْلِبَةٌ قَصِيدُ

٢٤ـ كَأَنَّ الْمُكْرَهَ الْمَعْبُوطَ مِنْهَا مَدُوفُ الْوَرْسِ أَوْ رُبٌّ عَقِيدُ

(١٥ ـ ١٨) اللأي البطء والاحتباس والشدة ، فعله لأى (كفتح) . خوى سقط . أقل قرب . ارفض الدمع سال ، وارفض الناس تفرقوا . عمود الصبح ضوؤه . أصاح أي يا صاحبي . ظعائن جمع ظعينة وهي الهودج إذا كان فيه امرأة ، وقد يطلق على المرأة نفسها . باكرات في الصباح المبكر . العبقري الديباج ، ومنه حديث عمر أنه كان يسجد على عبقري ، قيل هو الديباج ، وقيل البسط الموشية وقيل الطنافس الثخان . والعبقري ضرب من البسط منسوب إلى عبقر ، بلد باليمن . أو هو منسوب إلى موضع بالبادية تسكنه الجن ، ينسبون إليه كل شيء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعته . النجود جمع نجد (بفتح فسكون) وهو ما ينجد (أي يزين) به البيت من بسط وفرش ووسائد . الحدوج جمع حدج (بكسر فسكون) وهو من مراكب النساء كالهودج . احزألت ارتفعت . الغداة من الفجر إلى طلوع الشمس . ومجود مفعول من جاده الهوى شاقه وقلبه ، والمجود كذلك العطشان والمشرف على الهلاك .

١٩ ـ بالدنية يمكن أن يكون المقصود بها صاحبته أو ناقته ، فعلى المعنى الأول الدنية القريبة . والشزر المعاداة ، أي أنها أصبحت عدوا وقد كانت صديقاً . وعلى ذلك يقرأ الشطر الثاني (ما تريد) أي أنتا مع ذلك لا تقصد إلا إلى دارك . ويقرأ بعد ذلك (فما أجشمت) بضمير الفاعل . فإن كان المقصود بها الناقة فالدنية التي دانى لها صاحبها القيد وضيقه عليها ، يصفها بقصر الخطو بعد أن تعبت لبعد الطريق . والشزر هنا الشدة والصعوبة .

(٢٠ ـ ٢٢) أجشمت (على البناء للمجهول) من أجشمه الأمر إذا كلفه إياه فتحمله بمشقة . إتيان قوم يقصد قوم صاحبته التي انصرفت عنه . عدو أسود الكبد أحرقت كبده العداوة . الجزيل الكثير . يستفيد المال يكسبه . مهامه جمع مهمه (بفتح الميمين) وهي الصحراء . المجيد (اسم فاعل) من أجاد الرجل إذا كان ذا دابة جواد وفرس جواد .

(٢٣ ـ ٢٤) ناقة سرح (بضمتين) سريعة منبسطة سهلة السير . كناز ضخمة . الرعن أنف الجبل . الذعلبة الناقة السريعة . القصيد الناقة السمينة لها نقي ، والنقي (بكسر فسكون) كل عظم ذي مخ . المكره الذي أكره على الجري . المعبوط من عبط الذبيحة (كضرب) نحرها من غير علة وهي صحيحة . داف الدواء والزعفران يدوفه خلطه ، ودافه في الماء أذابه وضربه فيه حتى يختلط ويتماسك . الورس نبات كالسمسم أصفر يزرع في اليمن ويصبغ به وتطلى به النساء وجوههن . الرب الطلاء الخاثر ، والرب كذلك دبس الرطب (بكسر الدال وسكون الباء) إذا طبخ . عقيد غليظ القوام ليس سائلاً (وهو فعيل بمعنى مفعول) .

فى الصحراء. وتملأ القُدُور حين تُنحر ، فيعلوها مَرَقٌ دسم غليظ ، كأنه مسحوق (الوَرْس) الأصفر المطبوخ ، أو عسل البلح المعقود . كأن الرَّحْل وقد أُثبِت فوقها فى (عُنَيْسات) ، قد وُضِع فوق ثور مستوحش متوحد فى القفار .

ثم يستطرد الشاعر إلى تلك الصورة التقليدية المألوفة التى مرت بنا من قبل . فيصف صلابة هذا الثور فى كفاحه المرير .

(٢٦ — ٢٩) لجأ هذا الثور ذات ليلة إلى رملة (البقَّار) ، يسفعه ما تقذف به السماء من صقيع بارد ، ويدس رأسه بين الأشجار العالية كلما فاجأته دفعة من المطر ، محتميا بأغصانها الكثيفة المتهدلة . وراح ينفض عن نفسه الماء حين أصبح الصباح ، ويستعيد رباطة جأشه ، مطمئنا إلى قرونه الحادة الطويلة التى يدفع بها عن نفسه ، وإلى أظلافه المنبسطة الوثيقة التى تعينه على الكر والفر فى القتال .

وينتقل الشاعر من هذه الصورة إلى صورة أخرى من تلك الصور المألوفة فى الشعر الجاهلى ، مشبها ناقته بحمار من حمر الوحش ، [1] فيقول :

(٣٠ — ٣٣) وشبيه آخر لناقتى فيما نالها من إعياء ، ذلك الحمار الغليظ ، قد أضمره الجرى وطوى لحمه ، فهو مكتنز خَمِيصُ البطن . يمرح فى الوديان ، ويأكل ما أنبتت من عشب ، وقد اتسع أمامه المرعى وانفسح . يلاحق أتانا طويلة الظهر ، تنفر منه ممتنعة عليه ، ولكنها تنزل على حكمه آخر الأمر . ظل هذا الحمار صيفا طويلا يرقبها منتظرا ، وقد تساقط شعره من الهزال لجفاف العشب والماء ، فاشتد شوقه إليها وشهوته لضِرَابها . ولكن الأتان تنفر منه ، وتَرفسه برجليها كلما عاد إليها فتصيب أنفه وجبهته .

(١) راجع القصائد ١ : ٢٧ — ٣١ ، ٢١ : ١٠ — ٢٠ ، ١٥ : ٩ — ٢٣ وراجع كذلك فى نفس الصورة : ديوان النابغة (ط . الهلال ١٩١١) ص ٨٤ — ٨٥ ، ديوان زهير (ط . دار الكتب) ص ٦٥ — ٧٢ ، معلقة لبيد الأبيات ٢٤ — ٣٥ ، ديوان امرىء القيس (ط . السندوبى) ص ١٠٦ — ١٠٧ .

٢٥— كَأَنَّ قُتُودَهَا بِعُنَيْبِسَاتٍ تَعَطَّفَهُنَّ ذُو جُدَدٍ فَرِيدُ

٢٦— تَضَيَّفَ رَمْلَةَ ٱلْبَقَّارِ يَوْمًا فَبَاتَ بِتِلْكَ يَضْرِبُهُ ٱلْجَلِيدُ

٢٧— يُكِبُّ إِذَا أَجَالَ ٱلْمَاءَ عَنْهُ غُضُونَ ٱلْفَرْعِ وَٱلسَّدَلُ ٱلْقَرِيدُ

٢٨— فَأَصْبَحَ يَنْفُضُ ٱلْغَمَرَاتِ عَنْهُ وَيَرْبِطُ جَأْشَهُ سَلِبٌ حَدِيدُ

٢٩— وَرُحٌ كَٱلْمَحَارِ مُوَتَّدَاتٌ بِهَا يَنْضُو ٱلْوَغَى وَبِهِ يَذُودُ

٣٠— أَذَلِكَ أَمْ خَمِيصُ ٱلْبَطْنِ جَأْبٌ أَطَاعَ لَهُ ٱلنَّوَاصِفُ وَٱلْكَدِيدُ

٣١— يُقَلِّبُ سَمْحَجًا فِيهَا إِبَاءٌ عَلَى أَنْ سَوْفَ تَأْبَى مَا يَكِيدُ

٣٢— بَقَى عَنْهَا ٱلْمَصِيفَ وَصَارَ صَعْلًا وَقَدْ كَثُرَ ٱلتَّذَكُّرُ وَٱلْفُقُودُ

٣٣— إِذَا مَارَدَّ تَضْرِبُ مَنْخَرَيْهِ وَجَبْهَتَهُ كَمَا ضُرِبَ ٱلْعَضِيدُ

٣٤— فَتِلْكَ إِذَا ٱلْحُجُوزُ أَبَى عَلَيْهِ عِطَافَ ٱلْهَمِّ وَٱخْتَلَطَ ٱلْمَرِيدُ

٢٥— القتود خشب الرحل وعيدانه ، جمع قتد . عنيبسات موضع ، كذلك جاء فى معجم البلدان ولم يحدده، وهى فى الأصل (عنيسات) والتصحيح عن ياقوت . تعطفهن أى تردى بهن ولبسهن . والضمير يعود على القتود . الجدد جمع جدة (بضم الجيم وتشديد الدال) وهى الخطة فى ظهر الثور أو الحمار تخالف لونه . فريد واحد متفرد وصف للثور .

(٢٦ — ٢٨) البقار رمل بنجد أو بناحية اليمامة (موطن الأعشى) . تضيفها نزل بها . بتلك أى تلك الرملة . الجليد الصقيع الذى ينزل من السماء ليلا كأنه الثلج . يكب يطاطئ رأسه . أجال الماء عنه حوله . فرع كل شىء أعلاه . السدل المترسل المهدل . القريد الكثيف المجتمع بعضه فوق بعض ، من قرد الصوف إذا تلبد . الغمرات الشدائد ، والغمرة (بفتح فسكون) الماء الكثير . الجأش اضطراب القلب عند الفزع ، يربط جأشه أى يشجعه . سلب طويل يقصد قرنه . حديد حاد .

(٢٩ — ٣٠) رح صفة لأظلافه ، جمع أرح وهو الحافر الواسع والظلف المنبسط ، وهو محمود . موتدات ثابتة فى الأرض متمكنة منها لانبساطها . بها الضمير يعود على الأظلاف . تنضا الفرس الخيل سبقها وتقدمها . الوغى الحرب ، وأصلها الصوت والجلبة . وبه الضمير يعود على القرن فى آخر البيت السابق . يذود يدافع . خميص ضامر . جأب غليظ . النواصف جمع ناصفة ، وهى مجرى الماء ، وما اتسع من بطن الوادى . الكديد الوادى العظيم المتسع . أطاع له المرتع وطاع له اتسع وأمكنه الرعى . وهو يصف بالبيت الأخير حمار الوحش . يقول : أذلك الثور شبيه ناقتى أم هذا الحمار .

(٣١ — ٣٢) السمحج الطويلة الظهر ، يقصد الأتان . يقلبها يوجهها حيث شاء . إباء امتناع ونفور ، أى أنها تنفر من الحمار ولا تنقاد له . ما يكيد ما يريد ويدبر . وهو شبيه بقول النابغة :

أضر بمجرداء النسالة سمحج يقلبها إذ أعوزته المسلائل

بقاه يبقيه ويبقوه رصده وترقبه وانتظره . المصيف موضع الاقامة فى الصيف أو زمانه ، والمقصود هنا الزمان ، وهى منصوبة على الظرفية . صعل ذاهب الوبر قد تساقط شعره ليبس الكلأ فى الصيف . الفقود من فقده إذا غاب عنه وعدمه . أى أنه ظل ينتظرها طول الصيف وقد اشتد شوقه إليها ، يريد الضراب ولكنها تمتنع عليه وتأباه .

(٣٣ — ٣٤) رد عاد إليها . تضرب منخريه ترفسه برجليها الخلفيتين فى وجهه . العضيد أغصان الشجر يقطعونها ، فاذا جفت خبطوها بالعصى حتى يسقط ورقها فيتخذونه علفا لابلهم . عضد الشجر (كضرب) قطعه ، فهو معضود وعضيد . الحجوز والحجور (بالراء والزاى) من الحجز والحجر وهو المنع والحرمان . عطاف من العطف وهو الميل . الهم ما يشغل النفس وما تجيل الفكر فى تدبيره . اختلط تشابك وتعقد . المريد المطلوب من راد الشىء أى طلبه .

ويتوالى على وجهه الضرب ، كما تضرب أغصان الشجر لِيُنْفَض ما عليها من ورق .

ويعود الشاعر آخر الأمر إلى ناقته ليقول :

٣٤ — ذلك الحمار شبيه ناقتي إذا حالت الحوائل دون تحقيق ما أَهُمّ به من أمر ، والتوى عليّ ما أريد .

ويتجه الشاعر إلى صاحبته بعد هذا الحديث الطويل عن صلابة عوده ، وقدرته على اقتحام الصحراء ، وصبر ناقته على ما فيها من مشاق ، فيقول لها :

(٣٧ — ٣٨) إنكِ لو سألتِ يا (قتْلُ) لعرفت موضعنا من المروءة ومكانتنا من القوم . سلي عن صنيعنا حين يتخلى الناس عن الأسير ويسلمونه ، وقد ثوى في قيوده سنين ، حتى أضناه الهم والوجع الشديد .

(٣٩ — ٤٠) عند ذاك يقدم وفدنا على الملوك فيشفع له ويخلصه ، حين تُرَدُّ وفود الناس ولا تقبل شفاعتهم . نفعل ذلك لا نريد من صاحبه جزاء ولا شكورا ، ولكنا ندع الحمد للذى يطلبه ويرتجيه .

(٤١ — ٤٢) كم من عدو يعضون على أنيابهم من شدة الغيظ ، ويتهددون متوعدين ، فلا تنالنا أيديهم ولا يضيرنا وعيدهم . طلبوا ما فى أيدينا فأخذنا ما فى أيديهم ، ومكر بنا سيدهم فحاق بهم ما يمكرون

٣٥— .... النشيد

٣٦— .... حلتْ ... وَحَبًا لَا يَطِيبُ وَلَا يُفِيدُ

٣٧— فَأَنَّكَ لَوْ سَأَلْتِ قُتَيْلَ عَنَّا ... إِذَا صَفَحَتْ عَنِ ٱلْعَانِي ٱلْخُدُودُ

٣٨— تَنِبهِ وَقَدْ أَحَالَ ٱلْقِدُّ فِيهِ ... وَشَفَّ فُؤَادَهُ وَجَعٌ شَدِيدُ

٣٩— تَخَلَّصَهُ ٱلَّذِي وَافَاهُ مِنَّا ... وَكُنَّا ٱلْوَفْدَ إِذْ حُبِسَ ٱلْوُفُودُ

٤٠— فَلَمْ نَطْلُبْ لَهُ شُكْرًا وَلٰكِنْ ... نُوَلِّي حَمْدَ ذٰلِكَ مَنْ يُرِيدُ

٤١— وَقَوْمٍ تَصْرِفُ ٱلْأَنْيَابُ مِنْهُمْ ... عَلَيْنَا ثُمَّ لَمْ يَصِدِ ٱلْوَعِيدُ

٤٢— بَغَوْنَا فَٱتَّهَمْنَا مَا لَدَيْهِمْ ... وَكَادُونَا بِكَبْشِهِمُ فَكِيدُوا

(٣٥ — ٣٨) جواب الشرط فيما يلى ، وهو بياض بالأصل . صفح عنه أعرض ، وأصله من صفح الوجه (بفتح فسكون) وهو عرضه ، أى ولاه صفح وجهه . العانى الأسير . الخدود جمع خد وهى الجماعة من الناس . تنبه تخلى منه وتركه ، والضمير راجع على الخدود . القد (بكسر القاف) سير من جلد ، يعنى القيد الذى قيد به ذلك الأسير . أحال أتى عليه الحول أى العام ، أو مرت عليه أحوال أى سنون . شفه أضناه وأوهنه .

(٣٩ — ٤٠) وافاه أدركه . الوفد الذين يفدون على الملوك . حبس الوفود منعوا ولم تقبل شفاعتهم عند الملك الذى أمسك عنده ذلك الأسير . ولاه الأمر جعله ولياً عليه . أى أنهم يدعون الفكر على هذا الصنيع الذى يطلبه ، فهم لم يفعلوا ما فعلوا طلبا لأن يشكروا ، ولكنهم فعلوه بدافع المروءة .

(٤١ — ٤٢) صريف الأنياب صريرها حين يعض عليها المتغيظ الحنق الحسود . الوعيد التهديد . لم يصد لم يصبنا بسوء ، من صاد يصيد ، بما يجنى ويجر من وأجرم ، وباء قره وأصاب منه ، وبما الشيء استعاره . اتهمنا ماديهم طلبناه . كاده خدعه ومكر به . كبشهم سيدهم . كيدوا فعل ماض مبنى للمجهول من كاد يكيد .

رويت هذه القصيدة عن أبي عمرو الشيباني . وعندي أنها لا تصح للأعشى ، لأسباب كثيرة :

(١) القصيدة ركيكة ضعيفة النظم ، تدبه في بعض أبياتها نظم المتون والشعر التعليمي الغث .

(٢) وهي متأثرة بالقرآن في كثير من أبياتها . فالبيت (٩) متأثر بالآية (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لا تشرك بالله) . والتعبير عن الثواب في ذلك البيت بقوله (الباقيات) ، متأثر بتعبير القرآن (والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا) . والبيت (١٠) متأثر بقوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) ؛ وقد سمى الناظم تعاليم الدين وأوامر الله في البيت (١١) « كلام الله » ، وهي تسمية القرآن . قال تعالى (وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه . .) . والتعبير عن الجارة المجاورة في البيت (١٥) بـ « جارة جنب البيت » متأثر بتعبير القرآن (والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل) . ثم هو متأثر في عجز البيت بقوله تعالى (وما يخفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء) . والقصيدة في جملتها نظم لتعاليم القرآن والاسلام .

(٣) وفي القصيدة ألفاظ غريبة على الأعشى ، وعلى العصر الجاهلي جملة . مثل (اللطيف) بمعنى ظريف ، في قوله (ولا تشتمن جار اللطيف المداريا). ومثل تسمية الله جل وعلا بـ (الرحمن) ، فهي تسمية لم تعرفها العرب في الجاهلية . والأدلة على ذلك كثيرة في القرآن وفي السيرة . قال تعالى وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن ؟ أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا [١]) وقال جل وعلا يخاطب الكفار (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى [٢]) وجاء في السيرة في صلح الحديبية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليا فقال له اكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) . فقال له سهيل بن عمرو ــ ممثل قريش في الصلح ــ : أنا لا أعرف هذا . ولكن اكتب (باسمك اللهم [٣]) .

(٤) والقصيدة بعد كل هذا تخالف ما عرف عن الأعشى من فسق ومن دعارة ، وتناقض سائر شعره . فلم يكن الأعشى قط واعظا ولا صاحب دعوة خلقية أو دينية . بل إن سائر القصيدة يناقض صدرها . فهو يخاطب عاذلته في البيت الأول قائلا (ذريني لك الويلات آتي الغوانيا)، ثم ينهى بعد ذلك عن الزنا في البيت (١٥)

وكل هذه الأسباب مجتمعة ، تقطع بما لا يدع مجالا للتردد ، بأن القصيدة ليست للأعشى . ولعلها لواحد من الأعشين الآخرين ــ وهم كثير ــ ولو أنها في نظمها الركيك لا تستحق أن تنسب لأدنى الناس حظاً من موهبة الشعر .

---

١ — ذريني ـ لك الويل ـ أمتع نفسي من النساء ، فما أنا بصاحب زرع . ولا أنا ممن يسوق الجمال .

٢ — ترجو الثراء من (سِيَّاس) وأضرابها ، ومن قبل ذلك ما كنت تسعى وراء المال .

٣ — سأوصي عاقلا إن دنا أجلي ـ وكل امرىء صائر إلى الفناء ـ

٤ — بأن لا ترج الخير ممن ينأى متباعدا ، ولا تنأ عمن يدنو إليك متقربا .

٥ — وأبغض من يبغضك ، واجز الصديق بمودته مودةً أو زد عليه .

٦ — وشارك سادة الحي فيما ينوب من مغارم ، غير مبطىء ولا متخاذل .

٧ — وإن صد عنك رجل من الناس فاصدد عنه ، كائنة ما كانت قرابته .

٨ — واتق الله فليس كتقواه شيء ، وواس الجائع الذي أضنته الفاقة .

٩ — ولا تشرك بربك ، فالشرك تنقص من ثوابك فيما قدمت من خير .

١٠ — واعبد ربك غير مشرك به ، ليعينك على ما تسعى إليه ويرعاك .

١١ — ولا تأكل الميتة . فبحسبك كلام الله ناهيا وزاجرا .

١٢ — ولا تقدم من الوعود ما لا تستطيع الوفاء به . ولا تشتم الجار المخلص اللطيف .

---

(١) الفرقان ٦٠ (٢) الاسراء ١١٠ (٣) سيرة ابن هشام ٣ : ٣٣٢

وقال :

(طويل)

١ — ذَرِينِي لَكِ الْوَيْلاتُ آتِي الْغَوانِيا ... مَتَى كُنْتُ زَرّاعًا أَسُوقُ السَّوانِيا

٢ — تُرَجّي ثَراهُ مِنْ سِياسٍ وَمِثْلِها ... وَمِنْ قَبْلِها ما كُنْتُ لِلْمالِ راجِيا

٣ — سَأُوصِي بَصِيرًا إِنْ دَنَوْتُ مِنَ الْبِلَى ... وَكُلُّ امْرِئٍ يَوْمًا سَيُصْبِحُ فانِيا

٤ — بِأَنْ لا تَأَنَّ الْوُدَّ مِنْ مُتَباعِدٍ ... وَلا تَنْأَ إِنْ أَمْسَى بِقُرْبِكَ راضِيا

٥ — فَذا الشَّنْءُ فَاشْنَأْهُ وَذا الْوُدُّ فَاجْزِهِ ... عَلَى وُدِّهِ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ الْعَلانِيا

٦ — وَآسِ سَراةَ الْحَيِّ حَيْثُ لَقِيتَهُمْ ... وَلا تَكُ عَنْ حَمْلِ الرِّباعَةِ وانِيا

٧ — وَإِنْ بَشَرٌ يَوْمًا أَحالَ بِوَجْهِهِ ... عَلَيْكَ فَحُلْ عَنْهُ وَإِنْ كانَ دانِيا

٨ — وَإِنْ تَقِ الرَّحْمنَ لا شَيْءَ مِثْلُهُ ... فَصَبْرًا إِذا تَلْقَى السَّحاقَ الْغَراثِيا

٩ — وَرَبَّكَ لا تُشْرِكْ بِهِ إِنَّ شِرْكَهُ ... يَحُطُّ مِنَ الْخَيْراتِ تِلْكَ الْبَواقِيا

١٠ — بَلِ اللهَ فَاعْبُدْ لا شَرِيكَ لِوَجْهِهِ ... يَكُنْ لَكَ فِيما تَكْدَحُ الْيَوْمَ راعِيا

١١ — وَإِيّاكَ وَالْمَيْتاتِ لا تَقْرَبَنَّها ... كَفَى بِكَلامِ اللهِ عَنْ ذاكَ ناهِيا

١٢ — وَلا تَعِدَنَّ النّاسَ ما لَسْتَ مُنْجِزًا ... وَلا تَشْتِمَنْ جارًا لَطِيفًا مُصافِيا

(١ — ٣) ذريني اتركيني ، يخاطب عاذلته يقول لها دعيني وشأني . الغواني جمع غانية وهي المرأة الجميلة لأنها تستغني بجمالها عن الزينة . السواني جمع سانية وهي الناضحة أي الناقة التي يستقى عليها فتحمل الماء . سياس لعله اسم صاحبته ، أو لعله يقصد سيواس بلد بالروم ، أو لعله من ساس الدواب يسوسها سياسة إذا قام عليها وراضها ، والمعنى على كل حال غير واضح لي . البلى الموت والفناء . بصير عاقل فطن . والبيت الثالث والرابع مكرران في القصيدة (١٤) ، في البيتين (٥ ، ٦) منها .

(٤ — ٦) تأني ترفق وتمهل وانتظر . أي تنتظر ودا ولا خيرا منه . شنأه شنأ كرهه وأبغضه . الغلانية (بالغين المعجمة) الغلو والاسراف ، فعلها غلى (كفتح) . ويروى العلانيا (بالعين المهملة) ، من علن الأمر (كنصر) علونا وعلانية شاع وظهر . السراة جمع سري (كغني) وهو الشريف والسيد . آسهم أي عاونهم يقصد المشاركة بالمال في المغارم . الرباعة لاالة يحتملها سيد القوم من ديات القتلى والمغارم ، ثم يسعى في جمعها من قومه . وانيا بطيئا .

(٧ — ٨) أحال بوجهه ولاه وصرفه . عليك يقصد عنك . حل عنه انصرف . وإن كان دانيا قريب القرابة . السحاق من السحق وهو البعد ، والسحيق البعيد . والأليق بها بعدها أن تكون من الضمور والهزال ، من قولهم أسحق الشيء إذا ضمر وانضم ، وأسحق الضرع ذهب لبنه وبلى ، ومنه كذلك السحق (بفتح فسكون) وهو الثوب البالي . الغراث (بكسر الغين) جمع غرثان وهو الجائع ، فعلها غرث (كعلم) . والصبر هنا الكفالة من قولهم صبر نفسه به صبرا أي كفله وعاله وقام بالانفاق عليه ، وأصله الحبس ، كأنه قد حبس نفسه عليه .

(٩ — ١٢) يحط من الخيرات ينقصها . البواقي يقصد ثواب الآخرة الذي يبقى ويدوم . تكدح تعمل وتعنى . راعيا حافظا . أنجز الوعد أمضاه وأنفذه . مصافيا مخلصا . صدر البيت (١١) مكرر في القصيدة ١٢ : ١٩ .

١٣ — ولا ترغب عن وصل ذوى القربى ، ولا تك ظلوما لقومك .

١٤ — وأدِّ الأمانة التى اؤتمنت عليها ، يذكرك الناس بعدموتك بالخير والوفاء .

١٥ — ولا تسع لإفساد جارتك ، فالله يراك من حيث لا تراه .

١٦ — ولا تحسد صديقك إن استغنى ، ولا تنأ عنه إن واتاك المال .

١٧ — ولا تتخل عن قومك إن مسَّهم الضُّر ، فأنك لا تعدم بمشاركتك سبيلا إلى المجد .

١٨ — واشدد أزْر المستجير بك ، ودافع من دونه موقدا نار الحرب حامية تَسْفَع الوجوه .

(٦٧)

رووا فى قصة هذه الأبيات أن الأعشى أقبل من عند قيس بن معديكرب ، فمر بالطائف ، فنزل بعروة بن مسعود الثقفى فأكرمه وكساه .

والطائف قرية شرق مكة ، على سفح جبل غزوان ، كانت – ولا تزال – كثيرة الفواكه والبساتين ، معتدلة الجو ، لارتفاعها ، وكثرة المياه والزروع فيها . وكانت (ثقيف) تنزلها ، وقد حصنتها بسور .

أما عروة بن مسعود بن معتب فهو أحد سادة ثقيف ، وكان متزوجا آمنة بنت أبى سفيان بن حرب (١) . وهو عم والد المغيرة بن شعبة ، وقد أوفدته قريش إلى النبى حين قدم عليهم فى الحديبية ، وكان له معه حديث (٢) . وأوفده قومه بعد ذلك إلى النبى مرة أخرى ليهادنه ، بعد انصرافه عن حصارهم ، فأسلم (٣) ، ثم عاد إلى قومه يدعوهم للاسلام فقتلوه سنة ٩ هـ . وقد ذهب بعض المفسرين إلى أنه أحد المقصودين بقوله تعالى : – يحكى قول الكفار – (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) (٤) .

---

١ — إذا أتيت ديار ثقيف ما دحا تنشد الشعر ، ألفيتَ قوما كراما يغمرونك بعطائهم الغزير .

٢ — إن الكريم إذا حللتَ ببابه وإذا سألته : هو (أبو يَعْفور) .

---

(١) السيرة ٤ : ١٢٦ . (٢) السيرة ٣ : ٣٣٧ ، ٣٣٨ . (٣) السيرة ٤ : ١٨٢ . (٤) الاصابة ٢ : ٤٧٧ .

١٣ — وَلَا تَزْهَدَنْ فِي وَصْلِ أَهْلِ قَرَابَةٍ ... وَلَا تَكُ سَبْعًا فِي ٱلْعَشِيرَةِ عَادِيَا

١٤ — وَإِنِ ٱمْرُؤٌ أَسْدَى إِلَيْكَ أَمَانَةً ... فَأَوْفِ بِهَا إِنْ مِتَّ سُمِّيتَ وَافِيَا

١٥ — وَجَارَةَ جَنْبِ ٱلْبَيْتِ لَاتَبْغِ سِرَّهَا ... فَأَنَّكَ لَا تَخْفَى عَلَى ٱللهِ خَافِيَا

١٦ — وَلَا تَحْسُدَنْ مَوْلَاكَ إِنْ كَانَ ذَا غِنًى ... وَلَا تَجْفُهُ إِنْ كُنْتَ فِي ٱلْمَالِ غَانِيَا

١٧ — وَلَا تَخْذُلَنَّ ٱلْقَوْمَ إِنْ نَابَ مَغْرَمٌ ... فَأَنَّكَ لَاتَعْدَمْ إِلَى ٱلْمَجْدِ دَاعِيَا

١٨ — وَكُنْ مِنْ وَرَاءِ ٱلْجَارِ حِصْنًا مُمَنَّعًا ... وَأَوْقِدْ شِهَابًا يَسْفَعُ ٱلْوَجْهَ حَامِيَا

(٦٧)

وقال يمدح عُرْوَةَ بْنَ مَسْعُودٍ الثَّقَفِيَّ :

(كامل)

١ — وَإِذَا أَتَيْتَ مُعَتِّبًا فِي دَارِهَا ... أَلْفَيْتَ أَهْلَ نَدًى هُنَاكَ خَيِرِ

٢ — إِنَّ ٱلْجَوَادَ إِذَا حَلَلْتَ بِبَابِهِ ... وَإِذَا تَسَائِلُهُ أَبُو يَعْفُورِ

٣ — .... وَرِ

(١٣ — ١٥) زهد فيه (كفتح وعلم وكرم) رغب عنه وتركه . عاديا تعدو على الناس وتظلمهم . أسدى أتى . أوف بها أد إليه أمانته . جارة جنب البيت التي يلاصق بيتها بيتك . السر هنا بمعنى الزنى ، والسر كذلك الموضع تنسه من الأنثى . خافيا حال من الضمير المستتر في (تخفى) أى لاتخفى حال تظن أنك خاف . وقد تكرر معنى البيت (١٥) في القصيدة ١٧ : ١٤ ، التي تنسب له في مدح النبي .

(١٦ — ١٨) جفاه رغب عنه وتركه . غانيا غنيا . المغرم الغرامة ، وهي المشقة والضرر ، وأن يلتزم الانسان أداء ماليس عليه . نابهم أصابهم وحل بهم . لاتعدم ، جزم الفعل هنا شاذ ، لأن لا النافية لاتجزم . داعيا سببا . الشهاب شعلة النار الساطعة ، يقصد بها الحرب في سبيل حماية الجار اللاجىء . يسفع الوجه يلفحه ويحرقه فيغير لونه .

(٦٧)

(١ — ٣) معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن عوف بن ثقيف جد عروة (الممدوح) . خير غزيره من الخير (بفتح فسكون) . والخيراء وهي الناقة الغزيرة اللبن ، ومن خيرت الأرض إذا كثر شجرها . وأظنه تصحيفا ولعل الصواب : ألفيت أهل ندى هناك وخير (بكسر الخاء) ، وهو الكرم والشرف . أبو يعفور كنية الممدوح ، واليعفور هو الظبي وولد البقرة الوحشية .

-٦٨-

يمدح الأعشى بهذه القصيدة قيس بن معديكرب ، وقد تقدمت فى مدحه أربع قصائد (٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥) ، وبق للأعشى فى مدحه قصيدتان ، ما (٧٦) ، (٧٨) . والقصيدة الأخيرة كلها غزل وخمر ، ولكنه ختمها بأربعة أبيات فى مدحه.

يبدأ الشاعر قصيدته متحدثا عن صاحبته المحبية (قتيلة).

(١ — ٢) فقد وقف الأعشى على ديارها فى (هَضْب القَلِيب) ، ففاضت عيناه بالدموع ، فَيضَ الدلاء بالماء. هنالك وعدته (قُتَيْلة) اللقاء ، ثم أخلفته الميعاد ، ولم تكن من قبل كذوبا تُخْلِف الوعود .

ويتذكر الأعشى جمالها متحسرا فيقول :

٣ — ظبية من ظباء (بَطْن خسَاف) ، ترعى طفلا لها صغيرا فى الوادى الفسيح ، قد حظى بكل عنايتها فلم يَشغَلها عنه حليل .

ثم يقول :

٤ — أطاعت الوشاة . وقد كنت أوصيتها ألا تستمع إلى مايبلغونها عنى من أكاذيب .

وينتقل الأعشى من هذا الغزل إلى الصحراء ، فى طريقه للممدوح ، فيقول :

(٥ — ٧) كم قطعت من قَفْر مجدب عار من كل شىء ، كأنه ظهر تُرس ، فوق ناقة صلبة ضامرة ، تمد عنقها فى انطلاقها حين تختال بالراكبَيْن فوق ظهرها ، وتمضى لوجهها لا يثنيها شىء ، كأنها الفحل الأبيض الكريم ، تدره صاحبه للرعى فسيَّبه لا يُركب ولا يُمس . تختال فى الموكب إذا خف ، وتتميز من بينه بأيد سراع ، وسنام ضخم قد اكتنز بالشحم .

ثم يتخلص الأعشى إلى المدح فيقول :

(٨ — ١١) يممتْ ناقتى هذه شطر (بنى الحارث) ، أهلِ الغناء والطرب والخمر . يلجأ إليهم المستجير ، فيسكن فى جوارهم ويطمئن ، حتى مايجرؤ صاحب الثأر على أن يغتاله فى الخفاء . ويبذلون الطعام إذا انقطع المطر ، وهبت ريح الشمال بالثلج والصقيع ، وأمحلت نجوم (المَجرَّة) ، حتى ما تدِرُّ ريحُ الجَنُوب ما يسقى وَعلاً ظمآن .

— ٦٨ —

وقال يمدح قيسَ بنَ معديكَرِب :

١ — مِنْ دِيَارٍ بِالْهَضْبِ هَضْبِ ٱلْقَلِيبِ	فَاضَ مَاءُ الشُّئُونِ فَيْضَ ٱلْغُرُوبِ (خفيف)
٢ — أَخْلَفَتْنِي بِهِ قُتَيْلَةُ مِيعَا	دِي وَكَانَتْ لِلْوَعْدِ غَيْرَ كَذُوبِ
٣ — ظَبْيَةٌ مِنْ ظِبَاءِ بَطْنِ خُسَافٍ	أُمُّ طِفْلٍ بِٱلْجَوِّ غَيْرِ رَبِيبِ
٤ — كُنْتُ أَوْصَيْتُهَا بِأَنْ لَا تُطِيعِي	فِيَّ قَوْلَ ٱلْوُشَاةِ وَٱلتَّخْبِيبِ
٥ — وَفَلَاةٍ كَأَنَّهَا ظَهْرُ تُرْسٍ	قَدْ تَجَاوَزْتُهَا بِحَرْفٍ نَعُوبِ
٦ — عِرْمِسٍ بَازِلٍ تَخَيَّلُ بِالرِّدْ	فِ عَسُوفٍ مِثْلِ ٱلْهِجَانِ السُّيُوبِ
٧ — تَضْبِطُ ٱلْمَوْكِبَ الرَّفِيعَ بِأَيْدٍ	وَسَنَامٍ مُصَعَّدٍ مَكْثُوبِ
٨ — قَاصِدٌ وَجْهُهَا تَزُورُ بَنِي ٱلْحَا	رِثِ أَهْلَ ٱلْغِنَاءِ عِنْدَ الشُّرُوبِ
٩ — الرَّفِيقِينَ بِٱلْجِوَارِ فَمَا يُغْـ	ـتَالُ جَارٌ لَهُمْ بِظَهْرِ ٱلْمَغِيبِ
١٠ — وَهُمُ يُطْعِمُونَ إِذْ قَحَطَ ٱلْقَطْـ	ـرُ وَهَبَّتْ بِشَمْأَلٍ وَضَرِيبِ

(١ — ٣) القليب البئر لأن ترابها قلب ، وقد تطلق على القديم العادى منها . وهضب القليب جبل العربة (بضمتين ثم باء مشددة) أو هو جبل في ديار بني عامر . الشئون مجارى الدمع ، جمع شأن . الغروب الدلاء ، جمع غرب (بفتح فسكون) . بطن الوادى الموضع الذى يجتمع فيه ماء السيل فيزهو نباته . بطن خساف برية بين بالس وحلب . الجو ما انخفض من الأرض ، وما اتسع من الوادى . الربيب ابن امرأة الرجل من غيره ، يقصد أن هذا الظبى كان موضع عناية أمه كلها ، لا يشاركه في ذلك زوج لها .

(٤ — ٥) خببه تخبيباً خدعه وغشه وأفسده . فلاة صحراء . الترس صفحة من الفولاذ مستديرة يحملها المحارب للوقاية من السيف ونحوه . الحرف الناقة الصلبة ، على التشبيه بحرف الجبل . نعبت الإبل (كفتح) مدت أعناقها في سيرها .

٦ — العرمس الناقة الصلبة ، على التشبيه بالصخرة . بازل قد تم خلقها ، بزل نابها ، وذلك في السنة التاسعة . تخيل أى تختيل من الخيلاء (بضم ففتح) وهى الكبرياء والتبختر . الردف الراكب خلف راكب آخر . العسوف التى تركب رأسها في السير ولا يثنيها شىء . الهجان من الإبل البيض الكرام ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع . السيوب الذى سيبه صاحبه وأطلقه لا يمنع من كلأ أو ماء ولا يركب ولا ينتفع به ، وكانوا يفعلون ذلك لنذر أو نحوه .

٧ — الموكب ضرب من السير ، وكب وكوبا ووكبانا مشى في درجان ، ومنه اشتق اسم الموكب ، وهو الجماعة من الناس ركبانا أو مشاة ، على الإبل أو الخيل ، يسيرون برفق للزينة أو التنزه ، تضبطه تغلبه وتقهره . والأضبط الذى يعمل بيديه جميعاً ، والبعير الضابط هو القوى على عمله . الرفيع من الارتفاع الذى هو أعلى العدو . وفت ناقتى إذا كلفتها الرفوع من السير ، وهو فوق الموضوع ودون العدو . مصعد مرتفع لاكتنازه بالشحم . مكثوب ضخم مجتمع .

(٨ — ١٠) الشروب الذين يشربون الخمر ، جمع شارب . رفأه (كفتح) سكنه من الرعب ورفق به . الجوار العهد ، وأن تعطى الرجل ذمة فيصبح بها جارك فتجيره مما تجير منه نفسك وأهلك . اغتاله قتله على غرة ومن خفية . قحط القطر أى احتبس المطر . الشمأل ريح الشمال وهى باردة . الضريب الثلج والصقيع .

(١٢ — ١٤) لهم مدحى وثنائى ، وإن لامنى فى ذلك اللائمون ، فليس للائمى فيهم إلا اللومُ والعصيان . لِلْموتِ مَنْ عاداك يا قيس ، يا رجل البر والخير ، يا أبا الأشْعَث . لى منه فى كل عام ناقة نجيب ، أو فرس عتيق موفور النشاط ، لا يُحْوِج راكبه إلى شد العِنان .

ويمضى الأعشى فى وصف هذا الفرس ، فهو

(١٥ — ١٧) ضامر البطن عريض الصدر ، كأنه وَعِل يرعى شجر (الرَّبْل) ، كريم الأبوين ، مشهور النسب ، قد حُبِس فى مَرْبَطه على العَلَف حتى ترك القَيْدُ فى يديه آثارا . إذا وجهْته بين الخيل فى حلبة السباق ، استخف بها حين يعدو مُفْتَنًّا فى ضروب العدو .

ويختم الأعشى قصيدته بقوله :

١٨ — تلك خيلى منه ، وتلك إبلى فى لونها الأصفر الأدكن ، قد تناثر من حولها أولادها كالزبيب .

١١— وَخَوَتْ جِرْبَةُ النُّجُومِ فَمَا تَشْـ   رَبُ أُرْوِيَّةٌ بِمَرْيِ الْجَنُوبِ

١٢— مَنْ يَلُمْنِي عَلَى بَنِي ابْنَةِ حَسَّـا   نَ أَلُمْهُ وَأَعْصِهِ فِي الْخُطُوبِ

١٣— إِنَّ قَيْسًا قَيْسَ الْفَعَالِ أَبَا الْأَشْـ   عَثِ أَمْسَتْ أَعْدَاؤُهُ لِشَعُوبِ

١٤— كُلَّ عَامٍ يَمُدُّنِي بِجَمُومٍ   عِنْدَ وَضْعِ الْعِنَانِ أَوْ بِنَجِيبِ

١٥— قَافِلٍ جُرْشُعٍ تَرَاهُ كَتَيْسِ الـ   رَّبْلِ لَا مُقْرِفٍ وَلَا مَخْشُوبِ

١٦— صَدَأُ الْقَيْدِ فِي يَدَيْهِ فَلَا يُغْـ   فَلُ عَنْهُ فِي مَرْبَطٍ مَكْرُوبِ

١٧— مُسْتَخِفٍّ إِذَا تَوَجَّهَ فِي الْخَيْـ   لِ لِشَدِّ التَّفْنِينِ وَالتَّقْرِيبِ

١٨— تِلْكَ خَيْلِي مِنْهُ وَتِلْكَ رِكَابِي   هُنَّ صُفْرٌ أَوْلَادُهَا كَالزَّبِيبِ

(١١ — ١٢) الجربة المزروعة والبقعة الحسنة النبات ، ويقال المجرة جربة النجوم . والمجرة نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر ، ينتشر ضوؤها فيرى كأنه بقعة بيضاء . خوت النجوم أمحلت فلم تمطر ، وكانت العرب تنسب المطر للنجوم . الأروية الوعل ، تطلق على الذكر والأنثى . الجنوب ريح تقابل الشمال . مرى الجنوب استدرارها الغيث ،وأصله مرى الناقة ، وهو مسح ضرعها لتدر ، فعله مرى (كضرب) . أى أن الجدب شديد ، فما تمطر السماء مايسق وعلا واحداً . بنو ابنة حسان هم رهط قيس ، وابنة حسان هى كبشة بنت حسان أبي الحارث ، وهى جدة قيس لأمه . الخطوب الأمور الكبيرة .

(١٣ — ١٤) الفعال (بفتح الفاء) اسم الفعل الحسن والخير . الأشعث هو الأشعث بن قيس الذي وفد على النبي فأسلم ، وبه كان يكنى أبوه . والأشعث هذا هو أبو عبد الرحمن بن الأشعث صاحب فتنة العراق المشهورة فى أيام الحجاج . شعوب اسم للموت لأنه يشعب الناس أى يفرقهم . فرس جموم موفور النشاط . عند وضع العنان ، أى أنه يعطيك ما عنده عفوا عند تركك تحريكه . النجيب العتيق الكريم .

١٥— قفل الفرس (كضرب) قفولا فهو قافل إذا ضمر وذهب شحمه . الجرشع العظيم الصدر أو العظيم الجنبين . التيس ذكر الظباء والمعز والوعول . الربل جمع ربلة ، وهى ضرب من الشجر ، إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطرت بورق أخضر من غير مطر . المقرف من كان أبوه دون أمه ، والهجين من كانت أمه دون أبيه . ويقصد بالمقرف فى الخيل من كانت أمه فرسا معروفة النسب أصيلا ، ولم يكن أبوه كذلك . وكانت العرب تحفظ أنساب الخيل لشدة عنايتهم بها . المخشوب المختلط النسب . أى أن هذا الفرس مشهور النسب معروفه .

(١٦ — ١٨) المربط موضع ربط الدواب ، مكروب قد كرب قيده أى دونى . يقال كرب وظيف الفرس والجمل إذا دانى بينهما بحبل أو قيد . أى أن هذا الفرس قد حبس زمانا على العلف لا يكلف أى عمل . مستخف من الاستخفاف وهو الاستهانة بالشيء . الشد العدو . التفنين التنقل والتنويع فى ضروب العدو . التقريب من ضروب العدو . الركاب الابل ، والواحدة راحلة ، ولا واحد لها من لفظها . صفر أى سود ، كذلك قال صاحب اللسان ، ثم أتبع ذلك مثلا : ولا يرى أسود منها إلا هو مشوب بصفرة . وقد ذهبوا إلى هذا التفسير لأن الزبيب الذى يعنيها به أسود . والواقع أن الزبيب ليس أسود ولكن لونه خليط من الصفرة والحمرة والسواد .

هذه القصيدة صورة من الخلاف الذى كان مستحكما بين بنى سعد بن ضبيعة (قوم الأعشى) ، وبين أبناء عمومتهم (بنى جحدر بن ضبيعة) . وقد هاجم الأعشى فى القصيدتين (٣٣) ، (٥٣) ، وهجا سيدهم شيبان بن شهاب الجحدري فى القصيدتين (١٠) ، (٢٠) . والأعشى يهاجم فى هذه الأبيات ، ويهاجم معه أبناء عمومته (تيم بن قيس بن ثعلبة) . وقد كان تيم وسعد ابنا قيس بن ثعلبة حليفين (وهما اللهزمتان) . ولكن الأعشى كان يهاجم بنى سعد ، وقلما كان يتعرض لاخوتهم بنى تيم . ولذلك فهو هنا يعير فى البيتين (٨ ، ٩) إلى أنهم كانوا يرعون حرمتهم ويمدون إليهم أيديهم بالمساعدة والعون ، ويعتب عليهم تسرعهم إلى الانضمام لعدوهم . والأعشى يتجه إلى قومه الذين يترفقون بهؤلاء الناس من أبناء عمومتهم ، ويؤملون فى استصلاحهم ، طالباً إليهم أن يتركوهم وشأنهم ؛ فليس فى موادعتهم فائدة ، وليس فى مخاصمتهم ضرر .

يقول الأعشى :

(١ –٢) وردت إلىَّ الأنباء – وأنا بعيد عنكم ، تفصل بيننا قطعان الحمر الوحشية ، التى تأوى إلى مكامنها من شدة الحر ، فى جنبى (فِتَاق) و (أبلق) – بأنكم تترفقون بقوم لاغناء فيهم على الرهط ، ولا فائدة تعود عليه من موادعتهم .

ويتجه الأعشى بالحديث إلى ابنته التى رأيناه يتحدث إليها فى القصيدتين (٤) ، (١٣) فيقول :

(٣) قد كنتُ يا ابنتى طوعَ القوم ، يوجهوننى حيث شاءوا ، وفى يدهم مِقْوَدى . ولكنهم تخلوا عنى ، وألقوا حبلى فى عنق ، وتركونى وشأنى نافضين أيديهم منى .

ثم يقول لخصمه شيبان بن شهاب (جد المَسَامِعَة) :

(٤ –٥) فيم الخلاف ، وفيم هذا الضجيج ؟ أهو من أجل أولئك الفتية ، البيض الوجوه الكرام ، الذين لو التقوا بجماعتك يوماً لأوردوهم الهلاك ؟ أولئك فتية يثبتون فى القتال حين يثور من تحت أرجلهم الغبار ، ولا يفرون حين تَزِلُّ الأقدام .

(٧ –٨) جزاك الله يا (شيخَ مِسْمَع) جزاء المسىء حين تمسى وحين تصبح . ويجزى الله (تَيْماً) عن إخوة كانوا يرعون حرمتهم . ألا ما أسرعهم إلى ركوب الشر وغشيان المحارم !

(٩ –١١) يعدون علينا ظالمين وهم إخوتنا ، لو زلت قدمهم لتعلقنا بهم لانخذلهم ولانسلمهم لشىء . ولقد كنا أمددناهم من قبل حين تخلفوا متخاذلين ، وكنا على أعدائهم الموت الزؤام . ومن قبلُ ما أسرعنا برماحنا إلى (بنى رُهْم) ، حين لجأوا إلينا فراراً من الشر .

وقال فيما كان بينه وبين بعض قومه :

١ — أَتَانِي وَعُونُ ٱلْحُوشِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ... كَوَانِسُ مِنْ جَنْبَيْ فِتَاقٍ فَأَبْلَقَا (طويل)

٢ — تَأَنِّيكُمُ أَحْلَامَ مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ ... عَلَى ٱلرَّهْطِ مَغْنًى لَوْ تَنَالُونَ مَوْثِقَا

٣ — بُلَيَّةُ إِنَّ ٱلْقَوْمَ كَانَ جَرِيرُهُمْ ... بِرَأْسِيَ لَوْ لَمْ يَجْعَلُوهُ مُعَلَّقَا

٤ — أَفِي فِتْيَةٍ بِيضِ ٱلْوُجُوهِ إِذَا لَقُوا ... قَبِيلَكَ يَوْمًا أَبْلَغُوهُ ٱلْمُخَنَّقَا

٥ — إِذَا ٱعْتَفَرَتْ أَقْدَامُهُمْ عِنْدَ مَعْرَكٍ ... تَبَتَّنَ بِهِ يَوْمًا فَأَنْ كَانَ مَزْلَقَا

٦ — ....

٧ — جَزَى ٱللهُ فِيمَا بَيْنَنَا شَيْخَ مِسْمَعٍ ... جَزَاءَ ٱلْمُسِيءِ حَيْثُ أَمْسَى وَأَشْرَقَا

٨ — جَزَى ٱللهُ تَيْمًا مِنْ أَخٍ كَانَ يَتَّقِي ... مَحَارِمَ تَيْمٍ مَا أَخَفَّ وَأَرْهَقَا

٩ — أَخُونَا ٱلَّذِي يَعْدُو عَلَيْنَا وَلَوْ هَوَتْ ... بِهِ قَدَمٌ كُنَّا بِهِ مُتَعَلَّقَا

١٠— أَتَيْنَا لَهُمْ إِذْ لَمْ تَجِدْ غَيْرَ أَنْيُهِمْ ... وَكُنَّا صَفَائِحًا مِنَ ٱلْمَوْتِ أَزْرَقَا

١١— وَجُدْنَا إِلَى أَرْمَاحِنَا حِينَ عَوَّلَتْ ... عَلَيْنَا بَنُو رُهْمٍ مِنَ ٱلشَّرِّ مَلْزَقَا

(١ — ٢) عون جمع عانة وهي الأتان أو القطيع من حمر الوحش . الحوش مثل الوحش . كوانس جمع كانس وهو الذى دخل كناسه أى بيته الذى يستكن فيه من الحر . فتاق وأبلق موضعان . التأنى التهيؤ والترفق والانتظار . تأنيكم فاعل (أتانى) فى البيت السابق . مغنى أى غناء (بفتح الغين) وهو النفع . الموثق والميثاق العهد . يقول هؤلاء قوم لا ينفعونا بغى، لو عاهدتموهم .

(٣ — ٥) الجرير مايضم حبل الخطام إلى رأس البعير . علق لراحلته ألق خطامها فى عنقها . بيض الوجوه كناية عن اليمن والكرم . القبيل الجماعة من الثلاثة فصاعدا . المخنق موضع الخنق من الرقبة . اعتفرت أقدامهم تتربت من تراب المعركة . المزلق الموضع الذى تزلق فيه القدم وتزل ، كناية عن الشدة .

(٧ — ٨) شيخ مسمع هو شيبان بن شهاب الجحدرى . ومسمع ولده وهو جد المسامعة الذين ينسبون إليه . وهو مسمع بن شيبان بن شهاب الجحدرى . وفد على النبي فأسلم ، ثم ارتد بعد موته وقتل بالبحرين . وقد كان ولده مالك بن مسمع سيد ربيعة فى فتنة ابن الزبير ، ومات فى أول خلافة عبد الملك بن مروان ، وعقبه وعقب إخوته كثير . أمسى دخل فى المساء . أشرق دخل فى شروق الشمس صباحا . تيم من قيس بن ثعلبة أبناء عمومة الأعشى ، وهم كذلك أبناء عمومة المسامعة . من أخ يتقى نفسه وقومه . محارم تيم حرمتهم وقرابتهم لأنهم أبناء عمه . ما أخف تعجب من خفتهم وطيشهم . أرهق من الرهق (بفتحتين) وهو السفه وركوب الشر وغشيان المحارم .

(٩ — ١١) أخونا يقصد بنى تيم وهم أبناء عمه . هوت قدمه زلت ووقع فى ضيق أو مكروه . كنا متعلقا أى أننا نتعلق به ولا نخذله . أنيهم بطؤهم وتراجعهم ، من انى يأنى (كضرب وعلم) . صفائح جمع صفيحة وهى السيف العريض . أزرق حال من الموت . وقد قبض الشاعر (مفاعيلن) فى الشطر الثانى . وصرف (صفائح) . ورواية البيت فى الديوان (إذ لم يجد غير آنيهم) وهو مكسور ومحرف ، ولم أعثر على تحقيقه ، وقد أصلحته على مابدا لى من السياق . جدنا أى أسرعنا ، من قولهم فلان يجاد إلى كذا (على البناء للمجهول) أى يساق . عولت علينا استغاثت بنا . ملزق من اللزوق وهو الالتصاق .

مسروق بن وائل هو أحد أسياد اليمن وأشرافهم ، وهو ينتسب إلى حضرموت بن قحطان (١). وقد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم في وفد حضرموت فأسلم (٢) . وتتفق هذه القصيدة في بحرها وفي قافيتها مع القصيدة (٧٦) ، التي رويت للأعشى في مدح قيس بن معديكرب . وهذا الاتفاق يدعو إلى الخلط بين أبيات القصيدتين في كثير من الأحيان . ويساعد على هذا الخلط أن الممدوحين كليهما من سادة اليمن وأشرافهم ، والواقع أن كثيرا من أبيات هذه القصيدة يشبه ما ألفناه من شعر الأعشى الذي مدح به قيس بن معديكرب . وليس للأعشى في (مسروق بن وائل) غير هذه القصيدة .

يقول الأعشى :

١ — قالت (سُمَيَّة) : من قصدت بمدحك ؟ فقلت : مسروق بن وائل .

٢ — عدى لغيبتى أشهراً ، فأنى سأقيم عند خير الأشراف والمَقَاول .

٣ — يتجمع الناس حول قبابه ، من طلاب الحاجات والمسائل .

٤ — يتسابقون إلى ساحته فى الصباح وفى المساء .

٥ — فإذا طلع عليهم فى سَمْتِه ووقاره ، سكنوا خاشعين لسيد ذى تاج .

٦ — ليس الفرات وقد أضحى فى (عانة) جياشاً بالماء ، تنحدر إليه السيول مزبدة ، بما تحمل من اوراق ومن عيدان ،

٧ — يخشى الملاحون سطوته ، فيعتصمون بمؤخر سفنهم مذعورين ،

٨ — ويمسى (النبيط) وقد رويت مزارعهم من روافده الحافلة بالماء ،

٩ — بأجود عطاء من (الحَضْرَمِىّ) صاحب النعم والأفضال .

١٠— يهب الجوارى فى حللهن المخملة كأنهن الغزلان .

١١— يرقصن كل عشية ، فتهتز من حركاتهن الثياب المزينة بصور الريش والرجال .

١٢— ويترك خصمه المدجج بالسلاح وقد صرعه على الأرض ، ترتعش أنامله من شدة الخوف .

---

(١) العقد الفريد ٣ : ٣١٨ (٢) الاصابة ٣ : ٤٠٨

وقال يمدح مَسْرُوقَ بْنَ وَائِلٍ :

١ — قَالَتْ سُمَيَّةُ مَنْ مَدَحْـ   تَ فَقُلْتُ مَسْرُوقَ بْنَ وَائِلْ   (كامل مجزوء)

٢ — عُدِّي لِغَيْبِي أَشْهُرًا   إِنِّي لَدَى خَيْرِ ٱلْمَقَاوِلْ

٣ — ٱلنَّـاسُ حَوْلَ قِبَابِهِ   أَهْلُ ٱلْحَوَائِجِ وَٱلْمَسَائِلْ

٤ — يَتَبَادَرُونَ فِنَـاءَهُ   قَبْلَ الشُّرُوقِ وَبِٱلْأَصَائِلْ

٥ — فَإِذَا رَأَوْهُ خَاشِعًا   خَشَعُوا لِذِي تَاجٍ حُلَاحِلْ

٦ — أَضْحَى بِعَانَةَ زَاخِرًا   فِيهِ ٱلْغُثَاءُ مِنَ ٱلْمَسَـايِلْ

٧ — خَشِيَ الصَّرَارِيُّ صَوْلَةً   مِنْهُ فَعَاذُوا بِٱلْكَوَاثِلْ

٨ — فَتَرَى النَّبِيطَ عَشِيَّةً   رَاوِي ٱلْمَزَارِعِ بِٱلْحَوَافِلْ

٩ — يَوْمًا بِأَجْوَدَ نَائِلًا   مِٱلْحَضْرَمِيِّ أَخِي ٱلْفَوَاضِلْ

١٠ — ٱلْوَاهِبُ ٱلْقَيْنَاتِ كَٱلْـ   غِزْلَانِ فِي عُقَدِ ٱلْخَمَائِلْ

١١ — يَرْكُضْنَ كُلَّ عَشِيَّةٍ   عَصْبَ ٱلْمُرَيَّشِ وَٱلْمَرَاجِلْ

١٢ — وَالتَّارِكُ ٱلْقِرْنَ ٱلْكَمِـ   يَّ مُجَدَّلًا رَعِشَ ٱلْأَنَامِلْ

(٢ — ٤) غاب يغيب غيباً وغيبة وغيابا . المقاول جمع قيل (بفتح فسكون) وهو لقب لرؤساء حمير وأشرافهم . قالوا إنه إنما سمي بذلك لأنه يقول ما يشاء فينفذ . قباب جمع قبة وهو الخباء الضخم ، وهو كذلك البناء الذي يكون سقفه مقعرا مستديرا معقوداً بالحجارة أو الآجر على هيئة الخيمة . يتبادرون يتسابقون إليه ويسرعون . الأصائل جمع أصيل وهو من بعد العصر إلى غروب الشمس .

(٥ — ٦) خاشعاً ساكتا . خشعوا هيبة منه أن يكلموه . التاج عند العرب هو الإكليل ، وهو شبه عصابة تزين بالجواهر . الحلاحل السيد المطاع في عشيرته . بين البيت الخامس والبيت السادس بيت ساقط لا يتم المعنى بغيره ؛ وخلاصته فيما نقدر (ما الفرات إذا جاش ماؤه) وخبر ما في البيت التاسع (بأجود نائلا) . عانة بلد مشهور بين الرقة وهيت مشرفة على الفرات ، وربما جمعوها في الشعر (عانات) . زاخرا ممتلئا . الغثاء الزبد وما على السيل من أوراق الأشجار البالية ونحوها . المسايل جمع مسيل ، ومسيل الماء موضع سيله .

(٧ — ٩) الصراري الملاحون جمع صار . صولته سطوته وبطشه . عاذوا لجأوا . كوثل السفينة مؤخرها . النبيط جيل من العجم كانوا ينزلون البطائح بين العراقين ، سموا بذلك لكثرة النبط عندهم وهو الماء . الحوافل جمع حافل . يقصد بها روافد النهر وفروعه الحافلة بالماء أي الممتلئة . النائل العطاء . الحضرمي نسبة إلى حضرموت بن قحطان بن عابر قوم الممدوح . الفواضل النعم العظيمة ، جمع فاضلة .

(١٠ — ١٢) القينة الجارية ، وقد تطلق على المغنية خاصة . الخمائل جمع خميل ، وهي الثياب المخملة أي ذات الوبر ، وتطلق على القطيفة . العقد (ككتف) من العقد (بفتح فسكون) وهو الإحكام وشدة الالتحام . والعقد (بتشديد القاف) ضرب من برود هجر . الركض الدفع والحركة . يركضنها يحركنها في الرقص . العصب ضرب من البرود . المريش البرد الموشي على أشكال الريش . المرجل (بتشديد الجيم وفتحها) الذي فيه صور الرجال . والتارك معطوف على (الواهب) . القرن النظير والكفء في الشجاعة . الكمي المتكمي بالسلاح أي المتغطي به . مجدلا ومنجدلا مصروعا . رعش الأنامل من الخوف .

١٣ — ويقود الجياد الضامرة وقد تحلبت أفخاذها بالعرق .

١٤ — ليس الأسد أبو الأشبال ، فى جبينه المورّد ، وشِدقيه الواسعين ، ووجهه العابس .

١٥ — وقد لزم (القادسيّة) بين الأودية الملتفة الأشجار .

١٦ — يستخف بآحاد الرجال ، ولا يهاجم إلّا الكثيف من جموع الرجال ،

١٧ — بأكثر منه حماسة فى القتال ، حين يهاجم من ينازله من الأبطال .

١٨ — طالت إقامتى فى (تَرِيم) ، بعيداً عن أهلى وقومى (بَكْر بن وائل) .

١٩ — قومى (بنو البَرْشَاء) (ثعلبة بن بَكْر) ، زَيْنُ المجالس والمحافل .

(٧١)

هذه أبيات فى مدح قيس بن معديكرب ، ممدوح الأعشى المفضل ، يبدو أنه قد ارتجلها ارتجالا فى بعض المناسبات بين يدى قيس . وقد مدح الأعشى قيسا فى قصائد كثيرة ، وهى (٢) ، (٣) ، (٤) ، (٥) ، (٦٨) ، (٧٦) ، (٧٨) .

يقول الأعشى :

١ — قالت (سُمَيَّة) إذ لاح لها البرق من فوق الجبال .

٢ — ياحبذا وادى (النُّجَيْر) ، وحبذا (قيس) رجل الخير والأفضال .

٣ — القائد الخيل الجياد الضوامر ، تمضى فى عَدْوِها كالسهام .

٤ — والمتعفف عن الكسب الخبيث إذا تهيأ للقتال .

١٣ــ وَالقَائِدُ الخَيْــلَ العِتَا قَ ضَوَامِرًا لُحُنَ الأَيَاطِلْ
١٤ــ مَا مُشْبِلٌ وَرْدُ الجَبِيـ نِ مُهْرِتُ الشِّدْقَيْنِ بَاسِلْ
١٥ــ القَـادِسِيَّةُ مَأْلَفٌ مِنْهُ فَأَوْدِيَةُ الغَيَاطِلْ
١٦ــ يَدَعُ الوِحَادَ مِنَ الرِّجَا لِ وَيَعْتَمِي جَمْعَ المَحَافِلْ
١٧ــ يَوْمًا بِأَصْدَقَ خَـلَّةً مِنْهُ عَلَى البَطَلِ المُنَازِلْ
١٨ــ طَالَ الثَّوَاءُ لَدَى تَرِيـ مَ وَقَدْ نَأَتْ بَكْرُ بْنُ وَائِلْ
١٩ــ قَوْمِي بَنُو البَرْشَاءِ ثَعْـ لَبَةُ المَجَالِسِ وَالمَحَافِلْ

(٧١)

وقال يمدح قَيْسَ بْنَ مَعْدِيكَرِب :

١ ــ قَالَتْ سُمَيَّـــةُ إِذْ رَأَتْ بَرْقًا يَلُوحُ عَلَى الجِبَالِ (كامل مجزوء)
٢ ــ يَا حَبَّذَا وَادِي النُّجَيْـ رِ وَحَبَّذَا قَيْسُ الفَعَالِ
٣ ــ القَائِدُ الخَيْلَ الجِيَا دَ ضَوَامِرًا مِثْلَ المَغَالِي
٤ ــ التَّارِكُ الكَسْبَ الخَبِيـ ثَ إِذَا تَهَيَّأَ لِلقِتَالِ

(١٣ ــ ١٠) العتاق جمع عتيق ، وهو الكريم من الخيل . الأطل (بكسر الهمزة) والأيطل (بفتح الهمزة) الخاصرة . لحن جمع ألحن ، واللحن (بالتحريك) تتن الريح تحت الابطين من العرق . مبل أسد أبو شبال . ورد أحمر ضارب الصفرة . مهرت الشدقين واسعهما . باسل كريه الوجه . القادسية قرية قرب الكوفة . مألف اسم مكان من ألف المكان إذا تعوده وأنس به . الغياطل جمع غيطل (على وزن جعفر) ، والغيطل والغيطلة الأجمة والشجر الكثيف الملتف .
(١٦ ــ ١٩) اعتام الشيء اعتياما واعتامه اعتماه اختاره وقصده . المحافل جمع محفل وهو مجتمع القوم . أي أنه يترفع عن مهاجمة الأفراد ولا يهاجم إلا الجماعات . بأصدق خبر مالى البيت (١٤) . خلة خلة كرم وهجوم . المنازل الذى يجالده فى القتال . الثواء المكث والاقامة . تريم من حصون حضرموت . نأت بعدت . بكر بن وائل قبيلة الأعشى . البرشاء لقب أم ذهل وشيبان وتيس بن ثعلبة ؛ لقبت بذلك لبرش أصابها ، والبرش والبرص واحد . ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر هو الجد الأعلى لقوم الشاعر .

(٧١)

(٢ ــ ٤) النجير حصن فى حضرموت لبنى معد يكرب . الفعال (بفتح الفاء) اسم الفعل الحسن والخير . المغالى جمع مغلاة (بكسر فسكون) وهو السهم الذى يغلى به ، وغلا الرامى بالسهم (كنصر) رمى به أقصى الغاية . الكسب الخبيث أى الحرام والقبيح الذى يلزم صاحبه العار كالرشوة .

-٧٣-

معظم أبيات هذه القصيدة صورة مكررة من القصيدة (٦٠) . وقد مضى تعليقنا عليها ، فليراجع فى موضعه .

يقول الأعشى :

١ ــ أتهجرك (ريّا) أم يدوم لك وصلها ؟ . . بل القطيعة والهجر ، فقد هيأت جمالها فى الليل للرحيل .

٢ ــ كأن هوادج صاحبتى (المالكية) فى ألوانها الزاهية فى الصباح المبكر روضةٌ يجرى خلالها الماء فيبعث الخصب ويشيع البهاء .

٣ ــ ليست ظبية قد برز قرنها ولمّا يكد ، تنشُد طفلها الضائع فى جنبات وادى (تَثْليث) ،

٤ ــ بأجمل منها يوم قامت بين أترابها الناعمات ، فأنكرن حالها وقد لوّحها الحزن للفراق

٥ ــ فيم الخصام يا أخوينا من (عِبَاد) و (مالك) ؟ ألم تعلما أن كل ما على الأرض للفناء والزوال ؟

٦ ــ وأننا أخوكم ، وأننا حين تعرض لكم الكتيبة الضخمة ، يبرق فوق رجالها الحديد ، وتثير فى نفوسكم القلق .

٧ ــ نقيم لها سوق الحرب غير هيابين ، ونسرع إليها بسيوفنا ، حتى يتولى لواؤها مهزوماً مدحوراً .

٨ ــ كم من ملمة دفعناها عنكم ، وكم من كربة تورد صاحبها الهلاك ، وقد فككنا عنكم قيودها .

٩ ــ وكم من أرملة تسعى بأطفالها ، وقد تلبدت شعورهم واغبرت ، كأنها نعامة تسوق فراخها ،

١٠ ــ آويناها ثم لم نمنن عليها فضلنا ، فأضحت رخية البال ، وقد أزحنا عنها الكرب والهزال .

١١ ــ ومع كل هذا الإحسان ، فلكم فينا كلَّ عام قتيل أو أسير ، فبيضة تفقؤونها ، وأخرى من ورائها تتركونها وحيداً قد ذهبت عنها أختها .

وقال فيما كان بينه وبين بَني عِبادٍ ومالكٍ ابْنَيْ ضُبيعة :

١ — أتَصْرِمُ رَيّا أمْ تُديمُ وِصالَها   بَل الصَّرْمُ إذْ زَمَّتْ بِلَيْلٍ جِمالَها   (طويل)

٢ — كأنّ حُدُوجَ المالكيّةِ غُدْوَةً   نَواعِمُ يَجْرِي الماءُ رِفّا خِلالَها

٣ — وما أمُّ خِشْفٍ جابَةُ القَرْنِ فاقِدٌ   على جانِبَيْ تَثْلِيثَ تَبْغِي غَزالَها

٤ — بأحْسَنَ مِنْها يَوْمَ قامَ نَواعِمٌ   فأنْكَرْنَ لمّا واجَهْنَهُنّ حالَها

٥ — فيا أخَوَيْنا مِنْ أبِينا وأمِّنا   ألَمْ تَعْلَما أنْ كُلُّ مَنْ فَوْقَها لَها

٦ — فتَسْتَيْقِنا أنّا أخوكُمْ وأنّنا   إذا نُتِجَتْ شَهْباءُ تَخْشَوْنَ فالَها

٧ — نُقيمُ لها سُوقَ الضِّرابِ ونَعْتَصِي   بأسْيافِنا حتّى نُوَجِّهَ خالَها

٨ — وكائِنْ دَفَعْنا عَنْكُمُ مِنْ عَظِيمَةٍ   وكُرْبَةِ مَوْتٍ قَدْ بَتَتْنا عِقالَها

٩ — وأرْمَلَةٍ تَسْعَى بِشُعْثٍ كأنّها   وإيّاهُمُ رَبْداءُ حَثَّتْ رِئالَها

١٠ — هَنَأْنا ولَمْ نَمْنُنْ عَلَيْها فأصْبَحَتْ   رَخِيّةَ بالٍ قَدْ أزَحْنا هُزالَها

١١ — وفي كُلِّ عامٍ بَيْضَةٌ تَفْقَهُونَها   فَتَعْنَى وتَبْقَى بَيْضَةٌ لا أخا لَها

(١ — ٢) أصرم أي هل تهجرك. صرم الحبل صرما قطعه. زم البعير خطمه. والخطام حبل عريض يوضع فوق الأنف ويشد إلى الرسن (بالتحريك)؛ وهو الحبل الذي يقاد به البعير. الحدوج جمع حدج (بكسر فسكون) وهو مركب للنساء كالهودج. المالكية نسبة إلى مالك، وهي قبيلة، والمسمون بمالك كثير. غدوة في الصباح المبكر. نواعم جمع ناعمة وهي الروضة. رف يرف رفا (بكسر الراء وفتحها) لان وأخصب. شبه الحدوج بالروضة في ألوانها الزاهية.

(٣ — ٤) الخشف ولد الظبية أول ما يولد. جاب قرن الظبي (بغير همز) ظهر ونتأ. جابة القرن الظبية أول ما يظهر قرنها. أما الجأب (بالهمز) فهو الغليظ. وبعضهم يهمز الجاب بمعنى الناتئ، لأن القرن أول ما يبدو يكون غليظا ثم يدق. فاقد فقدت ولدها. تثليث موضع. تبغي غزالها تنشده وتبحث عنه. نواعم أي نساء نواعم مترفات. أنكرن حالها لم يعرفنها لشدة تغيرها من الحزن والهزال.

(٥ — ٦) كل من فوقها أي فوق الأرض. لها أي يعود إليها حين يموت. نتجت (على البناء للمجهول) ولدت. نتجت الناقة ولدا (على البناء للمعلوم) ولدته. الأشهب الأبيض. كتيبة شهباء لما عليها من الحديد وبياض السلاح. تخشون فالها أي شرورها وما تتوقعون منها. والأصل في الفأل أنه ما يستبشر به الرجل إذا أقدم على حاجته، ثم استعمل في الشر بمعنى التشاؤم.

(٧ — ٨) الضراب القتال من ضارب ضرابا ومضاربة. تعتصي بأسيافنا تتخذها كالعصي. الخال لواء الجيش. توجهه تسوقه. كائن دفعنا أي كم من مرة دفعنا. عظيمة أي كربة أو مصيبة عظيمة. كربة موت أي تبلغ بصاحبها الموت. بتتنا قطعنا. العقال حبل يربط به البعير حين يبرك حتى لا يتحرك ولا يشرد.

(٩ — ١١) شعث أي أطفال صغار قد تشعث شعرهم وتلبد. ربداء نعامة ربداء في لون الرماد. حثت ساقت. رئالها صغارها. هنأناها أطعمناها وأحسنا إليها. المن التعيير بالنعمة. تفقهونها مثل تفقؤونها أي تكسرونها. تعنى تعلق في الأسر. عنى (كعلم) نشب في الإسار. ولا معنى لها هنا والأنسب رواية البيت كما هو في القصيدة (٦٠) فتؤذى. وربما كانت مصحفة عن (فتفنى) من الفناء وهو الموت.

هذه القصيدة صورة مما كان يقع من خلاف بين بطون (قيس بن ثعلبة) . فالأعشى يهاجم فيها (جهنام) ، شاعر (بنى عبدان) . وقد مضت للأعشى فى بنى عبدان القصيدتان (١٤) ، (٢٨) . ومضى له فى هجاء جهنام القصيدة (١٥) . وقد اختلفوا فى اسم جهنام ونسبه . فقال الآمدى: هو عمرو بن قطن بن المنذر بن عبدان بن حذافة بن حبيب بن ثعلبة بن سعد بن قيس بن ثعلبة (١) . وقال المرزبانى إن اسمه عمرو بن عبد الله ابن المنذر (٢) . وقال الأصفهانى إن اسمه عمرو ولم ينسبه . (٣) أما ثعلب فلم يذكر اسمه ولم ينسبه ، ولكنه أشار إلى رجل آخر اسمه عمير بن عبد الله بن المنذر بن عبدان (وذكر بقية النسب مطابقا لما فى المؤتلف) وقال إنه هو الذى جمع بين الأعشى وبين جهنام ليهاجيه . (٤)

يقول الأعشى :

(١—٢) أتانى ما يقول لى ابن الأمة البظراء . فمنذكم أصبحتْ أعراض قيس - يا ابن الجبان الفرّار - مباحةً لرجل من (عبْدان) ، هو ابن عاهرة ، مختلط النسب ، مضطرب الأصل ، مغمور من كل نواحيه ؟

(٤ — ٥) لقد أعلنَتْ بنو عبدان الفراق ، وأسفرت عن الخلاف والعداء . فما تمنوا ولا اجنوا من شتمى وسبّى خيرا . إليكم عنى ، قبل أن أبعث بالشعر فى كل مكان ، فيتسامع بهجائكم الناس ، إذ تسرى قصائدى فيكم إلى نجد مع الرياح .

(٦ — ٧) ما ظنكم بى ؟ أظننتم شتمى تمرًا بزُبْد ؟ أم ظننتموه عسلا ممزوجا بالخمر ؟ إنما هو ماء (العلْقم) المرير ، و (السَّلْع) القاتل ، قد مزج بخلاصة (الذُّبَاح) السام المميت .

٨ — لقد كانت أمك أحق منا بالهجاء يا جهنام ، لما جنت عليك من الفضيحة والعار .

(٩ — ١٠) أما نحن فمكانتا واضح معروف . إنا لنحمى إبل الحى حين تثور ، وحين يتبختر فرسان الكتيبة متمايلين قبل القتال ، حتى نحتازها فلا تصل إليها يد المغير ، حين تتعثر جياد الخيل فى الرماح .

(١١ — ١٣) وإنا لنحتفى بمن ينزل بنا حين يشتد الجدب ، وتضن النوق الغزيرة الدرّ بالألبان . وإنا لنفرج كل

---

(١) المؤتلف والمختلف ص ٢٠٣ (٢) الموشح ص ٥٠ (٣) الأغانى ج ٩ ص ١٠٨

(٤) ديباجة القصيدة (١٥) بالديوان ص ٩١ ط . أوربا .

وقال لجهنّام أحد بَنِى عبْدَان :

١ — أَتَانِى مَا يَقُولُ لِىَ ٱبْنُ بُظْرَى … أَقَيْسٌ يَا ٱبْنَ ثَعْلَبَةَ الصَّبَاحِ (وافر)

٢ — لِعَبْدَانَ ٱبْنِ عَاهِرَةٍ وَخِلْطٍ … رَجُوفِ ٱلْأَصْلِ مَدْخُولِ النَّوَاحِى

٣ — تَغَنَّى سَا .... … ....

٤ — لَقَدْ سَفَرَتْ بَنُو عَبْدَانَ بَيْنَا … فَمَا شَكَرُوا بِلَأْمِى وَٱلْقِدَاحِ

٥ — إِلَيْكُمْ قَبْلَ تَجْهِيزِ ٱلْقَوَافِى … تَزُورُ ٱلْمُنْجِدِينَ مَعَ الرِّيَاحِ

٦ — فَمَا شَنْئِى بِسَنُّوتٍ بِزُبْدٍ … وَلَا عَسَلٍ تُصَفِّقُهُ بِرَاحِ

٧ — وَلٰكِنْ مَاءُ عَلْقَمَةٍ وَسَلْعٍ … يُخَاضُ عَلَيْهِ مِنْ عَلَقِ الذُّبَاحِ

٨ — لِأُمِّكَ بِٱلْهِجَاءِ أَحَقُّ مِنَّا … لِمَا أَبْلَتْكَ مِنْ شَوْطِ ٱلْفِضَاحِ

٩ — أَلَسْنَا ٱلْمَانِعِينَ إِذَا فَزِعْنَا … وَزَافَتْ فَيْلَقٌ قَبْلَ الصَّبَاحِ

١٠ — سَوَامَ ٱلْحَىِّ حَتَّى نَكْتَفِيهِ … وَجُودُ ٱلْخَيْلِ تَعْثُرُ فِى الرِّمَاحِ

١١ — أَلَسْنَا ٱلْمُقْتَفِينَ بِمَنْ أَتَانَا … إِذَا مَا حَارَدَتْ خُورُ ٱللِّقَاحِ

(١ — ٣) ابن بظرى أى ابن البظراء التى لم تختن كناية عن أنها أمة غير عربية . الصباح الغارة . ثعلبة الصباح أى الذى يجبن ويفر فى القتال كما يفر الثعلب . (يا ابن ثعلبة الصباح) جملة اعتراضية . أقيس مبتدأ ، خبره (لعبدان) و (ابن عاهرة ... إلخ) كلها صفات . أى أتباع أعراض قيس — ويعنى به قيس بن ثعلبة ، جدم الذى يجمع قوم الأعشى وقوم جهنام — فهذا الرجل من بنى عبدان . خلط مختلط النسب ليس بثابته . رجوف الأصل مضطربه . المدخول الذى دخله عيب فى حسبه .

(٤ — ٥) سفر (كنصر) خرج إلى السفر ، وسفر الشىء فرقه وسفر كذلك كشف عن وجهه . البين الفراق . لأمه لأما نسبه إلى اللؤم . قادحه قدالها ومقادحة شاتمة وتبادل معه السباب . شكرت الدابة (كفرح) سمنت وامتلأ ضرعها باللبن ، وشكرت الشجرة كثر ظلها ، أى أنهم لم يصيبوا خيرا من شتمى . إليكم أى تنحوا عنى وابعدوا (اسم فعل) . جهز المسافر هيأله أدواته ، شبه القوافى بالمسافر ، يقصد بالقوافى هجاءه الذى سيتناقله الناس . أنجد الرجل أتى نجدا ، والنجد المرتفع ، ونجد اسم للهضبة التى تتوسط جزيرة العرب .

(٦ — ٧) السنوت التمر . صفق الشراب حوله من إناء إلى إناء ليصفو . الراح الخمر . العلقم شجر الحنظل ، والقطعة منه علقمة ، وكل مر فهو علقم . والعلقم أشد الماء مرارة ، وذلك إذا تغير وخثر . السلع نبات مر سام . خاض الشراب خلطه . العلق الدم ، والعلق ما تتعلق به الماشية من الشجر . والعلق (بضم ثم فتح) الداهية ، والعلق (بضمتين) المنايا . الذباح نبت سام يقتل آكله .

(٨ — ١٠) الفضاح الفضيحة والعار . الشوط الغاية ، والجرى إلى الغاية مرة ، أوهو (سوط الفضاح) بالسين المهملة ، وهو مصدر ساطه يسوطه إذا ضربه بالسوط . والسوط كذلك النصيب والشدة . أبله أعطاه إبلا . ولم تعطه أمه إبلا ولكنها أعطته الفضيحة . فزع (كمنع) هب . زافت تبخترت وتمايلت . الفيلق الجيش . الصباح الغارة . السوام الإبل السائمة أى الراعية ، وهى مفعول (المانعين) فى البيت السابق ، أى الذين نحمى إبل الحى . نكتفيها نردها ونحازها فلا تصل إليها يد المغير . اكتفأ الاناء أماله وقلبه ، واكتفأ الابل أغار عليها فذهب بها . جود جمع جواد ، وهو السريع العتيق .

(١١ — ١٣) اقتفى به احتفى به وأكرمه . حاردت انقطع لبنها . خور جمع خوارة وهى الناقة الغزيرة اللبن . اللقاح الابل ، واحدتها لقوح .

كرب حين يستحكم ويضيق، حتى ما يستطيع شارب الماء الصافى أن يسيغه. وإنا لأكرم إن بُحِث عن الأنساب، وأشجع حين يُضْرَب بسيوف الهند العِراض.

(٧٦)

مضى للأعشى فى مدح قيس بن معد يكرب خمس قصائد وهى (٢)، (٣)، (٤)، (٥)، (٦٨).

وقد ترجمنا للممدوح فى القصيدة الأولى. وبقى للأعشى فيه قصيدة واحدة رقم (٦٨). وليست هذه القصيدة الأخيرة فى الواقع مدحا، فهى فى معظمها غزل وخمر، لم يعرض فيها لقيس إلا فى الأبيات الأربعة الأخيرة. وقد أشرنا فى القصيدة (٧٠) إلى ما بينها وبين هذه القصيدة من تشابه لا يستبعد معه أن يكون الرواة قد خلطوا بينهما. والواقع أن هذه القصيدة — كما هى مثبتة فى الديوان — ليست مدحا بالمعنى الصحيح. فالشاعر لا يكاد يشير فيها إلى قيس إلا فى ثلاثة أبيات (٢ — ٤). ولكن الأعشى قد نظمها فيما يبدو وهو فى ضيافة قيس، فى بعض أسفاره إليه. وهو يتحدث فى سائر القصيدة عن نفسه وعن قومه.

يقول الأعشى:

١ — هل أنت راحل صباح غد أيها الرجل الشجاع؟

٢ — إنا لدى ملك بـ(شَبْوَة) لا تفتر عنا صلاته ولا تنقطع.

٣ — تسيل كفاه بالعطاء، كأنه البدر إشراقاً وهيبة. إن قال تمّ على قوله وأمضاه.

٤ — يهب المائة من النوق الغزيرة اللبن، بين حائل لم تحمل، ووَلُود يتبعها ولدها.

وينتقل من ذلك إلى الحديث عن نفسه وعن قومه وعن ذكريات لهوه فيقول:

٥ — كم شربت الخمر، ترقص من حولنا الجوارى البيض من تركيّة وكابليّة

٦ — حمراء كدم الذبيح مما حُمِل من بلاد بعيدة، وعُتّق فى (بابل)

٧ — بادرتُ إليها فى الصباح، حولى الأشراف من قومى (بكر بن وائل)

١٢- أَلَسْنَا ٱلْفَارِجِينَ لِكُلِّ كَرْبٍ ... إِذَا مَا غَصَّ بِٱلْمَاءِ ٱلْقَرَاحِ

١٣- أَلَسْنَا نَحْنُ أَكْرَمَ إِنْ نُسِبْنَا ... وَأَضْرَبَ بِٱلْمُهَنَّدَةِ الصِّفَاحِ

وقال :

(٧٤)

١ - رِبَاحًا لَا أُهُنْهُ إِنْ تَمَشَّى ... مَعَارِفَ مِنْ شِمَالِي فِي رِبَاحِ (وافر)

٢ - كَأَنَّ أَكُفَّهُمْ .... تَاحِ

وقال :

(٧٥)

١ - أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْعِزَّ أَلْقَى بِرَحْلِهِ ... إِلَى ٱلْغُرِّ مِنْ أَوْلَادِ بَكْرِ بْنِ عَامِرِ (طويل)

وقال يمدح قَيْسَ بْنَ مَعْدِيكَرِب :

(٧٦)

١ - هَلْ أَنْتَ يَا مِصْلَاتُ مُبْـ ... ـتَكِرٌ غَدَاةَ غَدٍ فَرَاحِلْ (كامل مجزوء)

٢ - إِنَّا لَدَى مَلِكٍ بِشَبْـ ... ـوَةَ مَا تَغِبُّ لَهُ ٱلنَّوَافِلْ

٣ - مُتَحَلِّبِ ٱلْكَفَّيْنِ مِثْـ ... ـلِ ٱلْبَدْرِ قَوَّالٍ وَفَاعِلْ

٤ - ٱلْوَاهِبِ ٱلْمِائَةَ الصَّفَا ... يَا بَيْنَ تَالِيَةٍ وَحَائِلْ

٥ - وَلَقَدْ شَرِبْتُ ٱلْخَمْرَ تَرْ ... كُضُ حَوْلَنَا تُرْكٌ وَكَابِلْ

٦ - كَدَمِ ٱلذَّبِيحِ غَرِيبَةً ... مِمَّا يُعَتِّقُ أَهْلُ بَابِلْ

٧ - بَاكَرْتُهَا حَوْلِي ذَوُو آلْـ ... آكَالِ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلْ

غص بالطعام شرق واعترض في حلقه فمنعه من التنفس . القراح الصافي . غص بالماء القراح كناية عن الشدة . المهندة السيوف ، نسبة للهند . الصفاح جمع صفيح وهو العريض .

(٧٦)

(١ - ٣) المصلات والمصلت (بفتح فسكون) الرجل الشجاع الماضي . ابتكر خرج بكرة في أول الصباح . راحل (كالمتنح) تنحى وبعد . شبوة حصن بين بيحان وحضرموت . لاتغب أي لاتتأخر ولا تنقطع . النوافل الهبات . تحلب سال وجرى .

(٤ - ٥) الصفايا جمع صفية وهي الناقة الغزيرة اللبن . التالية التي يتبعها ولدها ، والتلو (بكسر فسكون) ولد الناقة يفطم فيتلوها أي يتبعها . الحائل التي لم تحمل . الترك أو التركستان جيل من الناس كانوا يسكنون في حوض نهر سيحون وجيحون شمال فارس كابل بلد في أطراف فارس الشرقية مما يلي الهند ، كان يسكنها قوم من الترك . الركض في الأصل تحريك الرجل ، ويقصد به هنا الرقص .

(٦ - ٧) غريبة منقولة من موطنها . بابل مملكة قديمة ذات حضارة عظيمة ، وهي كذلك اسم مدينة من مدنها العظيمة كانت في نواحي الكوفة ، والعرب ينسبون إليها الخمر والسحر . باكرتها بادرت إليها في الصباح . ذوو الآكال ، سادة الأحياء الذين يأخذون المرباع من الغنائم ونحوه . والآكال كذلك قطائع كانت الملوك تطعمها الأشراف ، كالقرى ونحوها ، والمفرد أكل (بضم فسكون) . بكر بن وائل جد قبيلة الأعشى .

٨ ــ أهل الخيام الضخمة الحمراء وقطعان الإبل والخيل .

٩ ــ كم فيهم من فرس طويلة الظهر ، ومن جواد مرتفع القوائم عظيم الجوف .

١٠ــ يعدو سابحاً بجسمه الضخم وقوائمه المتينة ، حين يجرى به القائم على خدمته ليُضَمِّره فى الأصيل .

١١ــ يركبون الجياد الجُرْد السراع ، عليها سُرُج من جلود .

١٢ــ قد اغبرّ شعرها وانتفش ، حين تعدو كالنعام المذعور ، وكأنها تسابق رماح راكبها .

١٣ــ وتخرج من خلال الغبار عابسة ضامرة الخصور .

١٤ــ كم قد غادرت فى المعارك من صرعى بين محطَّم وهارب .

١٥ــ ....

١٦ــ تمايل ناقتى حين تعدو مسرعة ، وقد رميتُ بها فى الليل ، ميممة أندية القوم ومحافلهم .

١٧ــ وكأنها وقد أجهدتها الرحلة حمار مُعَضَّض من حُمُر (عاقل) .

١٨ــ أقام فى الربيع يرعى ما أنبت المطر الغزير من كلأ وأعشاب .

ويختم القصيدة بالفخر بنفسه قائلا :

٨ — أَهْلُ ٱلْقِبَابِ ٱلْحُمْرِ وَالـ   نَعَمِ ٱلْمُؤَبَّلِ وَٱلْقَنَابِلْ

٩ — كَمْ فِيهِمُ مِنْ شَطْبَةٍ   وَمُقَلِّصٍ نَهْدِ ٱلْمَرَاكِلْ

١٠— ضَخْمِ ٱلْجُــزَارَةِ سَابِحٍ   عَبْلٍ يُضَمَّرُ بِٱلْأَصَائِلْ

١١— وَهُمُ عَلَى جُرْدٍ مَغَــا   وِيرٍ عَلَيْهِنَّ الرَّحَائِلْ

١٢— شُعْثٍ يُبَارِينَ ٱلْأَسِنْـ   ـةَ كَالنَّعَــامَاتِ ٱلْجَوَافِلْ

١٣— يَخْرُجْنَ مِنْ خَلَلِ ٱلْغُبَا   رِ عَوَابِسًا لُحُقَ ٱلْأَيَاطِلْ

١٤— كَمْ قَدْ تَرَكْنَ مُجَــدَّلًا   مِنْ بَيْنِ مُنْقَصِفٍ وَجَافِلْ

١٥— هَلْ بَعْدَ ....

١٦— زَيَّافَةٌ أَرْمِي بِهَــا   بِاللَّيْلِ مُعْرَضَةَ ٱلْمَحَافِلْ

١٧— وَكَأَنَّهَــا بَعْدَ ٱلْكَلَا   لِ مُكَدَّمٌ مِنْ حُمْرِ عَاقِلْ

١٨— مُتَرَبِّعٌ مِنْهَا رِيَا   ضًا صَابَهَا وَدْقُ ٱلْهَوَاطِلْ

(٨ — ٩) القباب جمع قبة وهي الخيمة الضخمة . الحمر كناية عن السيادة ، والحمرة زى الأشراف والسادة . النعم الابل . مؤبل قد جعل قطيعا قطيعا . القنابل جمع قنبلة ، وهى الجماعة من الخيل . الشطبة الفرس السبطة اللحم . مقلص طويل القوائم . نهد المراكل واسع الجوف عظيمة ، والنهود البروز . والمراكل (بصيغة اسم المكان) حيث تصيب رجل الراكب من الدابة إذا ركلها واستحثها برجله .

(١٠—١١) الجزارة اليدان والرجلان ، سميت بذلك لأن الجزار كان يأخذها فهي جزارته أي أجرته على الجزر والذبح . سابح سريع . عبل ضخم . ضمر الخيل ربطها وأكثر ماءها وعلفها حتى تسمن ، ثم قلل ماءها وعلفها مدة وركضها في الميدان حتى تهزل وتضمر . ومدة التضمير عند العرب أربعون يوماً . الأصائل جمع أصيل ، وهو مابعد العصر إلى الغروب . جرد جمع أجرد وهو القصير الشعر . مغاوير جمع مغوار وهو السريع من الأفراس . الرحائل جمع رحالة (بكسر الراء) وهو السرج من جلود لاخشب فيه يتخذ للركض الشديد .

(١٢ — ١٣) شعث جمع أشعث وهو المغبر المنتفش الشعر . الأسنة الرماح . تباريها كأنها لسرعتها تريد أن تسبق الرمح الذى يحمله راكبها . الجوافل التى جفلت أى فزعت فمربت مسرعة . الأياطل جمع أيطل وهو الخاصرة . لحق الفرس (كعلم) ضمر .

(١٤ — ١٦) جدله وجندله صرعه . انقصف انكسر . وانقصف القوم عن الرجل تركوه وخذلوه . جافل هارب ، وجفله صرعه على الأرض . زاف البعير أسرع في تمايل . رمى المكان قصده . المحافل جمع محفل (كمجلس) وهو مجتمع القوم . (معرضة) الأرجح عندى أن تكون مصحفة . ولعلها مقرضة (بالقاف المعجمة وبصيغة اسم الفاعل) من أقرض الفرض أي أصابه . أو هي معرضة (بالعين المهملة وبصيغة اسم الفاعل) من قولهم : أعرض الرجل في المكارم إذا ذهب عرضاً وطولا ، وقولهم (طأ معرضاً) أى ضع رجلك حيث وقعت .

(١٧ — ١٨) الكلال التعب . مكدم معضض . حمر جمع حمار . عاقل موضع . وهناك سبعة مواضع بهذا الاسم . تربع المكان رعى مانبت فيه من عشب الربيع . الروضة المكان المنخفض الذى يجتمع فيه الماء فيزكو نبته . صاب المطر انصب ونزل . ودق المطر ودقا هطل . ديمة هطلاء عظيمة القطر . والجمع هواطل .

١٩ — رب جيش جرار ، يقوده ملك عظيم ، فينحطّ به مسرعاً .

٢٠ — غادرته مجدّلا فى قرارة الوادى ، تنهشه الضباع .

٢١ — يحاول أن يقوم فيتخاذل ، وقد نهلت من دمه السيوف والرماح .

(٧٧)

هذه إحدى قصائد الأعشى فى صاحبته (قتيلة) ، وهى تفيض بالشهوة النهمة . ويبدو من وصفه لها فى زيها وزينتها أنها ليست عربية . وقد تكون إحدى الجوارى من الراقصات أو المغنيات فى بيوت اللهو والخمر فى العراق أو فى الشام .

١ — يبدأ الأعشى قصيدته مستبشراً فرحا ، فقد استطاع أن يتنفس بعد ضيق ، وأن يتخلص من حب (قتيلة) ، ويفك عن قلبه قيود الذكرى التى كبلته بالأغلال .

ولكنه مع ذلك لا يزال يحن إليها ، ولا ينسى جسمها الطافح بالفتنة والإغراء .

(٢ — ٥) قدم بضة مسترسلة البنان ، وقامة معتدلة قد تم خلقها وحسن تناسقها ، وساقان ممتلئتان ، يترجرج ما عليهما من لحم حتى ينتهى إلى خلخالها الرنان ، إذا التمس صاحبها أردافها ظل يصعد يده فى ساقيها المديدتين الممتلئتين إلى هذا الكثيب البارز الذى يلقى على خلقها المكمّل ظلا من الحسن .

ولا تزال شهوات الشاعر العارمة تقود خياله فى تصوير صاحبته فى مختلف الأوضاع .

(٦ — ٩) فيتصورها وقد انبطحت بجسمها المديد على الأرض ، فجفا خصرها الدقيق عن الفراش ، وانحطت أردافها الضخمة الثقيلة وكأنها رأس القدح الخشبى الضخم . ويتصورها وقد امتطاها فارسها المتبذّل فيقول : يالها من مطية وياله من فارس . إذا خلت إلى نفسها متبذلة نامت بها أردافها التى

١٩ — بَلْ رُبَّ مَجْرٍ جَحْفَلٍ ... يَهْوِى بِهِ مَلِكٌ حُلاحِلْ

٢٠ — غَادَرْتُهُ مُتَجَدِّلًا ... بِالْقَاعِ تَنْهَسُهُ الْفَرَاعِلْ

٢١ — وَلَقَدْ يُحَاوِلُ أَنْ يَقُو ... مَ وَقَدْ مَضَتْ فِيهِ النَّوَاهِلْ

(٧٧)

وقال :

١ — صَحَا الْقَلْبُ مِنْ ذِكْرَى قُتَيْلَةَ بَعْدَمَا ... يَكُونُ لَهَا مِثْلَ الْأَسِيرِ الْمُكَبَّلِ (طويل)

٢ — لَهَا قَدَمٌ رَيَّا سِبَاطٌ بَنَانُهَا ... قَدِ اعْتَدَلَتْ فِي حُسْنِ خَلْقٍ مُبَتَّلِ

٣ — وَسَاقَانِ مَارَ اللَّحْمُ مَوْرًا عَلَيْهِمَا ... إِلَى مُنْتَهَى خَلْخَالِهَا الْمُتَصَلْصِلِ

٤ — إِذَا الْتُمِسَتْ أُرْبِيَّتَاهَا تَسَانَدَتْ ... لَهَا الْكَفُّ فِي رَابٍ مِنَ الْخَلْقِ مُفْضِلِ

٥ — إِلَى هَدَفٍ فِيهِ ارْتِفَاعٌ تَرَى لَهُ ... مِنَ الْحُسْنِ ظِلًّا فَوْقَ خَلْقٍ مُكَمَّلِ

٦ — إِذَا انْبَطَحَتْ جَافَى عَنِ الْأَرْضِ جَنْبُهَا ... وَخَوَّى بِهَا رَابٍ كَهَامَةِ جُنْبُلِ

٧ — إِذَا مَا عَلَاهَا فَارِسٌ مُتَبَذِّلٌ ... فَنِعْمَ فِرَاشُ الْفَارِسِ الْمُتَبَذِّلِ

٨ — يَنُوءُ بِهَا بُوصٌ إِذَا مَا تَفَضَّلَتْ ... تَوَعُّبَ عَرْضَ الشَّرْعَبِيِّ الْمُغَيَّلِ

(١٩ —) المجر والجحفل الجيش ، والثانية توكيد للأولى . يهوى يمضى مسرعاً . هوت العقاب انقضت ، وهوت الريح هبت . الحلاحل السيد الشجاع . جدله فتجدل صرعه فانصرع . القاع الأرض السهلة المطمئنة . النهس والنهش الأكل والأخذ بمقدم الأسنان . الفراعل جمع فرعل (مثل هدهد) وهو ولد الضبع . النواهل يقصد بها السيوف والرماح التى نهلت من دمه أى شربت .

(٧٧)

(١ — ٤) ريا بضة طرية ، مونث ريان . سباط جمع سبط أى طويل مسترسل . مبتل تام الخلق متناسق . مار ترجرج . المتصلصل الذى تسمع صلصلته ورنينه حين تمشى . الأربية أصل الفخذ . تساند إليه اعتمد عليه ، أو هو من قولهم سند فى الجبل أى صعد فيه . راب مرتفع بارز . مفضل من الفضل وهو الزيادة .

(٥ — ٦) الهدف كل مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو جبل ، يقصد به أردافها الضخمة البارزة . ترى ظلا على ما تحتها لبروزها ، وقد تكون مصحفة من (ظل) والظل (بفتح الظاء) الحسن المعجب ، تقول ما أظله وأحلاه ، ويوم ظل رطب طيب . انبطحت تمددت . جافى ارتفع عن الأرض . خوى مال وسقط . راب مرتفع . الجنبل القدح الضخم يتخذ من الخشب . هامته رأسه . يقول إن خصرها يجفو عن الأرض لدقته وينحط ردفها على الأرض لضخامته .

(٧ — ٨) متبذل يفعل ما يشاء وما يحلو له ، ولا يراقب الناس ولا يبالى بهم . يقصد بالفارس صاحبها ، أو هو يقصد نفسه فى الحقيقة . ينوء بها يثقلها . بوص ردف . تفضلت تبذلت ولبست الفضلة ، وهى الثياب التى تبتذل للنوم . توعبه واستوعبه استوفاه واستنفده . الشرعبى ضرب من البرود منسوب إلى شرعب وهو مخلاف باليمن . المغيل الواسع من الثياب .

تملأ قيصها الواسع الفضفاض . وإذا تردت فوق قيصها بالثياب تثنَّى رداؤها بارزاً كأن تحته كثيباً من الرمل الرَّجْراج يكاد ينهار .

(١٠ — ١١) تهتز قامتها المديدة اللدنة اهتزاز غصن البان ، حين تمشى وكأنها القطاة تدب فى الوادى إلى منهل الماء . ويبرز ثدياها الناهدان فوق صدرها مستديرين كالرمانتين . ويمتد جيدها الطويل وقد زانه الحلى كأنه جيد غزال . وتفترّ شفتاها عن ثغرها الوضّاء ، وكأنه نَوْر الأُقْحُوان ذو الأوراق الصغيرة المفلَّجة البيضاء .

(١٢ — ١٤) تتلألأ بشرتها النقية الملساء تلألؤ الفضة ، وتبدو عيناها الكحيلتان من غير اكتحال كعينى الغزال . ساكنتين ، صافيتين ، يزينهما حاجب مستو جميل ، ويسترسل من تحتهما خدّاها الأملسان اللذان يفيضان بالبِشْر .

(١٥ — ١٦) بطنها ملساء ، تتكسر بشرتها متثنية من أثر السمن ، وصدرها كلوح المرمر المسنون ، قد جوّده صانعه وبالغ فى صقله . يجول وشاحاها على جانبى خصرها النحيل حين تتثنى متخلعة فى حركة لا تستقر .

ويختم الأعشى هذا الوصف بقوله :

١٧ — أكمل الله خَلْقها فليس فوق جمالها جمال . وإن لى فيها لشِعراً مختاراً .

ويمضى متحدثاً عن تعلقه بها ، وعن قوة تأثيرها وبالغ فتنتها فيقول :

(١٨ — ٢٠) لقد علمت (قُتَيْلة) فى غيبتها أنى أحبها ، وأنى إنما أتكلف الصبر تكلفاً ، وأصطنع الوقار اصطناعاً . وما كنتُ أُتَّهم من قبل بالحب ، فقد خدعتنى بشبابها الفتَّان ، وذهبت بى كل مذهب . فلقد كنت مالكاً لأمرى ، إذا عزمتُ على أمر أمضيته لا أتراجع فيه ولا أبدّل قولا بقول .

(٢١ — ٢٤) تتثنى فى مشيها متهالكة حتى تذهب بعقول الرجال ، وتفتن الرزين الوقور بقوامها اللعوب المَيَّاس . إذا لبست قيصها المشقوق ، وألقته فى عنقها كاشفة عن ذراعيها ، تلوّح بهما فى ضوء الصباح الفاتر قبل أن ترتفع الشمس ، ولمع السوار فى معصمها حين تشير بكفها الرقيقة ، وقد استرسلت أناملها كأنها هُدّاب الحرير الأبيض للفتول ، رأيتَ الوقور الرزين من الرجال وقد بهت ، فعلق

٩ — وَرَوَادِفُهُ تَثْنِي الرِّدَاءَ تَسَانَدَتْ   إلى مِثْلِ دِعْصِ الرَّمْلَةِ الْمُتَهَيِّلِ

١٠ — نِيَافٌ كَغُصْنِ الْبَانِ تَرْتَجُّ إِنْ مَشَتْ   دَبِيبَ قَطَا الْبَطْحَاءِ فِي كُلِّ مَنْهَلِ

١١ — وَثَدْيَانِ كَالرُّمَّانَتَيْنِ وَجِيدُهَا   كَجِيدِ غَزَالٍ غَيْرَ أَنْ لَمْ يُعَطَّلِ

١٢ — وَتَضْحَكُ عَنْ غُرِّ الثَّنَايَا كَأَنَّهُ   ذُرَى أُقْحُوَانٍ نَبْتُهُ لَمْ يُفَلَّلِ

١٣ — تَلَأْلُؤُهَا مِثْلُ اللُّجَيْنِ كَأَنَّمَا   تَرَى مُقْلَتَيْ رِئْمٍ وَلَوْ لَمْ تَكَحَّلِ

١٤ — يَجُوزُنَ بِرِجَاوَيْنِ فِي حُسْنِ حَاجِبٍ   وَخَدٍّ أَسِيلٍ وَاضِحٍ مُتَهَلِّلِ

١٥ — لَهَا كَبِدٌ مَلْسَاءُ ذَاتُ أَسِرَّةٍ   وَنَحْرٌ كَفَاثُورِ الصَّرِيفِ الْمُمَثَّلِ

١٦ — يَجُولُ وِشَاحَاهَا عَلَى أَخْمَصَيْهِمَا   إِذَا انْفَتَلَتْ جَالًا عَلَيْهَا يُجَلْجِلُ

١٧ — فَقَدْ كَمُلَتْ حُسْنًا فَلَا شَيْءَ فَوْقَهَا   وَإِنِّي لَذُو قَوْلٍ بِهَا مُتَنَخَّلِ

١٨ — وَقَدْ عَلِمَتْ بِالْغَيْبِ أَنِّي أُحِبُّهَا   وَأَنِّي لِنَفْسِي مَالِكٌ فِي تَجَمُّلِ

١٩ — وَمَا كُنْتُ أَشْكَى قَبْلَ قَتْلَةَ بِالصِّبَى   وَقَدْ خَتَلَتْنِي بِالصِّبَى كُلُّ مَخْتَلِ

٢٠ — وَإِنِّي إِذَا مَا قُلْتُ قَوْلًا فَعَلْتُهُ   وَلَسْتُ بِمِخْلَافٍ لِقَوْلِي مُبَدِّلِ

٢١ — تَمَالَكُ حَتَّى تُبْطِرَ الْمَرْءَ عَقْلَهُ   وَتُصْبِي الْحَلِيمَ ذَا الْحِجَى بِالتَّقَتُّلِ

(٩ — ١٠) الروادف جمع رادفة وهي طرائق الشحم . الرداء ما يلبس فوق الثياب كالجبة والعباءة . تثنيه أي أنها تظهر منه بارزة ناتئة . تساندت اعتمدت . الدعص القطعة المستديرة المجتمعة من الرمل . المتهيل الذي ينهال ولا يتماسك . نياف طويلة ، ناف الشيء يتوف أشرف وارتفع . القطاة طائر في مثل حجم الحمام . البطحاء مسيل الماء من الوادي فيه حصى دقيق . المنهل مورد الماء .

(١١ — ١٢) لم يعطل لم يخل من الحلي . عطل المرأة (بالتشديد) نزع حليها . غر جمع أغر وهو الأبيض الوضاء . الثنايا الأسنان الأربع التي في مقدم الفم . الأقحوان نبات زهره أبيض وأوراقه صغيرة متقاربة . ذراه أعلاه ، يقصد زهره . لم يفلل لم يتكسر أي أنه ناضر لم تعبث به يد .

(١٣ — ١٥) تلألؤها بريقها ووضاءتها . اللجين الفضة . الرئم الظبي وعينه سوداء . تكحل أي تتكحل (حذفت التاء للتخفيف) . يجوزن ما كنتين فاترتين . برجاوين واسعتين صافيتين . أسيل أملس مسترسل . واضح صاف . متهلل وضاء يشرق بالبشر . كبدها وسطها . الأسرة الخطوط التي تكون في البطن من السمن . النحر أعلى الصدر . الفاثور الخوان من رخام أو فضة . الصريف الفضة . الممثل الجيد الصنعة . مثله (بالتشديد) صوره وصاغه .

(١٦ — ١٨) الوشاحان كرسان من اللؤلؤ وجوهر منظومان يخالف بينهما وتشده المرأة بين عاتقيها وكشحيها . أخمص البدن وسطه . انفتلت انثنت . وشاح جائل وجال يتحرك فوق لا يثبت لطولها ودقة خصرها وامتلاء صدرها . جالا أي جائلا ، حال من الوشاح . يجلجل يتحرك ، جلجل الشيء حركه بيده ؛ أو هو من جلجلة الجلجل وهو الجرس الصغير . وفي هذا البيت إقواء لأن القافية مكسورة في سائر القصيدة . متنخل مختار منتخب . تجمل صبر واصطنع الوقار .

(١٩ — ٢١) شكاه الرجل أوجعه وآلمه ، وأشكاه فعل به ما يحوجه للشكوى ، وهو يشكى بكذا (على البناء للمجهول) يتهم به . الصبي الشوق . ختله خدعه . الصبي (الثانية) الشباب . مختل مصدر ميمي من ختله أي خدعه . تمالكت المرأة في مشيها تمايلت . تمالك أي تتمالك . البطر هنا بمعنى الدهش والحيرة . عقله بدل من المرء . الحليم العاقل الرزين . تصبيه تفتنه . الحجى العقل . تقتلت المرأة في مشيها تقلبت وتثنت وتكسرت .

طرفه بها ساكناً لا يتحرك ، وطار قلبه حين استخفه جمالها الفتان ، حتى ما يبالى لوم اللائمين .

وينصرف الأعشى آخر الأمر عن صاحبته إلى الصحراء ، ملتمساً فى تيهها السلوى والعزاء فيقول :

(٢٥ — ٢٧) دع عنك ذكرها ، وسلّ همومك بناقة ضخمة جريئة على الأسفار ، تمضى مسترسلة فى سيرها وقد مدت عنقها مسرعة . كم طوّفتُ فوقها من بلاد ، وكم قطعت من طرق ، أجوب الأرض رحّالا . وكم من موضع مخيف قد نزلناه فكنا نعم القوم فى الحلّ والترحال .

ثم يتحول الشاعر إلى أبناء عمومته (بنى عِجْل بن لُجَيم) يذكّرهم بحسن صنيع قومه وما أسلفوا إليهم من إحسان مفاخراً فيقول :

(٢٨ — ٣٠) أبلغ (بنى عِجْل) - وهم قريبو القرابة ماجدو الأصل - بأنا قد أدينا عنهم ديات القتلى لأهلهم ألفاً من الإبل ، وأنا نعجّل لضيفنا القِرى مسرعين إليه بخمر المساء ، وأنا رددنا جيوش الفرس حين أغاروا علينا مدحورين ، وكسرنا فى صدورهم الرماح .

ويختم القصيدة بقوله :

(٣١ — ٣٢) فكيف يرجو سادتنا الفلاح إذا نحن لم نشارك فيما يحل بقومنا من نوائب وغرامات . فلقد اختبرتمونا ياقوم وجربتم سعينا فى مواطن الجد التى تكشف عن الرجال ، فلم يَضِع اختبار المختبر ؛ ولم يجدنا إلا أهل فضل على كل حال .

— ٧٧ —

٢٢— إذا لَبِسَتْ شِيذارةً ثُمَّ أبرقَتْ ... بمعصمِها والشمسُ لمّا ترجّلِ

٢٣— وألوتْ بكفٍّ في سوارٍ يزينها ... بنانٌ كهُدّابِ الدِّمقسِ المُفتَّلِ

٢٤— رأيتَ الكريمَ ذا الجلالةِ رانيًا ... وقد طارَ قلبُ المستخفِّ المُعذَّلِ

٢٥— فدعها وسلِّ الهمَّ عنكَ بجسرةٍ ... تزيَّدُ في فضلِ الزِّمامِ وتغتلي

٢٦— فأيّةُ أرضٍ لا أتيتُ سَراتَهـــا ... وأيّةُ أرضٍ لم أجُبْها بمَرحلِ

٢٧— ويومِ حِمـــامٍ قد نزلناهُ نزلةً ... فنِعمَ مُناخُ الضيفِ والمُتحوَّلِ

٢٨— فأبلغْ بني عِجلٍ رسولًا وأنتمُ ... ذوو نسبٍ دانٍ ومجـــدٍ مؤثَّلِ

٢٩— فنحنُ عقلنا الألفَ عنكم لأهلِهِ ... ونحنُ وردنا بالغَبوقِ المُعجَّلِ

٣٠— ونحنُ رددنا الفارسيّينَ عَنوةً ... ونحنُ كسرنا فيهمُ رُمحَ عبدلِ

٣١— فأيُّ فلاحِ الدهرِ يرجو سَراتُنا ... إذا نحنُ فيما نابَ لم نتفضَّـــلِ

٣٢— وأيُّ بلاءِ الصدقِ لاقد بلوتمُ ... فما فقدتْ كانت بليّةُ مبتَـــلي

(٢٢ — ٢٣) الشيذارة الإتب، وهو برد يشق ثم تلقيه المرأة في عنقها من غير كمين ولا جيب، وهو معرب عن الفارسية أصله هناك (شادريان). أبرقت بمعصمها كشفت عنه ولوحت به. ترجلت الشمس ارتفعت. ألوى بيده وبثوبه أشار. الهداب ما استرسل من أطراف النسيج. الدمقس الحرير الأبيض. المفتل المفتول.

(٢٤ — ٢٥) رنا أدام النظر في دهشة وقد غلبه الهوى. المستخف الذي استخفه الهوى فحمله على الخلاعة. المعذل الذي يكثر الناس من عذله أي لومه على ما يأتي من أفعال تتنافى مع الوقار. جسرة ناقة ضخمة جريئة على الأسفار. تزيد أي تتزيد. تزيدت الناقة مدت عنقها وسارت فوق العنق (بفتحتين) وهو المشي الفسيح. الزمام الحبل الذي تقاد به. فضل الزمام طرفه. تغتلي تسرع في سيرها.

(٢٦ — ٢٧) السراة الظهر، وسراة الطريق وسطه. المرحل (بكسر الميم) القوي من الجمال، ومرحل (بفتح الميم) مصدر ميمي من رحل. الحمام (بكسر الحاء) الموت. المناخ المكان الذي تناخ فيه الإبل أي تبرك. المتحول، يمكن قراءتها بفتح الواو على أنها مصدر ميمي من تحول، أي نعم الإناخة ونعم التحول. ولا يمنع من ذلك إلا أن القافية مكسورة. والمتحول من هذا الوجه واجبة الرفع.

(٢٨ — ٣٠) بنو عجل بن لجيم (بصيغة المصغر) بن بكر. دان قريب، لأنهم أبناء عمومته. مؤثل ثابت أصيل. عقل القتيل أدى ديته لأهله. الألف يقصد ألفًا من الإبل دفعوها دية لقتيل حقنًا للدماء. وردنا بالغبوق المعجل أي عجلنا لضيفنا بالخمر في المساء. والغبوق الخمر التي تشرب في المساء، وهي كذلك اللبن الذي يحلب بالعشي. رمح عبدل منسوب لعبد القيس.

(٣١ — ٣٢) سراتنا سادتنا. ناب نزل بالقوم من المصائب. تفضل أظهر الفضل. بلاه يبلوه بلاء وابتلاه اختبره وجربه. والبلاء والبلية الامتحان والاختبار، يكون في الخير والشر. كانت زائدة، يعني أنهم جربوهم في مواطن الصدق والفضل والجد، فلم يجدوهم المتحن في كل اختبار إلا فضلاء.

-٧٨-

هذه إحدى قصائد الأعشى التي فرغ فيها لنفسه يصور لهوه ومجونه . ومثل هذا الشعر قليل في الشعر الجاهلي جملة . فالشاعر الجاهلي جزء من قبيلته ، يفني نفسه فيها ، وينطق بلسانها ، وقلما يفرغ لتصوير عواطفه . وهو يتجه في غزله إلى صاحبة اسمها (هند) في البيت الثاني ، ولكنه يشير إلى أخرى اسمها (سلمى) في البيت (١٢) . والواقع أنه لا يقصد بحديثه امرأة معينة ، ولكنه يتحدث عن النساء جملة ، وعن ذكرياته معهن . ويختم الأعشى قصيدته بأبيات في مدح قيس بن معد يكرب . وقد مدحه في القصائد (٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦٨) .

يقول الأعشى :

(١ — ٣) خالط قلبي الهموم والأحزان ، وهاجته الذكرى بعد أن ظننت وظن الناس أنه قد سلا واطمأن . فهو مشغوف بهند ، هائم بحبها ، ينثنى عنها حيناً ، ويحن إليها في معظم الأحيان . مشغوف بهذه الفتاة اللعوب المعطرة الثياب ، البضة الأطراف ، وكأنها الظبي الباغم الخالص البياض .

(٤ — ٥) إذا قعدت برزت أردافها كأنها كثيب من رمال (عالج) ، وإذا وقفت راعتك بقامة طويلة كالحَبْل . يزينها وشاحان قد استرسلا على صدرها وعلى ظهرها المديد يتيهان بقطع الحلي .

(٦ — ٨) خلقت هند بلاء لقلبي ومحنة ، وكذلك تعترض المحن طريق الناس من غير أن يقصدوا إليها . التمستها في الخلوات فلم أرها ، لأن الحياء يمنعها أن تضع نفسها في موضع الشُبه والظنون. فأرسلت إليها أشرح حبي ، وأبين عذرى في استجابتي لسلطان فتنتها الذى لا يرد ، طالباً إليها أن تجيب بما تشاء.

(٩ — ١٠) ولما التقينا أسرعت إلى فمي الكلمات في اضطراب ، أقول لها تارة (جُعِلْتُ فداك) وأخرى (هنَأكِ الله) ، وأنا في اضطرابي مراقب لها ، أتلطف بها ، كما يفعل السائس بالخيل حين يروضها ويصقلها ، أخشى أن يبدر منى ما يغضبها أو ينفرْها .

(١١—١٢) كم جدتِ علينا بالوصل ، ثم لم تكدرى إنعامك بالمن . أنتِ ياسَلْمىَ شغل نفسى ، فارفقى بنفس لاهمّ لها غيرك ، ولا تعبئى بها فتتلفيها ، فالنفس لا تقدر بثمن .

ثم ينتقل الشاعر إلى تصوير ذكرياته في لون آخر من ألوان المتع التى تذوقها من خمر وغناء.

(١٣—١٧) في غرف عالية وظل ظليل ، وقد فُتّ المسك ونُثِرت الرياحين ، يُطاف علينا بخمر خُسْرُوَانِيَّة إذا ذاقها الشيخ الفانى ارتد إليه شبابه فمال متغنياً واهتز . وغنى المغنى على ألحان الطنابير الحسان ،

وقال :

١ — خَالَطَ ٱلْقَلْبَ هُمُومٌ وَحَزَنْ	وَادِّكَارٌ بَعْدَ مَا كَانَ ٱطْمَأَنْ	(رمل)
٢ — فَهْوَ مَشْغُوفٌ بِهِنْدٍ هَائِمٌ	يَرْعَوِي حِينًا وَأَحْيَانًا يَحِنْ	
٣ — بِلَعُوبٍ طَيِّبٍ أَرْدَانُهَا	رَخْصَةِ ٱلْأَطْرَافِ كَالرِّئْمِ ٱلْأَغَنْ	
٤ — وَهْيَ إِنْ تَقْعُدْ نَقًا مِنْ عَالِجٍ	وَإِذَا قَامَتْ نِيَافًا كَالشَّطَنْ	
٥ — يَنْتَهِي مِنْهَا ٱلْوِشَاحَانِ إِلَى	حُبْلَةٍ وَهْيَ بِمَتْنٍ كَالرَّسَنْ	
٦ — خُلِقَتْ هِنْدٌ لِقَلْبِي فِتْنَةً	هَكَذَا تَعْرِضُ لِلنَّاسِ ٱلْفِتَنْ	
٧ — لَا أَرَاهَا فِي خَلَاءٍ مَرَّةً	وَهْيَ فِي ذَاكَ حَيَاءً لَمْ تُزَنْ	
٨ — ثُمَّ أَرْسَلْتُ إِلَيْهَا أَنَّنِي	مُعْذِرٌ عُذْرِي فَرُدِّيهِ بِأَنْ	
٩ — وَبَدَرْتُ ٱلْقَوْلَ أَنْ حَيَّيْتُهَا	ثُمَّ أَنْشَأْتُ أُفَدِّي وَأُهَنْ	
١٠— وَأُرَجِّيهَا وَأَخْشَى ذُعْرَهَا	مِثْلَ مَا يُفْعَلُ بِٱلْقُودِ ٱلسُّنَنْ	
١١— رُبَّ يَوْمٍ قَدْ تَجُودِينَ لَنَا	بِعَطَايَا لَمْ تُكَدِّرْهَا ٱلْمِنَنْ	
١٢— أَنْتِ سَلْمَى هَمُّ نَفْسِي فَٱذْكُرِي	سَلْمُ لَا يُوجَدُ لِلنَّفْسِ ثَمَنْ	
١٣— وَعِلَالٍ وَظِلَالٍ بَارِدٍ	وَفَلِيجِ ٱلْمِسْكِ وَالشَّاهِسْفَرَنْ	

(١ — ٣) اذكار افتعال من الذكر أصلها اذتكار . اطمأن هدأ وسكن . الشغاف غشاء القلب ، والمشغوف الذي تمكن منه الحب غايته . الهائم المتحير والذي ذهب الحب بعقله . يرعوي يكف وينتهي . امرأة لعوب حسنة الدل ، والدل أن تظهر المرأة الجرأة في تغنج كأنها تخالف صاحبها وليس بها خلاف . أردان جمع ردن (بضم فسكون) فهو مقدم الكم . رخصة بضة طرية . الرئم الظبي الخالص البياض . الأغن الذي يخرج صوته من خياشيمه .

(٤ — ٦) النقا الكثيب . عالج موضع به رمل . امرأة نياف تامة الطول والحسن . الشطن الحبل . الوشاح نسيج عريض ينظم باللؤلؤ والجوهر وتشده المرأة بين عاتقها وكشحها ، فاذا لبست وشاحين خالفت بينهما ، فأحدهما من العاتق الأيمن إلى الكشح الأيسر ، والآخر من العاتق الأيسر إلى الكشح الأيمن . الحبلة ضرب من الحلي يجعل في القلائد . المتن الظهر . الرسن الحبل . يصف ظهرها بأنه مديد طويل ، فوشاحها إذن طويل ، وذلك يزيده بهاء . الفتنة البلاء والمحنة . تعرض لهم تعترض طريقهم وتصادفهم من غير أن يسعوا لها .

(٧ — ٩) مكان خلاء ليس فيه أحد . زنه وأزنه بغيره اتهمه به خيرا كان أو شرا . أعذر أبدى عذرا فهو معذر . رديه بأن يعني بأن تصابي ، والحذف هنا غاية في الجمال ، فهو يترك لها أن ترد بما تشاء وبما يحلو لها . بدره وبادر إليه أسرع وعاجله . فداه وافتداه قال له : جعلت فداك . أهن أي أهنىء ، وأقول : هناك الله أي سرك .

(١٠ — ١٣) رجي الشيء (بالتشديد) أمل به وارتقب خيرا . القود الخيل التي تقاد بمقاودها ولا تركب . السنن الموط ، أو هي مصدر سنه سنا إذا أحسن رعايته حتى حسنت بشرته فكأنها قد صقلت صقلا ، فك الادغام لالتقاء الساكنين عند الوقف . المنن جمع منة (بكسر الميم وتشديد النون) وهي التعيير بالاحسان . هم تنسى شغلها . العلال جمع علة (بضم العين وتشديد اللام المكسورة) وهي الغرفة المرتفعة . فليج أي مفتت . فلج الشيء شقه قسمين . الشاهسفرن نوع من الرياحين وهي في الفارسية بالمعنى الريحان السلطاني .

والصنج الرنان . فإذا فنى صوته وخفت ، انبعث الصنج يجيبه الونّ ، يمهدان للغناء من جديد .
فإذا أطاعت الألحان، خفت رنين الأوتار ، وانطلق المغنى بصوته الصداح .

(١٨ — ٢٢) إذا استنزفنا مافى الدن من خالص الخمر ، نادينا الخمار طالبين سواه . بين فتية ينفقون فى سخاء ، ويهينون المال للغناء واللذة وسماع الألحان . لايزال إبريقهم يسيل بالخمر ، تُمزج بالماء البارد من قربة خَلَقٍ رطيب . ويمضون فى الشراب منذ الصباح حتى تميل الشمس للمغيب ، وتميل رءوسهم من نشوة الخمر كالنائمين . فإذا غربت الشمس انطلقوا إلى الجوارى الناعمات ، القصيرات الخطى ، الدائمات المرح ، المُذهِبات الهم ، النافيات الأحزان .

ويمضى الأعشى فى التغنى بهذه الذكريات الناعمة ، مصوراً ما نال من الحظوة عندالملوك ، وما استمتع به من جليل عطاياهم ، ويخص قيساً من بين هؤلاء الملوك بالذكر ، فيقول :

(٢٣ — ٢٤) جاوزْ هذا الشعر إلى غيره ، مشيداً بذكر دهقان اليمن ، أبى الأشعث قيس ، الذى يبذل فى شراء الحمد غالىَ الأثمان .

(٢٥ — ٢٧) جئته ذات يوم فأدنى مجلسى ، وحبانى بفرس كريم يمضى حيث توجهه فلا ينثنى عن القصد ، وثمانين ناقة عِشاراً ضخاما قد رعت الأراك فى (بَريم) و (حَضَنْ) ، وغلام نشيط يقوم على خدمتها ، وناقة ضخمة مذلَّلَة للراكبين ، كأنها القصر المَشيد .

١٤— وَطِلَاءٍ خُسْرُوَانِيٍّ إِذَا ذَاقَهُ الشَّيْخُ تَغَنَّى وَارْجَحَنّْ
١٥— وَطَنَابِيرَ حِسَانٍ صَوْتُهَا عِنْدَ صَنْجٍ كُلَّمَا مُسَّ أَرَنّْ
١٦— وَإِذَا الْمُسْمِعُ أَفْنَى صَوْتَهُ عَزَفَ الصَّنْجُ فَنَادَى صَوْتَ وَنّْ
١٧— وَإِذَا مَا غُضَّ مِنْ صَوْتَيْهِمَا وَأَطَاعَ اللَّحْنُ غَنَّانَا مُغَنّْ
١٨— وَإِذَا الدَّنُّ شَرِبْنَا صَفْوَهُ أَمَرُوا عَمْرًا فَنَاجَوْهُ بِدَنّْ
١٩— بِمَتَالِيفَ أَهَانُوا مَالَهُمْ لِغِنَاءٍ وَلِلَعْبٍ وَأَذَنّْ
٢٠— فَتَرَى إِبْرِيقَهُمْ مُسْتَرْعِفًا بِشَمُولٍ صُفِّقَتْ مِنْ مَاءِ شَنّْ
٢١— غُدْوَةً حَتَّى يَمِيلُوا أُصُلًا مِثْلَ مَا مِيلَ بِأَصْحَابِ الْوَسَنْ
٢٢— ثُمَّ رَاحُوا مَغْرِبَ الشَّمْسِ إِلَى قُطُفِ الْمَشْيِ قَلِيلَاتِ الْحَزَنْ
٢٣— عَدِّ هٰذَا فِي قَرِيضٍ غَيْرِهِ وَاذْكُرَنْ فِي الشِّعْرِ دِهْقَانَ الْيَمَنْ
٢٤— بِأَبِي الْأَشْعَثِ قَيْسٍ إِنَّهُ يَشْتَرِي الْحَمْدَ بِمَنْفُوسِ الثَّمَنْ
٢٥— جِئْتُهُ يَوْمًا فَأَدْنَى مَجْلِسِي وَحَبَانِي بِلَجُوجٍ فِي السَّنَنْ
٢٦— وَثَمَانِينَ عِشَارٌ كُلُّهَا آرِكَاتٌ فِي بَرِيمٍ وَحَضَنْ
٢٧— وَغُلَامٍ قَائِمٍ ذِي عَدْوَةٍ وَذَلُولٍ جَسْرَةٍ مِثْلِ الْفَدَنْ

(١٤ — ١٦) الطلاء الخمر. خسرواني نسبة إلى خسروشاه. ارجحن مال واهتز. الطنبور آلة من آلات الطرب ذات عنق طويل وستة أوتار من نحاس (فارسي معرب). الصنج من آلات الطرب ذات الأوتار (فارسي) وهو غير الصنج الذي تعرفه العرب. رن وأرن علا صوته فكان له رنين. المسمع المغني. الون والصنج كالطنبور، من آلات الطرب (فارسي معرب).

(١٧ — ١٩) غض الصوت خفضه. الدن وعاء كبير للخمر من الفخار. صفو الشيء خالصه. عمرو اسم الساقي أو صاحب الحانوت. أذن سماع، فعله أذن (كعلم). متاليف جمع متلاف وهو المبذر الذي يتلف ماله ويفنيه. أهانوه بالإنفاق ولم يصونوه.

(٢٠ — ٢٢) مسترعفا سائلا، وأصله من الرعاف وهو الدم الذي يسيل من الأنف. الشمول الخمر الباردة التي تضربها ريح الشمال أي ضربتها فبردت. صفق الخمر روقها أو مزجها بالماء. الشن القربة الناعمة التي أخلقها الاستعمال فهي تبرد الماء إذا حفظ فيها. الغدوة من بعد الفجر إلى طلوع الشمس. الأصيل من بعد العصر إلى غروب الشمس. الوسن النوم. قطاف (كضرب) قصر خطوه وبطؤ. قطف المشي قصيرات الخطى، يعني النساء. يصف بيتا من بيوت الفسق.

(٢٣ — ٢٤) عد هذا دعه وتجاوزه إلى غيره من الحديث. الدهقان كلمة فارسية معناها التاجر أو القوي على التصرف وحده، ويعني بدهقان اليمن قيس بن معد يكرب. وهو لقب غريب لم يرد في غير هذا الموضع من مدائح الأعشى. أما تكنيته بأبي الأشعث فلم ترد إلا في هذه القصيدة وفي القصيدة (٦٨) في البيت (١٣). شيء منفوس ومنفوس فيه أي ثمين مرغوب فيه. منفوس الثمن غاليه.

(٢٥ — ٢٧) حباني أعطاني والحباء العطاء. لجوج صفة لفرس أو ناقة، وهو الذي يلج في الأمر أي يلازمه، ويواظبه ويأبى الانصراف عنه. السنن جمع سنة وهي الطريقة. ثمانين أي ثمانين ناقة. عشار جمع عشراء (بضم ثم فتح) وهي الناقة التي مضى لحملها عشرة أشهر. أركت الإبل (كنصر وضرب) رعت شجر الأراك فهي آركة، والجمع آركات. بريم وحضن موضعان. العدوة المرة من العدو وهو الجري. ناقة ذلول سهلة تنقاد لراكبها. جسرة جريئة على الأسفار وعلى اقتحام الصحراء. الفدن القصر.

-٧٩-

هذه القصيدة تشبه القصيدة السابقة ، يصور فيها الأعشى لهوه وذكريات شبابه ، ويختمها بأبيات فى مدح إياس بن قبيصة الطائى . وقد مدحه الأعشى قبل ذلك فى القصائد (٢١ ، ٢٩ ، ٣٦ ، ٥٥) .

(١ — ٢) يتحدث الأعشى عن صواحبه وقد هجرنه حين أسن وفارقه الشباب . أما (سعاد) فقد نأت وأمسى ودها متّهماً لا يوثق به ، وغادرته للشوق والأوجاع . وأما (سُعْدَى) فقد أجمعت عزمها على هجره وقطيعته ، حين رأت رأسه وقد اشتمله الشيب .

ويرجع الأعشى بخياله إلى أيام شبابه ، ليدفىء برد شيخوخته بالذكريات ، وليتصور جمالها وفتنتها فى مختلف حالاتها .

(٣ — ٨) ثغر مستو رطيب ، كأن مذاقه فى الليل ورائحته البلحُ الشِّهى . وجيد أملس مديد ، كأنه جيد الغزالة حين تمده لتتناول لطفلها من ثمار الأراك ما احلو لى وما طاب . وعينان حالمتان كأنهما عينا بقرة وحشية، أرقّها عواء الذئاب فى الليل، فحملقت فيما حولها تتتبع مصدر الصوت . وجسم ممتلىء مديد قد كساه الحسن . كأن أسفله كثيب من الرمال . وشعر لين غزير ، ترسله على متنيها ، فيفوح منه على الماشطة ريح المسك والطيب . وجسم ناعم بض ، دقيق الخصر ، ثقيل الوركين ، يترقرق بالشباب النضير، كأنما يجرى فيه ذَوْبُ الدُّر .

ويمضى الأعشى فى هذه الأحلام، ليتصور نفسه فى شبابه ، حين كان يهجم على الصحراء فى عزم فَتِىّ ، ويمضى فيها غير هياب.

(٩ — ١١) كم من صحراء بعيدة الآفاق ، مترامية الأطراف، مقفرة المسالك ،قد نهض لها بفحل أشهب ، ينطلق تحت راكبه ، فتموج رقبته الطويلة فى حركة لا تهدأ . قد ارتفعت أخشاب الرحل فوق جسمه الضخم، وكأنه برج متماسك البنيان قد علق فى أعلاه باب . وكأنى حين كسوت الرحل بالوسائد والحشايا قد وضعتها فوق ثور وحش ضخم نشيط .

وينسى الأعشى رحلته وناقته ، فيمضى مع هذا الثور الذى شبهها به ، ليصوره فيما قاسى من شدائد وأهوال ، استطاع بجلده وقوة احتماله أن يتخطاها ظافراً .

(١٢ — ١٤) ألجأه المطر والريح البارد إلى كثيب من الرمال ينصب عليه المطر متوالياً غزيراً . فلاذ إلى شجرة من

—٧٩—

وقال :

١ — بَانَتْ سُعَادُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا رَابَا ... وَأَحْدَثَ النَّأْيُ لِي شَوْقًا وَأَوْصَابَا (بسيط)

٢ — وَأَجْمَعَتْ صُرْمَنَا سُعْدَى وَهِجْرَتَنَا ... لَمَّا رَأَتْ أَنَّ رَأْسِي الْيَوْمَ قَدْ شَابَا

٣ — أَيَّامَ تَجْلُو لَنَا عَنْ بَارِدٍ رَتِلٍ ... تَخَالُ نَكْهَتَهُ بِاللَّيْلِ سُيَّابَا

٤ — وَجِيدِ مُغْزِلَةٍ تَقْرُو نَوَاجِذُهَا ... مِنْ يَانِعِ الْمَرْدِ مَا احْلَوْلَى وَمَا طَابَا

٥ — وَعَيْنِ وَحْشِيَّةٍ أَغْفَتْ فَأَرَّقَهَا ... صَوْتُ الذِّئَابِ فَأَوْفَتْ نَحْوَهُ دَابَا

٦ — هِرْكَوْلَةٌ مِثْلُ دِعْصِ الرَّمْلِ أَسْفَلُهَا ... مَكْسُوَّةٌ مِنْ جَمَالِ الْحُسْنِ جِلْبَابَا

٧ — تُمِيلُ جَثْلًا عَلَى الْمَتْنَيْنِ ذَا خُصَلٍ ... يَحْبُو مَوَاشِطَهُ مِسْكًا وَتَطْيَابَا

٨ — رُعْبُوبَةٌ فُنُقٌ خُمْصَانَةٌ رَدَحٌ ... قَدْ أُشْرِبَتْ مِثْلَ مَاءِ الدُّرِّ إِشْرَابَا

٩ — وَمَهْمَهٍ نَازِحٍ قَفْرٍ مَسَارِبُهُ ... كَلَّفْتُ أَعْيَسَ تَحْتَ الرَّحْلِ نَعَّابَا

١٠ — يَبْنِي الْقُتُودَ بِمِثْلِ الْبُرْجِ مُتَّصِلًا ... مُؤَيَّدًا قَدْ أَنَافُوا فَوْقَهُ بَابَا

١١ — كَأَنَّ كُورِي وَمِيسَادِي وَمِيثَرَتِي ... كَسَوْتُهَا أَسْفَعَ الْخَدَّيْنِ عَبْعَابَا

١٢ — أَلْجَاهُ قَطْرٌ وَشَفَّانٌ لِمُرْتَكِمٍ ... مِنَ الْأَمْيَلِ عَلَيْهِ الْبَغْرُ إِكْثَابَا

(١ — ٣) بانت بعدت . الحبل الوصال والعهد . راب من الريب وهو الشك والظنة والتهمة . أوصاب أوجاع ، جمع وصب (بالتحريك). أجمعت عزمت وقررت . الصرم القطيعة ، صرم الحبل قطعه . تجلو تكشف . بارد أي ثغر بارد رطيب . رتل مستوى الأسنان حسن التنضيد . النكهة رائحة الفم . السياب (بضم السين وتشديد الياء) البلح.

(٤ — ٦) مغزلة ظبية ذات غزال صغير . قرا الشيء تتبعه . النواجذ الأنياب . يانع مشرق نضير . المرد ثمر الأراك الأخضر . وحشية أى بقرة وحشية . أوفت أتت نحوه أى نحو الصوت . دابا أى دأبا من دأب أى مضى واستمر . هركولة عظيمة الوركين ضخمة الخلق . الدعص الكثيب .

(٧ — ٩) شعر جثل غزير لين . متنها جانباها . يحبو من الحباء (بكسر الحاء) وهو العطاء ، أى يمنحه . مواشط جمع ماشطة وهى الجارية التى تمشط الشعر . رعبوبة ممتلئة الجسم . فنق شابة تامة . خمصانة خميصة البطن ، والخمص الجوع . ردح ورداح ثقيلة الأوراك . أشرب اللون أشبعه . مهمه صحراء . نازح بعيد . مساربه مسالكه . أعيس أى جملا أبيض يخالطه شقرة أو ظلمة . الرحل الخشب الذى يشد على الجمل ليركب فوقه . نعبت الابل (كمنع) مدت أعناقها فى سيرها.

(١٠ — ١٢) يبنيها يدعمها ويرفعها . القتود خشب الرحل . بمثل البرج يقصد ظهره المتماسك القتار . متصلا متماسكا . مؤيد قوى . أنافوا رفعوا . فوقه أى فوق الحصن . يعنى خشب الرحل فوق هذا الجمل يبدو مرفوع فوق برج . الكور الرحل . الميساد الوساد الذى يتكأ عليه . الميثرة وطاء محشو يوضع فوق رحل البعير تحت الراكب . أسفع أحمر مشارب السواد . أسفع الخدين يعنى ثور الوحش . العبعاب الطويل التام الخلق . القطر المطر . شفان ريح وبرد . مرتكم مجتمع . الأميل (على وزن كثيب) الميل من الرمل مسيرة يوم طولا وميل عرضا ، أو المرتفع منه . البغر الدفعة الشديدة من المطر . إكثابا من الكثب وهو الجمع والصب ، كثب الماء (كنصر وضرب) صبه .

أشجار الأَرْطَى الضخام لا تكاد تحميه ، وراح المطر يجرى على جنبيه . ويلتمع البرق فى السماء ، فيكشف ضوؤه اللمّاح عن هذا الثور الضامر وقد نَهَكَهُ الجوع ، كأنه كوكب يلمع فى الأفق البعيد .

(١٥ — ١٧) فلما تأ قرن الشمس أو كاد ، أحس فى ضوء الفجر الخافت صياداً من (بنى ثُعَل) ، يغرى كلابه الخمسة (عَطَّافا) و (مجدولا) و (سَلْهَبَة) و (محصوفا) و (كَسَّابا) . وقد خلف هذا الصياد من ورائه صبية صغاراً حالفوا الفقر والضنك زمانا ، فهم ينتظرون ما يعود به من صيد .

(١٨ — ١٩) ومضى الثور مسرعا يلهبه الذعر فلا يألو جهداً فى النجاة بنفسه . وتبعته الكلاب التى مرنت على الصيد لحذقته ، تكاد فى عدوها السريع تخرج من جلودها ، وكأنها سهام أطلقها الرامى فمضت لاتلوى على شىء .

(٢٠ — ٢١) وراح الثور يجاهدها وهى تلاحقه ولا تقصر فى طلبه ، حتى إذا نال منه التعب وأدركه الكلال ، ثاب إلى نفسه وجَمّع قواه وثبت للقتال . فكرّ عليها بقرنه المحدد وكأنه حربة يحمى بها جسده أن تنال منه الكلاب مقتلا . وراح يسدد ضرباته إليها فيصيبها فى الكُلَى .

وينصرف الأعشى عن هذا الثور ، ليتحدث عما نال من حظوة عند (إياس بن قَبيصة الطائى) ، دون أن يمهد لهذا الانتقال أو يحتال فى التخلص له ، فيقول :

(٢٢ — ٢٣) لما رأيت الزمان كالحاً لا يهب غير البرد والجوع ، قد ذل فيه رءوس الناس حتى صاروا أذناباً ، قصدت إياساً خير فتى فى الناس ، حاضرِهم وغائبهم .

(٢٤ — ٢٧) فلما رآنى فيما أنا فيه من شدة وضنك ، رث الهيئة بالى الثياب ، وقد اختلط أمرى وفسد حالى ،

١٣— وَبَاتَ فِي دَفِّ أَرْطَاةٍ يَلُوذُ بِهَا	يُجْرِي الرَّبَابُ عَلَى مَتْنَيْهِ تَسْكَابَا
١٤— تَجْلُو الْبَوَارِقُ عَنْ طَيَّانَ مُضْطَمِرٍ	تَخَالُهُ كَوْكَبًا فِي الْأُفْقِ ثَقَّابَا
١٥— حَتَّى إِذَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ أَوْ كَرَبَتْ	أَحَسَّ مِنْ ثُعَلٍ بِالْفَجْرِ كَلَّابَا
١٦— يُشْلِي عِطَافًا وَمَجْدُولًا وَسَلْهَبَةً	وَذَا الْقِلَادَةِ مَحْصُوفًا وَكَسَّابَا
١٧— ذُو صِبْيَةٍ كُسْبُ تِلْكَ الضَّارِيَاتِ لَهُمْ	قَدْ حَالَفُوا الْفَقْرَ وَاللَّأْوَاءَ أَحْقَابَا
١٨— فَانْصَاعَ لَا يَأْتَلِي شَدًّا بِخَذْرَفَةٍ	تَرَى لَهُ مِنْ يَقِينِ الْخَوْفِ إِهْذَابَا
١٩— وَهُنَّ مُنْتَصِلَاتٌ كُلُّهَا ثَقِفٌ	تَخَالُهُنَّ وَقَدْ أَرْهَقْنَ نُشَّابَا
٢٠— لِأْيًا يُجَاهِدُهَا لَا يَأْتَلِي طَلَبًا	حَتَّى إِذَا عَقْلُهُ بَعْدَ الْوَنَى ثَابَا
٢١— فَكَرَّ ذُو حَرْبَةٍ تَحْمِي مَقَاتِلَهُ	إِذَا نَحَا لِكُلَاهَا رَوْقَهُ صَابَا
٢٢— لَمَّا رَأَيْتُ زَمَانًا كَالِحًا شَبِمًا	قَدْ صَارَ فِيهِ رُءُوسُ النَّاسِ أَذْنَابَا
٢٣— يَمَّمْتُ خَيْرَ فَتًى فِي النَّاسِ كُلِّهِمُ	الشَّاهِدِينَ بِهِ أَعْنِي وَمَنْ غَابَا
٢٤— لَمَّا رَأَى إِيَاسٌ فِي مُرَجَّمَةٍ	رَثَّ الشَّوَارِ قَلِيلَ الْمَالِ مُنْشَابَا

(١٣ — ١٥) الدف الجنب من كل شيء أو صفحته . الأرطى شجر ضخم ، واحدته أرطاة . الرباب السحاب الأبيض ، يبق به المطر . متناه باثناه . البوارق جمع بارقة وهي السحابة الكثيرة البروق . طيان جائع ، فلان من الطوى وهو الجوع . مضطمر متفعل من الضمور . ثقاب ثاقب مضيء . ذر طلع . قرن الشمس أول ما يطلع منها عند الشروق . كربت كادت وقربت . ثعل حي من طيء ، وهم مشهورون بالرماية . كلاب صاحب كلاب .

(١٦ — ١٨) أشلى الكلب على الصيد أغراه . مجدول مفتول . السلهبة الطويل . محصوف مجدول محكم الفتل . عطاف ومجدول وسلهبة ومحصوف وكساب أسماء كلاب هذا الصياد . ضرى الكلب بالصيد (كعلم) لزمه وتعوده وأولع به واجترأ عليه . اللأواء الشدة والمحنة . أحقاب جمع حقبة (على وزن قطعة) وهي المدة من الزمن . انصاع مضى مسرعا . ألا في الأمر يألو قصر فيه وأبطأ . الشد العدو والجري . خذرف أسرع . هذب وأهذب أسرع .

(١٩ — ٢١) منتصلات مسرعات تكاد تخرج من جلودها في عدوها ، وأصله انتصل السهم أي خرج من نصله وهو حديدته . ثقف حاذق خفيف فطن . أرهقه أعجله . اللأي الشدة ، لأي يلأى أبطأ واحتبس . لا تأتلي لا تبطيء . الونى التعب والفتور . ثاب رجع . ذو حربة يعني الثور ، حربته قرنه . مقاتله المواضع التي تقتل الاصابة فيها . نحا قصد . كلى جمع كلية (على وزن لقمة) . روقه قرنه . صاب أصاب ولم يخطيء .

(٢٢ — ٢٤) كالح عابس . الشبم البردان الجائع . يممه قصده . الشاهد الحاضر . إياس بن قبيصة الطائي . المرجمة (بكسر الجيم وتشديدها) الشدة من الرجم وهو القتل والقذف بالحجارة والطرد . والمرجمة (بفتح الجيم وتشديدها) يقصد بها القبر ، أي حفرة مرجمة رجم القبر (بالتشديد) وضع عليه الحجارة . وفي الحديث (لا ترجموا قبري) أي لا تضعوا عليه الحجارة ليسنم . رث بال . الشوار (بفتح الشين) الهيئة الحسنة واللباس . منشاب مختلط الأمر . المشاب على وزن افعل ، من شاب الشيء يشوبه أي خلطه ، وشابه كذلك شانه وغشه .

أوسع لى ضيافته فِعْلَ الكريم ، ومتعنى فى يوم الجمعة ، حين لجأت إليه مودعا الصحب والخلان ، بناقة ضخمة فتيّة ، لا هى بالبَكْرَة الصغيرة ، ولا هى بالمُسِنَّة العجوز ، قد أشرق لونها من السِّمَن ، فكأنما صُبِغَت بالزعفران الأصفر . وحبانى قطعاناً من الإبل تعلوها النضرة ، كأنها روضة زينها نبت الخريف بكلل مافوقها من الأعشاب ، ويزيده رونقاً وبهاء .

ويختم الأعشى قصيدته بالدعاء لإياس فيقول :

(٢٨ — ٢٩) يجزيك الله يا إياس عن نعمتك خير الجزاء ، كما جزى نوحا بعد المشيب ، إذ أوحى إليه أن يصنع الفلك ليعصمه من الطوفان ، فراح ينشئها ويجمع الألواح والأبواب .

(٨٠)

هذه إحدى قصائد الأعشى القليلة التى فرغ فيها للغزل . ومعانى القصيدة مألوفة ، وأسلوبها ركيك مسف فى كثير من المواضع . وأطرف مافيها القسم الأخير (٩ — ١٦) ، الذي يستطرد فيه إلى وصف درة يعرض الغواص نفسه للمهالك فى سبيل الحصول عليها ، والأعشى متأثر فى هذا القسم بأبيات تنسب لخاله المسيب بن علس ، يشبه فيها صاحبته بجمانة ، ويصف ما يلقى الغواص من عناء فى سبيلها ، فى ثلاثة عشر بيتا ، يبدؤها بقوله :

كجمانة البحرى جاء بها ... غواصها من لجة البحر

وليس بغريب أن يتأثر الأعشى بخاله ، فقد بدأ حياته الشعرية راوية له ، وأشار النقاد القدماء إلى تأثره به فى كثير من معانيه .

يقول الأعشى :

(١ — ٢) نام من خلى قلبه من الهموم ، وبت ليلى ساهرًا لا أنام . أرعى النجوم متكئاً على مرفقى وقد أضنانى الغرام . وظللت خاشع الطرف ، أنظر سـاكناً قد ثقلت على الهموم ، وعادنى الداء . . . ذهبت حبيبتى بقلبى ، فأمسى عندها رهينة ليس إلى استردادها من سبيل .

(٣ — ٤) ليتها أحبتنى كما أحببتها فيجمع الود بين قلبينا ! . . . لا شىء يشفى النفس إلا رؤيتها ، فاللقاء وحده دواء المحبين .

(٥ — ٨) صادت قلبى بعينين فاترتين ، كأنهما عينا غزالة قد انفردَتْ عن القطيع ، تنظر فى حنان إلى صغيرها

٢٥ — أَثْوَى ثَوَاهُ كَرِيمٍ ثُمَّ مَتَّعَنِي ‌ ‌ ‌ يَوْمَ الْعَرُوبَةِ إِذْ وَدَّعْتُ أَصْحَابَا

٢٦ — بِعَنْتَرِيسٍ كَأَنَّ الْحُصَّ لِيطَ بِهَا ‌ ‌ ‌ أَدْمَاءَ لَا بَكْرَةً تُدْعَى وَلَا نَابَا

٢٧ — وَالرِّجْلُ كَالرَّوْضَةِ الْمِحْلَالِ زَيَّنَهَا ‌ ‌ ‌ نَبْتُ الْخَرِيفِ وَكَانَتْ قَبْلُ مِعْشَابَا

٢٨ — جَزَى الْإِلَهُ إِيَاسًا خَيْرَ نِعْمَتِهِ ‌ ‌ ‌ كَمَا جَزَى الْمَرْءَ نُوحًا بَعْدَ مَا شَابَا

٢٩ — فِي فُلْكِهِ إِذْ تَبَدَّاهَا لِيَصْنَعَهَا ‌ ‌ ‌ وَظَلَّ يَجْمَعُ أَلْوَاحًا وَأَبْوَابَا

(٨٠)

وقال :

١ — نَامَ الْخَلِيُّ وَبِتُّ اللَّيْلَ مُرْتَفِقَا ‌ ‌ ‌ أَرْعَى النُّجُومَ عَمِيدًا مُثْبَتًا أَرِقَا (بسيط)

٢ — أَسْهُو لِهَمِّي وَدَائِي فَهْيَ تُسْهِرُنِي ‌ ‌ ‌ بَانَتْ بِقَلْبِي وَأَمْسَى عِنْدَهَا غَلِقَا

٣ — يَا لَيْتَهَا وَجَدَتْ بِي مَا وَجَدْتُ بِهَا ‌ ‌ ‌ وَكَانَ حُبٌّ وَوَجْدٌ دَامَ فَاتَّفَقَا

٤ — لَا شَيْءَ يَنْفَعُنِي مِنْ دُونِ رُؤْيَتِهَا ‌ ‌ ‌ هَلْ يَشْتَفِي وَامِقٌ مَا لَمْ يُصِبْ رَهَقَا

٥ — صَادَتْ فُؤَادِي بِعَيْنَيْ مُغْزِلٍ خَذَلَتْ ‌ ‌ ‌ تَرْعَى أَغَنَّ غَضِيضًا طَرْفُهُ خَرِقَا

٦ — وَبَارِدٍ رَتِلٍ عَذْبٍ مَذَاقَتُهُ ‌ ‌ ‌ كَأَنَّمَا عُلَّ بِالْكَافُورِ وَاغْتُبِقَا

---

٢٥ — ثوى بالمكان ثواء أقام ، وأثواه أضافه . يوم العروبة يوم الجمعة ، وهو من أسمائهم القديمة ، وهى تعريب أربا النبطية ، أو عروبتا السوريانية (والألف فيها بمكان أل فى العربية للتعريف) .

(٢٦ — ٢٧) العنتريس الناقة الصلبة الضخمة الوثيقة . الحص الورس أو الزعفران ، وهو أصفر . ليط ألصق . أدماء أشرب لونها بياضا أو سوادا . البكرة الناقة الصغيرة التى لم يحمل عليها . الناب الناقة المسنة . الرجل القطعة العظيمة من الجراد ، وهى كذلك الطائفة من الشىء على التشبيه بالجراد . الروضة المكان الذى يستنقع فيه الماء فيكثر عشبه ويزكو نبته . المحلال التى يحل بها الناس كثيرا لخصبها وجمالها . معشاب كثيرة العشب .

(٢٨ — ٢٩) إياس هو إياس بن قبيصة الطائى . الفلك السفينة . تبداها بدأها وأنشأها .

(٨٠)

(١ — ٣) الخلى الذى خلا قلبه من الهموم . ارتفق اتكأ على مرفقه . العميد الذى أضناه الحب . أثبتته الجراح وأثبته السقم ، لم يقدر على الحراك . سها إليه يسهو نظر ساكن الطرف ، والسهو السكون . بانت بعدت . غلق الرهن فى يد المرتهن استحقه ، وذلك إذا لم يقدر الراهن على افتكاكه فى الوقت المشروط . وجد به (كنصر وضرب) أحبه .

(٤ — ٦) الوامق المحب ، فعله ومق (كحسب) . الرهق (بالتحريك) القرب . رهقه دنا منه ، والمراهق الذى قارب الحلم . مغزل أم غزال صغير . خذلت تخلفت عن صواحبها وانفردت . ظبى أغن يخرج صوته من خياشيمه . غض طرفه خفضه وكفه وكسره ، فطرفه غضيض أى منغضوض . خرق الغزال خرقا (بالتحريك) إذا أطيف به فلزق فى الأرض . بارد صفة لموصوف محذوف ، أى ثغر بارد . رتل مستو . عل أى سقى المرة الأولى . واغتبق أى سقى المرة الثانية . الكافور نبت طيب الرائحة .

الغضيض الطرف وقد لصق بالأرض . وثغر بارد متّسق عذب المذاق ، كأنما سُقِي الكافور كأساً بعد كأس. وجيدٍ مستو طويل كأنه جيد الغزالة حين تمده فى هدوء واطمئنان بين أشجار الأراك ، لتتناول من أوراقه وثماره . وردفٍ ضخم رَجْراج ، كأنه كثيب الرمال المُنْهال ، قد استغنى بضخامته عن أن يشد بالنطاق ، لايشينه هزال الوركين .

— كأنها درة زهراء أخرجها غواصها من (دَارِين) ، معرضاً نفسه فى سبيلها للغرق والهلاك

ويشرد خيال الأعشى وراء الدرة والغواص ـ على عادته فى كثير من المواضع ـ فيمضى متصوراً مالقى من عناء ، وما تعرض له من أهوال.

(١٠ — ١١) قد سعى وراءها سنين ، وظل يرومها منذ نبت شاربه ، حتى أدركته الشيخوخة وارتعشت رجلاه، فهو يمشى فى اضطراب ، لا ينثنى عن طلبها ، ولا يدب إلى قلبه اليأس ، وقد تمثل له الأمل أمام عينيه مجسماً فاحترق طمعاً .

(١٢ — ١٣) وقام من دون اللؤلؤة جن مارد جبار ، يحرسها مبالغاً فى حياطتها ، وقد جعل من دونها درجاً . يدور من حولها ، لا تغفل عنها عينه ، خشية أن تمتد إليها يد السارقين والصائدين فى ظلام الليل .

(١٤ — ١٦) احترق الغواص الذى يرصد الدرة حرصاً عليها . ولو أن ضميره يطاوع نفسه لتحدى اليم أو هلك دون بغيته ، فطواه البحر ذو الأمواج المتراكبة ...

صَيْدٌ بعيد المنال ... من رامه علقته حبال المنية ، وفارقت جسده الروح . ومن ناله نال عز الخُلْد الذى لا ينقطع ، فأضحى ناعماً مسروراً راضى الآمال .

ويستيقظ الأعشى من حلمه الطويل وقد بلغ به نهايته ، فيثوب إلى نفسه ليقول :

١٧ — تلك هى صاحبتك . . كلفتك نفسك السعى وراءها ، تتعلل بالآمال ، وما تعلقت إلا الهلاك والنار .

— ٨٠ —

٧ — وَجِيدِ أَدْمَاءَ لَمْ تُذْعَرْ فَرَائِصُهَا	تَرْعَى ٱلْأَرَاكَ تَعَاطَى ٱلْمَرْدَ وَٱلْوَرَقَا
٨ — وَكَفَلٍ كَالنَّقَا مَالَتْ جَوَانِبُهُ	لَيْسَتْ مِنَ الزُّلِّ أَوْرَاكًا وَمَا ٱنْتَطَقَا
٩ — كَأَنَّهَا دُرَّةٌ زَهْرَاءُ أَخْرَجَهَا	غَوَّاصُ دَارِينَ يَخْشَى دُونَهَا ٱلْغَرَقَا
١٠ — قَدْ رَامَهَا حِجَجًا مُذْ طَرَّ شَارِبُهُ	حَتَّى تَسَعْسَعَ يَرْجُوهَا وَقَدْ خَفَقَا
١١ — لَا النَّفْسُ تُوئِسُهُ مِنْهَا فَيَتْرُكُهَا	وَقَدْ رَأَى الرَّغْبَ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ فَٱحْتَرَقَا
١٢ — وَمَارِدٌ مِنْ غُوَاةِ ٱلْجِنِّ يَحْرُسُهَا	ذُو نِيقَةٍ مُسْتَعِدٌّ دُونَهَا تَرَقَا
١٣ — لَيْسَتْ لَهُ غَفْلَةٌ عَنْهَا يُطِيفُ بِهَا	يَخْشَى عَلَيْهَا سُرَى السَّارِينَ وَالسَّرَقَا
١٤ — حِرْصًا عَلَيْهَا لَوَ انَّ النَّفْسَ طَاوَعَهَا	مِنْهُ الضَّمِيرُ لَبَالَى ٱلْيَمَّ أَوْ غَرِقَا
١٥ — فِي حَوْمِ لُجَّةِ آذِيٍّ لَهُ حَدَبٌ	مَنْ رَامَهَا فَارَقَتْهُ النَّفْسُ فَٱعْتُلِقَا
١٦ — مَنْ نَالَهَا نَالَ خُلْدًا لَا ٱنْقِطَاعَ لَهُ	وَمَا تَمَنَّى فَأَضْحَى نَاعِمًا أَنِقَا
١٧ — تِلْكَ الَّتِي كَلَّفَتْكَ النَّفْسُ تَأْمُلُهَا	وَمَا تَعَلَّقْتَ إِلَّا ٱلْحَيْنَ وَٱلْحَرَقَا

(٧ — ٨) أدماء بيضاء أي غزالة بيضاء . الفرائص جمع فريصة ، وهي لحمة بين الجنب والكتف لا تزال ترعد في الدابة . الأراك شجر يتخذ من غصونه السواك . تعاطى تتناول ، تعاطى قام على أطراف أصابع الرجلين ثم رفع اليدين إلى الشيء ليتناوله . المرد ثمر الأراك . الكفل (بالتحريك) العجز والمؤخرة . النقا القطعة المحدودبة من الرمل . زل جمع أزل وهو الخفيف الوركين . انتطق لبس النطاق وهو شقة تشدها المرأة على وسطها فترسل الأعلى على الأسفل إلى الأرض ، والضمير في انتطق يعود على الكفل ، أي أنها لم تلبس عليه النطاق لضخمه .

(٩ — ١٢) زهراء شقراء بيضاء مشرقة . دارين ثغر في البحرين . دونها أي في سبيل الحصول عليها . رامها طلبها . حججا أعواما . طر شاربه نبت وظهر . تسعسع هرم واضطرب وهدج في مشيه . خفق اضطرب . الرغب (بفتحتين) المرغوب ، سكنت العين لضرورة الشعر . والرغب (بفتح فسكون) مصدر رغب في الشيء أي أراده . احترق أي شوقا وطمعا وحرصا على الدرة . مرد (كنصر) عتا وتجبر ، والمارد كذلك المرتفع . غواة جمع غاو وهو الضال المنهمك في الجهل . النيقة اسم من التنوق . تنوق في الأمر بالغ فيه وجوده . الترق شبه بالدرج . فيكون المعنى أن هذا المارد من الجن يحرس هذه الدرة مستعدا لذلك بدرج يخفيها فيه .

(١٣ — ١٤) ليست له أي لهذا المارد من الجن . عنها أي عن الدرة . يطيف بها يدور حولها في حراسته لها . السرى سير الليل . يقصد الذين يصيدون في الليل . السرق والسرقة واحد ، مصدر سرق . حرصا عليها يمكن أن يكون متعلقا بـ (يطيف) في البيت السابق . ويمكن أن يكون متعلقا بقوله (احترقا) في آخر البيت (١١) ، وهو أفضل عندي . لبالى اليم ، هي في الديوان (لبالى اللئيم) ولا معنى لها ، فهي محرفة بغير شك ، ولكني لم أعثر على رواية أخرى ، ولم أطمئن إلى تحريفها ، فأثبت هنا أقرب الألفاظ إلى اللفظ المحرف ، وقلت لعلها (لبالى اليم أو غرقا) بالاه فاخره وانقضه ، وقد يكون المقصود بهاهنا تحداه . واليم البحر .

(١٥ — ١٧) الآذي موج البحر . الحدب الموج وتراكب الماء في جريه . حومة الماء معظمه . رامها طلبها . اعتلق (على البناء المجهول) أي علقته المنية فمات . نالها أي الدرة . أنقا مسرورا ، أنق أنقا كفرح وزنا ومعنى . كلفته أمره بما يشق عليه ، والفاعل نفسه ، كلفته هذه الدرة يسعى وراء الحصول عليها ، وهو يعني بالدرة صاحبته التي أشار إليها في أول القصيدة . الحين الهلاك . الحرق النار .

-٨١-

يعتذر الأعشى بهذه الأبيات إلى علقمة بن علاثة ، بعد أن هجاه فى المنافرة التى كانت بينه وبين ابن عمه عامر بن الطفيل . وقد تقدمت القصة فى القصيدة (١٨) .

ويروى الرواة فى قصة هذه الأبيات أن علقمة نذر دم الأعشى منذ ذلك الحين . وبينا الأعشى فى بعض رحلاته ، إذ أخطأ به دليله فألقاه فى ديار بنى عامر بن صعصعة . فأخذه رهط علقمة ، فاعتذر إليه الأعشى بهذه الأبيات ، فخلى عنه .

يقول الأعشى :

١ — صيَّرَتْنى الأمور إليك ياعلقم ، فليس لى عنك مَحِيص .

٢ — ورِثتَ المجد أبا عن جد ، فكساك (عُلاثَة) أثوابه ، وورَّثك (الأحوصُ) مجدَه .

٣ — يتضاءل أمام لحلمك الكريم كلُّ فحل .

٤ — وينبش الناس عيوب كل سيد ، إلا سيدكم ، فقد خلا من العيوب .

٥ — وكيف تُنكَرُ الشمسُ المضيئة ، أو القمرُ الباهر ؟

٦ — فهب لى ذنوبى - فدتك النفوس - ولا زلت تَرْقَى فى العُلى غيرَ منقوص .

وقال معتذراً إلى عَلْقَمَةَ بنِ عُلَاثَةَ :

(متقارب)

١ ـ أَعَلْقَمُ قَدْ صَيَّرَتْنِي ٱلْأُمُورُ ... إِلَيْكَ وَمَا كَانَ لِي مَنْكَصُ

٢ ـ كَسَاكُمْ عُلَاثَةُ أَثْوَابَهُ ... وَوَرَّثَكُمْ مَجْدَهُ ٱلْأَحْوَصُ

٣ ـ وَكُلُّ أُنَاسٍ وَإِنْ أَفْحَلُوا ... إِذَا عَايَنُوا فَحْلَكُمْ بَصْبَصُوا

٤ ـ وَإِنْ فَحَصَ ٱلنَّاسُ عَنْ سَيِّدٍ ... فَسَيِّدُكُمْ عَنْهُ لَا يُفْحَصُ

٥ ـ فَهَلْ تُنْكِرُ ٱلشَّمْسُ فِي ضَوْئِهَا ... أَوِ ٱلْقَمَرُ ٱلْبَاهِرُ ٱلْمُبْرِصُ

٦ ـ فَهَبْ لِي ذُنُوبِي فَدَتْكَ ٱلنُّفُوسُ ... وَلَا زِلْتَ تَنْمِي وَلَا تَنْقُصُ

(١ ـ ٣) منكص مصدر ميمي من نكص عن الأمر أي تراجع وأحجم . علاثة أبو علقمة . الأحوص جده ، فهو علقمة بن علاثة بن عوف ابن الأحوص . أفحلوا صار لهم فحل ، وهو الذكر من كل حيوان ، وقد يطلق على الضخم الكريم . بصبص البعير حرك ذنبه . والبصبصة التملق .

(٤ ـ ٦) فحص عنه فتش عن عيوبه . بهر القمر (كفتح) أضاء حتى غلب ضوؤه على الكواكب . البرص داء يصيب الجلد منه بقع بيضاء ، وسموا القمر أبرص على التشبيه بمن يصيبه البرص . تنمي أي تزيد .

اختلف الرواة فى نسبة هذه القصيدة ، فروى الجاحظ بعض أبياتها فى الحيوان منسوبة لعبيد بن الأبرص ، وروى بعض أبياتها فى موضع آخر لمضر بن زرارة بن لقيط . ونسب البغدادى بعض أبياتها فى الخزانة لمفرس بن ربيعة الأسدى . ونسب المفضل الضبى أبياتا منها لعوف بن الأحوص فى المفضليات . ومثل هذا الخلاف فى الشعر الجاهلى كثير . وهو يرجع فى بعض الأحيان إلى خلط الرواة . ويرجع فى أحيان أخرى إلى أخذ الشعراء بعضهم من بعض . ومحاولة تحقيق هذا الخلاف لترجيح نسبة الشعر إلى شاعر دون آخر أمر صعب غير ميسور .

والقصيدة فى معظمها فخر . وهى من جيد الشعر ورائعه .

يتحدث الشاعر عن صاحبته (مَىّ) فيقول :

١ ــ حَىِّ (مَىّ) وقد نهضت للرحلة مبكرة . وعَرِّضْ لها بالقول (أما آن لأسيرها أن يُخَلَّى سبيلُه ؟)

ثم يوجه إليها خطابه قائلا :

٢ ــ لا تخدعينى بأمَنّ ، ولا تمنّينى بالباطل ، وتدلى إلىّ بحبل واهٍ ضعيف ، فشر حبال الواصلين الضعيف الغَرُور .

ويمتلىء الشاعر زهواً بنفسه وفخراً بقبيلته ، وكأنه يريد أن يظهرها على مبلغ شرفهم لترى أنه خليق بوصلها ، فيقول:

(٣ ــ ٥) إن شئت أن تعرفى حقيقة قومى فسلى عن العز والإحسان أين يصيران . فستعلمين حينذاك أن فيهم من ينهض بالأعباء ، ومن يدفع الهم حين تَغَصُّ به الصدور ، ومن يشب الحرب الطويلة المريرة ويمسح ضرعها المدرار ، ومن ينهض بديات القتلى كبيرها والصغير .

(٦ ــ ٧) لا تصرمينى ، واسألى عن صنيعى حين يشتد الجدب ، وحين يحرص القوم على المَرَق فى القدر فيردُّون عنها المستعير ، وحين يجتمعون من حولها يرقبون نضجها ، وقد قامت فتاة الحى الكريمة تمدها بالحطب والوقود .

(٨ ــ ١٠) إذا احمرت آفاق السماء ، وهبت رياح الشتاء الباردة عاصفةً هوجاء ، واشتد ظلام الليل فى مستهل الشهور ، ضَمِنَتْ قِدْرى للسائل المقرورِ الدِفْءَ والطعام ، يغدو إليها ويروح كأنها أمه الرَّءُوم ، وقد برزت للعفاة ، لا تُجعَل من دونها الستور ، ولاحت نارها حين تخمد النيران .

(١١ ــ ١٣) إذا عادت النوق من مراعيها آخرَ النهار ، ثم لم تدفع ألبانُها عن لحومها أن تكون طعاماً للضيفان ذاقت السنّان ، وخُلِّىَ بينها وبين السيف حين يجول فيها ، ثم لم يلبث الذى نُذِر للذبح بعد إنذاره إلا قليلا

وقال :

١ — أَلَا حَىِّ مَيًّا إِذْ أَجَدَّ بُكُورُهَا   وَعَرِّضْ بِقَوْلٍ هل يُفَادَى أَسِيرُهَا   (طويل)

٢ — فَيَامَىُّ لَا تُدْلِى بِحَبْلٍ يَغُرُّنِى   وَشَرُّ حِبَالِ ٱلْوَاصِلِينَ غُرُورُهَا

٣ — فَإِنْ شِئْتِ أَنْ تَهْدِىَ لِقَوْمِى فَٱسْأَلِى   عَنِ ٱلْعِزِّ وَٱلْإِحْسَانِ أَيْنَ مَصِيرُهَا

٤ — تَرَىْ حَامِلَ ٱلْأَثْقَالِ وَٱلدَّافِعَ ٱلشَّجَا   إِذَا غُصَّةٌ ضَاقَتْ بِأَمْرٍ صُدُورُهَا

٥ — بِهِمْ تُمْتَرَى ٱلْحَرْبُ ٱلْعَوَانُ وَمِنْهُمُ   تُؤَدَّى ٱلْفُرُوضُ حُلْوُهَا وَمَرِيرُهَا

٦ — فَلَا تَصْرِمِينِى وَٱسْأَلِى مَا خَلِيقَتِى   إِذَا رَدَّ عَافِى ٱلْقِدْرِ مَنْ يَسْتَعِيرُهَا

٧ — وَكَانُوا قُعُودًا حَوْلَهَا يَرْقُبُونَهَا   وَكَانَتْ فَتَاةُ ٱلْحَىِّ مِمَّنْ يُنِيرُهَا

٨ — إِذَا ٱحْمَرَّ آفَاقُ ٱلسَّمَاءِ وَأَعْصَفَتْ   رِيَاحُ ٱلشِّتَاءِ وَٱسْتَهَلَّتْ شُهُورُهَا

٩ — تَرَى أَنَّ قِدْرِى لَا تَزَالُ كَأَنَّهَا   لِذِى ٱلْفَرْوَةِ ٱلْمَقْرُورِ أُمٌّ يَزُورُهَا

١٠— مُبَرَّزَةٌ لَا يُجْعَلُ ٱلسِّتْرُ دُونَهَا   إِذَا أَخْمَدَ ٱلنِّيرَانُ لَاحَ بَشِيرُهَا

١١— إِذَا ٱلشَّوْلُ رَاحَتْ ثُمَّ لَمْ تَفْدِ لَحْمَهَا   بِأَلْبَانِهَا ذَاقَ ٱلسِّنَانَ عَقِيرُهَا

١٢— يُحَلِّى سَبِيلَ ٱلسَّيْفِ إِنْ جَالَ دُونَهَا   وَإِنْ أَنْذَرَتْ لَمْ يُغْنِ شَيْئًا نَذِيرُهَا

١٣— كَأَنَّ مُجَاجَ ٱلْعِرْقِ فِى مُسْتَدَارِهَا   حَوَاشِى بُرُودٍ بَيْنَ أَيْدٍ تُطِيرُهَا

(١ — ٣) أجد فى الأمر وجد أخذ فيه . بكورها ارتحالها فى البكرة أى فى أول النهار . عرض بالقول لمح وأشار ولم يصرح . يغرنى يخدعنى . حبل غرور ضعيف لا يوثق به .

(٤ — ٦) الشجا الحزن والهم . غص بالطعام (كعلم) اعترض فى حلقه فمنعه من التنفس ، والغصة ما يغص به من طعام ، ويقصد به هنا الغيظ والهم . امترى الناقة مسح ضرعها لتدر . يمترون الحرب أى يديرونها ويهيجونها . العوان التى تودل فيها مرة بعد مرة على التشبيه بالناقة التى ولدت بعد ولادتها الأولى ، فهى غير بكر . الفرض العطية التى يوجبها الرجل على نفسه لغير ناظر لثواب ، وقد يقصد به هنا الديات . عافى القدر ما يبقى فيها من مرق ، يطلب المستعير القدر ويرده صاحبها لأن فيها بقية من مرق ، وذلك لشدة الجدب ، ولحرص صاحبها على هذه البقية .

(٧ — ٩) ينيرها يوقدها . فتاة الحى أى الشريفة . آفاق السماء جوانبها . احمر أى أغبر وذلك فى القحط . والعرب تسمى السنة الشديدة حمراء . استهل الشهر ظهر هلاله ، والليل فى أول الشهر مظلم . الفروة الكيس الذى يجمع فيه السائل ما يتصدق عليه الناس به . المقرور البردان . يقول إن هذا السائل قد اعتاد زيارة هذه القدر . كأنها أمه التى ترأمه وترحمه .

(١٠ — ١٢) مبرزة ظاهرة أمام الدار بحيث يراها كل الناس فيقصدونها . بشيرها ضوؤها الذى يهتدى به الناس ، فكأنه يبشرهم بالطعام والدفء وحسن الضيافة . الشول الابل التى جفت ألبانها . راحت عادت من المرعى آخر النهار . عقير فعيل بمعنى مفعول أى المعقور المذبوح . يقول إن هذه الابل إذا عادت من المرعى فلم تدر للضيف لبنا أطعمه لحمها . جال دونها منع فيها ذبحها . غنى بالمكان (كعلم) أقام . النذير المنذور كقتيل بمعنى مقتول . والمراد نذرها للذبح ولاطعام الضيف .

(١٣) مجاج العرق الدم الذى يمجه العرق أى يرميه ويقذف به . مستدارها حيث تدور يقصد أعطانها ، وقد تكون (مستراها) أى حيث ترود وترعى . الحواشى جمع حاشية وهو جانب الثوب . والبرد ثوب مخطط . يقصد الهداب الذى يكون فى أطراف النسيج . يشبه الدم المتدفق منها حين يندفع بهذا الهداب حين يتطاير ويخفق بين يدى رجل قد رفعه فى مهب الريح .

ويندفع الدم منها وقد تفرقت فى الفناء كأنه هُدّاب برود حمراء ، يخفق متطايراً وقد رُفع فى مهب الرياح .

(١٤—١٧) إننا لانضيق بالأضياف ساخطين إن نزلوا بنا ، ولايقوم فينامن ينتصر للناقة الضخمة حين تقاد للذبح . وإنى لأتغاضى عن حقد ذى القربى ، لا أستثيره وقد بدت آياته . وقور حين يعجب السَّفَهُ أصحابَه ، فالوقار من خير مايتحلى به الرجال . ولقد يئس أعدائى أن يستخفنى وثبُ الأسود وزئيرُها .

(١٨ — ٢٠) وكم من يوم شديد الحر ، تستكنُّ فيه الظباء تحت ظلال الأشجار ، كأنها الكواعب قد أسدلت من دونها الستور ، وقد تدلت الشمس من سمائها ، تلهب أحجار الصحراء السود فتشعُّ الهمود والجود ، قد عصبتُ له رأسى ، أكلف الرحلةَ ناقةً صلبة ضامرة ، لا يسرع إليها الضعف ولا ينتابها الفتور .

(٢١ — ٢٢) ولقد أقطع القفر الموحش لا ألقى فيه إلا الماء الراكد ، والقطا الرمادى النحور ذا الأطواق ، وقد سفت الرياحُ الترابَ والرمالَ على مناهله ، فكأن مياهه الآسنةَ لَبَنٌ حامض مَذِيق .

(٢٣ — ٢٥) وكم من ليلٍ مظلم مدلهم يستوى فيه الاعمى والبصير ، كأنى فيه تحت قبةٍ نُسج أعلاها من الشَّعْر الأسود الخشن ، وتدلت جوانبها من الطيلسان الأخضر ، تجاوزته حتى انقشع ظلامه ، ولاح ضوء الشمس المنير .

وَلَا نَلْعَنُ ٱلْأَضْيَافَ إِنْ نَزَلُوا بِنَا ... وَلَا يَمْنَعُ ٱلْكَوْمَاءَ مِنَّا نَصِيرُهَا

١٥— وَإِنِّي لَتَرَّاكُ الضَّغِينَةِ قَدْ أَرَى ... قَذَاهَا مِنَ ٱلْمَوْلَى فَلَا أَسْتَثِيرُهَا

١٦— وَقُورٌ إِذَا مَا الْجَهْلُ أَعْجَبَ أَهْلَهُ ... وَمِنْ خَيْرِ أَخْلَاقِ الرِّجَالِ وُقُورُهَا

١٧— وَقَدْ يَئِسَ ٱلْأَعْدَاءُ أَنْ يَسْتَفِزَّنِي ... قِيَامُ ٱلْأُسُودِ وَثْبُهَا وَزَئِيرُهَا

١٨— وَيَوْمٍ مِنَ الشِّعْرَى كَأَنَّ ظِبَاءَهُ ... كَوَاعِبُ مَقْصُورٌ عَلَيْهَا سُتُورُهَا

١٩— عَصَبْتُ لَهُ رَأْسِي وَكَلَّفْتُ قَطْعَهُ ... هُنَالِكَ حُرْجُوجًا بَطِيئًا فُتُورُهَا

٢٠— تَدَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ حَتَّى كَأَنَّهَا ... مِنَ ٱلْحَرِّ تَرْمِي بِالسَّكِينَةِ قُورُهَا

٢١— وَمَاءٍ صَرٍ لَمْ أَلْقَ إِلَّا ٱلْقَطَا بِهِ ... وَمَشْهُورَةَ ٱلْأَطْوَاقِ وُرْقًا نُحُورُهَا

٢٢— كَأَنَّ عَصِيرَ الضَّيْحِ فِي سَدَيَاتِهِ ... دَفُونًا وَأَسْدَامًا طَوِيلًا دُثُورُهَا

٢٣— وَلَيْلٍ يَقُولُ ٱلْقَوْمُ مِنْ ظُلُمَاتِهِ ... سَوَاءٌ بَصِيرَاتُ ٱلْعُيُونِ وَعُورُهَا

٢٤— كَأَنَّ لَنَا مِنْهُ بُيُوتًا حَصِينَةً ... مُسُوحٌ أَعَالِيهَا وَسَاجٌ كُسُورُهَا .

٢٥— تَجَاوَزْتُهُ حَتَّى مَضَى مُدْلَهِمُّهُ ... وَلَاحَ مِنَ الشَّمْسِ ٱلْمُضِيئَةِ نُورُهَا

(١٤ — ١٥) الكوماء الناقة الضخمة . القذى القذر . المولى الصديق والقريب .

(١٦ — ١٨) وقور رزين . الوقور الرزانة ، مصدر وقر . يستفزني يثيرني ويستخفني . الشعرى كوكب يطلع في الجوزاء ، وطلوعه في شدة الحر . الكواعب جمع كاعب وهي التي كعب ثديها أي نهد وبرز . يشبه هذه الظباء وقد استكنت من شدة الحر بأوناس قد قصرن (أي حبسن) خلف الستور .

(١٩ — ٢١) السكينة السكون والجمود . القور جمع قارة وهي الصخرة السوداء أو الأرض ذات الحجارة السود ، والحر فيها شديد . عصب له رأسه كناية عن التهيؤ له . حرجوج ناقة ضامرة . صرى الماء (كمنع) طال مكثه فتغير طعمه . القطا جمع قطاة وهو طائر يقرب من الحمام . مشهورة ظاهرة الأطواق جمع طوق وهو دائرة بيضاء تطوق رقبة الحمام . ورق جمع أورق وهو الأبيض المشوب بسواد في مثل لون الرماد .

(٢٢ — ٢٣) الضيح اللبن الرقيق الممزوج . السادى من الابل المهمل المسيب ، وسديت الإبلة كثر نداها . دفون أي منهل مدفون مطموس . مياه سدم وأسدام متغيرة من طول المكث والركود . طال دثورها أي انطماسها لاهمالها وقلة ورودها . ويغلب على ظني أن الشطر الأول من البيت محرف ، ولكني لم أهتد إلى تقويمه . ولعل التشبيه مقلوب ، والمقصود تشبيه المياه الراكدة في هذه المناهل المطموسة باللبن الممزوج بالماء وقد أهمل فتغير طعمه ورائحته .

(٢٤ — ٢٥) البيت يطلق على المسكن ، وقد يكون بناء وقد يكون من شعر ، وهو هنا يقصد الثاني . مسوح جمع مسح (بكسر فسكون) وهو الثوب الخشن المنسوج من الشعر . الساج الطيلسان الأسود أو الأخضر . الكسر جانب البيت وجمعها كسور وعموما تدل من جوانب الخيمة لأنه يثني ويكسر عند الرفع . يصف الليل وقد أحاط به من كل جانب بقبة ضخمة قد ضربت عليه . نسج أعلاها من الشعر الأسود الخشن وأسفلها من الطيلسان الأسود أو الأخضر . تجاوزته ، الضمير يعود على الليل ادلهم الليل اشتد ظلامه .

فهارس الديوان

ملاحظة : الأرقام التي في هذه الفهارس تشير إلى رقم القصيدة ثم إلى رقم البيت . فمثلا : ١٤/٤ تعنى : البيت ١٤ من القصيدة ٤ . و ٤/١٧ ـ ٨ تعنى : الأبيات ٤ ـ ٨ من القصيدة ١٧ .

(١)

فهرس القوافي

(ا)

صدر القصيدة	رقمها	بحرها	عدد أبياتها
نام الخلي وبت الليل مرتفقا ... أرقا	٨٠	بسيط	١٧
... يوم لفت حولهم ذيولوا ... فتفرقوا	٣٢	خفيف	٥٣
(ك)			
أتشفيك تيا أم تركت بداءكا ... كذلكا	١١	طويل	٣٢
أيا سيدى نجران لا أوصينكما .. واعتراكما	٤٢	»	٤
(ل)			
لمن دار قد تعفت طلولها ... قبيلها	٢٣	طويل	٢٨
أقيس بن مسعود بن قيس بن خالد .. وائل	٢٦	»	١٤
يلمن الفتى إن زلت النعل زلة .. ذو آدل	٤٧	»	٤
فيا أخوينا من عباد ومالك .... لها	٦٠	»	٩
صحا القلب من ذكرى قتيلة بعدما .. المكحل	٧٧	»	٣٢
أتصرم ريا أم تديم وصالها ... جمالها	٧٢	»	١١
ودع هريرة إن الركب مرتحل .. الرجل	٦	بسيط	٦٦
رحلت سمية غدوة أجمالها ... بدالها	٣	كامل	٥٤
قالت سمية من مدحت ... ... وائل	٧٠	» (مجزوء)	١٩
قالت سمية إذ رأت ... ... الجبال	٧١	» »	٤
هل أنت يا مصلات ... ... فراعل	٧٦	» »	٢١
ألا قل لتياك ما بالها ... ... أجمالها	٢١	متقارب	٤٧
مابكاء الكبير بالأطلال ... سؤالي	١	خفيف	٧٥
إن محلا وإن مرتحلا ... ... مهلا	٣٥	منسرح	٢٤
أقصر فكل طالب سيمل ... هول	٥٢	سريع	٤٣
(م)			
هريرة ودعها وإن لام لائم ... راغم	٩	طويل	٣٤
ألا قل لتيا قبل مرتها اسلمي .. عتيم	١٥	»	٦٢
ألم خيال من قتيلة بعدما ... فتصرما	٥٥	»	٤١
بنى عمنا لا تبعثوا الحرب بيننا .. السلم	٥٨	»	٤
عرفت اليوم من تيا مقاما ... خياما	٣٩	وافر	٣٧
يظن الناس بالملكين ... ... التأما	٥٦	» (مجزوء)	٢٨
أتهجر غانية أم تلم ... ... متجذم	٤	متقارب	٧٢
يا لقيس لما لقينا العاما ...... علاما	٣٨	خفيف	٢٦
(ن)			
لعمرك ما طول هذا الزمن .. معن	٢	متقارب	٨٣
ألا من مبلغ عني حريثاً ... ازدرانا	٢٧	وافر	١٩
خالط القلب هموم وحزن ... اطمأن	٧٨	رمل	٢٧
(ى)			
أريع قلبك الويلات آتى الغوانيا السوانيا	٦٦	طويل	١٨

فهرس الفنون الشعرية والمواضيع

غزل

خمر ومجون

فخر وحماسة

قصص وتاريخ

حكمة

وصف

(ا) الصحراء :

(ب) الناقة :

(ج) متفرقات :

الأسد — ثور الوحش — حمار الوحش — الخيل — الظبي — النعامة : راجع في كل واحد منها فهرس المعاني والصور .

(٢)

فهرس الأعلام

فهرس القبائل والأمم

(٥)

فهرس الأماكن

فهرس الأيام

(٧)

فهرس المعانى والصور

(ا)

[ب]

(ت)

(ث)

أطلقتها الصائد بالنخل ٥٥/٢٣ . تعبيه الكلاب وقد تقاسمها على قرنه بالجراد المتقاوم في مورد ٥٥/٢٧ قرنه طويل حاد ٦٥/٢٨ . تشبيهه بالنجم ٥٥/٢٨ ، ٢٩/١٤

(ج)

الجار :

مدح الرجل بحفظه وبالتعفف عن الجارة ٢/٣٩ ، ٤/٣٢ ، ٥/٥٣ – ٨/٥٤ – ٥٥ ، ١٣/٤٣ – ٤٤ ، ١٨/٥١ ، ٣٣/٦١ ، ٦٨/٩ الحث على حفظه ٦٦/١٨ . وحسن معاشرته ٦٦/١٢ الحث على التعفف عن الجارة ١٧/٢٤ ، ٦٦/١٥ حماية المستجير ٢/٥٣ – ٤ ، ٥٤ ، ١٢/٣٥ ، ٢١/٢٧ – ٢٨ ، ٣٦/٢١ هجاء الرجل بسوء حال جاره ١٩/١١–١٢ ، ٣٣/٣٨ الغضب لانتهاك حرمة الجار ٢٣/١٤ – ١٥ ، ٥٩/٢ – ٤

الجبان :

تشبيه الجبان بالفرس الذي حبسه اللجام ٤٧/٤ الجبان يمسك بأعراف الخيل في القتال خشية السقوط ٦٢/٧

الجدب :

الصقر بالميسر في الجدب (وراجع الميسر) الجود في الجدب (وراجع الجود) الابل تسقط من الجوع والاعياء ٣٢/٤٠ انقطاع لبنها ٢٣/١١ الكناية من الجدب بهرير الكلاب ونباحها ٣٦/٢٦ . منع إعارة القدر بخلا بما فيها من بقية المرق ٨٢/٦ تشبيه دخان الطبخ وقت الجدب بالبخور ٣٨/٣١ الناس قعود حول القدر يرقبونها ٨٢/٧ احمرار آفاق السماء وعصف الرياح ٨٢/٨

الجرى : راجع (العدو)

الجفنة :

تشبيهها بالحوض في الضخامة ٣٣/٧ الناس من حولها شارعون أيديهم ٣٣/٦٠ راجع كذلك (القدر)

الجلد :

مدح الرجل بالصبر على مكاره الحروب ٨/٤٥ ، ٣٨/١٦ وعلى كوارث الدهر ٢١/٣٦ ، ٢٩/٣٠ ، ٣٣/٣ – ٤ وعلى الرحلة في اليوم الشديد الحر ٨٢/١٨ – ٢٥ لا يفرح بالخير ولا يضيق بالنكبات ٢٩/٣٠

الجواري : يجلدن في البناء ٢٢/٤ – ٩ ، ٧٨/٢٢

الجود :

الرجل يجود قبل السؤال ١١/٢٥ يجد لذة في الجود ٧/١٣ يجود من غنائم الحرب ٢/٦٦ – ٦٨ ، ٣/٤١ و ٣٩ – ٤١ و ٤٩ ، ٤/١٣ – ١٤ ، ١١/٣١ ، ٢١/٤٢ – ٤٣ الجود في الشتاء وفي القحط : ٨/٥٣ ، ١٠/٣٥ – ٣٦ ، ١٦/٢٩ – ٣٤ ، ١٨/٤٩ – ٥٠ ، ٣٢/٣٧ – ٤١ ، ٣٣/٥٦ – ٥٩ ، ٣٦/٢٦ ، ٣٨/٢١ و ٥٣ ، ٦٨/١٠ – ١١ ، ٧٣/١١ ، ٢٨/٦ – ١٢ الجود على الفقراء ١٢/٣٥ على الأرامل والأيتام ٦٠/٨ – ٩ وراجع كذلك (الكريم)

الجيد :

تشبيه جيد المرأة بجيد الغزال ٢٠/٩ ، ٧٧/١١ ، ٧٩/٤ ، ٨٠/٢ جيدها طويل تزينه الأطواق ٣٢/٦ طيب رائحته ٥٤/١٣

الجيش :

يحمى الحى ٢٧/٦ يحمى اللاجىء إليه ٦٥/١ يحمل الموت للأعداء ٢٩/٢٨ و ٣٥ ، ٦٢/١٧ يشتت العدو ٤٠/١١ الموت ينصب على العدو كالمطر ٤٠/١٤ كأنه الناقة الحلوب ٥٦/٣١ يقسم إبل الرعاة ٦٦/١ كثافته ٥٦/٣ تضيق به الصحراء ٢٩/٢٧ يستنفد الماء قبل أن يبلغه آخره ٢٩/٣٧ وصفه بالسواد لكثرة آلاته ٣٤/٢ ، ٥٢ ، ٤٨/١٢ تعبية الخيل فيه بالنوى ٢٥/٤ وصفه بالارتجاج وكثرة الحركة ٢١/٣٠ ، ٢٦/١٠ ، ٢٢/٦ يجتمع ملموم ٢٨/١٩ لا تدرك العين مداه ٢٨/١٩ يثير الغبار ٢٩/٢٦ تعبيه بالعقاب الذى ينقض من فوق برج عال ٤٠/١٣ تعبيه في كره على العدو بالرجل الذى يطوف حول حجارة القبر ٤/٣١ تشبيهه بالجبل ٢٥/٥ ، ٦٢/٢٢ تشبيهه بالايوان ٢٧/٦ بريق أسلحته ٣٦/١٢ يعمى العيون ٢٦/١٠ ركوب الابل في الغارات البعيدة وتعرية الخيل ٢٦/١٠ النساء من وراء المقاتلين في ظعائنهن ٢٢/٢٣ راجع كذلك (الحرب) و (الفارس) و (الغارة) و (الراية)

(ح)

الحب :

تعبيه بولد الناقة الصغير لم يزل ينمو حتى اشتد ١٤/٢ الايبلى ولا يبيد ٦٠/١

الحبيبة :

تشبيهها بالبيضة ١٨/٦ بالبردى ١٢/٦ ببقر الوحش ١٢/١٢ بالظبي ١٢/١ و ١٤ ، ٢١/٦ ، ٣٠/٩ ، ٣٢/١٠ – ١٨ ، ٥٢/٦ – ١٢ ، ٥٤/١٢ ، ٦٥/١٧ ، ٢٨/٣ ، ٧٢/٣ – ٤ ، ٧٨/٣ بالدمية ١٨/٥ ، ٣٢/٩ ، ٣٦/٢ ، ٥ بالدرة ١٨/٦ ، ٨٠/٩ – ١٧ انصراف صاحبها عنها بسبب : هجومه ١٨/١ ٢٣/٢ وصدها ٣/٣ ، ٨/٤ ، ٢٨/٢ ، ٢٢/٢٢ ، ٢٢/١ و ٢٦ – ٢٧ صدودها ٩/٦ ، ١٠/١ و ٣ – ٤ ، ١٤/١ ، ١٢/١٢ – ١٣ ، ٣١/٤ ، ٣٤/٢ إنكارها صاحبها ٢١/٢ و ٣٤ ، ١٢/٢٤ – ٢٦ ، ١٣/٢ ، ٢٢/٢ ، ٣٤/١٠ – ١٢

وصفها : امتلاء جسمها وحسنها ١٢/٦ ، ١٨/٩ طولها ٢٠/٥ ، ٧٧/١٠ تشبيه قوامها بالبان ٧٧/١٠ بالجبل ٧٨/٤ امتلاء ساقها ٧٧/٣ تدمها بخشبة مسترسلة البنان ٧٧/٢ دقة عظامها ٥٢/١٣ طيب رائحتها ١٣/٦ – ١٦ ، ٧٨/٣ باردة في الصيف ساخنة في الشتاء ١٢/١٨ – ١٩

مشيها : تشبيه مشي الوجي الوحل ٩/٢ بمشي البهير ١٢/١٠ بسير السحابة ٦/٢ بمن يمشي على الشوك ١٢/٦ بمشي الشوان ٢٠/٢ بمشي القطا إلى الماء ٧٧/١٠ قصيرة الخطى ٧٨/٢٢ تهالكها وتثنيها ٧٧/٢١

خلقها : لا تسم الجار ٦/٥ طاهرة الخلق ١٨/٨ – ٩ لا تتهم بريبة ٧٨/٧ ساذجة ٢٠/٢ ، ٣٢/٨ وقور لا تميس ولا تستغرق في الضحك ٣٢/٩ حلوة الحديث ٦٣/٧ – ٨ خفرها وضعفها ٦/٦ – ٧ ، ١٠/٢ ، ٢١/٥ ذات دل لعوب ٢٠/٢ و ١٤ – ١٦ و ٢١/٢ ، ٣٢/٨ ، ٦٣/٧ ، ٧٨/٣ مفتونة بشبابها ١٠/٤ ، ٦٤/٤ – ٥ ازعاجها من العيب ٦٣/٩ جحود لعهوده ٦٠/٣ تخلف ميعادها ٨/٢ ، ٣٤/٦ ، ٦٨/٢ تعد ثم تلتمس المعاذير ٥٢/٢٤ – ٢٥ تتساق مع صاحبها الخمر ٢٠/٢ – ٢١ ، ٣٩/٣٣ – ٣٥ متزوجة يحتال صاحبها للوصول إليها ١/١١ ، ٣/٥ – ٨ ، ٦٠/٣٥ ، ٨/٤ – ٦ ، ١٢/١١ – ١٥ ، ١٩/٣ – ٤ محنة ١٦/١٤ – ١٨

الحنكة :

مدح الرجل بالحنكة وسداد الرأي ونفاذ البصيرة ٢/٣٦ و٨٢، ٤٨/٤ ، ١٣٠/٥١ و ٥٣ ، ٣١/٢١ ـ ٣٢ مدحه بالحنكة في القتال ٢/٧١ ، ٣٣/٣ ، ٣٥/٢١ مدح الشباب بالشجاعة والشيوخ بالحنكة ١٨/٣٨
الحنين للأهل : ٤٧/٣٢ ـ ٤٨

(خ)

الخاتم :

تشبيهه بالرغم ٤٣/٥ كثير الضراط شديد الجلبة في غير طائل ٤/٤٤ ـ ٥

الخد (خد المرأة) :

أملس مسترسل (أسيل) ١٢/٣٠ مسترسل متهلل ١٤/٧٧

الخصر :

دقة خصر المرأة ١٨/٢ ، ٨/٦ ، ٦/٧٧ الكناية عن دقته باضطراب الوشاح ١٦/٨٧

الخصم :

تشبيهه بالوعل الذي ينطح الصخر ٤٩/٦ عن قطعت كفه ٢٣/١٤ براكب القتد ٤٥/١٠ براكب الجمل العجوز ٤٦/١٠ بالأوساخ التي تعلق بأصواف الغنم ٤٨/٣٦ ، بالحصى المتسلخة من آثار العرق ٣٦/٦٠ يثير العداوة ٤٧/٦ و ٥١ ـ ٥٢ ، ٣٩/٩ تصرف أنيابه ٤١/٦٥ يحرق بما أذاع من افتراء ٣٤/١٠ يعجز عن مجاراة الخصم ٣٣/١٥ يجبن عن مواجهته ويرميه من ظهره ٢٧/١٥ ترتعش أنامله وقد سقط في حومة القتال ١٣/٧٠ خضوع عنقه من الذل ٤٨/٣٦ انقباض ما بين عينيه ٢٦/٩ لا يرجع التحية ٢١/٤ ـ ٢٢ تغير لون وجهه ٣٠/٢، ١٥/٥٣ الأعداء في طريق الشاعر للممدوح ٣٠/٢ ، ٢١/٤ ـ ٢٣

الخمر :

لونها : حمراء دكناء ١٩/٨ ، ١١/١٠ ، ١٩/٢٢ صافية تكشف عن القذى ١٢/٥ ، ١٠/٢١ ، ١٩/٢٢ ، ٢٣/٣٣ تشبيهها بحدقة العين (الفصوص) وبعين الديك ١٢/٥ ، ٩/٢١ ، ١٣/٣٠ ، ١٣/٦٤ تشبيه لونها بالدم ٩/٣ ، ١٠/١٠ ، ٦/٧٦ بنور الذبح الأحمر ٣٣/٣٦ بعصارة نبت البقم الأحمر ٧/٥٥ بالفضة والذهب ١٦/٥ بصبغ الزعفران المخلوط بالعندم ١٤/٣٠ وهاجة كأشعة الشمس ٢٢/٢٩ زبدها ٣١/٢ ، ١٩/٨ ، ٢٢/٣٣ ، ٢٧/٣٦

رائحتها : (فواحة ـ كالمسك والعنبر ـ تستل الزكام) ٢٦/٢ ، ٢١/٢٦ ، ١١/ ٢٩/١٧ ، ١٥/٣٠ ، ٣٤/٣٦ ، ٣/٥٥ و ٥ تسكر قبل أن تذاق ١٥/٦٤

طعمها : قوتها ولذعها ، تكاد تفرى المسك ١١/١٠ لذيذة الطعم ٢٣/٣٣ سارتها ١٤/٦٤ عصرت من بكار القطاف ١٢/٨

أثرها في الشارب : (فتور يتبعه انشراح ـ فتور المفاصل ودوار الرأس ـ تستخف الوقور ـ تسكن بعد إرعاد) ١٨/٨ ، ١٣/١٠ ـ ١٥ ، ٢٠/٢٠ ، ٢٦/٢١ ، ٩/٢٦ ، ١٦/٦٤ ، ١٤/٧٨ تشبيه السكران بالوسنان ٢١/٧٨

محلها : شربها في الريف ١٥/٢ ، ١٢/١٠ في مظلة ١٦/٨ في خباء ١٩/٣٣ في الغرفات وسط الحضرة أو فوق سطوحها ١٩/٢٢ ، ١٣/٧٨ على شاطئ الفرات ١٢/١٠ و ١٧ ـ ١٨ في عيد الفصح ٩/٥٥ على دق النواقيس ١٣/٣٠ يشربها وحده ١٠/١٠ يشربها غنيا وفقيرا ١٦/١٠ في الحل والترحال ١٤/٢ في الصباح ١٢/٥ ـ ١٣ ، ٨/١٠ ـ ١١ ، ١٦/٢٩ ، ١٣/٦٤ بعد الغروب ١١/٢١ غناء وقيان وآلات طرب ورياحين ٣٨/٦ ـ ٤٤ ، ٢٢/٢٠ ـ ٢٣ ، ٢٠/٣٣ ـ ٢١ ، ٣٦/٤٤ ـ ٥٣ ، ٨/٥٥ ـ ١٢ ، ٢٢/٦٤ ـ ٢٤ ، ٥/٧٦ ، ١٢/٧٨ ـ ٢٠ ينطلقون من الحانات إلى بيوت الريبة في المساء ٢٢/٧٨

الخمار : يهودي ١٠/٤ علج أزرق ١١/٨ يخفيه بها ١٩/٢٩ ـ ٢٠ يحرسها ٤/٥٥ يصلي على دنها مكبرا ١١/٤ ، ٤/٥٥ يقدم أجود الخمور ٣٦/٥٤ مساومة الخمار ١٣/٨ ـ ١٧ ، ١٨/٦٤ الشارب لا يضيع وقته بحساب الخمار ٣٨/٥٤ دفع الشرق ثمنا لها ١٣/٨ ، ٢٦/١٦ ، ٢٩/٢١ ، ٣٦/٥٤

الساقي : (يشد على فمه خرقة بيضاء ـ يحلي أذنيه باللؤلؤ (النطف) مقلص السربال) ٤١/٦ ، ٣١/٨ ، ٣٤/٣٩ ـ ٣٥ ، ٤٦/٥٥ ، ٣٤/٦٤ ساقية الخمر (الرباب) ١٥/٥

آنيتها : مختومة ١٠/٤ يحملها التجار في القرب ٣٠/٣٦ في دن أسود ١١/٨ ، ١٦/٢٢ ، ٢٤/٣٣ ، ٣/٥٥ ، ١٨/٧٨ في زق (تشبيه بالحبشي المنبطح على الأرض) ٤٢/٣٦ تشبيه اندفاع الخمر منه باندفاع الدم من الجرح ٤٠/٣٦ ، ٣٠/٧٨ تصب في باطية كبيرة وتوضع وسط الشاربين فيغترفون منها ٣٥/٣٦ ـ ٣٣ تقدم في قوارير كبيرة تسع الواحدة منها عشرين كأسا ٢٥/٦٤ شربها بالأقداح الكبيرة والصغيرة والأباريق ٣٧/٥٤ ، ٧/٥٥ ، ٢٠/٧٨ كئوس من فضة ٣٨/٣٦ من زجاج ٣٩/٣٦ مزجها بماء الشن (القربة الخلق) ٢٢/٢ ، ٢٤/٣٣ ، ٢٠/٧٨ تشبيهها في قعر الدن بحوصلة النعام ٢٠/٨

نسبتها : إلى بابل ٩/٣ ، ٥/٥٥ ، ٦/٧٦ إلى عانات ١٩/٢٩ إلى الحيرة ٣٥/٣٦ إلى خسروشاه ١٤/٧٨

النديم : أبيض الوجه ٨/٨ ، ١٢/٢١ ، ٥٠/٣٢ من الفتيان (لا أضنائي بهم) ٣٨/٦ ، ١٢/٥٥ كريم ٨/٨ ، ٤٨/٣٦ ، ١٩/٦٤ حليم لا تخرجه الخمر عن حلمه إلى السفه ٤٧/٣٦ تشبيه الشاربين وقد تمددوا على الأرض بحبائل الصياد ٤٩/٣٦ ـ ٥٠ الشارب يتداوى من الخمر بالخمر ١٧/٢٢ لا يجف كأسها ٣٩/٦

الخيل :

تشبيهها بالقنا ٣٤/٢٨ بالهراوة ٣٨/٥٥ بقضب الشوحط ٤٨/١ بالنخل ٤٠/٣ ـ ٤١ ، ٤١/٤ ، ٥٤/٥ بالسهام ٣/٧١ بالثور ٤٢/٢ بالتيس ١٥/٦٨ بالنعام الجفل ١٢/٧٦ بالعنوق ٤٣/٢ بالسعالي (الغيلان) ٣٦/٢٩ بالباز والعقاب ٤٧/٢ ـ ٤٨ ، ٢٧/٣ ، ٤٥/٤ تشبيه كفلها بالترس ٤٩/٢ تشبيه صدرها بتيوس الظباء والغنم ١٢/٥٠ بالزبيب ١٨/٦٨

تعبيه تدفقها في القتال بتدفق الماء ٤١/٢١ تعبيه جماعاتها في القتال بالجراد ١٢/٢٣ سرعة عدوها ٤٤/٢ تراقب رمح راكبها ٤١/٢ تبارى رمح راكبها ٦٤/٢ ، ٣٩/٢٩ ، ١٢/٧٦ ركضها ، تعبيه الراكض بالخالب ٦٥/٢ افتنانها في العدو ١٧/٦٨ تنير رائحة آباطها من العرق ١٣/٧٠ تطارد قطيع بقر الوحش ٤٧/٢ ـ ٤٩ ، ٢٧/٣ ـ ٢٨ ، ١٣/٤ ـ ٤٠ طول عنقها ، تعبيه بجذع النخلة ٤٥/٢ لاتنال يدالراكب رأسها ٣٦/٣ طول شعر عرفها ٤٥/٢ تبين الحق في قذالها (مؤخر رأسها) ٤٥/٢ طول خدها ٦/٥٤ طول قوائمها ٩/٧٦ متانتها ١٠/٧٦ تعجيها ٤/٢٧ طول سنابكها ٤١/٤ ـ ٤٢ صلابتها (تفتت الصخور) ٣٦/٢٩ لمعان جلدها ٦٠/٥ ، ٥/٢٢ ، ٥/٥٤ من سلالة (الصريح) و (أعوج) ٣٥/٣٠ ضمورها ٤٧/٣ ، ٢٥/٣٠ ، ٥/٤٥ ، ١٣/٧٠ ، ٤٣/٧١ ، ١٣/٧٦ تضميرها في الأصيل ١٠/٧٦ عليها الرحائل (سرج من جلود لاخشب فيها تتخذ للركض) ١١/٧٦ تصان بالجلال (الأكسية) ٤٩/١٢ تعلف الشعير ٤٩/١٢ تسقى اللبن ٤١/١٢ تحبس على العلف ١٦/٦٨ تحبس على المرعى الخصب البعيد عن الحي ٧/٥٤ ـ ٨ في الحرب : تأكل حوافرها ٥٨/٢ ، ٥٠/١٢ تنتف شعرها ٤٠/٣ ، ١٢/٧٦ الاتباع يقومون على خدمتها وخدمة الفرسان ٤٥/٣ ، ٥٣/١٣ ، ٤٠/٢١ تحمل عدة القتال وأدواته ٦/٤٥ تغادر صغارها في الطريق لبعد الشقة ٤٠/٣ زجرها في القتال ٤٣/٣ ، ٣٩/٢١ إعلاؤها ١٧/٥٦ طايبة بلوك اللجم ١٧/٥٦

(د)

الدرع :

تعبيه تموجها بتموج الغدير ٧٤/٢ ، ٣٨/٣٠ نسبتها لداوود ٥٨/١٥ ، ٤٥/١٢ تعبيه صوتها حين تحتك بحفيف الحصاد حين تحركه الريح ٤٧/١٢ وصفها بالبياض ٧٤/٢ منسوجة حلقتين حلقتين ٧٤/٢ محكمة النسج ١٠/٥٦ اتصالها بغطاء الرأس ٧٤/٢ يدخرونها الحزام ١٠/٥٦ خفيفة لاتعوق الحركة ١٠/٤٠ القتير (رءوس المسامير) ٤٦/١٢ سابغة فضفاضة ٢٨/٣٠ ، ١٠/٤٠ ، ١٠/٥٦ يذر عليها البعر ليصونها من الصدأ ٥٩/١ الدروع تحمل فوق الجمال ٥٨/١ ، ٤٥/١٢ ، ١٢/٦٢

الدموع : تشبيهها بدلاء الماء ٣/٥ ، ١/٦٨ باللآلىء ٤/٥

الدن : راجع (الخمر) .

الدهر :

تقلبه ونكباته ١/٣ ـ ٤ ، ٣/١٣ ، ٣/١٧ ـ ٤ ، ١/٣٣ ـ ٢ ، ١/٥٣ ـ ١١ ، ٢٦/٥٤ ـ ٣٢ كالمح بارد ٢٢/٧٩ يفرق الأحباب ٧/١٣ يحطم الرجال ٢٦/١٢ يرفع الوضيع ويخفض الشريف ٢٢/٧٩ اتخاذ العدة لنوائبه ٦١/١ تعبيه نكباته التي لا يستطاع دفعها بلين الناقة الجريرة التي لا يكفه الصرار ١٢/٥٣ تباعة الدنيا ٥/٣٣

الدية : دية القتيل ٢٦/٩ دية الأسير ٥٠/٨ الدية ألف من الإبل ٢٩/٧٧ التفخر بحمل الديات والمغارم ٢٩/٧٧ الحث على المساهمة في حلها ٦/٦٦ و ١٢ ، ٣١/٧٧

(ذ)

الذراع :

ذراع المرأة بيض محلىء بزينة الوشم ١٧/٥٢ تشبيه الذراع الموشوم بالجلد المزخرف المنقوش ١٧/٥٢

الذل :

تشبيه الرجل الذليل بالكلب في منزلة الطوق ٤/٥٠ راجع كذلك (الظلم)

الذم : راجع (الهجاء)

(ر)

الراية :

تخفق فوق الحاربين ٤/٤٠ تعبيرها بالعقاب الكاسر والهوي متعلقا في الفضاء ٧/٤٠ الكناية عن الهزيمة بتقويض اللواء ٣/٦٠

الرجل :

تعبيه بالسيف ٦٣/٤ ، ٣٨/٦ ، ١٣/٧ ، ٣٧/٢٩ ، ٥٥/٣٣ ، ٦٣/٤ وبالحية القاتلة ١٣/٣١ ، بفرع النبع ٣٨/١ ، بالفحل المتمر ٥٠/٣٣ يستمسك به النهام ٥١/١٣ ، مشرق الوجه يكشف الغدائه ٣٢/٣٩ ، وصفه بالتحول وعدم الترهل ٥٦/٢ ـ ٥٧ ، لا يدس للعرب طمعا في الغنيمة ٥٥/٢ منعم يلبس الثياب الرقيقة ٥٣/٣٣ ، تعبيه بالرمية في يد الموت : راجع (الموت) ، بالنهر وبالغيث وبالبحر : (الكريم) . بالأسد وبالسم (الشجاعة) ، وصفه بالقدرة . بالجمع بين الكرم والجبروت . بحمل الأعباء (القوة) . بالصبر على مكاره الحروب (الخلد) . بالوفاء (الوفاء) . بالهيبة (الهيبة) بالجود على الفقراء . بالجود قبل السؤال . بالجود من غنائم الحرب . بالإنفاق في القحط والجدب . بمجد المدة في العطاء (الجود) . بعلو الهمة (الهمة) . بإباء الظلم (الظلم) . بسداد الرأى ونفاذ البصيرة . بالحنكة في القتال (الحنكة) . بحفظ الجار والجارة (الجار) . بإثارة الحروب (الحرب) . بطول القامة (القوام) . بالحلم (الحلم) . بالوفاء للقبيلة (القبيلة) . بصلة الأرحام (الأرحام) . برعاية الأرامل والأيتام (اليتيم) . بفك الأسرى من الأغلال (الأسير) . بالمغامرة بنفسه لحسن الأحدوثة (الشجاعة) . بإنفاق المال لحسن الأحدوثة (الكرم) . باتخاذ العدة لنوائب الدهر (الدهر) . بمصاحبة الكرماء (الكريم) بحماية اللاجىء والمستغيث (الشهامة) بتعرضه للنكبات (الدهر) . بقدرته على الانصراف عن الحبيبة (الحبيبة) . بامتناع نفسه من النساء (المرأة) . بمخالفة الناصحين (النصح) . بعدم الاستماع للوشاة (الوشاة) . وراجع كذلك (السادة) و (الملوك) .

الشعر :

تشبيه بالناقة الفرية ٣/١٠ بنباح الكلب ٣٠/١٤ بالقراض ٣١/١٤ سيرورته ٣٨/١٨ ، ٤٢/٣٣–٤٣ ، ٥/٢٣ مواسم الشعر ٤٢/١٥

شعر المرأة :

لينه ١٣/١ ، ٧/٧٩ حرارته ٢/٦ ، ٨/٣٢ سواده ٣/٩ ، ٤/١١ ، ١٢/٢٠ ، ٩/٦٥ طيبرائحته ٧/٧٩ تشبيهه بالحبال ١٣/٥٢ بالخيصة (كساء مخطط) ٢/١٩

الشهامة :

مدح الرجل بحماية اللاجىء والمستغيث ٣/٢–٤ ، ٣٥/١٢ ، ٣٠/٢٩ ، ٢٤/٣٠ ، ٤١/٥٥

الشيب :

تشبيه بالخمار ٨/٥ بالحمل الثقيل ٩/٥ الشيب بسبب الهموم ٢٦/٩ كره النساء له ٣/١٠ – ٤ ، ٢/١٣ ، ٢٠/٢٠ ، ٥/٢٩ – ٩ ، ٣/٣٤ ، ٩/٦٣ ، ٢/٧٩

الشيخوخة :

تشبيه حنين الشيخ لوطنه بحنين الجمل العجوز ٦٠/٢ تشبيهها بالقيد ٣٨/١٢ حنين الشيخ للنساء ٢/٣٩

(ص)

الصائد :

تشبيه بالذئب ١٩/١٠ ، ٣٨/٥٢ تشبيه كلابه بالنشاب ١٩/٧٩ تشبيه وكره بالقسطل المتكوم (صغار النحل) ١٦/١٠ أغبر نحيل مظلم الوجه ٣٦/٥٢ – ٣٧ ذو صبية جياع ينتظرون صيده ١٢/٧٩

الصحراء :

تشبيهها بالبرد ٣٣/٢ و ٢٧ بظهر الترس ٣١/٦ ، ١٩/٣٢ ، ٥/٦٨ تشبيه نباتها بالبرود الزاهية الألوان ٤/٣ أعلامها بالرجال ٢٥/٨ رمالها بالجر ٤٠/٣٩ ظلامها بالثبة السوداء ٢٤/٨٢ مياهها الراكدة بالجين الخاثر ٢١/٨٢–٢٢ الريش فوق مناهلها المدفونة بنصال السهام ٩/١ تخرس المسافرين ٦/١ تخدع المسافرين وتتالهم ٢٢/١ مياهها راكدة متغيرة ٩/١ ، ١٠/٤ ، ٤٧/٣٣ ، ٢١/٨٢–٢٢ مناهلها داثرة مدفونة ٢٢/٢ و ٣١ ، ٢٢/٨٢ مسالكها مطموسة ١٢/٣ ، ١٣/٢١ يهماء (عمياء) ١٢/٣ ، ٤٠/٨٦ ، ٥/١١ قلة الماء فيها ٧/١ ، ٢٣/١–٢٤ ، ٦/١١–٧ وحشتها واتساعها ١٢/٣ ، ٢٠/٣٣ تعزف فيها الجن ١٠/٤ ، ٣١/٦ صوت اليوم ٤٠/٨ ، ٢٣/١٣ صرير الجندب ٣١/١٢ الدليل ٢٦/٨ خوف المسافر من الضلال ١١/٣ ، ٨/١١ ، ٣٠/٢٠ ، ٢٢/١٣ ، ١٣/٢١ و ٢٣ ، ٢٢/٣٤ ، ١٣/٥٥ بروز عينه من شدة الهول ٥/١١ يحرك فيها النعام بيضه ٥/١١ لا تأكل الناقة فيها إلا ما تجتر ١٩/٣٢ ، ٢٥/٦٣ إدمان الرحلة في الليل والنهار ٨/١ ، ٤١/٨ طول الليل على المسافر ٩/١١ اشتداد ظلمته (سواء فيه الأعمى والبصير) ٢٣/٨٢ الاهتداء بالنجوم ٩/١٧ ركود الشمس فوقها ٣٩/٣٩ تعم صخورها السوداء الصود والجود ١٩/٨٢ راجع كذلك (السراب) و (الرحلة)

الصلاة : صلاة الرهبان ٥/٦٣ في العشيات والضحى ٢٦/١٧

الصلع : تعيبه رأس الأصلع بالقاط ٦/٤٤ كره النساء له ٢/١٣

الصليب : تصويره في الهيكل ٥/٦٢

(ض)

الضيف : تعيبه بالكمأة (نبت ضعيف لاصق بالأرض) ٦/١٩ بالأرجل والأمعاء وتعيبه القوى بالصخر والمناكب ٥/٥٩

(ط)

الظعنة :

تحبس الجيل وتصدها عن الاخضاع ٢/٧٥ ينور فيها الزيت والفتل ٦١/٦ يغشى وشاشهبالفراش ٣١/٩ يندفع منها الدم على الحيزوم ٣٩/١٠ تضرب منها النساء بالنحور ٥٤/١٢ الطعن في الكلى ١٥/٥٣ إيقاد النار المطعون ٣١/٩

الطلاق : خير من العشرة النكدة ١/٤١ – ٢

الطيف : طيف الحبيبة ٩/١٦ – ١٠ ، ١/٥٥

(ظ)

الظبية :

متخلفة عن القطيع ١٠/٣٢ بين شجر الأراك ١٢/١ ، ١١/٣٢–١٢ ، ١٠/٥٢ ، ٤/٧٩ ، ٧/٨٠ تراعى طفلها الضعيف ١٣/٣٢ ، ٨/٥٢ – ١١ ، ٥/٨٠ حزنها على طفلها الذي افترسته السباع ١٨/٣٢ ، ٣/٧٢ ترتع في واد جاده مطر الخريف ٦/٥٢ ظبي صغير بالحم ضعيف المتكين ٦/٥٢ – ٧ ، ٣/٧٨ قرونها ١١/٣٢ تشبيهها بين الأشجار في اليوم الشديد الحر بالنساء خلف الستور ١٨/٨٢

الظلم :

مدح الرجل بإبائه ١/٥٥ ، ٣٨/١٤ ، ٥٢/٣٢ ، ١٥/٥٦ – ١٦ ذمه ٧/٥٦ توالى الظلم يستفز المظلوم ١٦/١٤ تعيبه المظلوم بالثور الذي يضرب حين تعاف البقر الماء ٢٥/١٤ – ٢٧

(ع)

العاشق : راجع (المحب)

العدو (بضم الدال) : راجع (الخصم)

(ع)

العدو (بمكون الدال) : تشبيه بالحريق ١٠/١٣ بثليان القتم ١٠/٢٣ الاقتتان فيه ١٠/١٤

العشا : ٦/١١ ، ٧/٨ – ٩

العطاء :

هبات الملوك : الابل ١/٤٦ ، ٣/٣٥ ، ٤/٤٠ ، ٥/٥٨ – ٥٩ ، ٥٥/٣٧ ، ٧٩/٢٦ – ٢٧ الجياد ١/٤٨ ، ٢/٤٠ ، ٣/٣٦ ، ٤٤/٤١ ، ٥/٦٠ ، ٥٥/٣٨ ، ٦٨/١٤ ، ٧٨/٢٥ الجوارى والقيان ١/٤٧ ، ٣/٥٢ ، ٧/٩ ، ٥٥/٤٠ ، ٧٠/١٠ – ١١ أكاليل الياقوت والديباج ١٣/٤٨ – ٤٩ آنية الفضة ١/٤٩ مائة ناقة ٣/٢٥ ، ٤/٤٠ ، ٥/٥٩ ، ٤/٧٦ ثمانون ناقة صفارا ٧٨/٢٦ قائد ٧/٨ غلام ٧٨/٢٧ استجداء الممدوح ٢/٧٦ – ٨٣ ، ١١/١٤ و ١٩ العفاة ؛ تشبيه عفواتهم بيت الممدوح بطوف النصارى بيت الوثن ٢/٥١

العمى : قائده — عكازته — تهيبه الطريق ١٢/٢٤ – ٢٩

العهد :

تشبيه بالحبل ٣/١٨ تعبيه الرجل بالأسد فى الدفاع عما أعطى من عهده ٤/٢٥ المحافظة على العهد ٦/٤٣ ، ٥/٥٤ الشاعر يأخذ العهود من القبائل التى يمر بها ٣/١٨ ، ٤/٢٠ ، ٣٣/٥٠

العين :

تشبيه عين الحبيبة بعين الظبى ٩/٣ ، ٧٧/١٣ ، ٨٠/٥ بعين بقر الوحش ٧٩/٥ نظرتها الفاترة بنظرة الظباء بين النخيل ٦٣/٣ حورها ١٢/٥٤ ، ٦٥/٨ فتورها ١٢/٦ ، ٧٧/١٤ قلة ١٦/٣ حسن الحاجب ٧٧/١٤

(غ)

الغارة :

الغارة الطويلة تركب فيها الابل وتجنب الخيل ١٩/٢٠ تأكل حوافر الخيل لطول الطريق ٢/٥٨ الخيل تغادر صغارها فى الطريق ٣/٤٠ الغارة فى الصباح ٤/٣٦ ، ٢٣/٩ الغارة فى الصيف ١٢/٥١

الغريب : أضطهاده وإيذاؤه ١٤/٩ – ١٣ و ١٩ – ٢٦

الغزال : راجع (الظبى)

الغناء : راجع الخمر : (بجلسها)

الغنائم :

تقى النقير ١/٢٣ – ٢٤ ، ٣٣/٤٠ من الابل ٨/٥١ – ٥٢ ، ٢١/٤٢ التفخر بالزهد فى الغنائم ٥/٤١ القائلون يسمون حيازتها ٦٢/١٠

الغواص :

مغامرته فى سبيل استخراج الدر ٨٠/٩ – ١١ مارد من الجن يحرس الدرة فى أعماق البحر ٨٠/١٢ – ١٣

الغية : تشبيهها بنحت الأثلة (شجرة) ٦/٤٦

(ف)

الفارس : لصوقه بالسرج مكباً على وجهه خشية السقوط ٢/٥٩ بصره بمواضع الطعن ٢/٧٥ ، ٦/٦٠ يحارب غير مستتر بالدروع ٣/٥٣ يصيح صيحة الفرح حين يصيب الهدف ١٦/٢٨ يلبس الدرع والمغفر ٢٠/٥٠ البيضة فوق رأسه ٤٠/٤

الفتى : يمتع نفسه من اللذات ٦/٣٨ ، ٥٥/١٢ تعبيه بالسيف ٦/٣٨ ، ٧/١٢ لو نادى الشمس أو القمر لأجابا ٧/١١

الفخر :

بمن قهروا من القبائل ٦/٥٣ – ٥٦ ، ٩/٩ – ١١ ، ١٥/٥٤ – ٥٧ بإذلال الخصم ١٠/٨ ، ١٥/٣٣ – ٣٤ ، ١٩/١٠ بمآثر الأجداد ١٠/٣٠ بسيادة القبيلة وأشرافها ١٠/٢٤ – ٣٤ ببذل المال للأهل والأقرباء ١٠/٢٥ – ٢٧ بصحبة الملوك ٦٣/١٣ بحول الملوك لمقاعدتهم ١٠/٣٠ – ٣٣ ، ١٣/٦٧ ، ٦٥/٣٩ بثبات القبيلة فى المكان الجدب المخيف ١٠/٣٢ ، ١٦/٣٦ – ٣٩ ، ٢٧/٢ بكثرة العدد ١٥/٣٢ ، ١٨/٢٧ و ٤٨ ، ١٩/٧ ، ٢٠/٣٥ و ٦٩ بكثرة الأولاد ٢٥/١٢ بالثروة ١٨/٢٨ ، ٢٥/١٢ بالاسراع لنجدة المستغيث ١٦/٤٠ – ٤٢ بفك أغلال الأسرى ٦٥/٢٧ – ٣٩ بالسبق إلى ورود الماء ٣٠/٦٢ بوفرة الطعام ومادة المائدة ٢٣/٢٤ – ٢٦ بالصبر على مكروه الحروب ٢٧/١٣ بسكنى البادية ومباهاة الأعراب ٢٤/٣٥ بامتاع النفس من اللذات (المرأة) و (الخمر) ، بالمنعة وحماية الحمى ٢٣/١٠ بحمل الديات والمغارم ٣٠/٢٣ ، ٧٧/٢٩ بالتغاضى عن المولى والصديق ٨٢/١٥ بكثرة الترحال ٤/٥٦ – ٥٩ ، ١٧/٥ – ٦ ، ٧٧/٢٦

الفراق :

وداع الحبيبة ٦/١ ، ٩/١ رحيلها ٣/١ ، ٥/١ – ٢ ، ١٣/٤ ، ٢١/٩ ، ٣٠/٢ – ٣ ، ٣٢/١ – ٥ حزنها الفراق ٢٢/٤ تعبيه أثر فراقها فى قلب المحب بصدع الزجاجة ٤/٨ ، ١٢/٢ – ٣ ، ٣٩/٤ ، ٦٤/٩ – ١٠

الفرس : راجع (الخيل)

الفقير : مدح الرجل بإعانته ١٢/٣٠

(ق)

القبيلة :

مدح الرجل بالوفاء لها والبرّ بها وإنجادها ٣/٢٩ و ٣٤ – ٣٦ ، ٤/٢٤ ، ٦/٢١ ، ٤٦/٦٩ ، ٩/١٠ – ١١ رأى الشاعر فى عتاب قومه ومنافستهم ٢٣/٧ – ٨ و ١٤ – ١٥ انقسام القبيلة وتعصب بعضها ضد البعض الآخر ٢٣/٩ – ١٢ الحث على إلانة الجانب للأهل ٦٦/١٣ الرجل يلق قيادة إلى قبيلته ٦٩/٣ تشبيه الذى يحارب الأهل بالذى يكسر رمحه فى صدره ٥٨/٤

(٧)

اسوداد لونها من البرد والجدب ٣٢/١٦ وتود تعب زوجها بدلاً من يموت من أولاده ١٤/٢٥ تخلى عن الرجل إلى أصابه مكروه ١/٤٧ تزعم أنها لا تطيق الحياة بعده فاذا مات سلته ٢/٤٧ تسترق النظر إلى الرجال من خلف الستور ٥/٥٢ من فساد الرأي أن يعلق الرجل بها قلبه فتملك عليه لبه ٢/٢٨ راجع كذلك (الحبيبة) و(السبية)

المرض : تشبيه المريض بالأسير ٢/٣٦

المطر : راجع (السحاب)

الملوك :

السجود لهم ٥/٤٩ تحيتهم بالرياحين ٥/٤٩ هباتهم : راجع (العطاء) تشبيهم بالرهبان فى الدنوى ٥/٦٢–٦٤ بالهلال ٣٤/١٢ وصفهم بالترقد واليقظة (وارى الزناد) ٥/٦٥ – ٦٧ ، ٤٣/٨ متوجون ٥/٧٠ يتعصب فوق التاج بأكاليل الياقوت ٤٧/١٣ – ٤٨ يقضي الليل فى التدبير وفى إنفاذ مادبر ١٣/٢٨ يثير القطا من مكمنه ١٤/٢٨ يستشير بطانته ٥٧/١٣ يشرب الخمر مع الندماء ويستمع الغناء ١٦/٦٣ اجتماع أصحاب الحاجات حول بيته ٤٣/٧٠ خشوعهم بين يديه ٥/٧٠

الموت :

تشبيه بالكأس المرير ٩/٤٠ بالعقال ٧/٦٠ ، ٨/٧٢ الكناية عنه بجفاف الرطاب (سقاء اللبن) ٧/٢٦ تشبيه الانسان بالرهينه فى يده ٢/٧ تشبيه القتل بإراقة ماء الدلو والقدح ١/٦٤ و ٧١ لا يدفعه تجنب أسبابه ٢/٥ – ٧ ، ١٢/١٣ يلحق الملوك ويطوي ملكهم وأسباب ترفهم ٢/٨ – ١٠ ، ٥/٣٣ – ١٨ ، ٦/٣٩ – ١١ كل من على الأرض إلى زوال ١/٦٠ الموت فى ساحة القتال شرف ٧/٦٢ عدم مبالاة الموت ٣٧/٢٣ – ٣٨

الميتة : النهى عن أكلها ١٩/١٧ ، ١١/٦٥

الميسر :

الياسر ينفق ما كسب على الفقراء ١٨/٤٩ الفخر بالميسر فى الجدب ٤٢/٣٣ ، ٢١/٣٨ – ٢٢ وراجع كذلك (النهار)

(ن)

الناقة :

تشبيهها بحمار الوحش ١/٢٧ – ٣٢ ، ٩/١٠ – ٢٤ ، ١٠/٢١ – ٣١ ، ٨/٣٠ ، ٩/٣٦ – ٢٧/٣٣ ، ١٠/٣٤ ، ٣٠/٦٥ – ٣٤ ، ١٧/٧٦ – ١٨ بثور الوحش ٢٨/٣٣ – ٣٤ ، ٣١/٥٢ – ٤٣ ، ١٦/٥٥ – ٢٩ ، ٢٥/٦٠ – ٢٨ ، ١١/٧٩ – ٢١ ببقرة فقدت ولدها ١٨/٧ ، ٣٠/٨ – ٣٧ ، ٢٨/١٣ – ٤٠ بالنعامة ١٤/٣٤ و ١٦ و ٢١ بالنخلة ١/٤٦ ، ٤٠/٤٤ ، ٣٤/٣٨ ، ٣٧/٥٥ بالشجرة الضخمة ٣/٢٧ بالبكرة ٢٨/٥٢ بالفحل الهائج ١٦/٤ بالقصر المشيد ٢٧/٧٨ بالبنيان الضخم ١٢/١١ ، ٨/٢٨ بالبرج ١٩/٣٤ ، ١٠/٧٩ بالصخرة ٣٢/١٢ بقطعة من الجبل ٢٣/٦٥ بالسلاح ١١/٢٨ بالقسى ٨/٣٥ بالمحموم الذى تهكته الحمى ٤٥/٣٩ كأن فى رحلها هرا ينهشها ١٣/٣ كأن بها مسا من الجنون ٢٧/٣٣

تشبيه الإبل بتطيع بقر الوحش ١٨/٥ بالجراد ٢٧/٧٩ بالرياض المعشبة ٢٧/٧٩ تشبيه ميكاها بسرير الميت (الاران) ١/٣٥ ذنبها بقنو النخلة (العثق) ٢٦/١٣ ، ٨/١٠ مرتها حين يطبخ لحمها بالورس المدوف وبالدبس ٣٤/٦٥ صاحبها حين يستنزف قواها بالذى يشرب الطل بعد النهل ٢٢/٦٣ حفيفها بحفيف ذكر النعام حين ينشر جناحيه ١٢/٢٩ تحتقر الظلماء ٢٤/٦٣ تجترع الآكام ١٥/٢٩ تشق الليل وبرد الصباح بعنقها الطويل ١٣/٢٩ تسمينها قبل الرحلة ١٩/١ ، ٢/٢٥ – ٢٦ ، ١٩/٥ – ٢١ ، ٦/٢٨ – ٨ تعلف النوى المدقوق بالأعصاب والشعير ٦/٢٨ تكليفها الرحلة فى الهاجرة ٢١/١ و٢٥ – ٢٦ ، ٣/١٤ ، ١٢/٣٣ ، ١٣/٢٤ – ٢٥ ، ٧/١٥ ، ١٠/١٧ ، ١٣/٢١ ، ١٤/٢٩ ، ٣٠/٣٦ إعزالها بالرحلة ٢/٢٧ ، ٣/١٦ ، ٥/٢٤ – ٢٦ ، ٩/١٠ ، ١٠/١١ ، ٢٧/١٣ و ٤١ ، ١٤/٢٢ – ١٦ ، ٩/٢٨ – ١١ ، ٤٢/٣٩ تنكر لراكبها الحفى والكلال ٢٣/١ – ٣٧ ، ٢٧/٥ – ٣٨ ، ١١/٣١ تكلف المناصف الرحلة المسدوح ٢٩/٢ ، ١٢/٢٨ ، ١٠/٣١ ، ٣٠/٥٥ تخرج الظبي من كناسه ٢١/٧ تثير القطا ٢١/٧ تثير الحصى ٢٦/٦٣ تستخف بالردف ٣٣/١٢ ، ٢٥/٦٣ ، ٦/٦٨ تصبر على الجوع ١٩/٣٢ ، ٢٠/٦٣ يرجف فوقها الرحل ويضطرب ٢١/٦٣ تحيد عن ظهر الطريق وتهتدى ١٠/٢٨ تدمن السير ولا يعتريها الكلال ٨/٣١ – ٩ ، ٢١/٦٣ و ٢٦ – ٢٨ لا تهزلها الرحلة ٩/١٥ منع عنها الفحول وادخرت للرحلة ٢٦/١٣ ، ١١/٢٩ ، ٢٨/٥٢ اختيارها للرحلة من بين مجموعة من صاحباتها ١٠/٣ ، ١٨/٤ ، ١٨/٥ و٢٣ تراقب السوط ٢٨/٢ ، ١٥/٥٥ تضرب من السوط ١٧/٤ كتوم الرغاء ١٨/٤ أثر النسوع فى جنبها ٢٥/٥ أطيطها ١١/٣٩ تلاحم فقارها ٢٦/٥ ، ١١/١١ و ١٣ ، ١٩/٤٤ ، ١٠/٧٩ احمرار لونها لحسن المرعى ٨/٥ كأنها مطلية بالزعفران ٢٦/٧٩ صلابة أخفافها ٢١/٣٢ و٢٣ ، ٣١/٣٦ ، ٢٦/٦٣ لين قوائمها ٨/١٠ دقة رأسها فى موضع الخطام ١٣/١١ اكتنازها باللحم ٢٨/٨ تعب أنفها وشدها بالخزامة ٢٤/١٥ هدير الفحل وإرغاؤه ٢٠/٣٤

النبال : تشبيهها بالنحل ٢٢/٢

النحل :

جامع عسل النحل من الجبل يرقى إليه فى الحبال ٢٠/٥٢ يدخن النحل ليطرده حتى يتمكن من جمع العسل فيطن النحل من حوله ٢١/٥٢ – ٢٣

النخيل :

إمراتها فى الحروب ٥٦/١٥ – ٥٧ ، ٩/٣٨ – ١١ تعبيتها وقد أحرقت بالنوق المزيلة العجاف ١١/٣٨

الندم : النادم يحتسى جرعا من أنفاسه ٦٥/١٣

النديم : راجع (الخمر)

النشاب : يسمع لوقعه فى الجلد طنين ٢٢/٥٦

النصح : إعراض الرجل عن الناصحين ٧/٨

النعامة : تبارى الظليم فى الصحراء ١٦/٣٤ ــ ١٨ و ٢١ ــ ٢٢
النهد : بروزه ١١/١٨ تشبيه بالرمان ١١/٢٢

(هـ)

الهجاء :

تعييه بالقدر التى تغلى ونفور ٤٩/٤ ــ ٥٠ بالعقارب ٢٤/٥٤ بعاء المفتر ٧/٧٣ بالرقعة فى الثوب ١٨/١٩ بالابل الفاردة ٢٤/٣٤ بالنكل فى الأنف ٧/٩ ، ٢٩/١٠ ، ٢٩/٢٠ ، ٥٧/٣٦ يداوى من داء الكلمح ٥٠/٣٦ يقطع عروق العويين ٥٦/٣٦ يذكر الجانى بجنايته ٥٧/٣٦ بظلم الصديق وجبه مما أصاب المهجو من عار ٦١/٣٦ تخب به الركاب ٢١/٥٤ الهجاء بالبخل ٤/٧ بالانقياد للملوك وقبول الحياة فى ظلهم وتعشيم ٢٧/٩ ــ ٢٨ ، ٢/٢٦ و ٥ بسرقة الابل فى الليل ٢١/١٠ ، ٢٠/٣٠ بنبش القبور وسرقتها ٧/٥٠ ــ ١٠ بأكل دم الفصيد ٢٦/٢٣ بالاعتماد على الزراعة ٣٣/٣٤ــ٣٤ ، ١/٦٦ يسكنى المدن ٣٤/٣٤ هجاء الرجل بتفضيل بعض قومه عليه ١/٢٤ ــ ٢ فى العروبة من المهجو ونسبته إلى النبط ٣٢/٣٤ هجاء الرجل بأنه دعى ٢/٥٠ بأنه لاولد له يقوم مقامه إن مات ١٠/٦٢ الهجاء بالأم ٢/٧٣ و ٨ أهل نخيل وتمر ١١/٦٢

الهم : ينتاب فى الليل ٤/١٤

الهمة :

مدح الرجل بعلو الهمة ١٩/٣ ، ٣٣/٥٥ ــ ٣٤ ينهض الحرب حين يلتذ غيره بالنوم ٣٣/٢٩ ــ ٣٤

الهودج :

يغطى بالفرش الملونة الحمراء ٣٠/٥ يفرش بالبسط الموشاة وتنثر عليه الوسائد ٢٦/٣٣ ، ١٦/٦٥ تعبيه بالروضة المزهرة ٢/٢٢

الهبة : مدح الرجل بأنه موهب ١٤٤/١/٤٧

(و)

الود : تعبيه بالحبل ١١/٤ ، ٣/١١ ، ١/٧٩ ، ٢/٨٢

الوشاة :

يفسدون على الرجل أصدقاءه ٣٧/١٤ ، ٢/١٥ الاعراض عنهم ٦/١٣

الوفاء :

مدح الرجل به ٤٣/١ ، ٥٤/٥ ، ٢٦/١١ ، ١٠/٢٥ و ١٩ ــ ٢١ ، ١٦/٣٥ الحث على إنجاز الوعد ١٢/٦٦ على الوفاء بالأمانة ١٤/٦٦

الوقار :

مدح الرجل بأن الخمر والهو لايخرجانه عن الوقار ٤٣/٣٢

(ى)

اليتيم :

مدح الرجل برعايته ٤٦/١٣ ، ٢٨/١١ ، ٨/٦٠ ــ ٩/٧٢ ، ٩ ــ ١٠

فهرس اللغة

(خ)

« ص »

(ن)

فهرس

بمواضع الخلاف بين هذه النسخة والنسخة الأوربية

رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الأوربية
٢٢/١	تَغَوَّلُ	تَخَيَّلُ
٦٥/	همة . . ورعالا	نحة . . ورعال
٦٩/	دودان	ذودان
٧٠/	حالة عن حال	آلة عن حال
١٠/٢	أقاد	وزال
٢٦/	الدجن	الضجن
٣٩/	الدَّجَنّ	الضَّجَنّ
٥٦/	أثبت رواية البيت عن الموشح للمرزباني	وهي بياض في النسخة الأوربية
٥٨/	تحت . . حت	تحت . . حث
٣٧/٣	خطام	مجزاء
٤٧/	شزبا	الظبا
٤٨/	جزأ	جر
١٧/٤	بالسراب	بالسراة
٢٤/	والرجم	والعظم
٢٥/	كالقيظ	كالقيط
٣٩/	بما عونه	بما عنده
٤١/	الحصاب	الطريق
٥٠/	سورة	عورة
٥٥/	الطرف	الطرف
٥٦/	فأوريشلم	فأوريسلم
٦١/	تضرب	يضرب
١١/٥	المسترأة	المشترأة
١٥/	فابتدأوا	فاستزاروا
٢٥/	بَيْنٌ	أَيْنٌ
٢٦/	الأسليل	الشليل
٣١/	تقول ابنتي	أقول لها
٣٢/	وإلا قومنا	قومنا مالكا
٣٣/	الجارا	الحارا
٥٨/	العشار	الركاب
٦٠/	كميت	طويل
٨/٦	صفر . . . وملء	ملء . . . وصفر
١١/	يصرعها	تصرعه
٣٦/	الأجواع	أجواع
٥٦/	حق	حث

رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الأوربية
٦٠/	تخضب . . . من	تطمن . . . في
٦٢/	خطت . . تحذى . . إليه	حطت . . يحذى . . إليها
٦٥/	العين ضاحية	العقو ضاحية
٦/٨	تيسا	نعم
٢٤/	تحور	تخور
٣٤/	لقضاء	لقضاء
١١/٩	صائغ	صانع
٢٠/	لهان	فهان
٢٣/	إن جد التقاطع بيننا	بالله الذي أنا عبده
٢٤/	وتترك	وتترك
٢٥/	ألصر	اقصد
٢٦/	وتندى	وتهدى
٣٣/	وتلق . . . يلق	وتلق . . . يلق
٢١/١٠	طلها	طلها
٢٦/	فقال له	فقال لها
٢٧/	أثار له	أثار لها
٢٨/	عذراتها	عزراتها
٣٥/	مبجلا	معزيا
٨/١١	الجيس . . يروم	الجيس . . . تروم
٩/	بوانى	تُرَاهِنُ
١٢/	كميت الصيدلاني	كدور الصيدناني
٣٣/	تخيرهن	تخيرهن
٩/١٢	ساق	شاك
٣٤/	أزكى	أذكى
١٤/١٣	كمثل التي	كمثل الذي
١٥/	القراب	القراف
٤٢/	فزعا	فرعا
٤٤/١٣	المذورة القزعا	المضورة القزعا
٥٨/	قد كاد	قد كان
٦٢/	لما رآم	لما أتوه
٦٩/	النصيح	النصح
٣٣/١٤	بالمنيب	بالجيب
٣٨/	وام	دام
٤٣/	لم يبل	لم يطل
٨/١٥	غصبة	حصة
٩/	ينقض	ينفض

(تابع) فهرس مواضع الخلاف بين هذه الطبعة والطبعة الأوربية

رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الأوربية
١٣/	يشد كالقاب الحريق	بالقاب شد كالحريق
٣٠/	جاوزنه	جاوزنه
٤٤/	والمقاض بن جرهم	ومده وابن جرهم
٥٠/	وغلى	وخل
١١/١٦	دونها	ذونها
١١/١٧	احردا	أجردا
٧/١٨	تفي	تبى
٨/	تسارق الطرف	داعرة تدعو
١١/	صدرها	نحرها
٢١/	تمارتها . . والناظر	تداريتا . . والآثر
٢٥/	وكم ساخر	ومن ساخر
٢٨/	فى الأثرين	بالأثرين
٣٠/	نظره . . الناخر	لجره . . القاجر
٣٨/	مستوسق	مستوثق
٣٩/	أمه	آمة
٤٦/	ضا ثرى	صابرى
٤٧/	إن ثمرت	إذ ثمرت
٥/١٩	نهيت	نهيب
١٠/	الناكو . . تأكلون	الناكى . . يأكلون
١١/	غرثى	جوعى
١٢/	الطالعات النواخصا	العائدات القوامصا
١٤/	لكنتم . . لكنتم	لكنا . . لكنا
١٥/	مراخصا	مراقصاً
١٦/	جديد . . واحجار	حديد . . وأعجاز
٢١/	كنتم	أنتم
٤/٣٠	الأريكة	الأراكة
١٣/	ومعصبا مل‌ء	وساعداً مل
٢٢/	آتى الله	آتى الله
٢٦/	تفتق	تعتق
٣٣/	والصدارة	والصبارة
٤٢/	للأسنة	بالأسنة
٤٣/	وتسير	ويسير
٤٧/	يصدق	يكذب
٥٨/	ونكون	وتكون
٣/٣١	مضى	ذيا
١٦/	شى . . مالها	حولا . . ثالها
٣١/	الظلم . . تخومه . . عنالها	العزم . . تراية . . يخالها
٤١/	القرى	القوى
٢١/٢٢	ومزحزنا	ومزمزنا

رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الأوربية
٢٥/	أعتابها	أعرابها
٢٩/	بحجابها	لاذعابها
١٢/٢٣	بطىء	سريع
٢٦/	تقصدونها	تقصدونها
٨/٢٥	غسق	غشق
١٨/	كالذع	كالذرع
٤/٢٦	تميت ضباع	تميت ضباع
٧/	لديه	لديك
١٠/	تمشى النواظر فخمة . . أكنافهن الرواحل	تمشّى النّواضرُ فخمةُ . . أكنافهن الرحائل
١٤/٢٧	ليرمينا	ليرمونا
٢/٢٨	بمانية	بمانية
٥/	مروح	مريح
٦/	الرضيخ	الرضيح
١٢/	كلاهما	كلاهما
١٤/	يمت	ينمت
١٥/	مرصد	مرقد
٢١/	يطاق	يصاق
٢٣/	إلى جنب	لدى جنب
٢٨/	يلاق	بلاق
١٨/٢٩	صرحت	سرحت
٨/٣٠	تضمنها . . . بيان	تضمنه . . . بلهان
١١/٣١	تهمي	ترى
٩/٣٢	تايس	طاس
١٧/	مغلاق	علاق
٣/٣٣	هين	إن (وهو الصواب ولربو تصحيفه)
٧/	وحصن	وورد
١٧/	يمال	تمال
٢٠/	بشباة	بشباة
٣٥/	أنجى	أدلى
٣٦/	طرفا	قرة
٤٣/	أنساع المطى	آطراف الجبال
٥٧/	السيح	الصبح
٥٩/	وسوفاة	وسوذال
١/٣٤	قمت	ومغنى
٣٣/	تطرّ . . يحصدا	تمتع . . . يحصدا
٥/٣٦	بالقرى	بالقوم

(تابع) فهرس بمواضع الخلاف بين هذه الطبعة والطبعة الأوربية

رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الأوربية
١١/٣٦	وغزا	وعزا
٢٢/	تفتري	يفتري
٣٣/	تبتني . . وتجتاز . . نارك	يبتني . . ويجتاز . . ناره
٣٢/	ثراه فلقا فراسنا	فَثَدَاهُ رُمّانٌ خُفُّها
٣٥/	في باطية	من باطية
٣٧/	الازباد	الازباد
٣٨/	جانباها	جانباه
٥٠/	قليل	كريم
٥٥/	كل مايحسم	كلما يحسن
١١/٣٨	كالحشن	كالحسن
١٢/	تكسف	تكشف
١٧/	لبونه إحتاما	لبونه أحتاما
٣٦/	المطاردون عن	المطار دون عن
٢/٣٩	وتصبر بعد	تصبر وبعد
١٢/	تحابها	تحابيها
٢٢/	ائتلاق	ابتلاق
٣٣/	تامورة	تامورة
٣/٤٠	السماة	السقاة
٩/	وأدلت	وأذلت
٤/٤٣	أجلبت ميمون	اجلبت ميمون
١٠/٤٤	حفرا	خفرا
٧/٤٦	وارحم	وارحم
٤/٤٧	بالأعداء	الأحياء
١/٤٨	صعدن	صعدت
٢/	لآنية . . موعود	لآنيه . . موعودي
٣/٤٩	بمذرعة	بمزرعة
٣/٥٠	الغمر	بغمر
٤/	كلابِ عِقْدِ	كلابُ عقْدُ
٥/	يمزون	يغزون
٢/٥١	بالسجيل	بالصمية
٧/٥٢	المقلتين	الماقين
٨/	ولا . . يجزل	لما . . ويجذل
٢٠/	أموي	هوى
٢١/	الوقود	القمود
٢٤/	صدقته . . تقول . . عدات	صدقته . . يقول . . غدات
٢٥/	ماشئ فلا تعطي	مَعْ لاهيٍ تعطيني
٣٦/	غيا مثل القناة	حثيلا كالقبيط
١٤/٥٣	لامه	الهم
١٦/	تضح	نصح
١٢/٥٤	نجروا	نجيروا
٤/٥٥	بيتها	بيتها
٣٦/	أبا فأبا	أبي فأبى
٣٢/	مأتما	مأتما
٢/٥٦	منتجا	منتحا
٩/	يمد	بمدا
٢٦/	الروع	الروع
٤/٥٨	أرماتكم	أرماحهم
١/٥٩	تميم	تمير
٣/٦٠	نوبه	توجه
٦/	دمائنا . . وكرت	دمائنا . . وكنت
٣/٦١	لوجوهم	لوجوهم
١/٦٢	لتبا	لهب
١٥/	أبو شريح	أبو حريث
٢٠/	تنفك تطعمهم	تنفك تقتلهم
٢٤/	غيرة	عبرة
١/٦٣	بحقوف	بحلوق
٧/	حرت	سجرت
٩/	مسدوف	مصدوف
٢٥/	الصريف	الصديف
٢٦/	ذاهباب	ذاهبات
١٤/٦٤	نمالج	تمالج
٣٠/	أبو مالك	أبو هلك
٣٤/	وقاقزة	وفي قزة
٣٥/	تحسب	يحسب
٣/٦٥	كنود	كبود
٦/	ومضربا	ومشربا
١٦/	العبقرية	القنطرية
١٨/	احزأت	اجزأت
٢٧/	القريد	القريد
٣٠/	النواصف	المناصف
٣٢/	والقفود	والقمود
٣٧/	فانك	. . . حالك
٣٨/	تنيه	تليه
٤٠/	يريد	تريد
٥/٦٦	الثلايا	البلايا
٢٥/	لاتبع	لاتم
١٦/	كنت	كان
١/٦٧	منتبا	مقتبا
١٣/٦٨	أعدائه	أعداؤه
٢/٦٩	تأتيكم . . أو تنالون	تأتيكم . . أو ينالون

(تابع) فهرس بمواضع الخلاف بين هذه الطبعة والطبعة الأوربية

رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الأوربية	رقم القصيدة والبيت	هذه الطبعة	الطبعة الأوربية
٣/٦٩	يجملوه	تجملوه	٢٥/	وتنتلى	وتمتلى
٤/	الحنقا	الحنقا	١/٧٨	هوم .. وادكار	هوما .. وادكارا
٨/	ما أخف	أما خف	٣/٧٩	تسكهته	تسكمتها
١٠/	تحيد غير أثيبهم	يحيد غير آبيهم	٤/	تقرو	يقرو
٦/٧٠	السايل	المسائل	٥/	الذئاب	الذباب
٧/	فماذوا	فمادروا	٢/٨٠	ودائى .. غلقا	ودائى .. علقا
١٥/	النياطل	المياطل	٨/	ازل	الذل
١٨/	ترم	يرم	١٣/	يطيف	يطيق
٣/٧٢	جابة	جابة	١٤/	لبالَى	لَيالِى
٦/	تخشون	تخشون	٥/٨٢	تعترى .. تؤدى .. حلوها	يعترى .. يؤدى .. حوطها
٨/٧٣	لأمك	لأمرك	٣/	ينيرها	تبيرها
١٠/	تسكتفيه	تسكتنيه	١١/	السنان	السياف
١٢/	القارجين	الدارجين	١٢/	جال	حال
٤/٧٧	تباشت	تبايدت	١٣/	أبد نظيرها	أيدى نظيرها
٢٦/	تهالك	هنالك	١٤/	يمنع	تمنع
٢٢/	شبذارة	شمذارة	٢١/	ضَرى	ضَرّى
٢٤/	زانيا	زانئا	٢٤/	صوح .. وساج	صوحاً .. وساجاً

استدراك وتصويب

بعض ما فى هذا الفهرس من أخطاء الطبعة ، وبعضه الآخر مما سبق به القلم ثم تبينت خطأه ، أو فاتنى ثم استدركته . وقد عنيت فى هذا الفهرس بتصحيح أخطاء النص الشعرى خاصة . واكتفيت فيما عداه من شرح أو تعليق بالضرورى والمهم ، متجاوزا عن بعض الهنات التى لايسلم منها مطبوع ، من مثل أخطاء النقط ، التى يسهل الاهتداء فيها إلى وجه الصواب من سياق العبارة .

(١) فى المقـــدمة

الصحيفة	السطر	الخطـــــــأ	الصـــــــواب
هـ	١٤	محمد أفندى عبد اللطيف الشويمى	مصطفى أفندى عبد اللطيف
ط	٦	، ب بدلا من	~ بدلا من.
ى	الهامش س١٥	١ : ٣٣٠ ١٢ : ٢٠	١٢ : ٢٠ ١٦ : ٤٢

رقم القصيدة والبيت: في النص	في النثر	في هامش النص	الخطأ	الصواب
٢ : ١			طُولَ	طُولُ
٢ : ١٤			أَشْرَبَ	أَشْرَبُ
		٣:(١٢—١٤)	خدام الإبل سيور فوق أرساغها تشد إلى السرائح	.. تشد إلى سرائح النعال (أي سيورها) . والنعل طبق من الجلد تلبسه الناقة في أخفافها تصونها . وهو للناقة كالحدوة للحصان .
	٣ : (١٠-١١) السطر الأخير		فتضطرب السيور التي . . .	فتتساقط النعال التي تصون أخفافها وقد تقطعت سيورها .
٤ : ٥٢			مِنْ عِنْدَنَا	من عِنْدِنَا
٥ : ٣٣			دُبُكَمْ	دُبُكُمْ
٥ : ٣٧			الحَمَارَا	الجَمَارَا
		٥ :(٤٢—٤٤)	الغبوق شرب الصباح	... شرب المساء
٦ : ٢٦			مُسْقِطُهُ	مَسْقِطُهُ
٨ : ٣			نُمِيطِي	نَمِيطِي
		١٠:(١٥—١٨)	أي ليس عندي يقدر القوت	يضاف بعد ذلك : ويروي (أقاتها) — بضم الهمزة — من أقاته ، أي أعطاه قوته . ويروى كذلك (أفاتها) — بالفاء — من أفاته الأمر ، أي جعله يفوته . فالحر لا تفوته على أية حال .
١١ : ٢٧			ثُلْمَةٍ	ثُلْمَةٍ
	١٢ : ٥٢		مكان الخوف	مكامن الخوف
١٥ : ٥٦			يُحَرِّقُ نَخْلَهُ	يُحَرِّقُ نَخْلَهُ
١٦ : ٣٩			لَمْ يُزْوِهِ	لَمْ يَزْوِهِ
		١٦:(٣٩—٤١)	لم يخوه	لم يزوه ... زوي الشيء يزويه (كضرب) نحاه وصرفه .
	١٨ : ٤٦		وما انطوت عليك	. . . . عليه
	١٩ : المقدمة (س ١)		في تغيير عقدة عليه	.. داس ...
٢٠ : ٣			ضَحْوَتَهَا	ضَحْوَتُهَا
		٢٠:(٢٦—٣٠)	يلحق نسبهم إلى قيس عيلان	.. إلى غطفان من قيس عيلان
٢٥ : ٣			وأَمْنَعُهُمْ	وَأَمْنَعُهُمْ
	٢٨ : المقدمة (س ١١)		في ولاية المغيرة بن عبة	.. ن شعبة
٢٨ : ٢			تُبْعِثِرُ	تُبَعْثِرُ
		٢٨:(٢٦—٢٨)	المعد أي المد من أعد	...من عد (بفتح الفاء)

« تابع » (٢) فى الديوان

رقم القصيدة والبيت: فى النص	فى النثر	فى هامش النص	الخطأ	الصواب
٣٠ : ١٠			وآخَرُ	وآخَرُ
٣٠ : ١٨			الأَفَاذُ	الأَفَاذُ
		٣٦:(٥٢ـ٥٣)	الكشح المعمر	الكشح الجنب
٣/٣٣			هجن	بن
٤٠ : ٨			رحى	رحى
		٤٠:(٧ ـ ٩)	ماهنا موصولة ، مفعول أحوا	... مضافة إلى حى
	٤٤ : المقدمة (ص ١)	٤١:(١ ـ ٣)	وأنت (طارقة)	وأنت (طارقة)
			فى هذا الرجز إقواء	... إقواء
٥٣ : ١٣			أقسمتم	أقسمتم
		٥٦:(١٨-١٩)	(السيرة : ٦٦)	(السيرة ١ : ٦٦)
	٦٣ : هامش ص ٢١٢		(١) سيرة ابن هشام ٤٤:٢٥٤	٤ : ٢٥٤
٦٣ : ٢١			مِنَ النَّوَاعِجِ	مِن النَّوَاعِجِ
	٧٦ : المقدمة (ص ٢)	٦٦:(٤ ـ ٦)	الرباعة لا ...	الرباعة الحالة ...
			وبلا للأعشى قصيدة واحدة وهى (٦٨)	. . . (٧٨)

(٣) فى الفهارس

رقم الفهرس وموضوعه	الحرف والمادة	الخطأ	الصواب
(٢) فهرس الفنون الشعرية	غزل	١/١ – ٥و ١٠/ـ١٧	١/١ — ٥ و ١٠ — ١٧
(٣) فهرس الأعلام	حرف الحاء (الحارث)	راليم (حرث)	.... ، (حريث)
	« الميم (أبو مالك)	١٦/١٥	٦١/١٥
	« الهاء (هريرة)	٦/٧٨	٢/٦٢
(٤) فهرس القبائل سقط هذان الاسمان فأرجو إثباتهما	« الثاء (ثعل)	....	ثعل ١٥/٧٩
	« العين (عوص)	....	عوص ١/٦٦
(٥) فهرس الأماكن سقطت هذه الأسماء فأرجو إثباتها	« الباء (برم)	....	برم ٢٦/٧٨
	« الحاء (حضن)	....	حضن ٢٦/٧٨
	« الزاى (زرود)	....	زرود ٦/٦٥
	« الميم (مصر)	....	مصر ٣٥/٥٥
(٧) فهرس المعانى والصور	« الكاف (الكير)	وبالكافور ٦/٢٠	٦/٨٠
	« الحاء (الحية)	بسبب : هوصه ١/١٨، ٣/٢٣	بسبب هوصه : ١/١٧، ٥/٢٣
	« « «	وصدها ... ٤/٨٠ ... ١/٢٢٠ ... ١٢/١٢٠ — ١٣	...٣/٨٠ ... ١/٥٢٢٠ ... ١٣/١٦٦ — ١٣
	« « «	مشيها : ... يعنى الثعبان ٢/٢٠	... ٦/٢٠
	« « (الحرب)	الحرب فى الصيف ٥/١٢	٥١/١٢
	« « «	(تعبس الوجوه — تلس الشتاء ... الخ)	
	(ص٣ العمود الثانى)	٤٢/٢٥٥٤/١	٤٢/٢٠٠...
	« الميم (السادة)	يتجاوز الحيات (حيات الثقل)	
		٣٨/٣	٣٨/٢٠
	« النون (الناقة) (ص٣٠ العمود الثانى)	علام هارها ... ، ١٩/٤٤	١٩/٣٤٤...

« تابع » (٢) فى الديوان

رقم القصيدة والبيت: فى النص	فى النثر	فى هامش النص	الخطأ	الصواب
٣٠ : ١٠			وآخَرَ	وآخَرُ
٣٠ : ١٨			الرُّقَادُ	الرُّقَادُ
		٣٦:(٥٢-٥٣)	الكَشحِ المعر	الكَشحِ الجنب
٣٣/٣			هجن	ين
٤٠ : ٨			رحّى	رحَى
		٤٠:(٧ ـ ٩)	ماهنا موصولة ، مفعول أحوا	... مضافة إلى حى
	٤٤ : المقدمة (ص ١)	٤١:(١ ـ ٣)	وأنت (طارقة)	وأنت (طارقة)
			فى هذا الرجز إقواء	... إقواء
٥٣ : ١٣			أقسمتم	أقسمتم
		٥٦:(١٨-١٩)	(السيرة : ٦٦)	(السيرة ١ : ٦٦)
	٦٣ : هامش ص ٣١٢		(١) سيرة ابن هشام ٤٤:٢٥٤	٤ : ٢٥٤
٦٣ : ٢١			مِنَ النَّوَاعِجِ	مِن النَّوَاعِجِ
			الرباعة لا إله ...	الرباعة الحالة ...
	٧٦ : المقدمة (ص ٢)	٦٦:(٤ ـ ٦)	وبلى للأعشى قصيدة واحدة وهى (٦٨)	. . . (٧٨)

(٣) فى الفهارس

رقم الفهرس وموضوعه	الحرف والمادة	الخطأ	الصواب
(٢) فهرس الفنون الشعرية	غزل	١/١ – ٥و١٠/١–١٧	١/١—٥ و ١٠—١٧
(٣) فهرس الأعلام	حرف الحاء (الحارث)	رائيم (حرث)	..... (حريث)
	« الميم (أبو مالك)	١٦/١٠	٦١/١٥
	« الهاء (هريرة)	٦/٧٨	٢/٦٢
(٤) فهرس القبائل سقط هذان الاسمان فأرجو إثباتهما	« الثاء (ثعل)	....	ثعل ١٥/٧٩
	« العين (عبس)	....	عبس ١/٦١
(٥) فهرس الأماكن سقطت هذه الأسماء فأرجو إثباتها	« الباء (برم)	....	برم ٢٦/٧٨
	« الحاء (حضن)	....	حضن ٢٦/٧٨
	« الزاى (زرود)	....	زرود ٦/٦٥
	« الميم (مصر)	....	مصر ٣٥/٥٥
(٧) فهرس المعانى والصور	« الكاف (الكافور)	وبالكافور ٦/٧٠	٦/٨٠
	« الحاء (الحية)	يبيب : عومه ١٨/١–٢٣/٢	يبيب عومه : ١٧/١–٢٣/٥
	« « «	وصدها ... ٤/٨٠ ... ٢٢/١	...٣/٨٠...٢٤/٥/١
		...١٢/١٢٤—١٣	...١٦/١٣—١٣
	« « «	مشيها : ... يمعن النيران ٢/٢٠	... ٦/٢٠
	« « (الحرب)	الحرب فى الصيف ٥/١٢	٥١/١٢
	« « «	(تمبس الوجوه — تقلص الشفاه ... الخ)	
	(ص٣ السود الثانى)	٤٢/٢٥٤/١	...٤٢/٢٠٥
	« الميم (السادة)	يتجلون الحياة (وبات النقل)	
		٣٨/٢	٣٨/٢٠
	« النون (الناقة)	تلاحم غارها ... ١٩/٤٤	...١٩/٣٤٤
	(ص٣٠ السود الثانى)		